

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية
الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري
الجزائر - بوزريعة
قسم الفلسفة



إرادة القوة بين الأونطولوجية والأكسيولوجية في فلسفة نيتشه

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة
تخصص: فلسفة غربية

إعداد الطالب: ناصر الدين بوجاوي
إشراف: أ.د حياة بن بوزيد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د/ يمينه شيكو	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة	رئيساً
أ.د/ حياة بن بوزيد	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة	مُشرفاً ومُقرراً
د/ نورية خالف	أستاذ محاضر (أ)	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة	مناقشاً
د/ سليمة قايد	أستاذ محاضر (أ)	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة	مناقشاً
د/ رزقي مداح	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	مناقشاً
د/ عمر حاتم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة البليدة 2	مناقشاً

السنة الجامعية: 2022/2021

الإهداء

أهدي هذا العمل في البدء والمنتهى إلى أعز شخصين عندي في الوجود ؛ إلى روح الفقيدين جدتي مهدي تكليث وجدي مهدي سعدي اللذين لهما كل الفضل في ما بلغته في مسيرتي العلمية من تحصيل المعارف وأهديه كذلك إلى قرتي عيني أُمي الغالية مهدي حياة وعزيزتي هدى بوغنبال وأخي بوجاوي سمير وإلى خالتي الغالية مهدي لويضة وزوجها خلوفي خلاف وأفراد عائلتهما خلوفي نذير وكنزة وهناء ، وإلى الغاليتين أسماء حمايدية وهاجر حمادي ، وأبي بوجاوي جمال وعمي بوجاوي كريم وبورجيوة عبد القادر وأبناءهم الأعزاء وبخاصة بوجاوي مختار ومريم وغيلاس وأهديه كذلك إلى أصدقائي عمر حاتم وبوزيدي نعيم وفوزيل إيدر وبورجيوة إيدر وكريم حوايلي وعدوان سعادة (بوبكر) وكمال بورشوش وبوشخشوخ عثمان ووليد تينويلين ونبيل بن شعبان وسفيان بعليد وزيدان ياسين وطالب إسماعيل وغيرهم مما يتعذر ذكر أسمائهم جميعا والأساتذة الكرام حياة بن بوزيد ونعيمة حاج عبد الرحمن وعمر بوساحة ورشيد حمامي والمفكران حامد عبد الصمد وأحمد القبانجي والعلامة الفيلسوف كمال الحيدري وكل فلاسفة الغرب والمشرق الذين ساهموا في معراجي التحصيلي للمعارف.

الشكر

في البدء لا يسعني سوى أن نشكر تلك المساعدات المادية و المعنوية التي فاضت علينا من العديد من الأفراد ، ولولاهم ما كان لهذه الأطروحة التأويلية لفلسفة نيتشه أن تدنوقاب قوسين أو أدنى من اكتمالها ، وأول هؤلاء الأفراد بلا محاكاة جدي مهدي سعدي الذي رباني صغيراً وأيدني بروحه وأمواله مذكّراً في طلب العلم ، أضف إلى ذلك جدتي العزيزة مهدي تكلت التي واصلت سيرته في المعاضدة و التأييد بعد ممات جدي ؛ زيادة على ذلك أشكر أيضاً أمي مهدي حياة التي لم تبخل عليّ بما تملك و بما لا تملك ، و بعد فضل العائلة يأتي فضل الأخلاء الذين ناقشوني في كثير من المسائل الفلسفية المتعلقة بفلسفة نيتشه وأذكر منهم عمر حاتم وإيدر فوضيل وبوزيدي نعيم وغيرهم مما يتعذر ذكر أسماءهم جميعاً.

نتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة حياة بن بوزيد التي صبرت عليّ غاية الصبر ولم تبخل عليّ بنصائحها وتوجيهاتها ونحن ممتنين جداً لجزيلها الشديد على إنجاز الأطروحة على أحسن وجه ، ولا يفوتنا أيضاً أن نشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تحمّلوا عناء قراءة الأطروحة وزادوها جودة بملاحظاتهم.

و من الخلق بنا أن نُشير إلى فضل الحضارة الغربية علينا التي رسخت فينا حب العقلانية والحريّة ولولاها لكتّا عبيد ثقافات القمع والعبودية والموت الشرقية والإفريقية وأحسّ بالذكر فرنسا الحبيبة التي علمتنا التنوير والتفكير العقلاني وأيضاً بريطانيا العظيمة التي علمتنا الدقة والوضوح الفلسفيّ، وألمانيا الراقية التي علمتنا التفكير والبناء النسقي ولا ينبغي أن ننسى شكر كل عباقرة اليهود من علماء وفلاسفة أسهموا، في مطاوي هذه الحضارة، في رقي الإنسانية. ونؤوّه تبعاً لذلك بدور أساتذة المشرق في تكويننا العلمي ومن طريقهم فقط ولجنا عالم الفلسفة الغربية بخاصة ؛ فما نكون يا ترى من دون عبد الرحمن بدوي و فؤاد زكريا وعبد الفتاح إمام و زكريا إبراهيم ، لا ينبغي أن ننسى فضل أحمد القبانجي الذي لفت انتباهنا إلى أن الفكر إما أن يكون إشكالياً أو لا يكون ، وحامد عبد الصمد الذي لفت انتباهنا إلى البواعث النفسية و غرائزها في تشكّل بعض المعتقدات ، كما لا يفوتنا شكر رشيد حمامي الذي علمنا أن الفكر لا يكون إلا بالأسئلة الجريئة ، دون أن نغفل عن العلامة المرجع كمال الحيدري الذي استفدنا كثيراً من دروسه الدقيقة والعميقة في الفلسفة الإسلامية... الخ وفضلاً عن هؤلاء جميعاً لا ينبغي نسيان شكر نبية المعرفة ألكسندرا أسانوفا إلبكيان Alexandra Assanovna Elbakyan ونبي المعرفة علي مولا اللذين زودانا بآلاف الكتب القيّمة ولولا غريزتهما التنويرية في نشر الكتب مجاناً ، ما كان لعيوننا أن تقف على آلاف الكتب التي استفدنا منها.

قَائِمَةُ الْمُخْتَصَرَاتِ

1. PP, Les philosophes préplatoniciens.
2. HCP, Homer and classical philology.
3. PETG, la philosophie à l'époque tragique des Grecs.
4. NPETG, La naissance de la philosophie à l'époque de la tragédie grecque (Une autre traduction).
5. CP, Cinq préfaces à cinq livres qui n'ont pas été écrits.
6. LP, Le livre du philosophe.
7. OT, Origine de la tragédie (Une autre traduction).
8. NT, La naissance de la tragédie.
9. CIn, Considérations inactuelles suivi du numéro de l'Inactuelle.
10. HTH, Humain, trop humain.
11. OSM, Opinions et sentences mêlées.
12. VO, Le voyageur et son ombre.
13. A, Aurore.
14. GS, Le gai savoir.
15. APZ, Ainsi parlait Zarathoustra.
16. TSZ, Thus Spoke Zarathustra. A Book for All and None.
17. PBM, Par-delà bien et mal.
18. BGE, Beyond Good and Evil. Prelude to a Philosophy of the Future.
19. GM, La généalogie de la morale.
20. GM, The Genealogy of Morals.
21. CI, Crépuscule des idoles.
22. TI, Twilight of the Idols, or How to Philosophize with a Hammer.
23. CW, Le cas Wagner.
24. NCW, Nietzsche contre Wagner.
25. AC, L'Antéchrist.
26. AC, The Anti-Christ.
27. EH, Ecce homo.
28. FP, Fragments posthumes.
29. VP, La volonté de puissance.
30. WP, The Will to Power.
31. OP, Œuvres posthumes.
32. EP, Écrits posthumes (1870-1873).
33. FP, Fragments posthumes.
34. UF, Unpublished Fragments.

المُقدِّمة

تَسْتَظْهَرُ هَذِهِ الْأَطْرُوحَةُ مَفْهُومَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّذِي يَقْتَادُ ظُهُورَ الْفَلَسَفَةِ الْنَيْتَشَوِيَّةِ وَبُطُونَهَا ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ أَطْرُوحَتُنَا الْمَعْنَوِيَّةُ بِـ "إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأُونْتُولوجِيَّةِ وَالْأَكْسِيُولُوجِيَّةِ فِي فِلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ" لِتَقْدِمَ تَأْوِيلِيَّةً بُنْيَوِيَّةً لِلنُّصُوصِ الْنَيْتَشَوِيَّةِ فِي كَلِمَتِهَا الْعُضُويَّةِ تَبَعًا لِهَذَا الْمَفْهُومِ. وَمَا كَانَ لِهَذِهِ الْمُهْمَةِ أَنْ تُجَزَّزَ لَوْلَا تَنَاوُلُ الشَّقِّ الْأُونْتُولوجِيِّ مِنْ هَذَا الْمَفْهُومِ مَقْرُونًا بِالشَّقِّ الْأَكْسِيُولُوجِيِّ مِنْهُ ؛ لِذَا جَاءَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَطْرُوحَةِ نَظَرًا إِلَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي تُعَدُّ الْمَفْهُومَ الْأُونْتُولوجِيَّ الرَّئِيسَ الَّذِي صَاغَ بِمُقْتَضَاهُ نَيْتَشَةُ آرَاءَهُ الْفَلَسَفِيَّةَ ، بَيْنَمَا أَتَى الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْهَا تَنَاوُلًا لِنَظَرِيَّةِ الْقِيَمِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ بِعَامَّةٍ وَفِلْسَفَتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بِخَاصَّةٍ ، وَلَيْسَ لِلْقَارِئِ أَنْ يَحْسَبَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ جُزْأِيَّةً ، كَلَّا ، ذَلِكَ أَنَّ الْفَهْمَ الْحَصِيفَ لِلنَّظَرِ الْأَخْلَاقِيِّ لَدَى فِيلْسُوفِ الْاِقْتِدَارِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى اسْتِيعَابِ نَظَرِهِ الْأُونْتُولوجِيِّ ؛ يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ قِيَامُ الْقِيَمَةِ لَدَيْهِ عَلَى الْوَاقِعَةِ وَانِبْنَاءُ شَمَائِلِ الْأَخْلَاقِ الْحَيَوِيَّةِ عِنْدَهُ عَلَى طَبَائِعِ الْحَيَاةِ الصَّاعِدَةِ.

وَلَكِنْ اسْتَظْهَرَ مَفْهُومُ الْاِقْتِدَارِ ، كَمَا أَسْفَرَتْ عَنْهُ مُقَارَبَتُنَا التَّأْوِيلِيَّةُ ، الْمَبْدَأَ الْعَامَ الَّذِي عَلَى ضَوْئِهِ فَسَّرَ نَيْتَشَةُ كَلِمَةَ الْعَالَمِ تَفْسِيرًا دِيْنَامِيكِيًّا يَنْدُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ عَمَّا تَوَاتَرَ الْعَقْلُ الْغَرْبِيُّ عَلَى سَبِيلِهِ مِنْ تَقَالِيدِ التَّفَلْسُفِ- فَإِنَّ مَفْهُومَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ فِيلْسُوفِ الْاِقْتِدَارِ ، كَمَا شَهِدَتْ عَلَى ذَلِكَ أَطْرُوحَتُنَا ، يَشْفُ عَنْ الْفَاعِلِيَّةِ التَّقْوِيْمِيَّةِ الَّتِي لَا تُتَصَوَّرُ الْحَيَاةُ فِي مُخْتَلَفِ أَصْعَدَتِهَا (لَا سِيَّمَا الصَّعِيدِ الْإِنْسَانِي) إِلَّا بِهَا ؛ إِذْ لَا تُعْطَى الْمَوْجُودَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمُوجِبِ تَقْوِيمٍ مُعَيَّنٍ يَنْطَوِي بِصُورَةٍ أَوْ بِآخَرَى عَلَى تَعْيِينِ لِلْقِيَمَةِ وَفَقِ سُلْمٍ مُفَاضِلَةٍ يُرْتَّبُ الْأَشْيَاءُ وَالْأَنْحَاءُ تَبَعًا لِمَعَايِيرَ مُحَدَّدَةٍ ؛ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ تُؤَلَّفُ نَظَرِيَّةُ الْقِيَمَةِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ سَعْيًا إِلَى اسْتِجْلَاءِ التَّقَاوِيمِ الْإِنْسِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي تَتَلَاءَمُ وَتَتَنَاعَمُ مَعَ التَّقْوِيمِ الْأُونْتُولوجِيِّ لِلْحَيَاةِ ، وَالتَّقَاوِيمِ الزَّائِغَةِ الَّتِي تَتَنَازَعُ وَتَتَنَاقِضُ مَعَهَا ، وَمَا كَانَ هَذَا اسْتِجْلَاءً مُمَكِّنًا لَوْلَا اصْطِنَاعُ نَيْتَشَةِ لِلْمَنْهَجِ الْجَيْنِيَالُوجِيِّ الَّذِي مَكَّنَهُ مِنَ الْإِسْفَارِ عَنْ أَصُولِ الْأَخْلَاقِ وَأَنْمَاطِهَا مِنْ جَانِبٍ ، وَعَنْ الْقَوَى الَّتِي تَحْتَبِئُ وَرَاءَهَا مِنْ جَانِبٍ ثَانٍ ، وَعَنْ عِلَاقَةِ هَذِي الْأَخْلَاقِ وَالْقَوَى الَّتِي تَبْتَدِعُهَا بِالْحَيَاةِ ، سَوَاءً أَكَانَتْ إِبْتِائِيَّةً أَمْ نَافِيَّةً ، مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ.

لَا مَعْدِلَ إِذَنْ لِإِنْجَازِ هَذِي الْأَطْرُوحَةِ إِنْجَازًا حَسَنًا عَنْ إِتْخَاذِ مَفْهُومِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ نَوَاءً رَئِيسَةً لِاسْتَظْهَارِ الْجَانِبِ الْأُونْتُولوجِيِّ وَالْأَكْسِيُولُوجِيِّ (الْأَخْلَاقِ) مِنْ فِلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ. وَجَرِيًّا عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، تَتَبَعْنَا الرُّؤْيَةَ وَالْبُنْيَةَ وَالْغَايَةَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ بِلَبَابِ الْقَوْلِ الْأُونْتُولوجِيِّ وَالْأَكْسِيُولُوجِيِّ لَدَى نَيْتَشَةِ ، وَأَقَمْنَا الْبَيِّنَاتِ عَلَى كَوْنِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مَبْدَأً دِيْنَامِيكِيًّا بِتَوَسُّلِهِ تَأَوَّلَ نَيْتَشَةِ قَضَايَا الْفَاهِمَةِ (نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ) وَالْعَامِلَةِ (نَظَرِيَّةِ الْأَخْلَاقِ) .

لَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ كَيْ نَضَعَ تَأْوِيلِيَّتَنَا فِي نَسَقٍ مَنْهَجِيٍّ وَعَمَائِيٍّ عَنْ صِيَاعَةِ إِشْكَالِيَّتَيْنِ تَتَرَابَطَانِ وَتَتَوَاصِلَانِ مِنْ حَيْثُ الْبُنْيَةُ وَالْمَقْصِدُ ، مِنْ طَرِيقِهِمَا نَنْقُذُ إِلَى الْمَنْطِقِ الدِّلَالِيِّ الَّذِي يَتَحَرَّكُ تَبَعًا لَهُ نَيْتَشَةُ ، وَهُمَا كَالآتِي: الْإِشْكَالِيَّةُ الْأُولَى: مَا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ؟ مَا النَّظَرِيَّةُ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةُ الَّتِي صَاغَهَا نَيْتَشَةُ فِي سِيَاقِ

أونطولوجيًا إرادة الاقتدار؟، تَتَفَرَّعُ هَاتَانِ الإشكاليَتَانِ إلى إحدى وَعِشْرِينَ مُشْكِلةً أَسَاسِيَّةً مُفْتَرَنَةً بِهِمَا اقْتِرَانًا عَضُوبًا لَنْ تَكُونَ لَنَا إِحَاطَةً وَافِيَةً بِفَلَسَفَةِ نِيَتِشِهِ إِلَّا بِمُبَاحَثَتِهَا وَالْإِجَابَةِ عَنْهَا أَيْضًا، وَهِيَ عَلَى النَحْوِ الْآتِي:

المُشْكِلةُ الْأُولَى: بِأَيِّ مَعْنَى تَكُونُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ مَبْدَأً تَأْسِيسِيًّا لِلْمَوْجُودَاتِ فِي كُلِّيَّتِهَا؟ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى بِأَيِّ نَحْوٍ تَكُونُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ مَا هِيَ لِلْعَالَمِ؟، المُشْكِلةُ الثَّانِيَّةُ: كَيْفَ وَفَّقَ نِيَتِشِهِ فِي مَفْهُومِهِ عَنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْوَاحِدِ (الْمَاهِيَّةِ) وَالْكَثِيرِ (تَجَلِّيَاتِ الْمَاهِيَّةِ)؟ المُشْكِلةُ الثَّالِثَةُ: مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْغَرِيزَةِ (الْإِرَادَةِ) وَالْعَقْلِ (الْتَمَثُّلِ) فِي دِيْنَامِيكَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ؟ المُشْكِلةُ الرَّابِعَةُ: بِأَيِّ نَحْوٍ تَرْتَبِطُ الْقُوَى بَعْضُهَا بَعْضًا فِي عِلَاقِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ؟ المُشْكِلةُ الْخَامِسَةُ: مَا السَّبِيلُ الْأَنْسَبُ لِلْإِمْسَاكِ بِالْكَثْرَاتِ الَّتِي يَتَقَوَّمُ بِهَا الْعَالَمُ؟ الْجُسْمَانُ أَنْسَبُ أَوْ الْعَقْلُ؟ المُشْكِلةُ السَّادِسَةُ: مَا دِلَالَةُ الْوَحْدَةِ فِي فَلَسَفَةِ نِيَتِشِهِ الَّتِي تُعْلِي مِنْ شَأْنِ الْكَثْرَةِ وَالصِّيرُورَةِ؟، المُشْكِلةُ السَّابِعَةُ: مَا الْقِيَمُ فِي مَنْظُورِ نِيَتِشِهِ؟ المُشْكِلةُ الثَّامِنَةُ: أَتَنْفُكُ الْحَيَاةَ وَالْإِنْسَانَ عَنِ اتَّقْوِيمِ؟، المُشْكِلةُ التَّاسِعَةُ: مَا طَبِيعَةُ الْمَنْهَجِ الَّذِي تَوَسَّلَهُ فَيَلْسُوفُنَا لِلْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ؟؛ أَقْصَدُ مَنْهَجَ اتَّقْوِيمِ وَالْقَلْبِ؟، وَبِصِيَغَةٍ أُخْرَى: مَا دَوْرُ الْمَنْهَجِ فِي بُلُورَتِ وَتَقْصِيلِ فَلَسَفَةِ نِيَتِشِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ؟، المُشْكِلةُ الْعَاشِرَةُ: مَا لُزُومِيَّاتُ مَبْدَأِ غَرِيزِي يَتَحَرَّكُ فِيْمَا وَرَاءَ الْحَقِيقَةِ وَالْبَاطِلِ، مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؟ بِتَغْيِيرٍ آخَرَ مَا مَعْقِبَاتُ تَأْسِيسِ الْقِيَمِ عَلَى الْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ؟. المُشْكِلةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةَ: مَا الْأَخْلَاقُ؟ المُشْكِلةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ: عَلَامٌ تَتَوَقَّفُ الْأَخْلَاقُ مِنْ حَيْثُ الطَّبِيعَةُ وَالتَّكْوِينُ؟ المُشْكِلةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ: مَا الْعِبَارُ الْجِنْيَالُوجِي الَّذِي غَايَرِ بِهِ نِيَتِشِهِ الْأَخْلَاقَ وَمَكْنَهُ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ أَخْلَاقِي مُرْتَقِيَّةٍ وَأَخْلَاقِي مَدَدِّيَّةٍ؟، المُشْكِلةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ: مَا مُمَيِّزَاتُ الْأَخْلَاقِ الْمُفْتَدِرَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُتَضَعَةِ؟، المُشْكِلةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ: مَا الصَّمِيرُ الْأَخْلَاقِي؟، المُشْكِلةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ: مَا الْعَنَاصِرُ السِّيكُولُوجِيَّةُ وَالْفِيزِيُولُوجِيَّةُ الَّتِي يَنْشَأُ وَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا الصَّمِيرُ؟، المُشْكِلةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ: مَا دَوْرُ الْكَاهِنِ فِي قَلْبِ قِيَمَةِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ إِلَى خَيْرٍ وَشَرٍّ؟، المُشْكِلةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ: مَا التَّأْوِيلُ الْكَهْنُوتِيُّ لِلدِّينِ وَالْأَلَمِ؟، المُشْكِلةُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةَ: مَا دَوْرُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ فِي الْمَنْظُومَةِ الْخُلُقِيَّةِ الْجَارِيَةِ؟، المُشْكِلةُ الْعِشْرُونَ: مَا تَجَلِّيَاتُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ فِي الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟ المُشْكِلةُ الْحَادِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ: مَا صِلَةُ الْأُونُطُولُوجِيَا بِالْأَكْسِيُولُوجِيَا فِي فَلَسَفَةِ نِيَتِشِهِ؟.

لِلْإِجَابَةِ عَلَى الْإِشْكَالَاتِ الرَّئِيسَةِ وَالْفَرْعِيَّةِ ارْتَأَيْنَا هَذِهِ الْخُطَاطَةَ الَّتِي قَسَمْنَاهَا عَلَى هَذَا الْمُنَوَالِ:

قَسَمْنَا الْأَطْرُوحَةَ كُلَّهَا إِلَى قِسْمَيْنِ؛ وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ اشْتَمَلَ عَلَى فَصْلَيْنِ وَكُلُّ فَصْلٍ تَأَلَّفَ مِنْ ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي احْتَوَى عَلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ، كُلُّ فَصْلٍ انْطَوَى عَلَى مَبَاحِثَ، وَبَعْضُ الْمَبَاحِثِ اسْتَوْعَبَتْ مَطَالِبَ، وَانْتَهَى هَذَا كُلُّهُ بِخَاتِمَةٍ.

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فَعَنْوَنَاهُ ب: "النَّظَرِيَّةُ الْأُونُطُولُوجِيَّةُ عِنْدَ نِيَتِشِهِ" وَيَشْتَمِلُ عَلَى فَصْلَيْنِ؛ فَصْلٌ عَنْوَنَاهُ ب: "إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّيِ: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ"، وَفَصْلٌ آخَرُ

عُنُونَاهُ ب: "خَوَاصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الاقتِدَارِ بَيْنَ الاستِصْصَارِ الحَيَوِيِّ وَالإنْكَارِ المِيتافِيزِيقِيِّ". فِي المَبْحَثِ الأولِ مِنْ أَفْصَلِ الأولِ أَبْدَيْنَا بَادئَ الأمرِ وَاحِدِيَّةَ إِرَادَةِ الاقتِدَارِ الدِينَامِيكِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَبْعِدُ التَّعَدُّدَ وَإِنَّمَا تَتَوَسَّلُهُ لِلتَّجَلِّيِ ، وَاعْتَمَدْنَا فِي هَذَا الإِبْدَاءِ عَلَى تَقْسِيمِ مُبْتَدَعٍ يَسْمَحُ بِتَمْيِيزِ ثَلَاثِ مَنَازِلَ لإِرَادَةِ الاقتِدَارِ وَيُمْكِّنُ مِنْ رِبْطِ المَبْدَأِ بِتَجَلِّيَاتِهِ. وَفِي مَبْحَثِهِ الثَّانِي اسْتَظْهَرْنَا الطَّائِعَ العَلَائِقِيَّ لإِرَادَةِ الاقتِدَارِ تَبَعًا لِمَنْطِقِ التَّصَارُعِ ؛ وَفِي مَبْحَثِهِ الثَّالِثِ أَنْعَمْنَا النَّظَرَ فِي الطَّائِعِ الدِينَامِيكِيِّ لِلأَوْنُطُولُوجِيَا عِنْدَ نِيَتِهِ فِي سِيَاقِ الِاعتِرَاضِ عَلَى التَّفْسِيرِ المِيكَانِيكِيِّ لِلْعَالَمِ.

وَأَمَّا فِي المَبْحَثِ الأولِ مِنَ أَفْصَلِ الثَّانِي فَقَدْ سَعَيْنَا إِلَى إِبْدَاءِ إِحْدَى الخَوَاصِّ الأَوْنُطُولُوجِيَّةِ لِلْكِئُونَةِ كَمَا تَصَوَّرَهَا نِيَتُهُ ، وَأَعْنِي بِهَا خَاصِيَّةَ الكَثْرَةِ ؛ وَفِي مَبْحَثِهِ الثَّانِي تَطَرَّقْنَا إِلَى خَاصِيَّةٍ أُخْرَى لِلْكِئُونَةِ تُسَمَّى عَنِ البِنَاءِ الهَرَمِيِّ لِلْمَوْجُودَاتِ عَلَى نَحْوِ يُؤَسِّسُ التَّفَاوُتَ أَوْنُطُولُوجِيَاً وَأَكْسِيُولُوجِيَاً وَلَيْسَتْ هَذِي الخَاصِيَّةُ غَيْرَ خَاصِيَّةِ التَّرَاقِبِ ؛ وَفِي مَبْحَثِهِ الثَّالِثِ عَالَجْنَا خَاصِيَّةً طَبَعَ بِهَا نِيَتُهُ الكِئُونَةُ بِطَرِيقَةٍ يَمْتَنِعُ بِمَعْيَتِهَا وُجُودُ جَوَاهِرَ فِي غُرُضِ جَرَيَانِهَا الأَبَدِيِّ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الخَاصِيَّةُ إِلَّا الصِّيْرُورَةُ الَّتِي تُعَدُّ مَنَاطًا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ دِينَامِيكَا العَالَمِ.

أَمَّا القِسْمُ الثَّانِي فَعُنُونَاهُ ب: "النَّظَرِيَّةُ الأكْسِيُولُوجِيَّةُ عِنْدَ نِيَتِهِ" وَيَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ ؛ فَصْلُ أَوَّلُ عُنُونَاهُ ب: "الْكِئُونَةُ وَالتَّقْوِيمُ : بَحْثٌ فِي مُرْتَكَزَاتِ النَّظَرِيَّةِ الْقِيَمِيَّةِ عِنْدَ نِيَتِهِ" ، وَفَصْلُ ثَانٍ عُنُونَاهُ ب: "الْمَنْهَجُ الجِينِيَالُوجِيَّ بَيْنَ الْفَتْوحَاتِ التَّأْوِيلِيَّةِ وَالسَّقَطَاتِ الْمُغْفَلَةِ". وَفَصْلُ ثَالِثٌ عُنُونَاهُ ب: "الْمَبَانِي وَالْمَعَانِي التَّكْوِينِيَّةُ لِلْأَخْلَاقِ". فِي المَبْحَثِ الأولِ مِنَ أَفْصَلِ الأولِ أَبْدَيْنَا انْطِوَاءَ الْحَيَاةِ عَلَى فَاعِلِيَّةِ التَّقْوِيمِ أَوْنُطُولُوجِيَاً مَا يَجْعَلُ فِعْلَ التَّقْوِيمِ فِعْلًا أَوْنُطُولُوجِيَاً لَا تَنفَكُ الْمَوْجُودَاتُ عَنِ الشُّرُوعِ فِيهِ ، إِذْ عَلَيْهِ يَتَوَقَّفُ حِفَاطُهَا عَلَى بَقَائِهَا أَوْ بِهْ يَنَاطُ اسْتِوْصَاعُهَا الحَيَوِيُّ ؛ وَفِي مَبْحَثِهِ الثَّانِي عَمَلْنَا عَلَى إِبْرَازِ عَنَاصِرِ هَذِهِ الْفَاعِلِيَّةِ التَّقْوِيمِيَّةِ ، مِنْ مُفَاضَلَةٍ وَمُمَايَزَةٍ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، وَمِنْ خَلْقٍ لِلْقِيَمِ ؛ لِلْمَنْظُورَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ وَتَدْمِيرِهَا. وَفِي المَبْحَثِ الثَّالِثِ مِنَ أَفْصَلِ الأولِ عَالَجْنَا الْمَنَافِذَ الأَرْبَعَةَ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَفْهَمَ عَمَلِيَّةَ التَّقْوِيمِ إِلَّا بِهَا ، إِذْ التَّقْوِيمُ كَفَاعِلِيَّةٍ أَوْنُطُولُوجِيَّةٍ وَأَكْسِيُولُوجِيَّةٍ لَا تُعْطَى إِلَّا فِي صُورَةٍ تَأْوِيلَاتٍ وَمَنْظُورَاتٍ تَصْطَنِعُهَا الْكَائِنَاتُ فِي ظُرُوفٍ وَشُرُوطٍ مُعَيَّنَةٍ تُعْرِبُ فِي الْآنِ نَفْسِهِ عَنْ مَآرِبِهَا وَمَسَاعِيهَا إِلَى الْحِفَاطِ عَلَى الذَّاتِ أَوْ لِلظَّفَرِ بِالسُّلْطَانِ أَوْ الاسْتِزَادَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالِاقتِدَارِ.

وَأَمَّا فِي المَبْحَثِ الأولِ مِنَ أَفْصَلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ فَقَدْ تَطَرَّقْنَا فِيهِ إِلَى الْمَنْهَجِ الجِينِيَالُوجِيَّ وَبَيَّنَّا تَقْوِمُهُ بِحَسَبِ تَارِيخِيَّ يَتَنَاوَلُ الظَّوَاهِرَ الحَضَارِيَّةَ بِعَامَّةٍ وَالْقِيَمِيَّةَ بِخَاصَّةٍ مِنْ طَرِيقِ نُشُوءِهَا وَتَكُونِهَا وَتَطَوُّرِهَا التَّارِيخِيَّ وَيَرُدُّهَا إِلَى الْفَاعِلِينَ مِنْ حَيْثِيَّةِ بُنْيَانِهِم السِّيَكُو- فِيزِيُولُوجِيَّ وَانْتِمَائِهِم الطَّبَقِيِّ ، مُنْتَهِيًا إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ أَنْمُودَجِيَّتَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ: طَبَقَةُ رَفِيعَةٍ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَطَبَقَةُ وَضِيعَةٍ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ ، هُمَا مَصْدَرُ الأخْلَاقِ وَتَبَعًا لِهُمَا تَتَبَايَنُ وَتَتَقَسِّمُ إِلَى أَخْلَاقٍ نَبِيلَةٍ وَأُخْرَى خَسِيسَةٍ ، وَفِي المَبْحَثِ الثَّانِي مِنَ أَفْصَلِ الثَّانِي تَعَرَّضْنَا لِلتَّأْوِيلِ الجِينِيَالُوجِيَّ مِنْ جِهَةِ عَدِهِ الظَّوَاهِرَ الثَّقَافِيَّةَ بِعَامَّةٍ وَالْأكْسِيُولُوجِيَّةَ بِخَاصَّةٍ عَلَامَاتٍ وَأَعْرَاضًا تَتَطَلَّبُ التَّشْخِصَ وَالْإِرْجَاعَ إِلَى أَصُولِهَا وَمِنْ ثَمَّ تَقْوِيمُهَا عَلَى

ضوء معايير حيوية من قبيل الصحة والمرضى، القوة والضعف، الضر والنفع، وفي المبحث الثالث أتينا على نقض تأسيس القيم على مبدأ عربي جلي يتعارض مع المعقولة ويؤدي إلى نقائص عديدة ومخاطر كثيرة.

وأما الفصل الثالث فقد تناولنا في مبحثه الأول أصول الأخلاق السامية لدى النموذج النبيل والأخلاق الهابطة لدى النموذج العبد وذلك بالاستناد إلى الحيثولوجيا في صلتها بالفيلولوجيا، وتطرقنا أيضاً للمباني التي تقوم عليها الأخلاق النبيلة من عرفان بالذات والحياة، من استطاعة ونسيان حيوي للآثار الذاكرية، وأفصحنا كذلك عن المباني التي تنطوي عليها الأخلاق الوضيعة من احتقار للذات وتكرار للحياة، من اضطغان للأقوياء وعجز عن الاضطلاع بالذات والوجود وكبت للعرائز وتصرف بموجب الآثار الذاكرية. وفي مبحثه الثاني هتكنا الحجاب عن الضمير الأخلاقي مظهرين الأسباب التي أوجدته من قمع لعرائز الإنسان واستبطانها، من إحلال الدين بسبب ألم السريرة، وبعد ذلك عرجنا على التأويلين اللاهوتي والأخلاقي لذلك الألم بخاصة وللمعاناة البشرية بعامّة. وفي المبحث الأخير تناولنا مختلف تجليات المثل الأعلى الرهدي باعتباره طلباً للعدم في شتى أصدده الحضارة من علم وفلسفة وفن. وانتهينا إلى صياغة خاتمة أوردنا فيها زبدة الأطروحة والإجابات عن الإشكاليين الرئيسيين وجميع المشكلات الفرعية.

لقد توسلنا ابتغاء بسط هذي المقاربة التأويلية على أحسن وجه بمناهج متعددة تتكامل وتتعاقد، أهمها المنهج الفينومينولوجي الذي أتاح لنا الإصاحّة إلى ما تنطق به النصوص النيتشوية وإبصار إشراقاتها الدلالية من تلقاء ذاتها دونما إرغام تأويلي يضطرها إلى أن تتلبس بمعان مضطعة ليست من آراء نيتشه في شيء، وما أنقذنا هذا الموال التأويلي إلا لتلافي الخلط بين ما هو من لحاظ القارئ وما هو من أمحاض المقرؤ. تأتى لنا بهذا المنهج تعليق الشروحات والتأويلات الأكثر شهرة في العالم، وبمقتضى ذلك لم نستدع التأويلات المتنوعة للمدونة النيتشوية إلا في سياق ما خلصت إليه تأويليتنا وأقامت البينات عليه أو في مقام تفصيل ما سكنت عنه نصوص نيتشه، شريطة ألا تتعارض مع دلالاتها الزومية ومقاصدها العليا، أو في إطار حاجتنا لها وبيان نهافتها.

لكننا لم نكتف بهذا المنهاج وإنما عمدنا إلى تطعيم الخطوات المذكورة آنفاً بالمنهج البنيوي الذي بوساطته اقتفينا المفاهيم الرئيسة، من إرادة اقتدار وكثرة وتراث وصيرورة وأخلاق راقية وأخلاق هابطة، قفوا مطرداً كما ترد في شذوره بغية الكشف عن الثوابت والمتغيرات الفلسفية وعن المحكمات والمشتبهات الدلالية لكل مفهوم في تكوينه من جانب وفي علاقته بباقي المفاهيم من جانب آخر.

لما كانت الأطروحات العربية ميالة تهاوياً واستسهالاً إلى الارتجال والتخيل في دراستها لكبار الفلاسفة وصغارهم دونما تعقب محكم لأعمالهم واستفراء مكيّن لآرائهم- لا سيما وأن لجان المناقشة تكيل لها المديح، بله تعابير سني الدراسات ودنيهاً بميزان واحد- فإننا أكثرنا الإحالات إلى آراء نيتشه في

مَظَاهِيهَا، سَوَاءً أَكَانَ الْمُحِيلُ إِلَيْهِ مُصَنَّفَاتِهِ الْمَنَشُورَةَ إِبَانَةَ حَيَاتِهِ أَمْ مُصَنَّفَاتِهِ الْمَنَشُورَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ، إِذْ يَكْمُنُ دَوْرُ الْمُؤَوَّلِ فِي تَقْدِيرِنَا فِي اسْتِظْهَارِ الْبِنَاءِ الْاسْتِدْلَالِيِّ لِلْفِيلَسُوفِ الَّذِي يَدْرُسُهُ وَاسْتِنبَاطِ الرُّوَاطِ الْمُنَظِّقِيَّةِ الَّتِي تَلُمُّ مَفَاهِيمَهُ فِي رُؤْيَا مُعَيَّنَةٍ وَاسْتِجْلَاءِ الْمُعَقَّبَاتِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ لِفَلَسَفَتِهِ؛ لَكِنْ هَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِالْإِتِّجَالِ وَالْإِكْتِفَاءِ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلِ مِنَ الشَّوَاهِدِ، بَلْ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى تَقْرِيرَاتِ الْفِيلَسُوفِ الْمَدْرُوسِ وَالْإِحَالَاتِ الْكَثِيرَةِ إِلَى نُصُوصِهِ وَهَذَا لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى أَهْبَةِ الْإِسْتِعْدَادِ لِمُقَارَعَةِ مُجَلَّدَاتِ مُقَارَعَةٍ تَسْتَنْزِفُ الْجُهْدَ الْجَهِيدَ وَتَسْتَهْلِكُ الْوَقْتَ الْمَدِيدَ. إِضَافَةً إِلَى هَذَا جَمِيعِهِ اسْتَمَدَدْنَا مِنَ الْأَدَبِيَّاتِ الْنِيشَوِيَّةِ الْعَدِيدَةِ مِنَ الْإِنْصَاحَاتِ الْمُفِيدَةِ وَذَلِكَ لِغَايَتَيْنِ: الْغَايَةُ الْأُولَى - مِنْ أَجْلِ إِغْنَاءِ الْأُطْرُوحَةِ بِإِضَاحَاتٍ وَإِشَارَاتٍ جَدِيدَةٍ (يَسْتَفِيدُ مِنْهَا خُصُوصًا الْقَارِئُ الْعَرَبِيُّ وَحَيْدُ اللُّغَةِ) وَذَلِكَ بَعْدَ انْتِهَائِنَا مِنْ إِيْرَادِ الشَّوَاهِدِ الْمَصْدَرِيَّةِ. الْغَايَةُ الثَّانِيَّةُ - مِنْ أَجْلِ سَدِّ النِّقْصِ فِي حَالَةِ نُدْرَةِ الْمَوَاضِعِ وَالْمَوَارِدِ الْمَصْدَرِيَّةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ مَفْهُومٍ بَعِينٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ دِرَاسَاتٍ مُخْتَصَّةٍ سَلَخَ أَصْحَابُهَا أَعْوَامًا فِي دِرَاسَةِ فَلَسَفَةِ نِيشَةِ مِنْ مَظَاهِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِرْسَالِ فِي التَّأْوِيلِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مَتِينٍ وَلَا مُؤَيَّدٍ رَصِينٍ.

لَمْ تَكُنْ أُطْرُوحَتُنَا عَنْ الْفِيلَسُوفِ نِيشَةِ نَتِيجَةً صَدَقَةٍ سَاقَتْنَا إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَلِيدَةً تَخَيَّرٍ وَاعٍ لَاعْتِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا مَا هُوَ ذَاتِيٌّ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُوَضُوعِيٌّ، فَأَمَّا الذَّاتِيُّ فَلِلصِّلَةِ الْوُطِيدَةِ الَّتِي جَمَعَتُنَا بِمُصَنَّفَاتِهِ أَيَّامَ الشَّبَابِ قَبْلَ الدُّخُولِ الْجَامِعِيِّ وَأَثْنَاءَ الدِّرَاسَةِ الْجَامِعِيَّةِ حِينَمَا كُنَّا مَشْدُودِينَ إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَمَجْرُورِينَ بِرَغْبَةِ الْإِرْتِدَادِ عَنِ الْقِيُودِ الَّتِي كَبَلَتْنَا بِهَا ثَقَافَتُنَا الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَأَمَّا مَا هُوَ مُوَضُوعِيٌّ فَلِإِدْرَاكِ الْعَمِيقِ لِمَا يُمَكِّنُ أَنْ تَضْطَلِعَ بِهِ مُعْجَمِيَّةٌ نِيشَةِ فِي تَحْرِيرِ ثَقَافَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَقْدِيسِ لِّلْمَوْتِ وَنُزُوعٍ إِلَيْهِ، لَا سِيَّمًا أَنَّ مَشْرُوعَ نِيشَةِ مُكَوَّنٌ مِنْ مَفَاهِيمٍ حَيَوِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ إِرَادَةِ الْإِقْدَارِ، وَقَلْبِ الْقِيَمِ وَخَلْقِهَا، وَإِثْبَاتِ الْحَيَاةِ وَتَقْوِيضِ الْعَدَمِيَّةِ، وَتَقْرِيطِ الْإِرَادَةِ الْمُفْتَدِرَةِ الَّتِي لَا تَخْلُدُ إِلَى غَايَةِ نِهَائِيَّةٍ فِي سَيْرُورَةِ التَّجَاوُزِ الْمُسْتَمِرِّ لِلذَّاتِ؛ هَذِي الْعَنَاصِرُ جَمِيعًا تَعْمَلُ عَلَى وَصْلِ الْإِنْسَانِ بِوُجُودِهِ بِوَصَالٍ وَثِيقٍ. وَتَزِيدُ أَهْمِيَّةَ هَذِي الْمُعْجَمِيَّةِ حِينَمَا نُوظِّفُهَا فِي تَأْوِيلِ الْأَمْرَاضِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي أَصَابَتْ عَاقِلَةَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَطَلَتْ إِرَادَتَهَا وَمَا انْفَكَّتْ تَدْفَعُهَا إِلَى اسْتِبْدَالِ طَلَبِ الْآخِرَةِ بِطَلَبِ الدُّنْيَا وَحُبِّ اللَّهِ بِحُبِّ الْإِنْسَانِ.

لَكِنْ أَهْمِيَّةُ تَصْرِيفِنَا لِفَلَسَفَةِ نِيشَةِ تَصْرِيفًا إِيْجَابِيًّا لَا يَعْني صِلَاحِيَّةَ تَصْرِيفِ نِيشَةِ نَفْسِهِ لِمَفَاهِيمِهِ فِي ذَاتِ الْأَمْرِ؛ إِذْ يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ غَايَاتِ نِيشَةِ مِنْ أُطْرُوحَاتِهِ وَغَايَاتِنَا نَحْنُ مِنَ الْإِسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِيِّ لَهَا، إِذْ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ الْمَعَانِي وَتَدَاوُلِهَا (تَوْظِيفِهَا)، وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الْفَرْقِ نَقُولُ بِوُجُوبِ اسْتِظْهَارِ مَعَانِي نِيشَةِ وَقُصُودِ أُطْرُوحَاتِهِ قَبْلَ تَوْظِيفِ هَذِي الْأُطْرُوحَاتِ فِي أَقْفٍ جَدِيدٍ وَمَقَامٍ مُغَايِرٍ. وَتَبَعًا لِذَلِكَ فَإِثْبَاتُ إِمْكَانِ التَّوْظِيفِ الْإِبْدَاعِيِّ لِبَعْضِ أُطْرُوحَاتِهِ لَا يُفِيدُ قَبُولَنَا بِتَلَكُّمِ الْأُطْرُوحَاتِ عَلَى هَنَاتِهَا [مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ نِيشَةَ فِي مَوَارِدٍ عَدِيدَةٍ يَفْهَمُ إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ وَالْجُسْمَانِيَّةِ فِي أَقْفِ الْقَوَى التَّدْمِيرِيَّةِ بِمَا هِيَ غَرِيزَةُ الْمَوْتِ؛ لِذَلِكَ لَا تَنْفَصِلُ الْأَوْنَطُولُوجِيَا وَالْأَكْسِيُولُوجِيَا لَدَى نِيشَةِ عَنِ الْعُغْبِ، بَيْنَمَا نَرَى نَحْنُ أَنَّهُ مِنَ الْإِمْكَانِ إِثْبَاتُ الْحَيَاةِ وَالْجُسْمَانِيَّةِ دُونَ الْمُرُورِ بِغَرِيزَةِ الْمَوْتِ؛ وَفِي رَأْيِنَا نَقُولُ إِنَّ الْقَوَى الْإِنْشَائِيَّةَ لِلْحَيَاةِ (الْوُجْهَ

الأيروسي) في حَيِّثَاتٍ عَدِيدَةٍ وَمَقَامَاتٍ كَثِيرَةٍ يُمْكِنُهَا أَنْ تَبْلُغَ ذُرُوتَهَا دُونَ تَوَسُّطِ الْقُوَى التَّدْمِيرِيَّةِ لِلْحَيَاةِ (الْوَجْهَ الثَّانِي) وَمِنْ ثَمَّ لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَقْمَعَ وَيَقْتُلَ وَيَسْتَعْلِ كَيْ يُحَقِّقَ ذَاتَهُ وَيَتَرَفَّى بِهَا وَيَدْفَعَ بِالْحَيَاةِ قُدَمًا]، لِهَذَا كُلِّهِ كَانَ مِنْ أَغْرَاضِنَا بَيَانُ خُطُورَةِ فُلْسَفَةِ نِيْتْشَةَ الْقَائِمَةِ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَقْلِ الْأَنْوَارِيِّ وَالتَّفَكِيرِ الْعَقْلَانِيِّ الَّذِي يَسْتَنْدُ إِلَى الْمَنْطِقِ الْقَضَوِيِّ وَالنَّظَرِ الْبَرْهَانِيِّ، وَالْمَبْنِيَّةِ عَلَى مَهَاجِمَةِ مَقُولَاتِ الْعَقْلَانِيَّةِ التَّنْوِيرِيَّةِ: الْعَقْلِ، الْحَقِيقَةِ، الْحُرِّيَّةِ، بِمَقُولَاتِ غَرِيزِيَّةٍ لَمْ يَقِصْ لَهَا ضَوَائِبَ وَلَا تَرْشِيدًا، وَلَقَدْ أَفْرَعْنَا الطُّوقَ فِي إِثْبَاتِ فَسَادٍ وَمَقَاسِدِ إِقَامَةِ الْقِيَمَةِ وَالْأَخْلَاقِ عَلَى أَوْنُطُولُوجِيَا تَقُومُ عَلَى جَوْهَرِيَّةِ التَّنَازُعِ وَحَثِيَّةِ التَّوَاقُعِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ هَذِي الْأَوْنُطُولُوجِيَا الْمَوْسَّسَةَ عَلَى مَقُولَاتِ الْإِرَادَةِ وَالْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ انْتِقَائِيَّةٌ لَا تَنْفَكُ عَنِ انْتِحَابِ، مِنَ الطَّبِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالتَّارِيخِ، الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الصِّرَاعِ مُعْغِلَةً الشَّوَاهِدَ وَمُسْقِطَةً الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّسَامُحِ وَالسَّلَامِ.

لَا جَرَمَ أَنْ نُشِيرَ أَيْضًا إِلَى أَنَّ نِيْتْشَةَ يَسْتَعْدِمُ أَوْصَافًا مَهْدُوحَةً (وهي مُصْطَلَحَاتُ) مِنْ قَبِيلِ الصِّحِيِّ Le sain وَالْقُوَى Le fort وَالْمُقْتَدِرِ Le puissant وَالسَّيِّدِ Le maitre وَالْمُتَفَوِّقِ Le supérieur وَالنَّبِيلِ Le noble لِيَدُلَّ عَلَى مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٍ جِدًّا وَكُلُّ هَذِي الْأَوْصَافِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَوْصُوفٍ لَيْسَ إِلَّا الصِّنْفَ الَّذِي يُنْتِجُ الْأَخْلَاقَ الْمُتَرْقِيَّةَ [الصَّاعِدَةَ أَوْ الْعَالِيَةَ]¹ La morale ascendante وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَهِيَ مُعْبَّرَةٌ عَنِ الْحَيَاةِ الْمُتَرْقِيَّةِ [الصَّاعِدَةِ أَوْ الْعَالِيَةَ] La vie ascendante وَعَنْ كُلِّ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ les forces actives الْمُتَقَوِّمَةِ بِالْاِسْتَوْسَاعِ الْحَيَوِيِّ l'expansion vitale، وَعَلَى الضِّدِّ يَسْتَعْمِلُ نِيْتْشَةَ أَوْصَافًا مَذْمُومَةً مِنْ قَبِيلِ Le malade وَالضَّعِيفِ Le faible وَالْعَبْدَ L'esclave وَالْوَضِيعَ Le médiocre لِلإِشَارَةِ إِلَى مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٍ أَيْضًا وَتَقْتَرِنُ كُلُّهَا بِالصِّنْفِ الَّذِي يُنْشِئُ الْأَخْلَاقَ الْهَابِطَةَ [السَّاقِطَةَ أَوْ الدَّنِيَّةَ أَوْ النَّازِلَةَ] La morale descendante وَتُعَبِّرُ عَنِ الْحَيَاةِ الْهَابِطَةِ La vie descendante وَعَنِ الْقُوَى الْارْتِكَاسِيَةِ Les forces réactives الْمُتَقَوِّمَةِ بِالْحِفَاطِ عَلَى الْبَقَاءِ بَدَلِ التَّزَوُّعِ إِلَى التَّجَاوُزِ وَالتَّجَوُّيدِ وَالْاِسْتِزَادَةِ.

وَلَا يَسْغُنَا أَيْضًا إِلَّا أَنْ نَذْكُرَ أَنَّآ آثَرْنَا تَرْجَمَةَ الْمُصْطَلَحِ الرَّئِيسِ (Volonté de / Wille zur Macht) بِالْقُوَّةِ (puissance) بِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَدَلِ إِرَادَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي اعْتَمَدْنَا فِي أَعْوَامِنَا السَّابِقَةِ أَثْنَاءَ اشْتِغَالِنَا عَلَى الْفُلْسَفَةِ النِيْتْشَوِيَّةِ؛ وَمُبَرَّرْنَا فِي ذَلِكَ اسْتِخْدَامَ نِيْتْشَةَ لِمُصْطَلَحَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ (الْاِقْتِدَارَ وَالْقُوَّةَ) Macht und Kraft لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَعْنَيْنِ جِدُّ مُتَقَارِبَيْنِ وَمَعَ ذَلِكَ لَا مَصْرِفَ عَنْ تَرْجَمَةِ الْمُصْطَلَحَيْنِ بِمُفْرَدَتَيْنِ مُخْتَلَفَتَيْنِ أَيْضًا، لِذَلِكَ تَرْجَمْنَا مُصْطَلَحَ مَاخَ بِالْاِقْتِدَارِ وَكَرَأْتُ بِالْقُوَّةِ، وَلَمْ نَسْبِقْ إِلَى ذَلِكَ سَبْقًا بَلْ قَفُونَا قَفْوَ التَّرْجَمَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ الَّتِي وَضَعْتُ فِي مُقَابِلِ Macht لَفْظَةَ Puissance وَجَعَلْتُ فِي مُقَابِلِ Kraft لَفْظَةَ Force وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ التَّرْجَمَاتُ الْاِنْجِلِيزِيَّةِ الَّتِي تَرْجَمَتْ Macht بِ Power وَ Kraft بِ Strength.

¹ يُشِيرُ الْقَوْسَانِ الْمَعْقُوفَانِ [] فِي الْأَطْرُوحَةِ إِلَى إِضَافَةِ قُمْنَا بِهَا إِمَّا مِنْ أَجْلِ جَعْلِ الْمَعْنَى فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَإِمَّا كَيْ تَكُونَ الْعِبَارَةُ مِنْ حَيْثُ التَّرَكِيبِ أَقْرَبَ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَبَلَاغِيَّاتِهِ وَأَبْعَدَ عَنِ الْعُجْمَةِ وَإِمَّا لِتَقْدِيمِ بَدَائِلَ تَرْجُمِيَّةٍ تَسْمَحُ بِنَبْضِ الْاِسْتِيعَابِ لِلْجَهَالِ الدَّلَالِيِّ لِلْمُفْرَدَاتِ نِيْتْشَةَ وَمُصْطَلَحَاتِهِ. كَمَا تُشِيرُ النَجْمَةُ * إِلَى تَوْضِيحَاتٍ جَدِيدَةٍ مِمَّا لِبَنْصِ الْمُفْرَدَاتِ وَالْعِبَارَاتِ.

اعتمدنا في هذه المقاربة التأويلية على جميع آثار نيتشه (أربعة عشر مجلدًا ضخمًا في الترجمة الفرنسية وثمانية عشر مجلدًا في الترجمة الانجليزية) وذلك كي نكون قراءة دقيقة وأمينّة، لا سيما أن مفاهيم فيلسوفنا الأساسية لا تحضر في مصنف دون آخر، وإنما تأتي مبنوثة في مصادر عديدة، وما يسوغ هذا النهج الذي نحرّيناه هو بيان كُتبٍ لها وردّ مبهما في كُتبٍ أخرى، وتفصيل مواردٍ لها جاء مجملًا في مواردٍ أخرى. مراعاة للأمانة والسداد لم نقصر على ترجمة واحدة للمصنف الواحد ولم نلتزم بطبعة واحدة للترجمة الواحدة، إنما دأبنا على قراءة أكثر من طبعة للترجمة الواحدة (نظرًا للتحديث والتنقيح والتصحيح الذي تحظى به الإصدارات الجديدة)، وفضلًا عن ذلك توصلنا ست ترجمات للمؤلف الواحد أو أزيد من ذلك؛ كان الجزء الأكبر منها باللسان الفرنسي وبعضها الآخر باللسان الإنجليزي. وفي عرض هذا كله، استعنا بترساة ضخمة من الدراسات المختصة في الفلسفة النيتشوية التي تجاوزت المائتين دراسة، مع انصراف كامل عن الدراسات العامة التي تضرّ بالبحوث الأكاديمية أكثر مما تنفعها.

ينبغي التنويه إلى أننا لم نتخذ مادة للنظر الملي والمقارنة والمحاورة، للأخذ والردّ، من هذا الكم الهائل من الدراسات النيتشوية، إلا ما يميّز بالدقة والعمق ويقدر لأبس به من الأمانة، وبموجب ذلك لم يكن لنا مذهب عن العودة التقديرية إلى الدراسات السابقة التي تناولت فلسفة نيتشه مقدّمة لنا يد العون أثناء مقارنتنا للمصنفات النيتشوية، لا سيما الدراسات التي تنتمي إلى الأدبيات النيتشوية التقليدية التي كان لها قصب السبق في التعامل مع نصوص نيتشه، نذكر منها دراسة مارتن هايدغر المعنوية ب: نيتشه، ودراسة كارل ياسبر المعنوية ب: نيتشه، مدخل إلى فلسفته، ودراسة أوجين فينك المعنوية ب: فلسفة نيتشه، ودراسة جيل دولوز المعنوية ب: نيتشه والفلسفة.

لكن هذه الدراسات كلها، على أهميتها، لم تتخصّص في مفهوم إرادة الاقتدار ولا في مفهوم القيمة والأخلاقي لدى نيتشه، لذلك سعينا، خدمةً للشقّ الأونطولوجي من أطروحتنا، إلى الاطلاع والاستعانة بدراسات تتناول مفهوم إرادة الاقتدار بكثير من الدقة والتعمق، فوظفنا باللسان الفرنسي دراسة بيير بونبيلو المعنوية ب: "نيتشه: إرادة الاقتدار، ودراسة فولفغونغ مولر- لوتر المعنوية ب: نيتشه: فيزيولوجيا إرادة الاقتدار، وقبل أسبوعين من طبع الأطروحة تحصلنا على أربع دراسات مهمة باللسان الانجليزي في غاية التخصّص عالجت بشكل خاص مفهوم إرادة الاقتدار، لم يكن منّا إلا أن نعتكف على مقارنة زبدّة أطروحاتها ومحتوياتها الأساسية بمباني أطروحتنا ومضامينها الجوهرية، وعصّدنا بها بعض التقريرات التي انتهت إليها مقاربتنا التأويلية؛ أول هذي الدراسات دراسة براين لايتبودي المعنوية ب: إرادة الاقتدار المطبوعة لدى نيتشه، ترجمته الإنسان إلى الطبيعة وترجمته الطبيعة إلى الإنسان، ثانيها دراسة ليندا ويليامز المعنوية ب: مرآة نيتشه، العالم كإرادة اقتدار، ثالثها دراسة تسارين دويل المعنوية ب: "ميتافيزيقا إرادة الاقتدار عند نيتشه، إمكان القيمة، رابعها دراسة جان إتيان جولييه المعنوية ب: إرادة الاقتدار، آخر صمّ لدى نيتشه.

وَإِغْنَاءَ لِلشَّقِّ الْأَكْسِيُولُوجِيِّ مِنْ أَطْرُوحَتِنَا ، اسْتَفَدْنَا بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ مِنْ دِرَاسَةِ أُندْرِيه سَتَاغُويْنِكِ الْمَعْنُونَةِ بـ: الْمُسَاءَلَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ لَدَى نِيْتَشِه ، وَاسْتَأْنَسْنَا كَذَلِكَ مِنْ دِرَاسَةِ أَرْمُونْد كِيْنُوتِ الْمَعْنُونَةِ بـ: نِيْتَشِه فِيلْسُوفِ الْقِيَمِ ، مُسَاهَمَةً فِي تَارِيخِ الْأَكْسِيُولُوجِيَا ، وَدِرَاسَةِ هَارُولْد بِيْرِنَا-وينْتِرِ الْمَعْنُونَةِ بـ: نِيْتَشِه وَمُشْكِلَةُ الْقِيَمِ . وَفِي اللِّسَانِ الْإِنْجِلِيزِيِّ فَقَدْ اسْتَفَدْنَا مِنْ دِرَاسَةِ بَرِيَان لِيْتِرِ الْمَعْنُونَةِ بـ: الْأَخْلَاقُ عِنْدَ نِيْتَشِه [Nietzsche on morality] ، وَدِرَاسَةِ دِيْفِيد أُوَيْنِ الْمَعْنُونَةِ بـ: جِيْنِيَالُوجِيَا الْأَخْلَاقِ عِنْدَ نِيْتَشِه ، وَدِرَاسَةِ إِدْغَارِ إِيْفَالْتِ سَلِينِيْسِ الْمَعْنُونَةِ بـ: إِعَادَةُ تَقْيِيْمِ نِيْتَشِه لِلْقِيَمِ: دِرَاسَةٌ فِي الْإِسْتِرَاتِيْجِيَّاتِ ، وَدِرَاسَةِ جُونِ رِيْتَشَارْدُسُونِ الْمَعْنُونَةِ بـ: قِيَمِ نِيْتَشِه ، وَدِرَاسَةِ رِيْتَشَارْد شَاخْتِ الْمَعْنُونَةِ بـ: نِيْتَشِه ، الْجِيْنِيَالُوجِيَا وَالْأَخْلَاقُ .

لَكِنَّا لَمْ نَسْتَحْضِرْ هَذِي الدِّرَاسَاتِ فِي الْغَالِبِ وَفَقْ أَفْقَهَا التَّأْوِيلِيَّ وَتَبَعًا لِمُنْطَلَقَاتِهَا وَأَغْرَاضِهَا ، بَلْ طَبَقًا لِأَفْقِنَا التَّأْوِيلِيَّ وَخِدْمَةً لِمَبَانِي أَطْرُوحَتِنَا وَأَغْرَاضِهَا ، وَلَعَلَّ مِنْ مُمَيَّزَاتِ أَطْرُوحَتِنَا الْحَذَرُ الشَّدِيدَ مِنْ نُصُوصِ نِيْتَشِه مِنْ جَانِبٍ وَعَدَمُ التَّعَاطُفِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ مَعَ الْكَثِيرِ مِنْ أَطْرُوحَاتِهِ اللَّاعْقِلَانِيَّةِ وَاللَّاأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي لَمْ نَرْ نَزَاهَةً فِكْرِيَّةً فِي تَرْبِيْنِهَا وَزَخْرَفَتِهَا أَوْ غَضِ الْبَصَرِ عَنْهَا كَمَا يَفْعَلُ أَخْلَاؤُهُ مِنْ آلِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ مِنْ نَفَاةِ الْحَقِيْقَةِ ، وَالْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْمِغْيَارِ وَمِنْ دُعَاةِ النِّسْبُوِيَّةِ الشَّامِلَةِ وَالتَّأْوِيلِ اللَّانِهَائِيَّ بِلاَ ضَوَابِطَ وَلَا تَأْصِيْلَ .

مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ مُقَارَبَتَنَا التَّأْوِيلِيَّةَ لَمْ تَكُنْ عَمَلًا يَسِيرًا وَهَيِّنًا وَإِنَّمَا تَخَلَّلَتْهُ عَقَبَاتٌ عَدِيْدَةٌ قَبْلَ الْكِتَابَةِ وَأَثْنَاءَهَا ؛ قَبْلَهَا بِسَبَبِ نَقْصِ مَكْتَبَاتِنَا مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الْمُخْتَصَّةِ مَا يُحْمِلُ الْبَاحِثَ مَشَقَّةَ الْعُثُورِ عَلَى الْكَمِّ الْمُنَاسِبِ مِنَ الْمَصَنَّفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَوْضُوعِهِ لِإِنْجَازِ أَطْرُوحَتِهِ عَلَى النُّحُوِ الَّذِي يَلِيْقُ ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مَبْلَغًا مَالِيًّا لَا قَبْلَ لِبَاحِثٍ مَحْدُودِ الْمَوَارِدِ مِثْلَنَا بِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَذْنَا عَلَى غَاثِقِنَا شِرَاءَ أَغْلَبِ مَا تُوفِّرُهُ الْمَكْتَبَاتُ الْفَرَنْسِيَّةُ مِنْ مَصَادِرٍ وَمَرَاجِعٍ فِي مَوْضُوعِ أَطْرُوحَتِنَا ، لَكِنْ مَا زَادَ عَمَلْنَا اعْتِيَاصًا شُرُوعُنَا الْفَرْدِيَّ فِي تَرْجَمَةِ كُلِّ الشَّوَاهِدِ الَّتِي اسْتَدَلَيْنَا بِهَا عَلَى كَثْرَتِهَا ، وَإِقْبَالُنَا عَلَى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ التَّرْجَمَاتِ مَعَ إِيْرَادِنَا لِمَوَاضِعِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهَا عَسَى بِذَلِكَ تُنْمِسُ بِأَكْبَرِ قَدْرٍ مِنْ مَعَانِي الْعِبَارَاتِ وَالشُّدُورِ . أَضِفْ إِلَى هَذَا كُلِّهِ صُعُوبَةُ النُّصُوصِ الْمُتَرْجَمَةِ نَظْرًا لِلْمِنَوَالِ الشَّاعِرِيِّ الْأَمْرِ الَّذِي نَسَجَ عَلَيْهِ نِيْتَشِه رُؤَاهُ الْفَلْسَفِيَّةَ مَا يُعَسِّرُ عَلَى الْبَاحِثِ سَبْرَ دِلَالَاتِ الْمَفَاهِيْمِ وَاكْتِنَاهَ مَقَاصِدِهَا وَأَبْعَادَهَا ، وَلَا يَتَأَتَّى لَهُ تَذَلُّيلُ هَذِي الْعَقَبَةِ إِلَّا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ مِنْ إِفْرَاقِ الطُّوقِ فِي تَعْرِیَةِ الْقَوَالِبِ الْأَدَبِيَّةِ وَالبَلَاغِيَّةِ الَّتِي تُخْفِي الْمَضْمُونِ الْفَلْسَفِيِّ لِكِتَابَاتِهِ .

وَفَوْقَ هَذِهِ الصُّعُوبَاتِ ، ثَمَّةُ وَرْطَةُ التَّعَامُلِ مَعَ سَقُوطِ نِيْتَشِه الْمُطَرَّدِ فِي التَّعَارُضَاتِ وَالتَّنَاقُضَاتِ ، مِنْهَا تَعَارُضُ الْكَثِيرِ مِنْ تَقْرِيرَاتِهِ فِي مَوَارِدَ مَعَ تَقْرِيرَاتِهِ الْآخَرَى فِي مَوَارِدَ مُغَايِرَةٍ ، وَمِنْهَا عَدَمُ انْسِجَامِ الْعَدِيدِ مِنَ التَّقْرِيرَاتِ مَعَ مَقَاصِدِ فِلْسَفَتِهِ الْكُبْرَى ، وَيَزْدَادُ الْأَمْرُ التَّبَاسُّا مَعَ تَأْوِيلَاتِ الْمُتَخَصِّصِيْنَ الَّتِي تَسْعَى لِاسْتِخْرَاجِ مَوَاقِفِ نِيْتَشِه النَّهَائِيَّةِ فِي مَوْضُوعٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ ، مَا يَضْطَرُّهَا إِلَى الْوُقُوعِ فِي مَطَبِ تَرْجِيحِ نُصُوصِ نِيْتَشَوِيَّةٍ عَلَى أُخْرَى وَانْتِقَاءِ مَا يَخْدُمُهَا وَتَجَاهُلِ مَا يُرْبِكُهَا .

فِي مَقَامٍ كَهَذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا إِلَّا خِيَارَيْنِ: إِمَّا أَنْ نَتَخَبَّ مِنْ نُصُوصِ نَيْتَشْه مَا هُوَ مُنْسَجِمُ الدَّلَالَةِ وَمُمْتَنِعُ الْمَغْزَى كَمَا يَفْعَلُ أَغْلَبُ الشُّرَاحِ النَيْتَشُويينَ ، فَتَعْرِضُهُ عَرْضًا جَمِيلًا بَلِيغًا بِلا انْقِطَاعَاتٍ وَلَا نَقْدِيَّاتٍ صَارِمَةٍ ، وَإِمَّا أَنْ نَعْرِضَهُ عَرْضًا بِنَائِيًا وَنَسْقِيًا مِنْ غَيْرِ بَثْرٍ وَلَا اقْتِطَاعٍ وَلَوْ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى خَلْقِ اضْطِرَابٍ لَا يَتَبَيَّنُ عَلَى إِثْرِهِ الْقَارِئُ الْمَوْقِفَ الْحَاسِمَ لَدَى نَيْتَشْه مِنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ وَلَقَدْ أَثَرْنَا الْعَرْضَ الْمَوْضُوعِيَّ النَّقْدِيَّ لِمُتَنَافِرَاتِ نَيْتَشْه وَمُسْتَبْهَاتِهِ عَلَى الْعَرْضِ الْجَمَالِيِّ التَّرْوِيحِيِّ ، وَقَدْ تَحَلَّلَ هَذَا الْبَسْطُ الْمُنْهَجِيُّ لِمَفَاهِيمِ نَيْتَشْه تَحْلِيلٌ مُنْطَقِيٌّ وَمُسَاءَلَةٌ عَقْلَانِيَّةٌ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي . وَنَظَرًا لِعَمَلِيَّاتِ الْبَثْرِ وَالتَّلَاعُبِ الَّتِي مَارَسَهَا أَغْلَبُ النَيْتَشُويينَ كَيْ يُخْرِجُوا لَنَا نَيْشًا وَدِيْعًا لَا يَتَغَيَّرُ بِالصَّرَاحِ وَالسَّيْطَرَةِ وَالْحَرْبِ ، اضْطَرَرْنَا إِلَى إِيزَادِ بَعْضِ الشُّدُورِ الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ ، لِثِقِيمِ الدَّلِيلِ عَلَى خُطُورَةِ الْفَلَسَفَةِ النَيْتَشُويَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مِنْهَلًا لِلْفَلَسَفَةِ الْقَارِيَةِ ، لَا سِيَّمَا فَلَسَفَةِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ الْمُنَاوِئَةِ لِلْعَقْلِ وَالْعِلْمِ .

خَلِيقٌ بِنَا أَنْ نُورِدَ مُشْكِلَةَ إِسْهَابِ نَيْتَشْه فِي تَكَرُّرِ الْأَطْرُوحَاتِ ذَاتِهَا فِي مُصَنَّفَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَخُلْ ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةٍ ، وَمَا زَادَهَا اغْتِيَاصًا أَتْنَا كُنَّا مُخَيَّرِينَ فِي عَرْضِ إِثْبَاتِ تِلْكَ الْأَطْرُوحَاتِ وَبَسْطِهَا بَيْنَ الْإِيجَازِ بِالْاِكْتِفَاءِ بِشَاهِدٍ أَوْ شَاهِدَيْنِ مِنْ هَذَا الْمُصَنَّفِ أَوْ ذَاكَ دُونَ سَبْرِ وَتَقْصِي مُحْكَمٍ لِلْمُدَوَّنَةِ النَيْتَشُويَةِ بِأَجْمَعِهَا وَذَلِكَ بِإِزَاءِ كُلِّ أُطْرُوحَةٍ عَلَى حِدَةٍ (عَلَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَلَا فِي التَّكَرُّارِ) ، وَالْإِطْنَابِ بِالِإِتْيَانِ بِالْمَوَارِدِ وَالشَّوَاهِدِ الْعَدِيدَةِ مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بَدْءًا مِنْ أُولَى أَطْوَارِ تَفَلُّسُفِهِ إِلَى آخِرِهَا ، (عَلَى مَا فِي هَذَا الْمَسْلُكِ مِنْ وَقُوعٍ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّكَرُّارِ) ، وَانْتَهَى قَرَارُنَا إِلَى تَخْيِيرِ الْمَسْلُكِ الثَّانِي لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ تَحْقِيقِ لِأَطْرُوحَاتِ نَيْتَشْه وَتَدْقِيقِ لَأَرَائِهِ وَكَشْفِ لِلْبُنْيَةِ الْعَامَةِ الَّتِي تَنْتَظِمُ تَبَعًا لَهَا شُدُورُهُ وَمُصَنَّفَاتُهُ. غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَسْتَعِيدُ أَحْكَامَ نَيْتَشْه الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا عِبَارَاتُهُ الشَّدْرِيَّةُ إِلَّا فِي سِيَاقَاتٍ مُعَايِرَةٍ وَبِمَزِيدٍ مِنَ التَّوَسُّعِ وَالتَّعَمُّقِ لِتَحْدُمَ أَحْكَامًا أُخْرَى ؛ ذَلِكَ أَنَّ نَيْتَشْه نَفْسَهُ يَسْتَعِيدُهَا لِيَبْنِيَ عَلَيْهَا تَفْصِيْلَاتٍ لِمُجْمَلٍ وَتَفْرِيْعَاتٍ لِأَصْلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِسْهَابِ ، وَحَسَبَ تَقْدِيرِنَا فَالْفَلَسَفَةُ النَيْتَشُويَةُ يُمَكِّنُ تَلْخِيصَهَا بِتَفَاصِيلِهَا الْجَوْهَرِيَّةِ فِي مَائَةِ صَفْحَةٍ دُونَ تَكَرُّارٍ أَوْ حَشْوٍ ، لَكِنْ لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ مَا كَانَ لِلْإِدَارَةِ أَنْ تَقْبَلَ بِأَطْرُوحَتِنَا لِلْمُنَاقَشَةِ ، فَمَا كَانَ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَزِيدَ حَجْمَ الْأَطْرُوحَةِ بِأَذِلِينَ الْوُسْعِ كُلَّهُ فِي تَقْلِيصِ الْإِسْهَابِ أَثْنَاءَ تَقْلِينَا الْأَمِينِ لِتَفْرِيْعَاتِ نَيْتَشْه وَتَفْصِيْلَاتِهِ .

القِسْمُ الْأَوَّلُ: النَّظَرِيَّةُ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةُ عِنْدَ نِيْتَشَه

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

المبحث الأول: الْوُجُودُ وَإِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْإِسْفَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْاِغْتِبَارِ الْغَرِيزِيِّ

بَادِئُ بَدْءٍ لَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ عَنْ بَيَانِ الْعُسْرِ الشَّدِيدِ الَّذِي مَا بَرَحَ يَعْتَرِضُ تَنَاوُلَنَا لِمَفْهُومِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ فِي فِلْسَفَةِ مُشَبَّعَةٍ بِالتَّضَادِّ تَبْسِطُ تَقْوِيمَاتٍ فِي مَوَاضِعَ وَمَا يِعَارِضُهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى¹، وَتَعَجَّ كَذَلِكَ بِالْأَطْرُوحَاتِ وَنَقَائِضِهَا² كَمَا يَتَّفَقُ فِي ذَلِكَ جُلُّ شُرَاحِهِ الْمُحَايِدِينَ، وَمَا يَزِيدُ الْإِشْكَالَ اِغْتِيَاصًا سَعِينًا إِلَى الْإِمْعَانِ فِي مُحَدِّدَاتِهَا وَمُعَقِّبَاتِهَا النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَكُنْ لَنَا بُدٌّ مِنْ تَقْدِيمِ بَسْطِ تَوْضِيحِيٍّ لِهَذَا الْمَفْهُومِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي يَنْكَشِفُ لَنَا تَارَةً عَلَى أَنَّهُ الْمَبْدَأُ التَّوْجِيعِيُّ وَالتَّوْلِيدِيُّ الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ هَذِي الْمَرْكَبَاتُ التَّعَدُّدِيَّةُ صُنُوفِ الْقَوَى الْغَرِيزِيَّةِ وَالْاِنْفِعَالِيَّةِ³، عَلَى أَنْ نَعُدَّ هَذَا الْمَبْدَأَ خَلَاقًا مِنْ جَانِبٍ وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ شَهْوِيَّةً لَا تَشْبَعُ⁴ مِنْ اِغْمَالِ الْقُوَّةِ وَاسْتِظْهَارِهَا⁵، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ تَسَوُّقًا بَعْضُ الْمَوَارِدِ النَّصِيَّةِ إِلَى عَدِّ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِنِيَّةِ التَّعَدُّدِيَّةِ الْمُتَعَالِفَةِ مِنَ الْقَوَى الَّتِي تَتَوَاقَعُ وَتَتَدَافَعُ، تَحْدُوها عَلَى ذَلِكَ مَنَازِعُهَا إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْاِقْتِدَارِ⁶. وَهَذَا يُسْفِرُ عَلَى الْأَقْلَى عَنْ وَجْهَيْنِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ دَابَّ التَّقْلِيدِ الْفَلْسَفِيِّ عَلَى مُعَارَضَةٍ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ؛ يَتِمَثَّلُ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ فِي الطَّاعِ الْوَاحِدِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي تَغْدُو تَبَعًا لَهُ شَبِيهَةً بِالْمَبَادِيِّ الْمِيتَافِيزِيْقِيَّةِ الَّتِي فَهَمَ الْفَلَّاسَةُ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَاعَ الظَّاهِرَاتِ⁷، وَيَتِمَثَّلُ الْوَجْهُ الثَّانِي فِي الطَّاعِ التَّعَدُّدِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّذِي يَجْعَلُ فِلْسَفَةً نَيْتْشَةَ، مِنْ هَذِي الْحَيِّيَّةِ، مُنْشَقَّةً عَنِ التَّقْلِيدِ الْمِيتَافِيزِيْقِيِّ وَهَذَا الطَّاعِ هُوَ أَحَدُ الْمُمَيِّزَاتِ الْاُونَطُولُوجِيَّةِ الَّتِي تَخْلَعُ عَلَى سَيْرَانِ الْكَيْنُونَةِ دِينَامِيكِيَّةً لَا اِنْفِكَالًا مِنْهَا.

¹Henri Lefebvre, Nietzsche, Éditions sociales internationales, Paris, 1939, p. 102.

²Karl Jaspers, Nietzsche, une introduction à sa philosophie, Gallimard, Paris, 1950, p. 18.

³FP, XIV, 14 [121].

⁴See Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, Cambridge University Press, 2018, p. 123 : « ... Rather, Nietzsche's emphasizes the insatiability and creativity of the will to power (WP, 619 KSA 11 : 36 [31]) ».

⁵FP, XI, 36 [31].

⁶PBM, Trad. Henri Albert, § 19.

⁷See Brian Lightbody, Nietzsche's Will to power naturalized, translating the human into nature and nature into the human, Lexington Books, 2017, p. 57 : « In its most fundamental form, the will to power, as a whole, is a fixed quantity of energy and is the arche of all things. Much like the Pre-Socratics whom he deeply admired, Nietzsche, I would contend, argues that it is will to power that serves as the "material," efficient and even formal cause for the plurality of things we see in the universe. "Things" are not substances in the metaphysical sense of this term following Aristotle's understanding of substance as advanced in The Metaphysics ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعْدُدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

لَا مَهْرَبَ لَنَا مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُتَدَافِعَيْنِ وَتَخْرِيجِ مَسَلِّكَ تَوْفِيقٍ بَيْنَهُمَا ؛ وَوُصَلَّتْنَا إِلَى حَلِّ ظَاهِرِ التَّعَارُضِ الَّذِي يَكْتَنِفُ ازْدَوَاجِيَّةَ الْمَعْنَى الْمُتَعَلِّقِ بِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ هُوَ عَطْفُ الْوَجْهِ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ لِيَكُونَ تَجَلِّيًّا وَتَعْبِيرًا أُونَطُولُوجِيًّا لَهُ ، مُفَادًا ذَلِكَ جَعْلُ الصَّعِيدِ التَّعْدُدِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ تَمْظَهْرًا لِصَعِيدِهَا التَّفْرِيدِيِّ. وَخِلَافًا لِلدِّرَاسَاتِ النِّيْتَشَوِيَّةِ الَّتِي حَاوَلَ أَغْلَبُهَا إِخْرَاجَ نِيْتَشَةِ مِنَ التَّقْلِيدِ الْمِيْتَاْفِيزِيْقِيِّ الَّذِي كَانَ دَيْدَنُهُ رَدَّ الْكَثْرَاتِ إِلَى مَبْدَأٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّا سَتَقِيْمُ الْبَيِّنَاتِ عَلَى صِيَاعَةٍ نِيْتَشَةٍ لِأُونَطُولُوجِيَا وَاحِدِيَّةٍ تُقَسِّرُ الظَّاهِرَاتِ وَتَعَالِقَاتِهَا طَبَقًا لِقُوَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ (عِلَّةٍ حَيَوِيَّةٍ)⁸ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ تَبَعًا لِهَيْكَلِيَّةٍ أَصِيلَةٍ وَمَضَامِينٍ بَدِيعَةٍ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ.

هَذِي الْوَاحِدِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ لَمْ تَتَفَتَّقْ فِي ذِهْنِ نِيْتَشَةِ دُفْعَةً وَاحِدَةً فِي مُصَنَّفٍ وَاحِدٍ وَإِنَّمَا نَشَأَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى مَرَاجِلَ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ أَشَدَّهَا وَتَمَاسُكَهَا النَّظَرِيَّ فِي مُصَنَّفَاتِ التَّرَكَّةِ ؛ وَقَدْ لَأَمَسْنَا هَذِهِ الْوَاحِدِيَّةَ فِي الْبَدءِ فِيْمَا نَطَقَتْ بِهِ بَعْضُ شُدُورِ نِيْتَشَةِ إِبَانِ فِتْرَةِ تَقْلُسْفِهِ الْأَوَّلَى فِي غُضُونِ 1870م وَ 1873م حِينَمَا تَحَدَّثَ عَنْ كِيَانِ أَصْلِيٍّ وَاحِدٍ ؛ وَلَعَلَّ أَنْكْسِيْمُونْدْرِيسَ مِمَّنْ أَوْحَى لَهُ بِذَلِكَ ؛ لَا سِيَّمًا أَنَّ نِيْتَشَةَ فِي مُصَنَّفِهِ الْمُعْتُونِ بِ" الْفَلَسَفَةِ فِي الْعَصْرِ التَّرَاجِيدِيِّ لِلْإِغْرِيقِ " قَدْ اسْتَظْهَرَ مَوْقِفَ هَذَا الْفَيْلَسُوفِ الْيُونَانِيِّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُحَدَّدَةَ مُنْبَثِقَةٌ مِنْ مَبْدَأٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ وَلِهَذَا فَهِيَ تُوَلَّدُ وَتَقْتَنِي بِمُوجِبِ هَذَا التَّحَدُّدِ بَيْنَمَا الْمَبْدَأُ الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ سَرْمَدِيٌّ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي الْاِنْبِثَاقِ إِلَّا إِذَا قَامَتْ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ غَيْرِ الْمُحَدَّدِ ، وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ ، فَاسْتَمَرَّ الصَّيْرُورَةُ مُتَوَقِّفٌ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الَّذِي يَغْلُو عَلَى الصَّيْرُورَةِ الَّتِي تُصْدُرُ مِنْهُ⁹.

وَالْحَالُ أَنَّ نِيْتَشَةَ لَشَدَّ مَا تَحَدَّثَ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْوَحْدَةِ الصُّوفِيَّةِ فِي بَدَايَاتِ تَقْلُسْفَتِهِ وَهُوَ مَا يَشْهَدُ بِهِ مُصَنَّفُهُ "مِيلَادُ التَّرَاجِيدِيَا" الَّذِي جَهَرَ بِالْوَاحِدِ الْأَصْلِيِّ بِاعْتِبَارِهِ أَلَمًا وَصِرَاعًا أَصْلِيًّا وَلَا يُنَازِعُنَا شَكٌّ أَنَّ هَذَا الْوَاحِدَ الْأَصْلِيَّ هُوَ مَا يَتِمَّاهِي مَعَهُ وَيُعَبِّرُ عَنْهُ الْعُنْصُرُ الدِّيُونِيزُوسِيُّ أَيْمًا تَمَاهٍ وَتَغْيِيرٍ¹⁰ مَا دَامَ يَهْبُ لَنَا شُمُولِيَّةُ الْعَالَمِ وَيَجْسِدُ الْعِرْفَانَ الشَّدِيدَ بِغُمُقِ الْحَيَاةِ فِي كَثَافَةِ الْأَلَمِ وَاللَّذَّةِ وَالْإِقْرَارَ الْعَمِيقَ بِهَذِي الْوَحْدَةِ الْأَصْلِيَّةِ¹¹ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالِدَاعِي الَّذِي دَعَا نِيْتَشَةَ إِلَى مُهَاطَةِ هَذَا الْمَبْدَأِ الْأَصْلِيِّ بِالْعُنْصُرِ الدِّيُونِيزُوسِيِّ هُوَ

⁸See Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, p. 120 : « For this reason, a more essentialist-metaphysical interpretation of force and causality is to be preferred. Now, intrinsic force does not entail an appeal to powerless substrates but rather to particular quanta of causal powers that can interact with other such powers without being existentially dependent upon them... As a result, the appeal to intrinsic force does not rule out reciprocal action but rather is the very basis of its possibility ».

⁹PP, Éditions de l'éclat, 1994, pp. 121 -299.

سَنَرَى أَنَّ نِيْتَشَةَ يُتَابِعُ هَذَا التَّفَلْسُفَ وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَبْدَأِ غَيْرِ الْمُحَدَّدِ (إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ) وَتَجَلِّيَاتِهِ الْمُحَدَّدَةِ (تَجَلِّيَّاتِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ) ، يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ كَوْنُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مَبْدَأً كَوْنِيًّا لَا يَفْنَى وَلَا يَزُولُ بَيْنَمَا الظَّوَاهِرُ جَمِيعًا ، أَكَانَتْ عَضُوبَةً أَوْ غَيْرَ عَضُوبَةٍ ، تَفْنَى وَتَزُولُ ؛ وَكَأَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ هِيَ الْمَبْدَأُ الَّذِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الصَّيْرُورَةُ ذَاتُهَا.

¹⁰OT(NT), Trad. de J. Marnold et J. Morland (1906), Essai d'autocritique, § 22.

¹¹Angèle Kremer-Marietti, Thèmes et structures dans l'œuvre de Nietzsche, Lettres modernes, 1957, pp. 107-108.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

إِحَالَتُهُ إِلَى التَّلَاشِي فِي دَفْقِ الْوَاحِدِ الْأَصْلِيِّ وَالذُّوبَانِ فِي سَيَلَانِهِ¹² عَلَى أَنْ تَكُونَ الْمَوْسِيقَى ، حَسَبَ نِيَّتِهِ ، هِيَ الَّتِي تُقَدِّمُ لَنَا صُورَةً شَافِيَةً عَنْهُ¹³.

تَرَامِي اعْتِدَادُ نِيَّتِهِ بِالْوَحْدَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْكَينُونَةِ ، كَمَا تَرْمِزُ إِلَيْهَا الصُّوفِيَّةُ الدِّيُونِزِيَّةُ ، فِي الْمُنْتَهَى إِلَى صَيَاغَةِ أُونَطُولُوجِيَّةٍ أَكْثَرَ بَرُوزًا وَتَمَاسُكًا دَلَّتْ عَلَيْهَا الشَّدَرَاتُ الْمَتَاخِرَةُ الَّتِي كَتَبَتْ مَا بَيْنَ 1888م وَ1889م تَحْتَ عَنَوَانٍ : "إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ فِي مَبْدِئِهَا" حَيْثُ أَعْرَبَ قَائِلًا: "إِنِّي لَفِي حَاجَةٍ إِلَى نُقْطَةِ انْطِلَاقٍ بِوصفِهَا " إِرَادَةُ اقْتِدَارٍ " تَكُونُ بِمِثَابَةِ أَصْلِ الْحَرَكَةِ . وَيَنْتِجُ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّرُ تَحْدِيدِ الْحَرَكَةِ مِنَ الْخَارِجِ " ¹⁴. بِهَذَا النِّحْوِ إِذَنْ رَدَّ نِيَّتُهُ الْحَرَكَةَ ذَاتَهَا إِلَى أَصْلِ يَجْعَلُهَا مُمَكِّنَةً ، يَبْدَأُ أَنْ انْتِشَارَ الْإِرَادَةِ وَامْتِدَادَهَا مَنُوطٌ بِتَوَفُّرِ انْدِفَاعَاتٍ غَرِيزِيَّةٍ وَمَرَاكِزِ حَرَكَةٍ وَلَعْمَرِي إِنَّ هَذَا عَلَى مَا يَبْدُو لَنَا لِيُمَثِّلَ أَيَّمَا تَمَثِيلِ الصَّعِيدِ الثَّانِي مِنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَالَّذِي سَنَتَكَلَّمُ عَنْهُ فِي الصَّفَحَاتِ الْلاحِقَةِ¹⁵.

فِي مَعْرِضٍ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ صِلَةِ الْوَجْهِ الْوَاحِدِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ (الْمَبْدَأِ أَوْ الْأَصْلِ) بِوَجْهِهَا التَّعَدُّدِيِّ (التَّجَلِّي أَوْ الْفَرْعِ) ، لَيْسَ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى تَخْرِيجِ تَأْوِيلٍ مِيشَالٍ هَارٍ إِخْرَاجًا تَأْصِيلِيًّا فِي مَنْجَى مِنْ مَزَالِقِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَوْجِهَةِ الْمِيتَافِيزِيَّةِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ سِوَى صَرْفِ تَأْوِيلِهِ تَصْرِيْفًا يَتَعَلَّقُ فَقَطُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَالَّذِي سَنَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَحِينَمَا صَرَّحَ فِي سِيَاقٍ إِضْاحٍ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ إِنَّهُ: " لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ الْأَصْلُ هُنَا بِالْمَعْنَى الْمِيتَافِيزِيَّةِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ مُحَاوَلَةٌ نِيَّتِهِ تَبَعًا لَذَلِكَ خَيْرٌ خَلَفَ لِخَيْرٍ سَلَفٍ (أَيَّ كَوْنِهَا فِي عِدَادِ مُحَاوَلَاتِ الْفَلَسَافَةِ الْمِيتَافِيزِيَّةِ الْتَقْلِيدِيِّينَ) ، وَلَوْ اتَّخَذْنَا فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةً أَنَّهُ مَا انْفَكَّ يُعَيِّنُ لِلْعَالَمِ مَاهِيَةً أَوْ جَوْهَرًا ، قَابِلًا لِلتَّغْيِينِ وَالتَّمْيِيزِ أَوْ قَابِلًا لِلْعَزْلِ وَالْفَصْلِ ، تَحْتَ اسْمٍ أَوْحَدٍ جَاءَ بِصِيغَةٍ : " إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ " ، لِأَنَّ الْمُدُونَةَ النِّيْتَشَوِيَّةَ ثَبَّتْنَا لَنَا عَلَى نَحْوِ مُتَوَاتِرٍ أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ تُفْهَمَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ عَلَى أَنَّهَا مَقُولَةٌ أَوْ هُويَّةٌ مُتَطَابِقَةٌ ، ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْفَهْمَ يَتَهَاوَى مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهِ تَحْتَ مَعْوَلِ النِّقْدِ الشَّامِلِ الَّذِي وَجْهَهُ نِيَّتُهُ نَفْسُهُ لِلْوَحْدَةِ الْمِيتَافِيزِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ وَهُمْ ، وَعَلَيْهِ فَالْتَّصَوُّرُ السَّلِيمُ لَهَا هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْهَا أَصْلًا يَرُدُّنَا إِلَى كَثْرَةٍ كَامِنَةٍ مِنْ الْأَنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ أَوْ إِلَى مُرَكِّبَاتٍ مُعَقَّدَةٍ مِنَ الْقُوَى تَشْرَعُ فِي الشَّدِّ وَاللَّبْذِ ، فِي التَّوْحُّدِ الْجَامِعِ أَوْ فِي الصَّدِّ الدَّافِعِ ، فِي الْاِتِّصَالِ أَوْ فِي الْاِنْفِصَالِ ، تَشْرَعُ كَذَلِكَ فِي الْفِعْلِ وَالتَّحْوُلِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَيَسْتَحِيلُ عَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ اِمْتِصَاصُ هَذَا جَمِيعِهِ فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ ذِي وَحْدَةٍ رَاسِخَةٍ وَذِي تَمَاهٍ مُتَطَابِقٍ مَعَ نَفْسِهِ . إِنَّ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ السَّرْدَابِيَّةَ لِلْقُوَى فِي النَّسْجِ وَفِكَ مَا جَرَى نَسْجُهُ عَلَى مَنَوَالٍ مُتَوَالٍ وَفِي مَقَامِ حَرْبٍ بِلَا تَوَقُّفٍ أَوْ فِي ظَرْفِ تَوَازُنٍ أَوْ اِنْسِجَامٍ مُوقَّتٍ مُنْصَرِّمٍ ، هِيَ مَا يَكُونُ ، مِنْ حَيْثُ هِيَ بَسْطٌ وَانْتِشَارٌ غَيْرَ مَحْدُودٍ لِلَاخْتِلَافَاتِ وَالْكَثَافَاتِ وَوُجْهَاتِ النَّظَرِ ، مَضْمُونٌ " الْأَصْلِ " عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي مَحْضِهِ مُمْتَنِعًا

¹²Ouvrage collectif, La critique nietzschéenne à l'aube du XXIe siècle, Sous la direction de L'Atelier d'esthétique, Esthétique et philosophie de l'art : De Boeck Supérieur, 16 oct. 2002, p. 349.

¹³OT(NT), Trad. J. Marnold (1906), Essai d'autocritique, § 05- 06.

¹⁴FP, XIV, 14 [98] : « J'ai besoin d'un point de départ « volonté de puissance » comme origine du mouvement. En conséquence, le mouvement ne peut être déterminé de l'extérieure ».

¹⁵Ibid : « J'ai besoin d'impulsions et de centres de mouvements, à partir desquels la Volonté se propage ».

على الكشفِ والتفسيرِ ومِمَّا يتعدَّرُ صِيَاغَتُهُ فِي عِبَارَةٍ مَا دَامَ فِي عَيْنِهِ مَتَاهَاتِيًّا مُلْعِزًا وَجُذُمُورِيًّا مُتَشَعِّبًا، مَا يَلِزُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِحَالَةُ سَبْرِ أَعْوَارِهِ وَاسْتِعْلَاقُ فَحْصِ أَعْيَارِهِ¹⁶ " (ترجمة بتصرفٍ)، فَإِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ كُلَّهُ يُغْفِلُ الصَّعِيدَ المِيتَافِيزِيْقِيَّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ.

لَيْسَ زَيْعًا عَنْ شَوَاكِلِ السَّدَادِ اسْتِعَارَتُنَا الْعُدَّةَ الْمُصْطَلَحِيَّةَ لِاسْتِينُوزَا، كَيْ نَبْتَدِعَ تَأْوِيلًا لَا نَلْفِيهِ إِلَّا مُسْعِفًا فِي الْإِلْهَامِ بِجَوَانِبِ الرُّوْبِيَّةِ الْاُونَطُولُوجِيَّةِ لِفَيْلَسُوفِ الْاِقْتِدَارِ، وَعَلَى هَذِي ذَلِكَ نَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مَفْهُومَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مُشْتَمِلٌ عَلَى تَثْلِيثٍ اُونَطُولُوجِيٍّ قِوَامُهُ النَّظَرُ إِلَى هَذَا الْمَفْهُومِ الرَّئِيسِ تَبَعًا لِثَلَاثِ زَوَايَا نَظَرٍ مُتَكَامِلَةٍ. أَوَّلًا: النَّظَرُ إِلَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مِنْ جِهَةِ الْجَوْهَرِ عَلَى أَنَّهَا الْاِنْفِعَالُ الْأَوَّلِيُّ التَّوْلِيدِيُّ وَالتَّزْوِيعِيُّ. ثَانِيًا: النَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الصِّفَاتِ بِاعْتِبَارِهَا مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ نَفْسِهِ مِنْ الْاِنْفِعَالَاتِ الْجَزْئِيَّةِ، ثَالِثًا: النَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْأَحْوَالِ بِاعْتِبَارِهَا مَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْجَوْهَرِ مِنْ طَرِيقِ الصِّفَاتِ مِنَ الْفَاعِلِيَّاتِ الْاَكْبَرِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ وَالْمَوْعِي بِهَا، عَلَى أَلَّا نَعْقِدَ بَيْنُونَهُ مُطْلَقَةً بَيْنَ الْجَوْهَرِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الصِّفَاتِ وَالْأَحْوَالَ لَيْسَتْ إِلَّا الْجَوْهَرُ وَقَدْ أَفْصَحَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِالْاِنْتِشَارِ وَالتَّفَرُّعِ.

لَكِنْ يَنْبَغِي فَضْلًا عَلَى هَذَا جَمِيعِهِ، أَنْ نَفْهَمَ مُسْتَوَى الْجَوْهَرِ وَصِفَاتِهِ عَلَى أَنَّهَا يُمَثِّلَانِ الصَّعِيدَ الْاَنْطُولُوجِيَّ غَيْرَ الْوَاعِي بِوَصْفِهِ الْجَانِبِ الْمَاهُويِّ لِلْعَالَمِ فِي كُلِّيَّتِهِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ الصَّعِيدِ الْاُونَطُولُوجِيَّ الصَّعِيدَ الْاُونَطِيْقِيَّ بِمَا هُوَ مُسْتَوَى الْفَاعِلِيَّاتِ الظَّاهِرَاتِيَّةِ ذَاتِ الْقَابِلِيَّةِ لِأَنَّ تُلْتَقِطَ فِي وَبِ "الْوَعِي" وَالتِّي تُعَدُّ التَّحَقُّقَ الثَّانِي الثَّانَوِيَّ وَالتَّكْمِيلِيَّ فِي هَرْمِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ.

وَالْحَالُ لَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ عَنْ تَلَاْفِي الْوُقُوعِ، فِي سِيَاقِ هَذِهِ التَّفْسِيْمَاتِ التَّوْضِيْحِيَّةِ، فِي خَطِيئَةِ شَطْرٍ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ إِلَى صَعِيدَيْنِ لَا صِلَةَ بَيْنَهُمَا حَيْثُ يَسْتَحِيلُ بَعْدَهُ الْإِحَامُهُمَا، مَا يَتَنَاقَضُ مَعَ الْوَاحِدِيَّةِ النِّتِشُويَّةِ الَّتِي لَا تُهَادِنُ، كَمَا تَشْفُ شَوَاهِدٌ مُعْتَبَرَةٌ عَنْ ذَلِكَ، أَيْ مَثْنُويَّةِ فِي الْكَيْنُونَةِ. وَفِي ظِلِّ شَذَرَاتٍ مَحْفُوفَةٍ بِمَخَاطِرِ سُوءِ التَّأْوِيلِ مَا السَّبِيلُ الْأَمْتَلُ لِفَهْمِ سَدِيدِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ؟ لَيْسَ لَنَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا مُتَأَخَّرٌ عَنْ مَسَلِّكَ تَأْوِيلِيٍّ يَقُومُ عَلَى إِمْكَانَاتِ التَّوْفِيقِ، لَا التَّلْفِيقِ وَالتَّمْحِيقِ، بَيْنَ مَفْهُومِي الْوَحْدَةِ وَالْكَثْرَةِ الْفَلْسَفِيَّيْنِ مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ ثَمَّ الْمَصَالِحَةُ الْمَشْرُوعَةُ بَيْنَ الصَّعِيدِ الْاُونَطُولُوجِيَّ وَالصَّعِيدِ الْاُونَطِيْقِيَّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، قُرْبَ تَوْفِيقٍ بَيْنَ شَذَرَاتٍ ظَاهِرَةِ التَّنَاقُضِ خَيْرٌ مِنَ الْاِنْتِقَاءِ الَّذِي يَسْتَبْقِي عَلَى بَعْضٍ مِنْهَا وَيَتَخَلَّصُ مِنْ بَعْضِهَا الْآخَرِ كَمَا هُوَ دِيدَنُ جُلِّ الْبَاحْثِينَ الَّذِينَ اِطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ.

لَا مُمَاحَكَةَ عِنْدَنَا أَنَّ التَّوْفِيقَ مَنُوطٌ بِسَطِّ مَفْهُومِ التَّحَقُّقِ أَوْ التَّعْبِيرِ الَّذِي يُمَكِّنُ لَنَا بِتَوَسُّلِهِ أَنْ نَجْعَلَ مِنَ الْوَحْدَةِ الْأَوَّلِيَّةِ¹⁷ لِلْاِنْفِعَالِ الْأَصْلِيِّ¹⁸ - مِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَاهِيَّةُ السَّدِيمِيَّةُ السَّحِيقَةُ وَالْمَحْوَلَةُ وَالطَّبِيعَةُ

¹⁶Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, Edition Gallimard, 1993, p. 12.

¹⁷VP, Trad. Henri Albert, § 302 - Voir .FP, XIV, 14 [121].

إن كلام نيتشه عن وحدة أولية ليدخل الباحث في بلبلة يصعب الخروج منها بسلامة نظراً لجذبه المصير لمفهوم الوحدة في الكثير من مواضع نصوصه إلى حد التواتر، لكن في الصفحات الآتية سنعمل على تبيان المقصود من الوحدة حينما ترد في سياق الإثبات.

¹⁸"إن إرادة القوة هي الشكل البدائي للانفعال بحيث تكون كل الانفعالات تطورات عنه ليس إلا" FP, XIV, 14 [121]

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصَرُّفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

الأصْلَابِيَّةُ الْمَائِعَةُ وَالْمُسْتَعَصِيَّةُ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ¹⁹، وَبِمَا هُوَ الْكِيانُ الْأَصْلِيُّ [نقطة الانطلاق] الذي تَعْتَرُ الرِّعْبَاتُ فِيهِ عَلَى وَحْدَةٍ لَهَا؛ تِلْكَمُ الْوَحْدَةُ الَّتِي تُعَدُّ الْعَرِيْزَةُ الْأَقْوَى الَّتِي قَادَتْ وَوَجَّهَتْ كُلَّ التَّطَوُّرِ الْغُضْوِيِّ²⁰ - عَيْنَ مَا يَتَحَقَّقُ عَلَى الْمُسْتَوَى الْجَزِيئِيِّ مِنْ شَيْءٍ أَضْرَبِ الْأَنْفِعَالَاتِ اللَّاَوَاعِيَّةِ الَّتِي لَا فِقْهَ لِلْوَعْيِ الْإِنْسَانِيِّ بِهَا، وَهِيَ أَيْضًا عَيْنُهَا مَا يَتَحَقَّقُ عَلَى الْمُسْتَوَى الْأَكْبَرِيِّ مِنْ شَيْءٍ صُنُوفِ الْأَنْفِعَالَاتِ الْوَاعِيَّةِ.

تَفْصِيلًا لِهَذِهِ الْخُطَاطَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ نَقُولُ إِنَّ إِزْكَانَ الْأَحْوَالِ الْوَاعِيَّةِ فِي الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ مُنَوِّطٌ بِاسْتِيعَابِ مَكِينِ لِلْأَحْوَالِ اللَّاَوَاعِيَّةِ الَّتِي تَصْطَنَعُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْوَعْيِ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَالَرَّدُ التَّفْسِيرِيُّ لِمُسْتَوَى الْأَحْوَالِ لَا يَسْتَقِيمُ مِنْ نَاحِيَةِ الْإِفْهَامِ وَالْوُضُوحِ إِلَّا إِذَا كَانَ رَدًّا إِلَى مُسْتَوَى الصِّفَاتِ، ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْاَلْتِبَاسِ الَّذِي يَنِمَازُ بِهِ فَمِنْ الْإِمْكَانِ الْوُقُوفُ عَلَى بَعْضِ أَوْجُهِهِ الْغَامِضَةِ، هَذَا مَا يُفِيدُ تَفَاوُتًا فِي أَنْعَاءِ الْمُسْتَوِيَّاتِ لِلذَّاتِ الْعَارِفَةِ، فَلَنْ كَانَ مُسْتَوَى الْأَحْوَالِ أَكْثَرَ جَلَاءً وَأَنْوَهَابًا، فَإِنَّ مُسْتَوَى الصِّفَاتِ أَقْلٌ وَضُوحًا وَأَنْعِطَاءً، فِي حِينِ أَنَّ مُسْتَوَى الْجَوْهَرِ مُتَعَدِّرٌ الْأَنْعِطَاءَ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ، مَا يَعْنِي امْتِنَاعَ حَقِيقَتِهِ عَلَى الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ، نَظَرًا لِلْغُرِّ جَوْهَرِ الْعَالَمِ الْمَحْضِيِّ وَلِدَاعِي الظَّاهِرِيَّةِ الْمُطْبِقَةِ الَّتِي تَحْكُمُ الذِّهْنَ الْبَشَرِيَّ عَلَى نَحْوِ يَسْتَحِيلُ مَعَهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْعَالَمِ كَمَا هُوَ "فِي ذَاتِهِ"²¹.

لَا جَرَمَ جَرِيًّا عَلَى هَذَا الْبَيَانِ أَلَّا تَكُونَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ فِي مَائِيَّتِهَا الْمَحْضِ، مِنْ حَيْثُ هِيَ طَاقَةٌ تَدُّ عَنْ قُدْرَةِ الْإِفْهَامِ، حِيَالُ الْكَثْرَةِ مُنْفَكَّةٌ وَلَا إِزَاءَ جَمَاعِ الظَّوَاهِرِ وَالْكَائِنَاتِ مُنْفَصَلَةٌ، فَلَا تَنْفَرِدُ وَاحِدِيَّةُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِالْجِهَاتِ إِلَّا بِتَوَسُّطِ الْكَثَرَاتِ وَلَا تَفْعُلُ دِينَامِيكَالًا الْحَيَثِيَّاتِ إِلَّا بِجَدَلِ التَّعَدُّدِيَّاتِ، إِذْ هِيَ لَيْسَتْ إِزَاءَ وَلَا حِيَالُ الْكَثْرَةِ، لَيْسَتْ أَمَامَ وَلَا وَرَاءَ الْكَثْرَةِ، لَيْسَتْ تَحْتَ وَلَا فَوْقَ الْكَثْرَةِ وَفَضْلًا عَنْ هَذَا كُلِّهِ لَيْسَتْ عَلَةً مُبَايِنَةً وَخَالِقَةً عَلَى شَاكِلَةِ الْإِلَهِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ²² وَلَا هِيَ بِجَوْهَرٍ بِمَعْنَاهِ التَّقْلِيدِيِّ. الْإِمُّ تُشِيرُ صِيغُ النَّفْيِ هَذِهِ؟ أَوَلَمْ يَرِ أَلِ الْحِكْمَةِ أَنَّ النَّفْيَ هُنَا يُثَبِّتُ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفِي!؛ إِذْ يُوثِّقُ هَذَا كُلَّهُ كَوْنُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ التَّحَقُّقَ أَوْ التَّعْبِيرَ الْوُجُودِيَّ فِي كُلِّ آنٍ فِي بَطُونٍ مَا تَصْطَلِحُ عَلَيْهِ " الْأَشْيَاءُ " الظَّاهِرَةِ مِنْهَا وَالْبَاطِنَةِ، تَحَقُّقًا يَجْرِي عَلَى مَنَوَالٍ لَا تَكُونُ فِيهِ وَاحِدِيَّةُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مُتَنَاقِضَةً مَعَ تَعَدُّدِيَّتِهَا، وَتَعْبِيرًا عَلَى نَحْوِ لَا تَكُونُ فِيهِ الزَاوِيَةُ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةُ مُتَعَارِضَةً مَعَ الزَاوِيَةِ الْأَوْنَطِيْقِيَّةِ، بَلْ يُصْبِحُ تَوَلِيدُ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ مُجَرَّدَ تَعْبِيرٍ أَوْ تَقَرُّعٍ لِلشَّيْءِ نَفْسِهِ، أَيْ تَقَرُّعٍ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي هِيَ فَاعِلِيَّةٌ دَائِمَةٌ. لَيْسَ بِدَعَا أَنْ نَقُولَ بِضَرْبِ

¹⁹FP, XI, 40 [53].

²⁰FP, XII, 1 [30] : « A. Point de. Départ psychologique ... -les désirs se spécialisent de plus en plus : leur unité, c'est la volonté de puissance (pour emprunter l'expression au plus fort de tous les instincts, celui qui a dirigé jusqu'ici toute évolution organique) ».

²¹Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, Desclée de Brouwer, 1952, pp. 279-282-284.

²²FP, IX, 24 [36] : « Nous n'avons pas le droit de supposer une création, car ce « concept » ne permet pas de comprendre quoi que ce soit. créer du néant une force qui ne soit pas déjà là : c'est ne pas une hypothèse ! ».

" ليس لدينا الحق أن نفترض هناك خلق [إيجاد]، لأن هذا "المفهوم" لا يسمح بفهم أي شيء. إن خلق قوة من عدم لم تكن موجودة قبلًا هنا : ليس [لا يرتقي حتى لأن يكون] حتى * فرضية".

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

مِنْ التَّجَوُّزِ بَأَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ بِالْمَفْهُومِ الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ الشُّذُورُ النِّيتَشُويَّةُ وَحَدَّةُ وُجُودٍ أَوْ كُمُونٍ تُقَيَّدُ كُمُونُ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ فِي الَّذِي يُعَبَّرُ وَكُمُونُ الْمُعَبَّرِ بِدَوْرِهِ فِي الْمُعَبَّرِ عَنْهُ.

وَتَأْسِيسًا عَلَى مَا وَرَدَ أَعْلَاهُ يُنْمَعُ بِشَكْلِ قَطْعِيٍّ إِدْرَاكِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عَلَى صُورَةِ الذَّاتِ الْوَاعِيَةِ وَالرَّاسِخَةِ الَّتِي تَتَعَالَى عَنِ الْكَثَرَاتِ التَّجْرِبِيَّةِ الَّتِي تَسْكُنُهَا، مِثْلَمَا يُطْلَبُ مِنَ الْقَارِئِ لِشُدُورِ نَيْتَشَةِ الْإِمْسَاكِ عَنْ إِدْرَاكِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عَلَى صُورَةِ الْجَوْهَرِ الْقَارِ الَّذِي تَدُورُ فِي فَلَكِهِ الْأَعْرَاضُ الْمُتَحَرِّكَةُ أَوْ عَلَى شَاكِلَةٍ عَلَيَّ خَالِقَةٍ تَنْزَوِي بَعْدَ خَلْقِهَا وَرَاءَ حِجَابِهَا الْمَسْتُورِ؛ وَلَنْ يَكُونَ عَسِيرًا بَعْدَ ذَيْتِكَ الْاِمْتِنَاعِيْنَ إِدْرَاكِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عَلَى أَنَّهَا الْاِقْتِدَارُ أَوْ الطَّاقَةُ النَّازِعَةُ الَّتِي لَا انْفِكَاكَ لَهَا مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ ذَاتِهَا تَعْبِيرًا يُفِيدُ الْإِخْرَاجَ أَوْ الْإِبَانَةَ مِنْ جَانِبٍ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ يَعْنِي التَّوَلَّدَ أَوْ التَّكُونُ؛ شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ نُمُو الْبَذْرَةِ وَتَحَقُّقِهَا فِي الشَّجَرَةِ.

بِمُوجِبِ مَا بَسَطْنَاهُ أَعْلَاهُ، لَا تَثْرِيبَ مِنَ الْقَوْلِ: إِنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ كَحَرَكَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ تَتَحَقَّقُ وَتُعَبَّرُ عَنْ نَفْسِهَا، فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى، فِي الْأَهْوَاءِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ صِفَاتٌ، وَهَذِهِ تَتَحَقَّقُ وَتُسْفَرُ عَنْ ذَاتِهَا بِدَوْرِهَا، فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، فِي الْأَهْوَاءِ الْأَكْبَرِيَّةِ الْوَاعِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ الْأَحْوَالُ، لَكِنْ شَرِيطَةً أَنْ نُمَيِّزَ الْفَرْقَ بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِنَ التَّحَقُّقِ حَيْثُ التَّجَلِّي الْأَوَّلُ مُنْدَرِجٌ ضِمْنَ الْأَوْنُطُولُوجِيَا أَوْ اللَّاَوَاعِي الْكُونِيَّةِ، أَيْ ضِمْنَ الطَّبِيعَةِ الطَّابِعَةِ، فِي حِينٍ أَنَّ التَّجَلِّي الثَّانِي مُنْضَوٍ فِي الْأَوْنُطِيقِي أَوْ الْوَعْيِ، أَيْ ضِمْنَ الطَّبِيعَةِ الْمَطْبُوعَةِ؛ لَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْرُبَ عَنَّا كَوْنُ هَذِهِ التَّعَدُّدِيَّةِ وَهَذِهِ التَّحَقُّقِيَّةِ لَا تَسْتَتِيعُ بَأَيِّ نَحْوٍ مِنَ الْأَنْحَاءِ أَيْ تَعَدُّدٍ عَلَى مُسْتَوَى الْوَحْدَةِ الْجُزْئِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ أَوْ عَلَى صَعِيدِ الْعُنْصَرِ الْأَوَّلِيِّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الرَّدَّ إِلَى أَيْ شَكْلٍ آخَرَ وَرَاءَهُ [إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ فِي مُسْتَوَاهَا الْأَوَّلِ]، غَيْرَ أَنَّ الْعُنْصَرَ الْأَصْلِيَّ مِمَّا لِيَ إِلَى الْحَرَكَةِ وَمَشْدُودٌ إِلَى الصِّيْرُورَةِ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ مَبْدَأٌ مُحَايِثٌ وَمُتَارَخٌ لَا يَنْفَكُ عَنْ اصْطِنَاعِ ذَاتِهِ؛ وَالتَّارِيخُ بِاعْتِبَارِهِ مَسَارًا لِلتَّكْوِينَاتِ الْمُقَوِّمَةِ لِلْعَالَمِ لَيْسَ إِلَّا هَذَا الْمَبْدَأُ عَيْنُهُ وَقَدْ بَرَحَ بِنَفْسِهِ فِي صِفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ.

لَا سَبِيلَ إِلَى اتِّصَاحٍ وَافٍ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ إِلَّا بِالْإِسْفَارِ عَنْ مَايَّةِ التَّحَقُّقِ الْأَوَّلِ بِوصْفِهِ — عَلَى الرَّغْمِ مِنْ انْفِلَاتِهِ فِي جَانِبِهِ الْأَكْبَرِ مِنْ قَبْضَةِ الْوَعْيِ الْاِنْعِكَاسِيِّ- مَثَرَلَةً وَسَطَى بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، أَيْ بَيْنَ مَنْزِلَةِ الْعُمُوضِ الْمَحْضِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ بِالْمَاهِيَّةِ (فِي ذَاتِهَا) وَمَنْزِلَةِ الْجَلَاءِ الْمُتَمَيِّزِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ كَمَا تَتَجَلَّى فِي ظَوَاهِرِ حَيَاتِنَا الْوَاعِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ بِالْاِعْتِبَارِ. مُفَادٌ ذَلِكَ أَنَّ الْمَنْفَذَ الْأَنْسَبَ الَّذِي بِمُكْنَتِهِ، وَفَقًا لِهَذِهِ الْمَنَازِلِ الثَّلَاثِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ، الْوُقُوفُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ هَذَا الطَّرَازُ مِنَ الْإِرَادَةِ الَّذِي يَشْرُطُ كُلَّ ظَاهِرَةٍ فِي الْعَالَمِ، هُوَ مَنْفَذُ "الصَّعِيدِ الْجُزْئِيِّ اللَّاَوَاعِي" الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنْ كَثَرَاتٍ مِنَ الْغَرَائِزِ الَّتِي يَجْهَلُ الْمَرءُ عَدَدَهَا وَمَدَدَهَا، جَزَرَهَا وَمَدَدَهَا وَلَعِبَهَا الْمُتَبَادِلِ وَبِدَرَجَةٍ أُولَى نَوَامِيسَ تَغْذِيَّتِهَا وَلَا غُرُو تَبَعًا لِذَلِكَ أَنْ تَظَلَّ الْمَعْرِفَةُ وَالصُّورَةُ الَّتِي يَكُونُهَا الْمَرءُ عَنْ نَفْسِهِ نَاقِصَةً جِدًّا²³، مَعَ ذَلِكَ فَهَذَا الصَّعِيدُ لَا غَيْرُهُ هُوَ مَنْ يَفْتَحُ أَنْظَارَنَا عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي لَا تَكْفُ عَنْ التَّنَوُّعِ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ التَّشْكِيلِ وَالتَّوَلِيدِ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَالطَّبِيعَةُ الطَّابِعَةُ لِلتَّحَقُّقِ الْأَوَّلِ تُمَثِّلُ زَوَايَا نَظَرٍ أَوْ مَرَاكِزَ قُوَى لِهَذِهِ

²³A, Trad. Henri Albert. § 119.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصَرُّفِ الوُجُودِ إِلَى الجَمْعِ

الطَّاقَةُ النُّزُوعِيَّةُ الْوَاحِدَةُ دُونَ أَنْ تَكُونَ أَشْبَارًا وَقِطْعًا مُتَجَانِفَةً وَمُنْفَصِلَةً عَنْهَا ، ذَلِكَ أَنَّ شَرْطَ هَذِي الْمَرَاكِزِ نَفْسِهَا هُوَ وَحْدَةٌ وَوَاحِدِيَّةُ الطَّاقَةِ النُّزُوعِيَّةِ. تَرَامَتْ بِنَا التَّقْرِيرَاتُ الْوَاحِدَةُ مِنْ قَرِيبٍ إِلَى عَدِّ هَاتِهِ التَّعَدُّدِيَّاتِ الْخَافِيَةِ غَيْرِ الْمَفَارِقَةِ لِلظَّوَاهِرِ جَوْهَرِيَّةً ؛ إِذْ هِيَ عَيْنُ هَذِي الطَّاقَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ ، تَمَامًا كَمَا تَفْعَلُ الْمُعْتَزِّلَةُ حِينَهَا لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ لِقَوْلِهَا إِنَّ الصِّفَاتِ عَيْنُ الذَّاتِ.

مِنْ أَلْبَدِيٍّ أَنْ يُؤْلَفَ التَّحَقُّقُ الثَّانِي لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِدَايَةٍ وَمُنْطَلَقًا لِيُظْهِرَ الْعِلَاقَاتِ ، وَمَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى تَوْقُفِ الْعِلَاقَاتِ عَلَى مَقَامِ الْكَثْرَةِ وَأَسْرَابِ التَّعَدُّدِ ، إِنَّ عَلَى صَعِيدِ الْأَحْوَالِ الْوَاعِي ، إِنَّ عَلَى صَعِيدِ الصِّفَاتِ الْلَاوَاعِي ؛ غَيْرَ أَنَّ الْكَثْرَاتِ تَنْشَأُ تَظْهَرُ بَعْدَ التَّوَلَّدِ وَالتَّكُونِ عَلَى مُسْتَوَى الْأَوْنُطُولُوجِيِّ الْلَاوَاعِي لِلصِّفَاتِ بِوصفِهَا غَرَائِزَ وَانْفِعَالَاتٍ وَأَهْوَاءً.

لَنْ نَبْرَحَ مُهِمَّةَ فَكِّ مَغَالِقِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ حَتَّى نَكْشِفَ الْإِثْمَ عَنْ مَفْهُومِ التَّحَقُّقِ الثَّانِي الَّذِي لَا يَتَأَتَّى فَهْمُهُ حَسَبَ تَقْدِيرِنَا إِلَّا بِتَوَسُّلِ التَّمْيِيزِ الْجُزْئِيِّ وَالْإِجْرَائِيِّ بَيْنَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ فِي مُسْتَوِيَاتِهَا الثَّلَاثَةِ : فِي ذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا ، فَلَمَّا كَانَ مُسْتَوَى الصِّفَاتِ تَحَقُّقًا أَوَّلِيًّا لِعَيْنِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِوصفِهَا مَاهِيَّةً ، فَإِنَّ مُسْتَوَى الْأَحْوَالِ يُعَدُّ تَحَقُّقًا ثَانِيًا لَهَا ، عَلَى أَنْ نَعْتَبِرَ مُسْتَوَى الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ طَبِيعَةً طَابِعَةً وَمُسْتَوَى الْأَحْوَالِ طَبِيعَةً مَطْبُوعَةً ؛ حُجَّتُنَا لِتَسْوِيعِ هَذِهِ التَّأْوِيلِيَّةِ فِي إِفَادَةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مِنْ حَيْثِيَّةِ التَّحَقُّقِ الْأَوَّلِ مَا لَا تَتَّصَرُّ إِلَّا بِهِ ، أَيْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِوصفِهَا جُمْلَةً الْخَصَائِصِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَّصَرَ بِمَعْزَلٍ عَنْهَا ؛ بِهَذَا الْمَعْنَى تَكُونُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ النِّظَامِ الشَّامِلِ لِلظَّوَاهِرِ قَاطِبَةً وَهُوَ لَا شَكَّ نِظَامٌ جَبْرِيٌّ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ حَسَبَ شَوَاهِدٍ مِنْ نُصُوصٍ نَبِيْشُهُ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الصَّدْفَةِ وَلَا مَعَ الْحَرِيَّةِ لِكَوْنِ الْأَشْيَاءِ فِيهِ لَا تَفْعَلُ إِلَّا وَفَقَ طَبِيعَتِهَا الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ ، أَغْنِي أَنَّهَا تَسْلُكُ بِمُقْتَضَى تَعْيْنِهَا الْجَوَانِي²⁴ ؛ وَمِنْ حَيْثِيَّةٍ أُخْرَى فَإِنَّهَا تُفِيدُ فِي التَّحَقُّقِ الثَّانِي كُلِّ مَا يَغُتْبُ وَيُشْتَقُّ مِنْ هَذَا النِّظَامِ الشَّامِلِ السَّرْدَائِي وَلِنَقُلْ إِنَّهُ يَقْصَدُ بِهَا هَهُنَا مَا يَتَفَرَّغُ وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَوَّلِ مِنْ ظَوَاهِرٍ شَتَّى قَابِلَةٍ لِلِاقْتِنَاصِ مِنْ شَبَكَةِ الْوَعْيِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّمْيِيزِ وَالْجَلَاءِ. يَتِمَخَّضُ عَنْ هَذِهِ الْبَيِّنُوتِ الْاِعْتِبَارِيَّةِ أَنَّ سَلْسِلَ الْعِلَاقِ الْوَاعِيَّةِ بِمَا هِيَ أَحْوَالٌ تَتَمَيَّزُ بِاعْتِمَادِهَا وَمَشْرُوطِيَّتِهَا وَجُودًا وَعَدَمًا بِسَلْسِلِ عِلَاقِ الْقَوَى الْلَاوَاعِيَّةِ وَلَا يُمَكِّنُ جَرِيًّا عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ أَنْ تُفْهَمَ إِلَّا بِغَيْرِهَا ، أَغْنِي أَنَّ فَهْمَهَا مَنُوطٌ بِسَلْسِلِ الْعِلَاقِ الْغَرِيْزِيَّةِ الْلَاوَاعِيَّةِ ، وَهَذَا مَا يَشْهَدُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ السَّامِيَّةِ الَّتِي يَتَبَوَّأُهَا "الْلاَّوَعِي" فِي فِلْسَفَةِ نَبِيْشُهُ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ وَالْاَكْسِيُولُوجِيَّةِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

تُؤْمِي الْمُقَدِّمَاتُ التَّأْوِيلِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ سَالِفًا إِلَى ضَرُورَةِ الْقِيَامِ بِرَدِّ ضَرُورِيٍّ يُلْحِقُ سَلْسِلَ الْعِلَاقِ الْوَاعِيَّةِ بِالْحَيَزِ الْعَامِ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ بِمَا هُوَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ بِمَعْنَاهَا الْغَرِيْزِيَّةِ ؛ يَنْجُمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَفْسِيرَ الْعِنَاصِرِ الْمُتَمَيِّزَةِ إِلَى السَّلْسِلِ الْأَوَّلِي - بِمَا هِيَ سَلْسِلُ الْفَضَاءِ الْوَاعِي - بَعْضُهَا لِبَعْضٍ غَيْرُ كَافٍ مَا دَامَ تَارِيخُهَا الْحَقِيقِيُّ مَنُوطًا بِسَلْسِلٍ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ - بِمَا هِيَ سَلْسِلُ الْعِلَاقِ الْغَرِيْزِيَّةِ - وَمِنْ ثَمَّ لَا مَرِيَّةَ فِي كَوْنِ الْعِلَاقَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَغَيِّرَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْعَالَمِ الْمَرْتَبِيِّ عَاجِزَةً عَنْ تَقْدِيمِ تَفْسِيرٍ مُجْزِيٍّ ، بَلْ هِيَ نَفْسُهَا

²⁴ إِنَّ شَذُورَ نَبِيْشُهُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْجَبْرِ وَالِاخْتِيَارِ مُتَنَافِرَةٌ وَمُتَعَارِضَةٌ ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْرِّحُ فِي مَوَارِدٍ عَلَى نَفْيِ حَرِيَّةِ الْاِخْتِيَارِ ، بَيْنَمَا يَمَعُنُ فِي شَوَاهِدٍ أُخْرَى فِي إِثْبَاتِهَا ، فَأَتَى لِلْحَرِيَّةِ أَنْ تَكُونَ مُمْكِنَةً فِي كَنْفِ فِلْسَفَةٍ لَا تَقْتَأُ عَنْ إِقْرَارِ الْجَبْرِيَّةِ ؟

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

مُفْتَقَرَةً إلى تَفْسِيرٍ لا تَرَاهُ إِلَّا إِرْجَاعًا لِلظَّوَاهِرِ الْمَرْتَبَةِ وَالْمَحْسُوسَةِ إِلَى الرَّجْمِ الَّذِي اشْتَقَّتْ مِنْهُ بِوَصْفِهِ سَلْسِلَ الْعَلَائِقِ السَّرْدَابِيَةِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ. يَدُلُّ هَذَا عَلَى رَدِّ نَيْتَشَوِي قِوَامِهِ رَدُّ مَفْعُولَاتِ الْعَلَائِقِ الْوَاعِيَةِ إِلَى فَاعِلِيَّاتِ الْعَلَائِقِ الْوَاعِيَةِ، وَفِي تَضَاعُفٍ ذَلِكَ لَا مَنَاصَ مِنْ رَدِّ الْعَلَائِقَاتِ الْكَيْفِيَّةِ أَوْ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةِ إِلَى نِظَامِ الْعَلَائِقَاتِ الْكَمِّيَّةِ، أَيْ إِلَى نِظَامِ مَقَادِيرِ الْقُوَّةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَهَذَا مَا سَاقَ نَيْتَشَهُ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّهُ حَيْثُمَا تُوْجِدُ أَخْلَاقٌ، نَعْتَرُ عَلَى غَرَائِزِ إِنْسَانِيَّةٍ وَتَرْتِيبٍ تَفَاضُلِيٍّ وَسَلْمِيٍّ لَهَا²⁵، وَمَا يُعَزِّزُ مَقَارِبَتَنَا التَّأْوِيلِيَّةَ نَزْوَعُ نَيْتَشِهِ الْجَهْوَرِ، عَلَى ضَوْءِ رُدُودِهِ الْحَيَوِيَّةِ، إِلَى اخْتِزَالِ الْقِيَمِ بِأَسْرَافٍ فِي سَلْمٍ عَدَدِيٍّ وَكَمِّيٍّ لِلْقُوَى يَحْصُلُ بِمُوجِبِهِ تَرْتِيبُهَا سَلْمِيًّا حَيْثُ يَكُونُ صُعُودُهُ إِشَارَةً إِلَى تَرَقِّيٍّ لِلْقِيَمِ وَعَلَى الصِّدِّ يَكُونُ هُبُوطُهُ دَلِيلًا عَلَى تَقَلُّصٍ وَتَقَهُّقٍ²⁶، لَقَدْ تَسَايَرَتْ آرَاءُ نَيْتَشِهِ إِلَى عَدِّ الْأَشْيَاءِ، بِغَضِّ الطَّرْفِ عَنْ نَوْعِهَا أَكَانَتْ طَبْعِيَّةً أَمْ اصْطِنَاعِيَّةً، إِنْسَانِيَّةً أَمْ غَيْرَ إِنْسَانِيَّةً، تَشْكَالَاتٍ وَتَعَالُقاتٍ لِلطَّاقَةِ النَّزْوَعِيَّةِ [إرادة الاقتدار]، مَا مُفَادُهُ أَنَّ كُلَّ ظَاهِرَةٍ حَالِيَّةٍ نَتِيجَةٌ لِتَغْيِيرٍ نَسَبِ التَّفَاعُلِ؛ نَتِيجَةٌ لِتَوْزِيعِ الْقُوَى وَتَرَاتُيبِهَا، فِي بُطُونِ الْعِلَاقَةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ فَكُلُّ فِكْرَةٍ بَيْنَ الْأَفْكَارِ أَوْ قِيَمَةٍ بَيْنَ الْقِيَمِ لَيْسَتْ أَكْثَرُ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، مِنْ تَارِيخِ تَفَاعُلِ الْجُزْءِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْقُوَى الْمَخْفِيَّةِ وَغَيْرِ الْمَوْعِيِّ بِهَا.

وَهَذَا مَا حَادَ نَيْتَشَهُ حَسَبَ تَقْدِيرِنَا عَلَى الْجَزْمِ بِأَنَّ تَيَّارَ الْأَفْكَارِ إِلَى مَسَارِ الْغَرِيزَةِ مَثَابُهُ، مِثْلَمَا أَنَّ سَيَرُورَةَ اسْتِنْبَاطَاتِنَا الْمَنْطِيقِيَّةِ إِلَى صِرَاعِ الْإِنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ مَسَافُهَا، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّ سَيَرُورَةَ [مَجْرَى، مَسَارَ] الْأَفْكَارِ وَالْإِسْتِنْتَاجَاتِ الْمَنْطِيقِيَّةِ فِي ذَهْنِنَا الْآنَ يَتَوَافَقُ مَعَ سَيَرُورَةِ الْإِنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ وَصِرَاعِهَا حَيْثُ يَكُونُ كُلُّ إِنْدِفَاعٍ غَرِيزِيٍّ فِي ذَاتِهِ وَبِصِفَتِهِ الْفَرْدِيَّةِ غَيْرَ مُنْطِقِيٍّ وَمُجْجَفٍ. وَلَا نَعِي كَمَا هُوَ دَيْدُنُنَا إِلَّا حَوْصَلَةُ الصِّرَاعِ: وَبِمَقْدَارٍ كَبِيرٍ يَكُونُ سَرِيَانٌ هَذَا الْآلِيَّةُ الْعَتِيقَةُ فِينَا* فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ سَرِيعًا وَخَافِيًا"²⁷؛ مَعَ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِيَنَّ الْعَقْلُ عَنْ شَذَرَةٍ أُخْرَى مِنْ مُصَنَّفِ "الْعِلْمِ الْمَرَحِّ" تُصَرِّحُ عَلَى الصِّدِّ بِأَنَّ سَيَرُورَةَ الْفَضَائِلِ الْقِيَمِيَّةِ الْمَوْعِيِّ بِهَا، أَوْ سَيَرُورَةَ الْخِصَالِ الْوَاعِيَةِ، تَخْضَعُ لِقَوَائِنِ تَطَوُّرٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْفَضَائِلِ الْقِيَمِيَّةِ غَيْرِ الْمَوْعِيِّ بِهَا حَيْثُ يَكُونُ لِكُلِّ مِنْ هَذَيْنِ النَّمَطَيْنِ طَرِيقٌ يَنْفَرِدُ فِي الْمُضِيِّ فِيهِ [نَقْلٌ بِتَصْرِفٍ]²⁸.

²⁵GS, Trad. Patrick Wotling, Edition Flammarion 1997, § 116. Voir Trad. Henri Albert.

²⁶FP, XIV, 14 [105].

²⁷GS, Trad. Patrick Wotling, Edition Flammarion 1997, § 111 : « Le cours des pensées et des conclusions logiques dans notre cerveau actuel correspond à un processus et à une lutte de pulsions qui en soi et à titre individuel sont toutes très illogiques et injustes ; nous ne prenons habituellement connaissance que du résultat de la lutte : tant le fonctionnement de cet antique mécanisme est aujourd'hui rapide et caché ».

²⁸Ibid, Trad. Henri Albert, § 8 : « Vertus inconscientes. Toutes les qualités personnelles dont un homme a conscience - et surtout lorsqu'il suppose aussi leur visibilité et leur éloquence pour son entourage — sont soumises à de tout autres lois de développement que ces qualités à lui inconnues ou mal connues, qui savent se cacher même à l'œil du plus subtil observateur ».

مع ذلك إن مضمون هذه الشذرة الأخيرة لا يلغي الرد الحيوي الذي تجارت العديد من الشذرات إلى توكيده وإنما فقط يوسع أفقه الدلالي على النحو الذي يُقَرُّ بأنَّ للتحقق الثاني [سلاسل الوعي] أيضاً مسارات تطورية تنعم بمميزات إضافية وتكميلية مختلفة نسبياً عن المسار التطوري للتحقق الأول [سلاسل الغرائز اللاواعية] ومن ثمَّ يغدو الأمر أشبه بالطفل الذي يحمل في روحه وجسمانه مواصفات أبيه أو سلالته لكن مع خصال إضافية ينفرد بها؛ بموجب ذلك لا ينبغي أن نحمل الشذرة المرتبطة المذكورة من قريب إلا على سبيل تفصيل المجمال. وفوق ذلك فهي تُسَعِّفُنا، حينما نقارن بشذرات الرد الحيوي، في بسط تفسير تعضيدي لكيفيات انقلاب بغض القوى الارتكاسية - المُسَلَّحَةِ بغض الفضائل والخصال الارتكاسية النافية - على الجسماني الخاص الإنساني والجسماني العام الحيائي وذلك ببيان الأسباب والحيثيات التي تفسر الانفصال النسبي لمسار الخصال الواعية عن المسار الغريزي للكينونة، انفصلاً تجسّد تاريخياً في التمرّد الضعيفي للقوى الارتكاسية على الغرائز الحيوية للحياة بتوسّل منظومات قيمية واعية تنطوي على مفاهيم متناوئة من قبيل الزهد والضمير. بلا امتراء يعدّ ما سمّيناه بـ "الردّ الحيوي" فريدة من فرائد نيتشه ونفائسه في الفلسفة التي هيأت له النظّر إلى الأشياء من منظور الحياة من طريق نزعة محايدة بلغت من الجذرية مبلغاً مُنفرداً عن مواقع الأشباه، لا سيّما أنّه يقيم طلاقاً بائناً مع فلاسفة ميتافيزيقا الذاتية الذين تناصرت مذاهبهم على ردّ سلاسل الظواهر التي تنتمي إلى مجال الفكر (من انتباه، وتخيّل وتذكّر)، وكذلك التي تنتمي إلى مجال الامتداد، إلى عنصر أولائي متعال اتخذ صورة الذات العارفة كالأنا أو صورة الذات الإلهية التي هي شاهدة بعلمها ومهيمنة بقدرتها على كل شيء.

وفي سياق هذه المحايثة المطلقة للردّ الحيوي ليس لنا مذهب عن بيان الفتوحات الإبتيمولوجية والأكسيولوجية التي أحدثتها ومواضع القطيعة التي أجزأها مع ما كان سائداً من طرائق التفكير الفلسفي؛ فلئن جعل التقليد الميتافيزيقي صدق فكرة ما منوطاً بتطابقها مع الواقع الذي تُعبر عنه، أي تأسيس الصديق تبعاً للمطابقة بين نسق الفكر ونسق الطبيعة كما يظهر للوعي، فإن نيتشه مُبتكر في شواهد محدّدة، على الضد من هذا المعيار الميكانيكي (معيار المطابقة)، معياراً ديناميكياً آخر جعل المشروع أو السداد لأي فكرة من الأفكار أو قيمة من القيم مُتوقفاً على مدى تعبيرها الوفي عن سيال الحياة بما هو إرادة الاقتدار، بما هو الطبيعة الطابعة، مُفاد ذلك تأسيس السداد على التعبير عن متطلبات الحياة وخواصها الأونطولوجية، وليس بدعاً تبعاً لذلك ألا تتوقف الحقيقة عند نيتشه، بما تشتمل عليه من حقائق أكسيولوجية، على مفهومي الاتساق أو التطابق كدليلين على اليقين وإنما موارد نيتشه النصية نطقت بإقامة ما يمكن أن نسميه اعتبارياً "الحقيقة" على مفاهيم الحيوية الحياتية من قبيل النافع والضار²⁹، الصحة والمرضى³⁰، القوة والضعف³¹، الترقّي والتقهر³².

²⁹GS, Trad. Henri Albert, § 344.347.

³⁰GM, Trad. Henri Albert, III, § 16.

يَتَقَوَّى هَذَا الطَّرْحُ مِنْ كَوْنِ نَيْتَشْه لَا يُطَبِّقُ عَلَى غِرَارِ رِيكَرْتِ وَشِيلِرِ وَهَارْتْمَانِ فِكْرًا أَكْسِيُولُوجِيًّا عَلَى قِيَمٍ مَشْرُوعَةٍ بِذَاتِهَا أَوْ مَوْضُوعَةٍ مِنْ طَرِيقِ التَّعَسُّفِ بَلْ إِنَّهُ لِيَسْأَلُ الشُّرُوطَ الْخَلْفِيَّةَ لِلتَّقَاوِيمِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي اكْتَشَفَهَا فِي تَنَوُّعِ الْأَنْمَاطِ وَتَرَاتِبِيَّةِ الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ الضَّعْفُ وَالْقُوَّةُ، مِنْ حَيْثُ الْعَاقِبَةُ وَالسَّقَمُ، مِنْ حَيْثُ الْإِنْحِطَاطُ وَالْخُصُوبَةُ، مِنْ حَيْثُ الْخَبِيَّةُ وَالْفَلَاحُ وَهَاتِهِ الشُّرُوطُ جَمِيعًا هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ مِنْ جِهَةٍ لَا وَاعِيَةٍ قِيَمَاتِ الْبَشَرِيَّةِ³³؛ عَلَى أَلَّا نَفْهَمَ مِنَ النِّفْعِ الْمَذْكُورِ أَنْفَا مَا نَقْدَرُهُ تَبَعًا لِصَعِيدِ التَّحْقِيقِ الثَّانِي، أَيْ طَبَقًا لِنِظَامِ حَيَاتِنَا الْوَاعِيَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ "الْمُفِيدَ" بِاعْتِبَارِهِ مَا يَنْضَوِي تَحْتَ دَائِرَةِ الْوَعْيِ قِيَاسًا عَلَى الشَّدَرَةِ 354 مِنْ "الْعِلْمِ الْبَهِيحِ" لَيْسَ إِلَّا عَرَضًا تَافِهًا³⁴، وَإِنَّمَا الْمُفِيدُ الَّذِي يَقْصِدُهُ نَيْتَشْه كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ بَيِّنَاتُ الشُّدُورِ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَكُونُ وَيَصْدُرُ مِنَ الْمُسْتَوَى الْفِيْزِيُولُوجِيِّ الْإِلَاوَعِيِّ أَوْ بِالْأَحْرَى ذَلِكَ الَّذِي يَنْبَثِقُ مِنَ الْخَوَاصِ الْغَرِيزِيَّةِ لِلْحَيَاةِ، وَجَرِيًّا عَلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ الْحَيَوِيَّةِ عَدَّ نَيْتَشْه "غَيْرَ الْمُفِيدِ"، مِنْ حَيْثُ هُوَ الْأَخْطَاءُ الْقَادِرَةُ عَلَى تَغْرِيزِ الْحَيَاةِ إِلَى الْخَطَرِ، تَرْجَمَةً لِأَخْطَاءِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْفِيْزِيُولُوجِيِّ³⁵، مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ قِيَمَ الْأَنْمُودَجِ النَّبِيلِ مَشْرُوعَةٌ وَسَدِيدَةٌ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ خَوَاصِ الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ التَّعَدُّدُ وَالصَّرَاغُ، التَّرَائِبُ، الصَّيْرُورَةُ، وَذَلِكَ خِلَافًا لِقِيَمِ الْأَنْمُودَجِ الْعَبْدِ الْمُنَاوِيَّةِ لِطَبَائِعِ الْوُجُودِ؛ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْأَنْمُودَجَ الْإِرْتِكَاسِيَّ يَبْذُلُ الْغَالِي وَالنَّفِيسَ وَيَسْتَغْلُ كُلَّ السُّبُلِ الْمُلْتَوِيَّةِ مِنْ دِينٍ وَأَخْلَاقٍ وَسِيَاسَةٍ كَيْ يُجَهِّزَ عَلَى الْحَيَاةِ مِنْ طَرِيقِ سَعْيِهِ إِلَى إِثْقَافٍ عَجَلَةٍ خَوَاصِهَا السَّرْمَدِيَّةِ.

لَيْسَ بِدَعَا بِمُوجِبِ الْعِلَاقِ الْمَيْمُونَةِ بَيْنَ النِّفْعِ وَالْفِيْزِيُولُوجِيَا وَالْحَيَاةِ أَنْ يَنْزُو نَيْتَشْه إِلَى جَعْلِ الْمَعْرِفَةِ، بِوَصْفِهَا فِعْلًا إِدْرَاقِيًّا، وَالْحُبِّ، بِوَصْفِهِ فِعْلًا انْفِعَالِيًّا، خَادِمِينَ لِلْأَرْضِ، وَلَا غَضَاضَةً إِنْ تَأَوَّلْنَا ذَلِكَ تَأْوِيلًا يُفِيدُ وَجُوبَ تَغْيِيرِ النِّظَامِ الْوَاعِي - أَكَانَ فِكْرًا أَمْ عَاطِفَةً - عَمَّا لَا يَكُونُ إِلَّا بِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ الْقَوَى الْأَرْضِيَّةُ الْحَيَوِيَّةُ الْإِلَاوَعِيَّةُ³⁶، أَعْنِي مِنْ هَذَا ضَرُورَةُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ أَفْكَارِنَا بِجَمِيعِ أَضْرِبِهَا مِنْ عِلْمٍ وَفَلَسَفَةٍ وَفَنٍّ مُتَالِفَةً مَعَ الْحَيَاةِ وَمُقْبَلَةً عَلَيْهَا³⁷ لَا مُتَالِفَةً مَعَ تَعَالِيمِ السَّمَاءِ أَوْ مَعَ الْمَفَاهِيمِ الْمَجْرَدَةِ وَالْقِيَمِ الْغُلْيَا لِلْأَخْلَاقِ الْجَارِيَةِ.

يَتَبَدَّى لَنَا فِي مَعْرِضٍ كَلَامًا أَنَّهُ لَا غِنَى عَنِ اسْتِنْبَاطِ التَّبَعَاتِ النَّظَرِيَّةِ لِهَذِهِ الْأُونْتُولُوجِيَّةِ الْعِلَاقِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ: أَوَّلًا - فَمِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ اسْتِحَالَةُ حُرِّيَّةِ الْإِخْتِيَارِ فِي مَلَكُوتِ عِلَاقِ الْقَوَى الْمُتَعَالِفَةِ وَالْمُتَعَالِفَةِ

³¹A, Trad. Henri Albert, § 507. VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 534.

³² PBM, Trad. Henri Albert, § 4.

³³Colloque De Royaumo, Nietzsche, Les Éditions Minuit, 1967, Fondation Royaumont, p. 270.

³⁴GS, Trad. Henri Albert, § 354.

³⁵VP, Trad. Geneviève Bianquis, 544 — Voir FP, XIII, 11 [91].

³⁶APZ, Première partie, Le Prologue de Zarathoustra, 3 - Des Hallucines de l'arrière —monde / Voir De la vertu qui donne, § 2 : « Mes frères, restez fideles à la terre, avec toute la puissance de votre vertu! Que votre amour qui donne et votre connaissance servent le sens de la terre. Je vous en prie et vous en conjure ». Voir Des grandes événements.

³⁷NT, Trad. Cornelius Heim, Edition Gonthier 1964, § 7.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الوُجُودِ إِلَى الجَمْعِ

دُونَ سَكُونٍ وَمَا شُعُورُنَا بِالْحُرِّيَّةِ فِي خِصَمِ هَذَا الْمَقَامِ الْجَبْرِيِّ إِلَّا وَهُمْ مِنْ أَوْهَامِ الْعَقْلِ ، أَيْ مِنْ إِنْتَاجَاتِ جُزْئِنَا الضَّيِّيلِ الْمَوْسُومِ بِالْوَعْيِ³⁸ ، فَلَا وُجُودَ فِي مَلَكُوتِ الْغَرَائِزِ اللَّوَاغِيَةِ لِمَلَكَةِ لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ عَلَى عَدَمِ الْفِعْلِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ لَهَا ذَلِكَ وَإِنَّمَا الْكُلُّ مَأْخُودٌ أَنْ يَفْعَلَ تَبَعًا لِطَبِيعَتِهِ شَاءَ أَوْ أَبَى وَمَا شُعُورُنَا الْوَهْمِيُّ بِالْحُرِّيَّةِ فِي فَضَاءٍ حَتْمِيٍّ كَهَذَا إِلَّا نَتِيجَةً لِحِجْلِنَا بِالذَّافِعِيَّاتِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْحَيْثِيَّاتِ الْمُعَقَّدَةِ الَّتِي تَصْطَلِعُ الْأُمُورَ وَالْمُحَدَّثَاتِ مِنْ وَرَاءِ أَفْعَالِنَا وَأَقْوَالِنَا³⁹ ، فَحَنُ وَفَقَ هَذَا الْمَنْظُورِ النِّيتَشَوِيِّ مُبْرَمَجُونَ بِمَا يَتَجَاوَزُنَا مِنَ الْقَوَى الَّتِي تَنْفَلِتُ مِنَ الْوَعْيِ⁴⁰ .

ثَانِيًا: تَقْتَادُنَا الْبُنْيَةُ الْعَلَائِقِيَّةُ لِأَوْنَطُولُوجِيَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ خَطِيرٍ مُفَادُهُ اسْتِحَالَةُ الْخَيْرِيَّةِ وَالشَّرِّيَّةِ فِي مَلَكُوتِ قَوْضَوِيٍّ وَصَائِرٍ⁴¹ لَا شَأْنَ لَهُ بِالْحُرِّيَّةِ ، مَا دَامَ قِيَامُ الْاِسْتِنْبَاطِ الْأَوَّلِ يُفْضِي مِنْ جِهَةٍ إِلَى انْتِفَاءِ الْأَخْلَاقِ الْمِثَالِيَّةِ بِرُمْتِهَا ، ذَلِكَ أَنَّ حُرِّيَّةَ الْاِخْتِيَارِ شَرْطٌ لَوْصَفِ الْأَفْعَالِ ، وَقِيَّاسًا إِلَى ذَلِكَ الْأَشْخَاصِ ، بِالْخَيْرِيَّةِ أَوِ الشَّرِّيَّةِ. وَفَوْقَ ذَلِكَ حَيْثُمَا الضَّرُورَةُ الْفَسْرِيَّةُ تَسُدُّ ، كَمَا فِي عَالَمِ التَّحْقِيقِ الْأَوَّلِ مِنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، يَنْتَفِ كُلُّ قَوْلٍ بِالْعَرَضِيَّةِ وَالْعَائِيَّةِ. يَجُرُّنَا هَذَا الْاِسْتِنْبَاطُ إِذْنًا إِلَى الْإِمْسَاكِ عَنْ نَعْتِ نِظَامِ لَأَوَاعِ الْكُلِّ فِيهِ مَسُوقٌ إِلَى الْفِعْلِ وَفَقَ سَلِيقَةُ طَبَائِعِهِ⁴² بِالْخَيْرِيَّةِ وَالشَّرِّيَّةِ مَا دَامَ الْحَيَوِيُّ يَفْرُضُ تَبَعًا لِمُقَوِّمَاتِهِ الْجَوَانِيَّةِ أَنْ يُحْكَمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ بِرُبَاعِيَّةِ حَيَوِيَّةٍ تُجَلُّ الْقُوَّةُ وَالضَّعْفُ ، الصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ مَقَامَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْجَارِيَةِ نَحْوَ: الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، الَّتِي هِيَ تَقْوِيَمَاتٌ مُنْتَمِيَّةٌ إِلَى نِظَامِ الْوَعْيِ الزَّائِفِ ، بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ مَخَافٍ وَأَمَالٍ ، وَالَّتِي يُحَاوَلُ بِهَا الْمَرءُ الضَّعِيفُ [بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ] إِدَانَةَ جُلٍّ مَّا فِي الْحَيَاةِ أَوْ جَمِيعِهَا.

تَأْسِيسًا عَلَى مَا انْتَبَى عَلَيْهِ هَذَا الْمَنْظُورُ الْحَيَوِيُّ فَالْأَشْيَاءُ مِنْ زَوَايَا نَظَرٍ حَوَادِثُهَا السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ تَجْرِي وَفَقَ الضَّرُورَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ عَنْهَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا مُتَأَخَّرٌ وَتَحْصُلُ فِيهَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ وَلَا يُمَكِّنُ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْجَبْرِيَّةِ الْغَرِيزِيَّةِ أَنْ نَصِفَ الْحَيَوِيَّ الْحَيَاتِيَّ مِنْ قِبَلِ الْاِنْتِهَاكِ وَالْاِغْتِصَابِ وَالسَّلْبِ وَالْإِجْهَازِ بِأَنَّهُ شَرٌّ⁴³ وَلَا أَنْ نُنَعْتَ الْاِسْتِفْلَالَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ بِالشَّرِّ⁴⁴ وَلَا أَنْ نَجْعَلَ الشَّهْوَةَ وَالْاِنَانِيَّةَ وَالرَّغْبَةَ فِي السَّيْطَرَةِ

³⁸CI, Trad. Henri Albert, Les quatre grandes erreurs, § 4- 5- 7.

³⁹Charles Andler, Nietzsche sa vie et sa pensée, la dernière philosophie de Nietzsche, Tome 6, 3 Edition Bossard, p. 322, Voir PBM, § 19.

⁴⁰Tarmo Kunnas, Nietzsche, ou, L'Esprit de contradiction : « étude sur la vision du monde du poète-philosophe, Nouvelles Editions Latines, 1980, p. 63.

⁴¹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre III, p. 51.

⁴²GS, Trad. Henri Albert, § 118 — Voir GM, Trad. Henri Albert, I, § 13.

⁴³GM, Trad. Henri Albert ,II, § 11.

⁴⁴PBM, Trad. Henri Albert, § 259.

الفصل الأول: إرادة الأفتدَارِ بَيْنَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

شَرًّا⁴⁵، مَا دَامَ الْأَصْلُ السَّرْدَائِيَّ وَالْحَقِيقِيَّ لِلْأَخْلَاقِ هُوَ الْأَهْوَاءُ وَالْغَرَائِزُ⁴⁶ بِمَا هِيَ الْقَوَى الْحَيَوِيَّةُ الَّتِي تُوجَدُ بِمَعَزَلٍ عَنْ كُلِّ قِيَمَةٍ أَكْسِيُولُوجِيَّةٍ مِنَ النِّظَامِ الْوَاعِي⁴⁷؛ وَمَا دَامَتْ تَقَاوِيمُ الْوَعْيِ، كَمَا يَقُولُ الْبَاحِثُ أَرْنُولْد كِينُو، لَا تَفْعَلُ غَيْرَ تَرْجَمَةِ التَّقَاوِيمِ الْغُضُويَّةِ الْعَمِيقَةِ⁴⁸ وَمِنْ ثَمَّ لَا مَنَاصَ مِنْ حِسْبَانِ جُمْلَةِ الْمُثَلِّ الْجَارِيَةِ وَالْأَفْكَارِ السَّائِدَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُتَّبَعَةِ لُغَةً مَرْمُوزَةً مِنْ قَبْلِ جَسَدٍ مَا⁴⁹.

مَا بَرَحَ نِيَتَشْه فِي مُحَاوَلَاتِهِ النَّقْدِيَّةِ يُظْهِرُ مُنَاوَنَةَ الْأَخْلَاقِ، أَكَانَتْ عِلْمَانِيَّةً أَمْ دِينِيَّةً سَوَاءً بِسَوَاءٍ، لِأَصْلِهَا الطَّبِيعِيِّ وَالْحَيَوِيِّ⁵⁰، إِذْ غَالِبًا مَا كَانَتْ تَتَكَرَّرُ لَهُ وَتَكَافُحُهُ، وَمَا مُنَاهِضَةُ الْأَيْدِيُولُوجِيَّ بِاعْتِبَارِهِ نِظَامٌ وَعْيِي لِلْحَيَوِيِّ بِاعْتِبَارِهِ قَوَى هَوَوِيَّةً وَغَرِيزِيَّةً إِلَّا لِكَوْنِهِ مِمَّا لَيْسَ فِي وَسْعِ أَيِّ أَخْلَاقٍ أَنْ تَتَحَكَّمَ بِهِ، وَلَيْسَ هَذَا الْهُجُومُ عَلَيْهِ أَيْضًا إِلَّا لِمُقَاوَمَتِهِ لِأَيِّ مَسَاعٍ لِإِضْفَاءِ الطَّابَعِ الْأَخْلَاقِيِّ عَلَيْهِ؛ وَهَذَا الْعَجْزُ حِيَالِ الْغَرَائِزِ أَوْ قُدَامَ الْحَيَوِيِّ هُوَ الَّذِي أَفْضَى بِسَدَنَةِ الْأَخْلَاقِ وَكَهْنَةِ الضَّمِيرِ الدِّينِيِّ، كَمَا يُنْقَلُ نِيَتَشْه إِلَيْنَا ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِمْ، إِلَى أَنْ يَقُولُوا: "إِنَّهُ بِاسْمِ الْأَخْلَاقِ (خُصُوصًا الْأَخْلَاقِ الْمَسِيحِيَّةِ، أَيِ الْأَخْلَاقِ الْمَطْلُوقَةِ) يَجِبُ عَلَيْنَا عَلَى الدَّوَامِ دُونَ مَنَاصِي أَنْ نُدِينَ [نَتَّهِمُ، نُحْطِئُ] الْحَيَاةَ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ شَيْءٌ فِي مَحْضِهِ [فِي جَوْهَرِهِ، فِي مَا هِيَ] لَا أَخْلَاقِي"⁵¹، لَكِنْ هَؤُلَاءِ الْحَاقِدُونَ يُخْفُونَ كَوْنَ الْأَخْلَاقِ كِذْبَةً يَتَوَسَّلُوهَا لِلْهَرُوبِ مِنَ الْوَقَائِعِ/الطَّبِيعَةِ الَّذِي أَذَاقَهُمُ الْمُعَانَاةَ، وَمَا يَفْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا الْخَائِبُونَ⁵².

لَا جَرَمَ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ النَّافِيَةِ أَنْ يُفْرَغَ نِيَتَشْه طَوْقَهُ فِي التَّحْوِيلِ الْجَذَرِيِّ لِلْقِيَمِ قَاطِبَةً Transmutation وَأَنْ يُنْعَمَ فِي الْقَلْبِ الْكُلِّيِّ وَالتَّقْوِيمِ الشُّمُولِيِّ Transvaluation لِلْقِيَمِ طَرًّا، ابْتِغَاءً مِنْهُ لِجَعْلِ كُلِّ خَالِقٍ لِلْقِيَمِ وَمَا يَخْلُقُهُ مِنْ قِيَمٍ شَتَّى فِي خِدْمَةِ التَّوَكِيدِ الْإِتْبَاتِيِّ لِلْحَيَاةِ - مِنْ حَيْثُ هِيَ رَحِمٌ

⁴⁵APZ, Trad. Henri Albert, Troisième partie, Des trois maux.

⁴⁶Ibid, Première partie, Des joies et des passions : « Autrefois tu avais des passions et tu les appelais des maux. Mais maintenant tu n'as plus que tes vertus : elles naquirent de tes passions ».

⁴⁷OT(NT), Trad. de J. Marnold et J. Morland, Société du Mercure de France, Paris, 1906, Essai d'autocritique, § 5.

⁴⁸Armand Quinot, Nietzsche philosophe de la valeur, contribution à l'histoire de l'axiologie, Edition Microfiche de la BNF, 1956, p. 34. « Les appréciations de la conscience ne font que traduire les appréciations organiques profondes ».

⁴⁹Éric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture : La philosophie comme généalogie philologique, PUF, 1986, p.104. Voir PBM, Trad. Henri Albert, § 187 : « Aussi les morales ne sont-elles qu'un langage figuré des passions ». dans une traduction « un langage chiffré ». Voir Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes : Souffrance et compassion, Editions Beauchesne, 1970, p. 311.

⁵⁰Frédéric Guillaud, Par-delà le bien et le mal de Nietzsche, Éditions Bréal, p. 27.

⁵¹OT(NT) Trad. Henri Albert, § 5 : « ... car, au nom de la morale (en particulier de la morale chrétienne, c'est-à-dire absolue) nous devons toujours et inéluctablement donner tort à la vie, parce que la vie est quelque chose d'essentiellement immoral ».

⁵²AC, Trad. Henri Albert, § 15.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

الاقتدارات الصاعدة- وفي خدمة نعم طفولي حيالها⁵³، وفي ذلك عرفان مقدّم بها وذوبان بهيج في حضرتها المقدسة. ولئن عمدت الأخلاق إلى إخضاع الحياة- باعتبارها في ذاتها وباعتبارها التحقق الأول (المستوى الأونطولوجي)، أي بوصفها قوى هويّة وغريزة لاواعية- إلى قيم متعلّية باعتبارها التحقق الثاني الذي يعدّ ههنا المستوى الأونطويقي بمغناه الضيق، أي العقل أو الوعي⁵⁴، فإن حيوية الاقتدار عند نيتشه تسعى جاهدة إلى إرجاع هذي القيم نفسها إلى جذورها الحقيقية المتجذرة في تربة الحياة، وهذا حسب تقديرنا هو الذي ساق الباحث أرنولد كينو إلى الإعراب عن ذلك قائلاً: "إن تقاويم الوعي لا تفعل غير ترجمة التقاويم العضوية العميقة"⁵⁵ التي تُمثّل الحياة في تجليها الأكثر كثافة وهكذا تكون تقاويم الوعي بالنسبة إلى نيتشه راجعة أيضاً - وفق تأويل باتريك فوتلينغ- إلى الانفعالات والغرائز الاندفاعية التي هي قيم بصدد الفعل أو قيم وهي في حالة الفعل⁵⁶.

أومات مقاربتنا التأويلية إلى أن القلب النيتشوي للقيم جمعاء، الذي يناقض نقضاً جلياً التوجه السقراطي الذي يعارض و يسحق الحياة بالفكرة⁵⁷، ضرب من ردّ المعرفة ليس فقط إلى الجسماني الإنساني الخاص الذي لا نكون إلا به⁵⁸، وإثما إلى الجسمان العام الذي يتوقف الجسمان الأول عليه، وهذا من باب عطف الخاص على الوجود العام الذي هو الحياة⁵⁹ بوصفها إرادة الاقتدار؛ وعلى أساس هذا الإجراء فقط يكون التقويم الجذري للقيم ويكون توزيعها إلى سني ودني، رفيع ووضيع.

لقد أصاب الشارح المرموق إريك بلونديل شواكل السداد إذ أبان أن الثقافة، من حيث هي جماع القيم التي تحكم المثل والسلوك والعوائد لكلية سوسيو- تاريخية معيّنة [أي لكلية أمة]⁶⁰، تجلّ للجسد والحياة ومعطفاً لهما، لكن ذلك بمقتضى اقتصاد طبائعي جسماني مقرر بإثبات الحياة أو نفياها على نحو يفضي إلى الكشف عن طرازين من الثقافة: طراز يستعمل كل شيء بما في ذلك الوهم لإثبات الحياة والجسمان كما هو شأن الإغريق، وطراز مضاد يصطنع الأوهام ابتغاء حجبهما (المسيحية مثال عن ذلك)؛ هكذا تغدو الثقافة مع نيتشه موضوعاً للتاريخ الطبيعي Naturgeschichte حالما يفضي

⁵³Dominique Bourdin, L'œuvre de Nietzsche, paradoxes de l'esprit libre : parcours et anthologie, Éditions Bréal, 2007, p. 121.

⁵⁴Gianni Vattimo, Introduction à Nietzsche, De Boeck Supérieur, 1991, p. 48.

⁵⁵Armand Quinot, Nietzsche philosophe de la valeur, contribution à l'histoire de l'axiologie, Microfiche de la BNF, 1956, p. 34 : « Les appréciations de la conscience ne font que traduire les appréciations organiques profondes ».

⁵⁶Patrick Wotling, La philosophie de l'esprit libre. Introduction à Nietzsche, Paris, Flammarion, Champs Essais, 2008, p. 237 : « La pulsion est de la valeur en acte ».

⁵⁷Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, Edition PUF, 1962, pp. 15-16.

⁵⁹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 95. "فالعقل ليس إلا أداة في خدمة الترقّي الدائم للحياة"

⁶⁰Éric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture : La philosophie comme généalogie philologique, PUF, 1986, p. 106

الفصل الأول: إرادة الأفتدَارِ بَيْنَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

الصِّراطُ الثقافيُّ، مِنْ حَيْثُ هُوَ طِبَاعُ حَيَوِيَّةِ جُسْمَانِيَّةٍ - وَالَّذِي يَجْرِي تَحْلِيلُهُ بِمُوجِبِ الْخَيْطِ الْهَادِي لِلْجِنْيَالوجيا- إِلَى إِعَادَةِ إِيْلَاجِ الثَّقَافَةِ فِي الطَّبِيعَةِ وَتَأْوِيلِهَا عَلَى ضَوْئِهَا⁶¹.

تَحْدُو الْعِلَاقَةُ الْجَدَلِيَّةُ بَيْنَ الْمَجْرَدَاتِ (القيم) وَالْمَتَعَيِّنَاتِ (الجُسُومِ بِوَصْفِهَا غَرَائِزَ) عَلَى الْإِجَابَةِ عَنِ الْإِشْكَالِ الصِّمِيمِيِّ الَّذِي أَفْضَتْ بِهِ قَرِيحَةُ الشَّارِحِ إِيْرِيْكَ بِلُونْدِيلِ إِذْ اسْتَفْسَرَ: هَلْ أضعُفَتِ الْمَسِيحِيَّةُ الْجُسْمَانُ أَوْ أَنَّ الْجُسْمَانَ الضَّعِيفَ هُوَ الَّذِي قَادَ إِلَى مِيلَادِ الْمَسِيحِيَّةِ؟⁶²، بَعِيدًا عَنْ مُعْتَرِكِ الظُّنُونِ تُفْضِي بِنَا أَيُّ إِجَابَةٍ تُقِيْمُ الضَّعْفَ عَلَى الْمَجْرَدِ وَالْمَفْهُومِ (المنظومات القيمية) إِلَى الزَّيْغَانِ عَنْ لُبَابِ الْفَلَسَفَةِ النِّيتْشَوِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْمُنْوَالَ مِنَ الْإِجَابَةِ يَرْفَعُ الْأَفْكَارَ فَوْقَ سَيَرُورَاتِ التَّكْوِينِ الْغَرَائِزِيِّ دُونَ تَسْأُولٍ عَنِ تَارِيخِهَا الطَّبِيعِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ الْجَسَدُ الْخَاصُّ فِي عِلَاقَتِهِ بِالْجَسَدِ الْعَامِ (الحياة)، بَيْنَمَا مَنَزَعٌ نِيْتَشَهُ كَمَا اسْتَفْرَتْ عَنْهُ شَذُوْرُهُ يَنْزُو إِلَى عَدِّ الْجَسَدِ الْخَاصِّ الْمَشْدُودِ إِلَى الْجَسَدِ الْعَامِ الرَّجْمَ الشَّرْعِيِّ لِكُلِّ التَّقَاوِيمِ وَالْأَفْكَارِ الصِّحِيَّةِ أَوْ السَّقِيْمَةِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ لَا مَعْدِلَ عَنْ تَوَلِيدِ الْجَسَدِ الْهَزِيلِ الَّذِي يُطَالِبُ بِحَيَاةٍ خَائِرَةٍ تَقَاوِيمَ مَنْحَطَةٍ يُحَرِّكُهَا الْكُرْهُ وَالْجَفْدُ وَالْعَجْزُ. وَلَكِي نُوفِي السُّؤَالَ الْمَطْرُوحَ مِنْ قَرِيبٍ حَقَّهُ مِنَ الْإِجَابَةِ نَقُولُ إِنَّهُ لَنَا فِي الشَّدْرَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مُصَنَّفٍ "أَقُولُ الْأَصْنَامَ" دَلِيلٌ عَلَى ضَرُورَةِ عَدَمِ الْخَلْطِ بَيْنَ الْعِلَّةِ: الْحَالَةِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ وَالْمَغْلُولِ: الْأَحْوَالِ الشَّعُورِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ بِمَا فِي ذَلِكَ الشَّعُورُ بِالْقُوَّةِ وَالصِّحَّةِ وَالْوَفُورَةِ فِي صَعِيدِهَا الْوَاعِي، وَإِلَا وَقَعْنَا فِي أَحَايِلِ الْأَخْطَاءِ الْأَرْبَعَةِ لِلْعَقْلِ⁶³.

تَنْهَضُ أَطْرُوحَتُنَا التَّأْوِيلِيَّةُ بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى انْبِنَاءِ فِلْسَفَةٍ نِيْتَشَهُ عَلَى عَطْفٍ أُونُطُولُوجِيٍّ بَيْنَ الْجُسْمَانِ الْخَاصِّ [الْجَسَدِ الْإِنْسَانِي] وَالْجُسْمَانِ الْعَامِ [الْجَسَدِ الْكُونِي أَوِ الْحَيَاةِ]، مَا يَجْعَلُ الصِّلَةَ الْأَصْلِيَّةَ وَالسَّلِيمَةَ بَيْنَهُمَا (الإنسان والحياة) مَنُوطَةً بِالْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ تَبَعًا لِمَنْطِقِهَا التَّنَازُعِيِّ وَالتَّدَاْفُعِيِّ لَا بِالْوَعْيِ وَمَا يَفْتَرَنُ بِهِ مِنْ مَنْظُومَاتٍ قِيَمِيَّةٍ؛ وَمَا اسْتِغْمَالُنَا لِمُصْطَلَحِ الْجُسْمَانِ جَوَازًا وَإِنَّمَا لِكُونِهِ مَحَلَّ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ الَّتِي تُؤَلِّفُ شَرَايِيْنَ الْعُبُورِ الْوَشِيْجِيِّ بَيْنَ الْجُسْمَانَيْنِ خِلَافًا لِلْوَعْيِ الَّذِي مَا بَرَحَ يُحْدِثُ بَيْنَهُمَا شِقَاقًا.

وَحُجَّتُنَا عَلَى هَذَا الْعَطْفِ الْأُونُطُولُوجِيٍّ الَّذِي يُتِيْحُ رَدَّ الْعُضْوِ إِلَى الْعُضْوِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ لِلْعَالَمِ هِيَ مَا شَفَّ عَنْهُ هَذَا الشَّاهِدُ الَّذِي أَفْصَحَ قَائِلًا: "إِنَّا نَحْمِلُ خَاصِيَّةَ هَذَا الْعَالَمِ وَمَا فِي هَذَا أَيُّ شَكٍّ! لَيْسَ لَنَا مَنَقَذٌ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ خِلَالِنَا: فَكُلُّ مَا يُوْجَدُ فِينَا مِنْ رَفِيعٍ وَوَضِيعٍ [رَاقٍ وَدَانٍ] يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ عَلَى أَنَّهُ مُنْتَمٍ لِمَحَالَةٍ إِلَى كَيْنُوْتِيَّةِ [كَيْنُوْنَةِ الْعَالَمِ]!"⁶⁴. مِنْ الْبَدْهِيِّ أَنْ يَنْطَلِقَ الرَّدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ، بِوَصْفِهِ جُزْءًا، إِلَى الْعَالَمِ

⁶¹Éric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture : La philosophie comme généalogie philologique, pp. 107-99.

⁶²Ibid, p. 108.

⁶³CI, Trad. Henri Albert, Les quatre grandes erreurs : § 6.

⁶⁴FP, XII, 1 [89] : «Nous appartenons au caractère de ce monde, cela ne fait aucun doute ! Nous n'avons pas accès à lui, sinon à travers nous : tout ce qu'il y a en nous d'élevé ou de bas doit être compris comme appartenant nécessairement à son être ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

بوصفه كليةً مفتوحةً وليس العكس، والجري على خلاف ذلك يُفْضِي إلى المَحْذُورِ الذي ما فتى نيتشه يَسْتَنْكِفُهُ، لأنَّ المَشْرُوعَ النيتشويَّ يقوم على تَوْطِينِ الْإِنْسَانِ فِي الطَّبِيعَةِ الْعِذْرَاءِ الْعَارِيَةِ كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَبْلَ انْتِهَالِ قُدْسِيَّتِهَا بِفِعْلِ إِسْقَاطَاتِنَا الْأَنْثَرُوبومورفية، يُعَبِّرُ مارتِن هَايدغر عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِنَّ جَمِيعَ مَا جَرَى إِدْخَالُهُ [إِفْحَامُهُ] فِي كَلِيَّةِ الْكَائِنِ مِنْ قَبْلِ الْجُرْمِ وَالطَّائِلِ وَالْقَصْدِ وَالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يُسْحَبَ مِنْ جَدِيدٍ [يَنْتَزَع] مِنَ الطَّبِيعَةِ ابْتِغَاءً الْاسْتِعَاضَةِ عَنْهُ بَعْدَئِذٍ بِالْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَهُوَ فِي الطَّبِيعَةِ الْمُتَّفَحَّةِ [الْمُنْقَاةِ] بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ"⁶⁵. اهْتِدَاءً بِهَذَا كُلِّهِ يَحْمِلُنَا الرَّدُّ الْحَيَوِيُّ، بَعْدَمَا فَتَحَ الْفِكْرَ عَلَى مَا لَيْسَ فِكْرًا بِوصفه شَرْطُهُ، عَلَى الْمَنَازِعِ الْحَيَوِيَّةِ مِنْ رَغْبَةٍ فِي الْاسْتِحْوَاذِ وَالسَّيْطَرَةِ فِي فِعْلِ الْمَعْرِفَةِ أَوْ فِي غَيْرِهِ، لَذَا لَا يَصْلُحُ أَبَدًا بِمُوجِبِ ذَلِكَ لِلْمَشْرُوطِ أَنْ يَكُونَ مَبْدَأً لَهَا يَشْرُطُهُ وَمُقَادُّ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لِلْفِكْرِ أَنْ يَكُونَ مَبْدَأً لِلْحَيَاةِ⁶⁶.

فِي كَتَفِ هَذَا الْارْتِبَاطِ الْحَيَوِيِّ بَيْنَ الْحَاوِي بِوصفه الْحَيَاةَ وَالْمَحْوِي بِوصفه الْفِكْرَ، يَذْهَبُ الشَارِحُ كَارْل لُوفِيث، فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى فَهْمِ بوفرِيه وَكوندياك لِنيتشه، إِلَى أَنَّ فِيلْسُوفَ الْاِقْتِدَارِ لَمْ يَفْكُرْ الْكَيْنُونَةَ بِاعتبارها "فكرة" على غرارِ أَفْلَاطُون، بَلْ لَمْ يَفْكُرْهَا بِاعتبارها "قيمة"، وَإِنَّمَا فَكَّرَ الْكَيْنُونَةَ بِوصفها حَيَاةَ الْعَالَمِ عَلَى نَحْوِ يُعِيدُ وَضَعَ الْإِنْسَانِ فِي الْمَقَامِ الْأَصْلِيِّ وَالْبَدَائِي لِلطَّبِيعَةِ، دَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ نيتشه حَيْثُمَا يَطْرُحُ سُؤَالَ الْقِيَمِ، يَتَحَرَّرُ، بِخِلَافِ عَصْرِهِ الَّذِي مَا بَرَحَ يَتَحَدَّثُ فِي الْقِيَمِ وَبِهَعْجَمِهَا، مِنْ كُلِّ تَفَكُّرٍ يَتَوَسَّلُ مُصْطَلَحَاتِ الْقِيَمِ وَالْهَدَفِ وَالْغَايَةِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا كِي يَكْشِفَ عَلَى مَرَأَى أُعْيِنَا بَرَاءَةَ الصَّيْرُورَةِ حَيْثُ يَعْدُو مُنْذِذُ الْعَالَمِ أَنَا الْإِنْسَانُ وَقَدْرُهُ⁶⁷.

لَا غَرَوْ مِنْ أَنْ يَلْتَمَسَ نيتشه إِلَى هَذَا الْعَطْفِ الْوُجُودِيِّ الْوَسَائِلَ وَتَتَطَلَّبَ لَهُ الذَّرَائِعَ ابْتِغَاءً لِحَامِ الْعَقْلِ بِالْحَيَاةِ وَرَأْبِ الصَّدْعِ الَّذِي اجْتَرَحْتَهُ الْفَلَاسِفَةُ بَيْنَهُمَا؛ فَلِنَّ عَمَدَ بَعْضُهُمْ كَالْكَانُطِيِّينَ إِلَى جَعْلِ مَبَادِي الْعَقْلِ وَمَقُولَاتِهِ شَيْئًا مُتَعَالِيًا وَقَبْلِيًّا يَشْرُطُ الْبَعْدِيَّ الَّذِي لَيْسَ هُنَا إِلَّا الْحَيَاةُ نَفْسُهَا كَمَا تَظْهَرُ، وَانْكَبَّ بَعْضُهُمْ الْآخَرُ كَالْهَيْجَلِيِّينَ إِلَى إِبْرَازِ مُثُولٍ وَحُلُولِ الْعَقْلِ فِي الْعَالَمِ وَمَا تَارِيخُ هَذَا الْآخِرِ حَسَبَ تَفَلْسُفِهِمْ إِلَّا تَجَلِّيَاتُ لَهُ، وَبَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ تَبَوَّأَ الْعَقْلُ عَرْشَ الْكَيْنُونَةِ وَحَازَ عَلَى سُلْطَانٍ لَا يَعْرُبُ عَنْ أَحْكَامِهِ أَحَدٌ فِي الْكُونِ؛ فَإِنَّ نيتشه لَمْ يَكُنْ لَهُ ثُجَاهٌ طُغْيَانِ الْعَقْلِ سِوَى فَضْحِ آيَاتِ حَجْبِهِ لِلْجُسْمانِ الْخَاصِ وَالْجُسْمانِ الْعَامِ وَهَتِكِ حِجَابِ مَسَالِكِهِ فِي كَبْتِ الْفَضَاءِ الْغَرَائِزِيِّ الَّذِي لَهُ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا فِي صَرْفِ الْإِنْسَانِ وَالْعَالَمِ تَصْرِيفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ نيتشه فَجَّ عَنْ الْعَقْلِ بَعْدَمَا اسْتَرْسَلَ فِي عِلَاقَةِ اسْتِبْطَانِيَّةٍ لَا يَتَحَدَّثُ فِيهَا إِلَّا مَعَ نَفْسِهِ وَفَتَحَهُ مِنْ بَعْدِ انْغِلَاقٍ وَانْسِدَادٍ عَلَى الْجَسَدِ وَالْحَيَاةِ، عَلَى مَا يَنْطَوِيَانِ عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَغَرَائِزٍ، بِمَا يَسْمَحُ

⁶⁵Martin Heidegger, Nietzsche, Tome I, p. 264 : « Tout ce qui a été introduit d'humain dans la totalité de l'étant, telles la culpabilité, l'utilité, l'intention, la providence devra être retiré de la nature, afin de replacer ensuite l'homme lui-même dans la nature ainsi ».

⁶⁶GS, Trad. Henri Albert, § 110.

⁶⁷Colloque de Royaumont, Nietzsche, Les Éditions Minuit, 1967, p. 270.

الفصل الأول: إرادة الأفتدَارِ بَيْنَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

لِعَلَّاقَةِ الْعَقْلِ بِالْجَسَدِ وَالْحَيَاةِ أَنْ تَجُوبَ الْآفَاقَ فِي خِفَةٍ وَرَشَاقَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي طَرَائِقِ التَّفَلُّسِ الْمِثَالِيَّةِ تَرْسَفُ بِرَأْسِهَا فِي بُطْءٍ وَمَلَالٍ؛ فَشَتَانٌ بَيْنَ عَقْلِ يَدَّعِي أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى صُورَتِهِ وَيَسْتَطِرِدُّ فِي قَهْرِ الْمُخْتَلَفِ وَغَمَطِ الْمُتَعَدِّدِ فِي عِلَاقَتِهِ بِالذَّاتِ وَالْعَالَمِ تَبَعًا لِمَنْطِقِ الْهُيُوتِ وَالتَّطَابُقِ وَالْمَاهَاةِ، فَيَبْيَضُ الْعَالَمُ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ أَحَادِيًا شَاجِبًا مَعْدُومَ الْأَلْوَانِ، وَعَقْلٌ لَا يَفْتَأُ عَنِ الْإِحَالَةِ الْمُتَفَرِّجَةِ وَالْمُنْبَسِطَةِ إِلَى كُلِّ مَا تَنَالَفَ مِنْهُ، مِنْ أُخْبَلَةٍ وَذَاكِرَةٍ وَأَحَاسِيْسٍ وَأَهْوَاءٍ وَغَرَائِزَ وَإِلَى مَا يَتَأَلَفُ مِنْهُ الْعَالَمُ فِي تَلَاخُمٍ وَتَرَاصُفٍ بَدِيعٍ حَيْثُ الْكُلُّ يَلْفِي لَدَى الْآخَرِ مَا يَغْتَنِي بِهِ وَمَا بِهِ يَتَرَقَّى. وَقَدْ أَفْلَحَ نَيْتَشْه فِي إِبْدَائِهِ، بِكَيْفِيَّةٍ مُنْقَطِعَةٍ النَّظِيرِ، خُطُورَةُ الْعَقْلِ الْمُجَرَّدِ الَّذِي لَا يَكْفُ عَنْ عَقْلَنَةِ الْعَالَمِ انْطِلَاقًا مِنْ وَحْدَةِ الذَّاتِ وَاسْتِنَادًا إِلَى إِسْقَاطِ مَبَادِي الْفِكْرِ عَلَيْهِ، وَهِيَ خُطُورَةُ تَكْشِفُهَا الْأَخْطَاءُ الْأَرْبَعَةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الْعَقْلُ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ: خَطَأُ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ⁶⁸ وَخَطَأُ الْعِلَّةِ الزَّائِفَةِ⁶⁹ وَخَطَأُ الْعِلَلِ الْخَيَالِيَّةِ⁷⁰، وَخَطَأُ الْإِرَادَةِ الْحُرَّةِ⁷¹.

وَالْحَالُ أَنَّ الْعَقْلَ لَدَى نَيْتَشْه لَيْسَ جَوْهَرًا مُحَضًّا كَمَا زَعَمَ أَفَلَاطُونُ وَمَنْ حَذُّوا حَذْوَهُ، مُجَرَّدًا مِنْ بَرَاثِنِ الْأَهْوَاءِ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ قُدْرَةٌ مُتَعَالِيَّةٌ تَكُونُ إِزَاءَ الْأَحْدَاثِ أَوْ مُقَابِلَ الْعَنَاصِرِ الْأَمْبَرِيْقِيَّةِ كَمَا أَقَرَّ كَانِطُ فِي نَقْدِيَّتِهِ الْأُولَى، وَلَيْسَ كَذَلِكَ رُوحًا إِلَهِيًّا يَتَجَسَّدُ وَيَتَحَيَّثُ فِي التَّارِيخِ كَمَا بَسَطَ هِيْجَلُ فِي نُومِينُولُوجِيَّتِهِ، وَفِي مَنَآيَ عَنْ هَذِي الْأَرَاءِ الَّتِي هَمَمْتُ عَلَى التَّقْلِيدِ الْفَلَسْفِيِّ، عَدَّ نَيْتَشْه الْعَقْلَ غُنْصُرًا مُتَطَوِّرًا مِنَ الْحَيَاةِ وَلَا يُفَسِّرُ طَبَقًا لِدَلَالَةِ الْإِلَهَاءِ نَظَرًا لِكُونِهَا الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي تَنْبُتُ فِيهَا كُلُّ الْمَثَلِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي يَنْسُجُهَا بَيْنَمَا هُوَ يُفَكِّرُ مِنْ دَاخِلِ قُمْمِهِ الرُّوحِيِّ⁷²، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ تَقْدِيرُ قِيَمَةِ الْحَيَاةِ بِصُورَةٍ شَامِلَةٍ وَتَامَةٍ مَهْمَا كَانَ طَرَاؤُ هَذَا التَّقْدِيرِ مَا دَامَ الَّذِي يُقَدَّرُ، بِمَا هُوَ الْحَيُّ، جُزْءًا مِنْهَا وَمَوْضُوعَ النِّزَاعِ وَلَيْسَ بِنَاتٍ قَاضِيًا يَحْكُمُ لَهَا أَوْ عَلَيْهَا⁷³.

لَا يَخْفَى عَلَيْنَا أَنَّ هَذَا التَّنْزِيلَ الْحَيَوِيَّ لِلْعَقْلِ فِي مَنَازِلِ الْحَيَاةِ هُوَ أَحَدُ الدَّوَاعِي الَّتِي حَمَلَتْ نَيْتَشْه عَلَى تَقْرِيبِ الشَّعْبِ الْإِغْرِيقِيِّ الَّذِي أَخْلَدَ إِلَى إِدْرَاكِ أَنَّ الْعَقْلَ وَظِيْفَةَ لِلْعُضْوِيِّ، عَلَى أَلَّا يَكُونَ هَذَا الْأَخِيرُ نَقِيضًا لِلْأَعْضَوِيِّ، وَفِي ذَلِكَ إِقْرَارٌ بِاتِّصَالِيَّةٍ وَاسْتِمْرَارِيَّةٍ بَيْنَ الْمَادَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ⁷⁴، وَلَيْسَ بِدَعَا بِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ التَّوَكِيدِيَّةِ لِمُخْتَلَفِ أَوْجِهِ الْعَالَمِ أَنْ يُقِيمَ الْإِغْرِيقُ احْتِفَالَاتٍ بَهِيْجَةً تَمْجِيدًا لَأَهْوَائِهِمْ وَنَزَعَاتِهِمْ وَأَنْ يُبَوِّثُوا غَرَائِزَهُمُ الطَّبِيعِيَّةَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَلِيْقُ بِهَا؛ هُوَ ذَا مَا تُعْرِبُ عَنْهُ هَذِي الشَّدْرَةُ حَيْثُ يَقُولُ نَيْتَشْه: "رَبَّمَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَكْثَرُ غَرَابَةٍ [دَهْشَةٍ] لِذِي يَتَأَمَّلُ الْعَالَمَ الْإِغْرِيقِيَّ مِنْ اكْتِشَافِ أَنَّ الْإِغْرِيقَ كَانُوا يَهْبُونَ بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْفَيْنَةِ لَأَهْوَائِهِمْ قَاطِبَةً وَلِمَنَازِعِهِمْ [مُنُوبَاتِهِمْ] الشَّرِيْرَةَ كَافَّةً أَغْيَادًا

⁶⁸ CI, Trad. Henri Albert, Les quatre grandes erreurs, § 1.

⁶⁹ Ibid, § 3.

⁷⁰ Ibid, § 4.

⁷¹ Ibid, § 7.

⁷² Éric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 110.

⁷³ CI, Trad. Henri Albert, Le problème de Socrate, § 2.

⁷⁴ Barbara Stigler, Nietzsche et la biologie. PUF, Paris, 2001, p. 59.

[احتفالات]... لَمْ يَكُونُوا جَاحِدِينَ بَنَاتًا الْغَرِيزَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي الْخِصَالِ الشَّرِيرَةِ [الخصال القبيحة] بَلْ كَانُوا يَضَعُونَهَا فِي مَوْضِعِهَا * الْمُنَاسِبِ * وَيَقْدِرُونَهَا أَيَّامَ مَعْدُودَاتٍ، إِلَى أَنْ يَبْتَدِعُوا مَا يَكْفِي مِنَ الْأَحْتِيَاظَاتِ كَيْمَا يَقْتَدِرُوا أَنْ يَهْبُوا لِهَذَا النَّهْرِ الْعَنِيفِ [الجارف، الطائش] مَصْرَفًا [مجرى] يُقَلِّلُ مِنْ حَظَرِهِ إِلَى أَقْصَى قَدْرِ مُمَكِّنٍ⁷⁵.

وَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى بَيَانِ وَجَاهَةِ تَأْوِيلَتِنَا الَّتِي تَسْمَحُ بِلَمْ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّدَرَاتِ النِّتِشَوِيَّةِ فِي رُؤْيَا فِلْسَافِيَّةٍ وَاضِحَةٍ الْمَعَالِمِ عَنْ تَقْدِيمِ الْبَيِّنَاتِ النَّاظِقَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى ضَرُورَةِ إِجْزَاعِ التَّحْقِيقِ الثَّانِي، بِاعْتِبَارِهِ مَا يَنْتَمِي إِلَى نِظَامٍ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَلَقَّهَ الْوَعْيُ، إِلَى التَّحْقِيقِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَنْدُ فِي جُزْئِهِ الْأَكْبَرِ عَنِ الْوَعْيِ مَنْ حَيْثُ هُوَ نِظَامُ الْأَهْوَاءِ وَالْغَرَائِزِ الْأَكْثَرِ تَعُدُّدًا وَرَحَابَةً، يَشْهَدُ عَلَى هَذَا أَنَّ فِلَسُوفَ الْاِقْتِدَارِ قَدْ أَفْصَحَ أَنَّ الْبِدَايَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِإِرْسَاءِ ثَقَافَةِ إِنْسَانِيَّةٍ مَيْمُونَةٍ وَإِقَامَةِ حَضَارَةٍ صَحِيَّةٍ وَلِمَصِيرِ إِنْسَانِيٍّ وَاعِدٍ هِيَ بِلَا مَرِيَّةٍ الْجَسَدُ وَالنِّظَامُ الْفِيزْيُولُوجِيَّ وَلَيْسَ الرُّوحُ كَمَا تَزْعُمُ الْخُرَافَاتُ الْقَائِلَةُ لِلْقَسَاوَسَةِ⁷⁶؛ وَيَتَأْتِي ذَلِكَ بِتَجْوِيدِ الْأَجْسَادِ وَتَدْبِيرِهَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَلِيْقُ بِمَهَامِهَا. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ سِوَى بَتَوَسُّلِ التَّطَبُّعِ بِالطَّبِيعَةِ مِنْ حَيْثِيَّةٍ "لَا أَخْلَاقِيَّتِهَا" الْبَرِيئَةِ⁷⁷ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَوْدَةٌ يُعْنَى بِهَا الْارْتِبَاطُ بِالشَّيْءِ ارْتِبَاطًا مُتَجَرِّدًا مِنْ ضُرُوبِ التَّمَنُّطِ⁷⁸.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا التُّزَوُّعَ إِلَى الْحَيَوِيِّ الْأُونْتُولُوجِيِّ هُوَ الَّذِي دَفَعَ بِنِيتِشَةَ إِلَى اعْتِبَارِ قِيَمَةِ الْأَفْعَالِ غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ عَلَى النَّتَائِجِ وَالْعَوَاقِبِ وَغَيْرَ مَنُوطَةٍ بِالنِّيَّاتِ وَالْمَقَاصِدِ نَظَرًا لِأَنَّ هَاتِهِ مُجْتَمِعَةٌ لَيْسَتْ مِنْ بَدَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى نَهَائِيَّتِهِ إِلَّا أَعْرَاضًا وَرُمُوزًا تَسْتَدْعِي بِتَفْسِيحِهَا التَّأْوِيلَ بِمَا هُوَ رَدٌّ وَإِرْجَاعٌ إِلَى الْأَصُولِ الْغَرِيزِيَّةِ، أَيْ إِلَى نِظَامِ التَّحْقِيقِ الْأَوَّلِ، مَا دَامَتِ الْقِيَمَةُ تَنْتَمِي إِلَى مَا لَا يُوعَى وَلَا يُرَى بِوصْفِهِ نِظَامُ التَّحْقِيقِ الْأَوَّلِ الْمَحْجُوبُ عَنَّا⁷⁹. وَمَا يُعَاضِدُ مَا تَلَوْنَا تَلَوُّهُ فِي الْفُرْقَانِ بَيْنَ التَّحْقِيقَيْنِ الْغَرِيزِيِّ وَالْوَاعِيِّ هُوَ تَفْرِيقُ نِيتِشَةَ بَيْنَهُمَا عَلَى نَحْوِ مَا يَظْهَرُ فِي الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي مَحَّضَهَا لِلْقُوَى الْحَيَوِيَّةِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي تَتَمَلَّصُ مِنْ قَبْضَةِ الْوَعْيِ، مُعَارِضًا بِهَا الْجَانِبَ الْإِنْسَانِيَّ الْمَفْرَطَ فِي الْحِسِّ الْإِنْسَانِيَّ - أَيْ الْأَخْلَاقَ بِمَعْنَاهَا الْمُنْطَوِي عَلَى الشَّقَقَةِ وَالْمَحَبَةِ - الَّذِي هُوَ حَسَبَ مَنْظُورِهِ مِنْ دَرَجَةٍ ثَانِيَّةٍ، وَذَلِكَ احْتِذَاءً بِالْإِغْرِيْقِ إِذ: "كَانُوا يَحْسُبُونَ" إِنْسَانِيَّتَهُمُ الْمَفْرَطَةَ شَيْئًا لَا عَنْهُ بُدٌّ، وَكَانُوا يُفَصِّلُونَ، عِوَضَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَيْهَا، أَنْ يُخَوِّلُوا لَهَا [أَنْ يُنْعَمُوا

⁷⁵HTH, Opinions et Sentences mêlées, Trad. Henri Albert, Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche publiées sous la direction de Henri Albert, Société du Mercure de France, Paris, 6 volume, § 220 : « Peut-être n'y a-t-il rien de plus étrange, pour celui qui regarde le monde grec, que de découvrir que les Grecs offraient de temps en temps quelque chose comme des fêtes à toutes leurs passions et à tous leurs mauvais penchants... Ils ne nient point l'instinct naturel qui se manifeste dans les mauvaises qualités, mais ils le mettent à sa place et le restreignent à certains jours, après avoir inventé assez de précautions pour pouvoir donner à ce fleuve impétueux un écoulement aussi peu dangereux que possible ».

⁷⁶CI, Trad. Henri Albert, divagation d'un « inactuel », § 47.

⁷⁷VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre III, § 288.

⁷⁸HTH, Première partie, Trad. Alexandre-Marie Desrousseaux, Septième Edition, § 31.

⁷⁹PBM, Trad. Henri Albert, § 32.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

عليها ب [نوعاً من الحَقِّ مِنْ مَنْزِلَةٍ ثَانَوِيَّةٍ]⁸⁰. فَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا مَحَلَّ إِشَادَةٍ فِيلْسُوفِيَّةٍ بَعْدَمَا بَوَّوْا أَخْلَاقَهُمُ الْإِنْسَانِيَّةَ مَنْزِلَةً دُنْيَاً مُقَارَنَةً بِمَنْزِلَةِ أَهْوَائِهِمُ الْمُتَقَدَّةِ.

إِنَّ مَا أَنْتَوِيهِ مِنْ تَقْسِيمَاتِنَا الْمُبْتَكَّرَةِ هُوَ تَقْدِيمُ مَدَدٍ تَفْسِيرِيٍّ أَوْ نَبْرَاسٍ تَأْوِيلِيٍّ يُسَعِّفُنَا فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَى الْآلِيَّاتِ وَالْكَيفِيَّاتِ الْمُثَلَّى لِتَفْكِيكِ النُّصُوصِ النِّيْتَشَوِيَّةِ وَتَشْرِيحِهَا وَلِهَذَا رَكَّزْنَا عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الشُّعُورِيِّ وَغَيْرِ الشُّعُورِيِّ فِي فِلْسَفَةِ نِيْتَشَةِ كَيْ نُبَيِّنَ أَسْبَقِيَّةَ الْإِلَاحُورِ الْأَوْنَطُولُوجِيِّ وَأَوَّلِيَّةِ الْقِيَمَةِ لَدَى فِيلْسُوفِ الْإِقْتِدَارِ عَلَى الْأَنَا الْوَاعِي الَّذِي يَشْمُلُ فِي تَقْدِيرِنَا مَا نَعْبِهِ مِنْ أَمَالِنَا وَرَغْبَاتِنَا وَمَخَافَتِنَا وَشَهَوَاتِنَا، ذَلِكَ أَنَّ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنْ نَشَاطِنَا الْعَقْلِيِّ يَدُورُ عَلَى حِينٍ عَقْلَةٍ مِنَّا وَمِنْ دُونِ أَنْ نَشْعُرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ⁸¹، وَلِهَذَا يُعْلِنُ نِيْتَشَةُ فِي مَوْرِدِ ذِي مَغْزَى: "إِنَّ الْأَشْكَالَ الْوَاعِيَةَ لِإِرَادَتِنَا وَحَسَاسِيَّتِنَا وَفِكْرِنَا لَفِي خِدْمَةِ إِرَادَةٍ وَحَسَاسِيَّةٍ وَفِكْرٍ أَكْثَرَ فَسَاحَةً"⁸² مِنْ حَيْثُ هُمْ مِنْ نِظَامٍ آخَرَ يُوسِّمُ بِالْقُوَى الْحَيَوِيَّةِ الْإِلَاحِيَّةِ.

وَكَيْ نُنْأَى بِأَطْرُوحَتِنَا عَنْ مَوَاطِنِ الرَّيْبِ هَاؤُمُ الدَّلِيلِ النَّصِيِّ الَّذِي سَيَنْسُخُ نَاغَ الشَّكِّ بَيَّانٍ أَنَّ نِيْتَشَةَ يَتِمَادَى فِي إِجْزَاعِ التَّفَكِيرِ الْوَاعِي وَلَوْ كَانَ عِنْدَ الْكَائِنِ الْأَكْثَرِ إِمْعَانًا فِي التَّأَمُّلِ الْيَقِظِ (الفيلسوف) إِلَى الْغَرَائِزِ الَّتِي تَسُوقُ طَرَائِقَ تَفْكِيرِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، بَلْهُ يُسْفِرُ هَذَا الدَّلِيلُ عَنِ التَّقْوِيَمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ أَوْ الْاِقْتِضَاءَاتِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ الَّتِي تَسْتَتِرُ خَلْفَ الْمَنْطِقِ بِأَكْمَلِهِ: يَقُولُ فِي هَذَا الصَّدَدِ: "لَقَدْ أُلْتُ [انْتَهَيْتُ] إِلَى أَنْ أَقُولَ لِنَفْسِي إِنَّ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنَ الْفِكْرِ الْوَاعِي يَجِبُ هُوَ أَيْضًا أَنْ يُدْرَجَ فِي صَفِّ [أَنْ تُضْمَ ضَمْنًا] الْفَاعِلِيَّاتِ الْغَرِيزِيَّةِ، وَلَا أُسْتَثْنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى التَّأَمُّلَاتِ الْفِلْسُوفِيَّةِ ... إِنَّ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنَ الْفِكْرِ الْوَاعِي لَدَى فِيلْسُوفٍ مَا مَسُوقٌ خَفِيَّةً بِوَاسِطَةِ غَرَائِزِهِ وَمَجْبُورٌ عَلَى أَنْ يَتَلَوَّ مَسَلَكًا مَرْسُومًا مَا. وَرَاءَ الْمَنْطِقِ نَفْسِهِ وَوَرَاءَ الْاِسْتِقْلَالِيَّةِ الظَّاهِرَةِ لِخَطَاوَاتِهِ ثَمَّةَ تَقْوِيَمَاتٍ قِيَمٍ، وَكَيْمَا أُعْزَرَ بِوُضُوحٍ أَكْثَرَ جَلَاءً، ثَمَّةَ اِقْتِضَاءَاتٍ فِيزِيَائِيَّةٍ"⁸³ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهَا أَنْ تَنْفَعُ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى نَوْعٍ مُحَدَّدٍ مِنَ الْحَيَاةِ

84,,

⁸⁰HTH, Opinions et Sentences mêlées, Trad. Henri Albert, § 220 : « Ils considéraient leur « trop humain » comme quelque chose d'inévitable, et préféraient, au lieu de le calomnier, lui accorder une espèce de droit de second ordre ».

⁸¹GS, Trad. Henri Albert, § 333.

⁸²FP, XIV, 14 [123] : « ... les formes conscientes de notre vouloir, de notre sensibilité et de notre pensée sont au service d'un vouloir, d'une sensibilité et d'une pensée bien plus ample ».

⁸³في ترجمة باتريك فولتينغ : "اقتضاءات فيزيولوجية".

⁸⁴PBM, Trad. Henri Albert, § 3 : « Je finis par me dire que la plus grande partie de la pensée consciente doit être, elle aussi, mise au nombre des activités instinctives, je n'excepte même pas la méditation philosophique... — la plus grande partie de la pensée consciente chez un philosophe est secrètement menée par ses instincts et forcée à suivre une voie tracée. Derrière la logique elle-même et derrière l'autonomie apparente de ses mouvements, il y a des évaluations de valeurs, ou, pour m'exprimer plus clairement, des exigences physiques qui doivent servir au maintien d'un genre de vie déterminé ».

الفصل الأول: إرادة الأفتدَارِ بَيْنَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

وَجَزِيًّا عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ يَغْدُو الْعَقْلُ الْوَاعِي (الْمُفَسِّرُ) وَسِيلَةَ الْجَسَدِ الْمُفَسَّرِ غَيْرِ الْوَاعِي⁸⁵، وَفِي ذَلِكَ دَلَائِلُ نَاطِقَةٌ عَلَى تَقْضِي الْمَنْزَعِ الْحَيَوِيِّ لَدَى نَيْتَشْهِ لِلْأَفْلَاطُونِيَّةِ وَالديكارْتِيَّةِ وَمَنْ قَصَدَ قَصْدَهُمْ مِنْ أَلْفَاسِفَةِ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا النَّفْسَ الْعَاقِلَةَ الْوَاعِيَةَ مَقْيَاسًا وَحَكَمًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فِي حِينِ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ نَيْتَشْهِ مُكَتَنَةٌ بِالدَّوَاتِ التَّحْتِيَّةِ وَهِيَ مَعْمَارُ اجْتِمَاعِيٍّ أَوْ مَدَائِنُ مِنَ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْانْفِعَالَاتِ⁸⁶، وَمَا التَّفَكِيرُ فِي أَفْقِ الرُّؤْيَةِ النَيْتَشَوِيَّةِ سِوَى تَلَاعُبٍ بَيْنَ الشُّغْفِ حَيْثُ لِكُلِّ شُعْفٍ فِكْرُهُ الْمُسَبَّقُ وَمَنْظُورُهُ الْخَاصُّ بِهِ الَّذِي يُحَاوِلُ بِوَسَاطَتِهِ بَسْطَ سَيِّطَرَتِهِ⁸⁷.

لَا يَسْعُنَا هَهُنَا إِلَّا الْإِلْحَاحُ عَلَى الْاِخْتِرَاعِ النَيْتَشَوِيِّ الَّذِي خَفِيَ عَنِ الْكَثِيرِ مِنْ شُرَاحِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ الرَّدُّ الْحَيَوِيُّ الَّذِي لَا سَبِيلَ لَنَا لِبَيَانِ أَصَالَتِهِ إِلَّا بِبَسْطِ مُقَارَنَةٍ بَيْنَهُ وَالرَّدِّ الْفَيْنُومِيْنُئُولُوجِيٍّ أَوْ الْأَيْدُوسِيِّ لَدَى هُوسِرْلٍ؛ فَلَيْسَ بَدْعًا بِنَاءً عَلَى مَا تَطَرَّقْنَا إِلَيْهِ فِي مَعْرِضٍ مَا أوردناه سَالِفًا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بَرَزْخٌ مَعْرِفِيٌّ فَاصِلٌ بَيْنَ الرَّدِّينِ فَإِذَا أَلْفَيْنَا هُوسِرْلَ سَاعِيًّا بِخِلَافِ نَيْتَشْهِ إِلَى رَدِّ الْعَالَمِ الْأَمْبِيرِيْقِيِّ بِرُمْتِهِ بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَنَا السِّيْكُولُوجِيَّ إِلَى أَنَا تَرُونْسْنُذَنْتَالِي شَفَافٍ وَمَمْتَلِيٍّ يَحُوزُ مَضَامِينَ الْأَشْيَاءِ وَحَقَائِقَهَا عَلَى نَحْوِ قَبْلِيِّ، وَكَانَ هَذَا الرَّدُّ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ صُعُودًا إِلَى الْبُعْدِ الْقَصِيِّ لِلْأَنَا الْمُتَعَالِي الْخَالِصِ الَّذِي مِنْهُ يَنْبَثِقُ الْأَنَا التَّجْرِيْبِيُّ وَالْجَسَدُ وَالْغَيْرُ وَالزَّمَانُ وَالْعَالَمُ الْمُفَارِقُ⁸⁸ الَّذِينَ يَجْدُونَ فِيهِ مَبْدَأَهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّدَّ النَيْتَشَوِيَّ نُزُولٌ-وَلَيْسَ صُعُودٌ- إِلَى الْجُسْمَانِ وَالْحَيَاةِ بِاعْتِبَارِهِمَا الطَّاقَةَ الْغَرِيزِيَّةَ وَالْحَيَوِيَّةَ وَالْحَيَوَانِيَّةَ ذَاتِ الْمَيْلَانِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْإِنْجَازَاتِ الْاِقْتِدَارِيَّةِ، وَهُوَ نُزُولٌ رَادِيكَالِيٌّ إِلَى حَدِّ إِرْجَاعِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَصْلِهِ الْوَحِيدِ بِمَا هُوَ الْحَيَوَانِيَّةُ⁸⁹ وَلَيْسَ إِلَى أَصْلٍ زَائِفٍ نُسَمِيهِ الرُّوحَ أَوْ نَدْعُوهُ الطَّبِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ⁹⁰ وَذَلِكَ عَلَى نَحْوِ يُفْضِي إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ هُوَ الَّذِي يُؤَوَّلُ الْعَالَمَ بَلْ انْفِعَالَاتُهُ وَأَهْوَاؤُهُ⁹¹ وَبِوَسَاطَتِهَا فَقَطْ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى.

تَتَعَزَّزُ وَتَتَوَثَّقُ الْبَيْنُونَةُ الْفَلَسَفِيَّةُ الَّتِي تَحْكُمُ الرُّؤْيَةَ الْفَيْنُومِيْنُئُولُوجِيَّةَ وَالرُّؤْيَةَ الْحَيَوِيَّةَ مَعَ اخْتِلَافِ الْغَايَةِ الَّتِي تَوَحَّاهَا هُوسِرْلٌ وَنَيْتَشْهِ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا، فَلْنِ رَمَى مُؤَسَّسِ الْفَيْنُومِيْنُئُولُوجِيَا إِلَى تَحْوِيلِ الْمَوْجُودِيَّةِ إِلَى مَعْقُولِيَّةٍ أَوْ تَصْيِيرِ الْمَوْجُودِ مَعْقُولًا بِوَسَاطَةِ التَّائِيلِ التَّأْصِيلِيِّ لِلْوَعْيِ الْمُتَعَالِي؛ مَا يَفِيدُ انْبِنَاءَ الْوُجُودِ عَلَى الْفِعْلِ التَّأْصِيلِيِّ لِلْوَعْيِ⁹² حَيْثُ يَغْدُو الْعَالَمُ فِي مَجْمُوعِهِ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ مُسْتَمْدَدًا وَجُودُهُ وَمَعْنَاهُ مِنْ

⁸⁵Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 282.

⁸⁶PBM, Trad. Henri Albert, 12 §.

⁸⁷Jr Morgan, What Nietzsche means, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, p. 261.

⁸⁸Annabelle Dufourcq, La dimension imaginaire du réel dans la philosophie de Husserl, Springer Science+Business Media B.V. 2011, p. 182.

⁸⁹تحيلُ لفظُة الحيوانية إلى دلالة عامة تفيدُ مملكة الحيوان بِرُمْتِهَا وَتَشِيرُ فِي دَلَالَةٍ خَاصَّةٍ إِلَى جُسْمَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ طَالَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمَنْزُوعَ الرَّأْسِ، كَدَلَالَةٍ عَلَى انْتِزَاعِ الْعَقْلِ، يَفِيدُ جَسَدِيَّتَهُ الْبَحْتَةَ.

⁹⁰AC, Trad. Jean -Clande Hémery, Gallimard 1974, § 14 : « Nous ne cherchons plus l'origine de l'homme dans « l'esprit », dans la nature divine, nous l'avons replacé au rang des animaux ».

⁹¹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 146.

⁹²Quentin Lauer, Phénoménologie de Husserl, PUF, Paris, 1955, p. 34.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

تأصيل الذات الترنسندنتالية بوصفها ذاتاً أصلية تسبق العالم منطقياً وباعتبارها ذاتاً أولية تحل في طبيعتها واقعية العالم⁹³، نظراً لأن الذاتية في تعاليتها القبلي تسود على كل شيء بما في ذلك على الموضوعية، مادامت هذه الأخيرة محكومة بنواميس البنية الأساسية لهذه الذاتية المتعالية⁹⁴، فإن نيتشه وعلى العكس من هذا التلوي الفيثوميتولوجي يستهدف تأثيل العقل المدرك وفعل التعقل بإرجاعهما إلى رجم الجسماني الإنساني بادئ الأمر والجسماني الحيائي من حيث هو كليتته جامعة أو "لا عقل" في منتهى الأمر.

ينتهي الرد الحيوي عند نيتشه إلى تعذر التأثيل الميتافيزيقي والتأملي للعالم وامتناع ادعاء رد الحايي (الوعي) إلى المحوي (الحياة)، مادام أن الأصل الجينولوجي يترامي بنا إلى ضرورة القيام بإرجاع المشمول بوصفه الوعي سواء كان، بلغة هوسرل، طبيعياً أم ترونسندتالياً، إلى الشامل بوصفه الحياة التي تعد جامعة الطاقات الغريزية والاندفاعية النزاعة إلى السيطرة وهو ما يسميه نيتشه بإرادة الاقتدار⁹⁵؛ وليس بغريب على إثر ذلك أن يرتد، جرياً على هذا المنزع النيتشوي، المنطق نفسه بما هو أمر ضروري للبقاء على قيد الحياة انطلاقاً من قياس الشبيه أو النظر⁹⁶ - إلى أساسه اللامنطقي⁹⁷، وتقيء اللغة التي لا تصلح لقول الصيرورة الحيوية⁹⁸ بدورها إلى أساس غير لغوي وغير عقلي على منوال لا تكون فيه كلماتها سوى خادمة للوظائف الفيزيولوجية⁹⁹، وتنقلب دودة الأخلاق كذلك إلى ماء اللا أخلاق من حيث هو الطاقة الحيوية التي انبثقت منه¹⁰⁰. ذلك أن الأخلاق تثبت على أرض لا أخلاقية وهي إزاءه ظاهرة ثانوية متوقفة عليه لا غير¹⁰¹.

⁹³Quentin Lauer, Phénoménologie de Husserl, p. 37.

⁹⁴Ibid, pp. 42, 43, 44.

⁹⁵VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 10.

⁹⁶Ibid, § 111.

⁹⁷GS, Trad. Henri Albert, § 114.

⁹⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, § 104 — VP, Trad. Bianquis, Tome I, Livre III, § 58.

⁹⁹"إن الكلمات في خدمة الوظائف العضوية" " les mots au service des fonctions physiologiques "، إنها مقطع ما قئت أبحث عن مصدره الحقيقي ضمن الأعمال النيتشوية لكن لسوء حظي حتى الباحث إريك بلونديل يحيل إلى موضع رجعنا إليه فلم نجد شيئاً وقد تتبعنا إحالة أخرى لباحت آخر يدعى بجان ميلكفيتش في كتاب horizons de la philosophie du droit, p 160. ولم تختلف النتيجة؛ ينظر كتاب بلونديل: نيتشه الجسد والثقافة، ص 278.

¹⁰⁰Tarmo Kunnas, Nietzsche, ou, L'Esprit de contradiction : étude sur la vision du monde du poète-philosophe, p. 165 : « Toute morale a été neuve, elle a dû employer les moyens les plus durs pour s'imposer, pour détruire une morale, une série de coutumes plus anciennes. Chaque morale est immorale à l'origine même, évaluée selon ses propres critères... ». Voir Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes, p. 224.

¹⁰¹VP, Trad. Henri Albert, § 196 : « La morale est tout aussi " immorale " que toute autre chose sur la terre; la moralité elle-même est une forme de l'immoralité ». Voir Virgile J. Barbat, Nietzsche, tendances et problèmes, Rascher, 1911, P. 351 : « Au-delà de la morale se trouve le terrain qui la fait naître, le phénomène morale est secondaire et immorale par son origine ».

وَفَضْلًا عَنْ مَزَايَا الرَّدِّ الْحَيَوِيِّ الْمَذْكُورَةِ آنفًا، فَإِنَّهُ لَا جَرَمَ فِي تَقْدِيرِنَا أَنْ نُورِدَ بَعْضَ الْمُعْقِبَاتِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي تَعُضِدُ حَيَدَوْدَةَ هَذَا الرَّدِّ النِّتَشَوِيِّ عَنِ الرُّدُودِ الْهَيْتَافِيزِيْقِيَّةِ، لَا سِيَّمَا الرَّدِّ الْفَيْنُومِيْنُئُولُوجِيَّ؛ فَلْنُنَّ كَانِ الْوَعْيِيَّ التَّرُونَسْنَدَنْتَالِيَّ عِنْدَ هُوسِرْلٍ مُضْطَلَعًا بِتَقْدِيمِ بِنْيَاتِ الْعَالَمِ الْمَقْصُودِ وَجَمَاعِ مَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَالَمٌ يَنْوَهَبُ بِتَلْقَائِهِ إِلَى الْوَعْيِيِّ الَّذِي يُؤْصِلُهُ؛ عَلَى أَلَّا يَكُونَ الْعَالَمُ هَهُنَا طَبِيعِيًّا بَلْ هُوَ عَلَى الْحَصْرِ الْعَالَمُ الظَّاهِرِيُّ الَّذِي يَنْكَشِفُ لِلْوَعْيِيِّ فِي غُرْبِهِ الْخَالِصِ بَعْدَ الْعَدِيدِ مِنَ التَّعْلِيْقَاتِ الَّتِي تُخَلِّصُهُ مِنَ الشَّوَائِبِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالسِّيْكُولُوجِيَّةِ¹⁰² - تَلَكُمُ الشَّوَائِبُ الَّتِي يَظْهَرُ خَطَرُهَا فِي أَنَّهَا تَحُولُ دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى الْحَقَائِقِ الْيَقِينِيَّةِ الثَّابِتَةِ - بِمَا أَنَّ الرَّدَّ يَقْتَضِي غَضَّ الطَّرْفِ عَمَّا هُوَ مُتَغَيِّرٌ وَعَرَضِيٌّ فِي الدُّنْيَا تَوَطُّةً لِلارْتِدَادِ إِلَى مَا هُوَ أَصْلَانِيٌّ فِي الْوَعْيِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ الْبِنْيَاتُ الْأَصْلِيَّةُ الَّتِي تُعَوِّدُ إِلَيْهَا كُلَّ الْحَقَائِقِ الْمَادِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ، عَلَى أَلَّا يَكُونَ خَلْفَ هَذِهِ الْبِنْيَاتِ الْأَصْلِيَّةِ، الَّتِي تُجَسِّدُ حَقِيقَةَ الْأَشْيَاءِ، شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ يُعَدَّ أَصْلًا لَهَا.

فَإِنَّ نِيَّتَهُ عَلَى الضِّدِّ يَبْسُطُ تَصَوُّرًا مُنَافِئًا لِلتَّصَوُّرِ الْهُوسِرْلِيِّ مُفَادُهُ أَنَّ الْعَالَمَ فِي كَلِّيَّتِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَمَدَدَ مَعْنَاهُ وَقِيَمَتُهُ مِنَ الْوَعْيِيِّ عَلَى اخْتِلَافِ مُسْتَوِيَاتِهِ وَرُسُوخِ مَبَادِيهِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي وَسْطِهِ الذَّاتِ الْمُتَعَالِيَّةِ إِنْ سَلَمْنَا جَدَلًا بِوُجُودِهَا أَنْ تَهَبَ لَنَا رُؤْيَا شَامِلَةً عَنْهُ، مَا دَامَ الْعَالَمُ، فِي تَشَعُّبِهِ وَتَكَثُّرِهِ، فِي صَيَّرَاتِهِ وَسَيَّرَاتِهِ، لَا يَنْوَهَبُ مِنْهُ إِلَّا الْجُزْءَ الْيَسِيرَ وَلَا يُلَمِّحُ فِيهِ إِلَّا النُّزْرَ الْقَلِيلَ؛ عَلَى أَنَّ يَكُونَ السَّبِيلَ الْوَحِيدَ لِمَعْرِفَتِهِ بِمَا يُشْفِي الْحَدَّ الْأَدْنَى مِنْ غَلِيلِ الْمَعْرِفَةِ هُوَ التَّرُؤُلُ إِلَى أَعْمَاقِ هَذَا الْعَالَمِ/الْحَيَاةِ بِأَنْ يَهَبَ الْوَعْيِيُّ نَفْسَهُ لِلْخَوَاصِ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا هَذَا الْعَالَمُ/الْحَيَاةِ، فَيَكْتَشِفُ الْكَثْرَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ الْهَوَوِيَّةِ الَّتِي تَعْبُرُهُ، تَمَامًا كَمَا تَعْبُرُ هَذَا الْوَعْيِيُّ نَفْسَهُ مَا دَامَ أَنَّهُ قَدْ عَلَى غِرَارِ الْعَالَمِ وَصُورَتِهِ¹⁰³. وَعَلَى أَسَاسِ هَذِهِ التَّجَرِبَةِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْمُؤَلَّفَةِ بَيْنَ الْجُزْءِ بِوصْفِهِ وَعَيًّا وَالْكُلِّ بِاعتباره عَالَمًا يَتَرَاءَى لِنِيَّتِهِ عَلَى نَحْوِ قَطْعِيٍّ أَنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ بَتَاتًا جَوْهَرًا عَقْلِيًّا وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَسَّسَ تَبَعًا لَذَلِكَ عَلَى الْعَقْلِ وَازْدَادَ يَقِينُهُ عَلَى يَقِينٍ لَمَّا تَبَدَّى لَهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ عَدِيمَ الْعَقْلَانِيَّةِ وَالْمَنْطِيقِيَّةِ¹⁰⁴؛ فَلَا سَبِيلَ عَقَبَ ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَيَوِيِّ إِلَّا بِتَغْلِيْقِ الْعَقْلَانِيَّةِ وَالْمَنْطِيقَةِ La logicisation et la rationalisation اللَّذِينَ يَحْجُبَانِ الطَّبِيعَةَ الْحَرَكِيَّةَ لِلْحَيَاةِ¹⁰⁵.

وَفَضْلًا عَمَّا وَرَدَ آنفًا، فَإِذَا كَانَ التَّغْلِيْقُ الْهُوسِرْلِيُّ يَقْضِي بِتَقْوِيْسِ كُلِّ الْخَبَرَاتِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْحِسِيَّةِ الْآتِيَّةِ مِنَ الْأَنَا النَّفْسِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ بِمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ صَمِيمِ الطَّبِيعَةِ الْمَاهَوِيَّةِ لِلذَّاتِ، وَذَلِكَ ابْتِغَاءً لِرْتِقَاءٍ إِلَى الْبِنْيَةِ الْمَحْضِ لِمَلَكُوتِ الْأَنَا الْمُتَعَالِيِّ حَيْثُ الْحَقَائِقُ السَّرْمَدِيَّةُ تَسْرَحُ بِغَيْرِ حِجَابٍ¹⁰⁶، فَإِنَّ نِيَّتَهُ عَلَى صَدِيدِ هُوسِرْلٍ يَقُومُ مِنْ جِهَةِ الْإثْبَاتِ بِفَتْحِ الْأَنَا الْهُوسِرْلِيِّ بِأَبْعَادِهِ الثَّلَاثَةِ: النَّفْسِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ وَالْمُتَعَالِيِّ،

¹⁰²Quentin Lauer, Phénoménologie de Husserl, PUF, Paris, 1955, pp. 46-47.

¹⁰³VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre III, § 14.

¹⁰⁴VO, Trad. Henri Albert, § 02.

¹⁰⁵VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, § 135. Voir Tome I, Livre II, § 133.

¹⁰⁶Annabelle Dufourcq, La dimension imaginaire du réel dans la philosophie de Husserl, p. 322.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

على راحة العالم وغنى الحياة في شموليتهما الجامعة انفتاحاً جودياً دون احتراسات وتحفظات ودون موقف مترنح وفصامي يؤمن ببعض وجوه الوجود ويكفر ببعضها الآخر. وخلافاً لهوسرل الذي يقوِّس ذاتيات النفس (الأهواء والغرائز) وعرضيات الوجود (العالم الطبيعي)، فإنَّ فيلسوف الاقتدار ينهض من جهة النفي بتقويس الوعي وما يتأسس عليه من المنظومات القيميّة التي سادت لآلاف السنين ابتغاء الكشف عن الأصول الحيويّة التي تنشئها إنشأً، مسألاً: أقدرة خلقها أو ضعفاً؟، أصحة وراءها أو سقم؟ وما نراه يقصد من هذا كله إلا الإسفار عن أي صلة كيفما اتفق أمرها تربط هذي الحقائق بالحياة.

تأصيلاً وتفصيلاً لتتبعنا لأحوال الردّ الحيوي ومزايه النظرية مقارنة بالردّ الفيثومولوجي نقول: لئن كانت العودة الهوسرلية إلى الأشياء "في ذاتها مغرّاجاً سماوياً من العالم الذي يعجّ بالتغير والتبدل إلى عالم الثبات والضرورة حيث الأنا المتعالي في منأى عن الحياة اليومية ذات الغايات التفعيّة، ذلك أنّ الأنا المتعالي ليس البتة بالأنا الواقعي ولا بالأنا السيكلولوجي في شيء¹⁰⁷، ما يعني أنّ الرجوع إلى الأشياء في ذاتها" المفصود ههنا هو رجوع إلى الحدس الأصلي أو ما يسميه مبدأ المبادئ¹⁰⁸ والذي بواسطته يمكن أن نفهم الوجود على نحو قبلي بمعزل عن التجارب العينية في العالم المادي ما دامت الأشياء مغطاة لنا كأحوال معيشة في الوعي على منوال تكون فيه الموضوعات المتصلة في ضرب من التضافر الأصلي ليست إلا المدرّكات؛ فإنّ العودة النيتشويّة، بمقابل هذه العودة الهوسرلية، ليست عودة إلى الأشياء في ذاتها كما تلمع صافية في الوعي الخالص، وإنّما هي لا تكون إلا بواسطة الإقبال التوكيدي على ما يظهر أو يبطن في الجسمان الإنساني الخاص، مغطوفاً على إقبال ديونيزوسي من غير إمساك على الحياة بما فيها من نقائص وأوجاع وتصارع، على أن تكون النافذة المثلى التي تسمح لنا بأن نطل عليها هي نافذة الأنا الطبيعي أوالفيزيولوجي نفسه الذي كان يسميه نيتشه بالعقل الكبير¹⁰⁹ نظراً لما يزرخ به من قوى عزيزية شتى تعبّر على أحسن وجه، وأكثر من أي شيء آخر عداًه، عن ملأ الحياة وغنوّانها¹¹⁰. تأسيساً على هذا كله، لن يكون هذا الوعي الخالص الذي كان ديدن نيتشه أن يعده وهماً البتة منقذاً إلى هذه الحياة الشيطنة ولا رتاجاً يفتحنا على الوجود الفعّال، وحجته في ذلك جنوح ملكة التفكير التي تشتغل على الصور باستمرار إلى بسط الرداء الشامل للثبات والرسوخ على العالم مما يمتنع عليها إزكان الحيوي النشيط والصائر المطرد¹¹¹ اللذين يطبعان الحياة/الوجود. ولا يسعنا إلا أن نرى في

¹⁰⁷ Jean François lavigne, Les méditations cartésiennes de Husserl, Edition Vrin, 2008, p. 51.

¹⁰⁸ Edmund Husserl, La Recherche logique, Trad. H Elia, Tome II, PUF, Paris, 1961, p. 8.

¹⁰⁹ APZ, Trad. Henri Albert, des contempteurs du corps. Voir VP, Trad. Genevieve Bianquis, Tome I, Livre II,

يقرّر نيتشه في هذه الشهرة أنّ للجسد فكرٌ أرحب بكثير من فكر الروح. § 173.

¹¹⁰ VP, Trad. Bianquis, Tome I, Livre II, § 230 – 173.

¹¹¹ Ibid, Tome I, Livre I, § 104.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

نيتشه ذلك المُسَافِرَ فِي الطُّرُقِ الَّتِي شَقَّهَا الْإِغْرِيقُ قَبْلَ مَنْ حَيَثِيَّةِ تَحْوِيلِهِمْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى حَيَاةٍ عَلَى الضِدِّ مِنَ الْمَنْزَعِ الْفَلَسَفِيِّ الْحَدِيثِ الَّذِي يُصَيِّرُ بِالْمَعْرِفِيِّ كُلَّ شَيْءٍ جَامِدًا سَاكِئًا¹¹².

اهْتِدَاءً بِمَا سَلَفَ مِنْ تَقَرُّرَاتٍ، تَبَيَّنَ لَنَا الطَّائِعُ الْكُونِيُّ وَالْمُطْلَقُ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مَا دَامَتْ تَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ الظَّوَاهِرِ دُونَ مَشْرُوطِيَّةٍ حَيْثُ يَكُونُ الْكُونُ بِرُمْتِهِ جَارِيًا بِمُقْتَضَى جَبَرِيَّةٍ يَنْزَعُ فِيهَا كُلُّ اِقْتِدَارٍ إِلَى مَدٍّ وَاسْتِخْرَاجٍ، فِي كُلِّ آنٍ، حَوْصَلَتُهُ الْقُصْوَى، هَكَذَا يَكْشِفُ نَيْتَشَةُ أَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ تُجَسِّدُ النَّامُوسَ الْأَصْلِيَّ الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ وَالَّذِي إِزَاءَهُ تَغْدُو الْقَوَانِينُ الَّتِي ابْتَكَرَهَا الْفِيزِيَايُونُ كَافَةً مُجَرَّدَ تَنْسِيقٍ وَتَدْيِيرٍ إِنْسَانِيٍّ سَادِجٍ مَا دَامَ النَّامُوسُ الْأَصْلِيُّ، بِمَا هُوَ الْحَقِيقَةُ الْبَاطِنِيَّةُ لِلْعَالَمِ، مُقَوِّضًا بِمَنْجَلِهِ الْقَوَانِينِ الْأَوْنَثَرُوبُومُورْفِيَّةَ جَمِيعًا¹¹³ نَظَرًا لِأَنَّهَا، وَجَمِيعِ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي تُشَاكِلُهَا مِنْ مَبْدَأٍ وَنِظَامٍ، فَضْلًا عَنْ كُلِّ فَرَضِيَّاتِ الْمِيكَانِيكَ، تَأْوِيلَاتٍ زَائِفَةٍ بِوَاسِطَةِ أَوْهَامٍ نَفْسِيَّةٍ¹¹⁴.

لَكِنْ أَلَّا يُفْضِي بِنَا هَذَا التَّحْدِيدُ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ إِلَى مَحَازِيرٍ مِيتَافِيزِيْقِيَّةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَحْتَرِزَ مِنْهَا؛ إِذْ يُظْهِرُ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ مَاهِيَّةً جَوَانِيَّةً لِلْمَوْجُودَاتِ¹¹⁵؟ وَبِذَلِكَ أَفَلَا يَنْصُبُ وَحْدَةً لِلْمُتَعَدِّدِ وَيَقِيمُ مَاهِيَّةً لِلْوُجُودِ؟¹¹⁶، ذَلِكَ أَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ تَتَطَبَّقُ بِادئِ الْأَمْرِ مَعَ تَحْدِيدِهَا بِالْبِنْيَةِ الْجَوَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ أُسَاسِيَّةٍ وَضَرُورِيَّةٍ مِنَ الظَّاهِرِ وَفِي الْأَخِيرِ تَتَعَيَّنُ بِاعْتِبَارِهَا الْبِنْيَةُ التَّوَلِيدِيَّةُ لِلظَّاهِرِ نَفْسِهِ¹¹⁷. وَإِنَّا نَتَجَنَّبُ الْعَدِيدَ مِنْ مَوَاطِنِ الْإِشْكَالِ حَالَمًا نَعِي، كَمَا قُلْنَا فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ، أَنَّ الْمَاهِيَّةَ النَيْتَشُويَّةَ لَا تَجْرِي حَدَّ الْمُطَابَقَةِ عَلَى مَنَوَالِ مَاهِيَّةِ الْفَلَسَفَةِ وَإِنَّمَا هِيَ مَبْدَأُ حَرَكِيٍّ وَتَوَلِيدِيٍّ عَلَى شَاكِلَةٍ لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ مَا يَصْنَدُ مِنْهُ بِدَوْرِهِ إِلَّا تَوَلِيدِيًّا، لِذَا فَالتَّعْرِيفُ الَّذِي يَقْدِمُهُ نَيْتَشَةُ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ يَجْعَلُهَا مَبْدَأًا لَا يَبْرَحُ عَنْ الْإِحَالَةِ إِلَى وَاحِدٍ غَرِيزِيٍّ مُمْتَلِيٍّ قِوَامُهُ التَّعَدُّدِيَّاتِ الْغَرِيزِيَّةَ وَتَبَعًا لِذَلِكَ لَيْسَتْ مَبْدَأُ أَحَادِيًّا يُحِيلُ إِلَى وَحْدَةٍ عَقْلَانِيَّةٍ صُورِيَّةٍ يَنْتَفِي بِمَعِيَّتِهَا الْوُجُودُ الْفِعْلِيُّ لِلْكَثَرَاتِ وَالْفُرُوقِ النَّوعِيَّةِ مِثْلَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَبْدَأِ لَدَى شُوبِنَهَاور¹¹⁸، وَيَنْجُمُ مَعَ التَّحْوِيلِ الْفَلَسَفِيِّ الَّذِي اصْطَنَعَهُ نَيْتَشَةُ انْطِبَاطُ الْوَاحِدِ الْغَرِيزِيِّ بِالْمُتَعَدِّدِ

¹¹²Eugène de Roberty, Frédéric Nietzsche : contribution à l'histoire des idées philosophiques et sociales à la fin du XIXe siècle, F. Alcan, 1903. p. 114. Voir Olivier Ponton, Nietzsche - Philosophie de la légèreté, Walter de Gruyter, 27 août 2008, p. 260.

يَزْعُمُ أُولَافِيه بُونُونُ أَنَّ نَيْتَشَةَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عِلَاقَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَيَاةِ لَا يَعْنِي جَعْلَ الْمَعْرِفَةِ فِي خِدْمَةِ الْحَيَاةِ بَلْ جَعَلَ الْحَيَاةَ وَسِيلَةً أَوْ مَصْدَرًا لِلْمَعْرِفَةِ..

« Nietzsche ne dit plus que la connaissance doit être bridée pour se transformer en vie, mais que la connaissance ne devient vie que si la vie devient connaissance- le mot d'ordre n'est plus « la connaissance au service de la vie » mais « la vie comme moyen de connaissance ».

¹¹³PBM, Trad. Henri Albert, § 22.

¹¹⁴VP, Trad. Henri Albert, § 296.

¹¹⁵FP, XIV, 14 [80].

¹¹⁶Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, Edition PUF, 2001, p. 09.

¹¹⁷Ibid, p. 10.

¹¹⁸Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 284.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

وَكُلِّ الْخَاصِيَّاتِ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ الَّتِي يَنْفَرِدُ بِهَا الْمَبْدَأُ الْأَصْلِيُّ وَطَبَقًا لِذَلِكَ فَهَذَا الْمَبْدَأُ الْحَيَوِيُّ يَحُوزُ وَيَحْفَظُ التَّعَدُّدَ ، فَضْلًا عَنْ إِنْمَائِهِ وَتَكَثُّرِهِ.

تَرَامِي بِنَا الْبَسْطُ التَّأْوِيلِي الَّذِي اصْطَنَعْنَاهُ إِلَى إِشْكَالٍ يَسْتَدْعِي إِعْمَالًا لِتَفْكِيرٍ ذِي رَوِيَّةٍ فِي سَبِيلِ الْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: مَا الْمَنْفَعَةُ الْأَسْلَمُ وَالْأَمْنُ الَّذِي يَهْدِينَا إِلَى التَّعَرُّفِ إِلَى مَبْدَأٍ حَيَوِيٍّ يَكُونُ مِصْدَاقًا لِلتَّعَدُّدِيَّاتِ وَعَرَفَانًا بِالسَّيَرُورَاتِ وَالصَّيَرُورَاتِ الْفِعْلِيَّةِ؟ ، لَمْ يَكُنْ نَبْتِشُهُ حِيَالَ هَذَا الْإِشْكَالِ لِيَرْضَى لِعَبْرِ الْحَيَاةِ أَنْ يَكُونَ مَنْفَعًا وَمَبْدَأًا لِلْمَوْجُودَاتِ بِرُمَّتِهَا مَا دَامَتْ حَرَكَةُ تَفْكِيرٍ نَبْتِشُهُ الْحَيَوِيُّ رَافِظَةً الْإِنْطِلَاقَ مِنْ أَيْ شَيْءٍ غَيْرِ الْحَيَاةِ لِلنَّفَازِ إِلَى الْعَالَمِ فِي جُمْلَتِهِ¹¹⁹ ، وَلِهَذَا تَنْزِلُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً لِسَانِ الْحَيَاةِ الْمُبِينِ وَمَنْزِلَةً سِرِّهَا الْأَمِينِ¹²⁰. لَكِنْ تَظَلُّ هَهُنَا الْحَيَاةُ فِي عُمُومِهَا دُونَ تَخْصِيصٍ دِلَالِيٍّ يَصْرِفُ عَنْهَا مَوَاطِنَ الْإِشْكَالِ ، بِمَا أَنَّهَا لَفِظَةٌ تَنْطَبِّقُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِضَرْبٍ مِنَ الْأَشْتِرَاكِ أَوْ التَّوَاطُئِ ، مَا يَعْنِي وَجُودَ إِنْهَامٍ فِي هَذَا التَّعْمِيمِ يَحْمِلُنَا عَلَى طَرَحِ هَذَا السُّؤَالِ: عَنْ أَيْ نَمِطٍ مِنَ الْحَيَاةِ يَتَحَدَّثُ نَبْتِشُهُ؟ ، لَا شَكَّ أَنَّ الشَّدْرَةَ 36 مِنْ مُصَنَّفِ "مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" تَضَعُ تَخْصِيصًا صَرِيحًا لِلتَّعْمِيمِ الْمَذْكُورِ فِي مُصَنَّفِ "هَكَذَا تَحَدَّثُ زَرَادُشْتُ" الَّذِي تَكَلَّمَ عَلَى الْأَرْجَحِ عَنْ الْحَيَاةِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ أَمْرُهَا- مَعَ أَنَّ الْمُضْمَرَ فِي هَكَذَا تَعْمِيمٌ هُوَ تَخْصِيصُ الْحَيَاةِ بِعَامَّةٍ بِالْحَيَاةِ الصَّاعِدَةِ الَّتِي لَا تَنْفَكُ تَتَرَقَّى- حَيْثُ تَكُونُ نُقْطَةُ الْإِنْطِلَاقِ الْخَاصَّةِ ، حَسَبَ التَّخْصِيصِ الدِّلَالِيِّ الَّذِي تَبَسُّطُهُ تِلْكَ الشَّدْرَةُ ، هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي تَعْبُرُنَا نَحْنُ الْبَشَرُ دُونَ سَائِرِ الْكَائِنَاتِ الْمُتَعَضِّيَّةِ ، لَا سِيَّمَا تِلْكَمُ الْحَيَاةُ الثَّائِيَّةُ فِي تَضَاعُيفِ جُسَمَانِنَا الْإِنْسَانِيِّ الْخَاصِ بِوَصْفِهِ مَحَلًّا لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ ، نَظَرًا لِأَنَّهُ الْعَالَمُ الْوَحِيدُ الْمُعْطَى لَنَا وَالْقَابِلُ لِأَنْ تُسَبَّرَ مِنْهُ وَفِيهِ بَعْضُ حَقَائِقِهِ ، وَالشَّاهِدُ النَّصِيُّ عَلَى هَذَا التَّخْرِيجِ هُوَ قَوْلُ نَبْتِشُهُ: "إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْزِلَ أَوْ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى أَيْ وَقَعٍ آخَرَ سِوَى وَقَعِ دَوَافِعِنَا* الْغَرِيزِيَّةِ تَحْدِيدًا*"¹²¹. [تَرْجُمَةُ هَنْرِي الْأَلْبِرْتِ: غَرَائِزُنَا nos instincts]¹²². وَتَبْرِيرُ ذَلِكَ كَمَا شَفَّتْ عَنْ ذَلِكَ بَيِّنَاتُ الشَّدُورِ بِكَوْنِ الْجَسَدِ الْخَاصِ فِي تَقَاوُثِهِ مَشْدُودًا بِوَثَاقٍ مَكِينٍ إِلَى الْجَسَدِ الْعَامِ الَّذِي تَجِدُ لَدَى نَبْتِشِهِ تَارَةً مُصْطَلَحَ الْحَيَاةِ وَتَارَةً أُخْرَى بِمَعْنَى أَعْمٍ مُصْطَلَحَ الْأَرْضِ؛ وَقَدْ جَاءَتْ شَدْرَةُ مِنْ شُدُورٍ "هَكَذَا تَحَدَّثُ زَرَادُشْتُ" لِتَوْكِيدِ هَذَا الْقِرَانِ الْغَلِيظِ بَيْنَ الْجُسَمَانَيْنِ بِالدَّعْوَةِ لِلْإِنْصَاتِ لِلْجَسَدِ الْخَاصِ وَالنُّهُوضِ بِعَظْفِ الْجَسَدِ الْخَاصِ عَلَى الْجَسَدِ الْعَامِ: "أَصِيخُوا أَلْسَمَعُ بِالْأُخْرَى يَا إِخْوَتِي إِلَى صَوْتِ [نَدَاءٍ، نَصِيحَةٍ] الْجَسَدِ الْمُعَاقِي: إِنَّهُ صَوْتُ أَكْثَرِ أَمَانَةٍ [وَفَاءٍ] وَأَكْثَرِ

¹¹⁹Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, P. 11.

¹²⁰APZ, Trad. Geneviève bianquis, de la victoire de soi.

¹²¹إنَّ تَرْجُمَةَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِلَفْظَةِ الْإِنْدِفَاعِ الْغَرِيزِيِّ أَصَحُّ لِاعْتِبَارَيْنِ عَلَى الْأَوَّلِ؛ أَوَّلًا: لِأَنَّ بَاتْرِيكَ فُولْتِينْغَ يَقَارِبُ إِلَى حَدِّ التَّرَادُفِ فِي قَامُوسِهِ عَنْ نَبْتِشِهِ بَيْنَهَا وَ الْغَرِيزَةِ وَ ثَانِيًا: لِأَنَّهُ مَرَاعَاةٌ لِتَأْدِيَةِ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ اللَّفْظَةُ مِنْ مَعَانِي فَالْجَمْعُ بَيْنَ مَعَانِي الْغَرِيزَةِ وَ الْإِنْدِفَاعِ أَفْضَلُ مِنَ الْاِكْتِفَاءِ بِأَحَدِهِمَا.

Céline Denat et Patrick Wotling, Dictionnaire de Nietzsche, Edition Ellipses 2013, pp. 175-174-204-205.

¹²²PBM, Trad. Henri Albert, § 6 : « Que nous ne puissions descendre ou monter vers aucune autre « réalité » que celle, précisément, de nos pulsion ».

نقاوةً. يتكلم الجسد السليم بأمانة أكثرَ وبأكثرَ نقاوةً، إنه الجسد الكامل، ثابت العزم من رأسه إلى أخمص قدميه¹²³: إنه يتكلم عن معنى الأرض¹²⁴.

لَمْ يَكُنْ لِنَيْتَشْه سَبِيلٌ إِلَى تَعْضِيدِ الْعَطْفِ الْحَيَوِيِّ لِلْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ عَلَى الْوُجُودِ الْحَيَاتِيِّ غَيْرِ تَوْسُّلٍ تَخْرِيجٍ طَرِيفٍ بِمُقْتَضَاهُ يَصِيرُ الْوُجُودُ الْحَيَاتِيُّ مُنْسُوجًا عَلَى غِرَارِ الْجُسْمَانِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ غَرَائِزَ وَأَهْوَاءٍ وَإِرَادَاتٍ؛ جَرَيًا عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ عَلَى الْغَرَائِزِ الْمُعْطَاةِ لَنَا فِي الْجُسْمَانِ الْإِنْسَانِيِّ الْخَاصِ يُجْعَلُ لِلْعَالَمِ غَيْرِ الْعُضْوِيِّ، بِمَا هُوَ الْعَالَمُ الْمِيكَانِيكِيُّ، وَاقْعِيَّةً تَكُونُ مِنْ نِظَامِ أَهْوَائِنَا وَانْفِعَالَاتِنَا، مَا يَسْمَحُ بِقِيَاسِ الْعَالَمِ بِمِقْيَاسِ غَرَائِزِنَا حَيْثُ يُصْبِحُ الْعَالَمُ الْمِيكَانِيكِيُّ الصُّورَةَ الْأَكْثَرُ بُدَائِيَّةً لِعَالَمِ الْأَهْوَاءِ وَيَصِيرُ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الْحَيَاةِ الْغَرِيزِيَّةِ فِي بَدَايَتِهَا الْقَدِيمَةِ¹²⁵، وَهُوَ الشَّكْلُ الَّذِي مِنْهُ يَنْشَأُ فِيمَا بَعْدَ مَا يَتَفَرَّغُ وَيَتَطَوَّرُ فِي السَّرِيرَةِ الْعُضْوِيَّةِ. وَوُضِّلَتْ نَيْتَشْه إِلَى هَذَا الشَّكْلِ الْأَوَّلَانِيِّ لِلْأَهْوَاءِ هُوَ كَمَا رَأَيْنَا إِجْرَاءً مَعْرِفِيٍّ عَلَى شَاكِلَةِ الْقِيَاسِ الَّذِي يَسْمَحُ بِتَوْسِيعِ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ لِكَيَانِنَا بِاعْتِبَارِهَا إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ إِلَى مَجْمُوعٍ مَا هُوَ كَائِنٌ وَمِنْ ثَمَّ تَطْبِيعُ الْعَالَمِ بِأَجْمَعِهِ بِطَائِعِ خَوَاصِ الْحَيَاةِ الْوُضُوفِيَّةِ الَّتِي تَمْتَازُ بِهَا مِنْ إِحْسَاسٍ وَتَفْكِيرٍ وَإِرَادَةٍ¹²⁶ غَرِيزِيَّينَ.

يُتَبَيَّنُ هَذَا الْمَهْدُ النَيْتَشَوِيِّ تَوْسِيعَ خَاصِيَّاتِ الْحَيَاةِ الْعُضْوِيَّةِ إِلَى الْعَالَمِ فِي كُلِّيَّتِهِ، بِمَا يُمْكِنُ مِنْ رَدِّ حَيَاتِنَا الْغَرِيزِيَّةِ بِأَسْرَهَا، بِمَا فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمَادِيِّ، إِلَى دِيْنَامِيكََا الرِّيدَةِ *Dynamique du pouvoir* كَمَا يَفْهَمُهَا نَيْتَشْه¹²⁷، وَهَذِي الْمُمَاثَلَةُ بَيْنَ الْعَالَمِ الْغَرِيزِيِّ وَالْعَالَمِ الْمَادِيِّ يَقُومُ إِذْنِ عَلَى افْتِرَاضٍ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْأَخِيرَ مِنْ نِظَامِ غَرَائِزِنَا نَفْسِهِ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ فَرْقٌ بَيْنَهُ كَشَكْلٍ انْفِعَالِيٍّ أَوَّلِيٍّ وَغَرَائِزِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ سِوَى فَرْقِ الْقَدَمِ وَالْأَسْبَقِيَّةِ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ وَلَيْسَ الْبَتَّةَ فَرْقًا نَوْعِيًّا¹²⁸. لَا يَتَرَدَّدُ نَيْتَشْه فِي مَوَارِدَ كَثِيرَةٍ فِي تَفْسِيرِ كُلِّ مُسْتَوَيَاتِ الْكَيْنُونَةِ بِمَبْدَأٍ وَاحِدٍ وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ عَدَّ حَيَاتِنَا الْغَرِيزِيَّةَ قَاطِبَةً تَطَوُّرًا وَتَفَرُّعًا عَنْ شَكْلٍ أَسَاسِيٍّ فَرِيدٍ وَأَوْحَدٍ مِنَ الْإِرَادَةِ¹²⁹ مِنْ حَيْثُ هِيَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ وَقِيَاسًا إِلَى ذَلِكَ جَرَى إِلَى إِجْجَاعِ الْوُضُوفِيَّةِ الْعُضْوِيَّةِ كَافَّةً، فَضْلًا عَنِ الْعَالَمِ اللَّاعْضُويِّ الَّذِي جَرَى قِيَاسُهُ وَالتَّعَامُلُ مَعَهُ عَلَى أَسَاسِ الْعُضْوِيِّ، إِلَيْهَا¹³⁰.

¹²³ يمكن ترجمة العبارة أيضًا بـ: "الذي هو عنيد تمامًا أو: "العنيد [الصريح أو الحازم] من هامة رأسه إلى أسفله".

¹²⁴ APZ, Trad. Henri Albert, Des hallucinés de l'arrière-monde: « Écoutez plutôt, mes frères, la voix du corps guéri: c'est une voix plus loyale et plus pure. Le corps sain parle avec plus de loyauté et plus de pureté, le corps complet, carré de la tête à la base: il parle du sens de la terre ».

¹²⁵ PBM, Trad. Henri Albert, § 36.

¹²⁶ Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 13.

¹²⁷ Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, Éditions du Seuil, 1966, p. 451.

¹²⁸ Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, Edition Allia, Paris, 1998, p. 83.

¹²⁹ PBM, Trad. Henri Albert, § 36.

¹³⁰ Linda L. Williams, Nietzsche's mirror, the world as will to power-Rowman & Littlefield Publishers, 2001: « Some writers on Nietzsche claim that will to power is Nietzsche's explanation for everything, that will to power is a metaphysical or cosmological principle for Nietzsche. In order for will to power to be an

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

لَيْسَ بِخَافٍ عَنَّا أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ هَذَا الْمَدِّ مِنْ جِهَةٍ وَذَلِكَ الرَّدِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى الَّذِي اسْتَطَرَدَ نِيَتُهُ فِي تَوَحُّيْهِمَا هُوَ الْاسْتِغْنَاءُ التَّامُّ عَنْ تَعَدُّدِ الْعَلَلِ وَالْاِكْتِفَاءُ بِعِلَّةٍ فَاعِلَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ هِيَ الْمُوَلَّدَةُ لِلْآثَارِ الَّتِي نُشَاهِدُهَا¹³¹، عَلَى أَنَّ تُدْفَعَ هَذِهِ الْعِلَّةُ الْفَرِيدَةُ إِنْ جَازَ التَّغْيِيرُ إِلَى حُدُودِهَا الْقُصْوَى، مَعَ ذَلِكَ لَيْسَتْ عِلَّةً مِيكَانِيكِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ عِلَّةٌ حَيَوِيَّةٌ تَتَجَلَّى فِي كَوْنِهَا عِلَاقَةً بَيْنَ إِرَادَةٍ وَأُخْرَى عَلَى الْأَقْلِ¹³². مَا كَانَ تَوَسُّلُ نِيَتِهِ لِهَذَا الْمَدِّ جُزْأً وَإِنَّمَا نَهَضَ بِتَوَسُّعِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْمَاهِيَّةُ الْجَوَانِيَّةُ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ مِنْ دُونِ فُرْقَانٍ بَيْنَ الظَّوَاهِرِ الْبَيُولُوجِيَّةِ وَالذَّهْنِيَّةِ، ابْتِغَاءً فَتَقُ إِفْكَانٍ تَأْوِيلٍ لظواهرِ الْعَالَمِ كَافَّةً مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ تَبَعًا لِمَقُولَاتِ الصِّرَاعِ وَالْإِمْرَةِ وَالتَّمَلُّكِ وَالتَّكُونِ الْخَلَاقِ¹³³. وَفِي غَضُونِ هَذَا الْمَسْئَعِ أَتَقَنَ أَنَّ السَّبِيلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَجْعَلُ تَمَثُّلَ كُلِّيَّةِ الْكَيْنُونَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ تَجَلٍّ لِإِرَادَةٍ فَرِيدَةٍ أَمْرًا مُمَكِّنًا هُوَ سَبِيلُ الْحَيَاةِ لَا غَيْرَ، وَذَلِكَ بِتَمْدِيدِ الْوُضَائِفِ الْحَيَوِيَّةِ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْعَالَمِ بِحَذَائِرِهِ قَاطِبَةً، لِأَنَّا كَمَا أُبْرَزَ نِيَتُهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَقَدَّ إِلَى الْكَيْنُونَةِ إِلَّا بِالْحَيَاةِ¹³⁴ وَبَيَانُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "لَيْسَ لَدَيْنَا عَنِ الْكَيْنُونَةِ مِنْ تَمَثُّلٍ غَيْرِ تَمَثُّلِ الْحَيَاةِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ إِذَنْ لِشَيْءٍ مَا مَيَّتَ أَنْ يَكُونَ؟"¹³⁵، وَبِوُجُوبِ ذَلِكَ فَإِنَّ فِيلْسُوفَ الْاِقْتِدَارِ لَا يَفْصِلُ بَيْنَ الْكَيْنُونَةِ وَالْحَيَاةِ بَلْ يَفْصِحُ عَنِ الرُّابِطَةِ الْضَّرُورِيَّةِ بَيْنَهُمَا حَيْثُ كُلُّ طُمُوحٍ إِلَى مَعْرِفَةِ كَيْنُونَةِ الصَّيْرُورَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَلَى الْحَيَاةِ مَا دَامَ الْمُضِيُّ إِلَى صُلْبِ الْكَيْنُونَةِ مُتَعَدِّرًا إِلَّا بِتَمَثُّلِهَا الْمُعْطَى لَنَا فِي الْحَيَاةِ¹³⁶.

وَتَعَضِيدًا لِمَحْوَى الشَّدْرَةِ السَّابِقَةِ نُورِدُ مَا نَطَقَ بِهِ مُورِدٌ آخَرٌ مِنَ الْمَجَلَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ حَيْثُ أَغْرَبَ نِيَتُهُ فِيهِ قَائِلًا: "إِنَّ الْحَيَاةَ، بِمَا هِيَ شَكْلُ الْكَيْنُونَةِ الَّذِي نَحْنُ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِهِ أَكْثَرَ، هِيَ عَلَى الْخُصُوصِ إِرَادَةُ تَكْدِيسٍ لِلْقُوَّةِ"¹³⁷. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَمِمَّا لَا غَنَى عَنْهُ الْكَشْفُ فِي الْمَجَالِ الْأَوْنَطُولُوجِيِّ عَنِ الْخَوَاصِ الَّتِي نَلْتَقِي بِهَا فِي الْحَيَاةِ الْعُضْوِيَّةِ¹³⁸، وَهَذَا مَا عَزَّزَتْهُ الشَّدْرَةُ النَّاسِعَةُ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ الَّتِي عَدَّتِ الْكَيْنُونَةَ تَعْمِيمًا لِمَفْهُومِ الْحَيَاةِ وَمِنْ ثَمَّ لِمَا هُوَ حَيٌّ

explanation for the entire cosmos, both the inorganic and organic realms would have to be included. What textual evidence do these writers have for thinking Nietzsche applies will to power to inorganic things? In the works Nietzsche authorized for publication, there are only two aphorisms that suggest that Nietzsche extends will to power beyond the organic domain ». p. 43.

¹³¹PBM, Trad. Henri Albert, § 13.

¹³²VP, Trad. Geneviève bianquis, Tome I, Livre II, § 44 : « Il n'y a d'autre causalité que celle de vouloir à vouloir. Pas d'explication mécanique ».

¹³³Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 452

¹³⁴Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 15.

¹³⁵FP, XII, 2 [172] : « L' «être» nous n'en avons pas d'autre représentation que « vivre ».Comment quelque chose de mort peut-il donc « être» ? ».

¹³⁶Pierre Montebello, Vie et Etre chez Nietzsche, In L'art, Nietzsche, Presses Univ. Du Mirail, 1999, p. 231

¹³⁷FP, XIV, 14 [82] : « La vie, en tant que forme de l'être qui nous est la mieux connue, est spécifiquement une volonté d'accumulation de force ».

¹³⁸Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 13.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

وَلِلْإِرَادَةِ وَالصِّيْرُورَةِ وَالْحَرَكَةِ¹³⁹. لَعَلَّ هَذَا النَّظَرَ إِلَى الْكَيْنُونَةِ مِنْ زَاوِيَةِ الْحَيَاةِ هُوَ مَا حَمَلَ الشَّارِحَ بِيِيرِ مونتبييلو عَلَى الْجَهْرِ: "بِمُسْتَطَاعٍ نِيْتَشُهُ إِذْنُ أَنْ يُعَبَّرَ: "تَوْضَعُ الْحَيَاةُ وَالْوُجُودُ فِي الْمُسْتَوَى نَفْسِهِ] عَلَى الصَّعِيدِ ذَاتِهِ]. فَالْحَيُّ هُوَ الْكَيْنُونَةُ. وَلَا وُجُودَ لِكَيْنُونَةٍ أُخْرَى غَيْرَهُ"¹⁴⁰.

تَتَسَاوَرُ هَذِي الشَّوَاهِدُ النَّصِيَّةُ السَّابِقَةُ إِلَى بَيَانٍ تَعَدُّرٍ أَيْ أَوْنَطُولُوجِيَا لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى قِيَامِ حَيَوِيٍّ يَشْمُلُ وَيَخْتَرِقُ الْكَيْنُونِيَّ بِأَجْمَعِهِ، وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ يَكُونُ فِي وَسْعِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ أَنْ تُسْفَرَ عَنْ ذَاتِهَا فِي الظَّاهِرِ قَاطِبَةً بِضَرْبٍ مِنَ التَّشَاكُلِ التَّمَاثُلِيِّ isomorphique الَّذِي يَحْفَظُ لَهَا قِيَمَتَهَا الْكَلِيَّةَ وَمَعْنَاهَا الْبَاطِنِيَّ حِيَالِ مَجْمُوعِ الْوَقَائِعِ، وَمُسَوِّغُ ذَلِكَ كَوْنُ الْعَالَمِ لَا يُسْتَبْطَنُ أَوْ لَا يُبْصَرُ مِنَ الْدَاخِلِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْحَيَاةِ وَحَيْثُهَا فَقَطْ تَتَكَشَّفُ لَنَا بِنِيْتُهُ الْبَاطِنِيَّةُ عَلَى أَنَّهَا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ¹⁴¹ وَنُذْرِكُ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ اسْتِحَالَةَ وُجُودِ شَيْءٍ خَارِجَهَا. لَقَدْ قَامَ هَذَا جَمِيعُهُ عَلَى إِيمَانٍ عَمِيقٍ بِالْمَحَايِثَةِ الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي دَفَعَتْ نِيْتَشُهُ إِلَى مُشَاهَدَةِ وَحْدَةٍ وَجُودٍ تُنْسَجُ فِيهَا مُخْتَلَفُ أَصْعَدَةِ الْوُجُودِ عَلَى مَنَوَالِ الْحَيَاةِ، عَلَى مَنَوَالِ خَصَائِصِهَا، ذَلِكَ مَا دَعَاهُ إِلَى تَعْمِيمِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ فِي شَذَرَةٍ مِنْ رَبِيعِ 1985م عَلَى الْبُعْدِ غَيْرِ الْغُضْوِيِّ مِنَ الْكَيْنُونَةِ، يُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ هِيَ الَّتِي تُرَافِقُ كَذَلِكَ [تَقُودُ] الْعَالَمَ غَيْرِ الْغُضْوِيِّ"¹⁴². تَأْسِيسًا عَلَى هَذَا الْمَوْرِدِ لَا يَنْفَلِتُ أَحَدٌ مِنْ سُلْطَانِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي تَبْسِطُ سِيَادَتَهَا مِنْ دَاخِلِ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ، وَهَذِهِ السِّيَادَةُ الَّتِي تَنْتَوِي فِي بَطُونِ كُلِّ كَائِنٍ هُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الشَذَرَةُ أَيْضًا: "إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ هُوَ عَالَمُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَهُ! وَأَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ أَيْضًا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ هَذِهِ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَهَا"¹⁴³.

لَا جَرَمَ أَنَّ نِيْتَشُهُ لَمْ يَكْتَفِ الْبَتَّةَ بِتَأْصِيلِ الْكَيْنُونِيَّ بِالْحَيَوِيَّ وَإِنَّمَا أَوْغَلَ فِي رَدِّ الْحَيَوِيَّ بِخَوَاصِهِ الْمُتَشَعِّبَةِ إِلَى غُنْصَرٍ وَاحِدٍ حَيَوِيٍّ يَنْفَرِدُ بِالْأُولَانِيَّةِ وَالْبُدَائِيَّةِ مِنْهُ تَنْطَوِّرُ وَتَتَفَرَّغُ الظَّوَاهِرُ الْغَرِيزِيَّةُ وَالْهَوَوِيَّةُ كَافَّةً، وَالْحَالُ أَنَّ هَذَا الْغُنْصَرَ الْأُولَانِيَّ أَخَذَ تَارَةً اسْمَ انْفِعَالٍ أَوَّلِيٍّ يُؤَسِّسُ كُلَّ الْانْفِعَالَاتِ الْمُشْتَقَّةِ مِنْهُ¹⁴⁴، كَمَا أَنَّهُ جَاءَ تَارَةً أُخْرَى بِاسْمِ رَغْبَةٍ أُسَاسِيَّةٍ أَوْ جَوْهَرِيَّةٍ تَكُونُ إِزَاءَهَا الْحَرَكَاتُ وَالْأَفْكَارُ الَّتِي تَسْتَتِرُ

¹³⁹FP, VIII, 9 [63].

¹⁴⁰Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 16 : « Friedrich Nietzsche peut donc avancer : « Existence, esse mis sur le même plan. Le vivant est l'être. Il n'y a pas d'autre être ».

¹⁴¹PBM, Trad. Henri Albert, §. 36

¹⁴²FP, VI, 34 [247] : « C'est la volonté de puissance qui mène également le monde inorganique ».

¹⁴³FP, XI, 38 [12].

¹⁴⁴FP, XIV, 14 [82] : « Que la volonté de puissance est la forme primitive de l'affect, que tous les Autres affects n'en sont que des développements ». Voir l'interprétation faite par Linda L. Williams dans son étude intitulée Nietzsche's mirror, the world as will to power-Rowman & Littlefield Publishers, 2001, elle écrit : « Will to power, then, does not lurk behind affects, causing affects. Will to power consists of the affects themselves. It is the event by which becoming and affects are recognizable. The relationship between will to power and affects—actions and relationships among actions— is one of identity... Will to power is analogous to an onion, where the whole onion is the world of becoming at any given moment. The layers of the onion correspond to specific events—affects of will to power. By stripping away the layers of the onion, we hope to arrive at its core, its essence. But, of course, there is no core; the onion simply consists in its layers. Analogously, we cannot strip away the affects of will to power hoping to discover "pure" will to power devoid

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

خَلَفَهَا الرَّغَبَاتُ مُجَرَّدَ أَغْرَاضٍ لَهَا، مَا يُفِيدُ إِضْمَارَ الرَّغَبَاتِ الْقَابِعَةِ خَلْفَ أَفْعَالِنَا وَأَفْكَارِنَا رَغْبَةً أَسَاسِيَّةً لَيْسَتْ شَيْئاً آخَرَ غَيْرَ إِرَادَةِ اقْتِدَارٍ¹⁴⁵، وَاتَّخَذَ هَذَا الْعُنْصُرُ الْأُولَانِي تَارَةً ثَالِثَةً شَكْلَ إِحْسَاسٍ أُولِيِّ مِنْهُ انْبَثَقَتْ وَتَطَوَّرَتْ الْأَحَاسِيسُ جَمِيعاً¹⁴⁶، وَحَضَرَ تَارَةً أُخْرَى فِي صُورَةِ "الْوَجْدِ" الَّذِي هُوَ الْحَدَثُ الْأَكْثَرُ بُدَائِيَّةً وَأُولِيَّةً وَالَّذِي تَنْتُجُ مِنْهُ الصِّيْرُورَةُ وَالْفِعْلُ¹⁴⁷. اهْتِدَاءً يَهْدِي التَّعْرِيفَاتِ، إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ بِدَقِيقِ الْعِبَارَةِ لَيْسَتْ إِذَنْ كَيْنُونَةً، وَلَا صَيْرُورَةً، وَلَا أَفَاعِلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ الْاِنْفِعَالِ الْهَوَوِيِّ أَوْ الْوُجْدَانِيِّ الَّذِي تَتَّبِعُ مِنْهُ كُلُّ صَيْرُورَةٍ وَكَيْنُونَةٍ وَقَاعِلِيَّةٍ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَهِيَ الْحَدَثُ الْأَقْصَى [النِّهَائِي] أَوْ الْمُنْتَهَى الْأَخِيرُ [الميعاد الأخير] الَّذِي لَا يُمَكِّنُنَا الْهَبُوطَ أَسْفَلَ مِنْهُ¹⁴⁸؛ حَرِيٌّ بِنَا الْاِنْتِبَاهُ أَنْ نَعُدُّدَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَى بِهَا نَيْتْشَةَ هَذِي النَّوَاةِ الْأَصْلِيَّةِ، بِمَا هِيَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ، لَا يَعْنِي أَنْ مُحْتَوَاهَا مُتَبَايِنٌ وَمُتَنَافِرٌ.

فِي مَقَامِ تَعَدُّدِ مَسَالِكِ الْإِسْفَارِ عَنْ طَبِيعَةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ - الْوَارِدَةِ تَارَةً كَمَا بَسَطْتُ أَيْفًا عَلَى أَنَّهَا اِنْفِعَالٌ وَتَارَةً أُخْرَى عَلَى أَنَّهَا هَوَوِيٌّ أُولِيٌّ¹⁴⁹ وَتَارَةً ثَالِثَةً عَلَى أَنَّهَا إِحْسَاسٌ أُولِيٌّ وَتَارَةً رَابِعَةً تَقْدِّمُ عَلَى أَنَّهَا الْإِمْرَةُ¹⁵⁰ - يَطْرُقُ مَارْتِنُ هَايدِغَرُ إِشْكَالَاتٍ عَمِيقَةً وَجَدِيرَةً بِالْاِنْتِبَاهِ صَاغَهَا عَلَى هَذَا النِّحْوِ: "أَوَلَيْسَ الْاِنْفِعَالُ وَالْهَوَوِيُّ وَالْإِحْسَاسُ وَالْإِمْرَةُ أَحْوَالًا لِلنَّفْسِ؟ أَوَلَيْسَتْ هَاتِهِ الْأَحْوَالُ مُتَقَلِّبَةً؟ ثُمَّ أَوَلَيْسَتْ هَاتِهِ الَّتِي قُدِّمَتْ كَتَوْضِيحَاتٍ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ فِي حَاجَةٍ بِحَدِّ ذَاتِهَا وَعَلَى نَحْوِ كَافٍ إِلَى تَوْضِيحَاتٍ أَوْلَا؟ وَ أَيْ شَيْءٍ أَكْثَرَ غُمُوضًا مِنْ مَاهِيَةِ الْاِنْفِعَالِ وَالْهَوَوِيِّ فَضْلًا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا؟"¹⁵¹. لَنْ نَرْضَى لِجَوَابِنَا عَنِ الْأَسْتِشْكَالَاتِ الْهَائِدِغَرِيَّةِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ طَلَبٍ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْإِيضَاحِ: رُبَّ رَفْعٍ لِلْاِلْتِبَاسِ يَنْقَشِعُ إِثْرُهُ ظُلُّ الْإِشْكَالِ، لِذَا لَا مَنَاصَ مِنْ إِزَالَةِ التَّبَاسُتِ قَدْ يُفْضِيَانِ إِلَى مُعَالِطَتَيْنِ:

الْاِلْتِبَاسُ الْأَوَّلُ: لَيْسَ الْاِنْفِعَالُ وَالْهَوَوِيُّ وَالْإِحْسَاسُ وَالْإِمْرَةُ الَّتِي تَقْدِّمُ بِهَا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ مِنْ بَعْدِ الْوَعْيِ أَوْ مِنْ نَمَطٍ مَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ بِفِعْلِ حُدُوسِ الْمَرءِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ إِدْرَاكَاتِهِ النَّظَرِيَّةِ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَيْثِيَّةٍ حَيَوِيَّةٍ وَغَرِيزِيَّةٍ تَنْدُ عَنْ الْإِدْرَاكِ الْكُلِّيِّ وَالْوَاضِحِ، وَمِنْ حَيْثِيَّةٍ أُخْرَى لَيْسَتْ ذَلِكَ الْاِنْفِعَالُ أَيْ اِنْفِعَالٌ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَتْ ذَلِكَ الْهَوَوِيُّ أَيْ هَوَوِيٌّ بِعَيْنِهِ وَلَا تِلْكَمُ الرُّغْبَةُ أَيْ رَغْبَةٌ بِعَيْنِهَا وَإِنَّمَا هِيَ جَمِيعُهَا الرَّجْمُ الْأُولِيُّ

of "its" affects; will to power is nothing other than affects, and the world is nothing other than the totality of affects at any given moment. Looking for will to power "underneath" or "behind" things or events is like looking for lightning underneath its flash. Because lightning is the flash, there is nothing underneath it, behind it, or supporting it ». p. 55.

¹⁴⁵FP, XII, 1 [59] : « Les mouvements sont des symptômes, les pensées sont aussi des symptômes : les désirs nous sont reconnaissables derrière eux, et le désir fondamental est la volonté de puissance... »

¹⁴⁶FP, X, 26 [273].

¹⁴⁷FP, XI, 40 [61]. Voir : « La volonté de puissance n'est point un être, point un devenir, mais un pathos, - elle est le fait élémentaire d'où résulte un devenir et une action... ».

" إِنَّ إِرَادَةَ الْقُوَّةِ لَيْسَتْ الْبَتَّةَ كَيْنُونَةً وَ لَيْسَتْ بَتَاتًا صَيْرُورَةً ، بَلْ وَجَدًا ، - إِنَّهَا الْحَدَثُ الْأُولِي الَّذِي عَنْهُ تَنْتُجُ الصِّيْرُورَةُ وَالْفِعْلُ " .

¹⁴⁸Ibid, XI, 40 [61].

¹⁴⁹VP, Trad. Henri Albert, § 203 : « J'émetts la théorie que la volonté de puissance est la forme primitive des passions, que toutes les autres passions ne sont que la transformation de cette volonté ».

¹⁵⁰Martin Heidegger, Nietzsche, Tome I, Trad. par Pierre Klossowski, Gallimard, 1971, p. 42

¹⁵¹Ibid, p. 42.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

الذي تَنَحَدِرُ مِنْهُ الْاِنْفِعَالَاتُ كَافَةً وَالْأَهْوَاءُ قَاطِبَةً وَالرَّغَبَاتُ قَاطِبَةً¹⁵². وَمِنْ ثَمَّ فَالْاِنْفِعَالَاتُ هِيَ التَّكْوِينَاتُ أَوْ التَّشَكَّلَاتُ الَّتِي جَرَى تَأْلِيْفُهَا اِنْطِلَاقًا مِنْ اَلْاِنْفِعَالِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ الشَّرْطِ أَوْ الرِّجْمِ الْأَوَّلِيِّ الَّذِي مِنْهُ تَنْبَثِقُ وَتَتَطَوَّرُ.

وَلَيْنَ لَمْ يُفْصَحْ نِيَتُهُ ، حَسَبَ تَأْوِيلِيَّةِ هَايْدِغَر ، عَنْ طَبِيعَةِ الْاِنْفِعَالِ بِجَلَاءٍ بَل زَادَ غُمُوضَهُ عَلَى غُمُوضِ لَمَّا مَاتَلْ بَيْنَهُ وَمَفْهُومَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا الْهَوَى وَالْإِحْسَاسُ¹⁵³ ، فَإِنَّا نَقْدِرُ أَنَّهُ كَانَ خَلِيقًا بِنِيَتِهِ أَنْ يُبْلُورَ ، بِمَا يَنْسَخُ آيَةَ الْغُمُوضِ ، طَبِيعَةَ الْاِنْفِعَالِ عَلَى الصَّعِيدِ الْأُونُطُولُوجِيِّ اللَّاَوَاعِي أكَانَ ذَلِكَ عَلَى مُسْتَوَى الْجَوْهَرِ كَمَا فِي الْاِنْفِعَالِ الْأَوَّلِيِّ¹⁵⁴ أَمْ عَلَى مُسْتَوَى الصِّفَاتِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْاِنْفِعَالَاتِ الْجُزْئِيَّةِ الْمُشْتَقَّةِ وَغَيْرِ الْوَاعِيَةِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلِيَّ بِنِيَتِهِ أَنْ يُوضَحَ الْأَسَاسُ وَالْمَبْدَأُ الْمَفْسَّرَ عَلَى تَوْضِيحِ الصَّعِيدِ الْأُونُطِيْقِيِّ الْوَاعِي الْمَفْسَّرِ ، بِمَا هُوَ مُسْتَوَى الْأَحْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ ، الَّذِي يَتَأَسَّسُ وَيُفَسَّرُ بِمُقْتَضَى الصَّعِيدِ الْأَوَّلِ ؛ لَكِنْ مَا عَسَى نِيَتُهُ أَنْ يَفْعَلَ وَمَا حِيلَتْهُ وَهُوَ الَّذِي أَتَقَنَّ قَبْلَ تَعْقِيْبِنَا هَذَا عُسْرَ اِكْتِنَاهِ هَذَا الْمَجْهُولِ الْأُونُطُولُوجِيِّ بِاعْتِبَارِهِ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ ، وَهَذَا الْاِعْتِيَاضُ عَلَى الْاِنْعِطَاءِ الْمَفْهُومِيِّ هُوَ ذَا مَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ الشَّدْرَةُ الَّتِي كُتِبَتْ بَيْنَ خَرِيف 1985م وَرَبِيع 1886م الَّتِي أَفْصَحَتْ عَنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ تَحْتَ اسْمِ "الْمَجْهُولِ" حَيْثُ عَدَّ الْعَالَمَ الْمَادِيَّ بِرُمْتِهِ عَقِبَ ذَلِكَ غَلَامَةً وَعَرَضًا مُتَحَرِّكًا لِحَرَكَةِ مَجْهُولَةٍ ، وَجَعَلَ كُلَّ الْبُعْدِ الْوَاعِي وَالْبُعْدَ الْمَحْسُوسَ عَرَضًا وَأَمَارَةً بِدَوْرِهِمَا لِهَذَا الْمَجْهُولِ ؛ يُعَبَّرُ نِيَتُهُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "كُلُّ مَا هُوَ مَادِيٌّ صِنْفٌ مِنْ عَرَضٍ يَتَحَرَّكُ لِحَرَكَةِ مَجْهُولَةٍ: كُلُّ مَا هُوَ وَاعٍ وَمَحْسُوسٌ هُوَ بِدَوْرِهِ عَرَضٌ لِمَجْهُولٍ. وَالْعَالَمُ الَّذِي يُفْهَمُ [يَدْرُكُ] تَحْتَ هَذَيْنِ الشَّكْلَيْنِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْآخَرَى كَذَلِكَ"¹⁵⁵.

شَفَّ هَذَا الْمَوْرِدُ عَنْ وُغُورَةِ النَّفَازِ إِلَى مَائِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، فَبَيَّنَهَا وَالْفُهْمُوعُ أَعْرَاضُ أَوْ حُجُبٌ وَأَقْنَعَةٌ تَحُولُ دُونَ فَضْحِ سِرِّهَا الْمَكْنُونِ. لَكِنْ هَذَا لَا يَحْجُرُ عَلَيْنَا التَّدْرَجَ فِي مُسْتَوَى التَّحَقُّقَيْنِ ؛ الْأُونُطُولُوجِيِّ وَالْأُونُطِيْقِيِّ ، لِتَذْلِيلِ مَا أَمَكَّنَ مِنَ الْعُسْرَةِ وَتَبْيِيدِ مَا تَبَسَّرَ مِنَ الْإِبْهَامِ. تَقُومُ أَطْرُوحَتُنَا عَلَى بَيَانِ مُسْتَوَيَاتِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الطَّفَرُ بِقَدْرِ مِنْ بَادِيهَا وَخَافِيهَا إِذَا لَمْ تُرَاعَ فُرُوقُ تَجَلِّيَاتِهَا ، وَإِذَا لَمْ نَسْتَوْعِبِ الْبَيْنُونَةَ بَيْنَ الْمُسْتَوَى الْمَفْسَّرِ بِمَا هُوَ الْمَرْجِعُ الذَّرِيُّ الَّذِي إِلَيْهِ تَوُوبُ الظَّوَاهِرِ وَالْمُسْتَوَى الْمَفْسَّرِ بِمَا هُوَ الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي تُخْتَرَلُ فِيهِ وَتَرُدُّ إِلَيْهِ ؛ وَمُرَاعَاةً لِهَذِهِ الْبَيْنُونَةِ لَا بَدَّ مِنَ الْمَيِّزِ بَيْنَ مُسْتَوَيَيْنِ مِنَ الرَّدِّ عَلَى الْأَقْل: أَوَّلًا- إِرْجَاعُ مَا يُسَمَّى غَالِبًا بِالْمَجَالَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأَسَاسِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْعُضْوِيَّةِ ، كَمَا تَتَكَشَّفُ فِي

¹⁵²Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p.20

¹⁵³Martin Heidegger, Nietzsche, Tome I, p. 47

¹⁵⁴قد يشفع لنيته عدم توضيحه عينية إرادة الاقتدار قَوْلُهُ بِأَنَّهَا ذات طبيعة سيّالة ومائعة وغير قابلة للإمساك.

FP, XI, 40 [53] : « Le nom précis pour cette réalité serait la volonté de puissance ainsi désigné d'après sa structure interne et non à partir de sa nature protéiforme, insaisissable, fluide ».

لكن إن كان الأمر كذلك ، فإنه هنا يقع في متناقضين "الشيء في ذاته" ، فضلاً عن تناقض العبارة ، إذ قيض لشيء يقول عنه إنه غير قابل للإمساك (طبيعة إرادة الاقتدار) ثلاثة محمولات.

¹⁵⁵FP, XII, 1 [59] : « Tout le matériel est une sorte de symptôme en mouvement d'un événement inconnu : tout le conscient et le senti est à son tour symptôme de inconnus. Le monde qui se fait entendre à nous sous ces deux formes pourrait avoir beaucoup d'autres symptômes encore ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

الأنفس الثلاثة الأرسطية ، باعتبارها الإحساس ، الإرادة ، التفكير ، إلى منطقة الاندفاعات الغريزية ، ثم رد هذه بدورها في الختام إلى الغريزة الأصلية باعتبارها إرادة الاقتدار¹⁵⁶ التي تُعبر عن العالم منظوراً إليه من الباطن¹⁵⁷ ؛ بيد أن هذي المستويات لا تتعلّق إطلاقاً بتعددية على مستوى الماهية¹⁵⁸ وإنما تندرج كلها في الماهية نفسها اندراجاً تكون المستويات بناءً عليه تجلياً للماهية ذاتها وتعبيراً عنها ليس إلا.

الالتباس الثاني: فإذا عدّ هايدغر الانفعال والهوى والإحساس ، بوصفها مقولات جرى تقديمها من قبل نيتشه لتوضيح ماهية إرادة الاقتدار ، غير متعلّقة بعلم النفس [الاستبطاني] ولا بعلم النفس المؤسّس على الفيزيولوجيا والبيولوجيا وإنما حسّب تأويلته ثولف ضروباً أساسية يقوم عليها الإنسان من حيث هو الكينونة هناك *être-là* ، يعني ضروباً تبعاً لها يتحمّل الإنسان "هناك" باعتباره ما يجسّد "ال-حواليه" وطبقاً لها ينفعل بالمكشوف والمخبوء من الكائنات التي يهتم ويرتبط¹⁵⁹ . فإن تأويلتنا تخلد إلى أن هاته المقولات الثلاثة تُعدّ ضروباً أساسية ، ضمن غيرها من المقولات كالفكر والإرادة ، لا تتعلّق حصراً بالإنسان وإنما هي حسّب ما نطقّت به الشذور الناطقة مقولات أونطولوجية غريزية تُتبع في بطون كل الموجودات. فلا جرم أن تحضر في العالم اللاعضوي¹⁶⁰ ، وتحلّ ، فضلاً عن ذلك ، في العالم العضوي¹⁶¹ الطافح بالحراك والحيوية.

فإرادة الاقتدار جرى على ذلك كيان مُعقّد يستمدّ غناؤه من هذي الفاعليات الأنطولوجية (انفعال ، هوى ، إحساس) التي يتقوم بها العالم اللاعضوي والعالم العضوي سواءً بسواء ، ولا ضير إن حسبناها خاصيات أونطولوجية ثولف على نحو خلّاق جملة من السيروورات البديعة تصطبّعها القوى المركبة والهوجاء التي لا تنفك تصول ولا تبرح تجول مشكّلة في الختام مسارح وصروح وسيناريوهات فريدة يعزّ عليها أن تخلد زمناً مديداً وقلماً تتكرّر كرتين. لا ظلّ للريب عندنا على كون إرادة الاقتدار مفهوماً اشتقه نيتشه مباشرة من العالم الفسيح لعلم النفس المؤسّس على الفيزيولوجيا والبيولوجيا¹⁶² ، وليست إثر

¹⁵⁶Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 20.

¹⁵⁷PBM, Trad. Henri Albert, § 36.

¹⁵⁸Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 21.

¹⁵⁹Martin Heidegger, Nietzsche, Tome I, p. 47.

¹⁶⁰أفلم يطبع نيتشه العالم اللاعضوي بالإحساس والإدراك والوعي والإرادة ، واسماً العالم الكيميائي بهذا كله ، ينظر بهذا الصدد : FP, XI, 35 [53], 35 [58], 35 [59].

يقول بيير مونتيبيلو : " كل هاته النصوص تُجيز أن نلمح [أن نتأمل] انولاج الفكر ، الإحساس و الإرادة في الطور [الصعيد] اللاعضوي ، و هي دليل واف على أن إرادة الاقتدار تشق طريقها [تجتاز ، تقطن في] في العضوي و اللاعضوي بالطريقة نفسها " . « Tous ces textes nous autorisent à envisager l'immersion de la pensée, de la sensation et de la volonté dans la strate inorganique, prouve suffisante que la volonté de puissance traverse de la même manière l'organique et l'inorganique ». Voir Pierre Montebello : Nietzsche la volonté de puissance, Edition PUF, 2001, p. 99.

¹⁶¹FP, X, 27 [19] .

¹⁶²قراءتنا هاته تقترب قليلاً من قراءة والتر كوفمان في مؤلف "نيتشه : الفيلسوف ، السيكلوجي ، ونقيض المسيح" ، إذ يقر بأن إرادة الاقتدار تمثل تعميماً تجريبياً ، نظراً لأن نيتشه لاحظ ملياً السلوك البشري فوقع في قرارة نفسه أنه من الجائر تفسير بل من الصائب تأويل الجانب الأعظم منه على أنه يصبو باستمرار نحو الاقتدار ، وأنذ هم إلى تعميم هذا التصور على كل الفعل الإنساني ، ثم على

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

ذَلِكَ نِتَاجًا لِتَأَمَّلَاتٍ فَلَسَفِيَّةٍ صُرْفَةٍ وَيُؤَافِقُنَا فِي مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ الشَّارِحُ أَرْنُولْد كِينُوا الَّذِي عَدَّ السِّيكُولُوجِيَا الْأَخِيرَةَ الَّتِي تَبَنَّاها نِيْتَشَةُ نَوْعًا مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّ¹⁶³، أَيْ أَنَّهَا نِتَاجٌ لِمُلاحَظَاتِهِ وَقَرَاءَاتِهِ الْكَثِيرَةِ لِهَاتِهِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالتَّجْرِبِيَّةِ عَلَى الْخُصُوصِ¹⁶⁴ مَقْرُونَةً بِمَا شَاهَدَهُ فِي التَّجْرِبَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ جِهَةِ سُلُوكِهَا الطَّبِيعِيِّ وَنُزُوعِهَا الْغَرِيزِيِّ، فَاسْتَخْلَصَ مِنْهَا مَا حَسِبَهُ حَوَاصًا لَا انْفِكَالًا لِكَائِنٍ مِنْهَا.

لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ نِيْتَشَةَ لَا يُجَارِي فِي مَا يَنْحُو إِلَيْهِ مِنْ رُؤْيٍ فَلَسَفِيَّةٍ مَعْنَى بِمَعْنَى دَيْدَنْ ذَيْنَكَ الْعِلْمَيْنِ [علم النفس وعلم البيولوجيا] فِي تَصَوُّرِهِمَا لِجُمْلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَهْتَمُّ بِهَا، وَإِنَّمَا يَنْقَرِدُ بِتَأْوِيلٍ فَرِيدٍ وَمَدَاخِلٍ مُسْتَجَدَّةٍ وَمَخَارِجٍ مُحْدَثَةٍ فِي نَوْعٍ مِنَ الْفَهْمِ الْأَصِيلِ الَّذِي يُخَالِفُ بِهِ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَسَائِلِ مُسَلَّمَاتٍ كَثِيرَةً مُتَوَاتِرَةً لَدَى النَّفْسَانِيَّينِ وَالْفِيْزِيُولُوجِيَّينِ وَالْبِيُولُوجِيَّينِ عَلَى السَّوَاءِ. وَالْحَالُ أَنَّ هَذَا النُّزُوعَ النَّفْسَانِيَّ الْمُجَدَّرَ فِي عِلْمٍ وَظَائِفِ الْأَعْضَاءِ وَعِلْمِ الْأَحْيَاءِ هُوَ مَا لَمْ يَنْتَبِهْ إِلَيْهِ هَايْدِغَرُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَوَّلِينَ النِّيْتَشَوِيِّينَ حَتَّى أَنَّ الْفِيلَسُوفَ أُوجِينَ فِينَكَ فِي قِرَاءَتِهِ اللَّامِعَةِ لِنِيْتَشَةَ عَدَّ هَذَا الْمَظْهَرَ النَّفْسَانِيَّ مِنْ كِتَابَاتٍ نِيْتَشِهِ مُتَكَلِّفًا وَأَرْدَفَ قَائِلًا: "لَقَدْ امْتَّازَ نِيْتَشَةُ بِمِيزَةٍ مَشْكُوكٍ فِيهَا وَهِيَ أَنَّهُ مُبْتَدِعُ نَوْعٍ فَرِيدٍ مِنْ هَذَا السِّيكُولُوجِيَا الْمَصْنُوعَةِ الَّتِي تُفَسِّرُ الْأُمُورَ مِنْ أَسْفَلِهَا. وَلَقَدْ نَالَهَا الْمَدْحُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَكَانَتْهَا فَتْحٌ عَظِيمٌ. غَيْرَ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَبْدُو مَظْهَرًا مَخْضُوعًا لِمُغَالِطٍ مِنْ أَثَارِ نِيْتَشَةِ". وَيَسْتَرْسُلُ قَائِلًا "وَفِي الْغَمَقِ لَيْسَ لَهَا صِلَةٌ بِفَلَسَفَتِهِ"¹⁶⁵. وَعَلَى الْقَيْضِ مِنْ تَيْتِكَ الْقِرَاءَتَيْنِ الْأَلْمَانِيَّتَيْنِ وَمَنْ نَسَجَ عَلَى مَنَوالِهِمَا نَلْفِي أَنَّ هَذِهِ النَّفْسَانِيَّةَ بِالذَاتِ هِيَ مَا أَلَحَّ عَلَيْهِ بَاتَرِيكُ فُولْتِينْغَ فِي مُؤَلَّفِهِ: "الْفِكْرُ السِّرْدَايُّ: قِرَاءَةُ نِيْتَشَةِ"، وَعَلَى خُطَى هَذَا التَّأَكِيدِ سَارَ مِنْ قَبْلُ وَالتَّرْكَوْفَانِ¹⁶⁶.

السلوك الحيواني، وفي الختام طبقه على الكون بأسره. يَبْدُ أَنَّ كُوفْمَانَ رَفَضَ عَلَى نَحْوِ قَاطِعٍ هَذَا التَّعْمِيمَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْبَعْدَ السِّيكُولُوجِيَّ إِلَى الْبَعْدِ الْكُوسْمُولُوجِيَّ. صص 204-207.

Walter Kaufman, Nietzsche, Philosopher, psychologist, antichrist, Princeton, New-Jersey, Princeton University Press, 1974.

¹⁶³Armand Quinot, Nietzsche, philosophe de la valeur : contribution à l'histoire de l'axiologie, Société française d'études nietzschéennes, 1956, p. 16. See Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, p. 121 : « However, Nietzsche's argument that Boscovich's appeal to force must be supplemented by an inner will (WP, 619 KSA 11 : 36 [31]) reflects the influence of the biological sciences on his thinking and his view that biology and physics can be explained according to a unifying metaphysical principle. In BGE, 36, for example, Nietzsche describes the will to power as the essence of both biological life and 'mechanical events'. Nietzsche's appeal to the biological sciences in the nineteenth century sees him adopt what he describes as a non-Darwinian form of evolutionary theory that supports his appeal to an intrinsic nature of force in response to both Hume and Kant ».

¹⁶⁴Karl Schlechta, Le cas de Nietzsche, Trad. André Coeuroy, Gallimard, pp. 26-27-28.

¹⁶⁵Augine Fink, La philosophie de Nietzsche, Edition de Minuit, Paris, 1966, p. 58 : « Nietzsche bénéficie du privilège douteux d'être le créateur d'une espèce particulière de cette psychologie raffinée qui explique ab inferiori. De tous les cotés on la vante comme conquête considérable. à nous, elle apparait comme l'aspect tout simplement sophistique de l'œuvre nietzschéenne, et qui au fond n'a pas de rapport avec sa philosophie ».

¹⁶⁶Patrick Wolting, Pensée du sous-sol, lire Nietzsche, Edition Allia, Paris, 1999, pp. 14-13.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصرف الوجود إلى الجمع

وأما نحن فلا تتجاذبنا الطنون في الطابع النفساني لتحليلات نيتشه وهو ما تنصرت عليه البينات؛ أولم يعد نيتشه قارئاً جيداً من يقف على هذا الطابع النفساني الاستثنائي لكتابات جاعلاً ممن أتاح له ذائقته استعمار هذا النفساني الفذ - الذي يتوارى خلف وفي تضاعيف شذراته - علامة كبرى على قيام القراءة الجيدة لديه؛ يقول في "هو ذا الإنسان": "من خلال كتاباتي يتحدث نفساني لا نذ له [لا نظير له، استثنائي، خارق للعادة]، وقد يكون هذا أول ما يلحظه قارئ جيد [قارئ حصيف]. قارئ من الصنف الذي أستحق، يقرؤني مثلما كان يقرأ في غابر الأزمان فقهاء اللغة [أو قدماء فقهاء اللغة] الجيدون هوراسهم [من هوراس]".¹⁶⁷ ما نود أن نؤكد هنا هو أن الجانب النفساني من حيثية طابعه الغريزي وحده المنطلق الأول المغطى لنا والذي وثب نيتشه انطلاقاً منه إلى استنباط مائية الخواص الأونطولوجية ومن ثمت عمداً إلى تعميمها على ما هو غير مغطى من حيث هو العالم العضوي برمته [مملكة النبات والحيوان] والعالم غير العضوي بآجمعه، وهذا ما سيتوثق بالدليل وبمزيج من التفصيل في الصفحات القادمة. لشدما قامت هذي السيكولوجيا النيتشوية على الفيزيولوجيا والبيولوجيا؛ وهي أوجه دالة تكتنف فلسفة نيتشه من أولها إلى آخرها، لذا لا مندوحة من أن نعد من ناحية المصدر العلمي الذي اعترف منه فيلسوفنا العديد من الأطروحات ومن ناحية التوظيف الفلسفي المغطى الوحيد الذي يمكن لنا أن نوسع وفقاً له وأن نقيس ارتكازاً إليه العالم في مجموعته.

المبحث الثاني: الوجود من منظور أونطولوجيا العلاقة بين انفعال الطبايع واستحصال التوافع

ليس بدعاً، بناءً على ما سلف، أن نميز ابستمولوجياً إرادة الاقتدار بوصفها بنية جوانية من ظواهرها التي تعد تعبيراً عنها أو تخارجاً منها Exteriorisation، لكن هذا التمييز لا يدل بأي حال من الأحوال على انشطار أونطولوجي طبعي بينهما. لا يتمارى عارف بصوص نيتشه في استحالة الإمساك بإرادة الاقتدار "في ذاتها" لكونها في هذه الحالة مستقصية على الإدراك ولقي حجاب عن قدرة الأفهام¹⁶⁸، وتبعاً لذلك لا مراغ لنا عن الاسترسال في الحديث عن تجليها الحيوي الجزئي الذي يحضر النزر القليل منه إلى شبكة الوعي، ولا معدل عن الاطراد في إبانة تجليها الثاني الذي يمثل أيضاً الجزء الأكبر منه في حذقة الوعي، على أن يكون التبيين النظري للتجلي الأول إنعاماً للنظر في إرادة الاقتدار من الباطن في

¹⁶⁷EH, Comment on devient ce qu'on est, Trad. par Eric Blondel, Œuvres, Edition Flammarion, Pourquoi j'écris de si bons livres, § 5 : « _ que, par mes écrits, parle un psychologue hors pair, c'est peut-être la première chose qu'aperçoit un bon lecteur _ un lecteur comme j'en mérite, qui me lit comme les bons philologues jadis lisaient leur Horace ».

ثمة ترجمة أخرى لألكسندر فيالت Alexandre Vialatte تستعيب عن عبارة قارئ جيد بعبارة قارئ جاد [وقور ، مسئول].
« C'est un psychologue sans égal qui s'exprime dans mes écrits; voilà peut-être la première conclusion à laquelle arrive un lecteur sérieux ».

¹⁶⁸FP, XI, 40 [53] : « Le nom précis pour cette réalité serait la volonté de puissance ainsi désigné d'après sa structure interne et non à partir de sa nature protéiforme, insaisissable, fluide ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الوُجُودِ إِلَى الجَمْعِ

حينَ أنَّ المُعَايَنَةَ النَّظَرِيَّةَ لِلتَّجَلِّيِ الثَّانِي تَأْمُلُ فِيهَا مِنَ الْخَارِجِ [الخَارِجِيَّةُ هُنَا تَفِيدُ تَجَلِّيًّا مِنْ دَرَجَةٍ ثَانَوِيَّةٍ] (إِنْ جَازَ هَذَا التَّعْبِيرُ الإِجْرَائِيَّ)، مَا دَامَ أَنَّهُ عَرَضُ لِلتَّجَلِّيِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُؤَسِّسُهُ. وَبِمُنَاسَبَةِ هَذِهِ الْبَيْنُونَةِ الْاِعْتِبَارِيَّةِ بَيْنَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ فِي مَاهِيَّتِهَا وَتَجَلِّيَّاتِهَا رَأَيْنَا عَلَى غِرَارٍ مَا فَعَلَهُ الشَّارِحُ بِيَرِ مونتِييلو أَنَّ نَصُوعَ هَذَا السُّؤَالِ الْمُهْمِ: إِلَّا مَ تَحْتَاجُ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ كَيْ تَتَجَلَّى وَتَتَأَلَّقَ؟ وَالْجَوَابُ الَّذِي نُسَوِّقُهُ إِلَيْهِ الْأَمَارَاتُ النَّصِيَّةُ الْجَلِيَّةُ هُوَ أَنَّهَا لَفِي عَوِزٍ كَيْ يَكُونَ لَهَا ذَلِكَ إِلَى الْمُتَعَدِّدِ الَّذِي هُوَ مَا يَوْسَاطِيهِ تَتَجَلَّى الْعِلَاقَةُ الْبَاطِنِيَّةُ بِاعْتِبَارِهَا إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ دُونَ أَنْ يَسْبِقَهَا أَوْ يَلْحَقَهَا¹⁶⁹ هَذَا التَّعَدُّدُ. يُفِيدُ هَذَا أَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ لَا تُسْفِرُ عَنْ ذَاتِهَا فِي مُسْتَوَاهَا الْأَوْنُطُولُوجِيِّ كَمَا فِي شَتَّى الْاِنْفِعَالَاتِ وَالْعَرَائِزِ الْهَوْجَاءِ وَالْجُزْئِيَّةِ وَكَذَلِكَ لَا تَتَكَشَّفُ فِي مُسْتَوَاهَا الْأَوْنُطِيْقِيِّ بِمَا هُوَ تَجَلٍّ لِلتَّجَلِّيِ الْأَوَّلِ إِلَّا بِوَصْفِهَا عِلَاقَةً بَيْنَ قُوَّتَيْنِ عَلَى أَدْنَى تَقْدِيرٍ تَتَبَادَلَانِ التَّأْثِيرَ حَيْثُ تَفْعَلُ إِحْدَاهَا فِي الْأُخْرَى سَجَالاً¹⁷⁰، وَلَكِنْ مِنَ الْجَلِيِّ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِهَذَا الْفِعْلِ الْمُبَادِلِ وَلَا لِهَذَا التَّدَاوُعِ الْمُتَوَاطِئِ أَنْ يَكُونَ دُونَ قَابِلِيَّةِ التَّأَثُّرِ الَّتِي تَجْعَلُ تَعَالُقَ قُوَّتَيْنِ أُمُراً مُمَكِّناً، وَهَذِي الْقَابِلِيَّةُ لَا نَرَاهَا مَنُوطَةً إِلَّا بِالْاِنْفِعَالِ نَفْسِهِ، وَلِهَذَا لَا عَرُوفٍ فِي أَنْ تَظْهَرَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ عَلَى نَحْوِ اِنْفِعَالِيٍّ (فِي صُورَةِ اِنْفِعَالٍ)¹⁷¹.

مُبَرَّرَاتٌ عَدِيدَةٌ تَحْدُونَا عَلَى الْحَذَرِ مِنْ تَأْوِيلِ بِيَرِ مونتِييلو الَّذِي جَعَلَ التَّعَدُّدَ بِوَصْفِهِ عِلَاقَةً شَرْطَ إِمْكَانٍ أَيْ قَابِلِيَّةٍ لِلْاِنْفِعَالِ أَوْ شَرْطَ إِمْكَانٍ أَيْ قَابِلِيَّةٍ لِلرَّغْبَةِ¹⁷²، مِنْهَا أَنَّ التَّعَدُّدَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ كَمَا يَحَالُ إِلَيْنَا لَا يَلْزَمُ مِنْهُ وَجُوبُ الدُّخُولِ فِي عِلَاقَةٍ، إِذْ يُمْكِنُ وَلَوْ بِشَقِّ الْاِنْفِئْسِ أَنْ نَتَّصَوَّرَ تَعَدُّدًا دُونَ تَفَاعُلٍ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ بِاِنْعِرَازٍ أَحَدٍ عَنَاصِرِهِ، لَكِنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّصَوَّرَ تَفَاعُلًا عِلَاقِيًّا مِنْ غَيْرِ "قَابِلِيَّةٍ لِلْاِنْفِعَالِ" بِالْأَغْيَارِ وَهَذَا مَا نَطَقْتُ بِهِ الشَّدْرَةُ الَّتِي اسْتَشْهَدَ كِلَانَا بِهَا لَكِنْ مِنْ دُونَ أَنْ يَجْسَّ نَبْضُهَا كَمَا يَنْبَغِي؛ إِذْ جَاءَتْ لِتُؤَكِّدَ مَا طَرَحْنَاهُ وَمَا تَقَدَّمْنَا بِهِ وَلِهَذَا عَقَدْنَا الْعَزْمَ عَلَى الْمُضِيِّ فِي جَعْلِ الْقَابِلِيَّةِ لِلْاِنْفِعَالِ الْبَابَ الْمُنَاسِبَ لِفَهْمِ عِلَاقِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ، وَهِيَ هِيَ ذِي الشَّدْرَةُ الْمُسْتَدَلُّ بِهَا تُعْرَبُ قَائِلَةً: "كَيْمَا يَكُونُ بِمُسْتَطَاعِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ أَنْ تَتَكَشَّفَ فَلَا بَدَّ لَهَا أَنْ تَشْعُرَ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي تَجْذِبُهَا؛ أَنْ تُحْسِنَ حِينَهَا يَقْتَرِبُ مِنْهَا شَيْءٌ إِذَا كَانَ قَابِلًا لِلتَّمَثُّلِ [لِلْاِسْتِيْعَابِ]"¹⁷³؛ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ ذَلِكَ يَبْقَى الْفَصْلُ فِي أَيِّمَا أَسْبَقَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْوُجُودِيَّةِ وَالنَّشُوءِيَّةِ التَّعَدُّدُ أَوْ الْاِنْفِعَالُ مِمَّا دُونَهُ خَرُطُ الْقِتَادِ.

¹⁶⁹Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 36.

¹⁷⁰Ibid, p. 23.

¹⁷¹VP, Trad. Henri Albert, § 203 : « J'émetts la théorie que la volonté de puissance est la forme primitive des passions, que toutes les autres passions ne sont que la transformation de cette volonté ». Voir FP, XIV, 14 [82] : « Que la volonté de puissance est la forme primitive de l'affect, que tous les Autres affects n'en sont que des développements ». Voir Martin Heidegger, Nietzsche, Tome I, pp. 46- 47-49.

¹⁷²Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 24.

¹⁷³FP, XI, 34 [247] : « Voilà le fait fondamental... que, pour que cette volonté de puissance puisse se manifester, il lui faut percevoir les choses qu'elle attire ; qu'elle sente, lorsque quelque chose l'approche, si cela lui est assimilable ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الوُجُودِ إِلَى الجَمْعِ

مَعَ ذَلِكَ يُمَكِّنُنَا التَّوْفِيقُ أَوْ الجَمْعُ فِي سِيَاقِ الكَلَامِ عَنْ طَبِيعَةِ إِرَادَةِ الاقْتِدَارِ بَيْنَ التَّعَدُّدِ وَالْقَابِلِيَّةِ لِلانْفِعَالِ بِهَذَا النُّحُو: إِنَّ التَّعَدُّدَ الَّذِي تَنْفَتِحُ كُلُّ عُنَاوَرِهِ عَلَى بَعْضِهَا بِوَاسِطَةِ الْقَابِلِيَّةِ لِلانْفِعَالِ بِالْأَغْيَارِ هُوَ مَا يَجْعَلُ إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ إِمَّا عِلَاقِيَّةً أَوْ طَوَلُوجِيَّةً وَإِمَّا لَا تَكُونُ إِطْلَاقًا؛ وَتَبَعًا لِذَلِكَ فَلَا مَنَاصَ لِإِرَادَةِ الاقْتِدَارِ كَيْ تَظْهَرَ وَتَتَوَسَّعَ فِي فُضَائِهَا الْحَيَوِيِّ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِلَاقِيَّةً، عَلِمًا أَنَّ السَّعَةَ الْانْفِعَالِيَّةَ لِلْقَوَى، بَعْدَهَا وَمَدَاهَا، تَنْتُجُ ارْتِكَازًا إِلَى هَذِي الْعِلَاقَةِ الْجَوَانِيَّةِ لِإِرَادَةِ الاقْتِدَارِ، أَيْ أَنَّ دَرَجَاتِ الْقَوَى لَا تَتَحَدَّدُ انْطِلَاقًا مِنْ قُوَّةٍ مَا بِمَعْرِزٍ عَنِ الْقَوَى الَّتِي تَتَعَالَقُ مَعَهَا¹⁷⁴ وَهَذَا مَا أُوجِبَ عَلَى نَيْتِشِهِ أَنْ يَنْحَتَ فِي مَوَارِدٍ عَدِيدَةٍ صِيَاجَاتٍ تُشَدِّدُ عَلَى الطَّابَعِ الْعِلَاقِيِّ لِلْوُجُودِ، وَمِنْ ثَمَّ لِلْحَيَاةِ، مِنْهَا هَذَا الشَّاهِدُ الَّذِي جَهَرَ فِيهِ: "إِنَّ إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ لَيْسَ فِي وَسْعِهَا أَنْ تَظْهَرَ إِلَّا بِالتَّعَالُقِ مَعَ الْمُقَاوِمَاتِ، إِنَّهَا تَبْحَثُ عَمَّا يُقَاوِمُهَا"¹⁷⁵؛ بَلْ لَشَدَمًا نَزَا نَيْتِشُهُ إِلَى جَعْلِ كَلَامٍ مِنَ الْهَيْمَةِ وَالْمُقَاوِمَةِ، مِنْ حَيْثُ هُمَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ تَعَدِّي وَتَطَاوُلِ قُوَّةٍ عَلَى قُوَّةٍ أُخْرَى، شَرْطًا لِأَيِّ ضَرْبٍ مِنَ التَّحَوُّلِ، لِذَا لَا مُشَاحَةَ مِنَ الْقَوْلِ إِنَّهُ: لَا تَحَوُّلٌ إِلَّا فِي سِيَاقِ تَعَالُقِ قَوَى¹⁷⁶.

وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ طَبَقًا لِلْأَوْنُطُولُوجِيَا الْعِلَاقِيَّةِ إِلَّا وَكَانَ مُعَبَّرًا عَنْ دَرَجَتِي التَّقَوِّي وَالْمُقَاوِمَةِ مِنْ حَيْثُ هُمَا دَلِيلٌ عَلَى الْمُنَافَحَةِ وَالْمُدَافَعَةِ، الْمُنَازَعَةِ وَالْمَمَانَعَةِ، وَلَا ضَيْرَ ابْتِغَاءِ التَّيْسِيرِ إِنْ صُغْنَا ذَلِكَ صِيَاجَةً حَسَنَةً فِي مَقَادِيرِ حِسَابِيَّةٍ أَوْ فِي صِيغِ قَانُونِيَّةٍ، لَكِنْ دُونَ أَنْ نَغْفَلَ طَرَفَةً عَيْنٍ عَنْ كَوْنِ سَرِيَانِ الْعَالَمِ لَا يَتَّبِعُ أَيَّ قَانُونٍ أَوْ نِظَامٍ قَارٍ نَظَرًا لِاسْتِخْرَاجِ كُلِّ اقْتِدَارٍ فِي كُلِّ أَنْ مَفْعُولُهُ وَنَتِيجَتُهُ الْنَهَائِيَّةِ¹⁷⁷، بَيِّدَ أَنَّهُ ثَمَّةُ إِمْكَانٍ وَاحِدٍ حَسَبَ نَيْتِشِهِ لِتَحْدِيدِ مِقْدَارِ الاقْتِدَارِ، وَذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مُزْدَوِجٍ: مِنْ طَرِيقِ الْأَثَرِ الَّذِي يُنْتِجُهُ وَالْمُقَاوِمَةِ الَّتِي يَمَارِسُهَا، أَيْ انْطِلَاقًا مِنَ الْفَاعِلِيَّةِ وَالْمَفْعُولِيَّةِ اللَّذَيْنِ هُمَا عَلَامَةٌ عَلَى قُوَّتَيْنِ عَلَى الْأَقْلِ تَتَصَادَمَانِ فِي عِلَاقَةٍ مُحَدَّدَةٍ؛ مَا يَعْنِي تَعَدُّرَ تَصَوُّرِ غِيَابِ الْمُبَالَاةِ فِي عَالَمٍ

¹⁷⁴Voir FP, XIV, 14 [79] : « Éliminons ces ajouts : il ne reste alors pas de « choses », mais des quanta dynamiques, dans un rapport de tension avec tous les autres quanta dynamiques : dont l'essence réside dans leur relation avec tous les autres quanta, dans leur « action » sur ceux-ci » Voir FP, XIV, 14 [93] : « La quantité de puissance détermine quel être a l'autre quantité de puissance ».

¹⁷⁵FP, XII, 9 [151] : « La volonté de puissance ne peut se manifester qu'au contact de résistances : elle recherche ce qui lui résiste ».

¹⁷⁶VP, Trad. Henri Albert, § 296 : « Retranscrivons l'idée de "cause" dans la seule sphère qui nous soit connue et d'où nous l'avons prise et nous ne pourrions imaginer aucun changement, où il n'y ait volonté de puissance. Nous ne saurions trouver l'origine d'une transformation s'il n'y a pas empiètement d'une puissance sur une autre puissance ».

¹⁷⁷FP, XIV, 14 [79] : « Le degré de résistance et le degré de supériorité, c'est de cela qu'il s'agit dans tout ce qui se produit : si nous, par commodité de calcul, savons l'exprimer à notre usage sous forme de « lois », tant mieux pour nous ! Mais ce n'est pas parce que nous l'imaginons obéissant à des règles que nous aurons mis de la « moralité » dans le monde - Il n'y a pas de loi : chaque espèce, à chaque instant, tire son ultime conséquence ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحِدِيَّةِ المَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

الِقْوَى مَا دَامَ الْانْفِعَالُ بِالْأَعْيَارِ مِنْ طَبِيعَةِ عِلَاقِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ¹⁷⁸ ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِحَالَةِ التَّجَرُّدِ مِنْ الْأَسْتِجَابَةِ لِلْمُبْهَاتِ الْحَثِيثَةِ فِيمَا بَيْنَ الْقَوَى. وَهَذِي الْانْفِعَالِيَّةُ بِالْأَعْيَارِ فِي شَكْلِ رَغَبَاتٍ فِي الْغُفِّ عِنْدَ بَعْضِ الْقَوَى وَرَغَبَاتٍ صَدِّ وَمُقَاوَمَةٍ عِنْدَ بَعْضِهَا الْآخَرِ ، تَتَرَامَى ، عَلَى صَعِيدِ هَذَا الْمَقَامِ الْمُتَوَتَّرِ ، إِلَى ارْتِفَاعِ أَيْ دَوْرِ رِئِيسِي لِحِفْظِ الذَاتِ بِمَعْنَاهُ الْاِسْبِينُوزِي وَالْدَارُوينِي ؛ ذَلِكَ أَنَّ مِنْ مُوْجِبَاتِ دِينَامِيكَا الرَبْدَةِ انْطِبَاعَ ظُهُورِ الْكَيْنُوتَةِ وَبُطُونِهَا بِالْانْفِعَالِيَّةِ وَالتَّدَاوُعِ ، فِي حِينِ أَتْنَا نَقْعَ بِمَعْيَةِ التَّصَوُّرِ التَّجْرِيدِي فِي نَقِيصَةِ الْإِغَاءِ الْخَوَاصِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْعَالَمِ وَمِنْ ثَمَّ تَجْرِيدُهُ مِنْ مُمَيَّزَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْاِصْطِكَالَكَ الْبُولِيمُوسِي بَيْنَ الْقَوَى الَّذِي يَسْمَحُ بِتَمَثُّلِ وَاسْتِغْلَالِ الْأَقْوَى لِلْأَضْعَفِ مِنْ تَجَلِّيَاتِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَتَأَلُّقِهَا ، بَلْهُ خَوَاصِهَا الْأُونُطُولُوجِيَّةِ الَّتِي لَوْلَاهَا لَافْتَقَرَ الْوُجُودُ إِلَى حَيَوِيَّتِهِ وَارْتِقَاءَاتِهِ.

هَذَا التَّعَالُقُ الْبُولِيمُوسِي فِي الْفِعْلِ وَرَدِّهِ حَادَ نِيْتَشَةَ عَلَى أَنْ يَحْسَبَ الذَّرَّةَ كَمِيَّةً مِنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِمَا أَتَّهَتْ تَفْعُلُ فِي كُلِّ الْكَيْنُوتَةِ ، وَهَذَا الطَّائِعُ هَهُنَا الَّذِي يَسِمُ الذَّرَّةَ لَا يُمْكِنُ التَّجَرُّدُ مِنْهُ فِي النِّظَامِ الْإِوَالِي دُونَ أَنْ نَقْضَ الطَّرْفَ كَذَلِكَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ نَفْسِهِ¹⁷⁹. لَمْ يُدَاخِلْ نِيْتَشَةَ رَيْبٌ فِي أَنَّ هَذَا التَّعَالُقَ بَيْنَ قَوَى شَتَّى وَهَذِي الْوَشِيحَةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِهَا بَعْضُ الْقَوَى مَعَ بَعْضِهَا الْآخَرِ وَفَقَّ ثَنَائِيَّةِ الْفِعْلِ وَرَدِّ الْفِعْلِ ، السَّيْطَرَةِ وَالْمُقَاوَمَةِ ، الْأَمْرِ وَالْاِنْصِيَاعِ ، لَا يَدُلُّانِ إِلَّا عَلَى اسْتِحَالَةِ وَجُودِ قُوَّةٍ أَوْ قُوَى مَفْصُولَةٍ وَمَعْزُولَةٍ ؛ مُفَادَ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ قُوَّةٍ مُحَدَّدَةٍ عَلَى الْقَوَى انْفِعَالِيًّا بِمُوجِبِ عِلَاقَتِهَا مَعَ بَاقِي الْقَوَى¹⁸⁰.

فِي كَتَفِ هَذِي الْأُونُطُولُوجِيَّةِ الْعِلَاقِيَّةِ ، فَالْعَالَمُ الْأُونُطِيْقِي كَمَا يَظْهَرُ لِلْوَعْيِ بِوَسَاطَةِ آلِيَّاتِهِ التَّبْسِيطِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ لَيْسَ سِوَى أَمَارَاتٍ وَأَعْرَاضٍ لِلْعِلَاقِي الْمَجْهَرِيَّةِ الَّتِي تُؤَلِّفُ الْبُنْيَةَ الْجَوَانِيَّةَ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ؛ مَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى كَوْنِ كُلِّ ظُهُورٍ نَتِيجَةً لِأَفَاعِيلَ وَحَوَاصِلَ فِي الْبُنْيَةِ الْبَاطِنِيَّةِ لِلْوَاقِعِ ؛ تَلَكُمُ أَلَّتِي تَنْفَلَتْ مِنْ شَبَكَةِ الْوَعْيِ وَمَقُولَاتِهِ الْاِسْتِيعَابِيَّةِ. وَهَذَا الْوَاقِعُ الْأَصْلِي فِي عَرِيهِ وَسَرِيرَتِهِ لَيْسَ إِلَّا عَالَمُ الْعِلَاقَاتِ الْمُشْتَدِّ وَالْمُتَغَيَّرِ عَلَى الدَّوَامِ ، فَضْلًا عَنْ اِتْسَامِ زَوَايَاهُ بِالطَّرْدِ وَالْجَذْبِ الدَّائِبَيْنِ¹⁸¹ ، حَيْثُ تَنْبَجِسُ فِي هَذَا الْبُعْدِ الْبَاطِنِي ، فِي كُلِّ نُقْطَةٍ قُوَّةٍ مَا وَفِي كُلِّ آنٍ ، أَوْجُهَاً جَدِيدَةً لِلرُّؤْيَةِ وَالْفِعْلِ. فِي فَضَاءٍ دِينَامِيْكِي كَهَذَا تُعْمَرُهُ

¹⁷⁸VP, Trad. Henri Albert, § 297 : « Une quantité de force est définie par l'effet qu'elle produit et par la résistance qu'elle exerce ». Voir L'adiaphorie, qui, en soi, serait imaginable, n'existe pas ». Voir FP, XIV, 14 [79] : « Un *quantum* de puissance se définit par l'effet qu'il produit et auquel il résiste. Manque l' « adiaphorie » (2), qui, en soi, serait concevable.

¹⁷⁹Ibid : « C'est essentiellement une volonté d'exercer des violences et de se défendre contre les violences. Pas d'autoconservation : chaque atome agit sur l'être tout entier, -c'est en faire abstraction que faire abstraction de ce rayonnement du « vouloir-de-puissance » *. C'est pourquoi, je l'appelle un quantum de « volonté de puissance » : cela exprime un caractère qu'on ne peut abstraire de l'ordre mécanique sans faire abstraction de l'ordre lui-même ».

¹⁸⁰Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 24.

¹⁸¹VP, Trad. Henri Albert, § 293 : « ... Le monde, abstraction faite de notre condition d'y vivre, le monde que nous n'avons pas réduit à notre être, notre logique et nos préjugés psychologiques n'existe pas comme monde en " soi " ; il est essentiellement un monde de relations, regardé à un point différent, il prend chaque fois visage nouveau : son être est essentiellement différent à chaque point; il appuie sur chaque point, chaque point lui résiste ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

كَثُرَتْ مُتَصَارِعَةٌ، لَا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ الْاِقْتِدَارِ وَحْدَهُ الْمُحَدَّدَ لِمَنْ يَمْلِكُ الْمِقْدَارَ الْآخَرَ مِنَ الْاِقْتِدَارِ، وَتَحْتَ أَيِّ شَكْلٍ، وَتَحْتَ أَيِّ قُوَّةٍ، وَتَحْتَ أَيِّ إِرْغَامٍ يَتَصَرَّفُ أَوْ يُقَاوَمُ¹⁸².

اهْتِدَاءً بِمَا نَطَرَقْنَا إِلَيْهِ سَالِفًا، نَأْتِي إِلَى تَبْيِينِ الْمُعَقَّبَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي تَسْتَتِيعُهَا الْأَوْنُطُولُوجِيَا الْعَلَائِقِيَّةُ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي بَقِيَتْ كَثِيفَةً الظَّلَالِ وَشَدِيدَةً الْإِنْهَامِ؛ بِمُوجِبِ ذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ الْعَلَائِقَ عَلَى الصَّعِيدِ الْمَعْرِفِيِّ الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا التَّأْوِيلَاتُ الْعَدِيدَةُ وَالْمَنْظُورَاتُ الْمَدِيدَةُ تَرْجَمَاتٌ لِلْاِنْفِعَالَاتِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْقُوَى الْجُزْئِيَّةُ، وَلَمَّا كَانَتْ أَلْفَعَالِيَّاتُ الْمَعْرِفِيَّةِ مُتَوَقِّفَةً عَلَى فَعَالِيَّاتٍ اِنْفِعَالِيَّةٍ وَكَانَتْ اَلْاِنْفِعَالَاتُ مُعَبَّرَةً عَنِ الْبُعْدِ الْهَوَوِيِّ الْبَاطِنِيِّ لِسِرُّوَرَاتِ مَا تَحْتَ الْوَعْيِ، فَلَا عَرَوْ مِنْ عَدٍّ، حَسَبَ عِبَارَةِ بَاتَرِيك فَوْتَلِينْغ، كُلِّ التَّأْوِيلَاتِ، مَهْمَا كَانَتْ طَبِيعَتُهَا، الَّتِي جَرَى تَشْكِيلُهَا مِنْ طَرَفِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، لُغَةً رَمْزِيَّةً لِلْاِنْفِعَالَاتِ¹⁸³. يُعَزِّزُ نَيْتْشِه مَسْلَكَهُ الْحَيَوِيِّ بِالْإِنْفِعَالِ فِي تَفْكِيرِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّتِهِ عَنْ الْغَرَائِزِ وَالْاِنْفِعَالَاتِ الْحَيَوِيَّةِ، وَقَدْ عَدَّهَا تَرْجَمَةً لِلنَّشَاطِ الْاِنْفِعَالِيِّ الْمُرْتَبِطِ بِالتَّقْوِيَمَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ لِفَاعِلِيَّةِ أَنْمُودَجٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْكَائِنِ الْحَيِّ، وَهَذَا مَا حَثَّ عَلَيْهِ فِي الشَّدْرَةِ الَّتِي كُتِبَتْ مَا بَيْنَ صَائِفَةِ 1882 وَرَبِيعِ 1884م مِنَ الْمَجْلَدِ 09، إِذْ جَعَلَ الْحَقْلَ الْأَخْلَاقِي لُغَةً اسْتَعَارِيَّةً أَوْ إِشَارِيَّةً لِلْأَهْوَاءِ وَالْاِنْفِعَالَاتِ¹⁸⁴.

يَرْمِي هَذَا جَمِيعُهُ إِلَى بَيَانِ تَوْقِفِ تَأْوِيلِ الْعَالَمِ عَلَى مَا بَطُنَ مِنْ غَرَائِزِنَا وَاِنْفِعَالَاتِنَا وَأَهْوَائِنَا؛ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ الْغَرَائِزِ فِي الْبُعْدِ الْهَوَوِيِّ تُؤَلِّفُ مَرَاكِزَ مَنْظُورِيَّةٍ اِنْطِلَاقًا مِنْهَا يَتَشَيَّدُ تَأْوِيلُ مَا، هُوَ ذَا مَا يُعْرِبُ عَنْهُ نَيْتْشِه بِقَوْلِهِ: "إِنَّ مَا رَبَّنَا هِيَ الَّتِي تُؤَوِّلُ الْعَالَمَ: إِنَّ غَرَائِزَنَا سَوَاءٌ مَا لَهَا أَوْ مَا عَلَيْهَا"¹⁸⁵ هِيَ الَّتِي تُؤَوِّلُ الْعَالَمَ. فَكُلُّ غَرِيزَةٍ نَوْعٍ مِنَ الْأَرْبِ [الاحتياج] إِلَى السَّيْطَرَةِ، كُلُّ مِنْهَا تَحُوزُ عَلَى مَنْظُورٍ تَوَدُّ أَنْ تَفْرِضَهُ كَرَهًا كَمُعْيَارٍ عَلَى كُلِّ الْغَرَائِزِ الْأُخَرِ¹⁸⁶. وَلَا عَرَوْ جَرِيًّا عَلَى ذَلِكَ فِي أَنْ يَحْسَبَ نَيْتْشِه، عَلَى مَا تُثْمِلِيهِ الدِّلَالَاتُ اللَّزُومِيَّةُ لِفَلْسَفَتِهِ، الضَّمِيرَ الشَّقِيَّ الَّذِي مَا فَتَى يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ مُرْكَبًا مِنَ الْغَرَائِزِ الَّتِي جَرَى إِجَامُهَا

¹⁸²VP, Trad. Henri Albert, § 293 : « ... La mesure de puissance détermine quel est l'être qui possède l'autre mesure de puissance, sous quelle forme, sous quelle force, sous quelle contrainte il agit ou résiste ».

¹⁸³Patrick Wolting, Nietzsche, p. 649 : « Toutes les interprétations, quelle qu'en soit la nature, construites par les vivants peuvent se définir comme langage figuré (Zeichensprache) des affects ». In Le vocabulaire des philosophes, Tome 3, Edition Ellipse, 2002, Ouvrage coordonné par Jean Pierre Zarader.

حرفيًا يقول : " كل التأويلات، مهما كانت طبيعتها، جرى بناؤها من لدن الكائنات الحية، يمكن تعريفها على أنها لغة مجازية للانفعالات".

¹⁸⁴FP, IX, 7 [60]. Voir FP, XII, 2 [165] : « Ma tentative po.ir comprendre les jugements moraux comme des symptômes et des langages figurés où se trahissent des processus de réussite ou d'échec physiologique... ». Voir Eric Blondel : Nietzsche, le corps et la culture, P. 181.

¹⁸⁵* إيجابياتها و سلبياتها أو ما يُحسب لها و عليها، أو ما يكون معها أو ضدها.

¹⁸⁶FP, XII, 7 [60]: « Ce sont nos besoins qui interprètent le monde : nos instincts, leur pour et leur contre. Chaque instinct est un certain besoin de domination, chacun possède sa perspective qu'il voudrait imposer comme norme à tous les autres instinct ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

وصير إلى استبطانها في سراديب الوعي، ما أفضى إلى إفسادها، ذلك أن العرائز إذا لم تتخرج وإن لم تنفجر هنا وهناك في الخارج ستؤدي ولا رد لذلك إلى الانحطاط¹⁸⁷.

تفصيلاً لما جرى ذكره آنفاً، ونشديداً على البنية الديناميكية لأونطولوجيا نيتشه، فإن إرادة الاقتدار ليست علاقة صورية أو مادية تسبق الأحداث، وليست كذلك علاقة عقلية مفصلة عن الموجودات، وليست أيضاً علاقة ميكانيكية تسبب المحادثات، وإنما هي الشرط الأوحّد الذي يئاط به كل ما يحصل، أي أن الحدث هو نتيجة للبنية الباطنية لإرادة الاقتدار من حيثية أن أي قوة لا توجد إلا وتختلط في علاقة اشتباك وعراك مع قوى أخرى¹⁸⁸. بيد أن البنية الجوانية للعلاقة التي بها تعبر إرادة الاقتدار عن نفسها لا تحذوا حذو الجدال الهيجلي الذي يمارس بجذله الثلاثي عنفاً على المتعدد حينما يمتصه طوال مسير الحراك الجدلي في مركبات وحدوية غلياً ينتفي بها في المنتهى التدافع والتنازع، ذلك أننا نلفي إرادة الاقتدار، بخلاف هذا النحو الفلسفي الذي نحا نحوه فيلسوف المثالية المطلقة (هيجل Hegel)، نجذر التعدد دون استنفاده في وحدة متعالية وتحافظ على ديناميكا التنازع دون تعطيلها، وتجعل الرابطة المتينة بين عناصره مفتوحة على الصدفة ومسكونة بتوترات لا تني عن إيجاد أنماط جديدة من الترابط والتوليف بينها ولا تبرح كذلك عن فك ما جرى لهُ وشطر ما صير إلى ضمّه في صروف فجائية وظرفية. من نافلة القول أن ما يمتنع العالم من أن يخلد إلى وجود ميكانيكي راسخ هو تقوّمه بمقادير من القوى المتعالية على طول بساطه وتألفه من تعدديات انفعالية¹⁸⁹ وفي كنف هذي الديناميكا ينوّهب العالم على أنه حيزات مدرارة للعب الكثرات ونموّها وترقيتها في منأى عن نوااميس أخلاقية ودينية تحجر عليها ما تشتهيه من أفعال تجترحها وما تبتغيه من أشياء تكتسبها.

توسلاً بهذا المنوال من التفكير الفلسفي يستبدل نيتشه علائقية القوى¹⁹⁰ بالكيئونة الميتافيزيقية، ويستبدل كذلك انتشار القوى وتألفها بالقانون الفيزيائي للقوة، ويستعيض عن كمالية الجوهر وتمايميته بالقطبية الانفعالية، ويحل محل الكيئونة المعقلنة والمريضة السيورة الصراعية والخلافة. وما دام نيتشه يعلن: "إن العالم، بغض النظر [بمعزل] عن ضرورة الحياة [العيش] بالنسبة إلينا، والعالم الذي لم نخترله في كيئونتنا وفي منطقنا وأحكامنا النفسية المسبقة، لا يوجد باعتباره عالماً في

¹⁸⁷ GM, Trad. H Hindenbrand et J Gratien, II, § 16-17.

¹⁸⁸ Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 26.

¹⁸⁹ Ibid, p. 27 : « ... en tant qu'il est relation de quanta de forces, le monde de volonté de puissance est constitué sur toute sa surface de multiplicités affectives et s'offre à nous comme tel ».

¹⁹⁰ See Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, p. 120 : « He contends that once we relinquish the distinction between immaterialist substantialist selves and the objects that they constitute we see that the empirical world must be understood in terms of complexes of relational powers ».

ذَاتِهِ " وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى نَحْوِ مَا هَوَىٰ عَالَمٍ عِلَاقَةٍ " ^{191 192} ، فَلَيْسَ بِدَعَا أَلَا يَنْبَحِسَ عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ إِلَّا حِينَهَا نَسْتَعْنِي فَقَطُّ عَنْ أَدَوَاتِ التَّصَوُّرِ الْمِيكَانِيكِيِّ مِنْ عَدَدٍ ، وَحَرَكَةٍ ، وَشَيْءٍ ، وَذَاتٍ ؛ فَعَلَى ذَلِكَ الْاسْتِغْنَاءِ يَتَوَقَّفُ إِنْكَانُ رُؤْيَا عَالَمِ الْعِلَاقَاتِ كَمَا هُوَ ¹⁹³ ، ذَلِكَ الَّذِي لَيْسَ إِلَّا انْفِعَالًا وَتَفَاعُلًا بَيْنَ كَمِيَّاتٍ قَوَى تَتَطَاوَلُ عَلَى بَعْضِهَا بَعْضًا ، يَضْطَرُّهَا إِلَى ذَلِكَ تَقَوُّمُهَا الْمَاهَوِي بِالْصِرَاعِ ؛ أَوْلَمْ يَسْعَ نَيْتَشْه لِلْجَزْمِ بِهَذَا لَمَّا أَخْبَرَ: "... إِذَا مَا تَخَلَّصْنَا مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَاتِ فَلَنْ تَبْقَى الْبَتَّةَ "أَشْيَاءٌ" ، بَلْ مَقَادِيرُ نُشِيْطَةٌ تَجِدُ نَفْسَهَا [تَتَصَادَفُ] فِي عِلَاقَةٍ تَوَثَّرَ [شَدِيدٌ] مَعَ مَقَادِيرَ أُخْرَى ، تَكْمُنُ مَا هِيَئُهَا عَيْنُهَا فِي هَاتِهِ الْعِلَاقَةِ مَعَ الْمَقَادِيرِ الْأُخْرَى وَفِي أَفَاعِيلِهَا عَلَيْهَا [تَأْثِيرُهَا عَلَيْهَا] " ¹⁹⁴ .

لَكِنْ لَا مَدْوَحَةَ عَنْ بَسْطِ تَسَاوُلٍ قَدَحَتْهُ فِي ذَهْنِنَا الْعَدِيدُ مِنَ الشَّدَرَاتِ النَيْتَشَوِيَّةِ الْمُتَضَارِبَةِ ، وَالَّذِي نَصُوغُهُ عَلَى هَذَا النَحْوِ: مَا إِغْرَابُ مَفْهُومِ "الْوَحْدَةِ" أَوْ مَفْهُومِ "الْوَاحِدِ" فِي جُمْلَةِ السَّرَادِيبِ اللَّوَاغِيَةِ لِعِلَاقَتِي إِرَادَةِ الْاِفْتِدَارِ؟ وَأَنَّى لِنَيْتَشْه أَنْ يَسْتَعِيدَ هَذَا الْمَفْهُومَ الْمَيْتَافِيزِيكِيَّ مُجَرِّيًا عَلَيْهِ تَغْيِيرَاتٍ جَوْهَرِيَّةً حَتَّى صَارَ عَلَى أَغْقَابِ ذَلِكَ مُهَيِّئًا لِلْإِنْخِرَاطِ فِي سَيْرُورَةِ حَرْبِهِ شَدِيدَةِ الْوُطَيْسِ مَعَ أَلْمَيْتَافِيزِيكَا الْعَرَبِيَّةِ؟. سَوَالَانِ سَنَجِيبُ عَنْهُمَا فِيمَا سَيَأْتِي مِنْ تَحْقِيقَاتِ الْأَطْرُوحَةِ ، عَلَى أَنْ نُقَدِّمَ عَلَى الْفَوْرِ بَسْطًا مُوجِزًا مِنَ الْإِجَابَةِ: إِنَّ نَيْتَشْه ، وَلَا جَرَمَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَدْ افْتَتَحَ انْتِقَادَاتِهِ وَكَتَفَهَا بِنَسْفِ مَفْهُومِ الْوَحْدَةِ وَالْوَاحِدِ الْمُدْرَكَيْنِ وَفَقِ التَّصَوُّرِ الْمَيْتَافِيزِيكِيِّ الْعَتِيقِ ؛ تَكْمُنُ وَجَاهَةُ هَذَا التَّقْوِيضِ الْفَلَسْفِيِّ وَالذَّافِعُ إِلَيْهِ فِي كَوْنِ مَفْهُومِ الْوَحْدَةِ ، عَلَى غِرَارِ بَاقِيِ الْمَقُولَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي فَكَّرَ بِوَاسِطَتِهَا الْفَلَسَفَةُ ، يُعَرِّي الْأَشْيَاءَ مِنْ طَابَعِهَا الْمُتَحَرِّكِ وَالتَّارِيخِيِّ ، فَتَغْدُو تَبَعًا لِذَلِكَ أَشْبَهُ بِمُؤَمِّيَاءَ تَنْعَمُ بِسَكِينَتِهَا الشُّبُوتِيَّةِ ، ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْدَةَ تُعَدُّ مِنْ لَدُنْ أَسَاطِينِ التَّقْلِيدِ الْمَيْتَافِيزِيكِيِّ وَحْدَةً لَا تَصِيرُ ، مَا يَجْعَلُهَا كَيْنُونَةً مُحَضَّ مَتَمَاسِكَةً تَظَلُّ فِي تَطَابُقٍ وَهُوِيَّةٍ مَعَ نَفْسِهَا ، وَفِي ظِلِّ هَذَا الْوَلَعِ الْفَلَسْفِيِّ بِأَكْدُوبَةِ الْوَحْدَةِ الْمُتَعَالِيَةِ وَالذَّوَامِ الرَّاسِخِ وَالْجَوْهَرِ الثَّابِتِ وَالْوَاقِعِ الْقَارِ يَصِيرُ "التَّعَدُّدُ" وَ"التَّحَوُّلُ" شَيْئَيْنِ يَنْبَغِي اسْتِبْعَادُهُمَا وَيُصْبِحُ التَّطَرُّقُ إِلَيْهِمَا مُحَرَّمًا وَمُجَرَّمًا ¹⁹⁵ . وَلَمَّا كَانَ الْفَلَسَفَةُ الْمِثَالِيُونَ غَيْرَ رَاضِينَ بِأَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ فِي مَا يَتَّبِعُهُ مَطْبُوعًا بِالتَّعَدُّدِ وَالتَّبَدُّلِ ، اضْطَرُّوا لِجَعْلِ هَاتَيْنِ الْخَاصِيَّتَيْنِ مُنْحَصِرَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ "كَمَا يَظْهَرُ" ، وَلَمْ تَكُنْ هَاتَيْنِ الْخَاصِيَّتَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا مِنْ حَيْثِيَّةِ صِلَتِهِمَا بِالْعَالَمِ الْحَقِّ سِوَى أَوْهَامٍ ، وَيَقْبَعُ خَلْقُهُمَا كِيَانًا ثَابِتًا لَا يَكْتَرِثُ بِهَذَا الْعَالَمِ الظَّاهِرِيِّ وَخَوَاصِهِ وَمِنْ أَلْبَدِيَّةِ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ أَلَا يَعْتَرِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَجْرِي مِنْ شُؤُونِ

¹⁹¹FP, XIV, 14 [93] : « Le monde, abstraction faite de la nécessité pour nous d'y vivre, le monde que nous n'avons pas réduit à notre « être », à notre logique, et à nos préjugés psychologiques n'existe pas en tant que monde « en soi » il est essentiellement un monde de relation ».

¹⁹²VP, Trad. Henri Albert, § 293 : « ... Le monde... il est essentiellement un monde de relations ».

"إِنَّ الْعَالَمَ هُوَ جَوْهَرِيًّا عَالَمٌ عِلَاقَاتٍ " .

¹⁹³Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, pp. 120-121.

¹⁹⁴VP, Trad. Henri Albert, § 297 : « Si nous éliminons ces adjonctions, il ne reste point de " choses " , mais des quantités dynamiques, qui se trouvent dans un rapport de tension avec toutes les autres quantités, dont l'essence même réside dans ces rapports avec toutes les autres quantités, dans leur "action " sur elles ». Voir FP, XIV, 14 [93].

¹⁹⁵CI, Trad. Henri Albert, La « raison » dans la philosophie, § 02.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

التَّبَدُّلاتِ ، وَهَكَذَا تَوَقَّعَ إغْفَالُ الدَّافِعِيَّةِ الَّتِي تَسْوَقُ الْكُلَّ فِي بَطُونِ الْعَالَمِ وَظُهُورِهِ إِلَى الْجَرَيَانِ تَحْتَ إِنْقَاعِ الصِّيَرُورَاتِ وَالسِّيَرُورَاتِ دُونَمَا انْتِهَاءً إِلَى وَحْدَةٍ مِثَالِيَّةٍ عَلِيًّا لَا يَأْتِيهَا التَّغْيِيرُ مِنْ خَلْفِهَا وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا.

لَا مَعْدَلٌ لَنَا لِاسْتِيْصَاحِ فَرَادَةِ الصِّيَاغَةِ النِّيْتَشَوِيَّةِ لِمَفْهُومِ الْوَاحِدِ/الْوَحْدَةِ عَنْ تَتَبُّعِ وَجْهِ الصِّيَاغَةِ الِمْتِافِيزِيْقِيَّةِ وَبَيَانِ حَيْدَانِ التَّخْرِيجِ الْحَيَوِيِّ عَنْهَا وَعَمَّا عُرِفَ وَاسْتَقَرَّ فِي التَّقْلِيدِ الْفَلْسَفِيِّ ، وَفِي سِيَاقِ هَذَا الِاسْتِيْصَاحِ نَطْرَحُ بَادِئَ الْأَمْرِ هَذَا السُّؤَالَ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْفَلَاسِفَةُ بِمَفْهُومِ الْوَحْدَةِ ؟ يُجِيبُنَا نِيْتَشَةُ مِنَ الْأَنَّا لَيْسَ غَيْرُ ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَقْفُوا مَفْهُومَ الْوَحْدَةِ مِنَ الصِّلَعِ الْأَيْمَنِ لِمَفْهُومِ الْأَنَّا¹⁹⁶ الَّذِي تَخَذَ تَارَةً صُورَةَ الْكَيْنُونَةِ الثَّابِتَةِ وَتَارَةً أُخْرَى جَاءَ عَلَى أَنَّهُ الْجَوْهَرُ ، وَتَبَاعًا اسْتَقْفُوا ، نَسْجًا عَلَى ذَاتِ الْمُنَوَالِ مِنَ التَّفَكِيرِ ، مِنْ مَفْهُومِ الْأَنَّا مَفْهُومَ الْكَيْنُونَةِ ، أَيِ الثَّبَاتِ¹⁹⁷ ، ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْزَلٍ عَنْ تَصَوُّرِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ عَلَى أَنَّهُ وَحْدَةٌ لَنْ يَتَأَنَّى لَهُ أَيُّ تَصَوُّرٍ عَنِ الْكَيْنُونَةِ¹⁹⁸ وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ لَنْ يَقْتَدِرَ الْإِنْسَانُ عَلَى ابْتِكَارِ مَفْهُومِ الشَّيْءِ¹⁹⁹ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ الْمُشْتَقَّةَ مِنَ الْأَنَّا يَوْصِفُهُ جَوْهَرًا لَا تَلَبُّثٌ حَتَّى تُسْقَطَ عَلَى الْأَشْيَاءِ حِينَمَا يُسْقَطُ جَوْهَرُ الْأَنَّا عَلَى الْأَشْيَاءِ ، بِذَلِكَ يُخْلَقُ مَفْهُومُ " الشَّيْءِ " الْمُتَمَاسِكِ وَالْمُعْزُولِ الَّذِي يَنْعَمُ بِدَوْرِهِ بِوَحْدَةٍ تَحْفَظُ هُوِيَّتَهُ لِيُظَلَّ هُوَ هُوَ وَلَوْ كَرِهَتْ الصِّيَرُورَةُ !. وَبِمَوْجِبِ هَذَا كُلِّهِ جَرَى إِقَامَةُ الْكَيْنُونَةِ [الثبات] فِي كُلِّ مَكَانٍ مَقَامَ الْعِلَّةِ²⁰⁰ ؛ وَمَا زَادَ الطِّينَ بِلَهٍّ عَدُّ هَاتِهِ الْمَقُولَاتِ الَّتِي تَحْلَعُ شَبَكَةَ الثَّبَاتِ عَلَى تِيَارِ الصِّيَرُورَةِ أُمُورًا لَا تَرْبُطُهَا بِالْعَالَمِ الْخُبْرِيِّ أَيُّ صِلَةٍ وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ فِي غُضُونِ ذَلِكَ فِي خِصَامٍ مَعَ كُلِّ مَا يَصِيرُ وَيَتَحَوَّلُ وَيَتَحَرَّكُ وَبِاخْتِصَارٍ أَضَحَتْ عُدُوًّا لِلْحَيَاةِ عَيْنِهَا بِوَصْفِهَا طَاقَةً نَزَاعَةً فِي حَرَكَ وَتَجَدُّدٍ سَرْمَدِيِّينَ.

لَمْ تَكُنِ الصِّيَاغَةُ الْفَلْسَفِيَّةُ الَّتِي ارْتِضَاهَا نِيْتَشَةُ لِمَفْهُومِ الْوَاحِدِ/الْوَحْدَةِ غَيْرَ مُحَاوَلَةٍ فَرِيدَةٍ لِتَقْدِيمِ تَوْفِيقِ حَيَوِيِّ بَيْنَ مَفْهُومِ الْوَاحِدِ وَمَفْهُومِ الْكَثِيرِ يُتَبَيَّنُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى خَوَاصِ الْحَيَاةِ الَّتِي عَلَيْهَا يَتَوَقَّفُ قِوَامُهَا الْحَيَوِيِّ ؛ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يُوَفَّقَ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ فِي ذَلِكَ لَوْلَا إَغْرَاقُ الْمُتَعَدِّدِ فِي بَطُونِ غِلَاقِي إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي فِي سِيَاقِهَا لَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُتَعَدِّدُ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى تَعَارُضَاتٍ وَمُقَاوَمَاتٍ ، تَصَاوُلَاتٍ وَاعْتِدَاءَاتٍ²⁰¹ مَا دَامَتْ الْكَثْرَةُ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ يُذَكِّرُ مِنْ دُونِ الْعِلَاقَةِ الشَّدِيدَةِ وَالتَّدَافُعِيَّةِ²⁰². تَأْسِيسًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ إِرَادُهُ ، فَجِئْنَا تَتَرَائِي لَنَا وَحْدَةً فِي الظَّاهِرَةِ فَهِيَ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَتْ أَبَدًا أُولِيَّةً وَلَا ثَابِتَةً وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ

¹⁹⁶FP, XIV, 14 [79] : « Nous avons emprunté notre concept d'unité à notre concept du « moi » ».

¹⁹⁷CI, Trad. Henri Albert, La « raison » dans la philosophie, § 05 : « ... de la conception du « moi » suit seulement, comme dérivation, la notion de l' « être » ».

¹⁹⁸VP, Trad. Henri Albert, § 297 : « Si nous ne nous considérons pas comme des unités, nous n'aurions jamais formé le concept de l' « être » ».

" ما كَانَ لَنَا أَنْ نَصُوغَ تَصَوُّرَ "الْكَيْنُونَةِ" لَوْ لَمْ نَعْتَبِرْ أَنْفُسَنَا بِمِثَالِيَّةٍ وَحَدَاتٍ ".

¹⁹⁹FP, XIV, 14 [79] : « Si nous ne nous prenions pas pour des unités, nous n'aurions jamais formé le concept de « chose » ».

²⁰⁰CI, Trad. Henri Albert, La « raison » dans la philosophie, § 05.

²⁰¹FP, XIV, 14 [80]. Voir VP, Trad. Henri Albert, § 297.

²⁰²Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 30.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

جِهَةٌ دَلِيلٌ عَلَى لَعِبِ قُوَى وَصِرَاعِ إِرَادَاتٍ قُوَى وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى آمَارَةٌ عَلَى تَنْظِيمِ مَا وَقَعَ اصْطِنَاعُهُ مِنْ طَرَفِ الْقُوَى الْمَهْمِيَّةِ أَوْ لِثَقُلِ إِنَّهَا عَلَامَةٌ عَلَى تَكُونِ هَيْمَنَةٍ وَعَلَى تَشَكُّلِ مُسَيِّطَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْمَعَارِكِ الْجَارِيَةِ ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْوَحْدَاتُ ظَرْفِيَّةً يُعَادُ إِنْتَاجُهَا بِاسْتِمْرَارٍ تَبَعًا لِحَيْثِيَّاتِ التَّقَاتِلِ وَحَوَاصِلِ الصِّرَاعِ²⁰³. فَالْتَّعَدُّدُ هُنَا يَحْتُلُ الْمَنْزِلَةَ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةَ وَالْأَكْسِيُولُوجِيَّةَ الْأُولَى ثُمَّ تَأْتِي الْوَحْدَاتُ- الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَى سِلْسِلَةِ الْعِلَاقِي الْوَاعِيَةِ- بِمَنْزِلَةِ أَعْرَاضٍ لِاحِقَةٍ ثَلَاثُ أَفَاعِيلِهِ وَدِينَامِيكِيَّاتِهِ الزَّمَكَانِيَّةِ، مُفَادٌ ذَلِكَ أَنَّهُ فَقَطْ مَا هُوَ مُتَعَدِّدٌ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يُرْتَبَّ وَيُتَصَدَّدَ تَحْتَ وَحْدَةٍ مَا، وَيَزْدَادُ هَذَا وَضُوحًا وَيَتَوَثَّقُ لَهَا تَكُونُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ فِي خَاصِيَّتِهَا الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ تَعَدُّدًا لِلْقُوَى مِنْوَالِهَا الْعِلَاقِي الصِّرَاعِ²⁰⁴.

تَتَجَارَى الْكَثِيرُ مِنْ شَذُورٍ نِيْتَشُهُ وَتَنْتَسَايِرُ إِلَى عَدِّ الْوَحْدَةِ مِنْ جِهَةٍ نِتَاجًا لِلْتَّعَدُّدِ فِي تَفَاعُلِهِ وَتَدَافُعِهِ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ظَرْفِيَّةً لَا تَلْبَثُ إِلَّا إِلَى حِينٍ وَيَتَوَقَّفُ عُمْرُهَا عَلَى بَقَاءِ الْقُوَى الْمَهْمِيَّةِ الْمُهَدَّدَةِ عَلَى الدَّوَامِ دَاخِلَ الصِّيَرُورَاتِ بِقُوَى أُخْرَى لَا تَنْفَكُ عَنْ طَلَبِ السُّلْطَانِ وَالْاِقْتِدَارِ ؛ وَمَا هَذِي إِلَّا أَحَدُ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَمَلَتْ نِيْتَشُهُ عَلَى أَنْ يَنْفِي فِي التِّيَّارِ الطَّبِيعِيِّ لِلصِّيَرُورَةِ أَيْ وُجُودِ الْوَحْدَةِ بِمَعْنَاهَا الْمِيْتَاْفِيزِيْقِيَّ، مِنْ حَيْثُ هِيَ وَحْدَاتٌ دَائِمَةٌ أَوْ ذَرَاتٌ أَوْ مُوْنَادَاتٌ²⁰⁵ لِأَنَّ هَاتِهِ جَمِيعًا جَرَى اخْتِلَاقُهَا مِنْ طَرَفِ ذَهْنِ الْإِنْسَانِ التَّنْسِيْقِيَّ وَالتَّبْسِيطِيَّ كَيْ يُؤَوَّلَ بِهَا الْعَالَمَ الْفَوْضُوِّيَّ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عَلَى نَحْوِ يُضْفِي عَلَيْهِ نِظَامًا مَا²⁰⁶، غَيْرَ أَنَّ الْعَالَمَ كَمَا هُوَ فِي مَائِيَّتِهِ، بِدُونِ قَوَالِبِنَا التَّشْبِيْهِيةِ، لَا يَكُونُ سِوَى فَوْضَى²⁰⁷ حَيْثُ الْاِتِّصَالُ وَالْاِنْفِصَالُ، التَّفَكُّكُ وَالتَّجْمُعُ الْفَوْضُوِّيَّ لِلْقُوَى وَالَّتِي تَحْصُلُ عَلَى مِنْوَالٍ لَا يَكُونُ عَلَى إِثْرِهَا هَذَا الْعَالَمُ إِلَّا كَثْرَةُ إِرَادَاتٍ لِلْاِقْتِدَارِ وَلَيْسَ الْبَتَّةَ إِرَادَةُ اِقْتِدَارٍ وَاحِدَةٍ²⁰⁸ [هَذَا يَتَعَلَّقُ كَمَا أَوْضَحْتُ سَالِفًا بِمُسْتَوَى التَّحْقِيقِ الْأَوَّلِ].

لَقَدْ أَخْلَدْتُ حُدُوسَ نِيْتَشُهُ وَتَطَوُّرَهُ لَهَا إِلَى حِسَابِ الْوَحْدَةِ وَحْدَةٍ تَنْظِيمِيَّةٍ ظَرْفِيَّةً لَيْسَ لَهَا شَأْنٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا، ذَلِكَ أَنَّهَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ تَوْلِيدُ تَصْطَنَعُهُ فَاعِلِيَّاتِ الْكَثْرَةِ الْقَوُوِّيَّةِ، وَهِيَ مِنْ حَيْثِيَّةٍ أُخْرَى تَنْظِيمُ يُحْدِثُهُ التَّعَدُّدُ عَلَى الصَّعِيدِ الْفَرْدِيِّ وَالْجَمْعِيِّ لِلْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ أَوْ مُخْتَلَفِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَلَيْسَتْ الْوَحْدَةُ الْبَتَّةَ بِمَوْجِبِ ذَلِكَ فِي كُلِّ هَذِي الْمُسْتَوَيَاتِ سَابِقَةً عَلَى تَفَاعُلِ الْعَنَاصِرِ الْمُتَعَدَّدَةِ، هَذَا كُلُّهُ مَا أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ الشَّدْرَةُ: "إِنَّ كُلَّ وَحْدَةٍ لَيْسَتْ وَحْدَةً إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ تَنْسِيْقُ وَلَعِبُ مَجْمُوعٍ [لَعِبُ مَجْمُوعِيَّ]، أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِوَحْدَةٍ جَمَاعَةٍ بَشَرِيَّةٍ مَا"²⁰⁹. بَلْ إِنَّ كَلِمَةَ "الْعَالَمِ"، الَّتِي قَدْ تَوَهَّمُ أَنَّهُ يُوْجَدُ كَوَحْدَةٍ، لَيْسَتْ

²⁰³Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 48.

²⁰⁴Ibid, p. 47 : « La volonté de puissance est la multiplicité des forces dont le mode relationnel est la lutte ».

²⁰⁵VP, Trad. Henri Albert, § 301.

²⁰⁶Tarmo Kunnas, Nietzsche ou L'Esprit de contradiction, p. 42.

²⁰⁷FP, XIII, 11[74] : « ... que le monde n'est absolument un organisme mais le chaos ». Voir Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, Gallimard, 1993, p. 170. Voir Laurent Cherlonneix, Philosophie médicale de Nietzsche : la connaissance, la nature, 2002. p. 132.

²⁰⁸Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche : physiologie de la volonté de puissance, p. 72.

²⁰⁹FP, XII, 2 [87] : « Toute unité n'est unité qu'en tant qu'organisation et jeu d'ensemble : tout comme une communauté humaine est une unité ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

إِلَّا مُجَرَّدَ لَفْظَةٍ قُدَّامَ اللَّعِبِ الشَّامِلِ لِأَفْعَالِهِ²¹⁰. وَيَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ مَقَادِيرَ الْقُوَّةِ الْكَثِيرَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ كَثْرَةً مِنَ الْمُعْطَيَاتِ النِّهَايَةِ الَّتِي لَا تَرْبُو وَلَا تَنْضَاءُ، وَلَا يَجُوزُ كَذَلِكَ أَنْ يَجْرَى تَصَوُّرُ هَذِهِ الْمَقَادِيرِ عَلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ الْاِخْتِرَالَ كَيْمَا عَلَى شَاكِلَةِ الْمُونَادَاتِ الَّتِي يَتَعَدَّرُ تَقْسِيمُهَا، لِأَنَّ إِزَاحَاتِ وَتَحَوُّلَاتِ الْقُوَّةِ فِي التَّنْسِيقَاتِ الْمُتَدَبِّدَةِ تُسَبِّبُ انْقِسَامَاتٍ فِي مَقْدَارٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْقُوَّةِ لِيُنْشَطِرَ إِلَى غُنْصَرَيْنِ أَوْ بِالْعَكْسِ كَمَا فِي التَّكْثِيفِ حَيْثُ اتِّحَادُ مَقْدَارَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي مَقْدَارٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا مَا يُفِيدُ أَنَّ عَدَدَ الْكَائِنَاتِ الْقُوَوِيَّةِ مُتَرَجِّحٌ وَمُتَقَلِّبٌ دُونَمَا انْقِطَاعٌ²¹¹.

لَمْ تَكُنْ وَصْلُهُ نَيْتَشَهُ إِلَى تَفْجِيرِ الْوَاحِدِ الْمِيتَافِيزِيْقِيِّ غَيْرَ سَبِيلٍ تَصْغِيرِ الْوَحْدَةِ مَفْعُولًا مُحَايَا لِلصَّرَاحِ وَإِذَا بَتَهُ فِي مَطَاوِي مَنْطِقِ الْعَلَائِقِ الْحَيَوِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْدَةَ الْمَفْهُومَةَ عَلَى النِّحْوِ الْبَرْمِينِيْدِيِّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهَا شَأْنٌ فِي مَقَامٍ تَتَوَاشَجُ فِيهِ الْقَوَى جَذْبًا وَدَفْعًا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَلِسَ مِغْطَفًا مَفَاهِيمِيًّا جَدِيدًا يَجْعَلُهَا مُحْتَزَّةً وَمُكْتَنَفَةً بِالتَّعَدُّدِ²¹². بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي التَّفَلُّسِ تَنْقَلِبُ الْوَحْدَةُ بَعْدَ عَمَلِيَّةِ الْاِنْزِجَالِ الْمَفْهُومِيِّ مِنْ مَوْضُوعٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا شَاءَ الْفَيْلَسُوفُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحْمُولَاتِ الَّتِي تَلِيقُ بِجَلَالِهِ إِلَى مَحْمُولٍ يُقَالُ عَلَى مَوْضُوعٍ حَقِيقِيٍّ اصْطَلَحَ عَلَيْهِ نَيْتَشَهُ التَّعَدُّدُ، أَيْ أَنَّ الْوَحْدَةَ تَسْتَحِيلُ تَبَاعًا مِنْ مَوْصُوفٍ يُوصَفُ بِالْخَوَاصِ الْمِثَالِيَةِ مِنْ ثَبَاتٍ يَجْتَازُ الْعُصُورَ إِلَى انْسِجَامٍ وَقُورٍ، وَتَطَائِقٍ مَعَ الْذَاتِ بِمُتَتَهَيٍّ الْحُضُورِ، فِي سَلَمٍ رَاسِخٍ خَالِدٍ فِي حُبُورٍ، إِلَى صِفَةٍ مُتَقَلِّبَةٍ تَنْضَافُ بِاسْتِمْرَارٍ إِلَى الْمَوْصُوفِ الْحَقِّ بِوَصْفِهِ التَّعَدُّدِ الَّذِي يَنْعَمُ بِخِصَالٍ وَاقِعِيَّةٍ مِنْهَا الصَّرَاحُ الَّذِي لَا يَنْفَكُ يَثُورُ، وَالصَّيْرُورَةُ الَّتِي تَأْخُذُ كُلَّ شَيْءٍ أَخْذَةَ الدَّرْدُورِ، وَتَذْبُذِبُ وَتَرْنَحُ لِلْقَوَى يُنْشِئُ فِي كُلِّ تَصَادُمٍ جَدِيدٍ دُسْتُورٍ.

أَوَّامًا مَا تَطَرَّقْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ إِلَى أَنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ مِنْ جِهَةِ الْكَيْنُونَةِ لَا تُلْفِيهَا إِلَّا فِي وَاقِعِ كَيْنُونَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَتَعَدَّرُ إِدْرَاكُهُ بِرُمْتِهِ وَمِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِهَا مَا هِيَ لَا نَجِدُهَا فِي سِوَى كَثْرَةٍ مِنَ الْوُجُودَاتِ الْمُتَنَافِسَةِ²¹³، أَيْ أَنَّنَا لَا نَحْصُلُ عَلَى الْكَيْنُونَةِ فِي سِوَى كَثْرَةٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُتَصَارِعَةِ²¹⁴، تَبَعًا لِبِنْيَةِ غَلَائِقِيَّةٍ، مَا دَامَتِ الْأَشْيَاءُ لَا تَوْجَدُ مُنْفَصِلَةً وَمُنْعَزَلَةً كَأَشْيَاءٍ "فِي ذَاتِهَا"، وَإِنَّمَا عَالَمُ الْمَوْجُودَاتِ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْعَلَائِقِ الَّتِي تُكَوِّنُ الْكَائِنَاتِ وَتُؤَسِّسُهَا²¹⁵، وَفِي كَتَفِ ذَلِكَ تَنْطَوِي كُلُّ وَاقِعَةٍ عَلَى قَوَى مُتَصَارِعَةٍ حَيْثُ كُلُّ قُوَّةٍ عَلَى حِدَةٍ تَنْشُدُ مِنْ جِهَةٍ مَنْظُورِهَا الْخَاصِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِالْهَيْمَةِ وَالسَّيْطَرَةِ²¹⁶ وَبِأَيْ بَيَانِ هَذَا الْحَالِ الصَّرَاعِيِّ عَلَى لِسَانِ هَذِهِ الشَّدَرَةِ: "يَعُدُّ كُلُّ مَا يَحْدُثُ وَكُلُّ حَرَكَةٍ وَكُلُّ صَيْرُورَةٍ تَنْبِيْئًا لِلدَّرَجَاتِ وَالْقَوَى، وَصِرَاعًا

²¹⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, § 208.

²¹¹Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche, physiologie de la volonté de puissance, p. 50.

²¹²Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 31.

²¹³Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 59: « ... comme être on ne la trouve que dans un fait-d'être multiple et impossible à saisir en totalité, ou comme essence dans une multitude d'existences concurrentes ».

²¹⁴FP, XI, 35 [59].

²¹⁵FP, XIV, 14 [122]: « ... il n'y a pas d'« être en soi », (ce sont les relations qui constituent des êtres) ».

²¹⁶Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 73.

²¹⁷، وَلَا يَشُدُّ الْعَالَمُ غَيْرَ الْعُضْوِيِّ عَنْ ذَلِكَ، إِذْ يَشْتَمِلُ أَيْضًا عَلَى لَعِبِ الْقُوَى هَذَا وَإِدْرَاكَاتِ لَهَا، لَكِنْ دُونَهَا وَحَدَاتٍ ظَاهِرَةٍ وَمِنْ غَيْرِ تَعْضِيَةٍ رَاسِخَةٍ ²¹⁸، وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَذَاكَرَةُ الْكَائِنَاتِ الْعُضْوِيَّةِ نَفْسُهَا تَبْتَكِرُ ذَاتَهَا وَتَتَحَدَّدُ فِي صِرَاعِ الذَّاتِ الْحَيَّةِ مَعَ نَفْسِهَا ²¹⁹. وَارْتِكَازًا إِلَى دِينَامِيكَاتِ التَّنَازُعِ هَذِهِ، يَتَأَوَّلُ نَيْتْشَةَ الصُّدْفَةَ عَلَى أَنَّهَا عَيْنُ التَّصَادُمِ بَيْنَ الْأَنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ الْخَلَاقَةِ ²²⁰، نَاهِيكَ أَنَّ الْحَيَاةَ بِذَلِكَ تَعْدُو مَعْرِفَةً لَدَيْهِ بِنَحْوِ مِنَ الْأَنْحَاءِ عَلَى أَنَّهَا: "الشَّكْلُ الْمُسْتَمَرُّ لِنِظَامِ [الضَبْطِ] تَوَازُنٍ بَيْنَ الْقُوَى لَكِنْ فِي غُرْضٍ ذَلِكَ يَزِدُّهُرُ شَتَّى الْمُقَاتِلِينَ، مِنْ جَانِبِهِمْ، عَلَى نَحْوِ مُتَقَاوِتٍ" ²²¹، إِذَا فَالِقَتَالُ بَيْنَ التَّعَدُّدِيَّاتِ عَقِيدَةً أُونَطُو-جِينِيَّةً تَطْبَعُ مُخْتَلِفَ الْكَائِنَاتِ سَوَاءً أَكَانَتْ ظَاهِرَةً أَمْ مُضْمَرَةً، كُبْرَى أَمْ صُغْرَى، عُليا أَمْ دُنْيَا.

لَا جَرَمَ أَنْ تَسْتَمِدَّ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ — بِمَا هِيَ الْاسْمُ الْآخَرُ لِلْعَدَالَةِ الْعُلْيَا الَّتِي تَعْلُو عَلَى كُلِّ مَنَاظِيرِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبِمَا هِيَ قُوَّةُ الْكُلِّ الَّتِي تُحَافِظُ عَلَى تَوَازُنِهَا السَّرْمَدِيِّ - دِينَامِيكِيَّتَهَا مِنْ تَأَكِيدِ ذَاتِهَا سَرْمَدِيًّا فِي صِرَاعِ الْحَوَاصِ بَعْضُهَا ضِدَّ بَعْضٍ ²²²، ذَلِكَ أَنَّ سَلَمَ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ أَدْنَاهَا شَأْنًا إِلَى أَعْلَاهَا مَقَامًا مَطْبُوعٌ بِكَثْرَةِ مِنَ الْقُوَى طَابِعُهَا الْوُجُودِيُّ الصِّرَاعُ ²²³؛ فَعَلَى مُسْتَوَى الذَّاتِ الْوَاعِيَةِ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، ثَمَّةُ قُوَى خَافِيَّةٍ وَمُسْتَتِرَةٍ فِي حَالَةِ صِرَاعٍ، كَذَلِكَ عَلَى مُسْتَوَى الْوَعْيِ الْأَخْلَاقِيِّ ثَمَّةُ أَيْضًا وَطِيسُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ وَالْقُوَى الْارْتِكَاسِيَّةِ ²²⁴، وَمِنْ ثَمَّ فَمَا نَحْنُ وَأَخْلَاقُنَا إِلَّا مِنْ ابْتِدَاعِ الْحَوَصَلَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَيْهَا غَلَائِقُ الصِّرَاعِ الْبَاطِنِيِّ لِلْقُوَى الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَقْطُنُنَا. فَلْيَنْسَ الْعَالَمُ أَجْمَعُ أَكْتَعُ وَفَقُ تَأْوِيلِ "فُولْفُونِغِ مولر لوتر Wolfgang Müller-Lauter" لِشُدُورِ نَيْتْشَةَ وَحَدَّةٍ عُضْوِيَّةٍ بَلْ وَحَدَاتٍ عُضْوِيَّةٍ بِصِغَةِ الْجَمْعِ ²²⁵ تَقِيدُ صِرَاعَ قُوَى وَتَرْتِيبَ سُلَمِيِّ لَهَا فِي وَحَدَاتٍ عُضْوِيَّةٍ تَبَعًا لِمُجْرِيَّاتِ الْهَيْمَنَةِ وَالْخُضُوعِ الَّتِي تَحْدُثُ بَيْنَهَا ²²⁶؛ لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ نَقْهَمَ هَذِي السَّيْرُورَاتِ الْمُعَقَّدَةَ الَّتِي تُنْسَجُ مِنْ طَرَفِ الْقُوَى الْمُتَنَافِحَةِ وَالْمُتَحَارِبَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ إِنْتَاجِ الذَّاتِ بِوَصْفِهَا وَعْيًا أَوْ تَأْمَلًا، لِأَنَّ هَذَا النِّحْوَ التَّفْسِيرِيَّ يَصْطَلِمُ بِمَفْهُومِ الْإِرَادَةِ Volonté أَوْ بِالْأُخْرَى الْيُرِيدُ (الرَّيْدَةُ) Le vouloir فِي صِيغَتِهِ الْمَصْدَرِيَّةِ عَدِيمَةِ التَّصْرِيفِ عِنْدَ

²¹⁷VP, Trad. Henri Albert, § 280 : « Tout ce qui arrive, tout mouvement, tout devenir, considérés comme la fixation de degrés et de forces, -comme une lutte ».

²¹⁸Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 35.

²¹⁹Barbara Stiegler, Nietzsche et la biologie, PUF, Paris, 2001 : « La mémoire organique s'invente et se détermine à chaque fois dans la lutte du sujet vivant avec lui-même ».

²²⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, Gallimard, Paris, 1995, § 25 : « Le hasard lui-même n'est qu'entrechoquement des impulsions créatrices ».

²²¹Ibid, Tome I, Livre II, § 91 : « La "vie" se définirait comme la forme durable d'un règlement d'équilibre entre des forces, mais au cours duquel les divers combattants, de leur côté, croîtraient de façon inégale ».

²²²Gianni Vattimo, Introduction à Nietzsche, p. 125.

²²³Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 47 : « La volonté de puissance est la multiplicité des forces dont le mode relationnel est la lutte ».

²²⁴Edouard Delruelle, Métamorphoses du sujet, l'éthique philosophique de Socrate à Foucault, Edition De Boeck Supérieur, 2004, p. 249.

²²⁵Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 84 : « Le monde n'est pas un monde organique, mais un monde d'« organisme » ».

²²⁶Jean-Marie Vaysse, L'art. Nietzsche, Presses Univ. Du Mirail, 1999, p. 232.

نيتشه والذي يُعَبِّرُ بِهِ عَنْ مَا هِيَ الْعَالَمِ عَلَى نَحْوِ يَتَلَاقَى فِكْرَةَ حُضُورِ ذَاتٍ قَائِمَةٍ بِذَاتِهَا فِيمَا وراءَ الْأَحْدَاثِ ، وَمَا تَلَوْنَا تِلْوَهُ هَهُنَا هُوَ مَا أَكَّدَهُ الشَّارِحُ بَرْنَارْد بَوْتَرَا جِينَمَا صَرَّحَ قَائِلًا: "إِذَا كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ تَقْدِيمُ تَعْرِيفٍ لِلْكَوْنِ عَلَى نَحْوِ جَوْهَرِيٍّ، أَوْ تَعْرِيفِ الْكُلِّيَّةِ أَوْ الْكَيْنُونَةِ، فَيَجِبُ الْقَوْلُ إِنَّهُ "الْيَرِيدُ" مِنْ غَيْرِ ذَاتٍ"²²⁷.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّنَازُعُ وَالتَّوَاجُدُ بَيْنَ تَوْكِيدِ التَّبَايُنِ وَتَفْعِيدِ التَّوَازُنِ: فِي مُحَاجَّةِ التَّفْسِيرِ المِيكَانِيكِيِّ

لَيْسَ بِغَرِيبٍ ، تَبَعًا لِديْنَامِيكَإِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ حَيْثُ التَّعَدُّدُ وَالتَّرَاتُبُ وَالصِّيْرُورَةُ وَالصَّدْفَةُ وَالصِّرَاعُ خَوَاصُ أَوْنُطُولُوجِيَّةِ لِلْعَالَمِ ، أَنْ يَنْتَفِي مَفْهُومُ الْعِلِّيَّةِ بِمَعْنَاهُ التَّقْلِيدِيَّ ؛ وَبِهَذَا الْاِنتِفَاءِ يَرْتَفِعُ التَّعَاقُبُ الزَّمَانِيُّ بَيْنَ مُرَكِّبَاتِ الْقُوَى ، ذَلِكَ أَنَّ الْوُجُودَ فِي مَايَّتِهِ مُتَرَابِطٌ تَرَابُطًا عَجِيبًا وَفَقْ تَعَالُقٍ مُتَزَمِّنٍ لَا مُتَعَاقِبٍ ، وَالْحَالُ أَنَّ ذِهْنَنَا الْمَجْرَدَ مَسْئُولٌ عَنْ تَذْرِيرِ مَا هُوَ فِي الْأَصْلِ لُحْمَةٌ وَعَنْ صَرْمِ مَا هُوَ فِي الْبَدءِ مَضْمُونٌ حِينَمَا يَقُومُ بِالْعَزْلِ وَالْفَصْلِ بِضَرْبٍ مِنَ الْأَسْتِنْبَاطِ الْعَقْلِيِّ حَيْثُ لَا يُبْصَرُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ حَدَثًا مُسْتَمِرًّا وَمُتَوَاصِلًا إِلَّا بِوَصْفِهِ سِلْسِلَةً مِنَ الْنِقَاطِ الْمَعْزُولَةِ يُسَمَّى سَابِقُهَا عِلَّةً وَلاحِقُهَا مَغْلُولًا ، لَا سِيَّما أَنَّهُ فِي عَوْرِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِدْرَاكِيَّةِ الَّتِي تَسْمَحُ لَنَا بِالتَّعَاقُفِ هَذَا الْحَدَثِ فِي لُحْمَتِهِ الْمَرْصُوصَةِ ، خُصُوصًا أَنَّ هُنَاكَ أَعْدَادًا لَا تُحْصَى مِنَ الظَّوَاهِرِ وَالسِّيَرُورَاتِ الَّتِي تَبْدُو عَنْ الْإِدْرَاكِ فِي قَلْبِ أَيِّ حَدَثٍ كَيْفَمَا اتَّفَقَ أَمْرُهُ.

وَلِهَذِهِ الْمُسَوِّغَاتِ النَّظَرِيَّةِ أَوْغَلَ نِيَتَشَهُ فِي تَقْدِ مَفْهُومِ الْعِلِّيَّةِ ، وَقَدْ أَغْرَبَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ بِأَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي يَلْمَحُ فَيْضَ الْأَحْدَاثِ وَطَفَحَهَا ، وَيَلْحَظُ تَدْفُقَ الصِّيْرُورَةِ وَسَبْلَهَا وَمُتَوَالِيَةَ الْعَنَاصِرِ وَالتَّحَامَتِهَا ، سَيَبْذُو مُذْ ذَاكَ مَفْهُومَ الْعِلَّةِ وَالْمَغْلُولِ وَكُلَّ ارْتِبَاطٍ شَرْطِيٍّ²²⁸. فَالْمَغْلُولُ إِذَنْ وَفَقِ النَّصُورِ النِّيَتَشَوِيِّ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الزَّمَانِ إِذْ لَوْ افْتَرَضْنَا الْعَكْسَ فَسَيَكُونُ هُنَاكَ نَقْصَانٌ أَوْ زِيَادَةٌ فِي الْقُوَّةِ بِمَعْرِزٍ عَنْ أَيِّ صِلَةٍ أَوْ إِحَالَةٍ إِلَى قُوَى أُخْرَى ، يَبْدُو أَنَّ هَذَا هُوَ بِالضَّبْطِ مَا لَا يَحْدُثُ وَمِنْ ثَمَّ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ عَدَا التَّوَاشُّجِ الْمُتَزَمِّنِ الَّذِي يَدْفَعُ لافْتِرَاضِ وُجُودِ إِيقَاعٍ حَيٍّ وَلَيْسَ بَنَاتًا لِعِلَّةٍ وَمَغْلُولٍ آلِيَيْنِ²²⁹.

²²⁷Bernard Pautrat, Versions du soleil, figures et système de Nietzsche, Edition du Seuil, 1971 : « S'il fallait définir essentiellement l'univers, ou la totalité, ou l'Être, on devrait dire qu'il est « vouloir » sans sujet ». P. 50.

²²⁸GS, Trad. Patrick Wotling, § 112: « Cause et effet : probablement n'existe-t-il jamais une telle dualité, — en vérité nous sommes face à un *continuum* dont nous isolons quelques éléments... La soudaineté avec laquelle de nombreux effets se dessinent nous induit en erreur ; mais ce n'est qu'une soudaineté pour nous. Il y a dans cette seconde de soudaineté une **quantité infinie de processus qui nous échappent**. Un intellect qui verrait cause et effet comme un *continuum*, non à notre manière, comme une partition et une fragmentation

arbitraires, qui verrait le flux du devenir, — rejetterait le concept de cause et d'effet et nierait tout conditionnement ». تغليطُ المقطع في الشاهد مِنْ عِنْدِنَا لِتَعْضِيدِ مَبَانِي أُطْرُوحَتَنَا عَنْ اللَّاوعِي الْحَيَوِيِّ الْأَوْنُطُولُوجِيِّ .

²²⁹FP, IX, 24 [36]. نقلتُ الشذرة بكثير من التصرف.

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

وَتَتَعَزَّزُ هَذِي الْمَجَانَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ لِلتَّصَوُّرِ الْعَلِيِّ لِلْعَالَمِ ، بِعَدِّ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الْقُوَّةَ الدَّافِعَةَ وَالْمُحَرِّكَةَ الْوَحِيدَةَ حَيْثُ يَنْعَدِمُ خَارِجُهَا أَيْ قُوَّةٌ فِيزِيَاءِيَّةٌ أَوْ دِيْنَامِيكِيَّةٌ أَوْ نَفْسِيَّةٌ عَلَى السَّوَاءِ²³⁰ ، بَيِّنُ أَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ الْمُحَرِّكَةَ وَالْمُوجِّهَةَ²³¹ هِيَ مَا يَغْزُبُ عَنِ الْفَهْمِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي يُخْفِقُ بِمُوجِبِ تَصَوُّرِهِ الْعَلِيِّ الْآلِيِّ فِي إِدْرَاكِهَا ، وَمَا هَذَا الْإِخْفَاقُ إِلَّا مِنْ اخْتِزَالِهِ الْعِلَّةَ وَالْمَعْلُولَ فِي مُعَادَلَةٍ حِسَابِيَّةٍ مَعَ مَيْلَانٍ إِلَى الْبَرْهَنَةِ عَلَى وُجُودِ الْكَمِيَّةِ نَفْسِهَا سَوَاءً فِي الْعِلَّةِ أَوْ فِي الْمَعْلُولِ ، ذَلِكَ أَنَّ فِي إِطَارِ الْفَهْمِ الْعِلْمِيِّ لَا نَأْخُذُ فِي اعْتِبَارِنَا إِلَّا حَوَاصِلَ الْقَوَى وَمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَاضِعِينَ هَذَا كُلَّهُ فِي تَسَاوٍ مِنْ جِهَةِ الْمَضْمُونِ وَمِنْ جِهَةِ الْقُوَّةِ وَغَاصِينَ الطَّرْفَ عَنِ الْقُوَّةِ الْمُحَرِّكَةِ الَّتِي أَحْدَثَتْ التَّغْيِيرَ²³² . وَإِذَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى نَيْتِشِهِ إِلَّا أَنْ يَرْفُضَ هَذِهِ التَّسْوِيَّةَ بَيْنَ الْقَوَى فِي الْعِلْمِ الَّذِي دَابَّ ، بِمِبَادِيهِ عَدِيمَةِ الْمُبَالَاتِ *Adiaphorie* ثَجَاءَ الْفُرُوقِ ، عَلَى عَقْدِ تَسْوِيَّاتٍ بَيْنَ الْقَوَى ، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَلَى إِجْرَاءِ تَعْوِيضَاتٍ بَيْنَ الْقَوَى الْمُتَفَاوِتَةِ كَيْ تَعْدُو مُتَعَادِلَةً ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمَنْزَعِ النَيْتِشَوِيِّ الَّذِي يَبْتَهِلُ وَيَحْتَفِي بِفُرُوقِ الْقَوَى وَتَفَاوُتِهَا ضِدَّ الْمُسَاوَاةِ وَيَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ تَصَوُّرُ نَيْتِشِهِ سُلَّمًا عَدَدِيًّا وَكَمِيًّا بَيْنَ الْقَوَى بِمُوجِبِهِ يَجْرِي إِجْعَادُ تَرْتِيبٍ تَفَاضُلِيٍّ لِلْقِيَمِ قَاطِبَةً²³³ ، وَلِهَذَا الْمُسَوَّغَاتِ بِالذَّاتِ ثَلَاثِي أَنْ انتقادات نيتشه اللاذعة تتمرّد على ثلاثة مفاهيم: على التّطابق المنطقيّ، على المساواة الرياضيّة، على التّوازن الفيزيائيّ، أي على الأضرب الثلاثة لـ -اللامتمايز²³⁴. ذلك أنّ العلم في مراسه لا يراعي ما للقوة من صلة يمتنع تقطيعها ومن لُحمة يتعذر تفتيتها إذ يقوم بترييض الطبيعة برمتها ناصبًا بين القوى المفصولة والمغزولة علاقاتٍ عليّةٍ بينها²³⁵ ، فيخطئ بسبب تجاهله هذا كبد الواقع.

غَيْرَ أَنَّ الْوَاقِعَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَيْتِشِهِ خِلَافٌ مَا يَحْسَبُهُ التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ ؛ فَحَيْثَمَا نَرَى نَعَاقِبًا بَيْنَ حَالَتَيْنِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ قَضِيَّةً عِلَّةً وَمَعْلُولٍ وَإِنَّمَا هُوَ قَضِيَّةٌ صِرَاعٍ بَيْنَ قَوَى مُتَفَاوِتَةٍ وَغَيْرِ مُتَنَاظِرَةٍ مَذِ الْبِدَايَةِ تَزْدَهَرُ فِي غُضُونِ هَذَا التَّقَاتِلِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى نَحْوِ مُتَفَاضِلٍ عَلَى غَيْرِ ذِي مُسَاوَاةٍ²³⁶ ، كَمَا أَنَّ مَسَاقَ الْمَعَارِكِ وَمُنْتَهَاهَا لَنْ يَكُونَ سِوَى تَرْتِيبٍ هَرَمِيٍّ جَدِيدٍ وَبِنَاءٍ مُتَفَاضِلٍ مُحَدَّثٍ وَحُصُولٍ عَلَى مَقَادِيرٍ إِضَافِيَّةٍ مِنَ الْقُوَّةِ تَبَعًا لِإِقْدَارِ كُلِّ قُوَّةٍ²³⁷ . كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ نَيْتِشَهُ يُحَاوِلُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ فِي كُلِّ الْحَالَتَيْنِ الْمُتَتَالِيَتَيْنِ

²³⁰FP, XIV, 14 [121] : « Que toute force motrice est volonté de puissance, qu'il n'existe en dehors d'elle aucune force physique, dynamique ou psychique... ».

²³¹Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to Power, The Possibility of Value, p. 122 : « Still, it remains the case that Nietzsche presented himself and his appropriation of nineteenth-century biology as non-Darwinian (TI, 'Reconnaissance Raids', 14). This presentation is backed up by his description of the will to power in terms of the operation of an inner directive and formative force (GM, II, 12) ».

²³²VP, Trad. Henri Albert, § 302. Voir FP, XIV, 14 [121].

²³³FP, XIV, 14 [105].

²³⁴Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, Edition PUF, 1962, p. 51.

²³⁵Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p.46.

²³⁶VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 91.

²³⁷FP, XIV, 14 [95].

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

ثمة في ثنيات كل واحدة إذا أخذناها على حدة - على نحو متزامن - زمر من العرايز المتفاوتة تتقاتل وعصب من الأهواء المتفاضلة تتصاول ولقائف من الانفعالات المتخالفة تتضارب.

ولئن قامت الميتافيزيقا على افتراض توازن ما ورشوخ معين أو مساواة محددة، فإن العالم بوصفه صيرورة، في إطار منازعة التفسير العلي للكون والاستعاضة عنه بديناميكا الصراع، ينبني على تلاقى القوى المتصارعة من أجل الهيمنة وعلى خلفان وتفاضل بينها وصلة على الأقل بين فرقتين²³⁸. ونبتسه بهذا النحو يصنع إرادة الاقتدار مبدأ التفريق والامتياز الأرستقراطي²³⁹ الذي بموجبه تغدو كل الكائنات المجهرية والأكبرية مبعثرة ومفترقة إلى زمر وطُرز متفاوتة من حيث الأرومة والمكسب أو من حيث الكيونة والهيك. وتسجأ على منوالها فالمطلوب على صعيد النفس مثلاً ليس تساوي الأنفس وإنما الدفع بالتباين والتغاير بينها إلى أكبر قدر ممكن، فوق ذلك فالواقع عينه، بما ينطوي عليه من تناقض وتضاد، من صراع وتناقض، هو ما يكون لحسن الحظ مرغوباً²⁴⁰ لا سيما أن الفروقات مسفرة في هذا المقام البوليموسي عن محضها وبفضلها تربو.

على ضوء الخواص الأونطولوجية لإرادة الاقتدار أيقن نيتشه استحالة قابلية العالم للحساب؛ وفي ذلك رفض للنزوع العلمي إلى روضنة العالم؛ أوليس العلم سعياً عن اضطرار إلى إيجاد علي ثابتة ولما يحقق في العثور عليها في العالم يخلق الذرات والجواهر؛ ومع ذلك، فحسب تقدير نيتشه لن يبلغ هذا الجهد العلمي شيئاً ذا قيمة في الحقيقة²⁴¹ ما دام هناك تباين في مقادير القوى ومادام أنه ثمة التقاء متزامن للقوى يفرز نزوعاً إلى التمازج والتفهم لا ينكشف إلا في بطون العلاقة بين القوى حيث يستحيل تقدير على نحو مسبق مقدار هذا النزوع، وليس بعريب، تأسيساً على هذين الاعتبارين من حيث هما هذا التباين والالتقاء المستمر بين القوى، أن تمتنع إرادة الاقتدار - من حيث هي الحدث الأولي والأصلي الذي يصلح بما هو كذلك أن يكون أساساً للتاريخ²⁴² - من الصورية والمنطقية والروضنة²⁴³، وذلك ما يعبر عنه بيير مونتبلو بقوله: "إن هجوماً فورياً ومبتدلاً للقوى، بما هو ينبوع صيرورة مباغتة [غير متوقعة]، لن يكون بالمستطاع أبداً أن يكون قابلاً للحساب مسبقاً"²⁴⁴.

يتأكد هذا القول المذكور من قريب ويتضح بإدراكنا أن جريان الأشياء في العالم لا يحتمل إلى "مبدأ" و"قانون" و"نظام"، وقس على ذلك مقادير القوة المؤلفة لتحقيق الموجودات، مرد ذلك إلى كون

²³⁸Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 43.

²³⁹Ibid, p. 44.

²⁴⁰FP, XIII, 11 [156].

²⁴¹FP, XII, 7 [56]. نقل بتصريف

²⁴²PBM, Trad. Henri Albert, § 259.

²⁴³Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 45.

²⁴⁴Ibid, « Une attaque instantanée et réciproque des forces, source d'un devenir imprévisible, ne peut jamais être calculable à l'avance ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في تصريف الوجود إلى الجمع

هَذِي الْمَقَادِيرُ تُمارِسُ قُوَّتَهَا عَلَى مَقَادِيرَ أُخْرَى²⁴⁵ مِنْ غَيْرِ مُحْطَطَاتٍ حِسَابِيَّةٍ وَمِنْ غَيْرِ إِيقَاعٍ مُسْتَقَرٍّ. وَهَذَا التَّضَادُّ الْكُونِيّ - الَّذِي هُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ مُشْغَلٌ دَائِمٌ لِلصِّيُورَةِ وَاللَّاتَوَازُنِ الَّذِي يَدُونُهُ لَنْ تَقَعَ أَيُّ سَيُورَةٍ أَنْطُو- جينية Onto-génétique²⁴⁶ - يَمْنَعُ أَيَّ إِمْكَانٍ لِحِسَابِ الْكُونِ حِسَابًا رِیَاضِيًا، مَا دَامَتْ هُنَاكَ انْتِثَاقَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ لِلْأَحْدَاثِ وَتَغْيِيرَاتٌ مُتَوَاصِلَةٌ لَهَا، نَاهِيكَ عَنِ الْفُرُوقَاتِ الَّتِي لَا تَنْفَكُ تَزْدَادُ وَتَتَعَمَّقُ؛ ذَلِكَ أَنَّ الرِّیَاضِيَّاتِ فِي أُسَاسِهَا تَعْمَلُ ضِدَّ هَذِهِ الدِّينَامِيكِيَّاتِ الْحَرَكِيَّةِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِبْثَاتٌ لِحَثْمِيَّاتٍ وَعَلَائِقَ لَا تَتَغَيَّرُ وَقَوَانِينٍ فِي الْعَالَمِ²⁴⁷، غَيْرَ أَنَّ الْعَالَمَ الَّذِي تَرْمِي الرِّیَاضِيَّاتُ النَّظَرِيَّةُ وَالتَّطْبِيقِيَّةُ إِلَى حِسَابِهِ لَيْسَ الْبَتَّةَ جِسْمًا أَوْ جِهَازًا مُنْظَمًا بَلْ فَوْضَى²⁴⁸، فَهُوَ إِذَنْ بَرِيءٌ مِنْ أَيِّ قَانُونٍ يُعَيِّقُ صَيُورَتَهُ، هَذَا مَا يَجْعَلُ الْعَالَمَ، بِاعْتِبَارِهِ صِلَةً بَيْنَ قُوَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ²⁴⁹ وَبِاعْتِبَارِهِ مَسْرَحًا لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ بَيْنَ الْقَوَى (أَقْصِدُ دَرَجَاتِ التَّفُوقِ وَالْمُقَاوَمَةِ)، حَدَثَاتًا مُنْزَهًا عَنِ الْإِنْتِظَامِ الْقَانُونِيِّ، بِمَا أَنَّ كُلَّ قَوَى الْوُجُودِ تَسْتَخْرِجُ نَتَائِجَهَا وَمَفْعُولَاتِهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ²⁵⁰ عَلَى مَنَوَالٍ تَكُونُ فِيهِ كُلُّ قُوَّةٍ مُنْخَرِطَةً كَرَهًا فِي التَّجَدُّدِ الْكُونِيِّ.

لَا غَرَوْ مِنْ أَنْ يَكُونَ الصِّرَاعُ مِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِهِ خَاصِيَّةً لِلْوُجُودِ نَمَطَ التَّعَالُقِ وَالتَّفَاعُلِ الْكُونِيِّ، وَمَادَامَ الصِّرَاعُ لَا يُفْهَمُ إِلَّا فِي مَقَامِ التَّعَالُقِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ أَنْذِلَ لَنْ يَكُونَ لَهُ مَرْكَزٌ قَارٌّ وَإِنَّمَا مَرَاكِزُ قُوَّةٍ لَا حَصَرَ لَهَا تَصُبُّو رَغْبَتَهَا إِلَى الْإِسْتِحْوَاذِ وَالسِّيَادَةِ وَالْمَزِيدِ مِنَ الْقُوَّةِ²⁵¹، وَفِي كَنَفِ ذَلِكَ يَرْتَفِعُ السِّلْمُ وَاللَّامْبِلَاةُ وَيَسْتَحْكِمُ التَّوَاقُعُ وَالْحَرْبُ وَالتَّعَرُّفُ عَلَى الْقَوَى الْمُتَنَازِرَةِ²⁵². لِذَلِكَ لَيْسَ بِدَعَا أَنْ تَنْزِعَ كُلُّ الْقَوَى فِي الْعَالَمِ فِي كُلِّ أَنْ إِلَى أَقْصَى حَوْصَلَتِهَا وَآخِرَ تَحَقُّقِهَا²⁵³؛ كُلُّ ذَلِكَ يَتَضَاعَفُ وَيَشْتَدُّ خُصُوصًا وَأَنَّ الْعَالَمَ مَحْبُوكٌ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ بِشَبَكَاتٍ مُتَحَرِّكَةٍ مِنَ الْقَوَى، بِإِنْفِجَارَاتٍ وَإِنْحِلَالَاتٍ اقْتِدَارٍ [قُوَى]²⁵⁴. وَمَنْطِقُ التَّقَاتُلِ وَالتَّبَارُزِ هَذَا هُوَ، حَسَبَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ نِيَتَشْه فِي مَوْرِدِ مِنَ الْمَجْلَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ، مُحَرِّكُ التَّحَوُّلاتِ وَيَنْبُوعُهَا، يُعْرَبُ فَيْلسُوفِنَا عَنْ هَذَا قَائِلًا: "لَمْ يَكُنْ لِنَعْرِفِ أَنْ نَسْتَنْبِطَ تَحَوُّلًا مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَطَاوُلٌ اقْتِدَارٍ عَلَى اقْتِدَارٍ آخَرَ"²⁵⁵. وَفَوْقَ ذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْقُوَّةُ مُبْدِعَةً إِلَّا فِي سِيَاقِ مُبَارَزَةٍ مَعَ

²⁴⁵FP, XIV, 14 [81].

²⁴⁶Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 48.

²⁴⁷FP, X, 2 [94].

²⁴⁸VP, Trad. Henri Albert, § 316 : « Le monde n'est nullement un organisme, mais c'est le chaos ».

²⁴⁹FP, X, 2 [139].

²⁵⁰FP, XIV, 14 [79].

²⁵¹VP, Trad. Henri Albert, § 296.

²⁵²Ibid, § 337 : « Entre ces centres de puissance il y a frottement, guerre, reconnaissance des forces réciproques ».

²⁵³PBM, Trad. Henri Albert § 22.

²⁵⁴Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 49 : « Il est tramé de fond en comble par des réseaux mouvants de forces, des déflagrations ou des dégradations de puissances ».

²⁵⁵FP, XIV, 14 [81] : « Nous ne savons déduire une transformation s'il n'y a pas empiètement d'une puissance sur une autre puissance ».

الفصل الأول: إرادة الاقتدار بينَ وَاحِدِيَّةِ الْمَبْدَأِ وَتَعَدُّدِيَّةِ التَّجَلِّي: فِي تَصْرِيفِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَمْعِ

قُوَّةٍ أُخْرَى²⁵⁶؛ وَهَذِي الْمُبَارَزَةُ بِدَوْرِهَا لَيْسَتْ مُمَكِّنَةً إِلَّا بِفَضْلِ التَّزْوِجِ إِلَى الْإِمْتِصَاصِ وَالْإِسْتِيلَاءِ، بَيِّنَ أَنَّ هَذَا التَّزْوِجَ نَفْسُهُ لَا يَكُونُ مَرْتَبًا إِلَّا فِي إِطَارِ تَعَالُفٍ بَيْنَ قُوَى؛ عَلَى أَنْ يَكُونَ الصِّرَاعُ بَيْنَهَا لَا يَصْبُو بَتَاتًا إِلَى التَّطَابُقِ وَالْمُسَاوَاةِ اللَّذَيْنِ، بِمَا هُمَا مَبْدَأَانِ لِلْعَمَلِيَّاتِ الْمُنْطَقِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، لَا يَقْدَمَانِ أَيْ إِسْعَافٍ لِفَهْمِ عِلَاقَةِ صِرَاعٍ أَوْ مُبَارَزَةٍ مَا²⁵⁷. وَاعْتِمَادًا عَلَى هَاتِهِ الْحُجَجِ فَإِنَّ الْمِيكَانِيكَالَةَ الَّتِي تَحْتَذِي حَذْوَ التَّفْسِيرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، لَا تَبْرُزُ لَنَا فِي صِيَاقَاتِهَا إِلَّا النَّتَائِجَ وَالْحَوَصَلَاتِ مِنْ طَرِيقِ التَّصْوِيرِ²⁵⁸ دُونَ أَنْ تَقِفَ عَلَى السَّيَرُورَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَدِينَامِيكِيَّتِهَا الْجَوَانِيَّةِ. ذَلِكَ أَنَّ الْحَرَكَةَ فِي الْمِيكَانِيكَالَةِ مُجَرَّدُ لُغَةٍ مَجَازِيَّةٍ²⁵⁹ لَمْ تُؤْتِ مِنْ فِهِّ الصَّيَرُورَاتِ وَالْحَرَكِيَّاتِ الْأَصْلِيَّةِ النَّابِعَةِ مِنْ تَيَّارِ الْحَيَاةِ شَيْئًا يُذَكِّرُ.

لَمْ يَكُنْ لِنَيْتْشِه أَنْ يَرَى فِي الْمِيكَانِيكَالَةِ بِتَفْسِيرِهَا الْعَلِيِّ السُّكُونِيَّ سِوَى عِلَامَةٍ، عَرَضٍ، تَغْيِيرٍ رَمْزِيٍّ عَنِ الْعَالَمِ الْبَاطِنِيِّ لِمَقَادِيرِ الْإِرَادَةِ الْمُقَاتِلَةِ وَالظَّافِرَةِ²⁶⁰ دُونَ أَنْ تَقْلِحَ فِي الْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَتِهِ الْعَمِيقَةِ؛ أَيْ أَنَّهَا حِينَئِذٍ تُحَاوِلُ أَنْ تَصُوغَ تَعَاقُبَ الظَّوَاهِرِ، فَإِنَّهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرٍ سَيْمُولُوجِيَّةٍ وَبَادَوَاتٍ حَسِّيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ دُونَ أَنْ تَبْلُغَ مُطْلَقًا الْقُوَّةَ الْمُسَبَّبَةَ²⁶¹ مِنْ حَيْثُ هِيَ الْقُوَّةُ الْفَاعِلَةُ [إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ] الَّتِي تَفْعَلُ فِي الْمَوْجُودَاتِ جَمِيعًا؛ فِي الْكِيمِيَاءِ وَالنِّظَامِ الْكُونِيِّ بِأَسْرِهِ عَلَى نَحْوِ يَسْعَى الْكُلِّ فِيهِ إِلَى الْإِسْتِحْوَاذِ وَإِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْقُوَّةِ وَتَكْدِيسِهَا²⁶². يَنْجُمُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ قَرِيبٍ أَنَّ الْمُنْطَقَ وَالْمِيكَانِيكَالَةَ لَا يَعْدُوَانِ فَنَّا لِلتَّبْسِيطِ وَالْإِيجَازِ ابْتِغَاءَ التَّحَكُّمِ بِمُتَنَوِّعِ الْعَالَمِ وَتَشْعُبِ أَحْدَاثِهِ، بَيِّنَ أَنَّهُمَا يَخْتَزِلَانِ رَحَابَةَ الْعَالَمِ فِي سَطْوَحِهِ وَظُهُورِهِ الْبَادِيَّةِ دُونَ أَنْ يَنْفِذَا إِلَى مَا يَعْتَمِلُ فِي مَطَاوِيهِ وَبُطُونِهِ؛ مَا يَجْعَلُهُمَا غَيْرَ مُتَعَلِّقَيْنِ فِي شَقِيهِمَا التَّطْبِيقِيِّ إِلَّا بِمَا هُوَ فِي مُنْتَهَى السَّطْحِيَّةِ وَالتَّفَاهَةِ، وَعَاجِزَيْنِ عَنْ مُلَامَسَةِ الْعِلَّةِ الْأَصْلِيَّةِ²⁶³.

²⁵⁶Pierre Montebello, Nietzsche. La volonté de puissance, p. 46.

²⁵⁷Ibid, p. 47.

²⁵⁸FP, XIV, 14 [81] : « La mécanique ne nous montre que des conséquences, et, de plus, en images ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 296.

²⁵⁹VP, Trad. Henri Albert, § 296 : « ... le mouvement est un langage figuré ».

²⁶⁰FP, XIV, 14 [82].

²⁶¹VP, Trad. Henri Albert, § 297.

²⁶²Ibid, § 296-297 : « Ne nous serait-il pas permis de considérer aussi cette volonté comme cause agissante dans la chimie ? - et dans l'ordre cosmique ? Non seulement constance de l'énergie : mais maximum d'économie dans la consommation : de sorte que le désir de devenir plus fort, dans chaque centre de force, est la seule réalité, - non point conservation de soi, mais désir de s'approprier, de se rendre maître, d'augmenter, de devenir plus fort ».

²⁶³FP, XI, 5 [16] : « Logique et mécanique ne touchent jamais à la causalité originelle ».

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

المبحث الأول: الوجود الفريد والتنازع العديدي بين تعقيد الكثرة وتجريد الوحدة: في ديناميكا إرادة الاقتدار

لقد أفرغ نيتشه طوقه في الكشف عن السر الفيزيائي الذي يحكم الكيونة في شموليتها وتوسل في ذلك مفاهيم عديدة جسدت الدعائم التي بنى عليها فلسفته، وهو جهد لا شك أنه ينطلق من موقف ميتافيزيقي حتى إن لم يفض بالضرورة إلى الميتافيزيقا²⁶⁴. ونيتشه في سياق هذه المهمة عد مفهوما الكثرة مسلکا لا متقدما عنه ولا متأخرا لتفكير العالم ديناميكيا، لذلك لم ين الحديث عن كثرات بصيغ متعدّدة، فقد تكلم مرة عن كثرة أرواح Pluralité d'esprits²⁶⁵ ومرة أخرى عن كثرة غرائز Pluralité de pulsions²⁶⁶ وكرة ثالثة عن كثرة قوى Pluralité de forces²⁶⁷ وكرة رابعة عن كثرة أنفس Pluralité d'ames²⁶⁸ وكرة خامسة عن كثرة من "إرادات الاقتدار" Pluralité de «volontés de puissance»²⁶⁹، ولا غرو تبعا لذلك من ألا يفهم نيتشه الذات الإنسانية إلا من حيثية كونها تعددية²⁷⁰

²⁶⁴Pierre Boudot, Nietzsche en miettes, PUF, 1973, p. 100.

²⁶⁵FP, 1882- 1883, 4 [207].

²⁶⁶FP, 1884, 27 [59]. Voir FP, XIV, 14 [219]. Voir VP, Trad. Henri Albert, §80 : « La multiplicité et la désagrégation des instincts... ». Voir Pierre Jamet, Shakespeare & Nietzsche, la volonté de joie, Editions Publibook, 2008, p. 155 : « La Volonté de Puissance au contraire est pluralité de pulsions et de facultés, pluralité de perspectives sur le chaos, pluralité d'interprétations possibles sous l'horizon propre à chaque vivant... ». Voir Martin Heidegger, Nietzsche, Tome II, p. 283.

²⁶⁷FP, XI, 1884-1885, 34 [123]. Voir UF, Spring 1885-Spring 1886, Trans, with an Afterword, Adrian Del Caro, Stanford University Press, 2019, 34 [123] : «That a human being is a multiplicity of forces that stand in an order of rank, so that there are commanders, but that the commander must also create everything that serves the preservation of the obeyers, such that he is conditioned by their existence ». James Robert Dionne, Pascal et Nietzsche; étude historique et comparée, B. Franklin, 1974, p. 59.

²⁶⁸PBM, Trad. Patrick Wotling, §19. Voir VP, Trad. Henri Albert, §79 : « ... la multiplicité des "âmes dans une seule poitrine... ». Voir Elliot L. Jurist, Beyond Hegel and Nietzsche, Philosophy, Culture, and Agency, MIT Press, 2002, p. 214.

²⁶⁹FP, XII, 1 [58] : «L'homme en tant que multiplicité de « volontés de puissance » : chacune avec une multiplicité de moyens d'expression et de formes ». See Jean-Etienne Joullié, Will to Power, Nietzsche's Last Idol, Palgrave Macmillan UK, 2013, p. 179 : «Man is thus 'a multiplicity of 'wills to power' : each one with a multiplicity of means of expressions and forms'. WLN 1[58] ».

²⁷⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 174 : « Le sujet est une multiplicité ». See Jean-Etienne Joullié, Will to Power, Nietzsche's Last Idol, pp. 170-171 : «More importantly, he also posited that willing, properly understood, is 'based on a social structure of many "souls"'. With this expression, Nietzsche was referring to his 'hypothesis about the soul', according to which the soul is to be thought of as a 'multiplicity of the subject', as a 'social construct of drives of emotions', a hypothesis that, he believed, 'will claim [its] rightful place in science'... BGE 12. See also WP 490 (in which the expression 'aristocracy of "cells"' is employed), WP

لا تَسْتَبْطِنُ أَيَّ وَاحِدِيَّةٍ مُتَعَالِيَةٍ عَلَيْهَا بَلْ لَا تَكُونُ الذَّاتُ فِي غُرْضِ هَذِي التَّعَدُّدِيَّةِ الْمَسْكُونَةِ بِالْصِرَاعِ²⁷¹ إِلَّا مَفْعُولًا لِلْغَرَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَحْظَى كُلُّ مِنْهَا بِتَقْيِيمٍ لِلْأَشْيَاءِ وَالْأَحْدَاثِ بِمُوجِبِ مَنْظُورٍ مُخْتَلِفٍ، كَمَا تَخْتَصُّ بِنَوَامِيسِ تَطَوُّرٍ مُتَبَايِنَةٍ وَلَا تَكُونُ اسْتِعْدَادَاتُنَا وَأَهْوَاؤُنَا الَّتِي تَطْفَحُ عَلَى سَطْحِ الْوَعْيِ إِنْزِلَاقًا إِلَّا إِعَادَةٌ تَوْلِيفٍ جَارِيَةٍ فِي مَقَامِ تَصَارُعٍ وَتَنَازُعٍ تَنْتَهِي بِأَحْدَاثِ حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ فِي شَكْلِ هَذَا الْاسْتِعْدَادِ الْقَارِ أَوْ ذَاكَ الْهَوَى الْمُسْتَحْكِمِ²⁷² أَوْ ذَلِكَ الشَّعُورِ بِالْأَنَا الَّذِي هُوَ فِي مِحَاضِ الْأَمْرِ الْاسْمُ الَّذِي نُطْلِقُهُ عَلَى الْهَوَى الَّذِي تَنْتَهِي إِلَيْهِ مَقَالِيدُ الْإِمْرَةِ فِي كُلِّ حَوَاصِلِ الصِّرَاعِ²⁷³. وَحَرِيَّ بِنَا بِنَاءً عَلَى هَذَا كُلِّهِ وَاسْتِنَادًا إِلَى مَا تَرَجَّحَ لَدَيْنَا أَثْنَاءَ سَبْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّدَرَاتِ الْنَيْتَشُويَّةِ أَنْ نَقُولَ بِأَنَّهُ لَا وَجُودَ لِإِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بِصِيغَةِ الْمَفْرَدِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ [التَّحَقُّقُ الثَّانِي] وَلَا تَكُونُ الْإِرَادَةُ الْوَاعِيَّةُ الَّتِي تَشْعُرُ بِهَا وَتَدْفَعُنَا إِلَى هَذَا الْمَرَادِ أَوْ ذَاكَ فِي هَذَا السِّيَاقِ إِلَّا ثَمَرَةً لِصِرَاعِ تَعَدُّدِيَّةِ الْغَرَائِزِ²⁷⁴، وَفِي هَذَا تَمَرُّدٌ عَلَى

518 (in which Nietzsche spoke of a 'tremendous multiplicity evidenced by the body'), WP 574 (the ego said to have a 'multiplicity of [...] processes'), WP 966 ('the highest man', said to be the one who has 'the greatest multiplicity of drives'). In WP 339, mankind is described as 'an inextricable multiplicity of ascending and descending life-processes'. WLN 36[8] (apparently a draft for BGE 19) mentions a 'multiplicity of feelings'.

²⁷¹UF, Spring 1885-Spring 1886, 40 [42]: « The assumption of a single subject is perhaps not necessary; perhaps it is equally permissible to assume a multiplicity of subjects, whose working together and struggle underlie our thinking and generally our consciousness? A kind of aristocracy of "cells" in which ruling resides?... the single force that exists is of the same kind as the will's, a commanding of other subjects, who change themselves accordingly. the constant transitoriness and fleetingness of the subject, "mortal soul. number as perspectival form ».

²⁷²FP, XII, 1 [58]: « A partir de chacun de nos instincts fondamentaux, il existe une appréciation selon une perspective différente de tout événement et de tout vécu. Chacun de ces instincts se sent, par rapport à chacun des autres, soit entravé, soit encouragé et flatté, chacun a sa propre loi d'évolution (ses hauts et ses bas, son rythme etc.) – et l'un dépérit tandis que l'autre croît. Les prétendues « passions » isolées (par ex. l'homme est cruel) ne sont que des unités fictives dans la mesure où la part des différents instincts fondamentaux qui parvient à la conscience avec une apparence de similitude est recomposée synthétiquement de façon illusoire en un « être » ou une « aptitude », en une passion. Tout comme l'« âme » elle-même est une expression pour tous les phénomènes de conscience : mais nous l'interprétons comme cause de tous ces phénomènes (la « conscience de soi » est fictive!) ».

²⁷³Brian Lightbody, Nietzsche's Will to power naturalized, translating the human into nature and nature into the human, p. 73: « is in control of our actions but what Nietzsche wants us to understand is that the "ego" is just the name we give to the head drive. Since the forces that make up a "thing" are always struggling for greater power on a micro level of analysis, it is entirely possible and indeed probable, Nietzsche argues, that this head drive may change and so too our ego, personality, and consciousness along with it ».

²⁷⁴Linda L. Williams, Nietzsche's mirror, the world as will to power, Rowman & Littlefield Publishers, 2001, p. 42: « Instead, the "will" of which we are conscious is the conclusion of a complex struggle of drives "toward which" or "away from which." We think we initiate action and the action occurs. But exactly which impulses must go out, which muscles must remain slack and which must tighten, are never truly in our control. We are cognizant of only our commands ».p. 31. See Ibid: « Being engaged in a struggle does not necessarily involve awareness of the contention; it is sufficient that there is a struggle. Nonconscious organisms, such as bacteria, strive against each other and their environments, not just for survival but for dominance ».

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

الهاجس الاستحواذي لميتافيزيقا الواحد بها أن فلسفة إرادة الاقتدار معيّنة لكثرة محاربة [متصارعة ومتنافسة] ونشطة في عمق الكينونة²⁷⁵.

على هذا الأساس فالأونطولوجية النيتشوية لا يمكن أن تكون سوى أونطولوجية كثروية²⁷⁶ معها ينتفي التناقض الذي أقامه الفلاسفة المثاليون بين الكثرة التي حسبت ظاهراً محضاً وحجاب مايا والوحدة التي جعلت الحقيقة الوحيدة²⁷⁷، إذ بمعية نيتشه غدت الوحدة تجلياً للكثرة ومحمولاً لها، وأصبح الواحد لا يقال إلا على الكثرة؛ وهكذا لا ينفصل الواحد عن إثبات نفسه في حضرة التوليد والتدمير الكثروية، باختصار إن الواحد هو المتعدد وليس هذا الأخير بتاتاً كيئاً ماهوياً يتوارى خلفه هذا الواحد؛ وبعبارة أخرى إن التعدد تحول وتجل للواحد ليس إلا²⁷⁸؛ لذا فإرادة الاقتدار بهذا المعنى لعب الواحد والكثير²⁷⁹. كل ما هنالك أن نيتشه في هذا الموضع يَصْصَمُ إلى جبهة هيراقليطس ضد جيش برمنيدس؛ إذ يصرّح: "إن الكثرة التي هي عند برمنيدس وهم حواسي هي بالنسبة إلى هيراقليطس لباس*للأوحد* والصورة الظاهرية للأوحد، وليست البتة وهم؛ إن الأوحد لا يمكن أن يظهر بطريقة غيرها." [لا يمكن أن يتجلى بطريقة من سوى طريق الكثرة]²⁸⁰.

يتمحّض عن هذه النظرة أن إثبات التعدد لا يفترض فقط فكرة الكينونة المنفجرة إلى مراكز قوة لا متناهية وإنما يوجب أيضاً ألا تدخر المراكز، باعتبارها مراكز سيطرة، جهداً ابتغاء الظفر بأقصى اقتدار، ذلك أن الكثرة لا ينبغي أن تتصور ككيانات تغط في سبات السلام وفي ألفة الإخاء، بل لا مندوحة من أن ندرك وفق الصلة الأونطولوجية الممكنة بينها بما هي الصراع؛ فلا مَرَحْزَحَ إذن عن كون الكينونة الكثروية ساحة وعى دائمة تتوابع فيها محتلف مراكز القوة وتتجأز حيث القوى الفاعلة مسوقة إلى تجاوز العراقيل كيما تستبد بالسلطان وتنفرد بالأيد²⁸¹. خَلِيقٌ بالذكر أن حتمية الصراع بوصفها ناموساً كونياً فكرة أرسى دعائمها قبل هيراقليطس وباركها نيتشه أيما مباركة؛ إذ الصراع عند هذا الأخير هاجس

²⁷⁵Rüdiger Safranski, Nietzsche, Biographie d'une pensée, p. 269 : « Il n'y a pas de volonté de puissance au singulier, mais seulement au pluriel. Cela va aussi contre l'obsession métaphysique de l'Un. La philosophie de la volonté de puissance est la vision d'une pluralité agonale, dynamique, au fond de l'être ».

²⁷⁶Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 358.

²⁷⁷Ibid, p. 359.

²⁷⁸Gille deleuze, Nietzsche et la philosophie, pp. 27-28.

²⁷⁹Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 360.

²⁸⁰Ibid, p. 56. Suite de la note 1 p. 55 : « La pluralité qui est, selon Parménide, une illusion des sens, est pour Héraclite le vêtement, la forme phénoménale de l'unique, nullement une illusion; l'unique ne peut se manifester autrement... ».

²⁸¹VP, Trad. Henri Albert, § 296 : « Non seulement constance de l'énergie : mais maximum d'économie dans la consommation : de sorte que le désir de devenir plus fort, dans chaque centre de force, est la seule réalité, - non point conservation de soi, mais désir de s'approprier, de se rendre maître, d'augmenter, de devenir plus fort ». Voir VP, Trad. Henri Albert, §337 : « ... entre ces centres de puissance il y a frottement, guerre, reconnaissance des forces réciproques, compensation, rapprochement, fixation de l'échange des productions. Finalement : hiérarchie ». Voir Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p.361.

الفصل الثاني: حَواصِ الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

ظَلَّ مُسْتَحْوِذاً عَلَيْهِ عَلَى مَا تَشْهَدُ بِهِ كُلُّ كِتَابَاتِهِ ، لِذَلِكَ فَلَا غَرَوَ مِنْ أَنْ يُفْصَحَ قَائِلاً: "الصِّراعُ: إِنَّهَا فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ جَرَى اغْتِرَافُهَا مِنْ أَلْبَنُوعِ الزُّلَالِ لِلنَّزْعَةِ الْهَلِينِيَّةِ الَّتِي تَرَى فِي الصِّراعِ الْفِعْلَ الدَّوُوبَ لِعَدَالَةِ مُتَنَاسِقَةٍ وَ صَارِمَةٍ ... وَحَدَهُ الْإِغْرِيقِيُّ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَهَبَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ بِوَصْفِهَا أَسَاسًا لِكُوسْمُودِيَسَا²⁸² مُحَدَّدَةٍ، إِنَّهَا الصِّراعُ الْفَاضِلُ [الْحَسَنُ، الْجَيِّدُ، الصَّحِيحُ]²⁸³ الَّذِي قَالَ بِهِ هِيزِيُودُ وَقَدْ نُصِبَ مَبْدَأً كَوْنِيًّا، إِنَّهَا فِكْرَةُ الْمُبَارَزَةِ التَّنَافُسِيَّةِ²⁸⁴ لِلْإِغْرِيقِ وَالْمَدِينَةِ الْإِغْرِيقِيَّةِ الَّتِي *تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا فِي* حَلْبَةِ الرِّبَاضَةِ الْجِمْبَازِيَّةِ وَالْمُصَارَعَةِ، وَصِرَاعِ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَائِنِ فِيهَا بَيْنَهَا، لَكِنِ الْمَعْمَمَةُ] الْمَمْدُودَةُ] إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ، إِلَى حَدِّ أَنْ مُكَوِّنَاتِ الْكُونِ يُحَرِّكُ بَعْضُهَا بَعْضًا الْآنَ فِيهَا [أَي فِي فِكْرَةِ الْمُبَارَزَةِ] " ²⁸⁵.

لَقَدْ تَعَدَّدَتِ الْمُسَوِّغَاتُ الَّتِي حَمَلَتْ نِيَّتَهُ عَلَى الْإِحْتِفَاءِ بِرُوحِ الْكِفَاحِ وَالْمُبَارَزَةِ وَهَمَةِ الْمُنَافَسَةِ وَالتَّحَدِّيِّ؛ مِنْهَا كَوْنُ حُضُورِهَا يُفْضِي إِلَى تَقْوِيَةِ الْحَيَاةِ وَغِيَابِهَا يَقُودُ إِلَى الْهَزَالِ وَالْوَهْنِ²⁸⁶، وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِذَا مَا أَرَادَ الْحُصُولَ عَلَى السَّعَادَةِ الْأَرْضِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَتَوَسَّلَ بِالصِّراعِ وَهَذَا مَا نَطَقَتْ بِهِ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ الشَّعْرِيَّةُ بِعُتْوَانِ "نَزْعَةُ هِيرَاقْلِيْطِيَّةُ": "فِي الصِّراعِ، أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ، تَكُونُ كُلُّ سَعَادَةٍ عَلَى الْأَرْضِ!"²⁸⁷. لَا تَنَازَعْنَا الشُّكُوكُ فِي اتِّبَاعِ فَيْلُسُوفِ الْأَقْتِدَارِ لِلْكَثِيرِ مِنْ أَطْرُوحَاتِ هِيرَاقْلِيْطُسَ تَقْرِيْبًا شَبْرًا بِشَبْرٍ، لَا سِيَّما حِينَمَا يُدْرَجُ فِي الصِّيْرُورَةِ كُلِّ وَاقِعَةٍ أَصْلِيَّةٍ وَحِينَ يَسْتَنْبِطُ مِنْ قَوْلَةِ هِيرَاقْلِيْطُسَ: "بِأَنَّ التَّغْيِيرَ نَتَاجٌ لِلصِّراعِ" مَاهِيَةَ الْأَشْيَاءِ²⁸⁸؛ وَالْحَالُ أَنَّ هِيرَاقْلِيْطُسَ هُوَ الَّذِي أَبْصَرَ مَذْأُولَ وَهْلَةٍ وَبَبْصِيرَةٍ يَعْزُّ نَظِيرَهَا شُمُولِيَّةَ الْبُولِيْمُوسِ "Polemos" النَّامُوسِيَّةَ لِلظَّوَاهِرِ جَمِيعًا عَلَى أَلَّا يُقْصَرَ هَذَا الْمَفْهُومُ الْخَطِيرُ

²⁸²cosmodicée علم العدالة الكونية أو علم تبرير عدالة الكون أي ضد تجريمه و اتهامه بأنه شر.

²⁸³Fabienne Blaise, Pierre Judet de la Combe, Philippe Rousseau, Le Métier du mythe : Lectures d'Hésiode, Presses Univ. Septentrion, 1996, p. 209. Voir Philippe Baron, Anne Mantero, Bagatelles pour l'éternité : l'art du bref en littérature, Volume 692, Presses Univ. Franche-Comté, 2000, p. 37.

يُفَرِّقُ هِيزِيُودُ بَيْنَ صُورَتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَيْنِ لِلصِّراعِ ، بَيْنَ صِرَاعٍ فَاسِدٍ أَوْ شَرِيرٍ kakê eris بِالْفَرَنْسِيَّةِ mauvaise lutte وَهُوَ الَّذِي يَسَبِّبُ الْمَجَازِرَ وَالْحُرُوبَ ، وَصِرَاعٍ خَيْرٍ أَوْ عَادِلٍ أَوْ فَاضِلٍ بِالْفَرَنْسِيَّةِ bonne eris وَهُوَ الَّذِي يَقْهَمُ الرِّجَالُ فِي مُنَافَسَةٍ شَرِيفَةٍ كَمَا فِي الْأَلْعَابِ الْأَلْمَبِيَّةِ.

²⁸⁴PETG, In Oeuvres, 1870-1873, Gallimard, 1975, Trad. Michel Haar et Marc de Launay, p. 231 : « ... c'est la conception de la joute... ».

²⁸⁵NPETG, Trad. Geneviève Bianquis, NRF, Gallimard, Paris, 1938, p. 60.

²⁸⁶Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes : souffrance et compassion, Edition Beauchesne 1977, p. 48.

²⁸⁷GS, Trad. A Vialatte, NRF, Aubier, Paris, 1950, Plaisanterie, ruse et vengeance § 41 : « Héraclitisme : « Tout bonheur sur la terre est dans la lutte, Amis ! ».

يَتَرْجَمُ بَاتَرِيْكَ فُوتْلِيْنِغِ الْعِبَارَةُ ب : " إِنَّ كُلَّ سَعَادَةٍ عَلَى الْأَرْضِ ، أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ ، مُعْطَاةٌ بِالصِّراعِ ".

²⁸⁸Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 282.

الفصل الثاني: حواص الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيْقِيِّ

على الحربِ Guerre وَحَدَهُ، نَظَرًا لامتدادِهِ، فَضْلًا عَنْهُ، إِلَى مَعْنَى الصِّرَاعِ وَالْكَفَاحِ Conflit وَالنِّزَاعِ وَالسِّجَالِ وَالْمُنَافَسَةِ Querelle، دُونَ أَنْ نَذْهَلَ عَنْ دِلَالَةِ الْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ Discorde²⁸⁹.

لَا يَخْفَى عَلَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمَحَايِنَةَ الشَّامِلَةَ لِلصِّرَاعِ يَوْصِفُهُ نَامُوسًا هُوَ ذَا مَا تَكْشِفُ عَنْهُ هَذِهِ الشَّدْرَةُ الْهِيْرَاقْلِيْطِيْةُ: "يَجِبُ مَعْرِفَةُ أَنَّ الْحَرْبَ كَوْنِيَّةٌ وَأَنَّ الْمُبَارَزَةَ عَدْلٌ وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُحْدَثَةَ مُحْدَثَةٌ بِفَضْلِ الْمُبَارَزَةِ وَبِفَضْلِهَا أَيْضًا تَكُونُ الْأَشْيَاءُ ضَرْوِيَّةً"²⁹⁰. لَا مَفَرَّ إِذَنْ وَفَقَ مَا تَقْضِيهِ هَذِهِ الشُّمُولِيَّةُ مِنَ الْأَلَّا يُسْتَشْتَمَلُ مِنْهَا فِي الْعَالَمِيْنَ الْإِلَهَةِ وَلَا الْبَشَرِ؛ فَلَا هَذَا وَلَا ذَاكَ فِي حِلٍّ مِنْ حُلُولِ النَّامُوسِ الْأَقْدَسِ لِلْبُولِيْمُوسِ²⁹¹؛ ذَلِكَ أَنَّ مَا هِيَ الْكَيْنُوتِيَّةُ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ رُؤْيَا أَنْ يَغْرُبَ عَنْهَا لَا تَكْمُنُ فِي الرُّسُوحِ فِي هُويَّةٍ مَا أَوْ التَّصَلُّبِ فِي مَقَامِ سَكُونٍ مُعَيَّنٍ وَإِنَّمَا لَا تَبْرُزُ عَلَى نَحْوِ بَوَاحٍ إِلَّا فِي حَرَكَاتِ الْمُنَاقِصَاتِ الْمُنَافِحَةِ مِنْ غَيْرِ هَوَادَةٍ بِضَرْبٍ مِنَ السَّرْمَدِيَّةِ وَالْحَثْمِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ²⁹²؛ وَمِنْ ثَمَّ فَلَا نَامُوسَ حَسَبِ هِيْرَاقْلِيْطُسَ إِلَّا نَامُوسًا وَاحِدًا يَسْتَعْمِلُ لَفْظَتَيْنِ لِلتَّحْدِيدِ عَلَيْهِ؛ ثَارَةً يَسْتَخْدِمُ لَفْظَةَ النَّارِ وَفَقَ الدِّلَالَةِ الْمَادِيَّةِ وَثَارَةً أُخْرَى لَفْظَةَ الْبُولِيْمُوسِ طَبَقًا لِلدِّلَالَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

وَيُخَلَّدُ إِلَى الصِّلَةِ الْفَلْسَفِيَّةِ بَيْنَ هِيْرَاقْلِيْطُسَ وَنِيْتَشَةَ بَيَقِيْنٍ، لَمَّا نَلَفِي فِيْلَسُوفَ الْاِقْتِدَارِ فِي فِتْرَةِ تَقْلُسْفِهِ الْأَوَّلَى يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَكْلَ يَقِفُ عِنْدَهُ إِلَى حَدِّ الْقَوْلِ إِنَّهُ مِنْ غَيْرِ شَكْلٍ مَا دَامَ يَتَجَلَّى فِي كَثْرَةٍ مِنَ الْأَشْكَالِ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ، نَاهِيكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسَالِمٍ، دَعَّ عَنَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَدِيمُ التَّأَثُّرِيَّةِ وَالصِّيْرُورَةِ، ذَلِكَ أَنَّهُ فِي غَوْرِهِ مُكَوَّنٌ مِنَ التَّنَاقُضَاتِ وَالْاِخْتِلَافَاتِ وَالْاِسْمِ الْعَتِيقِ الْأَلِيقِ بِهِ هُوَ الْبُولِيْمُوسُ²⁹³. نَتَبَيَّنُ فِي مَعْرِضٍ مَا تَقَدَّمَ أَنَّ نِيْتَشَةَ لَمْ يُفَكِّرِ الْكَثْرَةَ فِي أَفْقِ السَّلَامِ وَالْوَثَامِ وَإِنَّمَا فَهَمُّهَا وَفَقَ طَائِعِ أَصْلِيِّ الْحَيَاةِ يَتَمَثَّلُ فِي الصِّرَاعِ، وَعَلَى خُطَى ذَلِكَ نُدْرِكُ أَنَّ الطَّائِعَ الْعَلَائِقِيَّ الَّذِي يَصِلُ هَذِهِ الْكَثْرَةُ مَعَ بَعْضِهَا بَعْضًا بِمَا هُوَ الصِّرَاعُ لَا يَسْمَحُ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ بِسَلْمٍ جَوَانِيٍّ رَاسِخٍ فِي الْأَفْرَادِ وَلَا بَيْنَ الدُّوَلِ، وَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى إِعْطَاءِ السِّلْمِ قِيَمَةً غَلِيًّا عَوْضَ أَنْ يَمْنَحَهَا لِلْحَرْبِ فَهُوَ بِذَلِكَ يَتَّخِذُ مَوْقِفًا مُنَاقِضًا لِلْحَيَاةِ وَيَكْشِفُ عَنِ الْاِنْحِطَاطِ وَالْعَجْزِ اللَّذَيْنِ يُحَرِّكَانِ مِثْلَ هَذَا الْمَوْقِفِ؛ وَالْآيَةُ الشَّاهِدَةُ عَلَى بُطْلَانِ الْكَرَازَةِ بِالسِّلْمِ كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ كَانِطٌ فِي مَشْرُوعِهِ لِلْسَّلَامِ الدَّائِمِ؛ وَالْأَمَارَةُ الدَّالَّةُ عَلَى الطَّوِيَّةِ الْخَبِيْثَةِ الْمَعَادِيَّةِ لِلْحَيَاةِ الْمُتَرَقِّيَّةِ لَدَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ هِيَ الْحَيَاةُ نَفْسُهَا فِي حَقِيقَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَبَثَّقَ وَتَرْتَقِي فِي مَنَآئِ عَنِ الْحُرُوبِ الَّتِي تُؤَلِّفُ كِيَانَهَا وَمَسَارَهَا التَّطَوُّرِيَّ. وَهَذَا الْإِغْلَاءُ الْفَلْسَفِيُّ مِنْ شَأْنِ الصِّرَاعِ لَدَى نِيْتَشَةَ هُوَ مَا جَعَلَ فَيْلَسُوفَ النَّازِيَّةِ "بَاوْمِلَر"، اسْتِنَانًا بِأُسْتَاذِهِ نِيْتَشَةَ، يَبْحَثُ وَيَجِدُ فِي الصِّرَاعِ وَالْحَرْبِ-الَّذِي بِهِمَا يَشْتَمَلُ الْمَفْهُومُ الْفَلْسَفِيُّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عَلَى التِّيَّارِ غَيْرِ الْمَبْثُورِ لِلصِّيْرُورَةِ- عَلَى الْعَدَالَةِ الْأُسْمَى

²⁸⁹Héraclite Fragments, Texte établi, traduit et commenté par Marcel Conche, PUF, 2011, B 129 (53) Hippolyte, Réfutation de toutes les hérésies, IX, 9, 4 (p. 242 Wendland)–.

²⁹⁰Ibid, B 128 (80), Celse dans Origene, Contre Celse, VI, 42 (p. 278 Borret): « Il faut savoir que la guerre est universelle, et la joute justice, et que, engendrées, toutes choses le sont par la joute, et par elle nécessitées ».

²⁹¹Ibid, B 30 (80).

²⁹²Ibid, pp. 438-439- 440.

²⁹³Bernard Pautrat, Versions du soleil, figures et système de Nietzsche, p. 50.

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

التي تُحَرِّضُ عَلَى الطَّبَقِيَّةِ ، وَتَجْعَلُ الْأَسْيَادَ أَسْيَادًا (بِفَضْلِ شَجَاعَتِهِمِ الْفِطْرِيَّةِ) وَمِنْ أَلْعَبِيدِ عَبِيدًا (بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ) ، إِنَّهَا تَلْكَمُ الْعَدَالَةَ الَّتِي لَا تَعْتَرِفُ إِلَّا بِغَرِيزَةِ الْقُوَّةِ وَالَّتِي تُعِيدُ لِلْحَيَاةِ بَرَاءَتَهَا ، بَرَاءَةَ سُلْطَةِ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ بِمَا أَنَّ الَّذِي يُسَيِّطِرُ وَحْدَهُ خَلِيقٌ بِإِقَامَةِ الْعَدَالَةِ ، أَيْ بِإِدَاعِ السَّلَامِ الَّذِي يُفِيدُ فِي قِيَاسِ الْأَشْيَاءِ جَمِيعًا²⁹⁴ .

وَعَلَى هَذِي هَذِهِ النُّظْرَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الصَّرَاحِ وَالْحَرْبِ ، فَالْمُجْتَمَعُ نَفْسُهُ لَنْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ غَايَةً تُرَاعِيهَا الْحُرُوبُ فِي مُجَرِّيَاتِهَا وَحَيَثِيَّاتِهَا وَإِنَّمَا الْمُجْتَمَعُ هُوَ الَّذِي يُعَدُّ وَسِيلَةً لِلْحَرْبِ تُسْتَخْدَمُ لِتَنْشِيطِ الْحَيَاةِ وَالِدَفْعِ بِهَا قُدَمًا فِي مِرْقَاةِ الْقُوَّةِ ؛ يَقُولُ نِيَتَشْه فِي هَذَا الشَّأْنِ: "إِنَّ التَّقْوِيمَ الَّذِي يَسْمَحُ الْيَوْمَ بِمُحَاكِمَةِ مُحْتَلِفِ أَشْكَالِ الْمُجْتَمَعِ يَتِمَّاهِي تَمَامًا مَعَ التَّقْوِيمِ الَّذِي يَمْنَحُ لِلْسَّلَامِ قِيَمَةً أَعْلَى مِنْ قِيَمَةِ الْحَرْبِ: بَيَدَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْحُكْمِ مُنَاقِضٌ لِلْحَيَاةِ ، بَلْ هُوَ نَتَاجُ الْإِنْحِطَاطِ فِي الْحَيَاةِ ...إِنَّ الْحَيَاةَ نَتِيجَةُ الْحَرْبِ ، بَلْ إِنَّ الْمُجْتَمَعُ نَفْسُهُ وَسِيلَةٌ لِلْحَرْبِ"²⁹⁵ . وَلَا بَأْسَ بَعْدَ الْإِثْنَانِ بِهَذِهِ الشَّدْرَةِ أَنْ تُرَدِّفَهَا بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ الْمُهَمَّةِ وَالْمُمَثِّلَةِ فِي عَدَمِ كَوْنِ الدَّوْلَةِ ، بِالنِّسْبَةِ لِقَيْلُسُوفِنَا ، غَايَةً بَلْ ذَرِيعَةً [وَسِيلَةً] ؛ ذَرِيعَةً فِي يَدِ الْعَبَاقِرَةِ وَالْأَقْوِيَاءِ الْمُسْتَبْدِينَ تُجِيزُ لَهُمُ الْحَرْبَ وَالْعَرَاوَاتِ ، وَالْكَفَاحَ فِي سَبِيلِ السُّلْطَانِ [الْأَيْدِ ، الْقُوَّةِ] الْأَسْمَى . وَلَا غَرَابَةَ عَلَى أَسَاسِ هَاتِهِ التَّقْرِيرَاتِ أَنْ يُبَوِّئَ الْحَرْبَ مَنْزِلَةً فَوْقَ الدُّوَلِ ، وَالْمُحَارِبَ فَوْقَ الْمُؤَظَّفِ²⁹⁶ .

وَلَا عَجَابَ أَنْ يَحْمِلَ هَذَا الْمَسْئَلُ الْحَيَوِيُّ فِي تَفْكِيرِ الْكَيْنُونَةِ تَبَعًا لِمَنْطِقِ التَّوَاقُعِ عَلَى التَّجَرُّدِ مِنْ أَيْ شَفَقَةٍ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وَعَلَى اسْتِعْمَالِ الْحَرْبِ تَرْيَاقًا لِتَطْهِيرِ الْحَيَاةِ مِنْ فَضْلَاتِهَا ، بِمَا هِيَ هَوْلَاءُ الضَّعْفَاءِ الَّذِينَ يُعْرِقُلُونِ الْحَرَكَاتِ الصَّاعِدَةَ لِلْحَيَاةِ وَيَتَبَطُّونَ أَيْضًا الطَّرَازَ الْحَيَوِيَّ وَالْإِفْدَامِيَّ لِأَخْلَائِهَا الْأَقْوِيَاءِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ تُقْضِي ، وَفَقَ نَامُوسِهَا الْأَعْلَى ، بِالتَّخْلُصِ مِنْهُمْ . فَلَا مَحِيدَ بِمُوجِبِ شَرَعِ الْحَيَاةِ الْأَصْلِيَّةِ ذَاتِ التُّشْدَانِ الْمُطْلَقِ لِلْقُوَّةِ عَنْ تَقْتِيلِ أَسْقَاطِ الْبَشَرِ ؛ هُوَ ذَا مَا نَطَقَ بِهِ هَذَا الشَّاهِدُ النَّصِيُّ: "إِنَّ النَّامُوسَ الْأَعْلَى لِلْحَيَاةِ الَّذِي صَاغَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ زَرَادُشْتُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ نَكُونَ بِلَا شَفَقَةٍ عَلَى كُلِّ بُرَازِ الْحَيَاةِ وَفَضْلَتِهَا وَأَنْ نُدَمِّرَ مَنْ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْمُتَرْقِيَةِ لَيْسَ إِلَّا عَقَبَةً وَسُمْئًا وَمَكِيدَةً وَعَدَاءً مَكْظُومًا

²⁹⁴Stepan Odoueu, Par les sentiers de Zarathoustra : Influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande, Edition Du Progrès Moscou, 1980. P. 256 : « Dans la lutte et dans la guerre auxquelles la conception philosophique de la volonté de puissance ramène le courant incessant du devenir, baumler cherche et trouve la « justice suprême », l' « instigatrice de tous les rangs », qui fait mes maîtres des maîtres (grâce à leur courage inné) et des esclaves des esclaves (grâce à leur lâcheté), la justice qui ne reconnaît que l'instinct de force et qui rend à la vie son « innocence », l'innocence du pouvoir du plus fort sur le faible... » .

²⁹⁵VP, Trad. Henri Albert, § 215 : « L'évaluation qui sert à juger aujourd'hui les différentes formes de la société s'identifie absolument à celle qui prête à la paix une valeur supérieure à la guerre : mais un pareil jugement est anti biologique, il est même un produit de la décadence dans la vie... La vie est une conséquence de la guerre, la société elle-même est un moyen pour la guerre... » .

²⁹⁶Stépan Odouev, Par les sentiers de Zarathoustra : influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande, p. 258.

[عَيْضًا مَكْظُومًا]، فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَّهُ الْمَسِيحِيَّةُ... أَنْ يُقَالَ "لَا تَقْتُلْ بَنَاتًا!" هُوَ ذَا *قَوْلٌ* غَيْرُ أَخْلَاقِيٍّ، إِنَّهُ بِالْمَعْنَى الْعَمِيقِ نَقِيضُ الطَّبِيعَةِ²⁹⁷.

وَنَعْتَرُ عَلَى مُؤَيِّدٍ آخَرَ لِهَذَا الْمَوْرِدِ يُبَيِّنُ فِيهِ نِيَّتَهُ مَنْطِقَ الْحَيَاةِ وَسَيَرَهَا قَائِلًا: "إِنَّ الْحَيَاةَ ذَاتَهَا لَا تَعْتَرِفُ بِالتَّعَاوُدِ وَتَسَاوِيِ الْحُقُوقِ بَيْنَ الْأَطْرَافِ السَّلِيمَةِ وَالْأَطْرَافِ الْمُنْحَطَةِ فِي جِهَازِهَا الْغَضَوِيِّ: يَجِبُ الْغَاءُ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ _ وَالْهَلْكَ الْمَجْمُوعُ. _ إِنَّ الشَّفَقَةَ عَلَى الْمُنْحَطِينَ، وَالتَّسَاوِيِ فِي الْحُقُوقِ، حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُنْكَودِينَ [أَوْ لِلَّذِينَ جَاءُوا مَعُوقِينَ أَوْ لغيرِ الْمُؤَقِّقِينَ] سَيَكُونُ هَذَا الْإِلَاحَاقِيَّةَ الْأَكْثَرُ غُمْفًا وَسَيَكُونُ هَذَا نَقِيضُ الطَّبِيعَةِ عَيْنُهُ وَقَدْ نُصِبَ [نَصَبَ بِمَعْنَى أَقَامَ وَشَيَّدَ] أَخْلَاقًا"²⁹⁸.

لَا امْتِرَاءً أَنَّ هَذَا النُّحُوَ الْفَلَسَفِيَّ فِي التَّفَكِيرِ مُشْتَمِلٌ عَلَى رُؤْيَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ خَطِيرَةٍ وَمَنْطُورٍ عَلَى تَبَعَاتٍ قَاتِلَةٍ عَلَى مُسْتَوَى الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ إِفْضَائِهِ إِلَى سِيَاسَةٍ جُنُونِيَّةٍ كَبْرَى لَوْ أَخَذَ عَلَى مَحْمَلِ الْحَدِّ فِي التَّشْرِيعَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ وَنَحْنُ نَقْفُ مَشْدُوهِينَ ثُجَاهَ التَّغَايِي الْمَطْرَدِ لَدَى الشَّرَاحِ الْأَكَابِرِ لِلْفَلَسَفَةِ الْنِيْتَشَوِيَّةِ عَنِ الْمَعْقَبَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَسُوقُنَا إِلَيْهَا مِثْلَ هَذِهِ الْأَطْرُوحَةِ الْمُسْتَنْطَةِ وَأَعْرَبُ مَا فِي الْأَمْرِ حِينَمَا يَنْهَافَتُونَ كُلٌّ عَلَى طَرِيقَتِهِ بِنَفْيِ أَيْ تَوَرُّطٍ لِلْفَلَسَفَةِ الْنِيْتَشَوِيَّةِ فِي الْآلَةِ الْأَيْدُولُوجِيَّةِ لِلنَّازِيَّةِ وَالْفَاشِيَّةِ، فِي حِينٍ أَنَّ وَقَعَ الْأَمْرُ يُبْرِزُ لَنَا بِمَا لَا يَدْعُ أَيْ مَجَالٍ لِلرَّيَابِ وَالتَّحْفِظِ أَنَّ الْبُزْنَ الْأَيْدُولُوجِيَّ الْمَفْضَّلَ الَّذِي كَانَ يُزَوِّدُ تِنَكَ الْحَرَكَتَيْنِ الثُّوَالِيَتَارِيَّتَيْنِ هُوَ بَنْزِينُ الْمَنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ؛ وَتَبَيَّنَ هَذِهِ الْخُطُورَةُ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا مَنُصُوصَاتُ نِيَّتِهِ فِي سِيَاقِ ثَالُوثِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْحَرْبِ وَالتَّصْنِيفِ وَتَرْقِي الْحَيَاةِ هُوَ مَا نَهَضَ عَلَى التَّلْمِيحِ إِلَيْهِ أَوْتُو فَلَكَ Otto Flake حِينَمَا أَبَانَ عَنِ الْمَظْهَرِ السِّيَاسِيِّ لِكِتَابَاتِ فِيلْسُوفِ الْاِقْتِدَارِ فِي دَرَاثِهِ الْمَعْنُونَةِ: "نِيَّتُهُ: نَظَرُهُ اسْتِرْجَاعِيَّةٌ لِفَلْسَفَتِهِ" كَاشِفًا عِلَاقَةَ نِيَّتِهِ بِأَحَدِ أَكْثَرِ الْمَفَاهِيمِ السِّيَاسِيَّةِ خُطُورَةً حَيْثُ قَالَ: "لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَبَدًا رُؤْيُ مُسَالِمَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ مَقْشُورًا بِأَكْثَرِ الْكَلِمَاتِ شَيْطَانِيَّةً: الْحَرْبُ"²⁹⁹.

قَدْ يَبْدُو لَنَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنَّ عَزَائِنَا الْوَحِيدَ، فِي مَقَامِ تَبْجِيلِ نِيَّتِهِ لِمَفْهُومِ الصِّرَاعِ الَّذِي يَطْبَعُ الْكَثَرَاتِ وَيُحَرِّكُهَا، هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَاحِثُ لُئِي J.C.Lannoy فِي أَنَّ هَذَا الصِّرَاعَ الْأَوْنَطُولُوجِيَّ الَّذِي تَحْفَلُ بِهِ فِلْسَفَةُ نِيَّتِهِ مَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا تَعْبِيرٌ عَنِ الصِّرَاعِ النَّفْسِيِّ وَالْجُسْمانِيِّ الَّذِي كَابَدَهُ هَذَا الْفِيلْسُوفُ الثَّائِرُ

²⁹⁷FP, XII, 23 [10] (2) : «-La loi supérieure de la vie, formulée en premier par Zarathoustra, exige que l'on soitsans pitié pour tout excrément et rebut de la vie, que l'on détruise ce qui, pour la vie montante, n'est que gêne, poison, conspiration, souterraine hostilité, en un mot, christianisme... Il est immoral, il est contre nature au sens le plus profond, de dire « tu ne tueras point! ».

²⁹⁸VP, Trad. Henri Albert, § 229 : « ... La vie elle-même ne reconnaît pas de solidarité, pas de "droits égaux" entre les parties saines et les parties dégénérées de son organisme : il faut éliminer ces dernières - autrement l'ensemble périt.- La compassion avec les décadents, les droits égaux, même pour les malvenus - ce serait la plus profonde immoralité, ce serait la contre-nature elle-même érigée en morale! »

²⁹⁹Stépan Odoeuv, Par les sentiers de Zarathoustra, p. 304 : « ... que j'ai jamais lui-même n'avait eu de vues pacifistes et qu'il était séduit par le démoniaque de tous les mots : la guerre ».

في مسار حياته، يقول في هذا: "إن شذرة" صراع هو الكل" هي ذا ما يختصر* في خلاصة* كل ميتافيزيقاه وتترجم الكفاح الذي خاضه في سبيل الإبقاء على نفسه³⁰⁰ ضد المرض الذي ما فتى ينهش قواه الجسدية والنفسية، لكن هذا القول حسب رأينا لا يعزينا في شوط حتى تظهر حقيقة المضمرات البشعة للتأملات النيتشوية لتؤخر ضميرنا في أشواط آخر، لا سيما أن التأويل النفسي الذي يذهب ناحيته بعض الشراح كما هو شأن لنوي قاصر من وجوه عديدة: أولاً- لأنه يريد أن يجعل تأملات الفيلسوف مجرد أحاسيس شخصية أو معاناة نفسية، مما يفضي إلى تحول الفلسفة النيتشوية - وقس على ذلك غيرها من الفلسفات - وفقه إلى رواية شخصية أو روزنامة يومية، وثانياً- لأنه يتغاضى عن كون هذه المقولة التي تركز إلى تأكيد الحرب والصراع والاحتفاء بهما أيما احتفاءً أمراً قد أكدته لينتسه تجارب كثيرة؛ نفسية واجتماعية وسياسية وقبل كل شيء بيولوجية؛ وله في تاريخ الجنس البشري دليل على تواتر الحروب من كل صنف، ودليل على شواذية السلام.

نخلص على ضوء هذا التحليل وبضرب من التحفظ إلى أن نيتشه- جرياً على ما نحا نحوه الشارح نول- يقدم إرادة الاقتدار في إطار تأملاته على أنها حوصلة وليست مقدمة، إذ أنه ينطلق من الكثرة والصراع كي يستخلص بعدئذ حتمية المنظورية على مستوى المعرفة ومن ثم يقدم مفهوم إرادة الاقتدار ليعبر في صياغة شاملة عن البنية المنطقية لأفكاره السابقة³⁰¹. ومعنى ذلك أن نيتشه يستخدم إرادة الاقتدار ليلم في صياغة تركيبية جملة التحديدات المعينة للكينونة كما يفهمها من قبيل الصيرورة ولعبة الواحد والكثير والمنظورية وخصوصاً الصراع، ومن ثم فهو يجمع كل صفات "الكينونة" وسموتها تحت مقولة واحدة يسميها إرادة الاقتدار³⁰². وهذا ما يفسر لما لا يمكن أن تتأسس المنظورية على مفهوم الكثرة فقط بل تحتاج أيضاً إلى مفهوم الصراع ومن هنا فالكثرة في باصرة نيتشه ليست رياضية بل بوليموسية وهذا يفيد أن الكون مفتت إلى جموع دقيقة من الوقائع التي تخاطر على نحو متزامن بنفسها ابتغاء الفوز بمزيد من القوة³⁰³، إذ لا يمكن أن نصور أي جسم اجتماعي في علائقه مع نفسه وفي صلاته مع الجسوم الاجتماعية الأخرى في ملكوت الحياة ومنطقها دون قيمومته الوظيفية التي تكمن- طبقاً للجبلة التي جبل عليها- في مزاوله أفاعيل الاستيلاء والسلب والقمع والاستغلال، ذلك أن النماء والتوسع والهيمنة من خواص من يحيا وهم جميعاً عيّن إرادة الاقتدار التي لا يمكن أن ترتد عن طبائعها هاته³⁰⁴. لا سيما أن الصراع بين القوى الجامحة يتقوى ويشتد على أساس الأناية التي تحكم العالم العضوي برمته، ذلك أن المخلوق العضوي ليس بمكتنه أن يرى الأشياء حسب نيتشه إلا بموجب زاوية نظريته الأناية كيما

³⁰⁰Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 296 : « Tout est combat » voilà l'aphorisme qui résume toute sa métaphysique et qui traduit la lutte qu'il mène pour la conservation de soi-même ».

³⁰¹Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 362.

³⁰²Ibid, p. 366.

³⁰³Ibid, p. 363.

³⁰⁴PBM, Trad. Patrick Woltling, In Friedrich Nietzsche, In œuvres, Flammarion, §259.

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

يَسْتَطِيعُ الْمُحَافِظَةُ عَلَى بَقَائِهِ³⁰⁵ وَهَذِهِ الْأَنَانِيَةُ النَّزَاعَةُ إِلَى الْأَسْتَبْصَارِ بِكُلِّ شَيْءٍ تُوجِّعُ فِتِيلَ الصِّرَاعِ وَتُسْرِعُ وَتِيرَتَهُ.

لَكِنْ أَلَيْسَ مِنَ الْحَقِيقِ بِنَا بَعْدَ الْعَرَضِ الْحَثِيثِ لِأَضْرِبِ الْكَثْرَاتِ أَنْ نَسْأَلَ بِأَدْيِ الْأَمْرِ عَنِ الدَّرَبِ الدَّانِي وَالْهَادِي الَّذِي فِي وَسْعِهِ أَنْ يَفْذِفَ بِنَا وَفُهْومَنَا فِي قَلْبِ الْكَثْرَةِ بِمَا هِيَ كَذَلِكَ؟ أَوْ بِالْأُخْرَى أَيْ وَسِيطِ أُمْتَلِ وَأَيُّ مِنْظَارٍ أَبْصَرَ لِلتَّقَاذِ إِلَى حَضْرَةِ الْكَثْرَةِ الْحَيَاتِيَّةِ؟ الْأَفْكَارُ بَتَعَدُّدِهَا؟ كَلَّا، فَالْأَفْكَارُ لَيْسَتْ غَنِيَّةً عَدَدًا وَمَدَدًا كِفَايَةً كَيْ تَضْطَلَعَ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ، فَمَهْمَا تَنَوَّعَتْ فِيهِ بِالْمُقَارَنَةِ بِوَقَائِعِ الْجُسْمَانِ لَيْسَتْ إِلَّا فَقِيرَةً وَشَاحِبَةً، ذَلِكَ أَنَّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ هَذَا الْعَقْلُ الْكَبِيرُ أَوْ الْوَعْيُ الْعَظِيمُ الْمَوْسُومُ بِالْجُسْمَانِ هُوَ أَنَّهُ وَعْيٌ مِنْ طَبَقَةٍ أَرْقَى وَأَنَّهُ جَمَاعَةٌ ذَاتُ سِيَادَةٍ³⁰⁶ وَكَثْرَةٌ عَجِيبَةٌ وَمُعَقَّدَةٌ³⁰⁷ مُقَارَنَةً بِعَالَمِ الْوَعْيِ الْمِثَالِيِّ. وَهَذَا التَّصْغِيرُ لِعَالَمِ الْأَفْكَارِ مُقَارَنَةً بِعَالَمِ أَرْحَبٍ وَأَوْسَعٍ هُوَ ذَا مَا تُعْرِبُ عَنْهُ هَذِهِ الشَّدْرَةُ: "إِنَّ الْأَفْكَارَ وَالْأَحَاسِيسَ أَشْيَاءَ فِي مُنْتَهَى الرَّهَافَةِ وَالدَّرَةِ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ الْوَقَائِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ إِنْصَاتُهَا الَّتِي تَمَلُّ أَدْنَى اللَّحْظَاتِ [أَوْ أَقَلَّ اللَّحْظَاتِ دَوَامًا أَوْ أَشَدَّ اللَّحْظَاتِ زَوَالًا]"³⁰⁸، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالْعَقْلُ نَفْسُهُ الَّذِي يُنْتِجُ الْأَفْكَارَ وَيَتَدَاوَلُهَا لَيْسَ إِلَّا عَبْدًا خَاضِعًا تَصْطَلِعُهُ كَثْرَاتٌ غَرِيزِيَّةٌ غَنِيَّةٌ وَمُسْتَبَدَّةٌ، بَيَانُ ذَلِكَ يَتِمُّ فِي مَا صَرَّحَ بِهِ نَيْتْشَةُ قَائِلًا: "إِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ إِلَّا أَدَاةً فِي يَدِ الْإِنْفِعَالَاتِ الْكَثْرَوِيَّةِ"³⁰⁹، وَلَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ خَادِمًا لِلْغَرَائِزِ³¹⁰، وَالْأَهْوَاءِ وَالنُّزُوعَاتِ³¹¹. وَمَنْ إِذَنْ تَبَعًا لِذَلِكَ يَنْعَمُ بِكَثْرَاتٍ كِفَايَةً كَيْ يَكُونَ جَدِيرًا أَنْ يُظْهِرَ لَنَا "مَنْطِقَ الْكَثْرَاتِ الْإِلَامْتَنَاهِيَّةِ" الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى لِلْحَيَاةِ فِي شُمُولِيَّتِهَا الْفَسِيحَةِ؟.

لَمْ يَكُنْ لِنَيْتْشَةِ بُدٌّ مِنْ تَوَسُّلِ الْجُسْمَانِ سَبِيلًا هَادِيًا لِلْكَشْفِ عَنِ الْكَثْرَاتِ الْمُتَقَاتِلَةِ الَّتِي تَقْبَعُ فِي الْإِنْسَانِ، مَا دَامَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةٍ أُولَى عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ نَيْتْشَةَ: "صَرَّحَ جَمَاعِيٌّ لِأَنْفُسِي عَدِيدَةٍ"³¹² أَوْ "بُنْيَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ تَتَكَوَّنُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَنْفُسِ"³¹³ كَمَا فِي تَرْجُمَةٍ بَاتْرِيكُ فُوتْلِينْغَ، وَمَادَامَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْمِرَاةِ الْمُثَلَّى لِإِظْهَارِ هَذِهِ الْكَثْرَاتِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا نَظَرًا لِكَوْنِهِ مَثْوًى لِكَثْرَةِ أَرْوَاحِ Pluralité d'esprits³¹⁴ وَكَثْرَةِ غَرَائِزِ Pluralité de pulsions³¹⁵ وَكَثْرَةِ قُوَى Pluralité de forces³¹⁶ وَكَثْرَةِ

³⁰⁵ VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 132.

³⁰⁶ Ibid, § 226.

³⁰⁷ Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, PUF, Paris, 1986, p. 288.

³⁰⁸ VP, Trad. Bianquis, Tome I, Livre II, § 261 : « Les sentiments et les pensées sont des choses extrêmement menues et rares en comparaison des faits innombrables qui remplissent les moindres instants ».

³⁰⁹ Ibid, § 270.

³¹⁰ Ibid, § 275.

³¹¹ Ibid, § 273.

³¹² PBM, Trad. Geneviève bianquis, Aubier, Paris, 1951, § 19 : « Le corps est l'édifice collectif de plusieurs âmes ».

³¹³ Ibid, Trad. Patrick Wotling, §19 : « ... une structure sociale composée de nombreuses âmes ».

³¹⁴ FP, 1882, 1883, 4 [207].

³¹⁵ FP, 1884, 27 [59]. Voir FP, XIV, 14 [219]. Voir VP, Trad. Henri Albert, §80.

³¹⁶ FP, XI, 1884-1885, 34 [123].

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

أنفس Pluralité d'ames³¹⁷ وكثرة من "إرادة الاقتدار" «volontés de puissance»³¹⁸. وفي سياق هذه الشذرة الأخيرة رأى دذيه فرانك أن "الجسد كثرة من الأعضاء" أو "وحدة ذات تعدد في الإرادات"³¹⁹ وفي معنى آخر تنظيم للإرادات³²⁰. ولا شك أن هذه التعددية في الجثمان تقترض حتمًا، من حيثية معينة، كون الجسد حنطًا هاديًا لفهم الحياة وتقسيمها للمهام³²¹ بين مختلف مراكز القوة، وتنطوي من حيثية أخرى على تراتب سلمي أصيل يؤزغها حسب الاقتدار؛ ذلك أن ما يجسد حقيقة الجثمان الحي وما يفاضل على نحو جذري بين مراكز القوة الفيزيائية والكيميائية هو التراتب الذي يخلق ذاته وينمو بنفسه في جوة نفسه³²².

لا غرو على خطى هذا التبيان لمختلف زمر الكثرات إذن من أن يكون الجثمان حيزًا وسيطًا أو منزلةً وسطي بين الكثرة المطلقة لفوضى العالم والتبسيط المبين للعقل، وهكذا يكون بمثابة نموذج هجين للوحدة الكثرية أو للوحدة-الكثرة، أي أن الجثمان- من حيث هو لعب الانفصالات- يتنزل إزاء العقل الموحد والمبسط، في مقام أولوية الكثرة وصدارتها، المنزلة الأولى؛ لكنه ثجاء فوضى العالم فهو يتبوأ مرتبة ثانوية³²³. ولولا بعض الموارد النصية التي تحملنا على الحيلة، لأخذنا بيقين إلى كل ما قرره فيلسوف النازية بأوملر الذي ذهب إلى أن الجسد، وفق واقعية نيتشه، هو من يعرف الأشياء كما هي "في ذاتها" بواسطة أعضائه الحسية، ذلك أن الجسد نفسه شيء "في ذاته" بخلاف المقولات العقلية التي هي من اختلاق المحيلة³²⁴. وفضلاً عن هذا فالذات في تضاريس هذا الجسد لن تكون أيضاً سوى كثرة لا تفصل عن الانفلاق والتبعثر إلى جموع من الذاتيات الأساسية³²⁵.

تترامى بنا مركزية الجثمان في عرض فلسفة نيتشه إلى معقبات منطوية متعدّدة من بينها كونه الصانع الحقيقي للتاريخ نظراً لأنه، في الوقت نفسه، محوّل ومتحوّل، صاحب الصراع ومسرح له، وسرعان ما يغدو الروح في هذا كله سلاحاً يستخدم بشتى الأساليب من قبل مبدعي المسارح التاريخية وأحداثها من حيث هم الجسوم، يقول نيتشه في هذا الصدد: "هكذا يجتاز الجسد التاريخ، فيتحوّل ويكافح."

³¹⁷ PBM, Trad. Patrick Wotling, § 19.

³¹⁸ FP, 1885-1886, 1 [58]. Voir Didier Franck, Nietzsche et l'ombre de Dieu, p. 183.

³¹⁹ Franck Didier, Nietzsche et l'ombre de Dieu, p. 78 : « ... unité d'une pluralité de membres » - : « ... unité d'une pluralité de volontés ». Voir aussi pp. 79, 185 et pp. 399 — 401.

³²⁰ Ibid, p. 78.

³²¹ Ibid, p. 235.

³²² Barbara Stiegler, Nietzsche et la biologie, p. 56 : « Mais ce qui fait le propre du corps vivant, ce qui le différencie radicalement des centres de force physico-chimiques, c'est que chez lui, la hiérarchie se crée et s'accroît à l'intérieur de lui-même ».

³²³ Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 284.

³²⁴ Stépan Odouev, Par les sentiers de Zarathoustra : influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise, p. 255.

³²⁵ VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 174 -177.

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِزَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

وَمَا الرُّوحُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْجَسَدِ؟ إِنَّهُ نَذِيرُ صِرَاعَاتِ الْجَسَدِ وَانْتَصَارَاتِهِ، وَرَفِيقُهُ وَصَدَاهُ³²⁶. وَمَا عَلَى أَبْصَارِنَا بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَصَوِّرَ نَاحِيَةَ الْجَسَدِ كَيْ تَتَعَرَّفَ عَلَى غِنَاهُ الْمَعْطُوفِ عَلَى غِنَى الْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ؛ وَفِي هَذَا الشَّأْنِ يَقُولُ نِيَتَشَةُ: "أَصِيحُوا السَّمْعَ بِالْأُخْرَى يَا إِخْوَتِي إِلَى صَوْتِ [نداء] الْجَسَدِ الْمُعَافَى: إِنَّهُ صَوْتٌ أَكْثَرُ أَمَانَةً [وفاء] وَأَكْثَرُ نَقَاوَةً. إِنَّ الْجَسَدَ السَّلِيمَ يَتَكَلَّمُ بِأَمَانَةٍ أَكْثَرُ وَبَأَكْثَرِ نَقَاوَةٍ، إِنَّهُ الْجَسَدُ الْكَامِلُ، ثَابِتُ الْعِزْمِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ: إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَعْنَى الْأَرْضِ —"³²⁷.

يُعْضِدُ تَأْوِيلَتَنَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَاتِيْمُو مِنْ أَنَّ الْجَسَدَ عِنْدَ نِيَتَشَةِ بِمِثَالَةِ حَيْطٍ هَادٍ يَبْتَغِي مِنْهُ رَدَّ الْإِعْتِبَارِ لِلْكَثْرَةِ ضِدَّ اخْتِزَالِهَا الَّذِي جَرَى تَكْرِيسُهُ مِنْ طَرَفِ الْأَخْلَاقِ الْمَيْتَافِيزِيَّةِ الَّتِي نَظَرَتْ لِهَيْمَنَتِهِ الْوَعْيِ³²⁸، بِمَا أَنَّ الْكَثْرَةَ لَا تَعْتُرُ عَلَى فُضَاءٍ أَرْحَبَ لِلْبُرُوزِ سِوَى الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ بِحَقِّ الْحَيِّزِ الْحُضُورِيِّ الْفَسِيحِ وَالْمَفْتُوحِ الَّذِي لَا يَنْضُبُ مَعِينُهُ وَالَّذِي يَحْضُرُ فِيهِ الْوَاقِعُ الْكُونِيُّ بِرُمْتِهِ³²⁹ وَهَذَا بِفَضْلِ الْغِنَى الْمُمَيِّزِ وَالْبَرِيِّ لِحَوَاسِهِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى حَرَكَاتِ الْعَالَمِ الْمُتَعَدِّدِ الْأَشْكَالِ³³⁰. مَا لَبِثَ نِيَتَشَةُ فِي نُصُوصِهِ أَنْ صَرَّحَ، بِصُورَةٍ شَبَّهَ مُطَرَّدَةٍ، أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَوَاسِ يُعَدُّ الْمُعْطَى الْأَسَاسِيَّ الَّذِي لَا غِنَى عَنْهُ³³¹ مَا دَامَتْ تَفْتَحُنَا مِنْ زَاوِيَةٍ عَلَى كَثْرَاتِ الْعَالَمِ وَبِمَا أَنَّهَا مِنْ زَاوِيَةٍ ثَانِيَةِ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ، وَبِمَا أَنَّهَا مِنْ زَاوِيَةٍ ثَالِثَةٍ قَادِرَةٍ عَلَى رُؤْيَا الْكَثْرَاتِ وَعَلَى إِبْرَازِهَا بَدَلِ الْعَقْلِ الَّذِي يَفْعَلُ عَلَى غَمْطِهَا وَقَهْرِهَا بِخُطَاطَاتِهِ التَّبْسِيطِيَّةِ.

ثَمَّةَ مَوَارِدَ كَثِيرَةٍ يَكِيلُ فِيهَا نِيَتَشَةُ الْمَدِيحَ لِلْجُسْمانِ مِنْهَا هَذَا الشَّاهِدُ ذُو الْمَغْزَى: "اسْتِئْزَارَةٌ [اهْتِدَاءٌ] بِالْجَسَدِ، يُمَكِّنُ الْإِقْرَارَ بِأَنَّ فِي الْإِنْسَانِ كَثْرَةً مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ [النَّشِيطَةِ]، وَالَّتِي مِنْ جِهَةٍ تَتَقَاتَلُ فِيهَا بَيْنَهَا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَجْرِي تَرْتِيبُهَا وَإِحْضَاغُهَا كَمَا هِيَ فِيهَا يَنْبَغُهَا، يَجْعَلُونَ دُونَ دِرَايَةٍ مِنْ إِبْتَاتِ كَيْنُونَتِهِمْ الْفَرْدِيَّةِ إِبْتَاتًا أَيْضًا لِلْمَجْمُوعِ ... إِنَّ الْكُلِيَّةَ الَّتِي تُؤَلَّفُ الْإِنْسَانُ تَمْتَلِكُ جَمِيعَ حَوَاصِ الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ [مَا هُوَ مُتَعَصٍّ] وَالَّتِي تَظَلُّ لَنَا فِي جُزْءٍ مِنْهَا غَيْرَ وَاعِيَةٍ وَتَعْدُو لَنَا وَاعِيَةً فِي جُزْءٍ مِنْهَا تَحْتَ شَكْلِ غَرِيزَةٍ"³³². عَلَى ضَوْءِ مَا نَطَقَ بِهِ هَذَا الْمَوْرِدُ، فَالْأَنَّا، الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ مِنْ زَاوِيَةِ الْعَقْلِ

³²⁶ APZ, Trad. Henri Albert, In Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, vol 9, Société du Mercure de France, 1903, [sixième édition], De la vertu qui rapetisse : « Ainsi le corps traverse l'histoire, il devient et lutte. Et l'esprit — qu'est-il pour le corps ? Il est le héraut des luttes et des victoires du corps, son compagnon et son écho ».

³²⁷ Ibid, Trad. Henri Albert, Des hallucinés de l'arrière-monde : « Écoutez plutôt, mes frères, la voix du corps guéri : c'est une voix plus loyale et plus pure. Le corps sain parle avec plus de loyauté et plus de pureté, le corps complet, carré de la tête à la base : il parle du sens de la terre ».

³²⁸ Gianni Vattimo, Introduction à Nietzsche, 1991, p. 96.

³²⁹ Henri Lefebvre, Hegel, Marx, Nietzsche, p. 209.

³³⁰ Guibal Francis, F. Nietzsche ou le désir du oui créateur. In : Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, Tome 82, N°53, 1984. P. 70.

³³¹ VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, p. 280.

³³² FP, 1884, 27 [27] : « En nous guidant sur le corps nous pouvons reconnaître en l'homme une multiplicité d'êtres animés, qui, d'une part, se combattent mutuellement, d'autre part, ordonnés et subordonnés comme ils sont entre eux, font sans le vouloir de l'affirmation de leur être individuel une affirmation aussi de

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاقتِدَارِ بَيْنَ الْاِستِصْارِ الْحَيَوِيِّ وَالْاِنْكَارِ الْمَيْتافيزيقيِّ

الكبيرِ بِمَا هُوَ الْجُسْمَانُ الْبَشَرِيُّ، لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ تَعَدُّدِيَّةً مِنَ الْقَوَى الْمُشَخَّصَةِ حَيْثُ تَتَوَلَّى بَعْضُ الْقَوَى السُّوسَ دَوْلًا وَتَتَبَدَّلُ الْهَيْمَنَاتُ سَجَالًا فِي بُطُونِ مُرَكَّبَاتِ الْقَوَى حَيْثُ: تَظُلُّ مِرْسَاةُ الذَاتِ غَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ³³³، وَتَبْقَى سَفِينَتُهَا تَمْخُرُ وَجْهَاتِهَا فِيمَا لَا يَسْتَهْيِي السَّفْنُ، بَلْ تَصِيرُ الذَاتُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ وَحْدَةٍ مُتَعَالِيَةٍ تَقْبَعُ وَرَاءَ تَعَدُّدِيَّةِ الْأَهْوَاءِ الْمَكُونَةِ لِنَسِيجِ الْإِنْسَانِ³³⁴، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ اِنْدِفَاعٍ غَرِيزِيٍّ فِي بَاطِنِهِ هُوَ بِلا رَيْبٍ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ، أَيُّ أَنَّ كُلَّ اِنْدِفَاعٍ نَزُوعٌ إِلَى السَّيْطَرَةِ وَمَيْلٌ إِلَى فَرَضِ مَنْظُورِهِ مَعْيَارًا عَلَى بَاقِي الْاِنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ³³⁵؛ بَيِّنْدَ أَنَّ هَذَا الطَّاعِ يُوْجِبُ عَدَمَ اِغْفَالِ التَّعْبَاتِ الَّتِي تَنْجُمُ مِنَ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْفَرَائِزِ مِنْ حَيْثُ هِيَ الْاِستِبدَالَاتُ وَالْاِستِغَاضَاتُ وَالْاِنْزِيَا حَاتُ لِكُوكَبَاتِ الْقَوَى وَزُمْرَهَا وَعَلَى مَنَوَالِ اَبْدِيِ الْحُدُوثِ³³⁶.

وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ بِنَاءٌ عَلَى هَذَا كُلِّهِ أَنْ يَسْتَشْكَلَ نَيْتْشِه "وَحْدَةَ الْاَنَا" وَمَنْزِلَتَهَا الْعُلْيَا الَّتِي وَرَثَتَهَا وَأَصْرِيْنَا، جَرَبًا عَلَى مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ الْفَلَّاسِفَةُ، عَلَى أَنَّهَا أَحَدُ مَعَاقِلِ الْيَقِينِ، فِي حِينِ أَنَّهَا حَدَثَانُ غَرَضِيٍّ وَثَانَوِيٍّ بَلْ إِنَّ الْوَعْيَ لَمْ يَتَوَلَّدْ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ التَّجَمُّعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ لِيَقُومَ بِوُظُفَةِ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْاَفْرَادِ وَبِالْاَخْصِ بَيْنَ مَنْ يُهَيِّمُ وَمَنْ يُطِيعُ³³⁷ لَيْسَ إِلَّا.

بَعْدَمَا أَبْرَزَ نَيْتْشِه أَنَّ ظَاهِرَةَ الْجَسَدِ بِرُمْتِهَا أَعْلَى مَقَامًا مِمَّا تُسَمِّيهِ وَغِيًّا وَرُوحًا وَمِنْ طُرُزِنَا الْوَاعِيَةِ فِي التَّفَكُّيرِ وَالْاِحْسَاسِ وَالْاِرَادَةِ مِثْلَمَا الْجَبْرُ أَعْلَى [أَوْسَعُ] مِنْ جَدُولِ الضَّرْبِ³³⁸ وَبَعْدَ أَنْ أَثَبَّتَ كَذَلِكَ عَجَزَ الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِ هَذِهِ التَّعْقِيدَاتِ مِنْ لَدُنِ الْفَاعِلِيَّاتِ الْجَمْعَوِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ الْهَضْمِ، نَاهِيكَ عَنْ اِنتَاجِهَا وَالَّتِي هِيَ فِي مُنْتَهَى الذِّكَاءِ، ذَلِكَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ كَمَا يَقُولُ فِيلْسُوفُنَا عَلَى: "عَمَلِيَّاتٍ جَمَاعِيَّةٍ يَصْطَرِّعُهَا عَدَدٌ عَظِيمٌ مِنَ الْعُقُولِ³³⁹؛ أَجْدُنِي مُلْزَمًا، بَعْدَ هَذَا الْاِبْدَاءِ الْنَيْتْشَوِيِّ لِلْمَكَانَةِ السَّامِقَةِ لِلْجُسْمَانِ مُقَارَنَةً بِمَكَانَةِ الْعَقْلِ، بِتَبْيَانِ كَيْفِيَّاتِ عَمَلِ هَذِهِ الْكَثْرَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا نَيْتْشِه تَغْيِيرًا وَفِيًا عَنِ الْجُسْمَانِ الْحَيَاتِيِّ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ اِظْهَارِ كَيْفِيَّاتِ عَمَلِ الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ وَمَنْطِقِ مَسَارِهِ السَّيْرُورِيِّ مِنْ جِهَةٍ وَكَيْفِيَّاتِ عَمَلِ الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ عَلَى الْخُصُوصِ وَمَنْطِقِ عَمَلِ مَسَارَاتِهِ الْحَيَوِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَمِنْ ثَمَّتْ سَاعَمِدُ إِلَى اِجْلَاءِ عِلَاقَةِ ذَيْنِكَ الْجِهَازَيْنِ بِمَنْطِقِ مَسَارَاتِ الْفِكْرِ الْوَاعِي مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ،

l'ensemble...La totalité qui constitue l'homme a toutes les propriétés de l'organique, qui pour une part nous demeurent inconscients et pour une part deviennent conscients sous forme d'instincts ».

³³³FP, A, 6 [70] : « ... pluralité de forces personnalisées dont tantôt l'une et tantôt l'autre passe au premier plan en qualité d'ego ». Voir FP, XI, 34 [123].

³³⁴Ibid, 6 [73].

³³⁵FP, XII, 7 [60].

³³⁶Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 72.

³³⁷Gianni Vattimo, Introduction à Nietzsche, 1991, pp. 95-96.

³³⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 226 : « Tout ce phénomène du «corps» est, au point de vue intellectuel, aussi supérieur à notre conscience, à notre esprit, à nos façons conscientes de penser, de sentir, de vouloir, que l'algèbre est supérieure à la table de multiplication... ».

³³⁹Ibid, §269, pp. 280-281.

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيَّيِّ

فَرَبَّ تَوَسَّلْ بِالْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ وَالْهَضْمِيِّ أَقْمَنْ بِإَفْشَاءِ السِّرِّ الْجَامِعِ لِلْكَثْرَةِ الْجُسْمانِيَةِ بِالْكَثْرَةِ الْحَيَاتِيَةِ وَأَخْلَقْ بِإِظْهَارِ الصِّلَةِ الْوَاصِلَةِ بَيْنَ تَيْتِكَ الْكَثْرَتَيْنِ وَالْكَثْرَةِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى صَعِيدِ الْوَعْيِ!

لَا يَعْزُبُ عَنَّا أَنَّ مَنْطِقَ الْمَسَارِ الْجُسْمانِيِّ لَا يَتَجَلَّى بِمَقْدَارٍ صَرِيحٍ إِلَّا بِمُقْتَضَى الْخَاصِيَةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَةِ الْمَوْسُومَةِ بِالْصِرَاعِ الَّذِي يَنْطَوِي بِدَوْرِهِ عَلَى ثَنَائِيَةِ الْإِخْضَاعِ (السَّيْطَرَةِ) وَالْإِنْصِياعِ ، لِذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ قِيَمُومَةَ أَيِّ جِسْمٍ بِمَعْزِلٍ عَنْ اقْتِتَالٍ مُسْتَمِرٍّ وَهَرَجٍ مُنْتَظِمٍ وَمَرْجٍ مُتَوَاصِلٍ ، وَلَيْسَ مِنَ السَّدَادِ فِي شَيْءٍ الْإِعْتِقَادُ فِي الْإِنْسِجَامِ وَالْوَنَامِ فِي الْكَائِنَاتِ الْمُتَعَصِّبَةِ بِمَا فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ الْإِنْسَانِيِّ ، لَأَنَّهُ حَيْثُمَا الْحَيَاةُ تَنْتَصِبُ ، يُوْجَدُ بِلَا شَكٍّ الصِّرَاعُ الَّذِي تَنْهَضُ بِهِ كَوُكَبَاتُ مِنَ الْقَوَى الْمُتَنَازِعَةِ مِنْ أَجْلِ الْغِذَاءِ وَالْمُتَوَاقِعَةِ أَيْضًا ابْتِغَاءَ الْأَسْتِحْوَاذِ عَلَى مَجَالَاتٍ حَيَوِيَّةٍ وَمَا مَصِيرُ الضَّعْفَاءِ فِي مَقَامٍ كَهَذَا إِلَّا الْأَسْتِعْبَادُ³⁴⁰ . عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ بِالذَّاتِ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ وَنُفَسِّرَ غَلَائِقَ الْقُوَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْعَضْوِيَّةِ وَفَقْ طَائِعٍ مِيكَانِيكِيٍّ³⁴¹ ، وَهَذَا الرَّجْرُ مِنْ إِيْتَانِ هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْفَهْمِ وَالتَّفْسِيرِ يَنْعَزِزُ حَالَمًا نَكُونُ عَلَى دِرَايَةٍ بِأَنَّ مَرْكَزَ الْمَنْظُومَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ يَتَغَيَّرُ بِاسْتِمْرَارٍ وَيَبْدُلُ مَوَاضِعَهُ مِنْ غَيْرِ تَخَلُّفٍ³⁴² ، مَا يُفِيدُ أَنَّ هَيْمَنَةَ زُمْرَةِ قُوَوِيَّةٍ عَرِيزِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي غَيْرِ مَا يَخْدُمُ زُمْرًا أُخْرَى هِيَ هَيْمَنَةُ ظَرْفِيَّةٍ وَعَايِرَةٍ وَ لَوْ وَدَّتْ أَنْ تُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَا يَعْنِي أَيْضًا أَنَّ تَوَازُنَاتِ الْقَوَى وَمَوَازِينَهَا تَطُلُّ مُوقَّتَةً بَيْنَ غَرَائِزِنَا الْمُكُونَةِ³⁴³ وَلَا تَسْتَمِرُّ إِلَّا إِلَى أَجَلٍ يَتَحَدَّدُ وَفَقًا لِلْإِفْرَازَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ دَاخِلَ فُضَاءِ الْقَوَى وَطَبَقًا لِمَالَاتِ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْقَوَى .

لَا مِرَاءَ أَنَّ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ الْمُفْتَقَرَةَ إِلَى الْأَسْتِقْرَارِ تَجْعَلُ حَامِلَهَا رَهْنًا مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ صِرَاعُ الْقَوَى فِي كُلِّ خِصَامٍ وَحَبِيسٍ مَا تَنْقَلِبُ إِلَيْهِ مَوَازِينُ الْقَوَى فِي كُلِّ حِينٍ ، وَلَا يَشْدُ عَنْ هَذَا كَائِنٌ ، مَا دَامَ أَنَّ الصِّرَاعَ بَيْنَ الْجَبَهَاتِ الْعَرِيزِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا نَامُوسَ الْكُونِ أَوْ نُوسَهُ (Noûs (VOÛS) وَهَذَا هُوَ الْبَاعِثُ الَّذِي أَفْضَى بِنَيْشِهِ إِلَى الْإِعْزَابِ ذَاتِ مَرَّةٍ: "إِنَّ ائِدْفَاعَاتٍ عَرِيزِيَّةً عَدِيدَةً تَتَصَارَعُ فِي ابْتِغَاءِ الْهَيْمَنَةِ ، وَأَنَا فِي هَذَا مِثَالٌ [صُورَةٌ أَوْ أُنْمُودَجٌ] عَنْ كُلِّ مَا هُوَ حَيٌّ...."³⁴⁴ غَيْرَ أَنَّ مَرْكَزَ الثَّقَلِ فِي هَذَا الْفُضَاءِ الْعَرِيزِيِّ كَمَا ذَكَرْنَا فِي التَّقْرِيرَاتِ الْأَنَفَةِ مُتَحَوِّلٌ كَمَا أَنَّ التَّوَلِيدَ الدَّائِمَ لِلْأَنْسِجَةِ يُحْدِثُ أَيْضًا تَغْيِيرَاتٍ مُتَوَاصِلَةً فِي عَدَدِ الْكَائِنَاتِ فِي الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ³⁴⁵ . وَبِهَذَا الشَّكْلِ تَتَبَدَّى لَنَا غَرَائِزُ الْجُسْمانِ كَائِنَاتٍ عَلَى الدَّوَامِ تَتَصَارَعُ وَتَنُمُو ، تَزْدَهَرُ وَتَهْلِكُ ، يَتَكَثَّرُ عَدَدُهَا وَيَتَغَيَّرُ³⁴⁶ عَلَى نَحْوِ مُتَفَاضِلٍ ؛ هَكَذَا فِي غُرُضِ الصِّرَاعِ يَكُونُ الْجَسَدُ بَسَاطَةً لَأَرْسُتُقْرَاطِيَّةٍ وَلِهَيْمَنَةِ أَسْيَادٍ³⁴⁷ يُؤَلْفُونَ نَظْمًا أَرْسُتُقْرَاطِيَّةً حَيْثُ يَدْخُلُونَ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْفَيْئَةِ تَحْتَ

³⁴⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 189.

³⁴¹Ibid, § 194.

³⁴²Ibid, § 175 : « Le centre du système se déplace sans cesse ».

³⁴³Ibid, § 248.p. 273.

³⁴⁴Ibid : § 190 : « De nombreuses pulsions luttent en moi pour la prédominance. Je suis en cela l'image de tout ce qui est vivant ... ».

³⁴⁵Ibid, § 193.

³⁴⁶Ibid, §226.

³⁴⁷Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 315.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

تَحَالَفاتٍ وَمِنْ حِينَ لآخر يَشُبُّ بَيْنَهُمُ الْخِصَامُ فَتَنْدَلَعُ إِثْرَ ذَلِكَ حُرُوبٌ جَدِيدَةٌ وَيُظْهَرُ عَلَى أَغْصَابِ ذَلِكَ أَسْيَادٌ جُدُّ. وَلَهَا كَانَتْ " الْحَيَاةُ نَفْسُهَا غَيْرَ مُمَكِّنَةٍ إِلَّا بِفَضْلِ لَعِبِ الْعَدِيدِ مِنَ الْعُقُولِ ذَوِي الْقِيَمَةِ الْمُتَفَاوِتَةِ وَمِنْ ثَمَّ بِفَضْلِ تَبَادُلِ دَائِمٍ لِلْأَنْصِياعِ وَالْإِمْرَةِ فِي أَشْكَالٍ يَتَعَدَّرُ إِحْصَاؤُهَا"³⁴⁸، فَإِنَّهُ لَا عَجَبَ مِنْ أَنْ يُنَاطَ بِلَوْغِ مَفْهُومِ الْجَسَدِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ انْعِتَاقِهِ التَّامِّ وَاكْتِمَالِهِ النَّاجِحِ بِتَفْسِيرِ كَيْفِيَّةِ اسْتِمْدَادِ مَفْهُومِ الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ [الْجَسَدِ الْمُنَظَّمِ] مَعْنَاهُ وَإِمْكَانُهُ مِنْ مَفْهُومٍ تَكُونُ مَفْهُومُ السَّيْطَرَةِ³⁴⁹. وَيَكْمُنُ دَلِيلُنَا التَّمثِيلِيُّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ فِي مَا يُخَامِرُ الْفَرْدَ عَلَى الْمُسْتَوَى النَّفْسِيِّ مِنْ خَوَاطِرٍ مُتَقَلِّبَةٍ وَرَغَبَاتٍ مُتَغَيِّرَةٍ وَمَشَاعِرٍ مُتَبَدِّلَةٍ، فَيَحْسُ تَارَةً يَاحْسَاسٍ فُنُوطٍ مُسْتَبَدٍّ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ بَغْتَةً دُونَ أَنْ يَعْرِفَ لِذَلِكَ سَبَبًا إِلَى إِحْسَاسٍ كُلُّهُ أَمَلٌ، وَتَارَةً أُخْرَى يَجْنَحُ إِلَى الزُّهْدِ فَيَعْدُو حَائِقًا ذَا حِيْطَةٍ وَمُثْقَلًا بِوَحْزِ الضَّمِيرِ ثُمَّ يَنْقَلِبُ فِي ظُرُوفٍ غَامِضَةٍ إِلَى فَاجِرٍ مُنْعَمٍ فِي الْمَتَعِ وَهُوَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كُلُّهُ رَضَى؛ وَكُلُّ هَذِهِ الْفُسُفِيسَاءِ النَّفْسِيَّةِ أَمَارَةٌ عَلَى صِرَاعَاتٍ، انْتِصَارَاتٍ، خِلَافَاتٍ جَوَانِيَّةٍ لِأَوَاعِيَةٍ تَنْشُبُ فِي طَيَّاتِ رُوحِ الْفَرْدِ الْجُسْمَانِيَّةِ³⁵⁰.

لَا يَغْرُبُ عَنَّا تَبَعًا لِلْإِبَانَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنِفًا إِمْعَانُ نَيْتَشَةِ فِي فَهْمِ مَسَارَاتِ الْوَعْيِ انْطِلَاقًا مِنْ مَنْطِقِ سَيْرُورَةِ الْجُسْمَانِ الْبَشَرِيِّ الْكَثْرَوِيِّ، مُتَوَسِّلًا مَسَلَكًا تَصَوُّرِيًّا أَصِيلًا يُصْنَعُ عَلَى الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ بِوُظَائِفِهِ الْفِيْزْيُولُوجِيَّةِ صِبْغَةً رُوحِيَّةً أَوْيَطْبَعُ الرُّوحَ بِطَوَائِعِ جَسَدِيٍّ؛ وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الطَّرِيقَةِ وَالْعَقِيْقَةِ غَدَا الْجَسَدُ رُوحًا شَامِلًا ذَا دِلَالَةٍ رَحْبَةٍ؛ وَهَذَا الْمَسْعَى الْأَصِيلُ هُوَ مَا شَهِدَ بِهِ تَوَاطُرُ الْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى طَبِ الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ بِخَاصَّةِ Gastro-entérologie وإلى الْفِيْزْيُولُوجِيَا بَعَامَةٍ، يَقُولُ نَيْتَشَةُ مَثَلًا فِي أَحَدِ مَوَاضِعِ مُصَنَّفَاتِهِ فِي سِيَاقِ الْمَسْئَلِ الْفَلْسَفِيِّ الْجَدِيدِ الَّذِي ابْتَكَّرَهُ: "إِنَّ مَا تُسْنِدُهُ بِمَجْرَى الْعَادَةِ إِلَى الرُّوحِ يَظْهَرُ لِي عَلَى أَنَّهُ يُكُونُ مَا هِيَ الْحَيَاةُ الْعَضْوِيَّةُ. فِيهِ أَسْمَى وَظَائِفُ الرُّوحِ لَمْ أَغْثِرْ إِلَّا عَلَى الْوُظَائِفِ الْعَضْوِيَّةِ الَّتِي جَرَى تَصْنَعُهَا [إِعْلَاؤُهَا] (الْهَضْمُ، التَّمْيِيزُ، الْإِفْرَازُ)"³⁵¹؛ وَفِي ذَلِكَ تَغْيِيرٌ عَنْ خَوَاصِ أَوْنَطُولُوجِيَا الْاِقْتِدَارِ، بِاعْتِبَارِهَا حَيَاةً، الَّتِي تَقُومُ عَلَى امْتِصَاصِ وَهَضْمِ وَتَمْيِيزِ الْقُوَى بَعْضَهَا لِبَعْضٍ (وَلَنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ اللُّزُومِيَّاتِ الْكَارْثِيَّةَ لِنَسْقِ قِيَمِيٍّ عَلَى صُورَةِ هَذِي الْأَوْنَطُولُوجِيَا) وَيُعَايِضُ الشَّاهِدَ السَّابِقَ مَوْرِدٌ آخَرُ رَأَى فِيهِ نَيْتَشَةُ أَنَّ الرُّوحَ قَدْ نُسِجَتْ عَلَى غِرَارِ الْمَعْدَةِ وَيَغْرُبُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِنَّ هَذَا ضَرُورِيٌّ لَهُ وَفَقًا لِذُفْرَتِهِ عَلَى الْأَسْتِيْعَابِ، وَلِذُفْرَتِهِ عَلَى الْهَضْمِ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِي بِالْتَأْكِيدِ... فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَالرُّوحُ يُشَبِّهُ الْمَعْدَةَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ عَدَاهَا"³⁵².

³⁴⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 266.

³⁴⁹Franck Didier, Nietzsche et l'ombre de Dieu, p. 224.

³⁵⁰Brian Lightbody, Nietzsche's Will to power naturalized, translating the human into nature and nature into the human, p. 73 : «Turning to the second problem that of the conflict model it is evident from the above how will to power also explains the battle, the turmoil, and the struggle we experience when we feel we are not "ourselves" : Here too, Nietzsche says, power is at work. Here too, within "us," there is a struggle for power »..

³⁵¹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 210.

³⁵²PBM, Trad. Henri Albert, § 230 : « Tout cela est nécessaire, dans la mesure de son pouvoir d'assimilation, de sa « force de digestion », au figuré bien entendu. — D'ailleurs « l'esprit » ressemble un estomac plus qu'à toute autre chose ».

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيَّيِّ

يَنْبَنِي عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْفَلَسَفِيُّ فِي التَّفَكِيرِ ارْتِقَاءَ الْجُسْمَانِ إِلَى مَصَافِ الْقَاعِدَةِ الْعُلْيَا لِلتَّأْوِيلِ مَعَ انْحِدَارِ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَى دَرَكِ الْانْصِيَاعِيَةِ لِمَا يُؤَمَّرُ بِهِ حَيْثُ التَّأْوِيلُ عَلَى إِثْرِ هَذِهِ التَّرَاتِبَةِ الْجَدِيدَةِ مُرَادِفٌ لِيَتَلَكَّمُ السَّيْرُورَةُ الْجُسْمَانِيَّةُ الَّتِي مُفَادَهَا اقْتِتَالٌ بَيْنَ مَصْفُوفَاتٍ قَوَوِيَّةٍ تَطْفُرُ مِنْهَا إِحْدَاهَا بِالْسلْطَانِ عَلَى نَحْوِ يَوْجِبُ مِنْهَا الْإِقْصَاءُ ، الْاسْتَبْعَادُ ، الْاصْطِفَاءُ مِنْ جِهَةٍ وَالتَّبْسِيطُ ، التَّسْوِيَّةُ ، التَّرْجَمَةُ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَالتَّأْوِيلُ الْجُسْمَانِيُّ وَفَقَ جِبْلَتِهِ وَطَبَقًا لِنُزُوعِهِ الْغَرِيزِيِّ لَا يَخْرُجُ بَتَاتًا عَنْ هَذِهِ الْأَفَاعِلِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ عَمَلِ هَذِي الْوُظَائِفِ الْجُسْمَانِيَّةِ الْمُرُوحَنَةِ ؛ مِنْ هَضْمِ Assimilation يُفِيدُ سَيْرُورَاتِ الْإِدْمَاجِ التَّحْوِيلِيِّ مِنْ طَرِيقِ تَحْوِيلِ الْغَرِيبِ الْبَرَانِيِّ إِلَى مَالُوفٍ جَوَانِيٍّ - تَمَامًا كَمَا يَنْسُجُ عَقْلُنَا الصَّغِيرُ عَلَى غِرَارِ جِهَارِنَا الْهَضْمِيِّ ، فَيَقُومُ بِتَحْوِيلِ الْمُدْرَكِ الْغَرِيبِ وَالْمَجْهُولِ إِلَى مُدْرَكٍ مَالُوفٍ وَمَعْلُومٍ تَبَعًا لِقَرَائِنِ ذَاكِرِيَّةٍ وَتَخِيلِيَّةٍ - ؛ وَمِنْ تَمْيِيزِ Discrimination يَقُومُ بِالذَّوْرِ الْأَكْبَرِ مِنَ التَّحْوِيلِ وَذَلِكَ بِالْمُقَاضَلَةِ وَالْإِنْتِقَاءِ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْأَغْذِيَةِ وَتَوَزِيعِهَا حَسَبَ الْحَاجَةِ الطَّاقَوِيَّةِ لِلْجِسْمِ ؛ وَمِنْ إِفْرَازِ Secrétion يُعَدُّ آخَرُ مَهَامِ الْجِهَارِ الْهَضْمِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي إِخْرَاجِ الْفَضَالَاتِ وَالْبَقَايَا الْفَاسِدَةِ مِنَ الْجَسَدِ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ سَبِيلِ فَتْحَةِ الشَّرْحِ ، مِثْلَمَا يَتَخَلَّصُ عَقْلُنَا الصَّغِيرُ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ الَّتِي يَرَاهَا فَاسِدَةً وَلَا طَائِلَ نَحْتَهَا.

عَلَى هَذَا النَّحْوِ تَعْدُو هَذِهِ الْأَفَاعِلُ الثَّلَاثَةُ - الَّتِي تَكَلَّمْنَا عَنْهَا بِوَصْفِهَا تَأْوِيلًا جُسْمَانِيًّا - خَاصِيَّاتٍ أُونَطُولُوجِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ نَفْسِهَا بِمُقْتَضَاهَا الْمَوْجُودَاتِ تَنْشَأُ تَعْقُلٌ وَتَنْفَعِلُ ، تَتَأَلَّقُ وَتَتَعَلَّقُ ؛ وَهَذَا الْمَنْظُورُ هُوَ الَّذِي سَيَّرَرْنَا لَنَا مَهَامَةً نِيْتَشُهُ بَيْنَ عَالَمِ الْعَقْلِ وَعَالَمِ الْمَعْدَةِ أَوْ بَيْنَ عَالَمِ الْعَقْلِ وَالْجِهَارِ الْهَضْمِيِّ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ الْجَامِعَةِ الَّتِي يَنْدَرُجُ فِيهَا الْعَقْلُ وَالْمَعْدَةُ مَعًا وَمِنْ ثَمَّ تَشْيِئُ الْفَاعِلِيَّاتِ الذَّاكِرَةُ بِشَيْمِ الْجِهَارِ الْغَضُوءِيِّ الطَّبْعِيَّةِ ؛ عَلَى هَذَا الْمِنَوَالِ يُرْجَعُ فَيْلَسُوفُ الْاِقْتِدَارِ: " غَرِيزَةُ الْمَعْرِفَةِ إِلَى غَرِيزَةِ التَّمَثُّلِ [الاستيعاب] وَالْاِسْتِعْبَادِ حَيْثُ تَنْمُو الذَّاكِرَةُ وَالْمَعْنَى وَالْاِنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةُ كَيْ تَقُومَ هَذِهِ الْغَرِيزَةُ بِدَوْرِهَا عَلَى نَحْوِ تَتَمَلَّكُ بِهِ الْعَالَمُ وَتَجْعَلُهُ قَابِلًا لِلْاِسْتِعْمَالِ " ³⁵³ [ترجمةً بِتَصَرُّفٍ]؛ لَا يَتَوَثَّنَا هَهُنَا أَنَّ هَذِهِ الْغَرِيزَةَ الْمُتَّصِرَةَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ تَقْتَرِضُ حَتْمًا ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ شَكٌّ ، فِي الْحَقْلِ الْمَعْرِفِيِّ الْاِسْتِبْدَادَ وَالْقَسَاوَةَ تَمَامًا كَمَا تَقْتَرِضُهُمَا فِي الْجِهَارِ الْهَضْمِيِّ ؛ وَلَتَكُنَّ الْعَيْنِيَّةُ [مِنْ عَيْنِ الشَّيْءِ] بَيْنَ التَّمَثُّلِ بِمَعْنَاهُ الْمَعْرِفِيِّ وَالتَّمَثُّلِ بِمَعْنَاهُ الْهَضْمِيِّ تَتَجَلَّى فِي شَمِيلَةٍ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ الْغَرِيبَةَ مُتَمَاهِيَّةً مَعَ مَنْ يَتَمَثَّلُ وَيَسْتَوْعِبُ ³⁵⁴ ؛ وَلَا غَرَوْ مِنْ أَنْ تُعَرَّفَ الْحَيَاةُ عَلَى ضَوْءِ هَذَا التَّصَوُّرِ الْنَيْتْشَوِيِّ فِي إِطَارِ الْجِهَارِ الْهَضْمِيِّ بِوَصْفِهَا مَجْمُوعٌ قَوِيٌّ كَثِيرٌ مُرْتَبِطٌ فِيمَا يَنْبَغُ بِسَيْرُورَةِ التَّغْذِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ ³⁵⁵ مِنْ حَيْثُ هِيَ اِمْتِصَاصٌ لِلْأَغْيَارِ وَإِدْمَاجٌ لَهُمْ فِي تَجَاوِيفِ الْقَوَى الَّتِي تَتَغَذَّى ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ إِحْدَى الْوُظَائِفِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي

أما في ترجمة فوغلينغ فيؤدي العبارة ب: " فكل الأشياء ضرورية تبعًا لدرجة ملكته التملكية و تبعًا لملكته الهضمية كيما نعبّر بطريقة تشبيهية _ لأن الروح يشبه المعدة أكثر من غيرها " .

³⁵³VP, Trad. Henri Albert, § 168 : « On peut ramener ce que l'on appelle l'instinct de connaissance à un instinct d'assimilation et d'asservissement. C'est pour obéir à cet instinct que les sens, la mémoire, les impulsions se sont développées... (C'est-à-dire du monde approprié et rendu maniable).. ».

³⁵⁴VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 460.

³⁵⁵Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 287.

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيْزِيْ

تَكْمُنُ مُهِمَّتُهَا فِي تَقْوِيَةِ الْحَيَاةِ تَقْوِيَةً كَمَا لِيَّةٌ³⁵⁶، عَلَى أَلَّا يَعْرُبَ عَنَّا كَوْنُ هَذِهِ التَّغْذِيَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بِدَوْرِهَا نَتِيجَةً أَوْ تَطْبِيقًا لِلإِرَادَةِ الْبَدَائِيَّةِ (إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ) الَّتِي تَنْزِعُ إِلَى الْعُدُوِّ أَقْوَى فَأَقْوَى³⁵⁷.

وَنَيْتَشَهُ لَا يُخْفِي أَنَّ سُرْعَةَ الْهَضْمِ وَالْاِمْتِصَاصِ وَحُسْنَ سَيْرِهَا بِمُسْتَوَيَيْهِمَا الذِّهْنِيِّ وَالْعَضْوِيِّ شَرْطَانِ مِنْ أَشْرَاطِ الْقُوَّةِ وَالْبَاسِ وَقَدْ ضَرَبَ لَنَا مِثَالًا عَنِ الْهَضْمِ الْمَعْنَوِيِّ بِالْهَضْمِ الثَّقَافِيِّ فِي الْحَقْلِ السِّيَاسِيِّ بِالْفَرَنْسِيِّينَ وَالْاِنْجِلِيزِ وَالْإِيطَالِيِّينَ الَّذِينَ نَجَحُوا *venir à bout* بِفَضْلِ مَعْدَتِهِمْ أَصْحَابِهِمْ وَجِهَازِهِمْ الْهَضْمِيِّ الْمَكِينِ - بِمَعْنَيَيْهِمَا الْمَجَازِيِّ - فِي هَضْمِ الْيَهُودِ أَيَّمَا هَضْمٍ بِخِلَافِ مَعْدَةِ الْأُمَّةِ الْأَلْمَانِيَّةِ الَّتِي وَجَدَتْ عُسْرًا فِي ذَلِكَ³⁵⁸؛ لِذَا فَإِنَّ جُودَةَ الْهَضْمِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ لِشَرِيحَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ لِعِرْقٍ مَا سَيَكُونُ بِلَا شَكٍّ فِي صَالِحِ الْجِسْمِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ وَإِذَا حَدَثَ الْعَكْسُ فَلَا يَسْتَعْرِبَنَّ الْمَرْءُ انْتِشَارَ الصَّرَاعَاتِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الْقُوَى الْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَلِئِنْ حَسِبَ فَيْلسُوفُ الْاِقْتِدَارِ عُسْرَ هَضْمِ التَّجَارِبِ الْمَعِيشَةِ مِيزَةً عَلَى الْمَرَضِ وَالسَّذَاجَةِ لَا عَلَى الْعُمُقِ وَالصِّحَّةِ³⁵⁹؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَدَّ مِنْ شَمَائِلِ الْأَرْوَاحِ الْخُرَّةِ شَمِيلَةً هَضْمُ مَا يَعْسُرُ هَضْمُهُ، إِذْ قَالَ فِي حَقِّهَا: "فُضُولِيُونَ إِلَى حِدِّ الْفُسُوقِ [الرَّذِيلَةِ]، بَاحِثُونَ إِلَى حِدِّ الضَّرَاوَةِ [الْقِسَاوَةِ]، يَمْتَلِكُونَ أَصَابِعَ رَشِيقَةٍ [فِي طَبْعَةِ مَارِكِرِ دِي فَرَانْسِ: جَسُورَةٌ] تَبْتَغِي التَّقَاطُ مَا لَا يَقْبَلُ الْاِلْتِقَاطُ، وَيَتَوَقَّرُونَ عَلَى أَسْنَانٍ وَمِعْدٍ [جَمْعُ مَعْدَةٍ] لِهَضْمِ مَا هُوَ عَسِيرُ الْهَضْمِ"³⁶⁰. وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، لَا يُحَدِّدُ نَيْتَشَهُ مَعْدَةً تُوشِكُ أَنْ تَلْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ تَمْحِيسٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَحُولُ دُونَ أَنْ تَقُومَ الْمَعْدَةُ بِعَمَلِيَّاتِهَا الْاِتْقَانِيَّةِ بِاتِّدَادٍ³⁶¹.

لَا مَنَدُوحَةَ لَنَا مِنْ أَنْ نُبَرِّزَ أَنَّ طَرَحَنَا يَتَلَوُّ تَلَوًّا مُضَادًّا لِلْحَذْوِ الَّذِي حَدَا إِلَيْهِ تَأْوِيلُ الشَّارِحِ الْكَبِيرِ إِرِيكْ بُلُونْدِيلِ Eric Blondel الَّذِي ذَهَبَ إِلَى فَهْمِ الْجَسَدِ وَالْفِيزِيُولُوجِيَا وَالْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي تَنْتَبِي إِلَى طِبِّ الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ عَلَى أَسَاسِ اسْتِعَارِيٍّ أَوْ بِالْأُخْرَى فِي أَفْقِ الْاِسْتِعَارَةِ وَالتَّأْوِيلِ عَلَى نَحْوِ يَكُونُ فِيهِ الْجُسْمَانِيُّ مُجَرَّدَ اسْتِعَارَةٍ لِلتَّأْوِيلِ³⁶² وَمَا غَارَضْنَا أَطْرُوحَةَ بُلُونْدِيلِ إِلَّا لِتَفْضِيَّتِهَا حَسَبَ تَقْدِيرِنَا إِلَى إِزَالَةِ الْمَضَامِينِ الْفِيزِيُولُوجِيَّةِ عَنْ كِتَابَاتِ نَيْتَشَهُ³⁶³، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى نَفْيِ الرَّدِّ الْحَيَوِيِّ لِلثَّقَافَةِ بِأَجْمَعِهَا إِلَى الْجُسْمَانِيِّ الَّذِي شَيَّدْنَا عَلَيْهِ تَأْوِيلَنَا. وَهَذَا مَا يَعْدُ عِنْدَنَا مُخَالَفًا أَتَمَّ الْمُخَالَفَةِ لِلرُّوحِ النَيْتَشَوِيِّ، وَإِنَّمَا مَنْ رَامَ السَّدَادَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْكَسَ هَذَا الْمَنْحَى كَيْ تَنْكَشِفَ لَهُ فَلَْسَفَةُ نَيْتَشَهُ دُونَ مُحَسِّنَاتِ هَدْفِهَا الْوَحِيدِ تَقْوِيَةُ فَلَْسَفَتِهِ الْأَوْنُطُو- فِيزِيُولُوجِيَّةِ مِنْ تَبْعَانِهَا الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الْكَارْتِيَّةِ الَّتِي تُؤَلَّفُ دَيْدَنْ كُلِّ مَنْزِعٍ

³⁵⁶VP, Trad. Henri Albert, § 314.

³⁵⁷Ibid, § 303 : « Ce quel'on appelle nutrition n'est qu'une conséquence, une application de cette volonté primitive de devenir plus fort ».

³⁵⁸PBM, Trad. Henri Albert, § 251.

³⁵⁹Ibid, § 244.

³⁶⁰Ibid, § 44 : « Curieux jusqu'au vice, chercheurs jusqu'à la cruauté, avec des doigts agile[audacieux] pour saisir l'insaisissable, des dents et des estomacs pour digérer ce qu'il y a de plus indigeste ».

³⁶¹A, Trad. Henri Albert, §171.

³⁶²Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, pp. 297- 298-299-306.

³⁶³Ibid, pp. 194-297.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

فيزيولوجي وطبّعاني في الفهم والتفسير والتأويل يريد أن يقيس وفق انتقائية أيديولوجية عالم القيم على عالم الطبيعة. وأما شذور نيتشه فتشفت عن فهم للظواهر على أساس الفاعليات الفيزيولوجية للجسمان، ما هو يُعلن ذات مرة، على صديد ما يسوقنا إليه هذا التأويل البلونديلي، عن مهمته الفلسفية دون مواربة قائلًا: "إنها محاولتي لفهم الأحكام الأخلاقية بوصفها أغراضًا ولغات مجازية حيث ثخان فيها سيرورات الفلاح والحيية الفيزيولوجيين وكذلك حيث يثخان فيها وعي شروط البقاء والتماء [الازدهار]".³⁶⁴ تبعًا لهذا المنزع الفيزيولوجي ينبغي فهم الانفعالات البشرية التي تتوقف عليها الأخلاق³⁶⁵، والحال أن هذا يندرج في المنزع الطبّعي من فلسفته التي يأتي هذا المورد ليفصح عنه: "مهمتي: تكمن في نزع الطابع الإنساني [الأنسة] عن الطبيعة وبعدنذ إضفاء الطابع الطبيعي على الإنسان [التطبيع] حالما يُبلغ المفهوم الخالص عن الطبيعة"³⁶⁶. وهذا يدل على ضرورة فهم التأويلي الإنسي في منحاه التأملي واللغوي على هذي التأويل الجسماني والهضمي الذي تفترضه السيرورة العضوية³⁶⁷.

وهذه المشاكلة بين مفهوم التأويل الثقافي الصحي ومفهوم التأويل الجسماني الصحي تقضي أن تسير الذات الثقافية المؤولة - التي تقوم بوظائفها الطبيعية جيدًا من حسن هضم واجترار للمواد الروحية ومن تمتع بشرجية تأويلية تقوم بدور التخلص من كل ما لا يصلح ولا يقدم لها شيئًا ذا قيمة من الأفكار والرؤى - على خطى الجسمان الصحي الذي يتنعم بجهاز هضمي سليم من الأمراض. إلام يشير هذا؟ وبصيغة أخرى ما العلاقة بين التأويلين العضوي والإنسي، المادي والروحي؟ ومن ثم ما الصلة بين الجهازين الهضميين الجسماني والروحاني؟. رب سؤالات أجود ملفوف بالمخاطر أفضل من صمت يجعل الغموض يتربّع على عرش التفكير! بل رب جواب على لسان النصّ النيتشوي خير من كل ضربات التأويل، هو ذا نيتشه نفسه يفصح مجيبًا عن أسئلتنا المطروحة بقوله: "إن إنسانًا ذا بأس وظافر [ترجمة ألبير: وموهوب] يهضم تجارب حياته (بما فيها من ألقائ و الشرور) مثلما يهضم طعامه وإن لزمه الأمر أن يبتلع منها لقمة كبيرة [ترجمة هنري ألبير قطعًا ييسًا] فإذا لم يخلص من هضم حدث ما، فإن هذا النوع من عسر الهضم فيزيولوجي أيضًا مثلما هو حال الآخر [أي هضم الطعام] - وهو في الواقع ليس على الأغلب إلا نتيجة له"³⁶⁸، وهذا ما يسوقنا إلى ردّ الهضم الروحي

³⁶⁴FP, XII, 2 [165] : «Ma tentative pour comprendre les jugements moraux comme des symptômes et des langages figurés où se trahissent des processus de réussite ou d'échec physiologique, ainsi que la conscience des conditions de survie et de croissance ».

³⁶⁵FP, IX, 7 [60]. "الأخلاق بوصفها لغة رمزية للانفعالات"

³⁶⁶FP, 1881, 11 [112]. Voir 11 [238] : « Ma tâche : la déshumanisation de la nature et ensuite la naturalisation de l'homme, une fois acquis le concept pur de nature ».

³⁶⁷VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 130 : « Le processus organique présuppose une activité interprétative continue ».

"إن السيرورة العضوية تفترض مسبقًا فاعلية تأويلية متواصلة".

³⁶⁸GM, Trad. par Eric Blondel et d'autres, III, § 16 : « Un homme fort et réussi digère les événements de sa vie (y compris les faits et les méfaits) comme il digère ses repas, même s'il lui faut avaler des gros morceaux. S'il ne

الفصل الثاني: حواص الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيكِيِّ

أَوِ النَّفْسِيِّ أَوِ الذِّهْنِيِّ³⁶⁹ - بِمَا فِي ذَلِكَ كُلِّ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي تَنْتَبِئُ إِلَى هَذَا الصَّعِيدِ ، مِنْ إِدْرَاكِ وَتَخِيلٍ وَتَذَكُّرٍ وَانْتِبَاهٍ ، مِنْ وَصْلٍ وَرَبْطٍ وَفَقِّ قَرَائِنٍ وَأَمَارَاتٍ ، مِنْ انْتِقَاءٍ وَتَصْفِيَةٍ وَفَقِّ رَغَبَاتٍ وَحَوَائِجٍ - إِلَى الْهَضْمِ الْجُسْمَانِيِّ وَسَيَرُورَاتِ فَاعِلِيَّاتِهِ حَيْثُ الْهَضْمُ الْأَوَّلُ عَاقِبَةٌ لَهُ لَيْسَ غَيْرُ³⁷⁰ .

تَتَوَطَّدُ تَأْوِيلَتُنَا بِمَسَاعِي نِيَتِشِهِ إِلَى تَأْوِيلٍ مُتَّوَعِّعٍ الظَّوَاهِرِ الرُّوحِيَةِ بِمُوجِبِ أَوْنُطُولُوجِيَا الْجُسْمَانِ ، وَقَدْ شَفَّ مَوْرِدُ ذَلِكَ لَمَّا أَفْصَحَ قَائِلًا: "وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ تُبْرَزَ إِلَى وَضَحِ النَّهَارِ [أَنْ نَكْشِفَ عَنْ] أَعْرَاضَ مِثْلِ هَذِهِ الشَّيْخُوخَةِ وَمِثْلِ هَذَا الْإِثْهَاقِ وَالْقُثُوطِ ، أَيْ الْإِسْفَارِ عَنِ الظَّاهِرَةِ الْفِيْزِيُولُوجِيَةِ الَّتِي تَحْتَبِئُ خَلْفَ الْحُكْمِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالْحُكْمِ الْأَخْلَاقِيِّ الْمُسَبِّقِ"³⁷¹ . وَيَتَكَرَّرُ فَحَوَى هَذِهِ الشَّدْرَةِ فِي الشَّدْرَةِ النَّاسِغَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ مُصَنَّفٍ "الْعِلْمُ الْمَرَحَّ" حَيْثُ يُبَيِّنُ فَيَلْسُوفُنَا أَنَّ الذَّوْقَ الْفَرِيدَ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْفَرِيدُونَ الْمُتَوَجِّدُونَ سَبَبُهُ نَهْجُهُمْ فِي التَّغْذِيَةِ وَمِنْوَالَهُمْ فِي الْهَضْمِ وَرُبَّمَا نِسْبَةُ الْأَمْلَاحِ اللَّاعْضُويَّةِ فِي دِمِهِمْ وَدِمَاغِهِمْ ، وَيَخْتَصِرُ نِيَتِشَهُ كُلَّ هَذَا فِي جِسْمِهِمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْقَوْلِ: "إِنَّ أَحْكَامَهُمُ الْجَمَالِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ جُزْءٌ مِنْ دَقَائِقِ الْفُرُوقِ الرَّقِيقَةِ لِبَطَاعِهِمُ الْفِيْزِيُكِيَّةِ"³⁷² . تَأْسِيسًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَالظَّوَاهِرُ الْفِيْزِيُولُوجِيَةُ الَّتِي تَعْتَمِلُ فِي الْحَقَاءِ وَمِنْ وَرَاءِ حُجُبِ الْأَخْلَاقِ وَمِنْ خَلْفِ كُلِّ مَا يَنْتَبِئُ إِلَى مَصْفُوفَاتِ الْوَعْيِ هِيَ الْقُوَى الْفَاعِلَةُ الَّتِي تُفَسِّرُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَا الْبَاقِي إِلَّا أَعْرَاضٌ يَنْبَغِي أَنْ تُشَخَّصَ اسْتِنَادًا إِلَيْهَا ؛ وَعَلَى حُطَى هَذَا التَّحْلِيلِ الطَّرِيفِ تَغْدُو الْحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ الَّتِي تَتَأَوَّلُهَا فَيَلْسُوفُ الْاِقْتِدَارِ بِمَنْزِلَةِ جِسْمٍ فَيْزِيُولُوجِيٍّ مَرِيضٍ وَمِنْهُمْكَ يَسْتَدْعِي كَأَقْفَى لِلنَّجَاةِ طَبِيبًا ضَلِيلًا يُشَخَّصُ لَهُ مَوَاضِعَ الْأَدْوَاءِ³⁷³ وَلَا تُشَخَّصُ

vient pas « à bout » d'un événement, cette espèce-ci d'indigestion est aussi physiologique que l'autre_ et de fait n'en est souvent qu'une conséquence ».

³⁶⁹GM, Voir toutes les traductions utilisées dans ma thèse, II, §1.

³⁷⁰ يَتَقَوَّى هَذَا التَّخْرِيجُ بِكُونِ الْوُجُودِ كُلِّهِ مَعْدَةً كَبْرَى لَا تَنْفَكُ عَنِ الْهَضْمِ وَالتَّمْيِيزِ وَالْإِفْرَازِ مَا يَجْعَلُ قُوَاهَا، مِنْ حَيْثُ هِيَ الْهَوَاجِدَاتُ، لَا تَبْقَى تَمَيَّزٌ وَتَسْتَهْلِكُ وَتُهْلِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا، مَا يُوجِبُ الْغُثْفَ وَالْاِنْتِقَائِيَّةَ؛ وَلَا عَجَبَ بَعْدَئِذٍ أَنْ يَأْتِيَ التَّأْوِيلُ الْمَغْرِفِيُّ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مُفْتَرِّيًا بِالْاِنْتِقَائِيَّةِ وَالْغُثْفِ، وَهُوَ ذَا مَا يُسَمِّيه بَعْضُ أَشْيَاعٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ب: "عَفْ الْمَعْنَى". لَكِنْ نِيَتِشُهُ وَسَدَنَاتِهِ لَا يَقْدُمُونَ لَنَا تَسْوِيعًا لِلْاِنْتِقَالِ بَيْنَ الْمُسْتَوِيَّاتِ الثَّلَاثَةِ: الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ، الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ، الْمَعْرِفِيَّةِ.

³⁷¹A, Trad. Henri Albert, Edition Mercure de France, 1901, Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, vol 7, § 542 : « Et il est toujours nécessaire de mettre au jour les symptômes d'un tel vieillissement et d'une telle lassitude, c'est-à-dire de montrer le phénomène physiologique qui se cache derrière le jugement et le préjugé moral ».

³⁷²GS, Trad. Henri Albert, § 39 : « Leurs jugements esthétiques et moraux font partie de ces « fines nuances » du caractère physique ».

في ترجمة فوتلينغ يؤدي العبارة ب : "... هي هذه الانطباعات [العلامات أو النبرات أو الملاحظات] الأكثر دقة للطبيعة [لطبيعتهم] ". GS, Trad. Patrick Wotling, §39 : « Mais que ces individus possèdent un sentiment et un « goût » différents, cela tient habituellement à une particularité de leur mode de vie, de leur alimentation, de leur digestion, peut-être à la présence dans leur sang et leur cerveau d'une quantité un peu plus importante ou un peu moins importante de sels inorganiques, bref à la *physis* : mais ils ont le courage de suivre leur *physis* et de prêter l'oreille à ses exigences jusque dans leurs notes les plus subtiles : leurs jugements esthétiques et moraux sont ces « notes les plus subtiles » de la *physis* ».

³⁷³Patrick Wotling, Nietzsche et le problème de la civilisation, la Deuxième partie. — La métaphore médicale : la culture comme symptôme 1. Le philosophe, médecin de la culture, PUF, 2009.

الفصل الثاني: حواص الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْاِسْتِبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْاِنْكَارِ الْمِيْتَاْفِيزِيْقِيِّ

الحَضَارَةُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَعْرَاضِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ مَصْفُوفَاتِ الْقِيَمِ الَّتِي انْتَجَتْهَا فَاهِمَتُهَا النَّظَرِيَّةُ وَعَاقِلَتُهَا الْعَمَلِيَّةُ وَذَائِقَتُهَا الْجَمَالِيَّةُ وَغَاطِفَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ أَوْ الدِّينِيَّةُ وَمِنْ ثَمَتِ يَقْدَمُ لَهَا الْعِلَاجُ الْخَلِيقَ بِهَا ، وَهَذَا الطَّبِيبُ الْفَيْلَسُوفُ الَّذِي تَكْمُنُ مَهْمَتُهُ فِي دِرَاسَةِ صِحَّةِ شَعْبٍ مَا أَوْ عِرْقٍ مَا أَوْ بِالْأُخْرَى صِحَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ هُوَ ذَا مَا انْتَظَرَ نِيْتَشَةُ بِقَارِغِ الصَّبْرِ مَجِيئَهُ الْمَيْمُونُ³⁷⁴.

عَلَى الرُّعْمِ مِنْ حَدِيثِنَا الْمُفَصَّلِ عَنْ مَفْهُومِ الْكَثْرَةِ فِي أَفْقِ الْجُسْمَانِ ، يَبْقَى ثَمَّةُ إِشْكَالٍ عَوِيصٌ يَنْبَغِي أَنْ نَجِدَ لَهُ مَخْرَجًا تَنْظِيرِيًّا ، هَذَا الْإِشْكَالُ نَصُوعُهُ عَلَى النَحْوِ الْآتِي: أَيُّ صِلَةٍ لِمَفْهُومِ الْكَثْرَةِ لَدَى نِيْتَشَةَ بِمَفْهُومِهِ عَنِ الْوَحْدَةِ ؟ ، وَأَيُّ مَخْرَجٍ نَظَرِيٍّ يُمْكِنُنَا مِنْ أَنْ نَخْلُصَ عَلَى هَدْيِهِ إِلَى هَذَا الْاِسْتِبْطَاطِ: "إِذَا كَانَ الْعَالَمُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ وَاحِدًا وَمُتَعَدِّدًا ، وَكَانَتْ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ مَاهِيَةً لِلْعَالَمِ ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ وَاحِدَةً وَمُتَعَدِّدَةً"³⁷⁵. لَكِنْ هَذَا الْمَطْلَبُ لَيْسَ بِالْمَأْتَى الْيَسِيرِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ سَلِيمٍ يُسَعِّفُنَا فِي فَكِّ مَقَالِقِ التَّفَكُّيرِ الْفَلَسَفِيِّ لَدَى فَيْلَسُوفِنَا ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ عَنْ فَهْمٍ يُنْزِلُ ذَيْتِكَ الْمَفْهُومَيْنِ (الوَاحِدِ ، الْكَثِيرِ) تَنْزِيلًا مُنَاسِبًا يُوجِدُ مِنْ غَيْرِ تَلْفِيْقٍ بَيْنَ أَوْنُطُولُوجِيَا نِيْتَشَةَ الْوَاحِدِيَّةِ كَمَا تَنْجَلِي فِي الْمَبْدَأِ الْأَحَادِي لِلْعَالَمِ مِنْ جَانِبِ وَالْوَحْدَاتِ الْعَرْضِيَّةِ وَالْعَايِرَةِ فِي الْعَالَمِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَالْأَوْنُطُولُوجِيَا الْكَثْرَوِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْكَثَرَاتِ الْقُوْوِيَّةِ الَّتِي تَمْلَأُ الْعَالَمَ بِرِمَّتِهِ مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ ؛ فَبَآيِ صُورَةٍ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ عَلَى ضَوْئِهَا وَاحِدِيَّةَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ أَوْ وَحْدَتِهَا وَمَاهَوِيَّتِهَا ، فِي فِلْسَفَةٍ لَمْ يَبْرَحْ فِيهَا نِيْتَشَةُ عَنْ اِسْتِنْكَافِ الْوَاحِدِ الْمِيْتَاْفِيزِيْقِيِّ وَالْوَاحِدِ الْاِلَهِوْتِيِّ ؟ وَأَتَى لَنَا أَنْ نَفْهَمَ الْوَحْدَةَ الْمِيْتَاْفِيزِيْقِيَّةَ سَوَاءً فِي الْعَقْلِ أَوْ الْعَالَمِ بِحَذَائِفِرِهِ فِي أَوْنُطُولُوجِيَا مُوَلَّعَةٍ بِالْكَثَرَاتِ ؟ لَكِنْ قَبْلَ الْإِجَابَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْمِفْصَلِيَّةِ فَلَا مَنْدُوحَةَ مِنْ أَنْ نُقَدِّمَ دَلِيلًا مُفْنَعًا لِلشَّرَاحِ يُثَبِّتُ بِالشَّوَاهِدِ النَّصِيَّةِ أَنْ نِيْتَشَةَ لَمْ يَسْتَغْنِ اِسْتِغْنَاءً تَامًا عَنْ مَفْهُومِ الْوَحْدَةِ وَلَا عَنِ اِسْتِعْمَالِهِ وَإِنَّمَا قَامَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْوَحْدَةِ الرَّائِفَةِ الَّتِي يَقْدِّمُهَا الْوَعْيُ ، أَيْ تِلْكَمُ الَّتِي تَتَأْتَى اِنْطِلَاقًا مِنَ الرُّوحِ الْوَاعِي وَالْوَحْدَةِ الْأَصِيلَةِ الَّتِي يَقْدِّمُ عَنْهَا الْجُسْمَانُ أَيْمًا مِثَالِ حَيٍّ ، أَيْ تِلْكَمُ الَّتِي لَا تَبْرُزُ لَنَا إِلَّا بِالْجَسَدِ الْمَسْكُونِ بِكَثَرَاتٍ شَتَّى. وَمِنْ غَيْرِ هَذَا التَّمْيِيزِ فَلَنْ نُفْلِحَ فِي الْعُثُورِ عَنِ الْوَشَائِجِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُ وَحْدَةَ الْمَبْدَأِ النِّيْتَشَوِيِّ مِنْ جِهَةٍ وَوَحْدَةَ الْكَائِنَاتِ مَعَ نَفْسِهَا فِي مَسَارِ الزَّمَانِ الَّذِي يَخْصُهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، مَعَ الْكَثَرَاتِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا.

وَبِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي كَشَفْنَا عَنْهَا بَيْنَ طَرَاذِيْنِ مِنَ الْوَحْدَةِ سَنَعْمِدُ أَوَّلًا إِلَى تَبْيَانِ اِسْتِعْمَالِ نِيْتَشَةَ لِمَفْهُومِ الْوَحْدَةِ فِي كِتَابَاتِهِ ثُمَّ سَنَتَكَلَّمُ أَيْضًا فِي أَيِّ مَقَامٍ تَرْدُ الْوَحْدَةُ بِالْمَعْنَى الرَّائِفِ ؟ وَفِي أَيِّ مَقَامٍ آخَرَ تَجِيءُ الْوَحْدَةُ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ ؟ وَبَعْدَئِذٍ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ مُمَيِّزَاتِ الْوَحْدَةِ الرَّائِفَةِ الْمُبَايَنَةِ لِمُمَيِّزَاتِ الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ (الْفِعْلِيَّةِ) ؟ وَهَدَفُنَا مِنْ هَذَا كُلِّهِ هُوَ إِثْبَاتُ اِنْعِطَاءِ الْمَقَاهِيمِ النِّيْتَشَوِيَّةِ اِنْعِطَاءً سِيَاقِيًّا ، مَا يُوجِبُ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ فَهْمُ كُلِّ مَفْهُومٍ عَلَى حِدَةٍ وَفُقْ مَرَاتِبِهِ الدَّلَالِيَّةِ وَتَبَعًا لِمُسْتَوَيَاتِ وَرُودِهِ السِّيَاقِيَّةِ وَطَبَقًا لِمَنَازِلِ مَعَانِيهِ مِنْ حَيْثُ الْإِطْلَاقُ وَالتَّفْيِيدُ وَمِنْ حَيْثُ الْقَصْدُ وَالْوِظَيفَةُ الَّتِي جَاءَ لِيُؤَدِّيَهَا ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَيَّ

³⁷⁴GS, Trad. Henri Albert, § 2.

³⁷⁵Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, pp. 46-66.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

مفهوم قد يردُ بدءاً في عرض مدوّنته بصيغة المفهوم ؛ لكن هذا المفهوم نفسه يتخصّص ويتوزّع إلى معانٍ محصورة تبعاً لمواقفه الخاصة وطبقاً لعلاقته بباقي المفاهيم التي يشترك معها في المضمون الدلالي نفسه ، وبِناءً على ذلك فلا يمكن أن نستوعب مفهوم الوحدة مثلاً إلا بمقتضى القرائن النصية المتصلة ، أعني ورود المفهوم نفسه مرتين أو أكثر في الشذرة نفسها أو في مواضع أخرى في الكتاب نفسه ، أو تبعاً للقرائن النصية المفصلة ، أقصد ورود المفهوم ذاته في تصانيف أخرى مُفَرَّقة ، وفوق ذلك ينبغي أن يلتفت في ذينك الاقتضاءين النصيين إلى ما ينطويان عليه من محمولات ثبوتية أو سلبية ، أعني الأخذ بعين الاعتبار ورود المفهوم على محمل الإثبات أو على محمل النفي .

أولاً: مفهوم الوحدة من حيث الاستعمال

ما فتى نيتشه مذ كتاباته الأولى يستعمل لفظة "الوحدة" بالمعنى الإفراري والإنكاري على السواء ، على الرغم مما تواتر عنه من أنه لا يذكر هذه اللفظة إلا لينفي وجودها أكانت في الوعي الإنساني أو في العالم ؛ كما هو الحال في هذي الشذرة حيث قال: "يظهر لي من المهم التخلص من كل شيء ، من الوحدة ، من القوة ومن أي مطلق كائناً من كان" ³⁷⁶ ؛ زد على ذلك أنه عبّر في إحدى الشذور عن كون الوحدة والديمومة في قلب العالم أكلوبة من اختلاقي العقل ليس إلا ، ما دام هذا العالم في صميمه صيرورة وتغيّراً [ترجمة معنوية بتصرف] ³⁷⁷ ، ولقد جرى على هذا النفي في أحد المواضع من نصوصه المتأخرة إذ قال: ليس ثمة لوحداث نهائية دائمة ، وليس هناك وجود البتة لذرات ، ولا وجود بتاتاً للمونادات... ³⁷⁸ . ولا بأس كيما أعاضد مدلول هاته الشذرات المستبدل بها من أن أفتطع هذه الجملة في سياق فقرة يتحدّث فيها نيتشه عن الشكل الثالث للعدمية حيث يقول: "... وأن الصيرورة ليست مسودة من قبل وحدة عظيمة..." ³⁷⁹ ، ويواصل هجومه على الوحدة الميتافيزيقية قائلاً: "إن الوحدة التي تتدخل في كثرة الأحداث لمعدومة" ³⁸⁰ . لكن هذا الذود عن الصيرورة وعن عالم مفتوح من غير وحدات لم يمنعه من الاستمرار في استعمال لفظتي الوحدة والواحد على ما في هذا الاستعمال من مضامين أخرى جديدة ، فمثلاً ألقيناه مذ كتابه "ميلاد المأساة" متحدّثاً عن الواحد الأصلي "L'Un- primordial" مع وجعه وتناقضاته والذي يتطابق معه ويتماهي الشاعر الغنائي وفق ميتافيزيقا الجمال النيتشوية ، هذا الشاعر الذي هو حقيق أيضاً بأن يعيد بموجب ذلك إنتاج الصورة الوفية من هذه الوحدة الأصلية

³⁷⁶FP, XII, 7 [62] : « Il me semble important de se débarrasser du tout (All), de l'unité, d'une force et d'un absolu quelconques ».

³⁷⁷CI, Trad. Henri Albert, La « raison » dans la philosophie, § 2.

³⁷⁸VP, Trad. Henri Albert, §301 : « Il n'y a pas de dernières unités durables, point d'atomes, point de monades... ».

³⁷⁹Ibid, § 05 : « ... et que le devenir n'est pas régi par une grande unité... ».

³⁸⁰Ibid : « L'unité qui intervient dans la multiplicité des événements fait défaut ».

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْاِسْتِبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْاِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

"Unité primordiale"³⁸¹. يَسْتَرْسِلُ نيتشه حَديثَهُ فِي هَذَا السِّياقِ مُصَرِّحاً إِنَّهُ يَتَوَسَّلُ الْاِنْسِجَامِ الْكُونِيِّ مَعَ الْوَاحِدِ الْأَصْلِيِّ يَغْدُو الْإِنْسَانُ أَثَرًا مِنْ أَثَارِ الْفَنِّ وَمَادَّةً لَهُ³⁸² وَتَعُدُّ الْمَوْسِيقَى فِي ذَاتِ السِّياقِ الْفَنِّيِّ حَسَبَ نيتشه التَّعْيِيرَ الرَّمْزِيَّ عَنِ التَّضَادِّ وَالْعِدَاءِ وَالْأَلَمِ الْأَصْلِيِّينَ الْمُتَوَاجِدِينَ فِي قَلْبٍ [فِي صَمِيمٍ] الْوَاحِدِ الْأَصْلِيِّ³⁸³؛ وَانْفِعَالِيَّةَ الْفَنَّانِ كَمَا يَفْهَمُهَا نيتشه فِي هَذَا الْمَقَامِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ وَإِنَّمَا لِسَبَبٍ وَجِيهٍ يَمْتَثِلُ فِي كَوْنِهِ خَاضِعًا لِلْقَوَى الْقَاهِرَةِ الَّتِي تَفْرُضُ نَفْسَهَا عَلَى الْفَنَّانِ وَالَّذِي لَا يَمْلِكُ عَنْهَا، مِنْ حَيْثُ هِيَ قَوَى الطَّبِيعَةِ، أَيْ مَنَاصٍ³⁸⁴؛ وَهَذَا الْوَاحِدُ الْأَصْلِيُّ بِاعْتِبَارِهِ الْكَيْنُونَةُ الْمُطْلَقَةُ يَفْهَمُ مِنْ جِهَةٍ كَصَيْرُورَةٍ دَائِمَةٍ فِي الزَّمكانِ وَكَوَاقِعٍ تَجْرِييٍّ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَمَبْدَأٍ وَحِيدٍ لِلْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ الصِّرَاعُ وَالنِّزَاعُ الْأَبَدِيُّ الَّذِي هُوَ أَبُّ لِلْأَشْيَاءِ جَمِيعًا³⁸⁵. لَقَدْ قَدِّمَتْ هَذِي الصِّيَاغَةُ الْأُولَى لِمَفْهُومِ الْوَاحِدِ الْأَصْلِيِّ أَوْ الْوَحْدَةِ الْأَصْلِيَّةِ إِرْهَاصًا أَوَّلِيًّا سَاهَمَ فِي إِيضَاحِ صِيَاغَتِهِ الْمُتَأَخِّرَةِ لِمَفْهُومِهِ الرَّئِيسِيِّ: إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ. لِذَا لَيْسَ الْوَاحِدُ الْأَصْلِيُّ فِي تَقْدِيرِنَا سِوَى فِكْرَةٍ نيتشه الْأُولَى عَنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ قَبْلَ اكْتِمَالِهَا فِي غُضُونٍ وَتَعَارِيجٍ مُصَنَّفَاتِهِ، وَلَعَلَّ هَذَا مَا أَرَادَتِ الْبَاحِثَةُ سَلْفِي بوجاك أَنْ تَلْمَحَ إِلَيْهِ حِينَما قَالَتْ: "لَكِنْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَنيتشه يَجْعَلُ مِنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَالْعُودِ الْأَبَدِيِّ مَبْدَأً لِلْكُلِّ، لِلْوَاحِدِ بِاعْتِبَارِهِمَا الْكَيْنُونَةُ الْأَصْلِيَّةُ نَفْسَهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ مُرَادِفَةٌ لَأَمِّ أُصْلِيَّةٍ. فَاقْتِدَارُ الْإِرَادَةِ لَا بَدَايَةَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، إِنَّهُ يَدْمُرُ نَفْسَهُ ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَ ذَاتِهِ بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ"³⁸⁶.

وَحَرِيٌّ بِالذِّكْرِ أَنَّ نيتشه لَمْ يَجِدْ حَرَجًا فِي اسْتِخْدَامِ لَفْظَةِ "الْوَحْدَةِ" فِي تَوْصِيفِهِ لِلتَّقَافَةِ؛ إِذْ أَعْرَبَ قَائِلًا: إِنَّ التَّقَافَةَ هِيَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَحْدَةُ الْأَسْلُوبِ الْفَنِّيِّ فِي جَمِيعِ التَّجَلِّيَّاتِ الْحَيَوِيَّةِ لِشُعْبٍ مَا³⁸⁷. زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَعْمَلَ كَذَلِكَ لَفْظَةَ الْوَحْدَةِ فِي مُصَنَّفِهِ "جينياولوجيا الأخلاق" فِي إِحْدَى الشَّدَرَاتِ الَّتِي عَدَّ فِيهَا الشَّرُوطَ الْحَيَاتِيَّةَ الَّتِي بِوَاسِطَتِهَا تُمارَسُ الْحِمَايَةُ الْقَانُونِيَّةُ تَقْيِيدَاتٍ جُزْئِيَّةً عَلَى إِرَادَةِ الْحَيَاةِ

³⁸¹OT (NT), Trad. Henri Albert, §5 : « Nous pouvons, d'après les principes précédemment exposés de notre métaphysique esthétique, nous expliquer le poète lyrique de la manière suivante : Il s'identifie d'abord d'une façon absolue avec l'Un- primordial, avec sa souffrance et ses contradictions et reproduit l'image fidèle de cette unité primordiale en tant que musique ».

³⁸²Ibid, § 2.

³⁸³Ibid, § 6 : « Aussi est-il impossible au langage d'arriver à épuiser la symbolique universelle de la musique, parce que celle-ci est l'expression symbolique de l'antagonisme et de la douleur originels qui sont au cœur de l'Un-primordial ».

³⁸⁴Ouvrage Collectif, Nouvelles Lectures de Nietzsche, l'age d'homme, p. 73.

³⁸⁵OT (NT) , Henri Albert, § 2.

³⁸⁶Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, Editions Publibook, 2011, p. 408 : « Nietzsche fait de la volonté de puissance et de l'éternel retour le principe de tout, de l'Un primordial, un meme Etre originel qui est équivalent d'une mère originelle. La puissance de la volonté n'a ni commencement ni fin, elle se détruit et se crée perpétuellement ».

³⁸⁷CIn, David Strauss sectateur et écrivain, § 1 : « -La culture, c'est avant tout l'unité de style artistique dans toutes les manifestations vitales d'un peuple ».

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الاقْتِدَارِ بَيْنَ الِاسْتِبْصَارِ الحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الِهَيْتَافِيْزِيْيِّ

بِمَعْنَاهَا الحَقِيقِيَّ وَهِيَ فِي حَقِيقَتِهَا وَسَائِلُ لِحَلْقِي وَحَدَاتٍ سَيِّطَرَةُ أَكْبَرَ دَائِمًا³⁸⁸. وَفَوْقَ ذَلِكَ لَمْ يَمْتَنِعْ نَيْتَشْه عَنْ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ "وَحَدَاتٍ" عَلَى الْقَوَى الَّتِي يَتَطَاوَلُ وَيَتَصَاوَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، يَقُولُ: "إِنَّ إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ لَا تَعْمَلُ بِمَعْزِلٍ عَنِ التَّعَارُضَاتِ وَعَنِ الْمُقَاوَمَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ عَنْ وَجْهَاتٍ نَظَرٍ نِسْبِيَّةٍ، وَعَنْ وَحَدَاتٍ يَتَطَاوَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ [تَرْجُمَةُ بِتَصَرُّفٍ]"³⁸⁹. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ عَدَّ الرُّوحَ، أَثْنَاءَ شَرْحِهِ لِمَا يُسَمِّيهِ "الإِرَادَةُ الْآسَاسِيَّةُ لِلرُّوحِ" فِي مُؤَلَّفِهِ "ما وراءَ الخير والشر"، - عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ إِرَادَةِ تَطْوِيعِ لِلْأَشْيَاءِ وَإِخْضَاعِهَا، وَمِنْ إِرَادَةِ مُتَعَطِّشَةٍ لِلْسَيِّطَرَةِ- إِرَادَةَ انْتِقَالٍ مِنَ التَّعَدُّدِ إِلَى الْوَحْدَةِ³⁹⁰ أَوْ إِرَادَةَ رَدِّ التَّعَدُّدِ إِلَى الْبَسَاطَةِ³⁹¹ الَّتِي شَدَّ مَا افْتَرَنْتَ فِي تَارِيخِ الفَلَسَفَةِ بِالْوَحْدَةِ. لَا يَقُوْنَا أَيْضًا أَنْ نَيْتَشْه وَظَفَ هَذَا الْمُصْطَلَحَ ذَاتَ مَرَّةٍ لِيَعْنِي بِهِ أَمْرًا فِي مُنْتَهَى الإِيجَابِيَّةِ وَالْمُتَمَثِّلِ بِ "الصِّحَّةِ" الَّتِي عَرَفَهَا بِحُسْنِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِيَّاتِ مِنَ لَدُنْ وَحْدَةٍ *هُوِّيَّةٌ مَا*³⁹²؛ بَلْ إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ غِيَابَ الْوَحْدَةِ وَالتَّنْسِيقِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، بِوَصْفِهَا دَلِيلًا عَلَى حُضُورِ قُوَى جَوَانِيَّةٍ وَعَلَى تَعَدُّدِ الْإِنْفُسِ فِي الصَّدْرِ الْوَاحِدِ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ سِيَادَةِ هَوَى مُعَيَّنٍ يَسُودُ هَذِهِ الْكَثْرَةَ وَفَقَ طُوبُؤُلُوجِيَا الْهَيْمَنَةِ، لَنْ يُؤَدِّيَ إِلَّا إِلَى السَّقَامِ وَالْخَرَابِ وَالتَّفَكُّكِ³⁹³. أَضِفْ إِلَى هَذَا جَمِيعِهِ أَنْ نَيْتَشْه اسْتَعْمَلَ لَفْظَةَ "الْوَحْدَةِ" بِصِيغَةِ الإِيجَابِ أَيْضًا لِمَا صَاغَ مَفْهُومَهُ عَنْ "إِرَادَةِ الاقْتِدَارِ"، إِذْ قَدَّمَ فِي المَجْلَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرٍ سِيكُولُوجِيَّةٍ وَعَلَى نَحْوِ صُرَاحٍ بِاعْتِبَارِهَا وَحْدَةً أَصْلِيَّةً وَأُولِيَّةً لِلْمُتَعَدِّدِ الَّذِي لَنْ يَكُونَ سِوَى تَطَوُّرٍ وَتَحَوُّلٍ لَهَا³⁹⁴، وَمَا يُعَاوِضُ وَاحِدِيَّةَ الْمَبْدَأِ النَيْتَشَوِيِّ التَّوْحِيدِيَّ هُوَ وُرُودُ شَذَرَةٍ مِنَ المَجْلَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ حَيْثُ يَعُدُّ أَيْضًا إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ- بِمَا هِيَ الْمُنْطَلَقُ السِيكُولُوجِيَّ - وَحْدَةً جَامِعَةً

³⁸⁸GM, Trad. Henri Albert, II, §11 : « ... c'est-à-dire de moyens de créer des unités de domination toujours plus grandes ».

³⁸⁹VP, Trad. Henri Albert, §297 : « Il est besoin d'oppositions, de résistances, donc, au point de vue relatif, d'unités qui empiètent ».

³⁹⁰PBM, Trad. Henri Albert, § 230 : « Il a la volonté de parvenir de la diversité à l'unité, une volonté qui restreint, qui assujettit, qui a soif de domination et qui est vraiment faite pour dominer ».

³⁹¹Ibid, Trad. Patrick Wotling, § 230 : « ... que le peuple appelle « l'esprit », veut être maître et seigneur en lui et autour de lui, et sentir qu'il est le maître : il a la volonté de ramener la multiplicité à la simplicité... ». In Fridrich Nietzsche : Œuvres, Flammarion, 2000. Voir PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, §230 : « il a la volonté d'aller de la diversité à la simplicité... ».

³⁹²FP, XIV, 14 [157] : « La passion dominante, qui apporte même la forme suprême de la santé : c'est ici qu'est le mieux atteinte la coordination des systèmes internes et leur mise en œuvre au service d'une unité - mais c'est presque la définition de la santé ! ».

³⁹³Ibid : « 2) L'opposition des passions entre elles, le dédoublement, détriplement, la multiplicité des «âmes dans une seule poitrine» (1) : très malsain, ruine interne, effet de désagrégation, traduisant et stimulant une dissension et un anarchisme intimes - : à moins qu'une passion ne finisse par l'emporter et dominer. Retour de la santé ».

³⁹⁴Ibid, 14 [121] : « La volonté de puissance - d'un point de vue psychologique. Conception unitaire de la psychologie. Nous sommes habitués à admettre que le développement d'une monstrueuse abondance de formes est conciliable avec une origine qui serait une unité première. Que la volonté de puissance est la forme primitive de l'affect, que tous les autres affects n'en sont que des développements ».

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتِبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

لِلرَّغَبَاتِ الَّتِي تَوُولُ ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَنَوُّعِهَا ، إِلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ (إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ) الَّتِي بِفَضْلِهَا تَحَقِّقُ التَّطَوُّرَ الْعُضْوِيَّ³⁹⁵ .

لَكِنْ لَا مَرَبَّةَ وَلَا شَكَّ مِنْ كَوْنِ الْأَسْتِخْدَامِ الثُّبُوتِيِّ مِنْ لَدُنْ نَيْتَشَةِ لِمَفْهُومِ الْوَحْدَةِ مُخْتَلَفًا فِي وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ عَنِ اسْتِعْمَالَاتِهِ السَّالِبَةِ ، وَعَلَى ضَوْءِ هَذَا التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَسْتِعْمَالَيْنِ يَغْدُو أَمْرُ الْأَنْسِجَامِ بَيْنَ مَفْهُومِ الْوَحْدَةِ وَالْكَثْرَةِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْمُسْتَحِيلِ ، لِأَنَّ هَذَا التَّفْرِيقَ سَيَعْمَلُ عَلَى أَنْ تَنْجَابَ أَسْدَافُ الْخَلْطِ بَيْنَ الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْوَحْدَةِ الزَّائِفَةِ وَمِنْ ثَمَّ سَتَتَبَدَّى لَنَا عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ أَيُّ وَحْدَةٍ تَنَاقُضُ وَتُتَاهِضُ الْكَثْرَةَ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةَ؟ وَأَيُّ وَحْدَةٍ هِيَ فِي اتِّفَاقٍ وَوَفَاقٍ مَعَ الْكَثْرَةِ الْفَسِيحَةِ الْآفَاقِيَّةِ؟ ، يَبْدُو أَنَّ تَبَيُّنَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَنُوطٌ بِطَبِيعَةِ الْمُمَيَّزَاتِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا هَذِي الْوَحْدَةُ أَوْ تِلْكَ الَّتِي تَجْعَلُ هَذِهِ أَوْ تِلْكَ فِي انْطِبَاقٍ أَوْ فِي طِبَاقٍ ، فِي مِثَاقٍ أَوْ فِي شِفَاقٍ ، مَعَ حَرَكِيَّةِ الْكَثْرَةِ وَغِنَاهَا ؛ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ خَطُونَا الْمُنْهَجِيَّ هَهُنَا يُحْتَمِّمُ عَلَيْنَا أَنْ نُسْفِرَ عَنْ أَيِّ ضَرْبٍ مِنَ الْمُمَيَّزَاتِ يَجْعَلُ مِنْ جِهَةٍ هَذِهِ الْوَحْدَةُ شَمْسًا تُشْرِقُ عَلَى الْكَثْرَةِ أَيْمًا إِشْرَاقٍ ، فَتُسْرِي فِيهَا وَتَسْتَعْرِقُهَا أَيْمًا اسْتِعْرَاقٍ [واحدية المبدأ] ، عَلَى نَحْوِ بَدِيعِ التَّأَلُّفِ يُبَيِّنُ الرَابِطَةَ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي هِيَ رَابِطَةُ اسْتِثْقَاقٍ [أعني اسْتِثْقَاقَ الْكَثْرَةِ مِنَ الْوَحْدَةِ] ، وَيَجْعَلُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى "الْوَحْدَةَ الْعَرَضِيَّةَ لِلْكَائِنَاتِ مَفْتُوحَةً عَلَى التَّجَدُّدِ دُونَهَا اسْتِغْلَاقٍ ، مُحْتَضِنَةً الْكَثْرَةَ فِي ضَمَّةٍ اِعْتِنَاقٍ وَعِثَاقٍ ، فَتُفْسِحُ الْمَجَالَ لِوَطَيْسِ تَفَاغُلِهَا دُونَهَا إِطْبَاقٍ وَأَطْوَاقٍ ، فَتَرْقُصُ الْقَوَى الْكَثْرَوِيَّةَ عَلَى هَوَاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُصَابَ الْبَتَّةُ مِنْ طَرَفٍ بِطُشَّةِ هَذِهِ الْوَحْدَةِ بِأَيِّ إِزْهَاقٍ أَوْ إِزْهَاقٍ. لَكِنْ رَبُّ إِجْلَاءٍ لِمُمَيَّزَاتِ الْوَحْدَةِ الزَّائِفَةِ الَّتِي مَا بَرَحَ نَيْتَشَةُ يُنَافِحُ ضِدَّهَا يَكْشِفُ عَلَى الْفَوْرِ مُمَيَّزَاتِ الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ !

1- الميزة الأولى: الدَّيْمُومَةُ

لَا غَرَوْ مِنْ أَنَّ مَا يَنْفِيهِ نَيْتَشَةُ لَيْسَ الْوَحْدَةَ بِوَصْفِهَا كَذَلِكَ وَلَيْسَ أَيُّ وَحْدَةٍ كَيْفَمَا اتَّفَقَ أَمْرُهَا وَإِنَّمَا يَنْفِي ضَرْبًا مُخْصُوصًا مِنْهَا وَهِيَ الْوَحْدَةُ ذَاتُ الدَّيْمُومَةِ ، أَيُّ أَنَّ مَا يَجْدِبُهُ هُوَ دَيْمُومَةُ الْوَحْدَةِ ؛ وَيَشْفُ ذَلِكَ عَنْ سَعْيٍ لِفَكِّ الرِّبَاطِ الزَّائِفِ الَّذِي كَرَسَهُ تَقْلِيدُ فُلْسَافِيٍّ عَتِيقٍ بَيْنَ الْمَحْمُولِ "الدَّيْمُومَةِ" وَالْمَوْضُوعِ "الْوَحْدَةِ" ، ذَلِكَ أَنَّ هَذَا التَّقْلِيدَ عَمِلَ عَلَى جَعْلِ الدَّيْمُومَةِ ، دَعَا الْبَسَاطَةِ وَالْإِطْلَاقِيَّةِ وَالثَّبَاتِ ، مِنْ قِوَامِ الْوَحْدَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ [مَثَلًا: مَثَلُ أَفْلَاطُونِ ، جَوْهَرُ أَرِسْطُو ، الْخ] ، فَمَا كَانَ مِنْ نَيْتَشَةِ فِي إِطَارِ حَرْبِهِ ضِدَّ الْمَيْتَافِيزِيَّيَا إِلَّا أَنْ يَنْفِي وُجُودَ وَحْدَاتٍ دَائِمَةٍ لَا يَغْتَرِيهَا الْاِنْتِقَاطُ وَالْمَحْوُ وَالْاِنْصِرَامُ وَمِنْ ثَمَّ تَحْرِيرُ الْوَحْدَاتِ مِنْ وَهْمِ الدَّيْمُومَةِ الْمُطْلَقَةِ³⁹⁶ ؛ هَذَا مَا تُفْصِحُ عَنْهُ الشَّدْرَةُ 301 مِنْ مُصَنَّفِ

³⁹⁵FP, XII, 1 [30] : « A. Point de. Départ psychologique : -notre pensée et nos appréciations de valeur sont seulement une expression des désirs qui règnent derrière eux. -Les désirs se spécialisent de plus en plus : leur unité, c'est la volonté de puissance (pour emprunter l'expression au plus fort de tous les instincts, celui qui a dirigé jusqu'ici toute évolution organique.) » .

³⁹⁶GS, Trad. Patrick Wotling, §109 : « Le vivant n'est qu'un genre du mort, et un genre très rare. — Gardons nous de penser que le monde crée éternellement du nouveau. Il n'y a pas de substances d'une durée éternelle » .

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

"إرادة الاقتدار" حَيْثُ يَرْفُضُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ وَحَدَاتٍ دَائِمَةٍ فِي سِيَاقِ شُرُوطِ الْبَقَاءِ وَالنَّمَاءِ فِي بُطُونِ التَّشْكِيْلَاتِ الْمُعَقَّدَةِ ذَاتِ الدَّيْمُومَةِ النَّسْبِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ "فَلَا وَحُودَ لَوَحْدَاتٍ نَهَائِيَّةٍ دَائِمَةٍ" [على نَحْوِ مُطْلَقٍ] فِي إِطَارِ صَيْرُورَةِ الْحَيَاةِ، وَهَذَا الْإِنْتِفَاءُ يَتَجَلَّى فِي الْارْتِفَاعِ وَالْهَبُوطِ، التَّوَسُّعِ وَالْإِنْحِصَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطْبُعُ التَّشْكِيْلَاتِ النَّازِعَةِ إِلَى السَّيْطَرَةِ حَيْثُ يَمْتَنِعُ اسْتِمْرَارُ وَحْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي مَقَامٍ لَا يَنْفَكُ عَنِ الصَّيْرُورَةِ³⁹⁷؛ وَهَذَا هُوَ سِرُّ إِقْرَانِ نَيْتَشَةِ فِي الشَّدْرَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْفَصْلِ الْمُعْنُونِ بِـ "العقل" فِي التَّارِيخِ "مِنْ مُصَنَّفِ "أَقُولُ الْأَصْنَامِ" بَيْنَ الدَّيْمُومَةِ وَالْوَحْدَةِ بِحَرْفِ الْعَطْفِ "و" et فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ نَصُوصِهِ وَالَّذِي نُؤَوِّلُهُ وَفُقَ دِلَالَتِهِ الْعَاطِفَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ وَرُودَ كَلِمَةِ "الدَّيْمُومَةِ" مَتَّبِعَةٌ بِكَلِمَةِ "وَحْدَةٍ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا يَرْفُضُهُ نَيْتَشَةُ فِي الْوَحْدَةِ هُوَ صِفَةُ الثَّبَاتِ الْمُتَوَاصِلِ وَالْمُتَمَاهِي مَعَ نَفْسِهِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كَلِمَةُ الدَّيْمُومَةِ³⁹⁸، أَغْنِي أَنَّ مَا يَسْتَعْدِيهِ نَيْتَشَةُ هُوَ الْوَحْدَةُ بِمَعْنَاهَا التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي قَيْضَتْ لَهَا الْفَلَسَفَاتُ التَّائِمِيَّةُ وَالْجَوْهَرِيَّةُ، لَا سِيَّمًا أَنَّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ الْمَيْتَافِيزِيَّةُ تَنَاقِضُ شَهَادَةَ الْحَوَاسِ الَّتِي لَا تَتَخَلَّفُ عَنْ إِبْرَازِ الصَّيْرُورَةِ وَالْإِضْمِحْلَالِ وَالتَّغْيِيرِ³⁹⁹، غَيْرَ أَنَّ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ وَبُنْيَانَهُ النَّفْسِيَّ يَحْدُونَهُ عَلَى إِزْدِرَاءٍ وَكَرَاهِيَةٍ كُلِّ مَا يَنْقُضِي وَيَتَغَيَّرُ وَيَتَحَوَّلُ وَإِلَى الْبَحْثِ عَنْ عَالَمٍ يَنْطَبِعُ بِأَجْمَعِهِ بِالدَّيْمُومَةِ⁴⁰⁰. تَخْلُصُ تَبَعًا لِذَلِكَ أَنَّ الْوَحْدَةَ الْأَصِيلَةَ الْوَاقِعِيَّةَ لَا تَكُونُ سِوَى ظَرْفِيَّةٍ تُعَانِي قَطَائِعَ تُغْلِنُ عَنْ هَلَاكِهَا وَعَنْ ظُهُورِ وَحْدَاتٍ أُخْرَى جَدِيدَةٍ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى فَالْعَالَمُ لَا يَبْلُغُ أَبَدًا حَالَةَ الدَّيْمُومَةِ (المطلقة)، وَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ ذُرُوتُهُ الْقُصُوى بَنَاتًا حَالَةَ التَّوَازَنِ⁴⁰¹.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْدَةَ، وَفُقَ دِلَالَتِهَا الْوُضُوعِيَّةَ، تَنْظِيمٌ مُتَعَضِّدٌ أَوْ لَعِبٌ جَمَاعِيٌّ لِلْكُلِّ يُفَرِّزُ جِسْمًا مُنَظَّمًا حَيْثُ التَّنْظِيمُ لَا يَنْفَكُ عَنِ التَّجَدُّدِ عَلَى نَحْوِ لَا يَسْتَمِرُّ أَيُّ تَنْظِيمٍ إِلَّا إِلَى مِيقَاتٍ ظَرْفِيَّةٍ يَتَعَدَّرُ التَّنَبُّأُ بِهِ، هَذَا مَا نَطَقَتْ بِهِ هَذِهِ الشَّدْرَةُ: "لَيْسَتْ كُلُّ وَحْدَةٍ وَحْدَةً إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ تَنْظِيمٌ وَلَعِبٌ مُجْمُوعٌ:" مِثْلَمَا هِيَ وَحْدَةٌ جَمَاعِيَّةٌ [تَجْمَعُ] إِنْسَانِيَّةً⁴⁰² وَلَيْسَتْ بِخِلَافِ ذَلِكَ⁴⁰³. هَذَا مَا يَجْعَلُ بَقَاءَ الْوَحْدَةِ مُتَوَقِّفًا عَلَى مَالِ الصِّرَاعِ فِي كُلِّ حِينٍ؛ إِذْ تَتَوَالَى التَّنْظِيمَاتُ تَبَعًا لِتَوَالِي الْمُتَصَرِّينَ. وَلَئِنْ كَانَتْ

³⁹⁷VP, Trad. Henri Albert, § 301 : « -Le point de vue de la " valeur ", c'est d'envisager les conditions de conservation et d'augmentation, par rapport à des formations complexes de durée relative dans le devenir de la vie. - Il n'y a pas de dernières unités durables, point d'atomes, point de monades ».

³⁹⁸CI, Trad. Henri Albert, La « raison » dans la philosophie, § 2 : « Si le peuple des autres philosophes rejetait le témoignage des sens parce que les sens sont multiples et variables, il en rejetait le témoignage parce qu'ils présentent les choses comme si elles avaient de la durée et de l'unité ».

³⁹⁹Ibid.

⁴⁰⁰VP, Trad. Henri Albert, §285 : « Le mépris, la haine de tout ce qui passe, change et se transforme : - d'où vient cette évolution de ce qui demeure ? Visiblement la volonté du vrai n'est ici que le désir d'un monde où tout serait durable ».

⁴⁰¹Ibid, §319 : « Que le monde ne veut pas aboutir à un état durable, c'est la seule chose qui soit démontrée. Par conséquent, il faut imaginer que son apogée n'est pas un état d'équilibre... ».

⁴⁰²* أَيُّ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ التَّنْظِيمِيَّةَ شَأْنُهَا شَأْنُ وَحْدَةِ تَجْمَعِ إِنْسَانِيٍّ مَا.

⁴⁰³FP, XII, 1 [87] : « Toute unité n'est unité qu' en tant qu'organisation et, jeu d'ensemble : tout comme une communauté humaine est une unité, et pas autrement ».

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

التجمعات البشرية كما يشهد على ذلك التاريخ قد خضعت إلى تنظيمات تترا وتُنظم شتى متغيرة باستمرار حسبها فرضته القوى الغالبة في كل فترة على نحو ينطق بتنوع الوحدات المجتمعية بمقتضى سيورة القوى المنظمة؛ صيرورتها ومآلاتها، فإنه من الإمكان، قياساً على هذا الصعيد المجتمعي، أن نقول الشيء ذاته على الصعيد النفسي لكل فرد حيث يصبح التاريخ النفسي لكل واحد منا جملة التنظيمات المطردة التي جرى تكريسها وتبديلها على المدى القريب أو البعيد من لدن الأهواء والأحاسيس والأمزجة المختلفة المهيمنة الثابته فينا وفي ذلك إفضاء إلى تبدل ثبوتي ومتواصل لوحداثنا النفسية وتشهد على ثنائية الظهور أو البُطون للأماط قوانا النفسية المتداولة التي تفرض في بنيتنا النفسية تعديلات وإزاحات وانقلابات لبغض الأهواء والإرادات والأفكار والطبائع لصالح أهواء وإرادات وأفكار وطبائع أخرى، مثال ذلك تلك التغيرات السيكولوجية الاعتيادية أو الفجائية، الجزئية أو الجذرية التي تنقلب على إثرها على المستوى الديني مثلاً من فساق إلى متدينين أو من مؤمنين إلى ملحدين وعلى المستوى السياسي مثلاً من ديمقراطيين إلى ديكتاتوريين أو من اليسار الثوري إلى اليمين المحافظ وعلى المستوى المعرفي مثلاً من هيجليين إلى ماركسيين أو من ثوماويين إلى وضعيين.

2- الميزة الثانية: الرسوخ [الثبات]

إن هذه الميزة لتنتهي إلى تاريخ الميتافيزيقا مذ برمنيدس، هذا التاريخ الذي لم يكن ليتصور إمكان وحدة من غير ثبات، ولهذا السبب كان عصياً على فاهمة الفلاسفة التي تكلم هذا التاريخ على لسانها أن نذكر كيف يمكن للكينونة بما هي وحدة أن تصير وتتطور وتندثر، لقد غاب عنها بمقتضى ذلك كون الوحدات على مختلف الأصعدة لا تفتأ عن التحول والهلاك، عن الظهور والاختفاء تبعاً لحثثيات الصيرورة وموجباتها، ومع نظرية الصيرورة لدى نيتشه جرى النظر إلى مفهوم الوحدة في أفق الجبران والحدثان؛ وبهذا النهج صار من الطبع فك الارتباط الميتافيزيقي بين الثبات والوحدة وهذا ما أومأت إليه هذه الشذرة دون أن تفصح عنه: "القضية الثانية: - إن نظرية الكينونة والشيء وكل الوحدات الثانية [الراسخة] لهي أسهل مائة مرة من مذهب الصيرورة والتطور...."⁴⁰⁴. ولئن كان نيتشه في أغلب الأحيان يستخدم لفظة الكينونة ليقتصد منها "الثبات" الذي حارب به برمنيدس فكرة الصيرورة الكونية، فإنه في مشروعه الفلسفي حاول إبراز استحالة مثل هذه الكينونة، بما هي عين الاستقرار والثبوت، في عالم الكثرات المعقدة النزعة إلى الهيمنة؛ ويؤيدنا في هذا الشارح فولفغونج مولر لوتر إذ

⁴⁰⁴VP, Trad. Henri Albert § 274 : « Deuxième proposition. - La théorie de l'être, de la chose, de toutes les unités constantes, est cent fois plus facile que la doctrine du devenir, de l'évolution... ».

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

صَرَّحَ: "لَيْسَتْ وَحْدَهُ تَشْكِيلَةُ الْهَيْمَنَةِ الْمُنْظَمَةِ مَنْ يَمْتَقِرُّ إِلَى "الْكَيْنُونَةِ" فَقَطْ بَلْ إِنَّ مَا هُوَ مُتَعَدِّدٌ وَيَنْشَطُ [يجري] فِي تَشْكِيلَةِ مَا، لَا يُمَكِّنُ أَنْ "يَكُونَ" [أَنْ يَثْبَتَ وَيَسْتَقَرَّ]"⁴⁰⁵.

3- الميزة الثالثة: الإفرادُ

يَزِيغُ التَّقْلِيدُ الْفَلْسَفِيُّ الْمِثَالِيَّ مَرَّةً ثَالِثَةً عَنْ شَوَاكِلِ السَّدَادِ إِذْ يَتَصَوَّرُ الْوَحْدَةَ بِصِيغَةِ التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ، بَيْنَمَا هِيَ لَا تَكُونُ وَفَقَ تَحَقُّقُهَا الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِلَّا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، لِذَلِكَ مَا بَرَحَ نَيْتْشَةُ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ يَتَكَلَّمُ عَلَى "وَحَدَاتٍ" مُتَرَامِنَةٍ تَتَعَالَقُ طَبَقًا لِمَقْدَارِ الْقُوَّةِ لِكُلِّ مِنْهَا، فَعَلَى صَعِيدِ الْإِنْسَانِ مَثَلًا لَيْسَ هُنَاكَ وَحْدَةٌ مُفْرَدَةٌ تَسْعَى إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْقُوَّةِ بَلْ ثَمَّةُ وَحَدَاتٍ كَثِيرَةٌ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْهَدَفِ نَفْسِهِ، وَهُوَ سَعْيٌ يَصْدُرُ عَنْ امْتِلَاءٍ وَلَيْسَ عَنْ حَاجَةٍ⁴⁰⁶؛ وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ الصِّرَاعَاتِ الْجَوَانِيَّةَ فِي الْإِنْسَانِ الَّتِي لَا تَتَنَكَّلُ عَنْ إِحْدَاثِ انْقِسَامَاتٍ وَلَا تَتَخَلَّفُ عَنْ عَقْدِ تَحَالَفَاتٍ تُفْضِي لِزَمَانًا إِلَى هَلَاكِ وَحَدَاتٍ وَظُهُورِ أُخْرَى، عَلَى أَنْ نُعَدَّ هَذِهِ الْوَحَدَاتِ أَغْرَاضًا طَارِئَةً لِسَيَرُورَةِ الطَّاقَةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَلَيْسَ بَنَاتًا جَوَاهِرَ قَارَةٍ.

4- الميزة الرابعة: الإطلاقيةُ

لَوْ أَمَعْنَا النَّظَرَ فِي هَذِهِ الشَّدْرَةِ، فِي سِيَاقِ كُلِّ الشَّدَرَاتِ الَّتِي أوردناها سالفًا، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا فِيلْسُوفُ الْاِقْتِدَارِ: "يَبْدُو لِي مِنَ الْمُهْمِ التَّخَلُّصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْقُوَّةِ وَمِنْ أَيِّ مُطْلَقٍ كَانَتْ مِنْ كَانٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَنْ يَمْنَعَنَا [فيما بعد] مِنْ أَخْذِهِ مَأْخَذَ سُلْطَةٍ غَلِيًّا وَمِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْإِلَهِ عَلَيْهِ [تَنْصِيْبِهِ إِلَهًا]"⁴⁰⁷، فَلَنْ نَجِدَ اعْتِيَاصًا فِي إِدْرَاكِ أَنَّ الْوَحْدَةَ الَّتِي يَرْفُضُهَا نَيْتْشَةُ هِيَ تِلْكَ الَّتِي تَمْتَلِكُ طَابَعًا مُطْلَقًا؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ أَيَّ وَحْدَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ كَيْنُونَةٍ إِذَا مَا أَخَذَتْ مَأْخَذَ الْمُطْلَقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَيُفْضِي إِلَى حُسْبَانِهِ سُلْطَةً غَلِيًّا وَإِلَهًا وَمِنْ ثَمَّ سَيُؤَدِّي إِلَى قَتْلِ الطَّائِعِ الْعَلَائِقِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ حَيْثُ الْقَوَى فِي حَيَوِيَّتِهَا، مِنْ حَيْثِيَّةِ نُزُوعِهَا وَمِنْ حَيْثِيَّةِ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا النُّزُوعُ مِنْ تَقَاوِيمٍ، لَا تُفْهَمُ إِلَّا انْطِلَاقًا مِنَ التَّعَالُقِ الصِّرَاعِيِّ مَعَ بَاقِي الْقَوَى⁴⁰⁸، ذَلِكَ أَنَّ صَبْعَ شَيْءٍ مَا بِصَبْغَةِ الْمُطْلَقِ، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا رُوحًا إِنْسَانِيًّا أَمْ رُوحًا إِلَهِيًّا، يَسُوقُ، وَلَا مَعْدِلَ عَنْ ذَلِكَ، إِلَى جَعْلِهِ جَوْهَرًا يُحَافِظُ عَلَى قِيَمُوْمَتِهِ بِمَعْزَلٍ عَنْ السَّيَرُورَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ الَّتِي تَطْبَعُ كُلَّ مَجَالٍ قَوَوِيٍّ، وَهَذَا مَا يَتَنَافَى مَعَ عَلَائِقِيَّةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ النِّسْبَوِيَّةِ حَيْثُ كُلُّ قُوَّةٍ تَتَحَدَّدُ فِي عِلَاقَتِهَا بِالْبَاقِي الْآخِرِ.

⁴⁰⁵Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 49 : «Ce n'est pas seulement l'unité d'une configuration de domination organisée qui est dépourvue d'un tel «être» ; ce qui est multiple et ce qui est multiple et qui est à l'oeuvre dans une configuration, n'est pas... »

⁴⁰⁶VP, Trad. Henri Albert; Disposition et ébauches du troisième livre de ce plan, § 8 : « L'homme aspire au bonheur. Mais, en ce sens, il n'y a pas d'unité qui "aspire", et ce à quoi aspirent toutes les unités n'est nullement le bonheur... Ce qui fait agir ce n'est pas le besoin, mais la plénitude qui réagit à une irritation... ».

⁴⁰⁷FP, XII, 7 [62] : « Il me semble important de se débarrasser du tout (All), de l'unité, d'une force et d'un absolu quelconques, On ne pourrait s'empêcher de le prendre pour suprême instance et de le baptiser Dieu ».

⁴⁰⁸FP, XI, 35 [59].

5- الميزة الخامسة: الروحانية [الوعائية]

لا ظلّ للرّيب من أن الوحدة في العقل الغربي لم تُفكّر بتاتاً في حدود الجسمانية وإنما كان ديدن هذا العقل ألا يفكر فيها إلا في حدود العقل [الروح] وحدة ؛ وهذا النزوع النظري لهذا العقل وما ينجم منه من تبعات هو ما أثار ثائرة نيتشه الناقدة ، مُعرباً من زاوية عن استحالة أن يكون الوعي ، بما هو قوام الروح الإنساني كما في التصور الميتافيزيقي ، وحدة⁴⁰⁹ ؛ ومبيناً من زاوية أخرى تهافت جعله روحاً أو نفساً ونافياً من زاوية ثالثة أن يكون مصدرًا لهذه الوحدة الفعلية ، ذلك أن الوعي ليس من الروح والوحدة (الفعلية أو الحقيقية) في شيء [ذلك أن الوعي جسمانيّ بامتياز] ، دغ عنا أن يكون علة للظواهر النفسية والجسمانية ، ومن ثم فإننا نجانب الصواب لما نجعل ، في كل مرة نشاهد في الظواهر سيراً غائباً ما واتساقاً مُحَدَّداً وتنسيقاً مُعَيَّناً ، روحاً وأعياناً وراءهم حاسبين أنه علة لهم⁴¹⁰ .

حرصاً على تلافي التخرّيج الميتافيزيقي لمفهوم الوحدة توخى نيتشه التفكير في هذا المفهوم المهم في أفق الجسمان بما هو حيز كثروي للقوى وبما هو حلبة تقاثل دائمة ، ذلك ما سمح له بابتداع تخرّيج ديناميكي للوحدة على أساسه لا تكون إلا عرضية وعابرة لا تكف عن الميلاد والتجدد ، عن الهلاك والانبعاث . بموازاة ذلك فإن التخصيص المضموني الذي تقوم عليه أطروحتنا في هذا المورد المفهومي يسعى جاهداً إلى استظهار أن الوحدة التي ينفّيها نيتشه هي تلكم التي تفهم انطلاقاً من الروح الواعي أو ارتكازاً إلى العقل المفكر ؛ والشاهد النصي الذي يبرّر ما تلت قراءتنا التأويلية تلوه هو قول نيتشه : " إن الأنا ليس إلا عرضاً لوحدة فيزيولوجية وبالضبط فهو عرض لتوحيد فيزيولوجي : لا يوجد أي مسوغ ولا أي سبب للاعتقاد بـ "وحدة روحية" [نقل بتصرف]⁴¹¹ ؛ ذلك أن هذه الوحدة التي تتأتى من / في الوعي وهمية ، وهي في صميمها بتعبير نيتشه : " ظاهر وحدة " لا تكشف عن الأحداث المعقدة على نحو هائل في الجسم الإنساني ولا في الجسم الحياتي⁴¹² ؛ فليس للوعي أعضاء رهيقة ودقيقة كفاية لإدراك العالم الجواني أو تتيح له إدراك الوحدة الحقيقية للكثرة المعقدة ، لذا فمن المتعذر إدراك العلل الخافية للحركة والتغير التي تطل على إثر ذلك محجوبة عن رؤيته⁴¹³ ؛ فلا ينبغي إذن أن نجعل من

⁴⁰⁹FP, XIV, 15 [13].p. 182 : « Nous nions la conscience, en tant qu'« unité » » .

⁴¹⁰VP, Trad. Henri Albert § 264 : « L'exagération insensée dans l'estimation de la conscience; on fait de celle-ci une unité, un être : " l'esprit ", " l'âme ", quelque chose qui sent, qui pense, qui veut; 2) L'esprit considéré comme cause, notamment partout où apparaît la finalité, le système, la coordination. » .

⁴¹¹FP, XII, 1 [72] : « Le fait que l'homme chat retombe toujours sur ses quatre pattes, je voulais dire sur son Unique patte « moi », n'est qu'un symptôme de son « unité » physiologique, plus exactement de son « unification » : aucune raison de croire à une « unité spirituelle » » .

⁴¹²Ibid, 5 [55] : « Tout ce qui arrive en tant qu'unité à la conscience est déjà monstrueusement compliqué : nous n'avons jamais qu'une apparence d'unité » .

⁴¹³VP, Trad. Henri Albert §263 : « Pour percevoir ce monde intérieur tous les organes subtils nous font défaut, en sorte que nous considérons encore comme unité une complexité multiple et que nous imaginons une causalité, alors que toute raison de mouvement et de changement nous demeure invisible... » .

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

الرُّوحِ بِأَيِّ وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ عِلَّةُ الْوَحْدَةِ فِي تَجَمُّعٍ مَا أَوْ بِالْأُخْرَى عِلَّةُ لِنَسِيْقِهِ⁴¹⁴ : حَسْبُنَا فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَنَعَّمَ الْجِسْمُ الْإِنْسَانِي بِخَاصَّةِ بِنَسِيْقَاتٍ ذَاتِيَّةٍ أَغْنَى وَأَرْحَبَ تَسْمُحُ لَهُ أَنْ يَكُونَ الرِّتَاجُ الشَّافِي وَالْكَافِي لِفَهْمِ مَحْضِ الْوَحْدَةِ وَسِرِّهَا الْبَاطِنِيِّ.

هَذِهِ الصَّدَارَةُ الَّتِي يَتَبَوَّأُهَا الْجُسْمَانُ فِي شَذُورِ نَيْتَشَةِ تُصَيِّرُ الرُّوحَ ، أَفْعَالَهُ وَنَشَاطَهُ ، تَابِعًا لِلْجِسْمِ فِي فَاعِلِيَّاتِهِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ وَالْبِيُولُوجِيَّةِ ؛ وَتَمَاشِيًا مَعَ ذَلِكَ ، فَالْمَرْكَزُ النَّفْسِيُّ عَلَى سَبِيلِ الْإِمْكَانِ هُوَ الْمَرْكَزُ الْفِيْزِيُولُوجِيُّ عَيْنُهُ عَلَى الرُّعْمِ مِنْ احْتِمَالٍ أَلَّا يُوْجَدَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ مُتَزَامٌ⁴¹⁵ ؛ وَيَحْمِلُنَا هَذَا عَلَى الْإِمْسَاكِ عَنِ الْاِرْتِقَاءِ بِأَيِّ فِكْرَةٍ إِلَى مَنْزِلَةِ الْأَصْلِ الْمُتَعَالِي الْقَبْلِيِّ الَّذِي يُبْدِعُ الْأَحْدَاثَ وَيُدَبِّرُهَا طَبَقًا لِغَايَةٍ مُسَبَّغَةٍ ، وَيَحْدُونَا أَيْضًا إِلَى الْاِمْتِنَاعِ مِنْ جَعْلِ فِكْرَتِنَا ، الَّتِي هِيَ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الْوَعْيِ ، عَنْ حَدَثٍ مُعَقَّدٍ مَا شَرَطًا لِهَذَا الْحَدَثِ عَيْنِهِ ، أَيْ الْإِحْجَامِ عَنْ عَدِّ التَّمَثُّلِ الذِّهْنِيِّ لِحَدَثٍ مَا شَيْئًا سَابِقًا عَلَى هَذَا الْحَدَثِ الْمُعَقَّدِ نَفْسِهِ⁴¹⁶ ، مِثَالُ ذَلِكَ جَعْلُ فِكْرَةِ الصِّحَّةِ سَبَبًا شَارِطًا فِي حَدَثِ الصِّحَّةِ الْمُعَقَّدِ أَوْ جَعْلُ حَدَثِ الْأَخْلَاقِ نَاجِمًا مُبَاشَرَةً مِنْ فِكْرَتِنَا عَنِ الْأَخْلَاقِ ؛ وَهَذَا مَا جَاءَتْ أَلْشَدْرَةُ 362 مِنْ مُصَنَّفِ "إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ" لِتُعَرِّزَهُ ؛ إِذْ رَفَضَ نَيْتَشَةُ فِيهَا عَدَّ الْعَقْلِ سَبَبًا فِي التَّنْسِيْقِ وَالتَّنْظِيمِ وَاسْتَنْكَفَ أَنْ تَكُونَ فِكْرَةُ الْحَادِثِ الْمُعَقَّدِ أَحَدَ شُرُوطِ هَذَا الْحَادِثِ نَفْسِهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ تَمَثُّلُهُ سَابِقًا عَلَيْهِ. لَا مَنَاصَ مِنْ تَبَيَّنِ إِعْرَاضِ نَيْتَشَةِ عَنْ تَفْسِيرِ الْغَايَةِ بِالْعَقْلِ ، إِذْ اسْتَنْكَرَ كَوْنَ الْعَقْلِ وَرَاءَ اتِّجَاهِ تَجَمُّعٍ مَا نَحْوُ غَايَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، أَقْصَدُ وَرَاءَ مَسَارِ جَمْعٍ مَا ، ذَلِكَ أَنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ بِمُكْنَتِهِ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، فَالْجِهَازُ الْعَصَبِيُّ شَاسِعٌ غَايَةِ الشَّسَاعَةِ وَعَالَمُ الْوَعْيِ لَيْسَ إِلَّا مُضَافًا وَتَذْيِيلًا لَهُ ، وَلَيْسَ لَهُ أَيْضًا أَيُّ دَوْرٍ فِي التَّكْيِيفِ وَالتَّنْسِيْقِ لِأَنَّ الْوَعْيَ لَا يَضْطَلِعُ إِلَّا بِدَوْرِ ثَانَوِيٍّ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، أَغْنَى أَنَّهُ حَشْوٌ لَيْسَ غَيْرٌ ، وَلَعَلَّ مَصِيرَهُ الزَّوَالُ لِيُخْلِي مَكَانَهُ لِنِظَامٍ ذَاتِيٍّ أَلْحَرَكَةِ تَمَامًا⁴¹⁷ .

6-المِيزَةُ السَّادِسَةُ: الْبَسَاطَةُ

⁴¹⁴FP, XIV, 14 [144] : « Là où existe une certaine unité dans le groupement, on a Toujours posé l'esprit comme cause de cette coordination : et ce, sans la moindre raison ».

⁴¹⁵FP, XII, 5 [56] : « Même si le centre de la « conscience » ne coïncide pas avec le centre physiologique, il est néanmoins possible que le centre phisiologique soit également le centre psychique ».

⁴¹⁶FP, XIV, 14 [144] : « Là où existe une certaine unité dans le groupement, on a toujours posé l'esprit comme cause de cette coordination : et ce, sans la moindre raison. Pourquoi l'idée d'un fait complexe devrait-elle être l'une des conditions de ce fait ? Ou pourquoi un fait complexe devrait-il être précédé de sa représentation ? ».

⁴¹⁷VP, Trad. Henri Albert §26 : « Nous nous garderons bien d'expliquer la finalité par l'esprit : il n'y a aucune raison pour attribuer à l'esprit la particularité d'organiser et de systématiser. Le système nerveux possède un domaine beaucoup plus étendu, le monde de la conscience est surajouté. Dans le processus général de l'adaptation et de la systématisation la conscience ne joue pas de rôle. Rien n'est plus erroné que de faire des phénomènes psychiques et physiques les deux visages, les deux révélations d'une même substance. Par là on n'explique rien; l'idée de "substance " est absolument inutilisable lorsque l'on veut expliquer. La conscience qui joue le deuxième rôle, indifférente presque, superflue, destinée peut-être à disparaître et à faire place à un automatisme complet... ».

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

فَلَيْتَ جَرَى تَصَوُّيرِ الْوَاحِدَةِ أَوْ الْوَاحِدِ فِي التَّقْلِيدِ الْمِيتَافِيزِيقِيِّ لِلصُّرُوحِ الْفَلَسْفِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ مَا لَا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ وَمَا يَتَعَذَّرُ فِيهِ الْإِنْقِسَامُ وَبِعِبَارَةٍ مُوجِزَةٍ إِنَّهُ مَا لَيْسَ مُرَكَّبًا الْبَتَّةَ، فَإِنَّ أَوْنَطُولُوجِيَا الْكَثْرَةِ لَدَى نَيْتَشَةِ لَمْ تَكُنْ لَتَرَى فِي الْوَاقِعِ، بِمَا هُوَ حَزِيٌّ لِلْمُرَكَّبِ أَوْ بِالْأُخْرَى بِمَا هُوَ فِي مَحْضِهِ مُرَكَّبٌ لَيْسَ غَيْرُ، إِلَّا بَيِّنَةً سَافِرَةً عَلَى وَهْمِيَّةِ وُجُودِ الشَّيْءِ الْبَسِيطِ، وَقِيَّاسًا عَلَى ذَلِكَ لَيْسَ الْوَاحِدُ فِي نَظَرِ نَيْتَشَةِ بَسِيطًا وَأَجُوفَ الْكَيَانِ، خَالِيًا مِنَ الْكَثْرَةِ⁴¹⁸؛ وَلَقَدْ نَطَقْتُ شِدْرَةً بِذَلِكَ فَأَخْبَرْتُ بِأَنَّ: "كُلُّ مَا هُوَ بَسِيطٌ تَحِلُّ لَيْسَ إِلَّا، لَيْسَ "حَقِيقِيًّا"، لَكِنْ مَا هُوَ وَاقِعِيٌّ وَمَا هُوَ حَقِيقِيٌّ لَيْسَ وَاحِدًا وَلَا هُوَ قَابِلٌ لِلرَّدِّ إِلَى الْوَاحِدِ"⁴¹⁹ [وَفِي تَرْجُمَةٍ أُخْرَى: وَلَا هُوَ قَابِلٌ لِلْإِخْتِزَالِ فِي الْوَاحِدَةِ]⁴²⁰، ذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَظْهَرُ لَنَا بِبَسِيطَةٍ هِيَ فِي مَحْضِهَا شَدِيدَةُ التَّعْقِيدِ عَلَى نَحْوِ مُدْهَشٍ⁴²¹، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَفْكَرِينَ يَنْزِعُونَ إِلَى التَّبْسِيطِ بِوَسْاطَةِ مَفَاهِيمَ عَقْلِيَّةٍ شَتَّى مِنْ قَبِيلِ مَفْهُومِ الْعِلِّيَّةِ، سَعْيًا مِنْهُمْ لِاسْتِثْبَابِ أَهْمِيَّتِهِمُ النَّفْسِيِّ الَّذِي تُزْعِمُهُ الْفُؤُضَى وَالصُّدْفَةُ وَالْعَرَابَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْكَثْرَةُ.

يُؤَافِقُنَا فِي هَذَا كُلِّهِ فُولْفُونِغْ مَوْلَرِ لَوْتِرِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْوَاحِدَةَ عِنْدَ نَيْتَشَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ عَلَى أَنَّهَا تَنْسِيقٌ وَلَعِبٌ مُتَبَادِلٌ بَيْنَ الْقَوَى⁴²² وَالْحَالِ أَنَّ بَتْرِيكَ فُولْتِينِغْ لَا يَشْذُ عَنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَةِ مَا دَامَ يَقَرُّرُ أَنَّ الْوَاحِدَةَ هُنَا مُتَخَالِفَةٌ فِي ذَاتِهَا أَوْ بِالْأُخْرَى إِنَّهَا وَحْدَاتٌ بِمَا أَنَّهَا لَا تَوْجَدُ إِلَّا تَحْتَ شَكْلِ مُتَكَثِّرٍ وَعِلَاقِيٍّ مَرْدُ أَمْرِهِ إِلَى كَثْرَةٍ مِنْ إِرَادَاتِ الْقَوَى وَمِنْ الْقَوَى وَالْعَرَائِزِ الْمُنْتَظَمَةِ بِأَسْرِهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أَوْ الْمُدْرَجَةِ فِي بَنِيَّةٍ تَرَاتُيبِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ إِلَى مِيقَاتٍ ظَرْفِيَّةٍ⁴²³؛ وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يُنْمَعُ، حَسَبَ فُولْفُونِغْ مَوْلَرِ لَوْتِرِ، مُمَاهَاةُ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مَعَ مَبْدَأٍ فِي رَاحَةٍ سَرْمَدِيَّةٍ مُتَطَابِقٍ مَعَ نَفْسِهِ وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا مُمَاهَاةُهَا مَعَ مَبْدَأٍ يُحْدِثُ الْوَاقِعَ الْفَرْدِيَّةَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْتِاجِ⁴²⁴؛ مُسَوِّغُهُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْوَاحِدَ بِالْمَفْهُومِ النَيْتَشَوِيِّ لَا يَنِي وَلَا يَنْرَحُ عَنْ الْإِحَالَةِ إِلَى الْكَثْرَةِ الَّتِي تَنْزِلُ الْمَثَابَةَ الْأُولَى فِي تَكْثِيرِ الْفَيْلَسُوفِ، يَضْطَرُّنَا هَذَا إِلَى الْقَوْلِ: إِنَّهُ لَا وَجُودَ إِلَّا لِإِرَادَاتِ قَوَى فِي حَالَةٍ مُنَافَسَةٍ وَمُنَافَحَةٍ وَمُوَاقَعَةٍ مُطَرَّدَةٍ حَيْثُ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ تَفْتَقِرُ لِأَيِّ وَاقِعٍ خَاصٍ بِمَعْزَلٍ عَنِ اللَّعِبِ الْوَاقِعِيِّ وَالْعَمَلِيِّ وَالْمُضَاعَفِ لِلْسَيْرُورَاتِ [الْعُضُويَّةِ] الَّتِي يَتَأَوَّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا⁴²⁵، يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ لَا وَجُودَ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِمِيزَةٍ أَوْنَطُولُوجِيَّةٍ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْعَالَمِ الْحَيِّ وَالْمَنْطَوَّرِ الَّذِي تَحُلُ فِيهِ⁴²⁶.

⁴¹⁸Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 47.

⁴¹⁹FP, XIV, 15 [118] : « Tout ce qui est simple n'est qu'imaginaire, n'est pas « vrai ». Mais ce qui est réel, ce qui est vrai, n'est ni un, ni même réductible à l'un »

⁴²⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, §118 : « Mais ce qui est réel, ce qui est vrai, n'est pas un, ni réductible à l'unité ».

⁴²¹A, Trad. Henri Albert, § 6.

⁴²²Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, pp. 47-56-66-67.

⁴²³Ibid, p. 15.

⁴²⁴Ibid, pp. 17-55.

⁴²⁵Ibid, p. 18.

⁴²⁶Pierre Boudot, Nietzsche en miettes, PUF, 1973, p. 101.

هَكَذَا يَتَوَقَّعُ لَدَيْنَا وَيَتَأَكَّدُ عَلَى إِثْرِ هَذَا الْبَسْطِ التَّوْضِيْحِيِّ لِمُمَيَّزَاتِ الْوَحْدَةِ الزَّائِفَةِ وَالْفِعْلِيَّةِ أَنْ نَبْتَشِهَ قَدْ فَكَّرَ حَقًّا الْوَحْدَةَ، فِي سِيَاقِ أَوْنُطُولُوجِيَّتِهِ الَّتِي تَنْتَزِلُ فِيهَا الْكَثْرَةُ مَنْزِلَةً سَامِقَةً، تَفْكِيرًا بَدِيْعًا فِي أَفْقِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَطَبَقًا لِمَنْطِقِهِ السِّيَرُورِيِّ وَالصِّيَرُورِيِّ وَعَلَى نَحْوِ ثَوْرِيٍّ وَمُخْتَلَفٍ بِقَدْرِ لَا بَأْسَ بِهِ عَنِ الدَّابِّ الْفَلْسَفِيِّ وَذَلِكَ مَا نَسْتَشْفُهُ حِينَمَا نَقُومُ بِجَوْلَةٍ تَأْمِلِيَّةٍ فِي رَحَابِ الْأَنْسَاقِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَشِعَابِهَا، فَمَثَلًا نَجِدُ أَنَّ الْمَدَارِسَ الْفَلْسَفِيَّةَ قَبْلَ السَّقْرَاطِيَّةِ قَدْ حَاوَلَتْ فِي بَسَاطِ التَّنْظِيرِ الْفَلْسَفِيِّ الْأَوَّلِ بَسْطَ أَوَّلِ مَسْعَى جَادٍ يَرُومُ رَدَّ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى وَحْدَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ أَوَّلِيَّةٍ وَأَصْلِيَّةٍ مِنْهَا تَنْبَثِقُ الْأَشْكَالُ جَمِيعًا، سَوَاءً أَكَانَتْ مَاءً أَمْ هَوَاءً أَمْ نَارًا، ذَلِكَ مَا تَجَسَّدَ فِي الْمُحَاوَلَةِ الْفِيثَاغُورِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الْعَدَدِ وَحْدَةً أَوَّلِيَّةً مِنْهَا صَدَرَ مَجْمُوعُ الْوَحْدَاتِ الْعَدَدِيَّةِ الَّتِي تَوَلَّفَ مَا هِيَ لِلْأَشْيَاءِ طَرًّا⁴²⁷، جَاعِلَةً مِنْهَا عِلَّةً لِتَغْيَرِ الْكَائِنَاتِ وَتَبَدُّلِهَا وَعِلَّةً لِأَحْوَالِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ وَمِنْ ثَمَّ فَالْوَحْدَةُ عِنْدَهُمْ عَلَى عَكْسِ الْأَيْلِيْنِ تَصِيرُ وَعَلَيْهَا يَتَوَقَّفُ وُجُودُ الْكَثْرَةِ⁴²⁸، مَا يَغْنِي أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ انْبَثَقَ الْعَالَمُ بِرُمْتِهِ⁴²⁹، إِلَّا أَنَّ الْمَدْرَسَةَ الْإِيلِيَّةَ بَعْدَهَا جَحَدَتْ كُلِّيَّةَ الْكَثْرَةِ مُسْتَبْقِيَةً فَقَطُّ عَلَى الْوَحْدَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْوَّاحِدِ؛ فَلَقَدْ أَثْبَتَ اكْسَانُوفَانُ Xénophane قَبْلَ بَرْمَنِدِسِ الْإِيلِيِّ Parménide d'Elée الْوَحْدَةَ وَثَبَّتَ الْكَيْنُونَةَ وَلَكِنْ بَرْمَنِدِسُ هُوَ الَّذِي دَفَعَ بِهَذِهِ الْأَطْرُوحَةِ إِلَى حُدُودِهَا الْقُصْوَى وَاسْتَخْلَصَ مِنْهَا النَّتَائِجَ الْمُتَرْتِبَةَ عَنْهَا مُعْرِبًا أَنَّ الْكَيْنُونَةَ وَاحِدَةٌ ذُو وَحْدَةٍ مِنْ غَيْرِ كَثْرَةٍ⁴³⁰ وَثَابِتَةٌ مِنْ غَيْرِ صَيَرُورَةٍ⁴³¹، عَلَى هَذَا التَّهْجِ وَاصَلَ بَرْمَنِدِسُ تَوْصِيْفَ الْوَحْدَةِ أَوِ الْوَاحِدِ زَائِعًا إِنَّهُ: "لَيْسَ لَهُ مَاضٍ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ مَا دَامَ أَنَّهُ كَامِلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِمْكَانٌ بِهَا أَنَّهُ مُتَحَقِّقٌ نَحَقًّا تَامًا، إِنَّهُ وَاحِدٌ وَمُتَّصِلٌ وَمُتَطَابِقٌ مَعَ نَفْسِهِ". أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ الْوَحْدَةَ عَقْلَانِيَّةً وَجَحَدَ أَنْ تُعْطَى بِالْحِسِّ [وَهَذَا عَلَى ضَدِيدِ نَبْتَشِهِ] ، وَفِي هَذَا الدَّرَجِ الْفَلْسَفِيِّ اسْتَرْسَلَ سَامْبَلِكُوسُ Simplicus الَّذِي قَالَ: "إِذَا كَانَتْ الْكَيْنُونَةُ تَعَدُّدًا، فَإِنَّ فُرُوقَ الْكَائِنَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ سَتَكُونُ خَارِجَ الْكَيْنُونَةِ، لَكِنْ مَا هُوَ خَارِجُ الْكَيْنُونَةِ هُوَ "لَا كَيْنُونَةٌ"، وَهَذِهِ هِيَ بِدَوْرِهَا سَتَكُونُ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ، إِذَنْ الْفُرُوقُ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ وَمِنْ ثَمَّ فَالتَّعَدُّدُ الَّذِي تَكُونُ الْفُرُوقُ شَرْطُهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ"⁴³². لَا يُخَافُ أَنَّ هَذَا الْمَنْظُورَ يُمَثِّلُ اسْتِمْرَارًا وَفِيًّا لِلْأَطْرُوحَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ بَرْمَنِدِسِ الَّتِي تَدْعِي أَنَّ الْكَثْرَةَ بِاعْتِبَارِهَا غَيْرِيَّةٌ لَا تَتَوَافَقُ إِطْلَاقًا مَعَ أَيِّ شَكْلِ مِنَ التَّطَابُقِ وَالِدَّوَامِ، حَيْثُ يَكُونُ الْوَاحِدُ الْكَيْنُونِيُّ تَبَعًا لَهَا مَعْدُومًا، إِذْ يَرْفُضُ الْوَحْدَةَ فَالْكَثْرَةُ تُضَيِّعُ وَتَبْهِكُ. كَمَا أَنَّ الْأَطْرُوحَةَ الرَّابِعَةَ قَدْ جَعَلَتْ مِنَ الْوَحْدَةِ ضَرُورَةً تَسْمَحُ بِانْدِرَاجِ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّيَّةٍ تَنْسِيقِيَّةٍ عَلَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَحْدَةُ وَحْدَةً مِثَالِيَّةً تَصْدُرُ مِنَ الْفِكْرِ وَلَيْسَ مِنَ الْحَسَّاسِيَّةِ الَّتِي تَسْتَنِدُ إِلَيْهَا الْآرَاءُ.

⁴²⁷ Heinrich Ritter, Histoire de la philosophie, Ladrangue, 1835, Volume I, pp. 337-338.

⁴²⁸ PP, Editions de l'éclat, 1994, p. 229.

⁴²⁹ Antoine Fabre d'Olivet, chez Treuttel et Würtz, Les vers dorés de Pythagore, libraires, rue de Lille, Ancien hotel de Lauraguais, n°17, 1813, p. 192.

⁴³⁰ Pierre Aubenque, Etudes sur Parménide : Problèmes d'interprétation, Vrin, 1987, p. 231

⁴³¹ Ibid, p. 296.

⁴³² Francis Riaux, Essai sur Parménide d'Elée, Edition Librairie de Joubert, 1840, p. 52.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

وَعَلَى ضِدِّ هَذَا النُّزُوعِ الفَلَسْفِيّ لِتَنْظِيرِ الْوَاحِدِ أَوْ الْوَاحِدَةِ نَلْفِي أَنَّ لُوسِيْبُوسَ Leucippos ou Leucippus ودمقريطوس Démocrite d'Abdère قَدْ وَضَعَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَثْرَةً مِنَ الْعَنَاصِرِ بِاعْتِبَارِهَا الْوَاحِدَةَ الْجَوْهَرِيَّةَ الَّتِي بِهَا تُفَسَّرُ مُخْتَلَفُ التَّكَوِّنَاتِ وَالتَّغْيِرَاتِ ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فَتَتْ دَمَقْرِيطُسُ وَاحِدَ الْأَيْلِينَ Eléates الَّذِي هُوَ كَيْنُونَةٌ ثَابِتَةٌ إِلَى شَذَرَاتٍ وَقَطْعٍ مُتَمَايِزَةٍ يَهْدَفُ تَفْسِيرُ الْكَثْرَةِ الْفِيْزِيَاءِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُوجِسُ خِيفَةً مِنَ التَّضَايُفِ بَيْنَ الْكَيْنُونَةِ وَالصِّيْرُورَةِ أَوْ بَيْنَهَا وَالْلا كَيْنُونَةِ (العدم) الَّتِي يُمَثِّلُهَا عِنْدَهُمُ الْفَرَاغُ ؛ لَكِنْ الْكَيْنُونَةُ هُنَا اتَّخَذَتْ شَكْلَ الذَّرَاتِ الَّتِي يَتَعَدَّرُ تَفْسِيرُهَا إِلَى مَا هُوَ دُونَهَا ، فَضْلًا عَنْ امْتِنَاعِهَا عَنِ الْفَنَاءِ ، شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْكَيْنُونَةِ الْإِيلِيَّةِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ أَضْحَى كُلُّ شَيْءٍ يَتَأَلَّفُ مِنَ الذَّرَاتِ ، عَلَى أَلَّا تَكُونُ بَيْنَ الذَّرَاتِ فُرُوقٌ نَوْعِيَّةٌ بَلْ فُرُوقٌ كَيْمِيَّةٌ.

لَكِنْ أَفْلُوطِينُ Plotin أَبْرَزَ ، بَعْدَ الْفَلَاسِيفَةِ الذَّرِيَّةِ الْأَوَّالِ ، لَا سِيَّمَا فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ مِنَ التَّاسُوعَاتِ أَنَّ الْوَاحِدَ الْمَحْضَ الْحَالِيَّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ هُوَ الَّذِي يَتَبَوَّأُ الْأَسْقِيَّةَ وَمَا الْكَثْرَةُ إِلَّا نِتَاجُ بَعْدِيٍّ ، وَبِمُوَازَاةِ ذَلِكَ فَالْوَاحِدُ هُنَا عَقْلٌ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْمَادَّةِ ، بَلْ تُصْبِحُ الْغَيْرِيَّةُ الْكَثْرَوِيَّةُ لِلْمَادَّةِ عِنْدَ أَفْلُوطِينِ وَهَمَّا وَلَا تُفِيدُ بَتَاتًا الْوَاحِدَ مَا دَامَتْ تَتَفَكَّكُ فِي غُرْضِ الصِّيْرُورَةِ الَّتِي تَخْتَرِفُهَا⁴³³ ؛ وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالْكَثْرَةُ التَّجْرِيْبِيَّةُ كَيْ تَتَمَتَّعَ بِالنِّظَامِ فِيهِ فِي حَاجَةٍ إِلَى وَسِيْطٍ فَاعِلٍ وَمُتَحَرِّكِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْمَادَّةِ وَهُوَ مَا يَصْطَلِغُ بِهِ الْأَقْنُومُ الثَّالِثُ الَّذِي هُوَ النَّفْسُ. لَكِنْ يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ كَثْرَةِ الْعَالَمِ الْمَعْقُولِ لِلْكَيْنُونَةِ-بِمَا هِيَ كَثْرَةٌ غَيْرُ طَارِئَةٍ وَلَا غَابِرَةٍ ، وَالَّتِي تَفْتَرِضُ الْوَاحِدَ الْمُطْلَقَ الَّذِي تَصْدُرُ مِنْهُ- وَالْكَثْرَةُ الْمَحْسُوسَةُ لِلْعَالَمِ الْحُبْرِيِّ حَيْثُ الْوَاحِدَةُ فِيهِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثْرَةٍ تَتَمَايَزُ فِي الْكَيْفِ وَالْكَمِّ وَالْمَاهِيَةِ ، وَعَلَى أَسَاسِ هَذِهِ التَّفَرُّقَةِ يَجِبُ اسْتِبْعَادُ هَذِهِ الْخَوَاصِ وَالْفُرُوقِ مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ مِنَ الْعَالَمِ الْمَعْقُولِ كَيْ نَبْلُغَ كَيْنُونَةَ الْوَاحِدِ الْمُطْلَقِ ، وَلَا يَقُوتُنَا ، زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ ، أَنَّ الْكَثْرَةَ الْمَحْسُوسَةَ لِلْمَادَّةِ لَا تَتَلَقَّى وَحْدَتَهَا ، الَّتِي تُرْبِطُ بَيْنَ عَنَاصِرِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي كَلِيَّةٍ مُتَلَاحِمَةٍ ، مُبَاشَرَةً مِنَ الْعَالَمِ الْمَعْقُولِ ، وَإِنَّمَا بِوَاسِطَةِ الْأَقْنُومِ الثَّالِثِ بِمَا هُوَ النَّفْسُ الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ عُقُولٍ أَسَاسِيَّةٍ تَعْمَلُ كَمَلَكَاتٍ⁴³⁴. بِنَاءً عَلَى هَذَا فَالْكَثْرَةُ عِنْدَ أَفْلُوطِينِ تَفْتَرِضُ الْوَاحِدَةَ ؛ لِأَنَّ الْكَثْرَةَ بَعْدِيَّةٌ تَفِيضُ مِنَ الْوَاحِدَةِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ ، وَهَذَا يَسْتَتْبِعُ ضَرُورَةً إِحْضَارَ التَّعَدُّدِ إِلَى الْوَاحِدِ أَوْ إِلَى الْوَاحِدَةِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ ؛ وَهَذَا الطَّرَازُ مِنَ الرَّدِّ الْأَفْلُوطِينِيِّ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَى صَدِيدِ الْمَنْظُورِ الْأُونْتُولُوجِيِّ الَّذِي جَدَّ نَبْتُهُ فِي صِيَاغَتِهِ وَالَّذِي يَرُومُ إِقْنَاعًا تَارَةً أَنَّ كُلَّ تَعَدُّدٍ هُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ وَاحِدٌ وَمُتَعَدِّدٌ وَيَهْدَفُ تَارَةً أُخْرَى إِلَى إِظْهَارِ ارْتِدَادِ الْوَاحِدَةِ إِلَى الْكَثْرَةِ الَّتِي تَسْكُنُهَا حَيْثُ لَا نَفْهَمُ الْأُولَى إِلَّا بِالثَّانِيَةِ.

وَلَقَدْ سَايَرَ لَايْبَنْتِزَ هَذَا الطَّرْحَ الْأَفْلُوطِينِيِّ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ الْكَثْرَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَثْرَةِ التَّجْرِيْبِيَّةِ حِينَمَا جَعَلَ الْوَاحِدَةَ التَّجْرِيْبِيَّةَ مُجَرَّدَ ظَوَاهِرَ ظَاهِرِيَّةٍ مُتَرَابِطَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْارْتِبَاطَ نَفْسُهُ يَغْتَرُّ عَلَى مُسَوِّغِهِ وَوُجُودِهِ فِي وَاحِدَةٍ مُتَجَوِّهَةٍ وَحَقِيقِيَّةٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الْوَاحِدَاتِ الْعَرَضِيَّةِ الَّتِي نَلْفِيهَا مَثَلًا فِي تَجْمُهْرٍ جَيْشٍ مَا وَاحْتِشَادٍ قَطِيعٍ مُعَيَّنٍ ؛ بِاخْتِصَارٍ إِنَّ الْوَاحِدَةَ الْعَقْلِيَّةَ الْجَوْهَرِيَّةَ تَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ أَوْ كَيْنُونَةٍ تَكُونُ مُجَرَّدَ

⁴³³Jérôme Laurent, Les fondements de la nature dans la pensée de Plotin, Vrin, 1992, p. 77.

⁴³⁴Plotin, Les Ennéades : chef de l'école néoplatonicienne, traduite par M.-N. Bouillet, Hachette, 1861, Volume 3, XXX.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

حاصل تجميع Par agrégation ، ذلك أنه لا يمكن لأي وحدة حقيقية أن تكون تجميعاً ؛ وفوق ذلك ليست الوحدة الجوهرانية وحدة إدراكية أو تصوّرية ناتجة عن تجريد وإنما هي وحدة تتسم بكيثونة مُكمّلة وغير قابلة للقسمة ومتعدّدة أيضاً على الفناء⁴³⁵. يُوجب علينا هذا التّصوّر اللاينتزّي ألا نستنبط بتأنا الوحدة من المتعدّد وإنما أن نطلق من المتعدّد كي نصل للكيثونة الحقّة للوحدة⁴³⁶ لكن دون أن يفيد ذلك أن الصدارة عنده للمتعدّد بمعناه التجريبي وإنما يعني ذلك فقط أن لا يبتز ينطلق من المتعدّد لينتهي في الأخير إلى استبعاد كل ما لا يمت بصلة إلى الوحدة ذات البساطة والرّسوخ ، المنزّهة عن العرضية ؛ وفي هذا دليل على أن الكيثونة والوحدة عند لاينتز نظيران⁴³⁷ ما دامّا يفيدان معاً تعدّد القابلية للانقسام من جهة وما دامّا يعنّيان معاً الضرورة والرّسوخ.

كان دأب الميتافيزيقا الغربية عدّ الوحدة خاصيّة ملازمة للكيثونة والعكس بالعكس ، في حين حسب التعدّد خاصيّة ملازمة للتجربة ، وكان الإشكال الرئيس الذي تولّد عن هذه المثنوية هو إشكال المصالحة بين الوحدة والتعدّد ، بين الكيثونة والصيرورة ؛ ومع الفلسفة الحديثة وقع زحزحة إشكال الوحدة من الدائرة الأونطولوجية إلى الدائرة المعرفية على نحو جذري [وقد برز طبقاً لذلك إشكال المصالحة بين العقل والتجربة] فعُدّت الوحدة ، على غرار المقولات الأخرى التي كانت تُسند إلى الكيثونة ، على إثر ذلك شكلاً من أشكال الفكر وحسبت في هذا المقام شهادة ناطقة على سلطاني العقل ، ومع كانه استحال من جهة إلى مقولة خاصّة ، بوصفها أساس الرياضيات ومن جهة أخرى تحوّلت إلى مبدأ عام مؤدّ للمقولات كلها ؛ بعبارة أخرى عُدّت شكّلها المشترك والضروري ، أي قانون الفاهمة العام ، حيث صار التفكير مع هذا الانزياح الثوري لمفهوم الوحدة إحضاراً لكثرة من الحدّوس أو من التمثلات إلى وحدة الوعي العليا وذلك بتوسّل الوحدة التأليفية للإدراك التي هي شرط قيام ملكوت المعرفة ؛ وما مقولات الكم والكيف والإضافة والجهة إلا الأدوات المطوّعة للقيام بهذه المهمة ، ذلك أن الوحدة التحليلية للفاهمة مانحة للأشكال المنطقية والتي بفضلها يجري تنضيد وترتيب المادة المتأثية من الخارج ، في حين أن الإدراك المتعالي ، من حيث هو وحدة الوعي ، يهب لنا الوحدة التأليفية للمتعدّد الذي يؤلف المضمون المتعالي ، وبموجب ذلك فالإدراك المتعالي مصدر المفاهيم المحض وهو أيضاً ينبوع المقولات التي تُحمّل قبلياً على الموضوعات ، وبهذا النحو يكون الإدراك المتعالي رمزاً لوحديتين: وحدة الوعي بالذات ووحدة مضامينه⁴³⁸ ؛ ذلك أن تمثّل الذات المدركة لنفسها يستمد إمكانه من الوحدة التأليفية للإدراك المتعالي حيث الوحدة التحليلية لوعي الأنا ليست إلا مشتقة من الوحدة

⁴³⁵ Gottfried Wilhelm Leibniz, Nouvelles lettres et opuscules inédits, précédés d'une introduction par Louis Alexandre Foucher de Careil - A. Durand, 1857 - LXIV.

⁴³⁶ Ibid, LXV.

⁴³⁷ Ibid, « Ens et Unum unter se convertuntur ». (l'être et l'un se convertissent).

⁴³⁸ Miklos Vetö, De Kant à Schelling : les deux voies de l'idéalisme allemand, Volume II, Editions Jérôme Millon, 2000, p. 46 : « L'aperception transcendante est le chiffre d'une double unité : celle de la conscience de soi et de ses contenus ».

الفصل الثاني: حواص الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيكِيِّ

التأليفية الأصلية، أَقْصِدُ أَنْ إِبْصَارَ وَحْدَةِ الْوَعْيِ مَشْرُوطٌ بِالْأَفْعَالِ التَّوْلِيفِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْإِدْرَاكُ عَلَى نَحْوِ يَسْتَلْزِمُ كُلُّ تَوْلِيفٍ وَحْدَةَ الْوَعْيِ الَّتِي يُرْجَعُ إِلَيْهَا⁴³⁹. هَكَذَا يَرُدُّ كَانِطُ الْوَحْدَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةُ الْمَفَاهِيمِ الْعَامَّةِ التَّجْرِيدِيَّةِ إِلَى الْوَحْدَةِ التَّوْلِيفِيَّةِ بِمَا هِيَ قُدْرَةٌ مُتَعَالِيَةٌ عَلَى إِبْصَارِ الْفُرُوقَاتِ وَالْمُتَشَابِهَاتِ، بَلْ تَعْدُو هَذِهِ الْوَحْدَةُ الْمَرْجَعُ الَّذِي تَعُودُ إِلَيْهِ الْفَاهِمَةُ بِرُمْتِهَا⁴⁴⁰. لَيْسَ بِدَعَا لَوْ عَدَدْنَا فِلْسَفَةَ كَانِطُ فِلْسَفَةِ التَّوْلِيفِ التَّروْنَسَنْدَتَالِي نَظَرًا لِأَنَّهَا قَدْ تَكَلَّمَتْ فِي بُدَاءَةِ مُصَنَّفِهِ النُّقْدِيِّ الْأَوَّلِ عَنْ جِهَازِ الْأَسْتِقْبَالِ الْقَبْلِحَسِيِّ، أَغْنَى الْقَوَالِبَ الْقَبْلِيَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ اسْتِقْبَالَ فَيُوضَاتِ الْحُدُوسِ الْحَسِيَّةِ أَمْرًا مُمَكِّنًا، وَتَكْمُنُ وَظِيفَتُهَا فِي تَلْقَى أَوَّلِيَّ لِلشَّاتِ الْحَسِيِّ الْآتِي مِنَ الْعَالَمِ الْبَرَانِيِّ، أَقْصِدُ الْقُدْرَةَ الَّتِي بِمُوجِبِهَا يُمَكِّنُ لِلْمَنْتَوَّعِ أَنْ يَتَرَكَمَ وَفَقَ الْحَسِّ الْخَارِجِيِّ لِلْمَكَانِ وَأَنْ يَتَعَاقَبَ تَبَعًا لِلْحَسِّ الصِّمِيمِيِّ لِلزَّمَانِ، عَلَى أَنْ نَعُدَّ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ حَدْسَيْنِ خَالِصَيْنِ وَقَبْلِيَيْنِ؛ وَمِنْ ثَمَّتْ عَرَجَ كَانِطُ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ وَمَتَقَدِّمٍ مِنَ التَّوْحِيدِ حَيْثُ يَتَّخِذُ هُنَا شَكْلَ مَقُولَاتٍ تَضْطَلِعُ بِمُهْمَةٍ تَوْحِيدِ الْمَنْتَوَّعِ وَتَنْسِيقِ الْمُنْتَفَرِ بَغْيَةِ تَكْوِينِ مَعَارِفَ مَشْرُوعَةٍ⁴⁴¹. حَرِيٌّ بِنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ النُّقْدَ الْكَانِطِيَّ الْمُتَعَلِّقَ بِتَشْرِيحِ الْعَقْلِ يَسْتَبْعِدُ بِالْكُلِّيَّةِ أَيَّ مَضْمُونٍ تَجْرِييٍّ، لِأَنَّهُ يَبْحَثُ فَقَطْ فِي الْقُدْرَةِ الْمَحْضِ لِلْعَقْلِ وَلِهَذَا اسْتَبْعَدَ الرَّعْبَاتِ وَالزَّرْعَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَى الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ بِمَعْنَاهُ الْخُبْرِيِّ، أَقْصِدُ كُلَّ الْحَسَاسِيَّاتِ التَّجْرِبِيَّةِ كَيْ يَسْتَبْقِيَ فَقَطْ الْحَسَاسِيَّةَ الْمُتَعَالِيَّةَ لِلْعَقْلِ⁴⁴².

مَا انْفَكَ نَيْتَشَةُ يَنْهَانَا، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا الْمَنْزَعِ النَّظَرِيِّ الَّذِي تَبَنَاهُ كَانِطُ، مِنَ الْوُثُوقِ بِالْمَقُولَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا تَقِيمُ عِلَاقَةً حَمِيمَةً مَعَ الْكَثْرَةِ التَّجْرِبِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَلَا تُعْطِينَا فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ صُورَةً وَفِيَّةً عَنْهَا. هَذَا لَا يَفِيدُ أَنَّ فِيلْسُوفَ الْأَقْتِدَارِ يَقْصِي تَمَامًا دَوْرَ الْمَقُولَاتِ فِي الْحَيَاةِ الْمَعِيشَةِ وَإِنَّمَا يَعْنِي فَقَطْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حُسْبَانُهَا حَقَائِقَ مُسْتَقْلِلَةً يُحْتَكَمُ إِلَيْهَا فِي صَحَّةِ شَيْءٍ مَا؛ ذَلِكَ أَنَّهَا لَا يُمَكِّنُ مِنْ جَانِبٍ أَنْ تَكُونَ مَعْيَارًا لِلصَّحَّةِ، مَا دَامَتْ فِي طَبِيعَةِ سَيَرُورَتِهَا الْعَمَلِيَّةِ مُزَيَّفَةً لَا مَحَالَةَ وَلَا يَنْبَغِي أَيْضًا مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ أَنْ تُفْصَلَ عَنْ نَفْعِيَّتِهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ؛ لِذَا لَيْسَ مُجَانِبًا لِلسَّدَادِ الْقَوْلُ إِنَّ الْمَقْصِدَ مِنْ اخْتِرَاعِ الْمَقُولَاتِ إِسَاءَةُ اسْتِعْمَالِهَا، شَرِيطَةٌ أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً، وَذَلِكَ يَكُونُ بِاخْتِرَاعِ صَيَغٍ وَعَلَامَاتٍ بِمُسَاعَدَتِهَا تُخْتَرَلُ الْكَثْرَةُ الْمُزَعَّجَةُ فِي خُطَاطَةٍ مُرِيحَةٍ وَمُنَاسِبَةٍ وَطَبِيعَةِ التَّنَاولِ⁴⁴³. لَكِنْ لِسُوءِ الْحِظِّ جَرَى حُسْبَانُهَا فِيهَا بَعْدَ غَايَةٍ وَمَعْيَارًا وَمُطْلَقًا، فِي حِينِ أَنَّهَا فِي الْبِدَايَةِ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ وَسِيلَةٍ مَشْرُوعَةٍ وَمُفِيدَةٍ⁴⁴⁴، وَنَيْتَشَةُ يَقْدِّمُ، بَدَلِ الْمَقُولَاتِ الَّتِي تُلْجِمُ الْكَثْرَةَ وَتَرْجُحُ بِهَا فِي وَحْدَاتٍ قَارَةٍ، "ديُونِيزُوسَ" بَدِيلًا وَجُودِيًّا عَنْهَا بِمَا هُوَ الْاِخْتِبَارُ الْإِثْبَاتِيُّ الْحَقِيقِيُّ لِلْجَجِ الْكَثْرَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ؛ مَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى إِحَالَةِ دِيُونِيزُوسَ، مَعَ فِيلْسُوفِ

⁴³⁹Yves Bouchard, L'holisme épistémologique de Kant, Les Editions Fides, 2004, p. 80.

⁴⁴⁰Emmanuel Kant, Critique de la raison pure, Trad. Jule Barni, Volume I, Edition Germer-Bailliere, 1869, p. 162.

⁴⁴¹Pierre Kerszberg, De Kant à la phénoménologie, Presses Univ. du Mirail, 2003, p. 87. Voir Léo Freuler Kant et la métaphysique spéculative, Vrin, 1992, pp. 169. 170.

⁴⁴²Daniel Dumouchel, Kant et la genèse de la subjectivité esthétique, Vrin, 1999, pp. 264-265.

⁴⁴³Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, Editions Beauchesne, 2000, p. 35

⁴⁴⁴Ibid, p. 34.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

الاقتدار، إلى قوة إثبات مكيّن للوجود؛ في كثراته وصيروراتِهِ. ومن حينها عدا الواحد يُقال على الكثرة وأصبحت الكينونة تُقال على الصيرورة، وهذا ما يؤلف الوجه الثالث لقلب القيم وتغييرها الجذري⁴⁴⁵.

في سياق عرضنا التاريخي لمفهوم الوحدة في تعالّقها مع مفهوم الكثرة، يجب التفريق بين الوحدة العددية التي تُصنع منها الوحدات المركبة، أغني أبسط العناصر التي تتركّب منها الأشياء، والوحدة العضوية لمجموع العناصر التي يسودها نظام غائيّ ما، أقصد تلكم الوحدة التي توجّد المجموع والكلّ برابط وثيق يجعل عناصر المجموع تابعة لها من حيث الوظيفة، أي تلكم الوحدة التي يصّبوا بمقتضاها وإليها كلّ عنصر في تعالّقه مع باقي العناصر. وطبقاً لهذا التفريق يُمكن لنا أن نستنتج أنّ الفلسفة الهادية تستند إلى الوحدة العددية *Unité numérique*، أما الفلسفة المثالية فتستند إلى الوحدة العضوية *Unité organique*، غير أنّ فلسفتي الوحدة المطلقة التي اصطنعتها عاقلة هيجل Hegel وشلينغ Schelling، جعلتا من المطلق في الآن نفسه وحدة جامعة للوحدة العددية والوحدة العضوية حيث تندرج جميع العناصر الأولية وما يتركّب منها في سيّرة عضوية غايتها بلوغ المطلق، وبهذا يصبح المطلق في الوقت نفسه علّة العناصر ومادتها، وغايتها المطلقة. فمثلاً فالفلسفة المثالية لشلينغ تجعل من الواحد المطلق بما هو المبدأ الأوحد المطلق سوية تتضمّن الوحدة والاختلاف، أي تجعل من لحظة المطلق انصهاراً للأضداد والمتناقضات، على أن يكون الآن هو المبدأ الشريف الذي يحوز على الأولوية المطلقة⁴⁴⁶ وأيضاً شريطة أن يكون الدور الرئيس للاستنباط المتعالي هو تحديد المعنى الحقيقي لهذا المبدأ [الأن] ⁴⁴⁷. ولا شك من أن هذا الاستنباط المتعالي يفضي إلى القول: إنّ المبدأ المثالي [الأن] لا يكون إلا مطلقاً، دغ عنّا أنّه غير مشروط، فضلاً أنّه لا يتعيّن بأيّ شيء عدا نفسه فهو بذلك المناط المطلق الذي لا تكون الأشياء الأخرى إلا به⁴⁴⁸.

خلافاً لما بسطناه في هذا العرض التاريخي لمفهوم الوحدة، أمعن نيتشه سواءً في حديثه عن إرادة الاقتدار في "تحقيقها الأول الأونطولوجي (اللاوعي الكوني) أم في تحقيقها الثاني الأونطيسي (الوعي البشري) في إنكار وجود مبدأ متعال غير مشروط، كما استطرّد في الاعتراض على وجود أسبقية للوحدة المثالية على التعدّد وعلى وجود سوية تصهر المتناقضات والتعارضات في مطاويها الانسجام الأبدي. ذلك أنّ فلسفته تقوم على إثبات مفتوح على مصراعيه لكثروية الحياة ولهذا فإنّ ال- نعم الإبتائي الذي يريد كلّ اختلاف وتعدّد⁴⁴⁹ يصطنع موقفاً مناوئاً للعدمية التي ما برحت تحسب الكثرة، مثلما

⁴⁴⁵Jacques Rogé, Le syndrome de Nietzsche, Odile Jacob, 1999, p. 198.

⁴⁴⁶Friedrich Schelling, Le système de l'idéalisme transcendantal, traduit par Dubois, Editions Peters, Louvain, 1978, p. 26.

⁴⁴⁷Ibid.

⁴⁴⁸Emmanuel Cattin, Transformations de la métaphysique : commentaires sur la philosophie transcendantale de Schelling, Vrin, 2001, p. 68. Voir Jean-Louis Vieillard-Baron, Hegel et l'idéalisme allemand, Vrin, 1999, p. 91. Voir Alexis Philonenko, La liberté humaine dans la philosophie de Fichte, Vrin, 1980, p. 85

⁴⁴⁹Guibal Francis, F.Nietzsche ou le désir du oui créateur, P. 65.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

حسبت الصيرورة، شيئاً مجحفاً ينبغي محاكمته شيئاً يجب امتصاصه في الواحد⁴⁵⁰؛ وهذا التقي الضغيني الذي تختص به العدمية يستند إلى تئمين لأحاسيس التقي وأهواء واجمة من حيث هي السر الذي تؤسس عليه العدمية سلطانها⁴⁵¹. إن التقي ههنا بوصفه عجزاً وحقداً حسب تقديرنا هو أصل التضاد الموهوم الذي تضعه العدمية بين الواحد والكثير، بين الكينونة والصيرورة، وهذا بخلاف نزعة الإثبات الرافض لدى فيلسوفنا التي تفضي إلى درء ذلكم التعارض ببيان واحدة الكثرة وكنيونة الصيرورة⁴⁵².

المبحث الثاني: العالم والإنسان من منظور التراث والتعالي: في البنية التفاضلية للوجود

لا مساع للريب من تعذر الإمساك بأونطولوجيا الاقتدار من غير الحديث عن خاصية التراث [التفاضل السلمية] Hiérarchie التي لا تعبر في واقع الأمر إلا عن الفروق الثابتة في شرايين الحياة وعن التباينات التي تولدها في سيورتها الحيوية؛ وليس بدعاً أن تتوزع بفضل هذه الطاقة الحيوية [الحياة] الكائنات والطواهر على مراتب بحسب فاعليتها وتنقسم إلى منازل على قدر اقتدارها؛ وبناءً على ذلك فالتراثية تعبر، تبعاً لمقدار الاقتدار الذي يفصل القوى وبيئتها يفاضل، عن الاختلاف [الفروق] بين القوى المهيمنة التي تسمى فاعلة والقوى المهيمن عليها التي تنعت بالارتكاسية⁴⁵³، هكذا يتبدى لنا كيف جعل نيتشه من قوة الإرادة الأساس المكين في تراث القيم وسلبيتها، أقصد أن التقيوم عنده يكون بمقتضى حيازة المرء لإرادة قوية أو ضعيفة⁴⁵⁴. ولا يفوتنا أن نؤوه إلى أن هذه الشميلة (التراث) بموجب أونطولوجيته الشاملة لا تتجلى فقط على الصعيد البشري، وإنما تتمظهر وتتألق في العالم بحدافيره حتى في أصعدته العضوية وغير العضوية وذلك ما يمكن أن نستشفه من شذرة كتبت في عام 1881م جعلت الفروق التراتبية تسود حتى في أدق الأشياء وأشدّها رهافة، حيث تقول: "تسود الفروق في أكثر الأشياء صغراً وفي الحيامن والبويضات — إن المساواة لهذيان كبير" ⁴⁵⁵. لذا فالتراث الذي يفلق البشر إلى أنموذجين؛ أنموذج سيد فاعل وأنموذج عبد ارتكاسي، ليس شيئاً غارضاً أو مضطناً، وليس أيضاً شيئاً نكسبه كسباً أو ننصرف عنه صرفاً، وإنما يرتد على نحو طبعي إلى تراث أشمل منه يتمثل في التراث الحياتي.

على هدي هذا العطف بين الصعيد الإنسي والصعيد الأونطولوجي ندرك ضرورة تأويل التراث الإنساني المتجسد في الفكر (أعني التراث بين معرفة العقول الحرة وآراء السوق) وفي الأخلاق (أقصد التراث

⁴⁵⁰Gilles Deleuze, Nietzsche, PUF, 1965, p. 33.

⁴⁵¹Ibid, p. 34.

⁴⁵²Ibid, p. 36.

⁴⁵³Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 45.

⁴⁵⁴Nikola Milošević, Nietzsche et Strindberg : psychologie de la connaissance, L'age D'homme, 1997, p. 71.

⁴⁵⁵FP, M III 1, printemps-automne 1881 : [132] : « La différence règne dans les plus petites choses, dans les spermatozoïdes, les ovules — l'égalité est un grand délire ». In Œuvre complète, Tome V, Edition Gallimard.

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

بَيْنَ أَخْلَاقِ السَّادَةِ وَأَخْلَاقِ الْعَبِيدِ) وَفِي السِّيَاسَةِ (أَعْنِي التَّرَاتِبَ بَيْنَ طَبَقَةٍ مُهَيِّمَةٍ وَطَبَقَةٍ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَ النَّاسِ الْمُهَيِّمِينَ عَلَيْهَا) فِي أَفْقِ التَّرَاتِبِ الْحَيَاتِيِّ؛ يَكْشِفُ لَنَا هَذَا كُلُّهُ إِلَى أَيِّ مَدَى نَيْتَشْه لَا يَتَرَدَّدُ فِي جَعْلِ الْحَيَاةِ شَرْطًا لِفَهْمِ الْوَقَائِعِ الْأَكْثَرِ تَعْقِيدًا مِنْ قَبْلِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَالتَّارِيخِ⁴⁵⁶، هَذَا مَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ هَذِهِ الشَّدْرَةُ الَّتِي تُفَصِّحُ: "انْطِلَاقًا مِنْ تَمَثُّلِ الْحَيَاةِ (الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ إِرَادَةُ الْبَقَاءِ بَلْ إِرَادَةُ النُّمُو) أُعْطِيتْ لِمَحَّةٍ عَنِ الْعَرَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ لِحَرَكَتِنَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فِي أَوْروْبَا"⁴⁵⁷.

وَهَذَا مَا يُصَيِّرُ التَّرَاتِبَ بِالْمَفْهُومِ النَيْتَشَوِيِّ- بِمَا هُوَ تَرَاتِبٌ يَفْصِلُ الْبَشَرَ إِلَى أَنْمُودَجِينَ وَجُودِيَّيْنِ وَأَخْلَاقِيَّيْنِ- انْعِكَاسًا لِلتَّرَاتِبِ الْكُوسْمُولُوجِيِّ الَّذِي هُوَ نَامُوسٌ يَجِبُ أَنْ نَتَنَاعَمَ مَعَهُ كَيْفَمَا تَرْقِي الْإِنْسَانِيَّةُ وَتَتَطَوَّرُ، شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْإِغْرِيقِ حِينَئِذَا كَانُوا يَعِيشُونَ بِمُقْتَضَى التَّنَاعُمِ مَعَ التَّرَاتِبِ الْكُوسْمِيِّ إِذْ وَزَعُوا الْمُجْتَمَعَ عَلَى طَبَقَاتٍ تَبَعًا لِثَبَلِ الْمَحْتَدِّ وَسُمُو الْجَبَلَةِ وَرَفْعَةِ الْخِصَالِ. عَلَى خَطَى هَذِهِ التَّوْضِيحَاتِ تَصِيرُ إِرَادَةُ الْأَقْتِدَارِ، بِاعْتِبَارِهَا قَلْبَ الْحَيَاةِ وَمَنْطَقَهَا، [أَنْتِذُ] بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَيْتَشْه، ضَرُورَةٌ طَبْعِيَّةٌ. إِنَّهَا تُدْرَجُ فِي مَرَاتِبَ [تُصَيِّفُ] وَتُخَضِّعُ وَتَطْعَى (تَضْطَهِّدُ، تَسْتَبِدُّ)، بِإِجْازٍ إِنَّهَا تَنْصُبُ "تَرَاتِبًا سَلْمِيًّا" أَوْنُطُولُوجِيًّا وَأَوْنُطِيقِيًّا (كَيْتُونِيًّا وَوُجُودِيًّا)⁴⁵⁸ وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يَجُوزُ لِأَيِّ ذِي بَصِيرَةٍ أَنْ يَعِشَى عَنِ "التَّفَاوُتِ" الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الطَّبِيعَةِ الْأَسَاسِيَّةِ وَنِظَامُهَا إِنْ جَازَ لَنَا التَّغْيِيرُ بِهَذَيْنِ الْمُصْطَلَحَيْنِ (مَبْدَأُ وَنِظَامٍ) وَإِنَّمَا الْحَقِيقُ بِهِ أَنْ يُعِيدَ صِيَاغَةً عَالِمِهِ الْإِنْسِيَّ عَلَى غِرَارِهِ.

تَفْصِيلًا لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فَالْحَيَاةُ تَعْنِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَيْتَشْه التَّقْوِيمَ ضِدَّ "لَا مَعْيَارِيَّةِ" الطَّبِيعَةِ، وَتَقْيِدُ الْمُفَاضَلَةِ ضِدَّ "لَا اعْتِبَارِيَّةِ" الطَّبِيعَةِ اللَّامْبَالِيَّةِ، وَتَعْنِي الْجُورَ ضِدَّ "إِنْصَافِ الطَّبِيعَةِ"؛ وَعَلَى هَذَا النِّحْوِ يَقْلِبُ نَيْتَشْه نَسَقَ الرُّوَاقِيَّةِ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ⁴⁵⁹. وَتَمَاشِيًّا مَعَ هَذَا الْقَلْبِ، لَنْ يَكُونَ الْإِنْسِجَامُ مَعَ الطَّبِيعَةِ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ نَيْتَشْه أَنْسِجَامًا مَعَ الطَّبِيعَةِ بِمَعْنَاهَا السَّلْبِيِّ؛ وَلَيْسَ هَذَا الْإِنْسِجَامُ أَيْضًا عَيْشُوشَةً وَفَاقِيَّةً مَعَ الطَّبِيعَةِ بِالْمَعْنَى الرُّوَاقِيَّةِ حَيْثُ الْوِفَاقُ لَيْسَ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَّا انْحِطَاطًا وَإِنْصِاعًا ارْتِكَابِيًّا لِأَوَامِرِ الْعَقْلِ وَنِظَامِهِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ فِي تَقْدِيرِ نَيْتَشْه خُضُوعٌ لِأَمْرِ آخَرَ غَيْرِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي دَعَانَا أَلْ الرُّوَاقِي إِلَى الْإِنْقِيَادِ لَهَا وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهَا؛ إِذِ التَّوَافُقُ مَعَ الطَّبِيعَةِ بِالْمَفْهُومِ النَيْتَشَوِيِّ مَعْنَاهُ التَّحَلِّي بِخَوَاصِهَا

⁴⁵⁶Jean-Marie Vaysse, L'art. Nietzsche, p. 206.

⁴⁵⁷FP, XII, 2 [179].

⁴⁵⁸Ouvrage collectif, Sous la direction de Stamatios Tzitzis, Nietzsche et les hiérarchies, Editions L' Harmattan, 2008, p. 9 : « La volonté de puissance devient dès lors, pour Nietzsche, une nécessité naturelle. Elle classe, subordonne, tyrannise, bref établit une hiérarchie ontologique et existentiel ».

هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنِ الْأُونُطُولُوجِيِّ وَالْوُجُودِيِّ [الْإِنِّي] ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ مَفْهُومٌ عَامٌّ لَا يُعْطَى إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ الْحَدْسِيِّ الْوُجُدَانِيِّ أَوْ الْمَفْهُومِيِّ فِي حِينَ أَنَّ الثَّانِي تَعْيُنٌ أَوْ تَعْيِنَاتٌ خُصُوصِيَّةٌ وَوَاقِعِيَّةٌ مُعْطَاةٌ فِي التَّجَارِبِ الْوَاقِعِيَّةِ الْمَعِيشَةِ، وَ لِهَذَا تَرْجَمَتْهُ بِالْأُونُطِيقِيِّ.

⁴⁵⁹Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, p. 168 : « Le modèle qui commande la philosophie nietzschéenne de la nature ...ce modèle serait évidemment celui d'un stoicisme renversé ».

الفصل الثاني: حُوصُصُ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

الديناميكية مِنْ قَبِيلِ الْكَثْرَةِ وَالتَّرَاتِبِ وَالصَّيْرُورَةِ ، فِي حِينِ أَنْ مَعْنَاهُ بِالْمَفْهُومِ الرِّوَايِيِّ التَّشْمُلُ بِحُوصُصِ ارْتِكَاسِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ الْعَقْلِ وَالْأَخْلَاقِ⁴⁶⁰.

وَطَبَقًا لِلْعَدَالَةِ الْكُونِيَّةِ أَوْ الطَّبِيعِيَّةِ بِمَعْنَاهَا الْنَيْتَشَوِيِّ فَمِنْ الْإِحْكَافِ تَسْوِيَةٌ مَا هُوَ فِطْرِيًّا مُتَفَاوِتٌ ، ذَلِكَ أَنَّ الْمُسَاوَاةَ مِنْ جِهَةٍ لَيْسَتْ مُسْتَسَاغَةً إِلَّا بَيْنَ الْأَعْدَالِ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَالتَّرَاتِبُ مَطْلَبٌ ضَرُورِيٌّ بَيْنَ الْمُتَفَاوِتِينَ ؛ وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ غَيْرَ ذَلِكَ كَمَا هُوَ شَأْنُ دُعَاةِ مَذْهَبِ الْمُسَاوَاةِ ، يَدُسُّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ سَمًا فَتَاكًَا يَجُرُّ إِلَى هَاوِيَةِ الْإِنْحِطَاطِ⁴⁶¹. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُقْلَبُ نَيْتَشَهُ عَقِيدَةُ الْمُسَاوَاةِ الَّتِي أَرَسَى بُؤُودَهَا الْأَوَائِلُ فَلَا سِفَةَ التَّنْوِيرِ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ وَمَعَهُ أَصْبَحَتْ ظِلْمًا مُشْتَبَطًا الْحُقُوقِ الَّتِي تُحَكِّمُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْبَشَرِ وَعَدَا مَا كَانَتْ تُسَمِّيهِ الْحُقُوقُ إِحْكَافًا هُوَ الْعَدْلُ عَيْنُهُ ، يُعَبِّرُ نَيْتَشَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ اللَّاعْدِلَ [الظُّلْمَ] لَا يُوجَدُ بَنَاتًا فِي اللَّامْسَاوَاةِ [التفاوت] فِي الْحُقُوقِ ، بَلْ يُوجَدُ فِي رَجَاءٍ [السَّغْيِ إِلَى] الْحُقُوقِ الْمُسَاوَاةِ"⁴⁶².

لَا عَرَوْا مَنْ أَنْ نَيْتَشَهُ لَا يَتَصَوَّرُ رَقِيًّا لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ مُرَاعَاةُ التَّرَاتِبِيَّةِ الَّتِي تَقْصِلُ الْبَشَرَ إِلَى طَرَاظِينَ وَجُودِيَّيْنِ وَأَخْلَاقِيَّيْنِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَمِنْ غَيْرِ تَرَاتِبِيَّةٍ فَالْمُجْتَمَعُ لَنْ يُنْتِجَ سِوَى الْفَاشِلِينَ وَعَدِيَّيِ الْكَمَالِ⁴⁶³ ؛ وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ وَضْعَ فَيْصَلٍ بَيْنَ صَنْفٍ نَبِيلٍ وَصَنْفٍ عُبُودِيٍّ - حَيْثُ كُلُّ صَنْفٍ يَسْلُكُ وَفْقَ خِصَالٍ مُعَيَّنَةٍ جُبِلَ عَلَيْهَا - أَمْرٌ مُحْتَمٌّ لِلْمُضِيِّ قَدَمًا صَوَّبَ إِنْسَانِيَّةً جَدِيدَةً ، وَالِدَاعِي إِلَى ضَرُورَةِ مُرَاعَاةِ هَذِهِ الْبَيْتُونَةِ هُوَ كَوْنُ أَخْلَاقِ الْأَنْمُودَجِ النَّبِيلِ ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْفَيْلَسُوفِ فَيْنْكَ ، تَصْدُرُ مِنْ نَزَعَاتٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ تَمَامًا عَنْ النَزَعَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْمُودَجِ الْعَبْدِ ، يَقُولُ فَيْنْكَ فِي ذَلِكَ: "إِنَّ الْأَخْلَاقَ النَّبِيلَةَ تَصْدُرُ مِنْ حِسِّ الْمَسَافَاتِ وَمِنْ أَحْوَالِ نَفْسٍ فَخُورَةٍ وَمُتَكَبِّرَةٍ. إِنَّهَا أَخْلَاقُ التَّرَاتِبِ. وَعَلَى النَقِيضِ فَأَخْلَاقُ الْعَبِيدِ تَسْتَبْدُ إِلَى مَيْلٍ إِلَى التَّسْوِيَةِ وَالتَّوَرَّةِ عَلَى التَّرَاتِبِ وَإِلَى إِرَادَةِ الْمُسَاوَاةِ ... إِنَّ أَخْلَاقَ السَّادَةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَخْلَاقُ الْفَضَائِلِ الْمُحَارِبَةِ؛ إِنَّهَا أَخْلَاقُ فُرُوسِيَّةٍ"⁴⁶⁴.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَالْخَيْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَنْمُودَجِ السَّادَةِ تَرْجَمَةٌ لِلْإِحْسَاسِ بِالْإِفْتِحَارِ وَالتَّقَوُّقِ اللَّذَيْنِ يُؤَبِّسَانِ التَّرَاتِبَ ؛ تَأْنِكَ الْخِصْلَتَانِ تَجْعَلَانِ أَيَّ نَبِيلٍ يَنْبُذُ وَيَحْتَقِرُ كُلَّ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ لَا يَتَوَقَّرُ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَيْنِ

⁴⁶⁰PBM, Trad. Henri Albert, Mercure de France, 1913, [dixième édition] Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, vol. 10, § 09.

⁴⁶¹CI, Divagations d'un "inactuel", § 48.

⁴⁶²AC, Trad. Henri Albert, § 57 : « L'injustice ne se trouve jamais dans les droits inégaux, elle se trouve dans la prétention à des droits « égaux » ».

⁴⁶³Guibal Francis, F. Nietzsche ou le désir du oui créateur, p. 73.

⁴⁶⁴Eugen Fink, La philosophie de Nietzsche, Les éditions de Minuit, Arguments, Paris, 1965, p. 160 : « La morale aristocratique des maîtres procède du pathos des distances, des états d'âme fiers et altiers. C'est une morale de la hiérarchie. Au contraire, la morale des esclaves repose sur la tendance à niveler, sur la révolte contre la hiérarchie, sur la volonté d'égalité. La morale des maîtres est avant tout une morale des vertus guerrières ; c'est une morale chevaleresque ».

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

الشُّعُورَيْنِ (أَعْنِي الشُّعُورَ بِالْفَخْرِ وَالتَّفَوُّقِ)⁴⁶⁵. وَعَلَى هَذَا يُبْنِي الْوَثَاقُ بَيْنَ الْقِيَمَةِ وَالتَّرَاتِبِ مَا دَامَتِ الْقِيَمَةُ عِنْدَ نَيْتْشَةَ حَسَبَ تَعْرِيفِ بَاتْرِيكٍ فُوتْلِينْغٍ غَيْرَ مُنْفَصِلَةٍ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنِ تَرْتِيبِ سُلْمِيٍّ لِلْوَاقِعِ طَبَقًا لِتَفْضِيلَاتٍ مَقَامِيَّةٍ (وَفَقَّ مَنَازِلَ تَفْضِيلِيَّةٍ) مِنْ قَبْلِ زُمْرَةِ بَشَرِيَّةٍ مَا ، يَقُولُ فِي هَذَا: "إِنَّ الْقِيَمَ مُغْتَفَدَاتٌ جَرَى اجْتِيَافُهَا [اسْتِبْطَافُهَا] تُعَبَّرُ عَنْ تَفْضِيلَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ [ضَرُورِيَّةٍ] مِنْ لَدُنْ أَنْمُودَجٍ حَيٍّ مُعْطَى وَتُعَبَّرُ عَنِ التَّهْجِ الَّذِي بِهِ يُرْتَّبُ الْوَاقِعُ بِتَحْدِيدٍ [أَوْ تَرْسِيخٍ] مَا يَشْعُرُ أَنَّهُ أَوْلَوِيٌّ"⁴⁶⁶. لَا جَرَمَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ أَنَّ تَقْوَمَ الْقِيَمَةَ عَلَى فِكْرَةِ التَّرَاتِبِ وَالتَّفْضِيلِ ؛ وَأَنْ تُشِيرَ الْغَرِيزَةُ الْإِنْدَفَاعِيَّةُ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يُتَرْجَمُ بِهَا التَّرَاتِبُ نَفْسَهُ تَحْتَ شَكْلِ دِيْنَامِيكِيٍّ⁴⁶⁷. وَفِي سِيَاقِ هَذَا الْمَنْظُورِ الْنَيْتْشَوِيِّ الْمُبْنِي عَلَى التَّرَاتِبِ ، تَكْمُنُ مُهِمَّةُ فِلَاسَفَةِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي حَلِّ إِشْكَالِ الْقِيَمَةِ وَفِي تَحْدِيدِ التَّرَاتِبِ السُّلْمِيِّ لِلْقِيَمِ⁴⁶⁸ ، لَكِنْ ، وَلَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ ، سَيَكُونُ تَرْتِيبًا وَتَنْظِيمًا سُلْمِيًّا يَتَّبِعُ مَا تُمْلِيهِ الطَّبِيعَةُ فِي غَرِيهَا حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَلَا يَشْتَبُ عَنْ دَلِكُمْ قَيْدَ أَنْمَلَةٍ ، ذَلِكَ أَنَّ تَنْظِيمَ الطَّبَقَاتِ وَالتَّرَاتِبِ السُّلْمِيِّ بَيْنَ الْكَائِنَاتِ لَا يَصُوغَانِ إِلَّا الْقَانُونَ الْأَسْمَى لِلْحَيَاةِ ، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَالْتَفَاوُتُ فِي الْحَقُوقِ يُمَثِّلُ الشَّرْطَ الَّذِي لَا مُزْحَحَ عَنْهُ كَيْ تَكُونُ نَمَّةٌ حَقُوقٌ ، أَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ التَّنْظِيمَ وَفَقَّ طَبَقَاتٍ هُوَ شَأْنٌ تَقَرُّهُ الطَّبِيعَةُ عِنْدَهَا⁴⁶⁹. وَهَذَا يَشْهَدُ عَلَى نَحْوِ صُرَاحٍ أَنَّ مِنَ الْأَطْرُوحَاتِ الْمَوْسَّسَةِ الَّتِي تَحْرُصُ شُدُورَ نَيْتْشَةَ عَلَى تَوْحِيهَا عَدَّةَ الْحَيَاةِ الرَّاقِيَةِ تَفَاوُتًا أَوْنَطُولُوجِيًّا⁴⁷⁰.

حَمَلَتْ هَذِي الْأَوْنَطُولُوجِيَا نَيْتْشَةَ عَلَى اسْتِنْكَارِ كُلِّ الْمَنْظُومَاتِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي تَحُونُ الْحَيَاةَ حِينَهَا تَعْمَلُ عَلَى صِيَاغَةِ رُؤَى وَقِيَمٍ يَتَهَافَتُ عَلَى أَسَاسِهَا صَرْحُ التَّرَاتِبِ السَّامِقِ مِنْ قَبِيلِ قِيَمِ الْمُسَاوَاةِ حَيْثُ تَنْصَبُّرُ الْمَنَازِلِ الْوُجُودِيَّةِ فِي مَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ عَلَى أَسَاسِهَا الْبَشَرُ سَوَاسِيَّةً كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ ، وَهَآ هُوَ ذَا فَيْلَسُوفُنَا فِي أَحَدِ مَوَارِدِ كُتُبِهِ يَجْدُبُ السُّوسِيُولُوجِيَا السَّادَّةَ فِي عَصْرِهِ ، لِأَنَّهَا جَعَلَتْ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَتَضَعِّعَةِ وَالضَّعِيفَةِ - الَّتِي تَنْصَرِفُ عَنْ حُسْنِ التَّنْسِيقِ وَفَقَّ إِبْقَاعِ تَفَاضُلِيٍّ يُنْزِلُ كُلَّ كَيَانِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ فِي مَدَارِجِ الْقُوَّةِ وَالْكَفَايَةِ - مِثَالَهَا الْأَعْلَى ، يُعْرَبُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِنَّ الْحَيَاةَ الْخَائِرَةَ [الْمَتَقَهَّرَةَ] مِنْ حَيْثُ هِيَ تَقْهَرُ كُلَّ قُوَّةٍ مُنْظَمَةٍ ، أَيْ تَقْهَرُ قُوَّةَ التَّمْيِيزِ [أَوْ التَّفْرِيقِ وَالْمُفَاضَلَةِ] وَكُلَّ قُوَّةٍ فِي

⁴⁶⁵PBM, Trad. Henri Ilbert, §260.

⁴⁶⁶Patrick Wolting, Le vocabulaire de Nietzsche, Ellipses, Paris, 2001, p. 51 : « Les valeurs sont des croyances intériorisées traduisant les préférences fondamentales d'un type de vivant donné, la manière dont il hiérarchise la réalité en fixant ce qu'il éprouve comme prioritaire ».

⁴⁶⁷Patrick Wolting, La philosophie de l'esprit libre. Introduction à Nietzsche, Flammarion, Champs Essais, Paris, 2008, p. 237 : « La valeur insiste sur l'idée de hiérarchie, de préférence; la pulsion indique en quoi cette hiérarchie se traduit sous forme dynamique ».

⁴⁶⁸Harold Bernat-Winter, Nietzsche et le problème des valeurs, Editions L'Harmattan, 2006, p. 27. Voir André Stanguennec, Le questionnement moral de Nietzsche, p. 150.

⁴⁶⁹AC, Trad. Henri Albert, §57, pp. 1095-1096, In Œuvres, Edition Robert Laffont. Voir Nikola Milošević : Nietzsche et Strindberg : psychologie de la connaissance, p. 142.

⁴⁷⁰Ouvrage collectif, Sous la direction de Stamatios Tzitzis, Nietzsche et les hiérarchies, p. 11.

وسّعها حفر الخنادي [المجوات، الحفر] وفرض تراث صارم؛ هذا التفهّم [أو الانحطاط] هو ما يُبدي به ويُقرّ علم الاجتماع الراهن على أنه المثال الأعلى⁴⁷¹.

لكن ينبغي ألا نفهم التراث الاشتقاقي الذي تقوم عليه المنظومات الواعية وصراغها التأويلي إلا على ضوء التراث الأونطولوجي اللاوعي؛ ذلك أن التراث لا يسفر عن نفسه فقط في الذات الإنسانية - كما هو شأن التراث المستبطن في صرح الإرادة الذي لا يمكن فيه تحت أي ذريعة إجراء توليف ذاتي بمغزل عن انفعال مهيم على انفعالات أخرى في نفس الإنسان⁴⁷² - وإنما يعبر عن نفسه في كل ظاهرة كونية على النحو الذي تشتمل كل ظاهرة على تراث يفرض تنظيمها؛ وما مادة هذا التراث سوى العلاقة الأصلية بين قوى فاعلة وأخرى مُفعّلة، ودولوز في هذا السياق يُعرب: "بأن قيمة شيء ما تكمن في تراثية القوى التي تُعبر عن نفسها في الشيء من حيث هو ظاهرة مُعقّدة"⁴⁷³. بموجب التراث الأصلي في الظواهر بمختلف صنوفها، فمهما تركبت ظاهرة ما وتعددت، فإن العين الروية لا تقدم التمييز بين "القوى الفاعلة" الأصلية؛ الغازية، المستعبدة والقوى الارتكاسية الثانوية؛ المتكيفة والمُنصّاعة.

وذاكم التمييز بالنسبة إلى دولوز ليس تمييزاً كمياً فقط وإنما هو كما أشرنا نحن أيضاً والحنّا عليه في مطاوي تأويليتنا تمييز نوعي وأنموذجي⁴⁷⁴ نظراً لأن قوامه لا يقوم على خصال يحصل عليها بضرب من الاجترار الإرادي الذي يمكننا من تكديس المكتسبات الروحية أو المادية كيما نغدو على إثر ذلك نبلاء ذوي رفعة وإنما هذا التمييز الأنموذجي من صنيع خصال أونطولوجية توهب من لدن أمنا الأصلية: الحياة؛ فمنا تبعاً لذلك أصحاب يمين، أي الأنموذج النبيل: القوى الفاعلة؛ ومنا أصحاب شمال، أي الأنموذج العبد: القوى الارتكاسية؛ وتلكم هي شرعة الحياة لا مبدل لها؛ وذلكم هو إذن فرقان الطبيعة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وعلى هذا المنوال يجب أن نفهم انطلاقاً من "الجسّ التاريخي" العلاقة بين التراث الاشتقاقي بما هو سلطان القيم على صعيد الوعي وأنشطارتها إلى قيم فاعلة وأخرى مُفعّلة والتراث الأصلي بما هو سلطان القوى الغريزية على الصعيد الحيوي وأنفسامها إلى قوى فاعلة وأخرى ارتكاسية؛ بيد أن تراث القيم

⁴⁷¹CI, Divagation d'un « inactuel », §37, In Oeuvres philosophiques complètes, Gallimard : « La vie déclinante, le déclin de toute force d'organisation, c'est-à-dire de différenciation, de toute force capable de creuser des fossés, d'imposer une stricte hiérarchie, ce déclin est proclamé par la sociologie actuelle comme un idéal... ».

⁴⁷²Ouvrage collectif, Sous la direction de Stamatios Tzitzis, Nietzsche et les Hiérarchies, p. 16.

⁴⁷³Gille Deleuze, Nietzsche la philosophie, p. 9 : « La valeur de quelque chose est la hiérarchie des forces qui s'expriment dans la chose en tant que phénomène complexe ».

⁴⁷⁴Gilles Deleuze, Nietzsche, sa vie, son œuvre : avec un exposé de sa philosophie, PUF, « Philosophes », Paris, 1965, p. 23 : « Quelle que soit la complexité d'un phénomène, nous distinguons bien des forces actives, primaires, de conquête et de subjugation, et des forces réactives, secondaires, d'adaptation et de régulation. Cette distinction n'est pas seulement quantitative, mais qualitative et typologique ».

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيْزِيْيِّ

الوَاعِيَةِ وَقِيَمَتِهَا مِنْ حَيْثُ الصِّحَّةُ وَالضَّعْفُ مَنْوُطٌ حَتْمًا بِتَرَاتِبِ الْقَوَى الْفَرِيزِيَّةِ وَطَبِيعَتِهَا مِنْ حَيْثُ الْفِعْلُ وَرَدُّ الْفِعْلِ ، وَلَا مَعْدِلَ لَنَا ، بِنَاءً عَلَى هَذَا كُلِّهِ ، عَنْ عَطْفِ التَّرَاتِبِ الْأَوَّلِ عَلَى التَّرَاتِبِ الثَّانِي ؛ وَيَوْمِيْ نِيْتِشُهُ إِلَى مَا رَمَيْنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ الْجِسَّ التَّارِيْخِيَّ (أَوْ مَلَكَةَ الْكَشْفِ سِرَاعًا عَنْ تَرَاتِبِ التَّقَاوِيْمِ وَحَزْرُهَا وَالَّتِي بِفَضْلِهَا عَاشَ شَعْبٌ مَا"⁴⁷⁵ أَوْ مُجْتَمَعٌ مَا أَوْ إِنْسَانٌ مَا؛ غَرِيزَةُ التَّنَبُّؤِ بِعَلَائِقِ التَّقَاوِيْمِ ، وَبِعَلَائِقِ سُلْطَانِ الْقِيَمِ وَسَطَوْتِهَا بِسُلْطَانِ الْقَوَى الْفَاعِلَةِ)..."⁴⁷⁶.

وَالْحَالُ أَنَّ هَذَا التَّرَاتِبَ مَقْرُونٌ بِالْهَيْمَنَةِ وَالْخُضُوعِ⁴⁷⁷ الَّذِي يُحَدِّدُهُمَا مِقْدَارُ الْاِقْتِدَارِ ؛ وَيَجَانِبُ الصَّوَابَ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّرَاتِبِ مِنْ غَيْرِ ذِيْنِكَ الْفِعْلَيْنِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا مَصْرَفٍ فِي مَلَكَوَتِ التَّرَاتِبِيَّاتِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُعَقَّدَةِ مِنْ وُجُودِ أَصْنَافٍ شَتَّى مِنَ الْقَهْرِ وَالْاِسْتِعْبَادِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا سُنَّةَ الْحَيَاةِ الْبَاسِقَةِ الَّتِي عَلَى شِرْعَةِ الْقَوَى الْغَلَابِ تَجْرِي ، وَمَا عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا مَا رَامَ الْأَعَالِي إِلَّا أَنْ يَسْتَنْ بِهَا سَوَاءً ذَرَى ذَلِكَ أَمْ لَمْ يَدْرِ ؛ فَلَا غُنْيَةَ فِي الْوُجُودِ عَنْ ظُهُورِ دَائِمٍ لَانْظِمَةِ وَنَنْظِيْمَاتٍ مُسْتَحْدَثَةٍ ، وَأَسْيَادٍ وَعَبِيدٍ جُدُدٍ ؛ وَلَوْلَا فَاعِلِيَّةُ الْاِسْتِعْبَادِ مَا ارْتَقَى النُّوعُ الْإِنْسَانِيُّ مُرْتَقًى اِقْتِدَارٍ ، وَلَوْلَا السَّيْطَرَةُ مَا بَلَغَ الْعُلَى ، ذَلِكَ يُوْلَفُ فِي الْحَيَاةِ وَسِيلَةً لَتَغْرِيزِ قُوَّةِ اَنْمُوْدَجِ الْإِنْسَانِ الْأَعْلَى وَرَفَعَتِهِ ، يُفْصِحُ نِيْتِشُهُ عَنْ هَذَا قَائِلًا: "لأنه لا بُدَّ لَابْتِغَاءِ أَيِّ ضَرْبٍ مِنَ اَلتَّقْوِيَةِ وَابْتِغَاءِ كُلِّ سُمُوٍّ لَانْمُوْدَجِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ نُّوعٍ جَدِيدٍ مِنَ الْاِسْتِرْقَاقِ"⁴⁷⁸ . وَهَذَا الطَّابَعُ الْاَوْنُطُولُوجِيُّ لِلتَّرَاتِبِ يُصَيِّرُ تَجَلِيَهُ غَيْرَ مُنْحَصِرٍ فِي الطَّبَقَاتِ وَالْوَطَائِفِ الْاجْتِمَاعِيَةِ بِالْمَعْنَى الْإِثْنِيَّ ، وَإِنَّمَا يَتَبَدَّى أَيْضًا عَلَى نَحْوِ أَكْثَرِ حِذْرِيَّةٍ عَلَى الصَّعِيدَيْنِ الْفِيْزِيْوْلُوجِيِّ وَالنَّفْسَانِيَّ⁴⁷⁹ .

وَلَا يَقُوْتُنَا هُنَا تَغْلِيْقُ كُلِّ مِنْ كُلُوجْمَانِ وَلِتَزَارُوسَ عَلَى هَذِهِ التَّرَاتِبِيَّةِ بَيْنَ الْبَشَرِ ، بِاسْتِعَارَةٍ تَأْخُذُ الْجُمْلَةَ الْبَشَرِيَّةَ بِالْجُمْلَةِ النَّحْلِيَّةِ ، الَّذِي جَاءَ كَالآتِي: "بَاحْتِصَارٍ ، إِنَّ نِيْتِشُهُ لَا يَعْتَرِفُ بِالْمُجْتَمَعِ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى غِرَارٍ مُسْتَوْطَنَةِ النَّحْلِ الْجَمَاعِيَّةِ الْمَقْرُونَةِ بِتَرَاتِبِيَّةِ بَيْنَ حَشَرَاتِ النَّحْلِ ذَوَاتِ الْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا وَهِيَ الَّتِي تُنْتِجُ الْعَسَلَ وَحَشَرَاتِ النَّحْلِ الْكَادِحَةِ الْعَدِيْمَةِ الْجِنْسِي [اليَعْسُوبَاتِ: ذَكَوْرُ النَّحْلِ faux-bourbons] ذَوَاتِ الْمَنْزِلَةِ الدُّنْيَا. إِنَّ الْخُشُودَ الْعَظِيْمَةَ مِنْهَا لَيْسَ لَهَا دَوْرٌ غَيْرَ تَغْذِيَةِ النَّحْلِ الْأَكْثَرِ ذَكَاءً وَالْأَكْثَرِ قُوَّةً"⁴⁸⁰ . عَلَى نِيْتِشِهِ يُمْلِي الْمَنْظُورُ الْحَيَوِيُّ - الَّذِي يُعَدُّ مُحَاوَلَةً لِمُعَالَجَةِ الْمَشْكِالِ الَّذِي يَقَعُ فِي قَلْبِ

⁴⁷⁵ في طبعة الأعمال الكاملة تحت رعاية مونتباري ترجمت العبارة ب: "... عاشت أمة ما ...".

⁴⁷⁶PBM, Trad. Henri Albert, § 224 : « Le sens historique (ou la faculté de deviner rapidement la hiérarchie des appréciations d'après lesquelles un peuple, une société, un homme ont vécu, l'« instinct divinatoire » des rapports de ces appréciations, de l'autorité des valeurs à l'autorité des forces actives... ».- Voir PBM, Trad. Patrick Wotling, § 224 : « ... l'«instinct divinatoire » saisissant les relations entre ces évaluations, le rapport entre l'autorité des valeurs et l'autorité des forces en exercice) ». Voir FP, XI, 35 [2].

⁴⁷⁷André Stanguennec, Le questionnement moral de Nietzsche, p. 113.

⁴⁷⁸GS, Henri Albert, § 377 : « ... - car pour tout renforcement, pour toute élévation du type « homme », il faut une nouvelle espèce d'asservissement ».

⁴⁷⁹André Stanguennec, Le questionnement moral de Nietzsche, p. 200.

⁴⁸⁰Narcisse Klugmann, B. Latzarus, Nietzsche et la pensée grecque, Edition du livre mensuel, Paris, 1920, p. 184 : « En résumé, Nietzsche n'admet la société que sous l'aspect d'une colonie d'abeilles avec la hiérarchie des

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

النوع الإنساني بين النماذج البشرية التي تتمايز طبقاً لكون الواحدة منها تُعبر عن حياة صاعدة ، في حين أن الأخرى تُعبر عن تَضَعُّعٍ وَخُورٍ⁴⁸¹ - أن يُفصح إفساحاً بواحا عن ضرورة توسيع الفوارق والتعميق الوجودي للطبقات بين الأعراق والطبقات ليحول دون أن ينصهر في بوتقة واحدة ما للعديد من طبائع وخصال وضيعة وما للسادة من طبائع وخصال رفيعة ؛ والداعي الأقدس والجبري إلى ذلك أيضاً كون الفوارق تنبع من أعماق الحياة وتُعبّر فضلاً عن ذلك عن هذا المجرى الأصلي الذي يسبح الكل في فلكه بإحراق ، ولهذا ما فتى نيتشه يهزول إلى التصريح بضرورة التفريق والتمييز قائلًا في ذلك: " لا مذبذوجة عن حفر الخنادق وإقامة المسافات والتراتيبات [بين الكائنات] "⁴⁸² ، على أن يكون النموذج الذي يبحث عن المساواة يستمد معناه وتبريره من خدمته لعرقي النموذج السامي الذي يهيم عليه ؛ ولا شك من أن هذا النموذج السامي يضطلع فضلاً عن هيمنته الصارمة بمهمة تخصيص بعض من قوته الحيوية في ترقية الجمال والشجاعة والثقافة والآداب الحسنة.

لا ينفك مشروع التراث الذي نافح عنه نيتشه عن التحلية بفاعليات معينة والتصفيه من بعضها الآخر من طريق التخلص مما يعوق إحقاق التراث ولو كان العائق إنسيًا ! ، ذلك أن مشروع نيتشه لا يهتم إلا بـ " تطوير ما هو النموذجي بحفر هوة أكثر عمقا "⁴⁸³ بين النبلاء والوضعاء ، ولا ينأى هذا المشروع كذلك عن حفر المسافات والمحافظة عليها بتصفيه التكوّنات الوسطية⁴⁸⁴ وتقليل تأثيراتها⁴⁸⁵ . وأخطر من هذا كله ، يعلمنا فيلسوف الاقتدار أن النموذج العبد كما يتجلى مثلاً في المحرومين سيكون ماله الهلاك من غير الأخلاق الحامية التي تهب لكل فرد قيمة مطلقة ، فهو النموذج لا يعرف أن يعيش إلا في نظام لا يتناسب مع تراتبية العالم ، ذلك أن الضعفاء سيلقون حتفهم في عالم تتحدد القيمة فيه تبعاً لمقدار القوة والاقتدار ، هو ذا ما تُشير إليه بنحو من الأنحاء هذه الشذرة حيث يقول: " على النقيض ! ليس ثمة شيء في الحياة في وسعه أن يحوز على قيمة ، ما عدا درجة الاقتدار — طبقاً شريطة أن تكون الحياة عينها إرادة الاقتدار. لقد كانت الأخلاق بقي المحرومين من العدمية "⁴⁸⁶ حينما تُعطي لكل واحد منهم قيمةً لامتناهية ، قيمةً ميتافيزيقية ، وذلك بتصنيفه في نظام لا يتناسب مع القوة الأرضية ولا

surabeilles, productrices de miel, et des sous-abeilles ouvrières asexuées. La grande masse n'a d'autre rôle que de sustenter les plus intelligents et les plus forts ».

⁴⁸¹FP, XIV, 15 [120].

⁴⁸²VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, livre IV, § 193 : « La nécessité de creuser des fossés, d'établir des distances, des hiérarchies ». Voir Fragment Posthumes, XIII, 9 [153].

⁴⁸³FP, XIII, 10 [59].

⁴⁸⁴ الكيانات التي هي ليست من هذا النموذج وليست كذلك من ذاك أو هي تلك الكيانات ذوات النموذج الهجين.

⁴⁸⁵Ibid, 10 [63].

⁴⁸⁶ حرفياً نترجم : " لقد كانت الأخلاق تستبقي [تحافظ] على المحرومين ضد العدمية ".

مَعَ تَرَاتُّبِيَةِ الْعَالَمِ: لَقَدْ كَانَتْ تُعَلِّمُ الْخُضُوعَ وَالتَّوَضُّعَ، الخ. إِذَا مَا افترضنا أَنَّ الْإِيمَانَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ قَدْ جَرَى تَقْوِيضُهُ، فَسَيُثَلُّ ذَلِكَ حِرْمَانُ الْمَحْرُومِينَ مِنْ عَزَاءِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ – وَسَيَهْلِكُونَ⁴⁸⁷.

وَالْحَالُ أَنَّ مَضَامِينَ الشَّدْرَةِ الْآتِفَةِ (أَغْنِي هَلَاكَ الضُّعَفَاءِ فِي ظِلِّ التَّرَاتُّبِ) تُفَسِّرُ لِمَ الْقَطِيعُ يَتَّخِذُونَ مَوَاقِفَ مُعَادِيَةٍ لِلتَّرَاتُّبِ؟، وَلِمَاذَا لَهُمْ اسْتِعْدَادٌ جَنَلِيٌّ لِلْإِحْتِفَاءِ بِمَنْ يَكْرُرُ بِالمُسَاوَاةِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَسِيحِ مَثَلًا، وَلِمَ تُخَامِرُهُمْ مَشَاعِرُ حَقْوَدَةِ تَجَاهِ الْأَنْمُودَجِ النَّبِيلِ وَالْقَوِيِّ، وَفِي هَذَا يَقُولُ نِيَتَشَةُ: "عَدَاوَةُ الْقَطِيعِ لِلتَّرَاتُّبِ: فَعَرِيزَتُهُ تُهَيِّوُهُ [تَجْعَلُهُ يَتَصَرَّفُ] لِصَالِحِ الْمُسَاوَاةِ (يَسُوعُ الْمَسِيحِ). إِزَاءَ الْمُنْفَرِدِينَ الْأَقْوِيَاءِ (السَّادَةِ) هُوَ عَنِيفٌ، ظُلُومٌ، شَاطِطٌ، مِفْضَاحٌ، وَقَحٌّ، عَدِيمٌ الْاحْتِرَامِ، حَسِيْسٌ، كَاذِبٌ، مُزَيَّفٌ، عَدِيمُ الرَّحْمَةِ، كَثُومٌ [مَآكِرٌ]، فَضُولِيٌّ، شَرٌّ لِلانْتِقَامِ"⁴⁸⁸. مِنْ مُؤَشِّرَاتِ ذَلِكَ أَنَّ الْجَمُوعَ الْبَشَرِيَّةَ لَا يَأْلَوْنَ جُهْدًا فِي سَبِيلِ مُحَارَبَةِ الثَّلَاةِ الْقَلِيلَةِ، وَالتَّافَهُونَ لَا يَتَرَدَّدُونَ فِي مَنَاهِضَةِ الشَّوَارِدِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ، وَالضُّعَفَاءُ لَا يَمْلُونَ مِنْ مُنَاوَنَةِ الْأَقْوِيَاءِ⁴⁸⁹ كَيْمَا تَقْطَعَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (أَسْبَابُ مُرَاكِمَةِ الْأَقْتِدَارِ)، وَلَفِيلَسُوفُنَا الْعَدِيدُ مِنْ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ هَذَا الْخِصَامِ بَيْنَ قُطْعَانِ الْبَشَرِ وَأَفْذَاذِهِمْ، نَذْكُرُ مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْمُقْتَضَفِ: "إِنَّهَا غَرَاهِيَةُ الْوَضِيعِينَ لِلْاسْتِثْنَائِيِّينَ وَالْقَطِيعِ لِلْمُسْتَقْلِينَ [لِلْأَحْرَارِ]"⁴⁹⁰. آيَةُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَسَافِلَ مِنَ الْبَشَرِ يَتَوَسَّلُونَ سُبُلًا كَثِيرَةً لِتَصْفِيَةِ الْفُرُوقِ وَالتَّرَاتُّبِ فِي مُجْتَمَعٍ مَا وَيَعْمَلُونَ حِرْصًا عَلَى ذَلِكَ عَلَى حَجَبِ الضَّعْفِ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالَّذِي يَقُودُ إِلَيْهِ مَسْعَاهُمْ لِلْقَضَاءِ عَلَى التَّرَاتُّبِ الَّذِي يُعْطِي لِلْأَقْوِيَاءِ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى الَّتِي يَسْتَحِقُّونَهَا مِنْ حَيْثُ الشَّأْوُ وَالتَّقْدِيرُ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَلَا شَكَّ مِنْ أَنَّ ضَعْفَهُمْ هُوَ الَّذِي لَا يَتَحَمَّلُ رُؤْيَا الْأَقْوِيَاءِ وَهُمْ يَرْتَفِعُونَ فِي مَرَاقِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْعِلَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ خَلْفَ مَقْتِهِمْ لَهُمْ، يُعْرِبُ نِيَتَشَةُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الصَّرِيحَةِ وَالْحَافَةِ بِقَوْلِهِ: "إِذَا مَا أَرَدْنَا رَجَالًا اعْتِيَادِيَيْنَ وَمُتَسَاوِينَ، فَذَلِكَ أَنَّ الضُّعَفَاءَ يَرْتَعِبُونَ مِنَ الْفَرْدِ الْقَوِيِّ وَيَفْضِلُونَ الْإِضْغَافَ الْعَامَ"⁴⁹¹ عَلَى الرِّقِيِّ الَّذِي يَتَّجِهْ صَوْبَ "تَرْقِيَةِ" الْفَرْدِ. إِنِّي أَبْصُرُ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَالِيَةِ دَسِيسَةً مُدَاهِنَةً لِلتَّسْتُرِ عَلَى الْإِضْغَافِ الْعَامِ: تَمَامًا

⁴⁸⁷VP, Trad. Henri Albert, §10 : « Bien au contraire ! Il n'y a rien dans la vie qui puisse avoir de la valeur, si ce n'est le degré de puissance - à condition bien entendu que la vie elle-même soit la volonté de puissance. La morale préservait les déshérités contre le nihilisme, en prêtant à chacun une valeur infinie, une valeur métaphysique, en le rangeant dans un ordre qui ne correspondait pas à la puissance terrestre, à la hiérarchie du monde : elle enseignait la soumission, l'humilité, etc. En admettant que la croyance en cette morale soit détruite, il s'ensuivrait que les déshérités seraient privés des consolations de cette morale - et qu'ils périraient ».

⁴⁸⁸Ibid, §206 : « Inimitié du troupeau contre la hiérarchie : son instinct le dispose en faveur de l'égalité (Jésus-Christ). A l'égard des isolés forts (les souverains) il est hostile, injuste, sans mesure, indiscret, impertinent, sans égard, lâche, mensonger, faux, impitoyable, dissimulé, curieux, avide de vengeance ».

⁴⁸⁹FP, XII, 2 [168] : « Le combat de la multitude contre la minorité, du banal contre l'exceptionnel, des faibles contre les forts » " حرب الحشود ضد القلة ، والمألوفِ التافه ضد الاستثنائي ، و الضعفاء ضد الأقوياء ."

Voir Peter Bornedal, The Surface and the Abyss : Nietzsche as Philosopher of Mind and Knowledge, Walter de Gruyter, 2010, p. 390 : « Hatred of the mediocre towards the exceptional, of the herd towards the independent ».

⁴⁹⁰Ibid, 8 [4] : « La haine des médiocres envers les exceptions, du troupeau envers les indépendants ».

⁴⁹¹يمكن ترجمة العبارة ب : " الإنهاك الذائع أو الإنهاك الشامل ."

مَثَلُ الْمَسِيحِيَّةِ الَّتِي تُرِيدُ إِضْعَافَ الْبَشَرِ الْأَقْوِيَاءِ وَالْأَذْكِيَاءِ وَاقْتِيَادِهِمْ إِلَى الْمَسَاوَةِ⁴⁹²، تَلَكُّمُ الْمَسَاوَةِ الَّتِي تُعَدُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَيْلَسُوفِ الْأَقْتِدَارِ الْأَكْذُوبَةِ الْكُبْرَى⁴⁹³ الَّتِي اخْتَلَقَهَا ضِعَافُ الْبَشَرِ، وَمَا الْحَمَاقَةُ الْإِشْتِرَاكِيَّةُ الَّتِي تَتَبَنَّى هَذِهِ الْأَكْذُوبَةَ إِلَّا تَعْبِيرٌ عَنْ حَاجَاتِ الْقَطِيعِ لَا غَيْرُ⁴⁹⁴، تَشْفُّ عَنْ ضَعْفٍ فِي الْإِرَادَةِ وَخَوَرٍ فِي الْقُوَّةِ. وَلَا مَصْرِفَ لِتَشْيِيدِ حَضَارَةٍ قَوِيَّةٍ مُبْتَنِيَّةٍ عَلَى فَرْدَانِيَّةٍ مُفْتَدِرَةٍ عَنْ دَرَاءِ الْأَفْكَارِ الْإِشْتِرَاكِيَّةِ عَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، عَنِ الضُّعْفَاءِ وَالْكَادِحِينَ⁴⁹⁵.

وَعَلَى حُطَى هَذِهِ الْإِشْرَاقَاتِ التَّوْضِيحِيَّةِ نَفْهَمُ الدَّوَاعِي الَّتِي سَاقَتْ نِيَّتَهُ إِلَى حُسْبَانِ الدَّوَلَةِ الْمِثَالِيَّةِ الَّتِي يَحْلُمُ بِهَا الْإِشْتِرَاكِيُّونَ، بِوَصْفِهَا دَوْلَةً الْمَسَاوَةِ الْمُطْلَقَةِ، جِهَازًا عَامِلًا عَلَى تَقْوِيضِ الْأُسُسِ الوجوديةِ لِلْعُقُولِ الْفَذَةِ وَالْعَظِيمَةِ وَعَلَى تَهْدِيمِ الطَّاقَاتِ الْجَبَّارَةِ وَالْقَوِيَّةِ، يَقُولُ نِيَّتَهُ فِي ذَلِكَ: "إِنَّ الدَّوَلَةَ الْمِثَالِيَّةَ الَّتِي يَحْلُمُ بِهَا الْإِشْتِرَاكِيُّونَ تُقَوِّضُ دَعَائِمَ الْعُقُولِ الْعَظِيمَةِ وَالطَّاقَةِ الْقَوِيَّةِ"⁴⁹⁶، وَمَا إِنَّ

⁴⁹²FP, N V 4, automne 1880 [163] : « Si l'on souhaite des hommes ordinaires et égaux, c'est parce que les faibles redoutent l'individu fort et préfèrent un affaiblissement général à un développement dirigé vers l'individuel. Je vois dans la morale actuelle un artifice flatteur pour dissimuler l'affaiblissement général : tout comme le christianisme voulait affaiblir et ramener à l'égalité les hommes forts et intelligents ». In Tome IV, Œuvres philosophiques Complètes, Gallimard.

⁴⁹³FP, W I 2, été-automne 1884, 26 [364] : « Le grand mensonge «égalité des hommes» ». Voir FP, W I 6 a, juin-juillet 1885, 37 [14] : « Le plus grand des mensonges — égalité des êtres humains ». Voir WP, Trans. Walter Kaufmann and R. J. Hollingdale, § 464 : « it wants, in the second place, publicity and that great actors' hubbub, that great drum banging that appeals to its funfair tastes; it wants, thirdly, that everyone should fall on his face in the profoundest subjection before the greatest of all lies-it is called "equality of men"-and honor exclusively those virtues that level and equalize ».

⁴⁹⁴FP, VII 1, avril-juin 1885, 34 [75] : « Sottise des socialistes qui expriment toujours les seuls besoins du troupeau ». Voir UP, Trans. Adrian Del Caro, vol. 16, 34 [75] : « And then once more the stupidity of the socialists who always represent only the needs of the herd ».

⁴⁹⁵A, Trad. Henri Albert, §163 : « Notre bonne moralité est cause de cette déplorable civilisation. Nos conceptions sociales du bien et du mal, faibles et efféminées, leur énorme prépondérance sur le corps et l'âme, ont fini par affaiblir tous les corps et toutes les âmes et par briser les hommes indépendants, autonomes, sans préjugés, les véritables piliers d'une civilisation forte ».

⁴⁹⁶FP, U II 8b, printemps-été 1875 : [188] : « L'État idéal, dont rêvent les socialistes, détruit les fondements des grandes intelligences, l'énergie forte ». In Œuvres philosophiques complètes, Tome II, Edition Gallimard. Voir HAH, Trans. with an Afterword, Gary Handwerk, Vol.3, I, §235 : «Genius and the ideal state in contradiction.-The socialists crave to produce a good life for as many people as possible. If the lasting site of this good life, the perfect state, really were attained, that good life would ruin the soil from which great intellect and any powerful individual grow : by which I mean great energy. If this state ever were attained, humanity would have become too feeble to be able to engender genius. Don't we then have to wish that life should maintain its violent character and that savage powers and energies be called forth again and again? that savage powers and energies be called forth again and again? Now the warm, sympathetic heart longs for the elimination of precisely that violent and savage character, and the warmest heart that we can imagine would desire it the most passionately : even though it is precisely this passion that has taken its fire, its heat, its very existence from the savage and violent character of life ».

الفصل الثاني: حواصن الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

تتحقق هذه الدولة المثالية الاشتراكية التي تتخذ من رعد الشعب غاية لها⁴⁹⁷، ويتم تدمير الفرد من غير قيد أو شرط أو بالأحرى يجر تسخير كاداة نافعة لصالح الجماعة⁴⁹⁸، تنهدم على الفور الأرضية التي تتطور عليها الفردانية القويّة، ويمتنع في رحم هذه الدولة إنتاج العباقرة والأقوياء. ولا سبيل إلى تلافي هذا الغلط العظيم غير اتخاذ القطيع وسائل وذرائع في يد عليّة البشر وقسايتهم المنزهين عن مشاعر الرأفة⁴⁹⁹.

لا غرابة بناءً على ذلك أن يحسب نيتشه تدمير وتوجه الاشتراكية والتزعة القومية رد فعل على (ضد) الصيرورة الفردية⁵⁰⁰ بما هي صيرورة الفرد الحرة التي تصبوا إلى تأكيد الذات وترقيتها أشاء الجماعة ذلك أم أبت، ولا عرو من أن ينطوي طموح الاشتراكية إلى إنسان طيب في دولة المساواة على تحل عن كل الغرائز الطبيعية⁵⁰¹ التي من بينها غرائز التملك والاستغلال. أوليس ذلك لأن الاشتراكية تقوم على ردم الهوات الطبيعية- التي يحرم ردمها بين البشر- على نحو يكون الاستواء هو الشرعة الأصلية والأخلاقية بينهم؟!!!، يُعرب نيتشه عن هذا قائلاً: "إن الاشتراكية تتأسس على اعتزام وضع البشر متساوين وعلى [اعتزام] أن تكون عادلاً تجاه كل واحد: إنها الأخلاقية السامية"⁵⁰².

وما استعداء الاشتراكية الفروقات والتفاوتات والتراثيات التي تقوم الحياة سوى ضرب من الاستبداد الأقصى للوضيعين والبلدين من البشر، أقصد أنه استبداد الأرواح الساذجة الوضيعة بالأرواح الفذة النبيلة. والعقيدة الاشتراكية المثبتة من قبل هاته الأرواح المنحطة تجد عسراً في حب نزوع إرادتها إلى نفي الحياة؛ ومثل هذه العقيدة الداعية إلى استئصال غرائز مثل غريزة التملك والاستغلال لا شك في أنها من بدعة (من خلق) المحرومين من البشر والأعراق⁵⁰³، لأن هذه الدعوة ليست من سوى إفراز الانحطاط، وأصحاب هذه الدعوة ليسوا سوى منحطين، يُفصح نيتشه عن ذلك قائلاً: "إن المساواة"،

⁴⁹⁷ HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, § 235.

⁴⁹⁸ Ibid, § 473.

⁴⁹⁹ FP, XII, N VII 3, été 1886 - automne 1887, 5 [108] : « Erreur fondamentale : prendre le troupeau pour but et non les individus isolés ! Le troupeau est un moyen, rien de plus !... On tente de caractériser ce qui rend moutonnier, les sentiments de sympathie, comme le côté le plus précieux de notre nature ! ».

⁵⁰⁰ FP, M III 1, printemps-automne 1881, 11 [188] : « ... en général la direction du socialisme comme celle du nationalisme est une réaction contre le devenir individuel ».

⁵⁰¹ FP, W I 2, été-automne 1884, [360].

⁵⁰² FP, II 3, fin 1876 — été 1877, [43] : « Le socialisme se fonde sur la résolution de poser les hommes égaux et d'être juste envers chacun : c'est la suprême moralité ». Voir FP, N VII 1, avril-juin 1885, [75] : « Le socialisme rêve tout à fait naïvement à la stupidité grégaire du "bon, vrai, beau" et aux droits égaux ».

⁵⁰³ FP, W I 6a, Juin-Juillet 1885, 37 [11] : « Le socialisme — tyrannie extrême des médiocres et des sots, c'est-à-dire des esprits superficiels, des jaloux, de ceux qui sont aux trois quarts des comédiens —... La doctrine socialiste dissimule mal la "volonté de nier la vie"; ce sont des déshérités, hommes ou races, qui ont dû inventer pareille théorie ».

بِمَا هِيَ مَوْجَةٌ مِنَ التَّسْوِيَةِ الْوَاقِعِيَّةِ الَّتِي تُعْبَرُ عَنْ نَفْسِهَا فِي مَذْهَبِ "الْمُسَاوَاةِ فِي الْحُقُوقِ"، تَقُومُ جَوْهَرِيًّا عَلَى الْإِنْحِطَاطِ*⁵⁰⁴... مُنْخَطُونَ هُمْ اشْتَرَاكِوْنَا⁵⁰⁵.

يَتِمَادَى نَيْتْشَةُ فِي "لَا أَخْلَاقِيَّةِ" الشَّامِلَةِ- الَّتِي يُحَاوِلُ الْكَثِيرُ مِنْ شَرَاهِ فِي الْعَالَمِ أَنْ يَنْسَتَرُوا عَلَيْهَا- إِلَى حَدِّ الْجَهْرِ فِي شَذَرَةٍ بِعُنْوَانِ "الظَّاهِرَةِ الْأَسَاسِيَّةِ" بِهَذِهِ الْأَقَاوِيلِ: "إِنَّهَا لظَّاهِرَةٌ أَسَاسِيَّةٌ أَنْ يُضْحَى بِأَفْرَادٍ يَتَعَذَّرُ إِحْصَاؤُهُمْ فِي صَالِحِ الْعَدَدِ الصَّغِيرِ..."⁵⁰⁶، وَفِي مَلَكُوتِ هَذِي الْأَرِسْثُقْرَاطِيَّةِ لَيْسَ لِلْأَغْلَبِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِنَ الْبَشَرِ مِنْ حَيْثُ هُمْ لَعْنَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَائِنَاتِ الْمُتَفَوِّقَةِ حَقٌّ فِي الْوُجُودِ، وَلَيْسَ ثَمَّةُ أَيُّ حَقٍّ يُمْكِنُ أَنْ يُخَوَّلَ لِلْفَاشِلِينَ أَكَانُوا أَفْرَادًا أَمْ شُعُوبًا⁵⁰⁷، ذَلِكَ أَنَّ النَّوعَ كَيْمَا يَتَطَوَّرُ لَفِي إِرْبَةٍ إِلَى فَنَاءِ الزَّمْرِ الْخَائِرَةِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ، يَقُولُ نَيْتْشَةُ فِي ذَلِكَ: "إِنَّ النَّوعَ لَفِي حَاجَةٍ إِلَى هَلَاكِ الْفَاشِلِينَ [أَوِ الْمُنْكَودِينَ] وَالضُّعَافِ وَالْمُنْخَطِينَ: بَيِّدْ أَنَّ الْمَسِيحِيَّةَ إِلَى هَوْلَاءِ بِالتَّحْدِيدِ قَدْ اسْتَدَارَتْ [التفتت]

*⁵⁰⁴و في ترجمة هنري ألبرت: تنتمي إلى الحضارة المنحطة.

⁵⁰⁵CI, Trad. Henri Albert, Divagations d'un "inactuel", § 37 : « L' "égalité", une vague assimilation de fait, qui ne fait que s'exprimer dans la doctrine de l' "égalité des droits", relève essentiellement de la décadence [...] nos socialistes sont des décadents ».

⁵⁰⁶FP, XII, MP, XVII 3b, Fin 1886 –printemps 1887, 7[9] : « Le phénomène fondamental : d'innombrables individus SACRIFIÉS au profit d'un petit nombre, en tant qu'ils le rendent possible. Il ne faut pas se faire d'illusions : il en va de même pour les peuples et les races : ils forment le « corps » destiné à engendrer des individus isolés de valeur, qui poursuivent le grand processus ».

تَغْلِيظُ الْجَمَلَةِ وَتَسْطِيرُهَا مِنَّا وَلَيْسَ مِنْ الْأَصْلِ.

Voir AC, Trad. Henri Albert, Edition Robert Laffont, 1993, §2 : « Périissent les faibles et les ratés : premier principe de *notre* amour des hommes. Et qu'on les aide encore à disparaître ! »), alors qu'on en « renaturalisera » une autre (celle du législateur-créateur : Napoléon, César Borgia), en travaillant de toutes ses forces à réduire le nombre des imbéciles, à rendre la vie digne d'être vécue, et à favoriser l'affirmation de la puissance dans la *position* première de la valeur ».

⁵⁰⁷FP, 1881-1884, W I 1, printemps 1884, [343] : « La grande majorité des êtres humains sont sans droit à l'existence, ils sont en revanche un malheur pour les êtres supérieurs : je n'accorde pas encore le droit aux ratés. Il y a aussi des peuples ratés ». Voir WP, Trans. R. Kevin Hill and Michael A. Scarpitti, Edited, with an Introduction and Notes, by R. Kevin Hill, Penguin Classics, 2017, 872 : « The vast majority of men have no right to exist, but are a misfortune to their betters : I do not give the ill-constituted that right. There are also ill-constituted peoples ».

من عجائب التبرير قول ولتر كوفمان في هامش ترجمته لإرادة الاقتدار بأن كلام نيتشه عن عدم استحقاق الشعوب الفاشلة للحياة لا يعني به الشعب اليهودي أو الروسي ولا أي شعب آخر، اعتقاداً منه أنه دفع عن نيتشه تهمة علاقة أفكاره بالجهاز الأيديولوجي للنازية، فهل عدم تعيين شعب في الشذرة السالفة معناه عدم واقعية العبارة النيتشوية، أعني بواقعيته كونها عبارة عامة قيلت لتنطبق على أفراد بوصفهم أي شعب فاشل بالمعنى النيتشوي أكان هذا الشعب أو ذاك، فمفهوم نيتشه له مصاديق ولا يمكن لتخرجات سدنته أن يزيل ذلك، وزُفَع المصاديق عن عبارات نيتشه يجعل أفكاره محض خيالات ذهنية لا تحيل إلى شيء واقعي.

WP, Trans. Walter Kaufmann, § 872 (1884) : « The words that immediately follow in the MS have been omitted in all editions : "I do not yet grant the failures [den Missrathenen] the right. There are also peoples that are failures [missrathene V alker]." While these words in a note not intended for publication (first printed in 1911, p. 512) sound ominous, it is clear from Nietzsche's books that he is not thinking of the Jews, the PoJes, the Russians, or any other peoples whom the Nazis later decimated ».

الفصل الثاني: حواص الوُجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيْزِيْقِيِّ

508. وَلَمْ يَلْبَثْ نَيْتَشَةُ إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنْ كِتَابَاتِهِ كَيْ "يَتَقَوَّهَ بِمِثْلِ هَذِهِ الرُّؤْيِ الدِّمِيمَةِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا سَدَنَتُهُ مِنَ الشَّرَاحِ مُرُورَ الْكَرَامِ" 509 وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا دَيْدُنُهُ فِي مَرَاكِحِ تَفَلُّسِفِهِ كُلِّهَا ، وَقَدْ عَبَّرَ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ آخَرَ لِلْبَشَرِ الْمُجْبِينَ لِلْإِنْسَانِ سِوَى أَنْ يُسَاعِدُوا اسْقَاطَ الْبَشَرِ عَلَى الْهَلَاكِ ، وَقَدْ نَطَقَتْ بِهِذَا شِدْرَتُهُ هَذِهِ: "لَا بُدَّ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَالَّذِينَ حَاطَبَ سَعْيُهُمْ مِنْ أَنْ يَهْلِكُوا: إِنَّهُ الْمَبْدَأُ الْأَوَّلُ لِحُبِّنَا لِلْإِنْسَانِيَّةِ. بَلْ يَجِبُ أَيْضًا أَنْ تُسَاعِدَهُمْ فِي ذَلِكَ" 510*.

لَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْفِرْيَةِ فِي شَيْءٍ لَوْ قُلْنَا بِأَنَّ فَشَلَ الْفَاشِلِينَ مِنَ الْبَشَرِ وَنَجَّاحَ النَّاجِحِينَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَاصِرَةِ النِّيْتَشَوِيَّةِ بِأَمْرِ نَائِعٍ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ عَدَا فِيزِيُولُوجِيَّتِهِمْ ، وَبَيَّانُ ذَلِكَ هُوَ مَا صَرَّحَ فِيلْسُوفِنَا بِهِ قَائِلًا: "مَا مَعْنَى الْيَوْمِ الْفَشَلُ؟ إِنَّ الْفَشَلَ يَعْنِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَشَلًا فِيزِيُولُوجِيًّا: وَلَيْسَ بَتَاتًا فَشَلًا سِيَاسِيًّا" 512 ؛ وَبِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ خُطُورَةِ هَذَا الْقَوْلِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَمَلِيِّ ، فَإِنَّ هَذَا الْمَقْطَعُ يُوجِبُ أَنْ نُفْهَمَ الْبَيْنُونَةَ بَيْنَ الْفَالِحِينَ وَالْحَائِلِينَ مِنَ الْبَشَرِ فِي أَفْقِ الْجُسْمَانِ لَيْسَ إِلَّا: قُصَارَى الْأَمْرِ أَنَّ نَيْتَشَةَ يُسَوِّغُ ذَلِكَ تَمَاشِيًّا مَعَ قَوْلِهِ: "إِنَّ الْجَسَدَ لَهُوَ النَّاصِحُ الْأَمِينُ [حَرْفِيًّا: أَفْضَلُ مُسْتَشَارٍ أَوْ أَفْضَلُ نَاصِحٍ] لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْفَلَّاحِ وَالْخُسْرَانِ وَعَلَى الْأَقْلِ [عَلَى كُلِّ حَالٍ] فَهُوَ الَّذِي بِإِمْكَانِنَا دِرَاسَتُهُ عَلَى نَحْوِ أَفْضَلٍ" 513.

لِنُنْقِلَ ، زِيَادَةً عَلَى مَا عَرَضْنَاهُ سَالِفًا ، إِلَى فِكْرَةِ نَيْتَشَوِيَّةٍ أُخْرَى لَا تَقِلُّ خُطُورَةً عَنْ سَابِقَاتِهَا وَهِيَ الَّتِي لَا تَرَى أَى مُصَالَحَةٍ بَيْنَ الْأَنْمُودَجِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمْنَا عَنْهُمْ فِي نَسِيحِ هَذِهِ الْمَحَاوَلَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ ، بِمَا أَنَّ نَيْتَشَةَ لَا يُبْصِرُ أَى تَوَلِّفٍ بَيْنَهُمَا يَأْتِي كَيْ يَرُدِّمَ الْبَوْنَ الَّذِي يَشْطُرُهُمَا ، ذَلِكَ أَنَّهُ ، كَمَا يَشْرَحُ لِيْفِرُونْكَ ، يَضَعُ ثَنَائِيَّةً بَيْنَ أَلْسِيْدٍ وَحُشُودِ الْعَبِيدِ ، بَيْنَ الْمُسْتَبِدِّ وَجُمْهُورِ الْعَمَالِ ، يَتَعَدَّرُ اخْتِرَالُهَا وَمِنْ دُونِ أَى جَدَلِيَّةٍ تَحْضُرُ لِنَتَجَاوَزَهَا" 514. وَالْوَاقِعُ أَنَّ نَيْتَشَةَ يَعُدُّ أَى تَقَارُبٍ بَيْنَ الْأَنْمُودَجِينَ انْحِطَاطًا وَهَذَا مَا بَاحَ بِهِ صَرِيحُ قَوْلِهِ فِي سِيَاقِ غَرَضِهِ لِفِكْرَةِ الْانْحِطَاطِ مُعَرِّفًا إِيَّاهُ بِهَذَا النِّحْوِ: "مَفْهُومُ الْانْحِطَاطِ فِي كِلَا الْحَالَتَيْنِ: حَيْثُمَا يَقْتَرِبُ الْقَطِيعُ مِنْ صِفَاتٍ [مُمِيزَاتٍ] الْكَائِنِ الْمُتَوَحِّدِ أَوْ حَالِمَا نَدُّوهُ هَذِي الصِّفَاتِ [الْمُمِيزَاتِ] مِنْ

508FP, XIV, W II 6 a, printemps 1888, 15 [110] : « L'espèce a besoin que périssent les ratés, les faibles, les dégénérés : mais c'est précisément vers eux que s'est tourné le christianisme ».

509بَعْضُ هَؤُلَاءِ الشَّرَاحِ مِنْ كِبَارِ الْفَلَّاسِفَةِ مِمَّنْ تَلُوكَ أَلْسِنَتُهُمْ تَبْرِيرَاتٍ غَايَتُهَا تَبْرِئَةُ نَيْتَشَةَ مِنَ الْفَهْمِ وَالْاِسْتِعْمَالِ النَّازِيِّ لِئُصُوْصِهِ الصَّرِيحَةِ فِي إِتْخَانِهَا فِي الْعَنْفِ وَالْدَمِّ ، وَأَقْبَحُ هَذِهِ التَّبْرِيرَاتِ الْاِسْتِعَارِيَّ لِتَلَكُمِ الْمَفْرَدَاتِ الْمَحْرَجَةِ الَّتِي يَتَعَامَلُ مَعَهَا عَلَى أَنَّهَا اِسْتِعَارَاتٌ لَا يَقْصُدُ مِنْهَا الدَّلَالَاتُ الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا.

510* أَيْ عَلَى الْهَلَاكِ ؛ أَمَا فِي تَرْجُمَةِ هَنْرِي أَلْبِير : وَ أَنْ نُسَاعِدَهُمْ كَذَلِكَ عَلَى الْاِخْتِفَاءِ [Et qu'on les aide encore à disparaître]

511AC, Trad. Eric Blondel, § 2 : « Les faibles et les ratés doivent périr : premier principe de notre philanthropie. Et on doit même encore les y aider ».

512FP, XII, N VII 3, été 1886 - automne 1887, 14 : « Que signifie aujourd'hui «raté»? C'est avant tout physiologique : [ce n'est] plus politique ». Voir FP XII, 5 [71].

513FP, X, W I 1, printemps 1884, 25 [485] : « Pour faire la différence entre le réussi et le raté, le corps est le meilleur conseiller, du moins c'est lui qu'on peut étudier le mieux ».

514Jean Lefranc, Comprendre Nietzsche, Éditions Armand Colin, coll. «Cursus», Paris, 2003, p. 173 : « ... c'est qu'il pose dans une dualité irréductible, sans qu'aucune dialectique ne vienne à la surmonter, le maître et la foule des esclaves, le tyran et la masse des travailleurs ».

صفات [مميزات] القطيع — ⁵¹⁵. لا مندوحة إذن من فيصل التفرقة الأرستقراطية بين الأفذاذ والجمهير ⁵¹⁶، وليس ثمة بُدّ أيضاً من الذبّ عن الأرستقراطية من (ضدّ) المثل العليا للقطيع ⁵¹⁷، ولهذا كله "يجب على الدوام تسليخ الأقوياء ضد الضعفاء، والمحتوظين ضد المنكودين [سيئوا الحظ أو الأشقياء]، والأصحاء ضد الفاسدين والمحبولين خلقياً [مذ الولادة]" ⁵¹⁸.

لا ينبغي على أحد الاعتقاد أن نيتشه يرى إمكاناً لردم الهوة الفاصلة بين الأنموذجين البشريين ومن ثمّ فهو حسب ما يترجّح عندنا لا يشير إلى أيّ فرصة لانبثاق صيرورة وسيروية بيولوجية أو حضارية معيّنة تحوّل الحشود الهائلة من قوى ارتكاسية إلى قوى فاعلة إثباتية، أكان ذلك على صعيد البيولوجيا أم على صعيد الثقافة؛ فالتطوّر من أنموذج أدنى إلى أنموذج أرقى ضرب من ضروب المحال، ما دامت الأشكال الدنيا لفي عجز عن إنتاج أشكال عليا ⁵¹⁹، وما دام كل أنموذج يظلّ متحرّكاً ضمن حدود ليس بمستطاعه أن يتخطّاها، وهذا ما أفصحت عنه شذرة نيتشوية بعنوان "نقيض داروين" تقول بصريح العبارة: "إنّ الأنموذج يظلّ ثابتاً: وليس بالمقدور نزع الطابع الطبيعي عن الطبيعة" ⁵²⁰... فكل أنموذج يمتلك ثخومه: فما بعد هاتيه [فيما وراءها] ليس ثمة للارتقاء. إلى حدّ الآن ثمة في الأنموذج الانتظام المطلق" ⁵²¹.

والذي يُعاضدُ فحوى هذا الشاهد ويوضح بمرّيد من الجلاء مفهوم "الأنموذج" في علاقته بمفهوم التفاعل التراميني بين النماذج المضاد للتعاقدية التي تنطوي على سبل جدلية تسمح بإمكان الارتقاء من أنموذج عبدي إلى أنموذج سيّد يتوسّل سلطان الزمان هو هذا المورد الذي أعرب فيه نيتشه قائلاً: "إنّ الإنسان بوصفه نوعاً لا يحقق تطوّراً إذا ما فورن بأيّ حيوان آخر. إنّ العالم الحيواني والنباتي، في مجمله، لا يتطوّر من أدنى إلى أرقى. فالكلّ يحصل في الوقت نفسه، ويُنضد ذاته ويتجابه على موالٍ عشوائيّ [ارتجالي]" ⁵²². وقد انتبه قبلنا الفيلسوف دولوز إلى الأهمية القصوى التي يحويها مفهوم الأنموذج لدى نيتشه فيما يتعلّق بإرادة الاقتدار حيث ألح على أنّ القوى الارتكاسية مهما انتصرت

⁵¹⁵FP, XIII, 1887-1888, W II 2, automne 1887 : « Concept de la dégénérescence dans les deux cas : lorsque le troupeau se rapproche des qualités de l'être solitaire et celles-là des qualités du troupeau, — ».

⁵¹⁶Ibid, W II 3, novembre 1887 - Mars 1888, [127] : « Raison de la séparation aristocratique par rapport à la masse ».

⁵¹⁷Ibid, W II 3, Novembre 1887-mars 1888, [140] : « Contre les idéaux du troupeau, je défends l'aristocratie ».

⁵¹⁸FP, XIV, W II 5, printemps 1888, 14 [123] : « Il faut toujours armer les forts contre les faibles; les chanceux contre les ratés ; les sains contre les dépravés et les congénitalement tarés ».

⁵¹⁹Jean Granier, Nietzsche, Que Sais —Je, p. 114.

⁵²⁰ * يمكن ترجمة العبارة أيضاً ب : " ليس في الوسع تشويه الطبيعة " أو " ليس في الوسع تبديل طبيعة الطبيعة ".

⁵²¹VP, Trad. Henri Albert, §323 : « Le type reste constant : on ne peut pas " dénaturer la nature " ... Chaque type possède ses limites : au-delà de celles-ci il n'y a pas d'évolution. Jusque-là régularité absolue ».

⁵²²Ibid : « L'homme, en tant qu'espèce, ne réalise pas un progrès en comparaison de tout autre animal. Le monde animal et végétal, dans son ensemble, ne se développe pas de l'inférieur au supérieur... Tout se fait en même temps, à tort et à travers, se superpose et se contrecarre ».

الفصل الثاني: حَواصِ الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيكِيِّ

وَسَيُطَرَّتْ فِي سَيْرُورَةِ تَارِيخِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْعَلُ مِنْهَا بَأْيَ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ قِوَى فَاعِلَةً ، بِهَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ مَنْطُويَّةً عَلَى أَنْمُودَجِيَّةٍ نَوْعِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالنُّبْلِ وَالْحِسَّةِ⁵²³ ، لِذَا فَالْفَاعِلِيَّةُ وَالْاِرْتِكَاسِيَّةُ ، النُّبْلُ وَالْوَضَاعَةُ ، السِّيَادَةُ وَالْعُبُودِيَّةُ حَوَاصِ جَبِلِيَّةٍ وَأَنْمُودَجِيَّةٍ لَا تَجْتَرَحُ بِالْاِسْتِمْسَاكِ بِحَبْلِ الزَّمَانِ وَلَا بِحَبْلِ الْمَسَارِ التَّارِيخِيِّ وَلَا بِالتَّلْفِينِ وَالتَّغْلِيمِ ، وَلِئَلَّا يُحْسَبَ تَأْوِيلُنَا مِنْ قَبِيلِ الرِّجْمِ بِالطَّنُونِ ، فَتَحْنُ مُضْطَرُونَ إِلَى بَيَانِ مَا الْفَتِيلُ الَّذِي يَرْبِطُ تَصَوُّرَ نَيْتْشِه عَنْ اسْتِحَالَةِ تَطَوُّرِ الْأَنْوَاعِ فِي الْمَيْدَانِ الْبَيُولُوجِيِّ عُمُومًا⁵²⁴ بِتَصَوُّرِهِ عَنْ اسْتِحَالَةِ تَطَوُّرِ النَّمَاذِجِ فِي الْمَيْدَانِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ خُصُوصًا ، وَلَيْسَ الْجَوَابُ بِالْمُعْجَزِ مَا دَامَ قِوَامُ فَلْسَفَتِهِ الْبَارِزُ الَّذِي لَا يَخْتَلِطُ لَيْلُهُ بِنَرَابِهِ هُوَ رَدُّ الْأَخْلَاقِيِّ إِلَى الْبَيُولُوجِيِّ أَوْ تَأْوِيلُ الظَّاهِرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بِرُمْتِهَا فِي أَفْقِ الْبَيُو-فِيزِيُولُوجِيَا ؛ وَلِهَذَا مَا رَابَ نَيْتْشِه وَمَا حَسِبَ ذَلِكَ أَمْرًا مَرِيجًا إِذْ أَقْرَنَ كَلَامَهُ فِي النَّمَاذِجِ بِالْكَالَمِ فِي الْأَنْوَاعِ فِي الشَّدْرَةِ 323 وَ الشَّدْرَةِ 324 مِنْ مُصَنَّفِ "إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ" .

لَا مَنَاصَ مِنْ أَنْ نَعْرُجَ إِلَى تَبْيَانِ كَيْفَ أَنَّ النَّمْدَجَةَ الْنَيْتْشَوِيَّةَ نَقُومُ عَلَى إِظْهَارِ طَبَائِعِ كُلِّ أَنْمُودَجٍ فِي صَلَاحَتِهَا بِالْحَيَاةِ مِنْ جِهَةٍ وَتَنَاسُّسٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى عَلَى رَصْدِ طَبِيعَةِ الْإِرَادَةِ فِي كُلِّ أَنْمُودَجٍ فِي رِبَاطِهَا الْوُثِيقِ بِتِلْكَ الْحَيَاةِ ، وَتَرْتَكِزُ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ إِلَى إِبْدَاءِ التَّرَابُطِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ مُجْتَمِعَتَيْنِ مُقْتَرِنًا بِكَيْفِيَّاتِ الْإِظْهَارِ الْجَبْرِيِّ⁵²⁵ فِي مَسَارِ أَنْمُودَجٍ فَاعِلٍ أَوْ اِرْتِكَاسِيٍّ . وَبِمُقْتَضَى هَذِهِ الْمُسْتَوِيَّاتِ فَلَا مَنْدُوحَةَ

⁵²³Gilles Deleuze, Nietzsche, pp. 26 -27 : « Il est évident que l'esclave ne cesse pas d'être esclave en prenant le pouvoir, ni le faible, un faible. Les forces réactives, en l'emportant, ne cessent pas d'être réactives. Car, en toutes choses, selon Nietzsche, il s'agit d'une typologie qualitative, il s'agit de bassesse et de noblesse ». نقلتها بتصرف.

⁵²⁴VP, Trad. Henri Albert, § 324 : « L'erreur de l'école de Darwin est devenue pour moi un problème : comment peut-on être assez aveugle pour se tromper justement dans ce cas?... Prétendre que les espèces représentent un progrès, c'est l'affirmation la plus déraisonnable du monde : il leur suffit provisoirement de représenter un niveau. Si les organismes supérieurs se sont développés des organismes inférieurs, aucun exemple du moins ne le démontre encore » .

" لقد أضحت غلطة مدرسة داروين بالنسبة لي معضلة : فكيف أمكن لها أن تكون في غاية العمى حتى تزيغ بالتحديد في هذه الحالة?... بالإدعاء أن الأنواع تمثل تطوراً ، إنه الإثبات الأكثر مجانبةً للمعقولية في العالم : يكفيها مؤقتاً أن تمثل مستوى واحد. إذا كان الجهاز العضوي الراقى قد تطور عن جهاز عضوي أدنى فإنه ليس ثمة لمثال واحد يبرهن على ذلك بعدُ " .

⁵²⁵GM, Trad. Henri Albert, I, §13 : « Exiger de la force qu'elle ne se manifeste pas comme telle, qu'elle ne soit pas une volonté de terrasser et d'assujettir, une soif d'ennemis, de résistance et de triomphes, c'est tout aussi insensé que d'exiger de la faiblesse qu'elle manifeste de la force. Une quantité de force déterminée répond exactement à la même quantité d'instinct, de volonté, d'action — bien plus, la résultante n'est pas autre chose que cet instinct, cette volonté, cette action même, et il ne peut en paraître autrement que grâce aux séductions du langage (et des erreurs fondamentales de la raison qui s'y sont figées) qui tiennent tout effet pour conditionné par une cause efficiente, par un « sujet »... comme si derrière l'homme fort, il y avait un substratum neutre qui serait libre de manifester la force ou non. Mais il n'y a point de substratum de ce genre... comme si la faiblesse même du faible — c'est-à-dire son essence, son activité, toute sa réalité unique, inévitable et indélébile — était un accomplissement libre, quelque chose de volontairement choisi, un acte de mérite. Cette espèce d'homme a un besoin de foi au « sujet » neutre, doué du libre arbitre... » .

" حَمَاقَةُ مُطَالَبَةِ الْقُوَّةِ أَلَّا تَظْهَرَ بِوصْفِهَا كَذَلِكَ ، أَلَّا تَكُونَ إِرَادَةً [إِجْهَازَ] وَإِخْضَاعَ ، ظَهراً لِلْاِعْدَاءِ ، لِلْمَقَاوِمَةِ ، لِلْاِنْتِصَارِ ، مِثْلَهَا هِيَ مُطَالَبَةُ الضَّعْفِ أَنْ يُظْهَرَ قُوَّةً . إِنَّ كَمِيَّةَ قُوَّةٍ مُحَدَّدَةٍ تَسْتَجِيبُ بِدَقَّةٍ لِكَمِيَّةِ الْغَرِيْزَةِ نَفْسِهَا ، لِكَمِيَّةِ الْإِرَادَةِ نَفْسِهَا ، لِكَمِيَّةِ الْفِعْلِ نَفْسِهِ —

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

من أن تُفسَّر بادئ الأمر كل ظاهرة بشرية على أنها سيرورة تواسج لقوى أنموذجية معينة تتصرف على نحو حتمي طبقاً لطبائع الأنموذج الذي تنتمي إليه وتتنو في تعبيرها عن قواها تبعاً لطبيعة إرادتها ؛ فمنها بموجب ذلك إرادة واصله تصل نفسها بالحياة ومنها إرادة فاصله تفصل نفسها عن الحياة ؛ وليس بدعاً في سياق هذه النمذجة أن يقول بيير سفيرين: "تتكون أي ظاهرة، أيّا تكن، من جهة، من علاقة تراثية لقوى معقدة بهذا المقدار أو ذاك، فمنها قوى فاعلة ومنها أخرى ارتكاسية، وفهم ظاهرة ما إنما سيكون أولاً بتمييز أي القوى فاعلة وأيّها ارتكاسية" [.....] ثمة من جهة أخرى في كل علاقة بين قوى مترتبة [وفق سلم هرمي]، أي في كل شيء، إرادة اقتدار تُعبر عن نفسها وهي إما أن تكون إرادة تُكران [نفي] وتفويض وبخس للقيمة أو إرادة عرفان [إثبات] وتشديد وتقدير للقيمة⁵²⁶.

ليس لمحاولتنا التأويلية مذهب عن تفصيل المعاني الدقيقة للفاعلية والارتكاسية ؛ ذلك أن المدونة النيتشوية تنوع معاني الفاعلية والارتكاسية حيث تضع بينهما معياراً تقريبياً⁵²⁷ يكون الفاعل هو ذا من يحظى بالسيادة ، في حين أن الانفعالي (المفعول به) هو ذا من يكون مُسيطر عليه [في ترجمة أخرى: مسوداً]⁵²⁸ ؛ والقلب النيتشوي للقيم وإعادة تقييمها يتوقفان في جزء مهم منهما على هذا التمييز بين القوى التي تحركها وتستثيرها قدراتها الباطنية وما أحرزته وكسبته من طريق هذي القدرة ، والقوى التي

بل أكثر من ذلك ، فالحوصلة ليست شيئاً آخر غير هذه الغريزة ، هاته الإرادة ، هذا الفعل. و لا يمكن أن يبدو الأمر بخلاف ذلك إلا بفضل إغراءات اللغة (وأغاليط أساسية للعقل التي ترسخت فيه) التي تأخذ كل معلول على أنه مشروط بعلة فاعلة و "بذات" ... وكان خلف الإنسان القوي جوهر محايّد حرّ في إظهار القوة من عدمه ، لكن ليس ثمة باطلاقي لجوهر من هذا الصنف ... كأنّ ضعف الضعيف عينه - أي ماهيته ، فاعليته ، كل واقعيته الفريدة ، المتعذر تقاديها والمتعذر محوها ، - هو إنجاز [أداء] حرّ ، شيء مختار على نحو إرادي [طوعي] ، فغلّ خليف بالتقدير. هذا النوع من الإنسان بحاجة إلى الإيهان ب " ذات " محايدة [ب "فاعل " محايد " تحصى بحرية الاختيار " .

هذا الشاهد ، الذي يتفادى شراحه مناقشته بجدية كما يفعلون غالباً مع الشواهد التي لا تحذم أغراضهم الفلسفية ولا تسهم في الترويج لفلسفة نيتشه اللاعقلانية ، دليل على استمرار نيتشه في التفكير في حدود المثنوية (أقصد مثنوية القوة والضعف ومثنوية الصحة والمرضى) من جانب وفي أفق الماهوية (أعني ماهوية الأقوياء والضعفاء المغطاة سلفاً) من جانب آخر ، وفي إطار الجبرية (أقصد الجبرية التي على إثرها لا تظهر الأشياء إلا ما تنطوي عليه سلفاً دون أن تملك عنه انفكاكاً) من جانب ثالث. ولا يفعل دُراس العرب النيتشويون من أمثال عبد السلام بنعبد العالي ، محمد أندلسي ، عبد الرزاق بلعقروز ، فتحي المسكيني وغيرهم) إلا متابعة القراءات الغربية المولعة بنيتشه متابعه عمياء ، ولا نستثنى منهم إلا محمد المزوغي الذي ألف أزيد من ثلاث دراسات كشفت بكل أمانة علمية النصوص اللاعقلانية تارة والدموية تارة أخرى التي يُخفيها ويسكت عنها أو يبررها سدنثه اللاعقلانيين ، من كتبه : نيتشه والفلسفة ، التخلص من نيتشه ، نيتشه اللعين : تفكيك ونقد. وتقريباً هي الدراسات الوحيدة التي اطلعنا عليها في لغة الضاد التي تقدّم لنا نيتشه بلا مواد وعمليات تجميل وتخلو من فقه التبرير الذي تضلّع منه شراحه ما بعد الحداثيين حتى أوشكوا فيه على التفوق على فقهاء الدين.

⁵²⁶ Hébert-Suffrin, Le Zarathoustra de Nietzsche, PUF, 1988, p. 97 : « ... Tout phénomène, quel qu'il soit, est constitué d'un rapport hiérarchique, plus en moins complexe, de forces. Parmi ces forces certaines sont actives, d'autres réactives...par ailleurs, dans tout rapport de forces hiérarchiques, c'est-à-dire dans tout, s'exprime une volonté de puissance qui peut être, soit volonté de négation, de destruction, de dépréciation, soit une volonté d'affirmation, de destruction, d'appréciation ».

⁵²⁷ FP, XIII, 1887, 10 [111] : « Il faut avoir un critère)... (Je distingue activité et réactivité ».

⁵²⁸ FP, XII, 1886-1887, 7 [48] : « Que signifie actif et passif ? N'est-ce pas devenir maître et être dominé ».

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْاِسْتِبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْاِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ

تُحَرِّضُهَا الْمُحَرِّضَاتُ الْبَرَانِيَّةُ وَلَا تَفْعَلُ غَيْرَ الْاِسْتِجَابَةِ لِارْغَامَاتِهَا وَإِلْحَاحَاتِهَا⁵²⁹؛ وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الْقُوَّةَ تَظَلُّ قُوَّةً أَكَانَتْ فَاعِلَةً أَمْ ارْتِكَاسِيَّةً⁵³⁰، فَلَا مَجَالَ لِلنَّسَوِيَّةِ مَعَ ذَلِكَ بَيْنَ نَمَطِي الْقُوَّةِ، هَذَا مَا تَوْحَّاهُ نَيْتَشَةُ نَفْسُهُ الَّذِي لَمْ يُمَسِّكْ نَفْسَهُ عَنْ تَقْدِيمِ بَعْضِ التَّوْضِيحَاتِ عَنِ الْفَرْقِ الْكَيْفِيِّ لَا الْكَمِّيِّ بَيْنَ الْفَاعِلِيَّةِ وَالْاِنْفَعَالِيَّةِ، هُوَ دَا مَا شَفَّتْ عَنْهُ هَذِهِ الشَّدْرَةُ: "مَا الْمَفْعُولُ بِهِ"⁵³¹: الْمَقَاوِمَةُ وَالْاِرْتِكَاسِيَّةُ⁵³². وَأَنْ تَكُونَ مَكْبُوحًا [مُعْطَلًا] فِي الْحَرَكَةِ الَّتِي تَمْضِي إِلَى الْأَمَامِ: وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِعْلٌ مُقَاوِمَةٌ وَارْتِكَاسِيَّةٌ. مَا "الْفَاعِلُ"؟ السَّاعِي إِلَى الْاِقْتِدَارِ"⁵³³. وَعَلَى هَذِهِ الشَّدْرَةِ بَنَى كُلُّ مِنَ الشَّارِحِينَ فِرَانْكَ دِيدِيَّهِ وَحِيلَ دُولُوز تَأْوِيلِيهِمَا لِلْفَاعِلِيَّةِ وَالْاِنْفَعَالِيَّةِ⁵³⁴ حَيْثُ أَعْرَبَا أَنَّ الْقُوَّةَ الْفَاعِلَةَ هِيَ الَّتِي تَنْهَضُ بِتَمْدِيدِ اِقْتِدَارِهَا إِلَى أَقْصَى حَدٍّ مِنَ الْوُسْعِ وَالْأَيْدِ؛ وَعَلَى التَّقْيِضِ تَكُونُ الْقُوَّةُ الْاِرْتِكَاسِيَّةُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا تَمْضِي بِقُدْرَتِهَا إِلَى حَيْثُ تَسْتَطِيعُ أَوْ هِيَ الَّتِي تَكْنُتُهَا كَبْتًا يَمْنَعُهَا مِنَ الْاِنْقِيَادِ لِطَبِيعَتِهَا النَّامُوسِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي اسْتِعْرَاضِ نَفْسِهَا فِي أَفَاعِيلِ السَّيْطَرَةِ وَالتَّمَلُّكِ وَالْعَلْبَةِ وَالْقَهْرِ وَالْعَصَبِ⁵³⁵، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا مِنْ بَيْنِهَا الْعَجْزُ وَالْخَوْفُ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الْعَالَمُ مِنْ مَنْظُورِ دِيْنَامِيكََا الصَّيْرُورَةِ: فِي تَجَاوُزِ اسْتَاتِيكََا الْوُجُودِ وَمَيْتَافِيزِيَّكََا الثُّبُوتِ

لَمْ يَكُنْ نَيْتَشَةُ الْمُتَيَّمِ بِالْحَيَاةِ فِي وَثَبَاتِهَا وَغُلُوبَاتِهَا لِيُحْيِيَ لِنَفْسِهِ صِيَاغَةَ رُؤَاةٍ وَتَفْصِيلَ تَأْمَلَاتِهِ عَنْهَا بِتَوَسُّلِ مَقُولَاتٍ عَقْلِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ الْكَيْنُونَةِ وَالشَّيْءِ وَالْجَوْهَرِ، ذَلِكَ أَنَّهَا مَقُولَاتٌ تَنْتَهِي جَمِيعًا إِلَى تَعْطِيلِ دِيْنَامِيكَاتِهَا وَإِعْاقَةِ نَزْعَاتِهَا الْاِرْتِقَائِيَّةِ؛ لَكِنْ هَذِهِ الْخُلَّةُ الْفَلَسْفِيَّةُ بَيْنَهُ وَالْحَيَاةِ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنَ الْحُدُوسِ مَادَّةً لِلتَّفَكِيرِ وَمِنْ الشَّدُورِ شَكْلًا لَهَا، لَمْ تَكُنْ لِنَيْتَشَةٍ ثِمَارَهَا لَوْ فَكَّرَ الْحَيَاةَ اِنْطِلَاقًا مِنْ مَقُولَةِ "الْكَيْنُونَةِ" الَّتِي سَتَقْتَادُهُ لَا مَحَالَةَ إِلَى مُهَاجَمَةِ "الصَّيْرُورَةِ" وَتَضْطَرُّهُ إِلَى تَبْرِيرِهَا أَخْلَاقِيًّا بِوَاسِطَةِ عَالَمِ كَيْنُونَةٍ رَاسِخٍ وَمُتَّطَابِقٍ مَعَ نَفْسِهِ يَغْلُو عَلَى الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ الشَّأْوُ وَالْمَنْزِلَةُ.

⁵²⁹FP, 1887, 10 [111]. FP, XIII, 10 [145]: « Les points de vue pour mes propres valeurs : est-ce par abondance ou par désir... [...] est-ce à partir d'une force accumulée que l'on est « spontanément » stimulé, excité ou de façon purement réactive ».

⁵³⁰FP, 1885, 36 [22]. Voir FP, 1887, 10 [138].

⁵³¹يمكن ترجمة العبارة أيضًا ب: "ما المُنْفَعْل، السَّلْبِي".

⁵³²يمكن ترجمة العبارة أيضًا ب: "فعل المقاومة وفعل الارتكاس".

⁵³³FP, XII, 1886-1887, 5 [64]: « Qu'est-ce qui est « passif »? résister et réagir. Être bloqué dans le mouvement qui tend vers l'avant : donc, un acte de résistance et de réaction Qu'est-ce qui est « actif »? tendant vers la puissance ».

⁵³⁴Franck Didier, Nietzsche et l'ombre de Dieu, p. 189. Voir Deleuze : Nietzsche et la philosophie, pp. 45-45-47-48.

⁵³⁵PBM, Trad. Patrick Wotling, § 259.

لَقَدْ تَسَايَرَتْ حُدُوسُ نَيْتَشْه وَتَنَاصَرَتْ آرَاؤُهُ عَلَى النَّظَرِ إِلَى الْحَيَاةِ مِنْ مَنْظَارِ "الصَّيْرُورَةِ" بِمَا يَمْنَعُهَا مِنَ الْإِنْفِصَالِ عَنْ طَائِعِهَا السَّيَّالِ⁵³⁶؛ ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ بِوَصْفِهَا صَيْرُورَةً غَيْرُ مُنْفَكَّةٍ عَنِ الْخَلْقِ الْمُتَوَاصِلِ وَالتَّدْمِيرِ الْمُسْتَمِرِّ، إِذْ عَلَى شِقِّهَا الْإِجَادِيَّ يَتَوَقَّفُ التَّارِيخُ وَصُرُوفُهُ مِنْ حَيَثِيَّةٍ وَعَلَى قُوَّتِهَا التَّدْمِيرِيَّةِ مِنْ حَيَثِيَّةٍ أُخْرَى يَتَوَقَّفُ عَدَمُ خُلُودِ الْكَائِنَاتِ إِلَى الثُّبُوتِ وَالْحُمُودِ. لَكِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الصَّائِرَةَ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذَا التَّارِيخُ الْمُحَدَّدَ أَوْ ذَلِكَ الْحَدَثَ عَيْنَهُ، مَا دَامَتْ قُوَّةُ افْتِرَاضِيَّةٍ دِيْنَامِيكِيَّةٍ لَا تَبْرَحُ عَنِ التَّحَقُّقِ فِي الْأَعْيَانِ دُونَ أَنْ تَتِمَّاهِيَ مَعَ تَعَيُّنَاتِهَا الْمُنْجَزَةِ. وَمَعَ بُرُوعِ مَيْتَافِيزِيَّا الْكَيْنُوتِيَّةِ - الَّتِي دَشَّنَهَا الْإِيلِيُونُ وَوَقَّفَهَا بَعْدَهُمْ أَسَاطِينُ النُّحُو الْمَيْتَافِيزِيَّيِّ فِي التَّفَكِيرِ مِنْ قَبِيلِ أَفْلَاطُونِ الَّذِي كَانَ مِنْ زُمْرَةِ الْفَلَسَفَةِ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ عَمَّقُوا الشَّرْحَ بَيْنَ الْحَوَاسِ وَالْعَقْلِ، بَيْنَ الْجُسْمَانِيِّ وَالرُّوحَانِيِّ⁵³⁷، بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالصَّيْرُورَةِ بِوَصْفِهَا الْحَيَاةَ - انْقَطَعَتْ صِلَةُ الرَّحِمِ الطَّبِيعِيَّةِ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالصَّيْرُورَةِ بَعْدَ أَنْ جَرَى التَّفَكِيرُ فِي الْحَيَاةِ انْطِلَاقًا مِنْ مَقُولَةِ "الْكَيْنُوتِيَّةِ"، وَانْفَصَلَتْ كَذَلِكَ فِي غُضُونِ ذَلِكَ عُرَى الْعِلَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَجْمَعُ مَلَكُوتَ الْعَقْلِ بِمَلَكُوتِ الْجَسَدِ فِي كَنْفٍ وَاحِدٍ⁵³⁸، وَذَلِكَ بِتَوَسُّلِ تَبْخِيسِ الْحَوَاسِ وَقَمْعِهَا⁵³⁹، تَحْتَ ذَرِيْعَةٍ أَتَّهَمُ لَا تَبْرَحُ تُبْرَزُ مِنْ غَيْرِ مَرَّةٍ الصَّيْرُورَةَ وَالتَّلَاشِيَّ وَالتَّغْيِيرَ⁵⁴⁰، وَتَدْنِيسِ الْجُسْمَانِ وَاحْتِقَارِهِ⁵⁴¹ بَلْ تَجَاهِلِهِ وَتَغْذِيَةِ⁵⁴². وَعَلَى إِثْرِ ذَلِكَ جَرَى فَكُّ الْارْتِبَاطِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ بِوَصْفِهِ جُسْمَانًا وَالْحَيَاةَ بِاعْتِبَارِهَا صَيْرُورَةً فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُغْلِي فِيهِ مِنْ شَأْوِ التَّفَكِيرِ التَّجْرِيدِيِّ وَالسُّلُوكِ الزَّاهِدِ مِنْ حَيْثُ هُمَا صَنِيعَا الرُّوحِ الْقَوِيمِ الَّذِي يُغَفِّتُنَا مِنْ أَغْلَالِ الْجَسَدِ وَأَصْفَادِ حَوَاسِهِ وَسَرَابِ الصَّيْرُورَةِ؛ وَفِي غُرَاضِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ حَصَلَ

⁵³⁶VP, Trad. Bianquis, Tome I, Livre II, § 299.

⁵³⁷NPETG, Trad. par Michel Haar et marc de Launa Y, X, p. 372 : « En effet, en séparant tout d'un coup brutalement les sens et la faculté de penser abstraitement, c'est-à-dire la raison, comme s'il s'agissait de deux facultés parfaitement distinctes, il a détruit l'intellect lui-même et poussé à cette division tout à fait erronée entre l'« âme » et le « corps » qui, principalement depuis Platon, pèse comme une malédiction sur la philosophie ». In Nietzsche, Œuvres, Tome I. Edition Gallimard, 2000.

⁵³⁸GS, Trad. Patrick Wotling, préface, §3 : « Nous ne sommes pas libres, nous philosophes, de séparer l'âme du corps, comme le peuple les sépare, nous sommes encore moins libres de séparer l'âme de l'esprit. Nous ne sommes pas des grenouilles pensantes, des instruments de mesure objective et d'enregistrement aux viscères congelés, — nous devons constamment enfanter nos pensées à partir de notre douleur et leur transmettre maternellement tout ce qu'il y a en nous de sang, de cœur, de feu, de plaisir, de passion... ». In Œuvres, Edition Flammarion.

⁵³⁹AC, Trad. Éric Blondel, §14 : « ... pour rendre l'homme « accompli », on lui conseillait de rentrer en lui-même ses sens à la manière de la tortue, de cesser tout commerce avec ce qui est terrestre, d'abandonner son enveloppe mortelle : il ne restait alors de lui que l'essentiel, le « pur esprit » ». In Œuvres, Edition Flammarion.

⁵⁴⁰CI, "La « raison » dans la philosophie" § 2 : « Les sens ne mentent pas en tant qu'ils montrent le devenir, la disparition, le changement... ».

⁵⁴¹AC, Trad. Éric Blondel, §21.

⁵⁴²A, Trad. Henri Albert, § 39 : « Le préjugé de l'« esprit pur ». — Partout où a régné la doctrine de la spiritualité pure, elle a détruit par ses excès la force nerveuse : elle enseignait à mépriser le corps, à le négliger ou à le tourmenter, à tourmenter et à mépriser l'homme lui-même, à cause de tous ses instincts ; elle produisait des âmes assombries, raidies et opprimées, — qui en outre, croyaient connaître la cause de leur sentiment de misère et espéraient pouvoir supprimer cette cause. « Il faut qu'elle se trouve dans le corps ! » ».

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

وصل العقل البشري بعالم غير محسوس بما هو "عالم الكينونة"؛ وعلى هذا المنوال وقع شطر عالمنا الحبيب وحياتنا الدنيا إلى شقين لا يتصادقان إلا بالشر: أولاً- شق العالم المحسوس الذي يُعطينا عن باطل "الصيرورة" في اندفاعها الهائج المائج وثانياً- شق العالم المعقول الذي يُعطينا عن حق الكينونة في رؤوحيها المتين الوديع.⁵⁴³

وبهذا النهج الزائع في التفلسف جرى محاصرة "الكينونة الأصلية" من حيث هي الحياة وحصل خنقها بمفاهيم شواحب وتصورات جرداء⁵⁴⁴، ومن ثم تحولت إلى هيكل عظمي يصطنعه المنطق الذي لا يستخدم إلا صياغات مطابقة لأشياء ثابتة⁵⁴⁵، إلى أن آلت في المنتهى إلى محض التصور الأكثر عمومية من بين التصورات، وهكذا تحولت الأونطولوجيا عقب ذلك على الصعيد الاستيمولوجي إلى مجرد مصفوفة من التجريدات الأشد قحطاً وجذباً؛ هذا جميعه هو ما نطق به هذه الشذرة: "إن الحقيقة عاجزة تماماً عن السكنى من تلك اللحظة فصاعداً إلا في العموميات الأشد بهتاً والأكثر شخوباً وفي الدثار الخاوية للكلمات الأكثر إبهاماً حيث يكون الحال أشبه بالسكنى في قصر قد ينسج العنكبوت"⁵⁴⁶. وكان ذلك نتيجة منطقية لحسبان المنطق ومقولات العقل قسطاساً يوزن به الواقع نفسه بدل عدهما وسائل لجعل العالم ملائماً للأغراض النافعة وقضاء المآرب.⁵⁴⁷ لقد أيقن نيتشه أنه لا سبيل لظهور الصيرورة وبيان سيادتها الأونطولوجية عن اختراق وتدمير بادئ الأمر "كذبة الكينونة" من حيث هي كذلك؛ فانبجاس الرقص واللعب الدائري للواقع الكوني في أنظار الإنسانية وأفهامها منوط بتقويض فكرة الرُسوخ عينيها [أغني الثبات، الاستقرار]⁵⁴⁸، وإذ يفكر نيتشه في الكينونة كما فهمها التقليد الميتافيزيقي معترضاً وناقداً، فهو من غير ريب يستدعي الصيرورة من حيث هي، بضرب من التجوّر، التفكير في الكينونة انطلاقاً من وثبات وجودية طافحة بالحياة أو دالة عليها، مادامت الحياة وحدها كفيلة باستحضار واقع متحرك ومغر ومغتب في منجى من برود مقولات العقل وتخثرها⁵⁴⁹، أي

⁵⁴³Christine Daigle, Le nihilisme est-il un humanisme? : Etude sur Nietzsche et Sartre, Presses de l'Université Laval, p. 37. Voir Olivier Ponton : Nietzsche - Philosophie de la légèreté, p. 211.

⁵⁴⁴Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, pp. 40-41.

⁵⁴⁵VP, Trad. Henri Albert, §273 : « Il est nécessaire d'admettre ce qui est pour pouvoir penser et conclure. La logique ne manie que des formules correspondant à des choses stables ».

⁵⁴⁶NPETG, Trad. G.Bianquis, NRF, Gallimard, Paris, 1938, pp. 85-86 : « La vérité ne peut plus habiter désormais que dans les généralités les plus pales, les plus délavées, dans les enveloppes vides des mots les plus indifinis, comme dans un château en toile d'araignée ».

⁵⁴⁷VP, Trad. Henri Albert, §288 : « L'erreur des philosophes repose sur le fait qu'au lieu de voir dans la logique et les catégories de la raison des moyens pour accommoder le monde à des fins utilitaires (donc, "en principe", en vue de créer un faux utile), on croit y posséder le critérium de la vérité, c'est-à-dire de la réalité. Le "critérium de la vérité" n'était en effet que l'utilité biologique d'un pareil système d'altération par principe ».

⁵⁴⁸Eugen Fink, « Nouvelle expérience du monde chez Nietzsche », In Nietzsche aujourd'hui ?, Tome II. Passion, Plon. coll.10/18, Paris, 1973, p. 357.

⁵⁴⁹Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 369.

الفصل الثاني: حَواصُّ الوجودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْهَيْتَافِيزِيَّيِّ

أَنَّ الْعَالَمَ يُعْقَلُ عَلَى هَذَا النَحْوِ بِحَدْسٍ حَيَاتِيٍّ عَلَى أَنَّهُ صَيْرُورَةٌ مُصْدَقُهَا "الْجَرَيَانُ" الْمُطْلَقُ⁵⁵⁰ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِمَعْيَتِهِ خُلُودُ الْأَشْكَالِ وَيَسْتَحِيلُ فِي مَطَاوِيهِ مُكَوِّثُ الصِّفَاتِ وَالْأَحْوَالِ فِي عَادَاتِهَا الْمَطْبُوعَةِ، وَيَتَعَدَّرُ فِي غُرْضِهِ اسْتِمْرَارُ بَنَى الْعَالَمِ عَلَى مَنَاوِيلِهَا الرَّاسِخَةِ.

وَنَبِيتْشَهُ مَذْشُرُوعِهِ فِي تَأْمَلَاتِهِ لَمْ يَجْرَ مَجْرَى الثَّقَلِيدِ الْبَرْمِينِيَّيِّ الَّذِي أَضَاعَ الْحَبْلَ السَّرِّيَّ الَّذِي يَرْبُطُهُ بِالْحَيَاةِ فِي غُنْفَوَانِهَا وَارْتِقَائِهَا، وَضَحَى بِالِدِمَاءِ الْمُتَهَمِرَةِ الَّتِي تَسْرِي فِي عُرُوقِ كُلِّ مَا هُوَ حَيٌّ⁵⁵¹ بِوَصْفِهِ مَحَلَّ الْحَرَكَاتِ وَالصَّيُورَةِ، وَذَلِكَ لِصَالِحِ عَالَمٍ مُتَعَالٍ رَاسِخٍ لَا يَأْتِيهِ بَاطِلُ التَّغْيِيرِ مِنْ تَحْتِهِ وَلَا مِنْ فَوْقِهِ، وَهَذَا الْمِنَوَالُ الْبَرْمِينِيَّيِّ لَا يَكْشِفُ عَنِ الْوَاقِعِ الصَّرَاحِ فِي مَحْضِهِ قَدْرَ مَا يُسْفِرُ عَنِ الطُّمُوحِ الْبَشَرِيِّ⁵⁵²، لَا سِيَّمَا لَدَى سَدَنَةِ الْكَيْنُونَةِ، إِلَى إِدْرَاكِ الْوَاقِعِ فِي أَحْوَالِ السُّكُونِ وَالرُّكُودِ⁵⁵³ مِنْ طَرِيقِ مَلَكَةِ الْفِكْرِ وَلَوْ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى التَّضْحِيَةِ بِدِيْنَامِيكِيَّةِ الْعَالَمِ التَّجْرِبِيِّ الَّذِي هُوَ أَسَاسًا ضَحِيَّةٌ لِلنَّظَرِ الْبَرْمِينِيَّيِّ⁵⁵⁴؛ ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَةَ الْكَيْنُونَةِ لَا تُعْبَرُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَنِ التَّجْرِبَةِ الذَّاتِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ الرَّاعِبِ بِاسْتِمْرَارٍ فِي وَضْعِ الْعَالَمِ بِرُمَّتِهِ فِي تَرْسِيمَاتٍ وَفِي تَبْسِيطَاتٍ ابْتِغَاءَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ⁵⁵⁵، وَنَبِيتْشَهُ الَّذِي سَارَ عَلَى خُطَى مَا أُوحَتْ إِلَيْهِ قِرَاءَتُهُ الْمُتَبَدِّلَةِ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ كَبُوسْكَفِيْتِشِ الَّذِي جَحَدَ الذَّرَّةَ لِكُونِهَا عِنْدَهُ إِنتَاجًا ذِهْنِيًّا وَلَيْسَتْ وَاقِعَةً حَقِيقَةً، وَالَّذِي نَحَا أَيْضًا نَحْوَ مَا نَبَسَتْ بِهِ إِطْلَاعَاتُهُ لِبَعْضِ الْكُتُبِ فِي الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي شَكَّكَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي عُذَّتْ مِنْ قَبْلِ وَقَائِعِ حَقِيقَةٍ، نَفَى انْطِوَاءَ الصَّيُورَةِ عَلَى مَادَّةٍ أَوْ ذَرَّةٍ⁵⁵⁶ أَوْ نُومَادٍ⁵⁵⁷ أَوْ جَوْهَرٍ أَوْ مَوْضُوعٍ أَوْ ذَاتٍ أَوْ شَيْءٍ⁵⁵⁸، وَلَمْ يَكُنْ الدَّاعِي إِلَى هَذَا التَّنْفِي إِلَّا لِكُونِ هَاتِهِ

⁵⁵⁰VP, Trad. Bianquis, Tome I, Livre II, § 299.

⁵⁵¹Tarmo Kunnas, Nietzsche ou l'esprit de contradiction, p. 39.

⁵⁵²Ibid, p. 40.

⁵⁵³Ibid, p. 37.

⁵⁵⁴NPETG, Trad. par Michel Haar et marc de Launa Y, X, pp. 372-373 : « Mais lorsque ensuite Parménide tournait à nouveau son regard vers le monde du devenir dont il avait jadis cherché à concevoir l'existence à l'aide de si ingénieuses cons : ructions, il reprochait à ses yeux ne serait-ce que de voir le devenir, et à ses oreilles d'en entendre la rumeur. « Ne vous fiez pas uniquement à la vue grossière, commandait-il alors, ni à l'ouïe abasourdie, ni à la langue, mais soumettez les choses à l'épreuve de la seule force de la pensée !... L'araignée cependant exige le sang de sa victime, mais le philosophe parménidien hait précisément le sang de sa victime, le sang de la réalité empirique qu'il a sacrifiée ». In Nietzsche, Œuvres, Tome I, Edition Gallimard, 2000.

⁵⁵⁵Tarmo Kunnas, Nietzsche ou l'esprit de contradiction, p. 39.

⁵⁵⁶VP, Trad. Henri Albert, § 298 : « Enfin, nous comprenons que les êtres - et aussi les atomes - n'exercent aucune action " parce qu'ils n'existent pas du tout" et encore que l'idée de causalité est absolument inutilisable.

⁵⁵⁷Ibid, §301 : « Il n'y a pas de dernières unités durables, point d'atomes, point de monades (- là encore l'"être" a été introduit par nous, pour des raisons de perspective, pratiques et utiles)... Les moyens d'expression du langage sont inutilisables pour exprimer le devenir : c'est un des besoins indestructibles de notre conservation que de déterminer sans cesse un monde grossier de choses durables et d'"êtres", etc... ».

⁵⁵⁸Ibid, § 278 : « Point de sujet-"atome". La sphère d'un sujet grandissant ou diminuant sans cesse, le centre du système se déplaçant sans cesse... Non point une " substance ", mais quelque chose qui, par soi-même, aspire à

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الأفتدَار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

الموضوعات جميعًا مجردة ترسيمات وتخطيطات ذهنية تخلع ضروبًا من الأساق والنظام على فوضى العالم المتحركة وعلى سيولتها الدائمة لغايات نفعية وعملية⁵⁵⁹؛ لكن الإنسان الكفور بالواقع الرهيب لفوضى الصيرورة يختلق أكبر الأكاذيب حينما يجعل تنسيقاته المفهومية ذات صلوحية كونيّة ويعدّها عين الصيرورة (عين الحياة أو الكينونة أو الواقع)، والطامة الكبرى والإفك المبین حالمًا يجعل من وراء حجاب هذا التنسيق الظاهر إلهاً⁵⁶⁰ حكيمًا وعليمًا ابتدع النظام والتناعم في جوانبنا وبرائنا من سلطان قدرته وعلمه وفي إطار نظرية نيتشه المعرفية المقرّنة بنظريته في الوجود بوصفه صيرورة، ينبغي أن نفهم انتقادات نيتشه اللادعة للعلم الذي يؤمن بوجود أشياء، مع أن الأشياء الموجودة [الثابتة] ليست كذلك إلا من وجهة نظر إنسانية⁵⁶¹ وما هي إلا من اصطناع الإنسان بتوسّل حواسه وعقله⁵⁶² اللذين ما كان له أن يثق فيهما لولا ما يقدّمانه من منافع⁵⁶³، في حين أن العالم ليس في مائتيه حسب شوبنهاور الذي يسير نيتشه ههنا على خطاه إلا صيرورة سرمدية وجريانا ليس له نهاية وهو ذا ما يطبع تجليات الإرادة⁵⁶⁴.

فموجب الخواص التي تطبع العالم، وبناءً على قول أدورنو: "إن ما يجب أن نتعلّمه من نيتشه أكثر من أي شيء آخر عذاه في ألمانيا الآن هو ضرورة عدّ الغابر والزائل مضمون الحقيقة عينه وليس ما هو سرمدية وباقي"⁵⁶⁵، وطبقًا لكون أدوات اللغة التعبيرية عاجزة عن قول الصيرورة، فضلًا عن كونها تعبيريًا عن حاجة البشر الدائمة إلى اختلاقي كائنات دائمة حفظًا لبقائهم في عالم الصيرورة⁵⁶⁶ الخطير

se renforcer, et qui ne peut se conserver qu'indirectement (renchérir sur soi-même) ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 297.

⁵⁵⁹Sarah Kofman, Nietzsche et la scène philosophique, Galilée, 1986, p. 134. Voir Félicien Challaye, Nietzsche, Mellottée, 1950, p. 160.

⁵⁶⁰Ibid, p. 42.

⁵⁶¹FP, IV, 6 [433].

⁵⁶²VP, Trad. Henri Albert, §275 : « Il faut répondre aux questions relatives aux " choses en soi ", abstraction faite de la réceptivité de nos sens et de l'activité de notre raison, par une autre question : comment pouvons-nous savoir qu'il y a des choses ? C'est nous qui avons créé l'" existence des choses ". Il s'agit de savoir s'il ne pourrait pas exister encore beaucoup de façons de créer un pareil monde-apparence - et si cette façon de créer, de logiciser, d'apprêter, de falsifier n'est pas la réalité elle-même, la mieux garantie... ».

⁵⁶³Ibid, §268 : « Tous nos organes de la connaissance et des sens sont seulement développés par rapport à des conditions de conservation et de croissance. La confiance en la raison et ses catégories, en la dialectique, donc l'évaluation de la logique, démontre seulement l'utilité de celle-ci pour la vie... ».

⁵⁶⁴Arthur Schopenhauer, Le Monde comme volonté et comme représentation. Trad. A. Burdeau, Edition revue et corrigée par Richard Roos. Quadrige/PUF, Paris, p. 216 : « ... un éternel devenir, un écoulement sans fin, voilà ce qui caractérise les manifestations de la Volonté ».

⁵⁶⁵Hans-Georg Gadamer, Nietzsche l'antipode : le drame de Zarathoustra, suivi de Nietzsche et nous, entretien entre Theodor W. Adorno, Max Horkheimer & Hans-Georg Gadamer, Editions Allia, 2000, p. 65 : « Ce que nous avons à apprendre de Nietzsche plus que tout autre, en Allemagne, aujourd'hui, c'est qu'il faut considéré comme le contenu même de la vérité ce qui est passager, éphémère et non ce qui est éternel et survit ».

⁵⁶⁶VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 58, pp. 218-219.

الفصل الثاني: حواص الوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

وَالْمُنْقَلِتِ الْعِقَالِ وَالَّذِي يُرْغِمُ اللَّغَةَ أَنْ تَعْقِلَهُ بِعِقَالِ التَّصَوُّرَاتِ ، فَلَا غَرَوَ (تَأْسِيسًا عَلَى هَذِهِ الْحَيْثِيَّاتِ جَمِيعًا) فِي الْأَتَّكَونِ الْمَعْرِفَةِ لَدَى فَيْلَسُوفِ الصَّيْرُورَةِ الْكُونِيَّةِ فَهَمَّا مُطَابِقًا وَلَا تَفْسِيرًا عَاكِسًا ، ذَلِكَ أَنَّهَا كَمَا تَشِفُّ عَنْهُ بَعْضُ الشَّدُورِ مُجَرَّدَ تَأْوِيلٍ لَا أَدْنَى وَلَا أَكْثَرَ تَتَقَادَفُهُ وَتُوجِّهُهُ الْغَرَائِزُ الَّتِي تَصُبُّو إِلَى السَّيْطَرَةِ⁵⁶⁷ وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَنَافُرِ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّيْرُورَةِ ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ إِحْدَى الْحَيْثِيَّاتِ لَيْسَتْ سِوَى الصَّيْرُورَةِ الَّتِي تَضْطَرُّ لِخَلْقِ وَهْمِ الْكَيْنُونَةِ ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ مُمَكِّنَةً⁵⁶⁸ .

وَاهْتِدَاءً بِمَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ ، يَمْتَنِعُ عَلَى صَعِيدِ الْوُجُودِ عَلَى أَيِّ مَنْظَرٍ أَوْ عَالِمٍ تَقْدِيمُ نَظَرِيَّاتٍ إِخْبَارِيَّةٍ عَنِ الْعَالَمِ تَكُونُ فِي تَطَابُقٍ مُحْكَمٍ وَوَفَاقٍ شَامِلٍ مَعَهُ بِمَا أَنَّهُ فِي مَحْضِهِ سَيَلَانٌ صِرْفٌ لَا يَسْمَحُ لَهُ بِالتَّطَابُقِ مَعَ نَفْسِهِ وَلَا بِالتَّوَافُقِ مَعَ إِحْدَاثِيَّاتِهِ وَلَا أَنْ يَنْحَصِرَ فِي إِحْدَى وَجْهَاتِهِ الْمُتَكَثِّرَةِ ؛ وَيَسْتَحِيلُ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ عَلَى صَعِيدِ الْمَعْرِفَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلذَّاتِ بِشَقِهَا الْأَمْبِرِيْقِيِّ وَشَقِهَا الْمُتَعَالِي الْمَزْعُومِ أَنْ يُفَكِّرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ تَفَكِيرًا مُطَابِقًا أَوْ أَنْ تَكُونُ لَدَيْهِ صُورَةٌ عَنْ ذَاتِهِ وَاضِحَةٌ وَشَفَافَةٌ كَمَا زَعَمَ الْكُوجِيْطُو الْدِيكَارْتِي ، ذَلِكَ أَنَّ أَيَّ كَائِنٍ فِي صَيْرُورَةٍ لَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَتَأَمَّلَ نَفْسَهُ وَلَا أَنْ يَعْكِسَهَا فِي صُورَةٍ ثَابِتَةٍ وَدَائِمَةٍ أَوْ فِي صُورَةٍ الْهَذَا⁵⁶⁹ ؛ لَا سِيَّمَا أَنْ امْتِنَاعَ تَهَايِ الذَّاتِ مَعَ نَفْسِهَا⁵⁷⁰ يَجِدُ بُرْهَانَهُ الْمُعْضَدَ فِي كَوْنِ الذَّاتِ الْمُؤَوَّلَةِ ، بِوَصْفِهَا شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، لَا تَوْجَدُ مِنْ حَيْثُ هِيَ كَيْنُونَةٌ ، وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثُ هِيَ سَيْرُورَةٌ وَصَيْرُورَةٌ وَعَاطِفَةٌ [تَرْجَمَةٌ بِتَصَرُّفٍ]⁵⁷¹ ؛ بِصِيَاعَةٍ أُخْرَى مَا دَامَتْ الصَّيْرُورَةُ السَّرْمَدِيَّةُ لِلْعُدُوِّ غَيْرًا [غَيْرَ مَا كُنَاهُ] طَبْعًا أَسَاسِيًّا لِلْعَالَمِ- إِذْ لَا شَيْءَ يَظُلُّ عَلَى مَا كَانَهُ قَبْلَ-⁵⁷² ، فَإِنَّ الْمُؤَوَّلَ ذَاتَهُ لَا يُوجَدُ خَلْفَ التَّأْوِيلِ عَلَى غَرَارِ الذَّاتِ الْمِثَالِيَّةِ الرَّاسِخَةِ أَوْ عَلَى غَرَارِ الْكَيْنُونَةِ الْقَارَّةِ بَلْ يُوجَدُ كَسَيْرُورَةٍ وَصَيْرُورَةٍ مَا دَامَتْ هُنَاكَ فِي قَلْبِ الْمُؤَوَّلِ إِرَادَاتُ اقْتِدَارٍ تَتَصَارَعُ بِمَقْدَارٍ مَا فِيهِ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ تَتَغَايَرُ وَتَتَحَوَّلُ بِاسْتِمْرَارٍ فِي صَمِيمِ تَعَارُضِهَا ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَا هِيَ الْكَائِنِ كَمَا يَفْهَمُهَا نَيْتْشَةُ هِيَ الصَّيْرُورَةُ الْفَوْضِيَّةُ الَّتِي تُعَارِضُ وَتُتَاهِضُ كُلَّ كَيْنُونَةٍ رَاسِخَةٍ وَثَابِتَةٍ⁵⁷³ .

لَيْسَ الْعَالَمُ/الْحَيَاةُ/ الْوُجُودُ عِنْدَ فَيْلَسُوفِ الْاِقْتِدَارِ مِنَ الثَّبَاتِ فِي شَيْءٍ وَالْأَنَّا فِي مَطَاوِيهِ لَيْسَ إِلَّا صُورَةً تُشِيرُ إِلَى شَيْءٍ مَا فِي حَرَكَاتٍ وَتَعْقِيدٍ ؛ وَتَهَاشِيًا مَعَ هَذِهِ الْأَوْتُوْلُوجِيَا الدِّيْنَامِيكِيَّةِ يُنَبِّهُنَا نَيْتْشَةُ كَيْفَ تَعْدُو الذَّاتُ ، حِينَمَا تَتَحَوَّلُ إِلَى شَيْءٍ قَارٍ ، عَقَبَةً تَحُولُ دُونَ الْكَشْفِ عَنِ الْحَقِيقَةِ النَّفْسِيَّةِ بِمَا هِيَ سَيْرُورَاتُ

⁵⁶⁷Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 278.

⁵⁶⁸VP, Trad. Henri Albert, §273 : « La connaissance et le devenir s'excluent. Par conséquent, il faut que la " connaissance " soit autre chose : il faut qu'une volonté de rendre connaissable précède, une sorte de devenir même doit créer l'illusion de l'être ».

⁵⁶⁹HTH, Trad. Henri Albert, Opinions et Sentences mêlées, (deuxième partie), § 19.

⁵⁷⁰Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, P. 137.

⁵⁷¹FP, XII, 2 [151] : « ... l'interpréter lui-même, en tant que forme de la volonté de puissance, a de l'existence (non, cependant, en tant qu'"être" [Sein], mais en tant que processus, que devenir) en tant qu'affection ».

⁵⁷²Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la Volonté de Puissance, p. 80.

⁵⁷³Brito Emilio, Connaissance du chaos : Heidegger et Nietzsche In : Revue théologique de Louvain, 29e année, fasc.4, 1998, p. 469.

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْأَقْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ

مُتَقَاتِلَةٌ، فَضْلاً عَنْ إِفْضَائِهَا إِلَى إِعَاقَةِ التَّطَوُّرِ الدَّائِيِّ لِلْفَرْدِ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ لَا يَجِبُ تَجَاهُلُ كَوْنِ الْأَنَا وَحْدَةً وَظِيفِيَّةً لَيْسَ غَيْرُ،⁵⁷⁴ تَتَجَدَّدُ وَتَتَعَدَّلُ بِاسْتِمْرَارٍ كَمَا هُوَ شَأْنُ التَّجَدُّدِ الْمُتَوَاصِلِ لِلْوُجُودِ؛ وَهَكَذَا لَا يُمَكِّنُ لِلْفِكْرِ أَنْ يَطْمَسَ بَدَاهَةَ الصَّيْرُورَةِ مَا دَامَ هُوَ نَفْسُهُ تَعَاقَبٌ وَتَدَفُّقٌ⁵⁷⁵؛ وَأَيُّ تَصَوُّرٍ مِثَالِيٍّ لِلْفِكْرِ أَوْ بِالْأُخْرَى لِلْأَنَا سَيُفْضِي إِلَى دُرُوبٍ مُوصَدَةٍ وَسَيُؤَدِّي بِوَاسِطَةِ مَقُولَاتِهِ إِلَى مُحَاكِمَةِ الصَّيْرُورَةِ مِنْ جِهَةٍ وَإِلَى حَصْرِهَا وَتَطْوِيقِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ مَا نَعَا بِذَلِكَ احْتِضَانُ الْإِنْسَانِ - بِمَا هُوَ طِفْلٌ يَرْمُزُ كَمَا فِي التَّحَوُّلَاتِ الثَّلَاثَةِ لِلرُّوحِ إِلَى بَرَاءَةِ اللَّعِبِ وَإِلَى الْغِيَابِ الْمُطْلَقِ لِلشُّعُورِ بِالدَّيْمُومَةِ وَالْعَيْشِ الْكَامِلِ وَالشَّامِلِ فِي وَمِيزِ اللَّحْظَةِ⁵⁷⁶ - لِلصَّيْرُورَةِ بِاعْتِبَارِهَا الْجَرَيَانَ الْكُونِيَّ الشَّامِلَ وَالْفَوْضَى الصَّائِرَةَ أَوْ الصُّدْفَةَ اللَّغُوبَ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْاِحْتِضَانَ مُتَوَقِّفٌ مِنْ وَجْهِ عَلَى تَبَرُّةِ الصَّيْرُورَةِ؛ وَبَرَاءَةُ الصَّيْرُورَةِ بِدَوْرِهَا مَنُوطَةٌ بِاسْتِبْعَادِ مَقُولَاتِ الْعَقْلِ الْمَيْتَافِيزِيَّيْ مِنْ غَايَاتٍ وَحْتَمِيَّاتٍ وَعِلَلٍ مِنْ جِهَةٍ وَبِتَحْرِيرِهَا مِنْ الْمَقْصِدِ وَالْحَرِيَّةِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى⁵⁷⁷ وَيَأْنَعَامُ الْاِنتِبَاهُ فِي الْفِعْلِ نَفْسَهُ وَمَفْعُولَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ⁵⁷⁸. عَلَى أَنْ تَفَرَّقَ بَيْنَ عِلَّةِ الْفِعْلِ وَعِلَّةِ مُبَاشَرَةِ الْفِعْلِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَوْ تِلْكَ وَابْتِغَاءَ هَذَا الْهَدَفِ أَوْ ذَاكَ، فَإِذَا كَانَتْ عِلَّةُ الْفِعْلِ تَنْحَصِرُ فِي مَقْدَارٍ مِنَ الْأَقْتِدَارِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُصْرَفَ بِأَيِّ نَهْجٍ كَيْفَمَا اتَّفَقَ، فَإِنَّ الْعِلَّةَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي تُفِيدُ الصُّدْفَةَ أَوْ الْمُنَاسَبَةَ الَّتِي تَهَبُ لِهَذَا الْمَقْدَارِ الْقَوَوِيِّ فُرْصَةً كَيْ يَنْدَفِعَ لِلتَّصَرُّفِ بِمَنَوَالٍ مُعَيَّنٍ دُونَ سَائِرِ الْمَنَوَالِ الْأُخْرَى وَمَا الْغَايَاتُ إِلَّا إِحْدَى هَذِهِ الصُّدَفِ وَمَا هِيَ أَيْضًا إِلَّا الْكِبْرِيَاءُ الَّذِي يَقْتَرِنُ بِالزُّرُوعِ الْأَصْلِيِّ لِمَقَادِيرِ الْاِقْتِدَارِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ الْأَهْدَافَ مُقَارَنَةً بِالْقُوَّةِ الدَّافِعَةِ مُرَفَقَاتٌ هَادِيَةٌ، وَلِهَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَخْلُطَ بَيْنَ مَا هُوَ جَوْهَرِيٌّ فِي الْفِعْلِ وَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنَ الْبَوَاعِثِ⁵⁷⁹، ذَلِكَ أَنَّ الْهَدَفَ الْمُرَادَ أَدَاةً فِي يَدِ انْفِجَارَاتِ الْإِحْسَاسِ بِالْاِقْتِدَارِ⁵⁸⁰.

وَمَرَدُّ النَّقْدِ النِّيْتَشَوِيِّ لِلْمَقُولَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، مِنْ سَبَبِيَّةٍ وَغَايِيَّةٍ وَمَا شَابَهَهُمَا، إِلَى كَوْنِهَا تَعَضُّضُ الطَّرَفِ عَنْ خُلُوِ الصَّيْرُورَةِ بِوَصْفِهَا فَوْضَى⁵⁸¹ مِنْ أَيْ كُلِّيَّةٍ تَتَلَوُّ تَلَوًى وَجْهَةً مَرْسُومَةً⁵⁸² وَلَيْسَ بِدَعَا إِذَنْ مِنْ أَنْ تَكُونَ الصَّيْرُورَةُ بَرِيَّةً مِنْ أَيْ غَايِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ سِوَاءٍ أَكَانَتْ مُفَارَقَةً أَمْ مُحَايِيَّةً، لِذَلِكَ فَلَيْسَ مَا يَخْلَعُهُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا مِنَ الْغَايَاتِ وَالصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ وَالنَّوَامِيسِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ عَلَى شَيْءٍ. لَيْنَ جَعَلَ التَّقْلِيدُ الْفَلَسَفِيَّ كَمَا تَجَلَّى

⁵⁷⁴Tarmo Kunnas, Nietzsche ou L'Esprit de Contradiction, p. 158.

⁵⁷⁵Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 353.

⁵⁷⁶Hans-Georg Gadamer, Nietzsche l'antipode : le drame de Zarathoustra, suivi de Nietzsche et nous, 2000, p. 24.

⁵⁷⁷CI, Les Quatre Grandes Erreurs, Erreur du libre arbitre, §7.

⁵⁷⁸FP, IX, 7 [21].

⁵⁷⁹GS, Trad. Patrick Wotling, Flammarion, 1997, § 360.

⁵⁸⁰FP, IX, 7 [77].

⁵⁸¹FP, XIII, 11 [74] : « ... que le monde n'est absolument pas un organisme, mais chaos ». Voir Jean Granier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 353 : « En effet, un changement absolu serait synonyme de chaos ». Voir Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes : Souffrance et compassion, p. 383 : « Nietzsche conçoit le réel comme un devenir chaotique, non pas comme un cosmos organisé rationnellement ».

⁵⁸²Pierre Montebello, Vie et être chez Nietzsche, In L'art Nietzsche, Presses Univ. du Mirail, 1999, P. 231.

الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي

ذَلِكَ عِنْدَ هِجَلِ الصَّيرُورَةِ سَائِرَةً نَحْوَ غَايَةِ تَمَاشِيٍّ مَعَ عَدِّ الْعَالَمِ كُلِّيَّةً عُضُويَّةً تَجْرِي بِمُقْتَضَى تَقْدِيرٍ مَعْلُومٍ وَبِمَا يُفْضِي إِلَى إِقْحَامِ ضَرْبٍ مِنَ التَّعَقُّلِ الْبَصِيرِ وَالْكَلَانِيَّةِ الْمُسْتَبَدَّةِ وَالتَّأْلِيهِ الصَّفِيقِ فِي جَوْفِ الْعَالَمِ ، فَإِنَّ نَيْتَشَةَ عَلَى التَّقْيِصِ مِنْ ذَلِكَ حَسَبَ الصَّيرُورَةِ بَرِيَّةً خَالِيَّةً مِنْ أَيْ غَايَةٍ غُلْيَا وَمِنْ أَيْ إِرَادَةٍ تُوجِّهُهَا إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَمِنْ أَيْ مَسْئُولِيَّةٍ⁵⁸³ وَمِنْ أَيْ كُلِّيَّةٍ مُهَيِّمَةٍ أَوْ إِلَهٍ⁵⁸⁴ أَكَانَ مُحَايِّئًا أَمْ مُقَارِفًا ؛ هَكَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ بَرَاءَةَ الصَّيرُورَةِ لَا تَمْلِكُ انْفِكَائًا عَنْ تَصَوُّرٍ لِلْعَالَمِ يَعُدُّهُ وَجُودًا جَارِيًا إِلَى غَيْرِ هَدَفٍ⁵⁸⁵ وَهَائِمًا مِنْ غَيْرِ رُشْدٍ ؛ وَفَوْقَ ذَلِكَ فَبَرَاءَةُ الصَّيرُورَةِ بِمَنْزِلَةِ هَادٍ لَا مَصْرِفَ عَنْهُ لِلانِعْتَاقِ مِنَ الْأَخْلَاقِ⁵⁸⁶ مِنْ حَيْثُ هُوَ انِعْتَاقٌ يَهْبُنَا أَعْظَمَ قَدَرٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحُرِّيَّةِ⁵⁸⁷ الَّذِي بِهِمَا يُمَكِّنُ لِلْقُوَى أَنْ يَمُدَّ قُوَاهُ فِي مَسَالِكِ الْكَوْنِ وَشِعَابِهِ مِنْ غَيْرِ إِحْجَامٍ أَوْ رَادِعٍ. تَسُوْقُنَا الْكَثِيرُ مِنَ الشَّوَاهِدِ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ هَدَفَ نَيْتَشَةَ مِنْ "بَرَاءَةِ الصَّيرُورَةِ" الْوُصُولُ إِلَى "لَامَسْئُولِيَّةٍ شَامِلَةٍ" تَتَخَلَّصُ مِنْ تَجْرِيمِ الْوُجُودِ وَتَذْنِيبِهِ وَذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ تَسْوِيعِ جَمَالِيٍّ ، بَلْ إِنَّ فَيْلسُوفَ الْاِقْتِدَارِ انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى تَبْرِيٍّ جَذْرِيٍّ غَايَةِ الْجَذَرِيَّةِ لَا يَكُونُ هُنَاكَ فِيهِ أَيْ دَاعٍ لِلتَّسْوِيعِ الَّذِي قَدْ يَضْمُرُ ضَرْبًا مِنَ الْإِجْحَافِ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ⁵⁸⁸.

لَقَدْ أُمِلَتْ بَرَاءَةُ الصَّيرُورَةِ عَلَى نَيْتَشَةَ التَّصَدِّي لِمَقُولَاتِ كَهْنُوتِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ هَدَامَةٍ مِنْ مَقُولَةِ الذَّنْبِ وَالتَّوْبَةِ⁵⁸⁹ وَالْعِقَابِ تَحْتَ شِعَارِ دَعْوِهِ يَفْعَلُ ، دَعْوُهُ يَصِيرُ ، فِيمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ فَلَا مَعْدِلَ ، مِنْ أَجْلِ تَرْبِيَةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ ، عَنِ التَّخَلُّصِ مِنْ فِكْرَةِ الْعِقَابِ الَّتِي اجْتَنَحَتْ كُلَّ الْعُصُورِ وَحَلَّتْ فِي جَمِيعِ الْأُمُكِنَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ الْفَتَّاكَةَ قَدْ تَسَلَّلَتْ إِلَى الْأَحْدَاثِ الْمُبَاغِتَةِ وَالْوَقَائِعِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ وَالْبَرِيَّةِ وَأَضْحَى يُنْظَرُ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا عِقَابٌ مُسْتَحَقٌّ ، بَلْهُ اسْتَطَالَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ الرَّغْنَاءُ لِتَشْمَلَ الْوُجُودَ كُلَّهُ ، فَعَدَا عِقَابًا يَسْتَلْزِمُ مُخْلِصًا مِنْ وَرَاءِ السَّمَاءِ ؛ هَاكُمُ كَيْفَ تَحَوَّلَ فِكْرَةُ الْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ الْحَيَاةَ إِلَى شَيْءٍ مَذْمُومٍ يَنْبَغِي أَلَّا يَبْعَثَ فِي الْمَرْءِ إِلَّا الْحَيْطَلَةَ وَالْحَذَرَ ، لَا سِيَّمَا بَعْدَمَا عُدَّتْ عِقَابًا أَخْلَاقِيًّا لِجَرَائِمِ الْبَشَرِيَّةِ وَخَطَايَاهَا فِي حَقِّ الْكَائِنِ الَّذِي يَقْبَعُ خَلْفَ تُخُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ⁵⁹⁰.

مَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الصَّيرُورَةُ الْبَرِيَّةُ هُوَ الْاِبْتِهَاجُ الْإِبْتَائِي الَّذِي هُوَ بِمَتَابَةِ "نَعَمْ" يُقَالُ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَشْرُوطٍ عَلَى كُلِّ مُرْعَبٍ وَمُخِيفٍ فِي تَيَّارِ الصَّيرُورَةِ ، وَيَعُدُّ هَذَا الـ "نَعَمْ" أَيْضًا مَوَالِدَةً وَانْضِمَامًا دِيُونِيزُوسِيًّا لِلصَّيرُورَةِ السَّرْمَدِيَّةِ⁵⁹¹ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ الدِّيُونِيزُوسِيُّ مُجِيدًا التَّدَثَّرَ بِجَمِيعِ الدِّنَارِ وَمُتَحَوِّلًا عَلَى الدَّوَامِ⁵⁹² ؛

⁵⁸³CI, Les Quatre Grandes Erreurs, Erreur du libre arbitre, §7.

⁵⁸⁴Ibid, § 8.

⁵⁸⁵FP, IX, 7 [268], p. 333.

⁵⁸⁶Ibid, 8 [26].

⁵⁸⁷Ibid, 8 [19].

⁵⁸⁸Ibid, 7 [7], pp. 249-250.

⁵⁸⁹Olivier Ponton, Nietzsche, Philosophie De La Légèreté, p. 174.

⁵⁹⁰A, Trad. Henri Albert, § 13.

⁵⁹¹Guibal Francis, F.Nietzsche ou le désir du oui créateur, P. 65.

⁵⁹²Ouvrage collectif, Nouvelles Lectures de Nietzsche, p. 8 : « L'homme dionysien sait encore revêtir toute les enveloppes, et se transforme sans cesse ».

الفصل الثاني: حَواصِ الْوُجُودِ مِنْ مَنْظُورِ إِرَادَةِ الْاِفْتِدَارِ بَيْنَ الْأَسْتَبْصَارِ الْحَيَوِيِّ وَالْإِنْكَارِ الْمَيْتَافِيزِيكِيِّ

أُعْنِي أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِأَنْ يَصِيرَ الْمَرْءُ ، فِيمَا وَرَاءَ الْخَوْفِ وَالشَّقَقَةِ ، الْبَهْجَةَ السَّرْمَدِيَّةَ لِلصَّيْرُورَةِ عِنْدَهَا⁵⁹³ ، فَلَا حَاجَةَ بَتَاءً ، تَأْسِيسًا عَلَى ذَلِكَ ، إِلَى تَبْرِيرِ آلَمِ الْعَالَمِ الْهَائِلَةِ مَا دَامَ الْوُجُودُ مُقَدَّسًا وَطَاهِرًا بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ مِنَ الْإِلَهَةِ نَفْسِهِ⁵⁹⁴ وَ لَوْ انْطَوَى فِي مَطَاوِيهِ عَلَى الشَّقَاءِ وَالْبَلَاءِ⁵⁹⁵ ؛ وَمَعَ بَرَاءَةِ الصَّيْرُورَةِ يَنْتَفِي الْإِحْسَاسُ بِالذَّنْبِ⁵⁹⁶ وَالْغَايَةِ وَالْمَعْنَى⁵⁹⁷ وَيُظْهِرُ الْوُجُودَ بِأَحْدَاثِهِ وَمَجْرَاهُ فِي غُرْبِهِ الْأَصْلِيِّ مِنْ غَيْرِ الْوُهِيَّةِ وَأَخْلَاقٍ ، وَيَتَجَلَّى فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ عَقْلَانِيَّةٍ وَأُنْسِيَّةٍ (أَيَّ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ بَلْ الْعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ)⁵⁹⁸ ، دَعَا عَنَّا أَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى أَيِّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْمَعْنَى⁵⁹⁹ وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ يَغْدُو الْمَعْنَى ابْتِدَاعًا بَشَرِيًّا وَتَخْلِيفًا إِرَادَوِيًّا وَتَقْوِيمًا ذَرَائِعِيًّا لَيْسَ إِلَّا.

وَلَيْنَ أَوْجَبَتِ الصَّيْرُورَةُ ، فِي إِطَارِ التَّوَكُّيدِ الْنَيْتْشَوِيِّ لِلْحَيَاةِ بِبُحْرَهَا وَبُعْجَرِهَا (مِثْلَمَا تَوْجِبُ أَيْضًا النَّمَاءُ وَالرَّقْيُ) ، الْأَلَمَ بِطَرِيقَةٍ تَقْضِي بِالْأَحْضُورِ لِلْبَهَائِجِ الْخَالِدَةِ لِلْإِنْدَاعِ وَالْخَلْقِ إِلَّا بِحُضُورِ الْآلَمِ كَذَلِكَ⁶⁰⁰ ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَلَمَ يَغْنِي الصِّرَاعَ وَالصَّدَامَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ الْقَوَى الْخَلَاقَةِ ، وَفِي ذَلِكَ أَمَارَةٌ كُبْرَى عَلَى الْاِفْتِدَارِ وَتَغْيِيرِ عَنْهُ⁶⁰¹ ، فَلَا غَرَوْ مِنْ أَنْ تَسْعَى الْمَيْتَافِيزِيكِيَّةُ فِي تَمَثُّلَاتِهَا لِلْوُجُودِ إِلَى نَقِيضِ ذَلِكَ ، فَتَعْمِدُ إِلَى تَجْرِيمِ الصَّيْرُورَةِ وَمُقْتَضِيَّاتِهَا مِنْ أَلَمٍ وَتَغْيِيرٍ وَهَلَاكِ ؛ وَجَرِيًّا عَلَى ذَلِكَ لَا يَقْبِضُ الْعَقْلُ الْمَيْتَافِيزِيكِيَّ إِلَّا عَلَى مَا يُنَاسِبُ تَوَقُّعَهُ وَيَنْبُذُ كُلَّ مَا يُزْعِجُهُ مِنْ قَبِيلِ الصَّيْرُورَةِ وَالْمُتَعَذِّرِ إِذْرَاكِهِ ، وَالشَّرِّ وَالْأَلَمِ وَالْمُرْعِبِ وَالْمَوْتِ⁶⁰² ؛ وَالْعَدَمِيَّةُ الْفَلْسَفِيَّةُ أَوْ الْدِينِيَّةُ لَمْ تَفْهَمْ ضَرُورَةَ الْأَلَمِ وَالصَّيْرُورَةِ بِوُصْفِهَا شَرْطًا لِقِيَمُومَةِ الْإِنْسَانِ الْأُسْمَى ، بَلْ اتَّخَذَتِ الصَّيْرُورَةَ وَالْأَلَمَ وَالْعَجَزَ مَطِيَّةً وَذَرِيعَةً لِاصْطِنَاعِ عَوَالِمٍ كَيْتُونَةٍ وَعَوَالِمٍ أُخْرَى⁶⁰³ حَيْثُ يَنْتَصِبُ السَّلَامُ وَالسَّعَادَةُ وَالْهُدُوءُ الدَّائِمُونَ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّمَثُّلَ الْمَيْتَافِيزِيكِيَّ لِلْوُجُودِ مُلَوَّثٌ بِالتَّمَثُّلِ الْكَهْنُوتِيِّ وَالمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ الَّذِي مِنْ سِيمَاتِهِ كَمَا يَقُولُ نَيْتْشَةُ: "الرَّغْبَةُ فِي

⁵⁹³EH, Trad. Henri Albert, sur Naissance de la Tragédie (NT) § 3 : « ... il s'agit de devenir, par-delà la peur et la pitié, l'éternelle joie du devenir lui-même. ».

⁵⁹⁴VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, P. 345. Voir WP, Trans. Walter Kaufmann , R.j.Hollingdale, 1044 (1885-1886) : « There is a need for those who will sanctify all activities, not only eating and drinking-and not merely in remembrance of them and to become one with them, but this world must be transfigured ever anew and in new ways ».

⁵⁹⁵David B. Allison, The New Nietzsche : Contemporary Styles of Interpretation, MIT Press, 1985, p.218 : « Rather, Nietzschean beatitude is a kind of gratitude " for the plentitude and excess of existence itself... This is the tragic conception of life, wherein suffering is intrinsic to the very sanctity of life ».

⁵⁹⁶FP, XIV, 15 [30]. PP. 188-189. Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, P. 143.

⁵⁹⁷VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, PP. 11-35-44. Voir FP, XIV, 15 [30]. PP. 188-189. Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 133, P. 239 : « ... le monde n'a pas de sens par devers lui mais des sens innombrables-« perspectivisme » ».

⁵⁹⁸GS, Trad. Henri Albert, § 346. Voir la traduction de Patrick Wotling.

⁵⁹⁹Karl Schlechta, Le cas de Nietzsche, Trad. André Coeuroy, Gallimard, p. 24.

⁶⁰⁰CI, Ce que je dois aux anciens, § 04.

⁶⁰¹Juliana Cornelia de Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, p. 291.

⁶⁰²Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, p. 22.

⁶⁰³APZ, Des hallucinés de l'arrière-monde. ينظر كل المقطع.

الهروب من المظهر والتعبر والصيرورة والموت كل هذا يغني، ولتتجرأ على الفهم، إرادة عدم⁶⁰⁴ ومفتًا للحياة⁶⁰⁵، وتمردًا على الشروط الأساسية للحياة^{606***} ...⁶⁰⁷. وهذا الفلج الإصفي، باعتباره عزفًا بالوجه الرحموتي من الحياة وجحدًا بالوجه الجبروتي منها، هو الذي ما انفك يثير ثائرة نيتشه وجام نفوده، وليس بدعًا ألا يألوا الإنسان المريض بمثل هذا المرض جهدًا في نفي كل ما يوجس منه خيفة من أهواء ورغبات خشية منه من ألا يتمكّن من الأخذ بزمامها، ولا جرم أن يفزع من الحواسي ومما هو ماديّ وحيوانيّ فيه؛ مخاوف كهاته لا شك من تفضيتها، بحثًا عما يهدئ الرّوع، إلى اختلاق عالم حقيقيّ فوق حسيّ⁶⁰⁸. يتراعى هذا الإدراك الميتافيزيقيّ لما يوافق فقط نزوعنا الداخليّ إلى الثبات والسلام أو إلى العالم الحقيقيّ- هناك فيما وراء عالمنا الصائر- إلى نفي الاختلاف أو تشذيبه وفق الخصائص المثالية التي ينطبع بها العالم الحق الذي اختلقناه، وبهذا المعنى يكون الفيلسوف ذاك الشخص الذي اضطلع برّد الأغيار [أعني المتعدّد والمختلف والشارد والشاذ] إلى نفسه لا شيء إلا كي يضمّن سكينته "المعنى" هروبًا من فزاعة "اللامعنى" التي ترهق كاهله⁶⁰⁹ (يقصد بالنفس هنا عالمه الجواني المألوف)، لكن خطية هذا الضرب من الرّد في تجريد الأشياء والأحداث من محاضها وخواصها في خطاطات ومنظومات فلسفية تعكس قبل كل شيء نفسانيات الفلاسفة من حيثية توفيقها إلى عالم ساكن وهادي ومطمئن ومن حيثية اكفهرارها من طبائع العالم من حيث هي الكثرة والصراع والتراثب والصيرورة.

⁶⁰⁴GM, Trad. par Henri Albert, III, § 28. « ... une volonté d'anéantissement ».

في ترجمة هنري ألبير : "إرادة تعديم".

⁶⁰⁵Ibid : « ... une hostilité à la vie ». "عداء للحياة". في ترجمة هنري ألبير

⁶⁰⁶*Ibid : « ... un refus d'admettre les conditions fondamentales de la vie »

في ترجمة هنري ألبير : جحودًا للشروط الأساسية للحياة".

⁶⁰⁷Ibid, Trad Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, III, § 28. Voir FP, VII, 8 [2].

⁶⁰⁸Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, p. 6.

⁶⁰⁹Ibid, p. 8.

القِسْمُ الثَّانِي: النَّظَرِيَّةُ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةُ عِنْدَ نَيْتْشَه

الفصل الأول: مقومات النظرية القيمية عند نيتشه

المبحث الأول: التّفْويْمُ بَيْنَ الدِّلالَةِ الأَوْنَطُولُوجِيَّةِ وَالدِّلالَةِ الإنْسِيَّةِ

دأبَ التّقْلِيدُ الفَلَسَفِيُّ مُذْ أَفَلَاطُونُ إلّا فِيمَا نَدَرَ أَنْ يُفَكَّرَ قِيَمَةً (مَعْنَى) الأَشْيَاءِ باعتبارها مُنَحْدَرَةً مِنْ حَيِّزٍ سَامٍ، مَعْقُولٍ أَوْ مِنْ حَيِّزٍ مَحْسُوسٍ، وَضِعَ وَهَكَذَا أَقِيَمَتِ الْقِيَمُ وَفَقَ تَفْسِيرٍ مَكَانِيٍّ⁶¹⁰ وَعَلَى أَغْقَابِ ذَلِكَ طَفِقَ هَذَا التّقْلِيدُ ذُو الْمَنْزَعِ الأفَلَاطُونِيّ يَنْظُرُ إلَى الْمَعْنَى وَالْقِيَمَةِ لَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ عَالِمِيًّا بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَغَرَائِزٍ وَتَارِيخٍ بَلْ مِنْ حَيْثِيَّةٍ عَالَمٍ مِيتَافِيزِيْقِيٍّ، أَبَدِيٍّ، مُجَرَّدٍ مِنْ كُلِّ طَبَائِعِ عَالَمِ الْفَسَادِ (الْحَيَاةِ) بِوَصْفِهَا مَحْسُوسًا).

وَلَمْ نَشْهَدْ قَطِيعَةً جَذَرِيَّةً مَعَ هَذَا الْمَنَوَالِ الفَلَسَفِيِّ إلّا مَعَ نِيتَشَةِ الذِّي فَكَّرَ الْقِيَمَ وَفَقَ حَيْثِيَّتَيْنِ: أَوَّلًا حَيْثِيَّةً أَنْثَرُوبُولُوجِيَّةً تَكُونُ فِيهَا الْقِيَمُ مُتَوَقَّفَةً وَجُودًا وَعَدَمًا عَلَى التَّأْوِيلِ الْبَشَرِيِّ أَيْنَ الْإِنْسَانُ يَضْطَلِعُ بِدَوْرٍ جَسِيمٍ يَتِمَثَّلُ فِي وَضْعِ الْمَعَانِي وَإِنْشَاءِ الْقِيَمِ فِي عَالَمٍ غُفْلٍ حَالٍ مِنَ الْمَعْنَى⁶¹¹، وَيُعَيَّرُ نِيتَشَةُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "فَالْإِنْسَانُ هُوَ الذِّي يَضَعُ الْقِيَمَ فِي الْأَشْيَاءِ، بُغْيَةً الْمُحَافَظَةِ عَلَى بَقَائِهِ—فَهُوَ الذِّي يَخْلُقُ لِلْأَشْيَاءِ مَعْنًى"⁶¹²، مَا يَعْنِي أَنَّهَا تَتَحَوَّلُ وَتَتَنَوَّعُ طَبَقًا لِتَغْيِيرِ الْخَالِقِينَ لَهَا⁶¹³ وَعَلَيْهِ فَالْقِيَمُ لَيْسَتْ كَمَا نَبَسَتْ بِهَا الْمَزَاعِمُ أَشْيَاءَ مُعْطَاةً مِنْ قَلْبِ الْأَشْيَاءِ وَالْوَقَائِعِ وَمُنْفَلَتَةً مِنَ الْإِرْتِيَابِ وَالْمُسَاءَلَةِ⁶¹⁴ بَلْ هِيَ، مِثْلُهَا مِثْلُ الْمَفَاهِيمِ وَالْحَقَائِقِ، نَتِيجَةٌ لِلتَّأْوِيلَاتِ الذَّاتِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَالتِّي يَعْتَوِّرُهَا مَا يَعْتَوِّرُ الْإِنْسَانَ مِنْ عِلَامَاتِ النِّقْصِ⁶¹⁵.

وَإِثْرَ ذَلِكَ لَنْ تَكُونَ الْقِيَمُ الْمَسِيحِيَّةُ أَبَدِيَّةً وَكُونِيَّةً كَمَا يَزْعُمُ الدِّينُ الذِّي يَكْرُزُ بِهَا⁶¹⁶، بَلْ هِيَ صُنْعُ الْإِنْسَانِ لَا غَيْرُ. ثَانِيًا: حَيْثِيَّةً أَوْنَطُولُوجِيَّةً يُدْحَضُ فِيهَا إِدْعَاءُ كَوْنِ الْقِيَمِ مِنْ يَنْبُوعِ الْوَهْيِ وَيَقَامُ فِيهَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا نَتِيجَةُ الصِّوْرَةِ الْكُونِيَّةِ⁶¹⁷.

⁶¹⁰Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 212 : « ... pour elle, l'axiologie est une topologie... ».

⁶¹¹GS, Trad. Patrick Wotling, Flammarion, Paris, 1997, § 301 : « la nature n'a jamais de valeur ».

⁶¹²APZ, Trad. Henri Albert, Maxi-Livres, Paris, 1998, Première partie, « Milles et un buts », p. 62 « C'est l'homme qui mit des valeurs dans les choses, afin de se conserver - c'est lui qui créa le sens des choses ».

⁶¹³Ibid: « ... les valeurs changent lorsque le créateur se transforme ».

⁶¹⁴GM, Trad. Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, Folio Essais, Gallimard, Paris, 1971, § 6 : « ... on a considéré la valeur de ces valeurs comme donnée, comme réelle, comme au-delà de toute mise en question... ».

⁶¹⁵Tarmo Kunnas, Nietzsche, ou, L'Esprit de contradiction, p. 32.

⁶¹⁶Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, Transparence, 2006, p. 263.

⁶¹⁷Christophe Baroni, Nietzsche éducateur : de l'homme au surhomme, Buchet/Chastel, 1961, p. 55 : « Que les anciennes et vénérées tables de valeurs n'aillent pas se targuer d'une origine divine et métaphysique ! Comme tout ce qui existe, elles sont le résultat d'un devenir, donc discutables ».

ليس بغيرٍ ألا يقتصر تغير الكينونة، في ظل هذه المقاربة النيتشوية، على الصعيد الأونطولوجي وإنما يشمل أيضاً الصعيد الأكسيولوجي، ما يجعل موضوعات العالم لا تنفك عن عمليات الترتيب والصياغة تبعاً لألواح القيم المتباينة والمتعددة وفي صورة منظورات يصطنعها ما سماه نيتشه بالحَيَوَان المُقَوِّم عن جدارة وتميز (الإنسان)⁶¹⁸ وبالتفوييم يخلق ما شاء له أن يخلق من التقاويم؛ ذلك أن التفوييم كما حدثت زرادشت هو عينه خلق⁶¹⁹، وهو كوسيط للكينونة في حضرة القيمة، وهو الذي يزود وجودها بالقيم، وهو أيضاً وسيط القيمة في حضرة الكينونة، لأنه يعزو قيمة للكينونة⁶²⁰.

لا مَعْدَى عن الإشارة إلى أن نيتشه بعدما أراح جانباً المعايير الميتافيزيقية في تأسيس القيم، لم يقدر أن يتخلص من مطلق آخر به قوّم القيم⁶²¹، ولا مشاحة في قولنا إن مطلقيته يستمدّها من كونه مبدأ تقويم يغلو على جميع التقاويم، فهو في حقيقته المفهومية ميتا-مبدأ لأمشروط به تعايير القيم الإنسانية برمتها، وليس هذا المبدأ المحدّد لقيمة القيم إلا الحياة⁶²²، باعتبارها الافتداز الأونطولوجي الذي تتوقف قيمة الأشياء عليها⁶²³، ومن ثم فلا قيمة للأشياء إلا بمقدار ما تحسن الحياة⁶²⁴ وتثبتها في كل أحوالها وأوضاعها⁶²⁵.

⁶¹⁸GM, Trad. Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, II, § 8, «l'animal estimateur par excellence». Voir Sarah Kofman, Nietzsche et la métaphore, Galilée, 1983, p. 69. Voir Christine Daigle, Le nihilisme est-il un humanisme? : Étude sur Nietzsche et Sartre, Presses de l'Université Laval, 2006, p. 68.

⁶¹⁹APZ, Maxi-Livres, Trad. Henri Albert, Première partie, «Milles et un buts»: «Évaluer c'est créer: écoutez donc, vous qui êtes créateurs! C'est leur évaluation qui fait des trésors et des bijoux de toutes choses évaluées. C'est par l'évaluation que se fixe la valeur: sans l'évaluation, la noix de l'existence serait creuse. Écoutez donc vous qui êtes créateurs!». Voir Lee Spinks, Friedrich Nietzsche, Psychology Press, 2003, p. 124: «Therefore he calls himself, 'Man', that is: the evaluator. Evaluation is creation: hear it, you creative men! Valuing is itself the value and jewel of all valued things. Only through evaluation is there value». See «Lester H. Hunt, Nietzsche and the Origin of Virtue, Routledge, 2005, p. 29: «... He tells us that we are, more than anything else, beings that evaluate things: «Only man placed values in things».

⁶²⁰Mathieu Kessler, Nietzsche ou le dépassement esthétique de la métaphysique, PUF, Paris, 1999, p. 48: «... l'homme est le médiateur de l'être auprès de la valeur, c'est lui qui procure leur existence aux valeurs, et le médiateur de la valeur auprès de l'être, car il attribue une valeur à l'être».

⁶²¹Karl Jasper, Nietzsche. Introduction à sa philosophie, Gallimard, Tel, Paris, 1978, p. 148: «Nietzsche ne peut rejeter tout inconditionné que ce soit, qu'en s'appuyant sur un nouvel inconditionné. Il sait lui-même que c'est inévitable». Voir Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 165.

⁶²²Anthony K. Jensen, Carlotta Santini, Nietzsche on Memory and History: The Re-Encountered Shadow, p. 31: «... I think it is Nietzsche's principal justification for his values: life gives the main criterion by which he carries out his 'revaluation of values...». Louis Corman, Nietzsche, psychologue des profondeurs, 1982, p. 81: «Cette plénitude de vie est pour Nietzsche le critère essentiel de la valeur».

⁶²³John Richardson, Nietzsche's Values, Oxford University Press, 2020, p. 98: «power is something more basic than a value for Nietzsche: it's the criterion values are judged by». See K. Mitcheson, Nietzsche, Truth and Transformation, palgrave Macmillan UK, 2013, p. 50: «While the enhancement of life (which, as I will show understood by Nietzsche as will to power) is ultimately Nietzsche's criterion of value, it cannot be equated with his criteria of truth. What counts as truth is independent of its value».

وَلَا عَزُوْا أَنْتُمْ فِي أَنْ تَسْتَمِدَّ تَقْوِيَمَاتُنَا مَشْرُوعِيَّتَهَا ، بِمَا هِيَ فَعَالِيَّاتُ الطَّبِيعَةِ الْمَطْبُوعَةِ ، مِنْ هَذَا الْمَبْدَأِ
وَالْمِعْيَارِ بِاعْتِبَارِهِ الطَّبِيعَةَ الطَّابِعَةَ ؛ فَالْمَقْوَمُ وَالْمَقْوَمُ ، عَلَى ضَوْءِ هَذَا الْإِعْتِبَارِ النِّيَتَشَوِيِّ ، مُتَحَدَانِ اتِّحَادًا
غُضْوِيًّا كَاتِّحَادِ الْجُزْءِ بِالْكُلِّ وَهَكَذَا يَكُونُ النَّقْدُ لَا بِاعْتِبَارِ مُتَعَالٍ وَلَا بِاعْتِبَارِ جُزْئِيٍّ وَإِنَّمَا بِاعْتِبَارِ الْمُحَايَاةِ
الْكُلِّيَّةِ (الْحَيَاةِ) ، يُعَبِّرُ نِيَتَشْه عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: " حِينَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِيَمَةِ ، فَإِنَّمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ إِلْهَامٍ [عَنِ
وَحْيٍ] ، مِنْ دَاخِلِ مَنْظُورِ الْحَيَاةِ: فَالْحَيَاةُ هِيَ الَّتِي تَضْطَرُّنَا إِلَى وَضْعِ الْقِيَمِ ، وَالْحَيَاةُ هِيَ الَّتِي "تَقْوُمُ"
مِنْ خِلَالِنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَضَعُ الْقِيَمَ"⁶²⁶.

بِصَرْفِ الطَّرْفِ عَنْ شُدُورِ نِيَتَشْه الَّتِي اقْتَصَرَ فِيهَا فِعْلُ خَلْقِ الْقِيَمِ عَلَى الْإِنْسَانِ⁶²⁷ ، فَإِنَّ هَذَا الشَّاهِدَ
الْوَارِدَ مِنْ قَرِيبٍ يَقْتَضِي تَقْوِيَمَ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَنْثَرُوبُولُوجِيِّ ، الَّذِي يَجْعَلُ التَّقْوِيَمَ مَاهِيَةً إِنْسَانِيَّةً⁶²⁸ ، إِلَى
الصَّعِيدِ الْأُونُطُولُوجِيِّ ، لِتُصَحِّحَ الْحَيَاةُ نَفْسَهَا مُتَقَوِّمَةً بِالتَّقْوِيَمِ بِوَصْفِهِ فِعْلًا حَيَوِيًّا لَهَا يَشْمُلُ الْمُتَعَضِّيَّاتِ
الدُّنْيَا⁶²⁹ ، مِثْلُهُ مِثْلُ فِعْلِ الْمَفَاضِلَةِ وَالْمُبَايَنَةِ وَالظُّلْمِ⁶³⁰.

⁶²⁴Edgar Evalt Sleinis, Nietzsche's Revaluation of Values : A Study in Strategies, University of Illinois Press, 1994, p. 13 : « The Enhancement of Life For Nietzsche, a principal requirement of values is that they enhance life (WP. 354) ».See Michael Mahon, Foucault's Nietzschean Genealogy : Truth, power, and the Subject, SUNY Press, 1992, p. 38 : « ...in which enhancement of life functions for Nietzsche as the criterion of value ».See Manuel Dries, Nietzsche on Consciousness and the Embodied Mind, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2018, p. 275 : « Nietzsche's set of values are aimed at promoting Life's interest ».

⁶²⁵Lawrence Hatab, Nietzsche's Life Sentence : Coming to Terms with Eternal, Routledge, 2013, p. 47 : « Nietzsche's conception of life-affirmation goes far beyond life-enhancement; it aims for a global affirmation of all life condition ».

⁶²⁶CI, Trad. Jean-Claude Hémery, Gallimard, Paris, 1974. « La morale, une anti-nature », § 5, « Quand nous parlons de la valeur, nous parlons sous l'inspiration, dans l'optique de la vie : c'est la vie qui nous force à poser des valeurs, c'est la vie qui « valorise » à travers nous chaque fois que nous posons des valeurs ». Voir Yvon Quiniou, Nietzsche ou l'impossible immoralisme : lecture matérialiste, p. 299. Voir Patrick Wotling, Nietzsche et le problème de la civilisation, PUF, 1995, p. 113.

⁶²⁷HTH, Trad. Henri Albert, Tome II, Le voyageur et son ombre, § 21 : « Peut être pourrait —on ramener toute l'origine de la moralité des hommes à l'énorme agitation intérieure qui saisit l'humanité primitive lorsqu'elle découvrit la mesure et l'évaluation, ma balance et la pesé. (on sait que le mot « homme » signifie celui qui mesure, il a voulu se dénommer d'après sa plus haute découverte !) ».

⁶²⁸BGE, prelude to a philosophy of the Future, introduction : « ... The third is that human life is value - oriented in its very essence... ».

⁶²⁹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 29 : « ... on trouve même chez les organismes inférieurs la notion de ce qui est « supérieur » ou « inférieur » le choix de ce qui est important, plus utile, plus urgent. « Vivre » c'est déjà « apprécier ». toute volonté implique une évaluation... ».

⁶³⁰PBM, Trad. Henri Albert, § 9 : « La vie ne consiste-t-elle pas précisément à vouloir évaluer, préférer, à être injuste, limitée, autrement conformé ? ».Voir Simon May, Nietzsche's On the Genealogy of Morality : A Critical Guide, Cambridge University Press, 2011, p. 159 : « [Der Optik des Lebens] : life itself forces us to put it values; life itself values ... working in the wake of, as Nietzsche would put it, the "death of God" ».

هذه المحايثة المطلقة تجعل الحياة في الآن ذاته الفاعل الحقيقي للتأويل كلما أخذ عضو ما صورةً محدّدة، وهي أيضًا، من حيث كونها إرادة الاقتدار⁶³¹، تحدّد وتعيّن درجات الاقتدار وتبأيّتها وهي أيضًا، من حيث كونها إرادة نماء، من يستشعر التبأيّات في الاقتدار⁶³² موضوع التأويل⁶³³. لا مزية من أن نبأشر الحياة عملية التّفويم فينا من خلال البعد الهووي؛ إذ التّفويم بها هو تأويل عبارة عن عرض لأحوال فيزيولوجية معيّنة ولمستويات عقلية متعلّقة بالأحكام المسيطرة؛ باختصار هو عرض لأهوائنا⁶³⁴ بوصفها فعاليات حيوية للحياة نفسها.

ومادامت الحياة متقوّمة بتعددية القوى وتنازعها، فلا مصرف عن القول بوجود تقويمات متعدّدة لا تتأسس على تعالٍ ميتافيزقي ولا على عقلانية صورية وإنما تقوم على إرادة الاقتدار بها هي ماهية الحياة، ولذلك لم يجد جون لافرونك عن جادة الصواب لها كتب: "ليس البتة انطلاقًا من موقف أخلاقي، مكتسب ومؤسّس بصورة متينة في النهاية، يُمكننا أن نبذل السحب المتقلّبة [السحب المختلطة] للقيم الزائفة، بل على النقيض من ذلك فالنزعة اللاأخلاقية المضمرّة في فرضية إرادة الاقتدار هي التي توضح تعددية التقاويم⁶³⁵".

يحملنا هذا على القول إن التقاويم والقواعد التي نصوغها ونشرّعها لا تُعبر عن فعاليات مستقلة عن الحياة ولا عن معقولات مفارقة وإنما هي من وحي إرادة الاقتدار وتعيّياتها⁶³⁶. إلّا ما يشير هذا كله؟ طبعًا إلى أن التقاويم بوصفها مضامين يُمكن إيجادها كما يُمكن إعدامها، بيد أن التّفويم بوصفه فعلًا أونطو-أكسيولوجيًا لا منفذ إلى الغايه ما دامت الحياة في مآييتها تقويمًا⁶³⁷. ويسوقنا هذا المعنى الفريد لتأويل

⁶³¹GS, II, § 12 « l'essence la vie est volonté de puissance ». Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 146 : « Ma formule, la voici, la vie est volonté de puissance ». Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre III, § 8.

⁶³²FP, XII, 2 [148] : « ... quand un organe prend forme, il s'agit d'une interprétation ; la volonté de puissance délimite, détermine des degrés, des disparités de puissance. De simples disparités de puissance resteraient incapables de se ressentir comme telles : il faut qu'existe un quelque chose qui veut croître ».

⁶³³François Laruelle, Nietzsche contre Heidegger : thèses pour une politique, p. 46 : « La VP n'est pas seulement ce qui interprète. Elle est tout autant ce qui est interprété ».

⁶³⁴FP, XII, 2 [190] : « L'interprétation elle-même est un symptôme de certains états physiologiques ainsi que d'un certain niveau intellectuel des jugements dominants. Qui interprète ? - nos affections ».

⁶³⁵Jean Lefranc, Comprendre Nietzsche, p. 116 : « Ce n'est plus à partir d'une position morale enfin conquise et solidement fondée qu'il est possible de dissiper les nuées confuses des fausses valeurs, c'est au contraire l'immoralisme implicite à l'hypothèse de la volonté de puissance qui éclaire la multiplicité des évaluations ».

⁶³⁶FP, X, 26 [414] : « ... ces jugements de valeur nous sont inspirés et sont réglés par notre volonté de puissance ».

⁶³⁷FP, IX, 12 [9] : « Le fait même d'évaluer, comment pourrait-il être détruit ! N'est-ce pas la vie même que - d'évaluer ! »

القيمة إلى أن إرادة الاقتدار (الحياة) لا يمكن أن تتعلّق داخل نسق من القيم؛ ذلكم أنّها تُزعزع كلّ تحديد جوهريّ ما دامت لا تتكلّ عن الاندفاع الغريزيّ الذي يمضي فيما وراء النجوم⁶³⁸.

ترامى بنا ما أوردناه أعلاه إلى أن التقويم كمضمون لا يستنفذ التقويم كفاعلية؛ إذ التّقوايم مفعولات لفاعلية التقويمية، وبلغة لاهوتية نقول إنّ فعل التكوين بما هو تقويم (كن) اقتدار لانهائيّ بينما المخلوقات، بما هي مقومات، تعيّنات محدّدة. ولا يعزّب عن هذه الفعالية العالم اللاعضويّ ولا العالم العضويّ، إذ الكلّ في فلك التقويم يسبحون. وإذا كان الإنسان تعدّدية من إرادات الاقتدار يتوسّل كلّ منها تعدّدية من وسائل التغيير ومن الأشكال⁶³⁹، فإنّ فعل التقويم الأونطو-أكسيولوجيّ تعدّدية تقويمية أيضًا تتمثّل وتتّوَعَب موضوعات العالم وفق منظورات شتى تتصارّع أحيانًا وتتعاوض أحيانًا أخرى، ما يجعل الإنسان على سبيل المثال مسرحًا للتّقوايم اللاواعية التي تصطنع حياته القيمة من وراء عدسة الوعي. وهذي التقوايم في محاضها مقادير من الاقتدار مكثفة ومنظمة؛ ما يعني أنّ القيمة بالنسبة إلى نيتشه طاقة جرى تنظيمها وتكثيفها في صورة حكم⁶⁴⁰.

المبحث الثاني: أفاعيل التقويم والتخطيم: المفاضلة، الممايزة، القلب، الخلق

شفّ حديثنا المذكور أنّنا عن كون إرادة الاقتدار، بما هي مبدأ حيويّ يعبر عن المحايثة الحياتية، مسؤولاً عن المفاضلة بين القيم تبعًا لما تشتمل عليه من الاشتداد الديناميكيّ أو الخور الحيويّ، كتب في ذلك كارل ياسبر: "في نظر نيتشه، فبناء سلم قيم تفاضليّ أمر مؤسّس، لكن فقط بمقدار ما يُحيل إلى ما هو حيّ حقيقته"⁶⁴¹. لكن من الوجهة أن تووّل لفظة الحيّ من عبارة ياسبر هنا وفق تخريج تفاضليّ لتفيد الحياة الصاعدة السليمة لا الحياة السقيمة؛ هذا التفاضل الحياتي⁶⁴² هو المسوّغ الأكسيولوجيّ للمفاضلة بين القيم⁶⁴³ طبقًا لطبيعة الحياة التي تُسفر عن ذاتها فيها، أهي حياة هابطة أو

⁶³⁸Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 495: « La Volonté de puissance ne peut s'enfermer dans le système de ses valeurs, elle ébranle nécessairement toute détermination substantielle, puisqu'elle est l'impulsion invincible à aller toujours ».

⁶³⁹FP, XII, 1 [58]: « L'homme en tant que multiplicité de « volontés de puissance » : chacune avec une multiplicité de moyens d'expression et de formes ».

⁶⁴⁰FP, XIII, 11 [83]: « A quoi donc se mesure objectivement la valeur ? Uniquement au quantum de puissance intensifiée et organisée ».

⁶⁴¹Karl Jasper, Nietzsche. Introduction à sa philosophie, p. 147: « Selon Nietzsche, la constitution d'une hiérarchie des valeurs est fondée, mais seulement pour autant qu'elle se réfère à ce qui est véritablement vivant ».

⁶⁴²VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 530: « Je distingue un type de vie ascendante et un type de décadence, de décomposition, de faiblesse ».

⁶⁴³CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 4: « Je mets un principe en formule. Tout naturalisme dans la morale, c'est-à-dire toute saine morale, est dominée par l'instinct de vie, — un commandement de la vie quelconque est rempli par un canon déterminé d'« ordres » et de « défenses », une entrave ou une inimitié quelconque, sur le domaine vital, est ainsi mise de côté. La morale antinaturelle, c'est-

صاعدة، يقول نيتشه: "تؤلف الحياة" الصاعدة "والحياة" النازلة "معاً مآربها الفصوى تحت صورة ألواح القيم"⁶⁴⁴. ولا مندوحة في مشروع يقدم نفسه على أنه إعادة تقويم للقيم جمعاء من أن يحدد تفضلاً بين القيم⁶⁴⁵.

تقودنا الوشيجة بين الحياة والقيمة إلى الإشارة إلى أن القيم تتخذ مسلكين متناقضين تبعاً لِمَطين من الحياة ضمن الحياة نفسها. ووصلة نيتشه للكشف عن طبيعة المسلك القيمي والنمط الحياتي هي مجموعة من الأجزاء والأسئلة، يُسفر عنها بقوله: "تكمُن المسألة في معرفة أي مقدار يكون فيه حكم ما قادراً على تركية وترقية الحياة والحفاظ عليها، وعلى النوع، بل على تحسينه"⁶⁴⁶. ويسأل القيم على هذا المنوال: "أهي علامات على الضيق والإفقار وتقهقر الحياة؟ أو أنها تعبّر على التقيض عن ملأ الحياة، وقوتها، وإرادتها، وبسالتها، ورجائها ومستقبلها؟"⁶⁴⁷، وبفضل هذه التيبو-جينيا لوجيا Typo-généalogie لا يتهيأ للفيلسوف تمييز القيم الرئيسة فقط وإنما يتمكّن أيضاً من المفاضلة بينها باعتبارها من الواجبات الأساسية للفيلسوف، لذلك أفصح نيتشه: "يتبغى للفيلسوف أن يحلّ مشكلة القيم، يجب أن يحدد السلم التفاضلي للقيم"⁶⁴⁸. وهذا بالفعل ما يؤلف، على ما يُثبته قدر كبير من القرائن النصية، قوام الفلسفة النيتشوية التي وضعت تمييزاً، بناءً على القوة التفاضلية، بين نمطين من الحياة أونطولوجياً⁶⁴⁹ وتيبوننة جلية بين صنفين من الأخلاق أكسيولوجياً⁶⁵⁰.

لا يكون التمييز بين نمطي الحياة وصنفي الأخلاق متيناً إلا إذا ارتكز إلى مبدأ مُحايث، لذلك لا مندوحة للقيم من مبدأ تأسيسي مُقتدر يعمل على إعادة اللحمة بين الإنسان والعالم وليس هذا المبدأ،

à-dire toute morale qui jusqu'à présent a été enseignée, vénérée et prêchée, se dirige, au contraire, précisément contre les instincts vitaux —, elle est une condamnation, tantôt secrète, tantôt bruyante et effrontée, de ces instincts ».

⁶⁴⁴FP, XIV, 1888-1889, 15 [2] : «La vie «montante» et la vie «descendante» : toutes deux se formulent leurs besoins suprêmes sous la forme de tables des valeurs ».

⁶⁴⁵Malcolm Bull, *Anti-Nietzsche*, Verso Books, 2014, p. 44. See Otfried Höffe, *Nietzsche and German philosophy*, Cambridge University Press, 2021, p. 131.

⁶⁴⁶PBM, Trad. C. Heim, *Folio Essais*, Gallimard, Paris, 1971, § 4 : « La question est de savoir dans quelle mesure un jugement est apte à promouvoir la vie, à la conserver, à conserver l'espèce, Voir à l'améliorer... ».

⁶⁴⁷GM, Trad. Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, «Avant-propos, § 3 : «Sont-ils des signes de détresses, d'appauvrissement, de déclin de la vie ? Ou expriment-ils au contraire la plénitude de la vie, sa force, sa volonté, son courage, son espérance, son avenir ? ». Voir Charles Murin, *Nietzsche problème : généalogie d'une pensée*, Presses de l'Université de Montréal, 1979.p. 54.

⁶⁴⁸Ibid, I, § 17 : « ... le philosophe doit résoudre le problème de la valeur, il doit déterminer la hiérarchie des valeurs ».

⁶⁴⁹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 530. Voir Lee Spinks, *Friedrich Nietzsche*, p. 144 : « In this sense, Nietzsche could do no other than use language to describe a force of differentiation and reinterpretation that brings every structure of being into existence and determines their order and hierarchy ».

⁶⁵⁰CI, Trad. Henri Albert, *La morale en tant que manifestation contre nature*, § 4.

كما نطقت به النصوص، إلا إرادة الاقتدار⁶⁵¹ التي تنطوي على كل الإمكانيات المناسبة لعملية الخلق المستمر للقيم. لا مراعٍ لنا عن سؤال يفرض نفسه هنا: ألا تقضي المقاربة النيتشوية للقيمة إلى رد الحياة إليها، أي رد الكلية إلى الجزئية؟ أو أن للقيمة دلالة جديدة تتلافى الوقوع في مطب اختزال الحياة في الإنسان أو الحياة في القيمة؟. ولقد قام جواب نيتشه على ساقٍ ليتجاوز مطب الاختزال من خلال مدّ التقويم ليصبح فاعليةً أو نطولوجيةً للحياة تقوم بها، ولا مجال لافتعال مشكلة الاختزال ولا سبيل للاعتراض بهذا الاعتراض ما دامت الديناميكية الجزئية للإنسان المقوم تعبيراً عن الديناميكية الكلية للحياة المقومة.

ليس لنا سبيل للحديث عن قلب جذري للقيم من غير أن يكون ذلك الحديث مؤسساً على إرادة الاقتدار⁶⁵²، ولا ريب أن محورية إرادة الاقتدار في مسألة الهدم والبناء لدى نيتشه هي التي ساقَتْ هايدغر إلى القول بإشارة العنوان الفرعي الموسوم بـ "محاولة لقلب القيم جميعاً"⁶⁵³ - والذي أعطاه نيتشه لمصنفه إرادة الاقتدار المنسجم مع تخطيط 17 مارس 1887م - إلى أسبقية نقد القيم في تصوّر نيتشه على تشييد القيم الجديدة، إذ لا ينفصل إبداع القيم عن تقويضها، شريطة أن يمضي القلب إلى تغيير جذري للمعيار وعنصر التقويم⁶⁵⁴، وهذا لا يشهد إلا بشمولية النقد النيتشوي الذي لم يأت فقط على القيم الصغرى بل على كل المباني والركائز المؤسسة لبتلكم القيم وعلى رأسها الله بوصفه المشرّع والحارس الميتافيزقي لمطلقيتها⁶⁵⁵.

ولقد تسارعت كتابات نيتشه إلى إثبات توقف قيم الإنسانية الجديدة بادي الأمر على نفي تقويسي ونقدي، نظري وعملي للقيم التقليدية⁶⁵⁶، وهذا الاقتراض الحميم بين الشقّ الدُميري والشقّ الخُلقي هو ما دلت عليه بَيّنات نيتشه الناصعة، فهو الذي قال: "حقيقة على الذي هو خلاقٌ قسراً في الخير والشر، أن يكون أولاً ولا بد من ذلك نافعاً للقيم ومحطماً لها"⁶⁵⁷.

لكن لا ينبغي أن نفهم من هذا أن النفي يسبق الإثبات من كل الحثثيات؛ ذلك أن الإجراء التقويسي لدى نيتشه ما كان له أن يتأسس إلا على رؤية إثباتية تكونت في حدوسه وجرّت عليها بَيّنات أفكاره؛ إذ موقفه البنائي من الحياة فعل فعلته في نقوده ضد التقليد السائد، فطُبعَت النقود على غرارِهِ، وكشَدَّ ما

⁶⁵¹Yvon Quiniou, Nietzsche ou l'impossible immoralisme : lecture matérialiste, p. 307. Voir Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, p. 380.

⁶⁵²FP, XII, été 1886- automne 1887, § 5 [75].

⁶⁵³Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, Gallimard, 1971, p. 30.

⁶⁵⁴Ibid, p. 73.

⁶⁵⁵Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 10.

⁶⁵⁶André Stanguennec, Le Questionnement moral de Nietzsche, p. 129.

⁶⁵⁷APZ, II, De la domination de soi : « ... celui qui nécessairement est dans le bien et le mal un créateur (ein Schöpfer), en vérité nécessairement doit d'abord être (erst sein) un négateur (ein Vernichter) et briser les valeurs ».

اختلط البناء بالنقد في شذوره ، مع علو منزلة الإثبات على منزلة النفي ، لعل هذا ما دفع الشارح جاك روجيه إلى القول: " في فلسفة نيتشه ، تعدُّ إرادة الإثبات في الواقع أولية؛ ما يعني أنها سابقة على موت الله وعلى قلب القيم. كان قصده العميق دوماً إيجابياً ، خلافاً ، وإذا كان يرفض ويحطم القيم القديمة ، فغايتها إنشاء قيم جديدة " ⁶⁵⁸.

في نظراً إنَّ التفسير بين طور نقدي و طور بنائي في فلسفة نيتشه محض إجراء ابستمولوجي ، لكن في واقع التكوين والظهور الفعلي لمفاهيم نيتشه ، فإنَّ الطورين أو الفعلين التدميري والإيجابي مقترنان ، متعالقان ؛ تارة يسبق الهدم الخلق ويمهد له والعكس بالعكس ، وتارة أخرى يضمّر الفعل الأول الثاني والعكس بالعكس ، لكن يجب ألا نذهل عن أن من صوف التدمير الخلق ؛ أجل ربّ خلق جديد للمفاهيم يحطم ما سلف منها ، وهذا ما دعا نيتشه إلى القول: " إنَّ الذي عليه أن يخلق دائماً ما يدمر ⁶⁵⁹ .

ولذلك كان الوجه أن يقال إنَّ القيمة عند نيتشه ليست شيئاً مستقلاً عن الحياة يفرض عليها من الخارج ، وإنما الحياة نفسها قيمة ، لهذه العلة تعدُّ القيمة شرطاً أولياً لها وهو ما يجعل الحياة حياة ⁶⁶⁰ ، إذ أن التثوييم يؤلف قواماً للحياة ، فلا تتصور الحياة إلا وهي تُمارس باستمرار عملية تثوييم على ذاتها ، على هذا النحو يصبح التأسيس الجديد للقيم ضرباً من إقامة الشروط الضرورية للحياة والتي من خلالها ننظر إليها ، فالقيم بعبارة أخرى شروطاً منطوية Conditions perspectivistes إذ لا تحافظ الكائنات الفانية على نفسها ولا تنمي ذاتها في مطاوي الصيرورة إلا وفقاً لعدسة القيم ⁶⁶¹ ، وليست في عين الحقيقة سوى نتيجة لبعض المنظورات المفيدة التي غايتها الحفاظ على بعض أشكال الهيمنة الإنسانية أو تعزيزها ⁶⁶² . ونيتشه بصنيعه هذا يقوِّض القيم بوصفها حقائق موضوعية ويهيئ اللثام عن قيمتها النسبية ، ما يعني أن نقد قيمة القيم يخفي ، كما صرح جون غرانيه ، مسألة حقيقة القيم ⁶⁶³ .

لا يعزب عنا أنَّ النقد القيمي لدى نيتشه يتميّز بالمحايّة ، فهو لا يسأل ولا ينتقد إلا باسم هذه المحايّة الحيوية وهي التي حادته على الاستعاضة عن سؤال الماهية بسؤال القيمة ما يقتضي مقارنة الأحكام

⁶⁵⁸ Jacques Rogé, Le syndrome de Nietzsche, Odile Jacob, 1999, p. 124.

⁶⁵⁹ APZ, Maxi-Livres, Paris, 1998, Première partie, « Milles et un buts » : « Celui qui doit créer détruit toujours ».

⁶⁶⁰ Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, P. 380.

⁶⁶¹ VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 58 : « Le point de vue de la « valeur » consiste à envisager des conditions de conservation et d'accroissement pour des êtres complexes, de durée relative, à l'intérieur du devenir ».

⁶⁶² Ibid, Tome II, Livre III, § 111 : « ... le résultat de certaines perspectives d'utilité bien définies, destinés à maintenir et à fortifier certaines formes de domination humaine ».

⁶⁶³ Jean Granier, Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 165 « En définitive, sous la critique de la valeur des valeurs, se cache la question de la Vérité des valeurs ».

القيَمِيَّة عَلَى ضَوْءِ شُرُوطِهَا وَضَرُورَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ⁶⁶⁴، أَيْ مُسَاءَلَةَ قِيَمَةِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ انْطِلَاقًا مِنْ مَعْرِفَةِ شُرُوطِ وَمُلَابَسَاتِ مِيلَادِهَا؛ تَطَوُّرِهَا وَتَحَوُّلِهَا⁶⁶⁵. وَمُرَاعَاةً لِهَذَا الْمُنَوَالِ الْفَلْسَفِيِّ مَا بَرَحَ نِيَتَشَةُ يَتَّبَعُ آثَارَ الْأَخْلَاقِ وَيَسْتَقْرِئُ أَطْوَارَهَا وَأَشْرَاطَهَا.

إِضَافَةً إِلَى بَسْطَنَاهُ أَغْلَاهُ لَيْسَتْ الْأَخْلَاقُ فِي هَذَا الْأَقْيِ الْأَكْسِيُولُوجِيِّ إِلَّا نَسَقًا مِنَ الْقِيَمِ فِي صَلَةِ بِشُرُوطِ وَجُودِ كَائِنٍ مَا⁶⁶⁶، مَا يُفِيدُ أَنَّ الْقِيَمَ مَنْظُورَاتٌ تَتَعَلَّقُ بِشُرُوطِ الْحِفَاطِ عَلَى الْحَيَاةِ أَوْ إِنْمَائِهَا⁶⁶⁷، بَلِ الْأَخْلَاقُ الْقَدِيمَةُ نَفْسُهَا لَعِبٌ أَهْوَاءٍ جَرَى تَرْسِيخُهَا فِي ظُرُوفِ حَيَاةٍ مُعَيَّنَةٍ⁶⁶⁸، لَكِنَّهَا تَتَنَاقَى مَعَ مَا هِيَ الْحَيَاةُ ذَاتِهَا. إِنَّهَا مَا يَقْصِدُهُ نِيَتَشَةُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْقِيَمَةَ شَرْطٌ لِإِمْكَانِيَّةِ الْحَيَاةِ؛ وَبَلْغَةً أُخْرَى إِنَّ الْحَيَاةَ تَتَّصِلُ بِنَفْسِهَا مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّاتِ التَّقْوِيمِ، لَكِنْ لَيْسَتْ التَّقَاوِيمُ مُتَكَافِئَةً مِنْ حَيْثُ الشَّأْوُ وَالنَّفْعُ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ تَتَفَاوَتُ وَتَتَفَاضَلُ، فِيمَا أَنَّهَا تُقَدِّمُ تَأْوِيلَاتٍ صَحِيَّةً وَثَرِيَّةً تَعْمَلُ عَلَى تَغْزِيرِ الْحَيَاةِ تَعْمِيمًا لَهَا وَتَكْثِيفًا، وَإِمَّا أَنَّهَا تَأْتِي بِتَأْوِيلَاتٍ مَرِيضَةٍ وَفَقِيرَةٍ تَقْتَصِرُ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَاتِهَا دُونَهَا تَجْوِيدٍ وَتَجْدِيدٍ.

وَمِنْ ثَمَّ فَالْحَيَاةُ بِالْقِيَمَةِ تَنْهَضُ عَلَى تَقْدِيرِ نَفْسِهَا، وَهَذَا التَّقْدِيرُ لَيْسَ شَيْئًا غَرِيبًا عَنْهَا بَلْ هُوَ مُمَارَسَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ لِلْحَيَاةِ لِلدَّفْعِ بِنَفْسِهَا قُدَمًا نَحْوَ تَجْسِيدِ إِمْكَانَاتِهَا مَا دَامَتْ مَا هِيَ الْحَيَاةُ التَّجَاوُزَ الْمُسْتَمَرَّ وَالْوَثْبَةَ نَحْوَ مَا لَمْ يُبْلَغْ بَعْدُ، وَلَا سَبِيلَ لِلْقِيَمَةِ عَنْ تَكْثِيفِ الْحَيَاةِ نَفْسِهَا بِنَفْسِهَا بِتَوَسُّلِ الْمَوْجُودِ الْقِيَمِيِّ بِامْتِيَازِ الْإِنْسَانِ⁶⁶⁹ وَوَسِيلَتُهُ إِلَى ذَلِكَ تَقْوِيمَاتُهُ الْأَخْلَاقِيَّةُ الْإِثْبَاتِيَّةُ أَوْ تَقْوِيمَاتُهُ الْفَيْئَةُ الَّتِي تُعَدُّ، بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُتَعَةِ الْجَمَالِيَّةِ، تَكْثِيفًا لِعَرَائِزِ الْحَيَوِيَّةِ وَهَكَذَا تُعَزِّزُ الْأَحَاسِيسَ الْجَمَالِيَّةَ صِلَتَنَا بِالْجُسْمَانِ وَمِنْ ثَمَّ بِالْحَيَاةِ⁶⁷⁰. يَتَبَيَّنُ عَلَى أَعْقَابِ هَذِهِ الْإِبَانَةِ أَنَّ التَّقْوِيمَ مُرْتَبِطٌ بِشَكْلِ حَمِيمِيٍّ بِالْوُجُودِ، حَيْثُ يَتَعَدَّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُوْجَدَ لَوْلَا التَّقْوِيمُ الَّذِي بِهِ يَرَعَى نَفْسَهُ وَجُودًا

⁶⁶⁴PBM, Trad. Geneviève Bianquis, Aubier, Paris, 1951, § 268 : « Les jugements de valeurs trahissent quelque chose de la structure de l'âme, ils montrent ce qu'ils considèrent comme ses conditions de vie, sa nécessité propre ».

⁶⁶⁵GM, Trad. Isabelle Hildenbrand et J. Gratien, « Avant-propos », § 6 : « Nommons-là cette nouvelle exigence : nous avons besoin d'une critique des valeurs morales, il faut commencer par mettre en question la valeur même de ces valeurs, et cela suppose la connaissance des conditions et des circonstances de leur naissance, de leur développement, de leur modification... ».

⁶⁶⁶VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 136 : « J'appelle « morale », un système de jugements de valeurs qui est en relation avec les conditions d'existence d'un être ».

⁶⁶⁷Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 276 : « La valeur est le point de vue des conditions de conservation et d'accroissement de la vie dans le devenir ».

⁶⁶⁸Corpus, Numéros 51 à 53, Association pour le Corpus des œuvres de philosophie en langue française, 2007. Pour Nietzsche : « Toute morale exprime un jeu d'affects cristallisés dans des conditions de vie particulières ».

⁶⁶⁹Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, pp. 38-381.

⁶⁷⁰Eric Dufour, L'Esthétique musicale de Nietzsche, Presses Univ. Septentrion, 2005, p. 232.

وَعَدَمًا؛ وَفَعَلَ التَّقْوِيمَ لَيْسَ فِي حَقِيقَتِهِ إِلَّا إسْقَاطًا لِشُرُوطِ البَقَاءِ البَشَرِيِّ عَلَى الكَيْنُونَةِ بِوصْفِهَا مَحْمُولَاتٍ لَهَا⁶⁷¹.

المبحث الثالث: منافذ التقويم الأربع: المنظورية، التأويلية، السلطان، الجسمان

حَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَنْتَبِهَ إِلَى أَنَّ إِرَادَةَ الاقْتِدَارِ فِي سَيْرُورَةِ خَلْقِهَا لِلْقِيَمِ تَتَوَسَّلُ الْمَنْظُورِيَّةَ بِاعْتِبَارِهَا تَأْوِيلَاتٍ مِنْ خِلَالِهَا يَجْرِي إِضْفَاءُ الْمَعْنَى عَلَى الْحَيَاةِ وَهَذَا بِدَوْرِهِ يَجْعَلُ نَوْعِيَّةَ الْحَيَاةِ، شَرِيطَةً أَنْ تَكُونَ التَّأْوِيلَاتُ صَحِيَّةً، تَتَحَسَّنُ عَلَى الدَّوَامِ وَتَخْتَبِرُ بِاطِرَادٍ إِمْكَانَاتِهَا الرَّحْبَةَ. إِذْ تَتَوَقَّفُ مُحَافَظَةُ الْقُوَى عَلَى نَفْسِهَا أَوْ تَرْقِيَّتِهَا لِذَاتِهَا عَلَى التَّقْوِيمِ الْمُضْطَرَّدِ وَالْخَلْقِ الْمُتَجَدِّدِ لِلْقِيَمِ وَيَتَوَقَّفُ التَّقْوِيمُ نَفْسَهُ عَلَى مَا سَمَاهُ نَيْتَشَةُ بـ "المنظورية" وَهُوَ مَا شَفَّتْ مَخْطُوطَاتُ إِرَادَةِ الاقْتِدَارِ عَنْهُ، حَيْثُ أَعْرَبَ بَعْضُهَا قَائِلًا: "كُلُّ هَذِهِ الْقِيَمِ، إِذَا مَا فُكِّرَ فِيهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي صُورَةٍ نَفْسِيَّةٍ، لَيْسَتْ إِلَّا نَتَائِجُ لِبَعْضِ الْمَنْظُورَاتِ الَّتِي تَكْمُنُ فَايْدَتْهَا الْخَاصَّةُ فِي الْحِفَافِ أَوْ فِي زِيَادَةِ تَكْوُنَاتِ الْهَيْمَنَةِ الَّتِي يُنْشِئُهَا الْإِنْسَانُ: وَلَيْسَتْ إِلَّا قِيَمًا مُلْقَاءَةً بِطَرِيقَةٍ مُضَلَّلَةٍ عَلَى كَيْنُونَةِ الْأَشْيَاءِ"⁶⁷².

وَمِنْ ثَمَّ فَالْمَنْظُورَاتُ وَسَائِلُ تَتَّخِذُهَا إِرَادَاتُ الاقْتِدَارِ فِي سَبِيلِ الْحِفَافِ عَلَى الْهَيْمَنَةِ أَوْ مِنْ أَجْلِ تَوْسِيعِهَا، وَلَمْ يَغْفُلْ هَايْدِغَر طَرْفَةً عَيْنٍ عَنِ الْوَشِيحَةِ بَيْنَ التَّأْوِيلِيَّةِ وَإِرَادَةِ الاقْتِدَارِ فِي مَقَامِ الْحَدِيثِ عَنِ الْقِيَمَةِ، لِذَلِكَ عَقَّبَ قَائِلًا: "إِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْقِيَمِ مِنْ حَيْثُ هِيَ قِيَمٌ زَوَايَا نَظَرٍ مُعَيَّنَةٍ لِبَعْضِ الْمَجَالَاتِ الْمَرِيئِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِبَعْضِ أَثْمَاطِ إِرَادَةِ الاقْتِدَارِ"⁶⁷³، إِذْ كُلُّ كَائِنٍ مَحْمُولٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَائِنًا نَظَرًا تَبَعًا لِزَوَايَا نَظَرٍ مُعَيَّنَةٍ وَلَا تَسْتَخْضِرُ الْكَائِنَاتِ، مِنْ حَيْثُ هِيَ قُوَى الْعَالَمِ، الْوُجُودُ إِلَّا عَلَى ضَوْءِ الْمَنْظُورَاتِ، وَعَلَيْهِ فَكُلُّ قُوَّةٍ، أَكَانَتْ غُضُوبِيَّةً أَمْ غَيْرَ غُضُوبِيَّةٍ، أَكَانَتْ إِنْسَانِيَّةً أَمْ غَيْرَ إِنْسَانِيَّةٍ، تُعِيدُ بِنَاءَ الْعَالَمِ بِتَوَسُّلِ الْمَنْظُورِيَّةِ وَحَسَبَ مَا تَسْمَحُ بِهِ قُوَّتُهَا⁶⁷⁴.

⁶⁷¹FP, XIII, Automne 1887- Mars 1888, 9 [38] : « Nous avons projeté nos propres conditions de conservation (unsere Erhaltungs-Bedingungen), en tant que prédicats de l'être en général (als Prädikate des Seins überhaupt) ». Voir Laurent Cherlonneix, Philosophie médicale de Nietzsche : la connaissance, la nature, p. 27. Voir Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, p. 280.

⁶⁷²Ibid, Novembre 1887-mars, 11[99], p. 244 : « Toutes ces valeurs, à les recalculer psychologiquement... ne sont que les résultats de certaines perspectives de l'utilité propres à maintenir et à croire des formations de domination établies par l'homme : et rien que fallacieusement projetées dans l'être des choses ». Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre III, § 111 : « ... le résultat de certaines perspectives d'utilité bien définies, destinés à maintenir et à fortifier certaines formes de domination humaine ». Voir Félicien Challaye, Nietzsche, Mellottée, 1950, p. 179.

⁶⁷³Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 86 : « Toutes ces valeurs, sont en tant que valeurs certaines points de vue de certains de champs visuels d'une certaine volonté de puissance ».

⁶⁷⁴VP, Trad. Henri Albert, § 300 : « ... c'est précisément le perspectivisme nécessaire, au moyen de quoi tout centre de force - et non pas l'homme seulement - construit, en partant de lui-même, tout le reste du monde, c'est-à-dire que l'homme mesure, palpe et façonne le monde selon sa propre force ».

هذا يدل على أن المنظورات نفسها تتباين وتتفاضل تبعاً لكميات المكنة التي تملكها وطبقاً للاقتدار الذي تنعم به. ذلك أن الأدلة متناصرة على أن الواقع المحدد يتألف من إرادة الاقتدار، ومن ثم من تشابك وتعلق، من المنظورات والترسّخات والقيم المؤسّسة، ومردّ التركيبة المعقّدة للواقع إلى الماهية المركّبة المعقّدة لإرادة الاقتدار⁶⁷⁵. لا يتبدى لنا العالم على مرأى حواسنا حافياً غارياً، ذلك أن إنفاره عن نفسه متوقّف على مجموعة معقّدة من العمليات النفسية، يفصح نيتشه عن ذلك قائلاً: "إن العالم الظاهريّ عالم ينظر إليه تبعاً للقيم، منظم ومختار طبقاً للقيم ومن ثم بموجب زاوية نظرٍ نفعيّة لصالح الحفاظ على البقاء وزيادة الاقتدار عند نوع معين من الحيوان"⁶⁷⁶.

إن التحليل المذكور آنفاً يقضي إلى النظر للمنظورات وهي متلبّسة بإرادة الهيمنة، ولا غرو من أن تكون القيم إثر ذلك شروطاً لهيمنة قوى فيما لا يخدم أغراض القوى الأخرى⁶⁷⁷، أي أن ظفر القوى بالهيمنة من سبيل التّفويّمات التي تفرضها كرهاً. ومن ذاب نيتشه أن يسمي قيماً بني الهيمنة نفسها وأن يحسب قيماً ما جرت عادته على اعتباره محافظةً على الحياة أو تحسيتها، لذلك جعل العلم والفنّ والدولة والدين والثقافة قيماً بمقدار ما هي عنده أيضاً شروطاً للحياة، أي أنها منظومات لتدبير الحياة وإضفاء ضربٍ من التماسك عليها في قلب الصيرورة وقياساً على ذلك فالمنظورات ليست معقولاتٍ مستقلة وموضوعيّة، وإنما هي تاولاتٍ معيّنة تُريد المحافظة على سلطانٍ ورياسةٍ بغض الإرادات والقوى الثابته فيها أو توسيع نفوذها⁶⁷⁸. وبموجب هذا كله، فالقيمة تعدّ منظوراً وظيفته العليا وغرضه الجوهرية زيادة مراكز الهيمنة أو المحافظة عليها، إذ المنظورات ليست في محضها لغاية الإخبار عن العالم بل هي شروط لمراكز السيطرة في مطاوي الصيرورة.

بناءً على هذا كله يغدو تأسيس القيم الجديد ضرباً من الشروط الأولية للمنظورات التي بموجبها تندفع الحياة إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه، لكن ثمة ما يعرقل ذلك، لذلك يلزم قبل ذلك إزالة العقبات التي تحول دون تصالح الحياة مع نفسها، بتوسّل مبدئها الجواني المتملّ بإرادة الاقتدار، وبخاصّة إرادة

⁶⁷⁵ Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 87 : « Le réel déterminé sa réalité par la volonté de puissance constitue un enchevêtrement de perspectives et de fixations, d'institutions de valeurs, une <<une formation d'un genre complexe>>; mais cela du fait que la Volonté de puissance est elle-même d'essence Complexe ».

⁶⁷⁶ VP, Trad. Henri Albert, § 294 : « Le monde apparent, c'est un monde vu selon des valeurs, ordonné et choisi d'après des valeurs, donc à un point de vue utilitaire, dans l'intérêt de la conservation et de l'augmentation de la puissance d'une certaine espèce animale ». Voir FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 14 [184] : « Le monde apparent, c'est-à-dire un monde considéré et organisé en fonction de valeurs, sélectionné en fonction de valeurs, c'est-à-dire en l'occurrence du point de vue de l'utilité quant à la conservation et au gain de puissance d'une espèce animale particulière ».

⁶⁷⁷ « Au détriment des autres forces »

لا يصحّ لغة أن نترجم العبارة Au détriment ب : على حساب ، فليس لهذا التركيب أصل في اللغة العربية ، لذلك نقترح جرّصاً منا على الفصاحة أن نؤدي العبارة ب : فيما لا يخدم مصلحة القوى الأخرى ، فيما فيه مفسدة للقوى الأخرى ، فيما ليس فيه مصلحة للقوى الأخرى.

⁶⁷⁸ Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 88.

الاقتدار المتعلّقة بالكائن الإنساني - وما هذي العقبات إلا القيم التي صاغها أفلاطون والمسيحية⁶⁷⁹، زد إلى ذلك كل القيم التي وقّع تكريسها سابقاً - والاستيعاضة عنها بقيم متفائلة⁶⁸⁰. حقّ على نيتشه ألا يتفكّ عن نقد القيم المُنَاوِيَّة لِلْجُودِ وَقَلْبِهَا مَا دَامَتْ مُنْقَلِبَةً عَلَى الْحَيَاةِ، عَلَى مَا هِيَّتْهَا باعتبارها إرادة اقتدار، فَلَقَدْ وَسَّعَ نيتشه علماً بأنّ القيم الأفلاطونية والمسيحية لا تَلَبُّثُ أَنْ تَخْطُو خَطْوًا حَتَّى تُعْطِلَ سَيَرُورَةَ الْحَيَاةِ الصَّاعِدَةِ كَكَلِيَّةٍ مُحَايَّةٍ بَلْ تَكْبَحُ كَذَلِكَ سَيَرُورَةَ الْإِنْسَانِ لِلتَّرْقِي وَتَقْطَعُ أَسْبَابَ الْاِقْتِدَارِ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي التَّعْوِيلُ عَلَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي تُؤَلِّفُ أُسَاسًا وَمَاهِيَّةً كَلِيَّةً لِلْجُودِ⁶⁸¹ بُغْيَةَ الْاِرْتِقَاءِ.

على ضوء هَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا فَحْوَى الْقَلْبِ النِّيتَشَوِيِّ طَرَحًا لِكُلِّ مَا يُعْطِلُ الْإِرَادَةَ أَوَّلًا وَيَحْطُ مِنْ قَدْرِ الْحَيَاةِ ثَانِيًا؛ لِذَا فَالتَّخَلُّصُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْأَفَلَاطُونِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ "العالم الحقي"، أي الانفلات من قبضة الرؤى الأفلاطونية والمسيحية التي تُؤَلِّفُ قِوَامَ الْعَقْلِ الْغَرْبِيِّ، وَالانعتاق مِنْهَا يُفْضِي بِالضَّرُورَةِ وَبِصُورَةٍ تَلْقَائِيَّةٍ إِلَى تَوَلُّدِ الْبَدِيلِ حَيْثُ الْجُسُمانُ، بِمَا هُوَ مَوْرِدُ الْأَهْوَاءِ وَالْغَرَائِزِ، صَانِعُ التَّأْوِيلِ وَمُضْغِي الْقِيَمَةِ⁶⁸².

لَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ مِنْ عَمَلِيَّةِ خَلْقِ الْقِيَمِ إِضْفَاءً مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْجُودِ، فَالْخَلْقُ هُنَا لَيْسَ إِسْقَاطًا إِنْسَانِيًّا أَخْلَاقِيًّا، بِالْمَعْنَى الْأَفَلَاطُونِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ الْعَدَمِيَّةِ، عَلَى الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا مِنَ الْمَطْلُوبِ أَنْ تَكُونَ الْقِيَمُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي كَرَّرَ بِهَا نيتشه مُنْسَجِمَةً وَمُتَوَافِقَةً مَعَ طَبَائِعِ الْجُودِ بِوَصْفِهَا صَيَرُورَةً، فَوْضَى، تَرَاتِبَ؛ ذَلِكَ أَنَّ قِوَامَ الْقِيَمِ الْأَفَلَاطُونِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ مُنَافٍ لِلْحَيَاةِ، وَهِيَ قِيَمٌ تَسْتَبْعِدُ الْغَرَائِزَ وَالصَّرَاعَ وَالصَيَرُورَةَ، أَيَّ أَنَّهَا تَخْلُقُ قِيَمًا مِنْ كُلِّ مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ الْجُودُ، لِذَا فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى عَجْزٍ عَنِ التَّكْيِيفِ مَعَهُ وَرَغْبَةٍ فِي الْهَرُوبِ مِنْهُ.

مَا يَقْتَرِحُهُ نيتشه هُوَ أَنَّ الْقِيَمَ الْجَدِيدَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِدَّ مَشْرُوعِيَّتَهَا مِنْ جَوْفِ الْحَيَاةِ لَا مِنْ خَارِجِهَا، مِنْ صِفَاتِهَا لَا مِنْ صِفَاتِ عَالَمٍ مُتَخَيَّلٍ أَوْ كَيْنُونَةٍ مُتَعَالِيَةٍ، وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْاِرْتِكَازِ إِلَى مَبْدَأٍ هُوَ نَفْسُهُ قِوَامَ الْحَيَاةِ وَمَاهِيَّتُهَا لَهَا، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي تَضْطَلِعُ بِدَوْرٍ تَأْوِيلِ الْحَيَاةِ وَعَلَى هَذَا النِّحْوِ تُصْبِحُ هَذِهِ الْإِرَادَةُ الْمُعَقَّدَةُ مَنْقَذًا لِتَأْوِيلِ الْجُودِ فِي كَلِيَّتِهِ، لِذَلِكَ عَنْوَنَ نيتشه أثره لسنة 1885م (XVI 415) ب: إرادة الاقتدار: "مُحَاوَلَةٌ لِتَأْوِيلِ كُلِّ حَدَثٍ".

⁶⁸⁰Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 276

⁶⁸¹Bertrand De Jardin, L'art et la vie : Ethique et esthétique chez Nietzsche, L'Harmattan, 2008, p. 12. René Schérer, Lothar Kelkel, Heidegger ou l'Expérience de la pensée, p. 80. Voir Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 383.

⁶⁸²Camille Dumoulié, Michel Riaudel, Le corps et ses Traductions, Edition Desjonquères, 2008, p. 27 : « Avant le choc entre les perspectives du monde de l'interprétation et les perspectives du corps qui interprète, rien n'est donné comprenons pourquoi Nietzsche appelle le corps « une grande raison » et le moi « une petite raison ». Voir Bernard Edelman, Nietzsche, un continent perdu, Edition, PUF, 1999, p. 67 : « Les biologistes achopperont toujours sur la « morale », c'est - à dire sur la façon dont le corps interprète son milieu en s'interprétant lui-même ». Voir aussi Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, p. 35. Voir Michel Haar, par-delà le nihilisme : nouveaux essais sur Nietzsche, PUF, 1998, p. 11.

لَا يَعْزُبُ عَنَّا أَنَّ هَذَا الْقَلْبَ الْجَذْرِيَّ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا إِلَّا بِاسْتِبْدَالِ مَنْظُورٍ آخَرَ جَدِيدٍ بِالتَّأْوِيلِ التَّقْلِيدِيِّ، فَإِذَا كَانَتْ أَلْمِيتَافِيزِيْقَا الْعَرَبِيَّةُ دَائِبَةً عَلَى إِنْزَالِ الْعَقْلِ مِنْزِلَةَ الْمُؤُولِ، فَإِنَّ نِيْتَشَةَ يُنْزِلُ الْجُسْمَانَ مِنْزِلَةَ الْجَارِحَةِ الْفَعْلِيَّةِ لِلتَّأْوِيلِ وَبِهِ يَحْصُلُ تَأْوِيلُ الْعَالَمِ⁶⁸³، فَهُوَ لَا يَنْفَكُ عَنِ التَّأْوِيلِ وَالتَّقْوِيمِ وَالْخَلْقِ فِي حَالَةٍ مِنَ الْسُّكْرِ وَالْإِنْتِشَاءِ وَالرَّغْبَةِ⁶⁸⁴؛ فَلَيْسَتْ أَلْعَاقِلَةُ مَنْ يَصْطَلِعُ التَّأْوِيلَ وَإِنَّمَا الْجَسَدِيَّةُ اللَّوَاغِيَّةُ⁶⁸⁵ وَمَا اخْتِيَارُهُ لِلْجُسْمَانِ إِلَّا لِكَوْنِهِ مَحَلَّ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ الْعَدِيدَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّ لَا نُؤُولُ الْعَالَمَ بِعَمَلِيَّاتٍ عَقْلِيَّةٍ حَيَادِيَّةٍ بَلْ تَتَنَاصَرُ وَتَتَآزَرُ كُلُّ الْأَهْوَاءِ وَالْغَرَائِزِ وَالرَّغَبَاتِ الَّتِي تُؤَلِّفُ كِيَانَنَا فِي فَعَالِيَّاتِ التَّأْوِيلِ الْمُسْتَمْرَةِ لِلْعَالَمِ⁶⁸⁶، لِذَا فَالتَّقْوِيمُ هُنَا تَقْوِيمٌ مُعَقَّدٌ يَنْبُعُ مِنْ جُمْلَةِ الْقَوَى الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي تَخْتَرِفُنَا.

وَيَكْمُنُ الْقَلْبُ هُنَا فِي الْاسْتِعَاضَةِ عَنْ أَوْلَوِيَّةِ التَّمَثُّلِ بِأَوْلَوِيَّةِ الْإِرَادَةِ الْمُعَقَّدَةِ فِي عَمَلِيَّاتِ التَّقْوِيمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ تَأْوِيلٌ وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَالَّذِي يُؤُولُ الْعَالَمَ لَيْسَ الْعَقْلُ بِمَعْنَاهُ التَّقْلِيدِيِّ بَلِ الْأَهْوَاءُ وَالْعَوَاطِفُ⁶⁸⁷. وَلَا غَرَوْ فِي أَنْ يَسُوقَ ذَلِكَ، بِمَعْنِيَةِ التَّقْوِيمِ الْإِبْدَاعِيِّ الَّذِي انْبَنَتْ عَلَيْهِ فُلْسَفَةُ نِيْتَشَةَ، إِلَى بُدُوِ ثَلَاثِ رَكَائِزٍ أُكْسِيُولُوجِيَّةٍ كَبُرَى مَا فَتَى فِيلْسُوفُ الْاِقْتِدَارِ يَقِيمُهَا مَقَامَ الْقِيَمِ التَّقْلِيدِيَّةِ: إِحْلَالُ قِيَمَةِ الْجَسَدِ مَحَلَّ قِيَمَةِ الرُّوحِ وَإِقَامَةُ قِيَمَةِ الْأَرْضِ مَقَامَ قِيَمَةِ السَّمَاءِ، وَاسْتِبْدَالُ قِيَمَةِ الصَّيْرُورَةِ بِقِيَمَةِ الثَّبَاتِ⁶⁸⁸.

فِي مَعْرِضٍ مَا تَقَدَّمَ إِرَادُهُ، لَا مَعْنَى لِلْحَدِيثِ عَنْ حَالَةِ الْأَشْيَاءِ وَالْمَعْرِفَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ مَا دَامَ كُلُّ فِكْرٍ، بِمَا هُوَ تَقْوِيمٌ، تَأْوِيلًا مُتَعَلِّقًا بِمَنْظُورٍ مُعَيَّنٍ وَمُقْتَرِنًا بِحَيْثِيَّةٍ مَا وَيَعْكِسُ نَمَطًا مِنَ الْحَيَاةِ فِي كَلْبِيَّةِ الْحَيَاةِ، هَكَذَا تَكُونُ التَّأْوِيلَاتُ، بِمَا هِيَ تَقْوِيمَاتٌ، نَابِعَةٌ مِنَ الْجُسْمَانِ بِاعْتِبَارِهِ مَجَامِيعَ غَرَائِزٍ مُتَفَاضِلَةٍ وَلَيْسَتْ مِنَ الْعَقْلِ الصُّورِيِّ وَفَعَالِيَّاتِهِ الْمَجْرَدَةِ كَمَا يَزْعُمُ التَّقْلِيدُ الْغَرِبِيُّ⁶⁸⁹. عَلَى هَذَا النِّحْوِ يُصْبِحُ الْمُنُوَالُ الَّذِي تُوْجَدُ عَلَيْهِ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ مُنُوَالِ التَّقْوِيمِ، إِذْ لَا تَنْفَكُ الْحَيَاةُ عَنْ إِرَادَةِ التَّقْوِيمِ وَفِيهَا يَطْهَرُ لَنَا أَيْضًا الطَّابَعُ النَّزُوعِي لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ لِلْمُضِيِّ فِي عَمَلِيَّةِ قَرْضِ نَفْسِهَا بِتَوَسُّلِ الْقِيَمِ الَّتِي تُبَدِّعُهَا.

مِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَايْدِغَرَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مِيتَافِيزِيْقَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ لَدَى نِيْتَشَةَ نَحَوَلَتْ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُسَمِّيَهُ أُونُطُولُوجِيَا أَخْلَاقِيَّةً أَوْ أَخْلَاقًا أُونُطُولُوجِيَّةً وَبِذَلِكَ سَتَكُونُ الْأَخْلَاقُ قَوَامًا لِلْمِيتَافِيزِيْقَا عِنْدَ نِيْتَشَةَ، وَبِعِبَارَاتِ هَايْدِغَرَ نَفْسِهِ إِنَّ نِيْتَشَةَ يَتَمَثَّلُ الْمِيتَافِيزِيْقَا فِي صُورَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ⁶⁹⁰. يَسْتَمِدُّ هَذَا الْقَوْلُ مَشْرُوعِيَّتَهُ مِنْ قَوْلِ نِيْتَشَةَ: "كُلُّ مِيتَافِيزِيْقَا، مِثْلُ الَّتِي تَفْتَرِضُ عَالَمًا مَا فَوْقَ حِسِّيِّ بِاعْتِبَارِهِ عَالَمَ الْحَقِّ

⁶⁸³Martin Heidegger, Nietzsche, Volume I, pp. 240-241.

⁶⁸⁴Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 59 : « Avec la figure de Dionysos, le corps interprète, évalue, crée en entrant dans un état d'ivresse, de désir, de plaisir ... ».

⁶⁸⁵Ibid, p. 77.

⁶⁸⁶FP, XII, 7 [60.]. Voir Bernard pautrat, Versions du soleil : figures et système de Nietzsche, p. 281.

⁶⁸⁷VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, livre II, § 146.

⁶⁸⁸André Stanguennec, Le Questionnement moral de Nietzsche, pp. 129-130.

⁶⁸⁹Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, chap. IX. Voir Patrick Wotling, La pensée du sous-sol, Paris, Allia, 1998.

⁶⁹⁰Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 103.

وفيما وراء المحسوس الظاهر، تنبُع من الأخلاق " وأردف قائلاً: " أفهم من الأخلاق نسفاً من التقديرات القيمية التي تُعنى بشروط حياة كائن ما " ⁶⁹¹.

يَبْدُو لَنَا أَنَّ مَا يَقْصِدُهُ نيتشه مِنْ هَذَا الشَّاهِدِ هُوَ تَبْيَانُ أَنَّ الْعَالَمَ الْهَيْتَافِيزِيْقِيَّ وَالْمَاورائيَّ نَاتِجٌ مِنْ تَقْدِيرَاتٍ أَخْلَاقِيَّةٍ تَعْكِسُ قُوَى ضَعِيفَةً وَارْتِكَاسِيَّةً وَهِيَ نَفْسُهَا (أَغْنِي التَّقْدِيرَاتِ) عَلَى أَعْقَابِ ذَلِكَ تَأْوِيلَاتٌ يَتَذَرَّعُهَا صِنْفٌ مُعَيَّنٌ مِنَ الْقُوَى فِي سَبِيلِ الْحَافِظَةِ عَلَى ذَاتِهِ فِي عَالَمٍ تَنَازَعِيٍّ يُوْشِكُ أَنْ يُجْهَرَ عَلَيْهِ. وَعَلَى النَقِيضِ يَصْدُرُ التَّصَوُّرُ الْحَيَوِيُّ لِلْعَالَمِ بِالْمَعْنَى الْنَيْتَشَوِيِّ مِنْ أَخْلَاقٍ إِبْتَائِيَّةٍ يَخْتَصُّ بِهَا صِنْفٌ مُقْتَدِرٌ مِنَ الْقُوَى لَا يَرُومُ سِوَى تَجْوِيدِ الذَّاتِ وَالْوُجُودِ بِمُنْتَهَى الْجُودِ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَالْعَالَمُ مُشْتَقٌّ مِنْ جِهَةِ التَّصَوُّرِ مِنْ تَأْوِيلٍ أَخْلَاقِيٍّ صَحِيٍّ تَصْطَنِعُهُ جُسُومٌ مَلِيئَةٌ بِالْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ الْيَافِعَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّ الْحَيَاةَ نَفْسَهَا، بِوَصْفِهَا غَرَائِزٌ مُنْدَفِعَةٌ، هِيَ مَنْ يَقُومُ نَفْسَهَا بِأَفْضَلِ مَنَوالٍ بِوَسَاطَةِ صِنْفٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْمُؤَوَّلَةِ (أَقْصَدُ الْبَشَرَ الْمُتَفَوِّقِينَ) كَيْ تُحَقِّقَ الْمَزِيدَ مِنَ الْوُثْبَاتِ الْحَيَوِيَّةِ فِي مُخْتَلِفِ أَصْعَدَتِهَا. وَهَذَا لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى اضْطِلَاعِ الصِّنْفِ الْإِنْسَانِيِّ السَّامِيِّ بِدَوْرٍ مَرْكَزِيٍّ فِي ارْتِقَاءِ الْحَيَاةِ وَهَذَا مَا حَدَا هَايْدِغَرَ عَلَى التَّصْرِيحِ بِكَوْنِ هَيْتَافِيزِيْقَا الْاِقْتِدَارِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ الْأَعْلَى تُرْغِمُ الْإِنْسَانَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَقْيَاسَ الْمَطْلُوقَ وَالْوَحِيدَ لِلْأَشْيَاءِ جَمِيعًا وَهَذَا مَا لَمْ تَفْعَلْهُ، فِي نَظَرِهِ، أَيُّ هَيْتَافِيزِيْقَا سَابِقَةٍ عَلَيْهِ ⁶⁹².

⁶⁹¹PBM, Trad. Henri Albert, § 19.

⁶⁹²Martin Heidegger, Nietzsche, Volume II, p. 104 : « ... car cette métaphysique, dont dépend la doctrine du surhomme, astreint rigoureusement l'homme au rôle de la mesure absolue et exclusive de toutes choses, comme aucune autre métaphysique ne le fit jamais avant elle ».

الفصل الثاني: المنهج الجينئالوجي بين الفتوحات التأويلية والسقطات المعقّلة

المبحث الأول: ثالوث الممارسة الجينئالوجية: الحس التاريخي، الردّ الفيزيو-سيكو-طبيقي، المفاضلة الجبلية

إنّ القلب الجينئالوجي للقيم (كما هو وارد في مصّف نيتشه المعنون بـ "جينئالوجيا الأخلاق") ظهر لبطن، يسوقنا إلى القول إنّ الجينئالوجيا منهج فريد يتقبّ عن الأصول الدنيوية غير الميتافيزيقية للأخلاق للكشف عن قيمتها تبعاً للقوى التي تتخفى وراءها وطبقاً لعلاقة تلكم القوى بالحياة، أي أنّ قيمة مصادر الأخلاق نابعة مباشرة منها، لكن هيئات هيات للقيمة أن تُدرَك ما لم تُعرف بادئ الأمر الشروط والحيثيات والشخص التي تتولد منها القيم⁶⁹³. إذ المداخل لتقويم الأصول الطبيعية للقيم هو الوقوف على الأسس التي انبثت عليها والأرض التي نبثت عليها، فلا تنفصل الجينئالوجيا عن مفاهيم من قبيل "الأصل" « Origine » و"الصدور" « Provenance » و"الأساس" « Fondement » و"الأرض" « Sole »⁶⁹⁴، لذلك تبحث الجينئالوجيا عن قيمة الأصل وأصل القيمة في الآن ذاته، كما تستظهر العنصر التفاضلي للقيم الذي تنبع منه والذي يجعلها متفاوتة من حيث القيمة ومن حيث الأصل⁶⁹⁵، ومن طريق هذي الوظيفة المزدوجة للجينئالوجيا يُنجز قلب القيم⁶⁹⁶.

بيّنه والسداد مراحل من يخصر هذا المنهج في ردّ الظواهر الثقافية والأخلاقية إلى أصولها ومصادرها الحقيقية (أغني إزجاعها إلى ضعف أو قوة، نبلي أو خسة، فاعلية أو انفعالية) ذلك أنه يعين فضلاً عن ذلك قيمة تلكم المصادر والأصول. تتقوم الجينئالوجيا بالجرأة على طرح الأسئلة التي تضع المنظومات الأخلاقية موضع ارتياب وتزعزع رؤسوها وهي أسئلة كثيرة نورد منها ما يلي: ما سنخ أحكامنا الأخلاقية؟ ما سنخ أفكارنا عن الخير والشر؟ أينطويان على قيمة في ذاتهما؟ في أي ظروف ابتدع الإنسان القيم التي ظلّ مُستمسكاً بها؟ وما قيمة الخير والشر بالنظر إلى الإنسان والحياة؟ هل عرقلا رقي الإنسان أو حثيانه عليه؟ أهما علامة على القوة وإرادة الحياة أو على الضعف والضيق والانحطاط؟⁶⁹⁷.

⁶⁹³GM, Trad. Henri Albert, avant propos, § 5-6.

⁶⁹⁴Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 334.

⁶⁹⁵Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 7. Voir Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 333.

⁶⁹⁶EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi je suis une fatalité, § 1 : « Renversement général des valeurs c'est la formule que j'emploie pour désigner l'acte par lequel l'humanité s'avise suprêmement d'elle-même ».

⁶⁹⁷GM, Trad. Henri Albert, préface, § 3.

تَنْتَهِي الْجِينِيالُوجِيَا إِلَى ظَرْفَيْنِ أَوْ مَقَامَيْنِ فِيزِيُولُوجِيَيْنِ وَنَفْسَانِيَيْنِ وَطَبَقِيَيْنِ شَدِيدَيِ التَّبَايُنِ هُمَا مَصْدَرَا الْأَخْلَاقِ السَّائِدَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ ، لَكِنَّهَا تُنْعَمُ الْكَشْفُ عَنْ نَمَطٍ مُعَيَّنٍ مِنْهَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْحَيَاةِ وَيَعْمَلُ عَلَى تَقْهَرُهَا. لِذَلِكَ تَسْتَجْلِي الْجِينِيالُوجِيَا التَّفَاضُلَ بِاعْتِبَارِهِ الْحَدَثِ الْأَصْلِيِّ وَهُوِيَّةَ الْاِخْتِلَافِ وَالْأَصْلِ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْقِيَمِ مِنْ حَيْثُ هِيَ تَغْيِيرٌ عَنْ مَنُظُورَاتٍ مُتَدَافِعَةٍ وَمُتَنَازِعَةٍ فِي صَمِيمِ الْحَيَاةِ ، وَبِهَذَا النُّحُو فِي النَّظَرِ تَقْوُضُ ادِّعَاءُ الْمُطَابَقَةِ وَالْمُسَاوَاةِ فِي الْأَصُولِ ، وَتُدْمَرُ مَزَايِمُ الْأَنْسِجَامِ وَالْمُوَادِعَةِ فِي الْبِدَايَاتِ ، مَا يَسْتَبْعِدُ صُدُورَ الْقِيَمِ مِنْ أَصْلٍ مِيتَافِيزِيْقِيٍّ مَا دَامَتِ الْأَدِلَّةُ تَجَارَتْ إِلَى بَيَانِ نُجُومِهَا مِنْ تَفَاضُلٍ أَكْسِيُولُوجِيٍّ مَشْدُودٍ إِلَى الْمَلَابَسَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَهُوَ صُدُورٌ تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدَايَاتُ مَنُزَوَعَةً الْقَدَاسَةِ ، وَهِيَ ، خِلَافًا لِمَا تَزَعُمُهُ الرُّؤْيَةُ الْمِيتَافِيزِيْقِيَّةُ ، لَا تُنْطِيعُ بِالْهُدُوءِ الْأَبَدِيِّ بَلْ بِالْعَقِيدِ وَالصَّرَاحِ ، لِذَلِكَ فَالْجِينِيالُوجِيَا تَغْنِي الْأَصْلَ وَالْمَوْلِدَ ، كَمَا تُقِيدُ الْاِخْتِلَافَ وَالتَّعَدُّدَ ، وَعَدَمَ الثِّقَةِ فِي الْأَصْلِ وَهِيَ أَيْضًا الْوَعْيُ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تُضْمَرُ شَيْئًا جَوْهَرِيًّا فِي جَوْفِهَا مَا دَامَ سِرُّهَا الْوَحِيدُ خُلُوقًا مِنْ أَيِّ سِرِّ جَوْهَرِيٍّ وَافْتِقَارَهَا لِأَيِّ مَا هِيَ فَوْقَ تَارِيخِيَّةٍ⁶⁹⁸.

مَا بَرَحَتِ الْجِينِيالُوجِيَا تَجُوبُ السَّلَاسِلَ الْحَدِيثِيَّةَ لِلتَّارِيخِ الَّتِي قَوِّمَتْ عَصْرًا مَا أَوْ عُصُورًا مُحَدَّدَةً ، ثَقَافَةً مَا أَوْ ثَقَافَاتٍ مُعَيَّنَةً ، وَتَسْتَظْهَرُ فِيهَا النَّمَاذِجَ الْفِيزِيُولُوجِيَّةَ -نَفْسِيَّةَ الَّتِي صَنَعَتْهَا وَصَاغَتْهَا ، وَالَّتِي تَأْخُذُ فِي الْاِسْتِمْرَارِ مُتَنَكِّرَةً فِي صُورٍ وَمُضَامِينٍ حَدِيثَةٍ وَمُعَاصِرَةٍ ، شَأْنُ أَخْلَاقِ الْعَبِيدِ الَّتِي مَا انْفَكَّتْ تَتَخَذُ أَشْكَالًا كَثِيرَةً حَدِيثَةً مِثْلَ الْمُسَاوَاةِ فِي الْحُقُوقِ وَالْديمُقْرَاطِيَّةِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَجَاوُزِ الْبَشَرِيَّةِ لِعُصُورِ الْعُبُودِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الْحَالَاتِ الْفِيزِيُولُوجِيَّةَ -نَفْسِيَّةَ الَّتِي وَلَدَتْ تِلْكَ الْقِيَمَ الْاِرْتِكَاسِيَّةَ ظَلَّتْ مُتَوَاصِلَةً فِي التَّقَاوِيمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ ؛ مَا يَعْنِي أَنَّ الْأَخْلَاقَ تَتَشَعَّبُ تَبَعًا لِلْاَنْمُودَجِ الْفِيزِيُولُوجِيَّةِ -اِنْفِعَالِيٍّ الَّذِي تَصْدُرُ مِنْهُ ، لِذَلِكَ يُنْقَبُ نَيْتْشِه عَنْ طَبِيعَةِ الْاَنْمُودَجِ الْفِيزِيُولُوجِيَّةِ -نَفْسِيَّةِ الَّذِي يَقِفُ وَرَاءَ تَقْوِيمِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْعَرَائِزِ تَقْوِيمًا اِرْتِقَائِيًّا أَوْ اِصْطَاعِيًّا.

لَا مَزْخَرَ لِلْجِينِيالُوجِيَا عَنْ اِسْتِنْبَاطِ عُرَى الْأَخْلَاقِ مِنَ الْوَحْدَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَافْتِقَارِهَا إِلَى غَايَةٍ مَطْوِيَةٍ فِي بُطُونِهَا⁶⁹⁹ ذَلِكَ أَنَّهَا صَيْرُورَةٌ مُجَرَّدَةٌ مِنْ أَيِّ عِلَّةٍ سَمَاقِيَّةٍ أَوْ تَبْرِيرٍ رَبَّانِيٍّ⁷⁰⁰ وَعَلَى نَقِيضِ الْمَنُظُورِ الْمِيتَافِيزِيْقِيٍّ ، تُسْفِرُ هَذِي السَّيْرُورَةَ التَّارِيخِيَّةَ عَنْ اقْتِرَانِ الْأَضْدَادِ الْمَثْنَوِيَّةِ وَائْتِصَالِهَا ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَوَلَّدَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ؛ لَشَدَمَا يَنْشَأُ الْمَعْقُولُ مِنَ اللَّامَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسُ مِنَ الْهَيْتِ ، وَالْمَنْطِقِيُّ مِنَ

⁶⁹⁸Michel Foucault, Nietzsche, la généalogie et l'histoire, p. 138. In Mots et Ecrits, Tome II, texte n°84, Gallimard, Paris, 1994 : « Or, si le généalogiste prend soin d'écouter l'histoire plutôt que d'ajouter foi à la métaphysique, qu'apprend-il? Que derrière les choses il y a « tout autre chose » : non point leur secret essentiel et sans date, mais le secret qu'elles sont sans essence, ou que leur essence fut construite pièce à pièce à partir de figures qui lui étaient étrangères ».

⁶⁹⁹Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, New York, Routledge, 2002, p. 168.

⁷⁰⁰APZ, Trad. Henri Albert, mille et un buts : « En vérité, les hommes se donnèrent eux-mêmes leur bien et leur mal. En vérité, ils ne les prirent point, ils ne les trouvèrent point, ils ne les écoutèrent point comme une voix descendue du ciel ». Voir Jules de Gaultier, Nietzsche et la réforme philosophique -Société du Mercure de France, 1904, p. 295.

اللامنطقي، والإيثاري من الأناني، والحقيقي من الخطأ؛ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْلَدَ إِلَى زَعْمِ المِيتافيزيقَا الغريبةِ بَيِّقِينَ حينَمَا تَرَفَعُ مِنْ كُلِّ ثَنَائِيَّةٍ طَرَفُهَا الْأَسْمَى مُدْعِيَةً أَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ مَاهِيَةِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهَا.⁷⁰¹

وَعَلَى الضِدِّ مِنْ ذَلِكَ شَفَّتْ تَنْقِيَّاتُ الجِينِيَالُوجِيَا عَنْ كَوْنِ الْأَصْلِ فِي كُلِّ ظَاهِرَةٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ الظَّاهِرَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ، لَيْسَ وَحْدَةً وَلَا مَاهِيَةً بَلْ نَعْدُدَا وَبَيِّنُونَهُ وَلَا مَسَاحَ لِلشَّكِّ عَقِبَ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ الْبُنْيَةَ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي تَحْكُمُ هَذِهِ الْبَيِّنُونَ لَيْسَتْ الْمِمَّاثِلَةُ بَلِ الْفَاضِلُ الْهَرَمِيَّ Hierarchie الَّذِي تَنْشَطِرُ فِي جَوْفِهِ الْقُوَى إِلَى قُوَى مُسَيِّطِرَةٍ أَمْرَةٍ وَقُوَى مُسَيَّطَرٍ عَلَيْهَا مُنْصَاعَةً⁷⁰²، وَلَا يَخْفَى عَنَّا أَنَّ نِيَتَهُ يُعَبِّرُ عَنْ هَذَا الْفَرْقِ بِمُصْطَلَحِ حِسِّ الْمَسَافَةِ Pathos de la distance حَيْثُ الْقُوَى الْفَاعِلَةُ الْإِثْبَاتِيَّةُ تَتَحَرَّكُ دَائِمًا فِي ابْتِدَاعِهَا لِلْقِيَمِ مِنْ عَلَيَاءِ الشُّعُورِ بِالتَّفُوقِ وَالسُّمُو، بَيْنَمَا تَتَحَرَّكُ الْقُوَى الْارْتِكَاسِيَّةُ النَّافِيَةُ فِي قَلْبِهَا لِلْقِيَمِ مِنْ حَضِيضِ شُعُورِهَا بِالصَّغِيْنَةِ وَالْوَهَنِ، هَذَا مَا سَاقَ نِيَتُهُ إِلَى عَدَمِ حِسْبَانِ إِرَادَةِ التَّمَيُّزِ وَالتَّفُوقِ وَالسَّيْطَرَةِ خِصْلَةً بَشَرِيَّةً لِلْأَنْمُودَجِ الْفَاعِلِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ الطَّائِعُ الْمَنِيعُ لِلطَّبِيعَةِ ذَاتِهَا.⁷⁰³

اهْتِدَاءً بِمَا ذُكِرَ آنِفًا، فَالْعَايَةُ مِنَ الْجِينِيَالُوجِيَا هِيَ الْمُمَارَسَةُ الصَّحِيحَةُ لِلتَّارِيخِ⁷⁰⁴، فَهِيَ تَأْرِخٌ قَرِيدٌ يَنْطُوي فِي ذَاتِ الْآنِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنَ الطَّائِعِ الْإِشْكَالِيِّ لَوْظِيفَتِهَا الْمُرْدَوَجَةِ، عَلَى تَقْوِيمِ⁷⁰⁵ تَمْهِيدِيٍّ لَا غِنَى

⁷⁰¹ HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, I, § 1 : « Les problèmes philosophiques reprennent aujourd'hui presque en tout point la même forme qu'il y a deux mille ans : comment une chose peut-elle naître de son contraire, par exemple, le raisonnable du déraisonnable, le sensible du mort, la logique de l'illogisme, la contemplation désintéressée du vouloir cupide, l'altruisme de l'égoïsme, la vérité des erreurs ? La philosophie métaphysique s'arrangeait jusqu'ici pour franchir cette difficulté en niant que l'un naquît de l'autre et en admettant pour les choses d'une haute valeur une origine miraculeuse, la sortie du noyau et de l'essence de la « chose en soi » ». Voir PBM, Trad. Henri Albert, I, § 2 : « Comment une chose pourrait-elle naître de son contraire ? par exemple, la vérité de l'erreur ? Ou la volonté de vérité, de la volonté de faire illusion ? Ou l'action désintéressée, de l'intérêt égoïste ? Ou la pure et radieuse contemplation du sage, de la convoitise ? ». Voir aussi (PBM, Trad., présentation et notes d'Angèle Kremer-Marietti, Verviers, Belgique, Marabout, 1975, p. 20. Voir également Le Voyageur et son ombre, § 67.

⁷⁰² Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, PUF, 1962, p. 8 : « L'origine est la différence dans l'origine, la différence dans l'origine est la hiérarchie, c'est-à-dire le rapport d'une force dominante à une force dominée, d'une volonté obéie à une volonté Obéissante ».

⁷⁰³ HTH, Le voyageur et son ombre, § 226 : « Vouloir vaincre et se distinguer est un caractère invincible de la nature » In Œuvres, Trad. conjointe par Dorian Astor, Julien Hervier, pierre Klossowski, Marc de Launay et Robert Rovini - Collection Bibliothèque de la pléiade. Voir HTH, Le voyageur et son ombre, Trad. de Henri Albert, revue par Angèle Kremer-Marietti : « La volonté de vaincre et de dominer étant un trait invincible de la nature, plus ancien et plus original que l'estime et la joie de la parité... ».

⁷⁰⁴ Alexander Nehamas, Nietzsche : Life as Literature, Harvard University Press, 1985, p. 246 : « Nietzsche does not, as Foucault does, contrast genealogy with history but insists that genealogy simply is history correctly practiced ».

⁷⁰⁵ Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, New York, Routledge, 2002, p. 165 : « But how could a quasi-historical method have any bearing on an essentially evaluative project? ».

عنه، على ما فيه من عَوَزٍ إلى تَتِمَّةٍ⁷⁰⁶، لذا فهي ضربٌ من التاريخ للأخلاق الفعلية والمعيشية على نحوٍ لا يَنفَكُ عن طَرَحِ إشكالاتٍ جديدةٍ وتناولٍ لها بمنظوراتٍ مُحدَّثةٍ⁷⁰⁷، يتوسَّلُ مقارباتٍ نفسانيةٍ تقوم على الوقوف على الأحداث الماضية وتفسيرها على هدي الحالات النفسية للذين ابتدَعُوا الأخلاق أو قَلَّبُوهَا⁷⁰⁸، هذا التقويم نفسه مطلبٌ توخَّاهُ نيتشه للإبانه عن الطابع المؤذي للأخلاق الارتكاسية التي تُعَوِّقُ ظُهُورَ ثقافةٍ اقتداريةٍ مَكِينَةٍ وتَرْقِيَةِ الإنسان؛ تِلْكَمُ التي بِمُكْنَتِهَا أن تُصَيِّرَهُ جَدِيرًا بِهَذَا الوجودِ الرَّائِعِ⁷⁰⁹.

بِمُقْتَضَى مَبَانِي الجينيولوجيا، نَخْلُصُ إلى أنَّ المنهج النيتشوي لَيْسَ مُجَرَّدَ العُودَةِ التاريخية إلى الماضي لتفسيره من أجل التفسير، وَلَيْسَ المَقْصِدُ مِنْهُ اسْتِشْكَالُ الأصول التاريخية من أجل معرفة ما جرى في حَقِّ التاريخ وإنما هو مِنْهَاجٌ يَحَاوُلُ ألا يسألَ عَنِ الماضي إلا في سياقٍ ما يَجْرُهُ على الإنسان والحياة من ضُرٍّ وطائِلَةٍ، وَلَا يَسْتَشْكِلُهُ في بعضِ الحِثِّيَّاتِ إلا لِحُضُورِهِ الإشكاليِّ في الحاضر.

وَلَا غَرَابَةَ عَلَى ضَوْءِ هَذَا كُلِّهِ ألا تَدَخَرَ الجينيولوجيا وَسْعًا في إمَاطَةِ اللِثَامِ بِأَدَى الأمرِ عَنِ الجِملِ الذي يُمَارِسُهُ الماضي على الحاضر ثمَّ ألا تَأْلُو جُهْدًا في تَحْرِيرِهِ مِنْ كُلِّ مَا يُعَيِّقُهُ مِنَ الاقْتِدَارِ وَالْمُكْنَةِ، وَفِي غَرَضِ عَمَلِيَّةِ التَّشْخِصِ لِمَا ظَهَرَ أَوْ بَطُنَ مِنْ صِلَةِ الماضي بالحاضر، يَنكَشِفُ لَنَا قَلْبُ نيتشه لِتَصَوُّرِنَا الحداثيِّ لِلْعَلاقَةِ بَيْنَ أَبْعَادِ الزَّمَانِ، إِذْ بِمُوجِبِهِ تَتَدَاعَى الرُّؤْيَةُ الحداثيَّةُ لِلْحَاضِرِ التي تَحْسِبُهُ بُعْدًا نَقِيًّا لَا تَشُوبُهُ شَوَائِبُ الماضي وَلَا أَصْفَادُهُ، وَبِهَذَا النُّحُو نَعِي الاستمرارية اللاواعية للكثير من التقاويم والمنظورات الماضية المثبِّطة والتي لا تَفْتَأُ عَنْ مُمَارَسَةِ وَطَائِهَا عَلَى الأشكال الثقافية الجارية (في العلم، الفلسفة، الفن) التي تَبْدُو لَنَا نَقِيَّةً وَنَقْدِيَّةً، حَيَادِيَّةً وَمَقْطُورَةً عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ. وَفَضْلًا عَنْ مَزَايَا هَذَا المنهج النيتشوي السابقة، تَتَلَفَى الجينيولوجيا مَحَازِيرَ الوقوع في أغْلُوطَةِ اسْتِثْقَاقِ الأصول الفعلية

⁷⁰⁶Christopher Janaway, Beyond Selflessness. Reading Nietzsche's Genealogy, New York, Oxford University Press, 2007, p. 10 : « This strongly suggests that genealogy, knowing or hypothesizing the conditions of the origin of our values, is distinct from, and instrumental towards, the critique or revaluation of values that Nietzsche hopes will take place. Genealogy does not itself complete the process of revaluation, but is a necessary start on the way to it ».

⁷⁰⁷GM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, « préface », § 7 : « Il s'agit de parcourir, — en posant quantité de problèmes nouveaux, et comme avec des yeux nouveaux, — l'énorme, le lointain et le si mystérieux pays de la morale — de la morale qui a vraiment existé et qui a été véritablement vécue ».

⁷⁰⁸Christopher Janaway, Beyond Selflessness. Reading Nietzsche's Genealogy, p. 11 : « The history provided by Nietzschean genealogy is to a large extent psychological. It seeks truths about interpretations made in the past and explains their being made in terms of the psychological states of those who made them ».

⁷⁰⁹Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, p. 26 : « Nietzsche attacks morality, most simply, because he believes its unchallenged cultural dominance is a threat to human excellence and human greatness ».

"يهاجم نيتشه الأخلاق، بكل بساطة، لأنه يرى أنَّ هيمنتها الثقافية المؤكدة تهددُ لِثَمَرِ الإنسانية وعظمتها".

للأخلاق من الوظيفة والمعنى الذي تنطوي عليهما في الزمن الراهن⁷¹⁰، واشتقاق أسباب وجودها من المنفعة والغرض الأصليين⁷¹¹.

ولهذه الدواعي تبدل وسعها في إيضاح آليات الاشتغال المستترة للقيم الماضية في صميم الحاضر، وليس لها إلا أن تنظر إليها على أنها آمارات وأقنعة تضمر طرائق وأنحاء في الوجود، أنماطاً من القوى، لا تنفك تعود. لا يخامرنا شك في كمن موضع القوة في هذا المنهج في اتخاذ التاريخ موضوعاً محايثاً لا يمكن فهم المنظومات الثقافية أكانت عقلانية أم غير عقلانية ولا ما يقع في مجرى الحياة إلا به. وما تشخيص نيتشه لأنموذج الكاهن كخصيصة محورية على سبيل المثال إلا بسبب الدور التاريخي الذي اضطلعت به منزلة الكهان في الوعي الغربي وتأثير الكهنوت على تاريخ الغرب وثقافته، ما يعني أن نيتشه يتعمق المسيحية في أطوارها وأحوالها من خلال آثارها المستترة في صور الحداثة ليفضح في الأخير التواطؤ الخفي بينهما (أقصد بين الدين والحداثة)⁷¹².

لقد قامت الجينيولوجيا على تفرية العديد من المفاهيم الحديثة والقيم الراهنة انطلاقاً مما تحمله من أغراض الحضور الراهن والخفي لأنموذج الكهنوتي⁷¹³ ما دام هذا الأنموذج قد تحلل كل الفكر الغربي وليست العدمية والقوى الحاقدة النافية للحياة إلا منه⁷¹⁴، ولقد أثبت القرائن الناطقة مدى تغلغل الكهنوت في جل الثقافة ودورها، ولم يكن العلم في منجى منه وهذا يشهد على تمكن وسيادة تقاوبه إلى الآن، يعبر نيتشه عن ذلك قائلاً: "ما شأن الكاهن بالعلم! أليس الكاهن أعلى منه علواً بالغا. إن الكاهن هو الذي ظل سائداً إلى الآن! وهو الذي كان يحدد مفهوم "الحق" و"الباطل"! "⁷¹⁵. ومواصله للتفرية والحفر يبرز نيتشه كون الفلاسفة أنفسهم تطورا لأنموذج الكاهن وإرثاً منه لا غير⁷¹⁶.

ولا غرو بعدئذ في أن نلغي المعجمية الكهنوتية مستترة بمعجمية الكثير من الفلاسفة، ذلك أن العديد من المنظومات الكهنوتية تتفتح بأقنعة فلسفية في صور شتى وما ضرب الأمثلة على ذلك بعسير، ففي التراث الغربي تنبع الثالوث المسيحي بالجدلية الهيجلية وتفتح في التراث الإسلامي مفاهيم طه عبد الرحمن الفقهية بمصطلحية فلسفية، إذ يعد عند العقل المؤيد مرادفاً مجزئاً للمفهوم الكهنوتي عن "الوحي" (النقل) الذي دار اللاهوت الإسلامي حوله، كما أن العقل المجرد ما هو إلا العقل المنطقي

⁷¹⁰ HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, I, § 2.

⁷¹¹ Brian Leiter, Nietzsche on morality, p. 168.

⁷¹² Paul Valadier, Nietzsche et la critique du christianisme, Éditions du Cerf, 1974, pp. 183- 184.

⁷¹³ Ibid, p. 188.

⁷¹⁴ Rogério Miranda de Almeida, Nietzsche et le paradoxe, Presses Universitaires de Strasbourg, 1999, p. 251.

⁷¹⁵ AC, Trad. Henri Albert, § 12 : « En quoi la science regarde-telle un prêtre ! Il se trouve trop. Haut pour elle ! Et le prêtre a régné jusqu'ici ! — Il détermine la conception du « vrai » et du « faux » ! »

⁷¹⁶ Ibid, § 12 : « Si l'on considère que chez presque tous les peuples le philosophe n'est que le développement du type sacerdotal, cet héritage du prêtre... ».

وَالْعُقْلَانِي الَّذِي مَا فَتَى يَقْصَى إِقْصَاءً يُوشِكُ عَلَى التَّمَامِ أَوْ يُحْتَجَزُ فِي جَمَى النَّصِّ الْوَحْيَانِيِّ حَتَّى كَادَ أَنْ يَغْدُو لَهُ عَبْدًا ذَلِيلًا يُسَارِعُ إِلَى اسْتِحْدَاثِ آيَاتِ تَأْوِيلِيَّةٍ غَايَتُهَا تَبْرِيرُ أَيِّ شَيْءٍ بِهِ يُلَوِّحُ أَوْ يُتَمَتِّمُ أَوْ يَهْذِرُ.

لَا يَغْرُبُ عَمَّنْ عَرَفَ بَادِي الْمَسْأَلَةِ الْجِينَالُوجِيَّةِ وَخَافِيَهَا أَنَّ السَّبِيلَ الَّذِي انْتَهَجَهُ نَيْتْشْه فِي التَّشْخِصِ وَالتَّقْوِيمِ مُدْشِنٌ قَطِيعَةٌ مَعَ مَنْهَجِيَّةِ الْمَسْأَلَةِ السُّقْرَاطِيَّةِ وَالْأَفْلَاطُونِيَّةِ، إِذْ كَانَ دِيدَنُ الْفَلَسَفَةِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ، وَمَنْ تَلَا تَلَوَّهَا مِنْ الْفَلَسَفَاتِ الْمِثَالِيَّةِ، طَرَحَ اسْئَلَةً تَتَعَلَّقُ بِمَاهِيَةِ الْأَشْيَاءِ وَحَقِيقَتِهَا، وَلَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْقِيَامِ بِتَشْخِصِ الْمَوْضُوعَاتِ انْطِلَاقًا مِنْ مَفَاهِيمِ الْمَاهِيَةِ وَالْعَرَضِ، الْحَقِيقَةِ وَالْخَطَا، الْكَيْنُونَةِ وَالصِّيرُورَةِ، وَجَرَصًا عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْوُضُوحِ نَقُولُ إِنَّهَا تُقَارِبُ الْمَوْجُودَاتِ وَالظَّاهِرَاتِ مِنْ مِنْظَارِ الْأَبَدِيَّةِ وَفِيهَا وَرَاءَ الصِّيرُورَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَهَذَا يَشْفُ عَنْ هَوَسٍ مَعْرِفِيٍّ غَايَتُهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْمَاهِيَّاتِ الْمُسْتَقْلَةِ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالتَّارِيخِ⁷¹⁷، بَيْنَمَا الْمَسْأَلَةُ الْجِينَالُوجِيَّةُ تُسَائِلُ الظَّاهِرَ مِنْ حَيْثِيَّةِ التَّغْيِيرَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَحْقَابِ الزَّمَانِيَّةِ، وَتُسْتَفْسَرُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ عَنْ نَوْعِيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَخْلُقُ الْمَفَاهِيمَ وَالْقِيَمَ أَهْوً مُقْتَدِرٌ أَوْ ضَعِيفٌ، أَوْ صَحِيٍّ هُوَ أَوْ مَرِيضٌ، أَوْ صَاحِبُ إِرَادَةٍ هُوَ أَوْ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهَا، وَمِنْ طَرِيقِ السُّؤَالِ عَمَّنْ يَخْتَبِئُ وَرَاءَ مُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ التَّقْوِيمَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ، يُفْرُجُ عَنِ الْحَالَاتِ الْفِيزِيُولُوجِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ الَّتِي تُنْشِئُهَا، وَإِثَرُ ذَلِكَ يَقْوَمُ الْجِينَالُوجِيُّ مَا تَبَدَّعَهُ مِنْ مَنْظُورَاتٍ وَمَنْظُومَاتٍ.

ذَلِكَ أَنَّ تَقْيِيمَاتِنَا وَأَحْكَامَنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ السَّائِدَةَ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْمَفَاهِيمِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ ذَاتُهَا، مِنْ قَبِيلِ الْمُثُلِ (الماهيات)، الْعَالَمِ الْآخِرِ، الشَّفَقَةِ، الرُّهْدِ، نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةٍ لَوْضَعِيَّاتٍ وَظُرُوفٍ وَأَحْوَالٍ سِيكُو-فِيزِيُولُوجِيَّةٍ مُنْحَطَّةٍ وَمَرِيضَةٍ تَفْتَقِرُ لِلْقُوَّةِ وَالْإِرَادَةِ قِيَصَ لَهَا أَنْ تَنْتَصِرَ وَتَسُودَ⁷¹⁸، وَالْوَجْهُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ تِلْكَ الْمَوْضَعِيَّاتِ وَالظُّرُوفِ وَالْكَيَانَاتِ مِنْهَا مَا هُوَ وَاعٍ وَمِنْهَا مَا يُعْبَرُ عَنْ سَبْرُورَةٍ فِيزِيُولُوجِيَّةٍ نَجْهَلُهَا⁷¹⁹. يَبْدُو أَنَّ سُؤَالَ الْمَاهِيَّةِ نَفْسَهُ يُرَدُّ لَدَى نَيْتْشْه إِلَى الْمَعْنَى وَالْقِيَمَةِ اللَّذَيْنِ يَتَحَدَّدَانِ بِدَوْرِهِمَا انْطِلَاقًا مِنْ

⁷¹⁷ HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, § 2 : « Tous les philosophes ont à leur actif cette faute commune, qu'ils partent de l'homme actuel et pensent, en en faisant l'analyse, arriver au but. Involontairement « l'homme » leur apparaît comme aeterna veritas, comme un élément stable dans tous les remous, comme une mesure assurée des choses. Mais tout ce que le philosophe énonce sur l'homme n'est au fond rien de plus qu'un témoignage sur l'homme d'un laps de temps fort limité. Le défaut de sens historique est le péché originel de tous les philosophes, beaucoup même prennent à leur insu la plus récente forme de l'homme, telle qu'elle s'est produite sous l'influence de religions déterminées, même d'événements politiques déterminés, comme la forme fixe d'où il faut que l'on parte. Ils ne veulent pas apprendre que l'homme, que la faculté de connaître aussi est le résultat d'une évolution.... Mais tout a évolué; il n'y a point de faits éternels : de même qu'il n'y a pas de vérités absolues. — C'est pourquoi la philosophie historique est désormais une nécessité... ».

⁷¹⁸ Voir Henri Lichtenberger, La philosophie de Nietzsche, Alcan, 1908, p. 120.

⁷¹⁹ A, Trad. Henri Albert, § 119.

القوى التي تخلقهما أو تستعملهما، إذ ليست المعاني والمفاهيم صياغة محايدة تعكس الوقائع، بل هي متوقّفة في نظر نيتشه على نوعيّة القوى التي تستولي عليها.⁷²⁰

ومن ثمّ فهي عرضة بصورة دائمة لاستخدام واستغلال بطرق جديدة من لدن اقتدارات معيّنة⁷²¹ تكيفها لتتناسب مع التوظيف الجديد⁷²². تكمن فائدة هذي المقاربة في تمكيننا من تعقب مفهوم ما وتتبع تحولاته على هدي طبيعة القوى التي استحوذت عليه واستغلته خدمة لأغراضها.

تنزع الجينيالوجيا إذن عن الظواهر قداستها، ببيان الالتباسات المدنسة والمعقّدة التي تصطنعها، هذا ما نطقت به الشذرة الثالثة من المسافر وظلّه من الجزء الثاني من مصنف "إنساني مفرط في إنسانيته"، إذ تصرّح: "إنّ تمجيد لحظة التكوين هي الفسيلة الميتافيزيقية التي تشرع في البروغ عند معايينة التاريخ، وتدفع حقاً إلى الاعتقاد بأنّه في البدء كان هناك الأرفع قيمة والأكثر جوهرية"⁷²³، بيّما الحصافة الجينيالوجية تتناول الأخلاق على أنّها نسق من أحكام القيمة متعلّق بالشروط الوجودية لكائن ما، لمجموعة معيّنة⁷²⁴ وليست إثر ذلك كيانات مجردة مستقلة بل تستمد وجودها ومبررها وغايتها من حيثياتها وملابساتها الوجودية.

تفصيلاً لما تقدّم ذكره، فهذا الصنف من المسألة لا يكتفي بالبحث عن نوعيّة القوى المتخفية وراء القيم، لأنّ هذه القوى نفسها لا يُنظر إليها إلا من حيثية صلتها بالحياة، لذلك فالجينيالوجيا لا تطرح سؤال "من؟" إلا باعتبار سؤال "لأجل ماذا؟"، أي أنّ المسألة تنتقل من الفاعل إلى المقام والغرض، ذلك أنّ المنهج النيتشوي منهج تعالقي يفرغ طوقه في مقارنة القيم من زاوية الفاعلية (الفاعل) في صلتها بزاوية المقام الكلي للعالم أو بالكلية الحيوية التي ينتمي إليها (الحياة)، أو تعبّر عن أوج الحياة وماهيّتها الصاعدة أو عن نقيضها العارض؟ لذا فالتقد الجينيالوجي يمضي إلى الإسفار عمّا تخفيه القيم وتذكره ويكشف ما الأسباب الحقيقية وراءها ولصالح من تعمل بل يفضح التبايع الغريزيّة والانفعالية

⁷²⁰François Warin, Nietzsche et Bataille : la parodie à l'infini, PUF, 1994, p. 219 : « ... le sens dépendent de la qualité des forces qui s'en emparent » .

⁷²¹Dominique Janicaud, Nouvelles lectures de Nietzsche, Volume1 de Cahiers (Lausanne), L'Age d'homme Numéro1, p. 51 : « Les actes valorisants ne sont pas simplement des procédés conventionnels; ce sont des décharges de force, qui forcent les choses... d ' une manière ou d ' une autre est toujours interprétée d ' une façon nouvelle par une puissance supérieure qui s'en empare » .

⁷²²Jacques Ponnier, Nietzsche et la question du moi, PUF, 2000, p. 224.

⁷²³HTH, Trad. Henri Albert, II, le voyageur et son ombre, § 3.

⁷²⁴Œuvre, Edition Alfred Kroner, XV, 256. « J'appelle « morale » un système de jugements de valeur qui est en relation avec les conditions d'existence d'un être » .Voir Louis Corman, Nietzsche psychologue des profondeurs, p. 251 .Voir Jean Granier, Nietzsche, 35 Edition, Que sais —je, p. 67.

التي تُعرف منها بَيْنَمَا هِيَ تُحَارِبُهَا ظَاهِرِيًّا ، وَبِهَذَا النَحْوِ يُبْرَزُ أَنَّ نَقِيضَهَا الَّذِي تَسْتَبْعِدُهُ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَصْلُ الَّذِي يُكُونُهَا⁷²⁵.

هَذَا كُلُّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي النَقْدِ الْجِينِيُولُوجِيِّ مِنْ ثِقَلَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى مُسْتَوَى بِنْيَةِ السُّؤَالِ: إِذْ يَسْتَحِيلُ السُّؤَالُ عَنْ مَاهِيَةِ الظَّوَاهِرِ الْخُلُقِيَّةِ ، بِكُلِّ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ السُّؤَالِ مِنْ مُطْلَقِيَّةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ ، إِلَى سُّؤَالٍ عَنِ الْأَذَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُؤَوَّلَةِ طَبَقًا لِتَعَالُفِهَا مَعَ الْحَيَاةِ وَهَذَا الصَّنِيعُ يُتِيحُ الْإِنْتِقَالَ مِنَ الْمَوْضُوعِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ إِلَى الْمَنْظُورِيَّةِ بِوَصْفِهَا السَّبِيلَ الْوَحِيدَ لِلْمَوْضُوعِيَّةِ الْنِيتْشَوِيَّةِ بِمَا هِيَ عَتَبَارٌ بِكُلِّ الْمَنْظُورَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ هُوَ ذَا عَتَبَارٌ يَفْتَحُ كُلَّ مَنْظُورٍ عَلَى وَجْهِ مِنْ وَجْوهِ الصَّرُورَةِ⁷²⁶.

لَا جَرَمَ أَنَّ ثَبَاسَرَ الْجِينِيُولُوجِيَا هَذِهِ الثَّقَلَةَ الْمَنْهَجِيَّةَ مَا دَامَتْ الْأُونَطُولُوجِيَا الْنِيتْشَوِيَّةُ ذَاتَهَا مَبْنِيَّةً عَلَى مَرْكَزِيَّةِ الْإِرَادَةِ الْمُعَقَّدَةِ ، الَّتِي تُؤَلَّفُ قِوَامُ الظَّوَاهِرِ جَمِيعًا ، لَا عَلَى مَرْكَزِيَّةِ الْعَاقِلَةِ ، وَطَبَقًا لِهَذَا الْمِثْوَالِ فِي التَّفَكِيرِ فَلَا بُدَّ أَنَّ تَنَزَّاحَ الْجِينِيُولُوجِيَا عَنِ الْبَحْثِ فِي الْمَفَاهِيمِ الْمَجْرَدَةِ أَوْ فِي مَاهِيَاتِ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ أَنْمَاطِ الْإِرَادَاتِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ ذَاتِهَا بِتَوَسُّلِ قِيَمٍ مَعْرِفِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ ، لَكِنَ قَامَ الرَّأْيُ عِنْدَنَا عَلَى عَدَمِ نَأْيِ الْجِينِيُولُوجِيَا عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْمَاهُويَّةِ كَمَا تَزْعُمُ ؛ التَّغْلِيلُ الْمُؤَيَّدُ لِرَأْيِنَا نَصُوغُهُ عَلَى النَحْوِ الْآتِي: إِذَا كَانَتْ مَاهِيَةُ الْعَالَمِ كَتَنُوعٍ هِيَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ ، فَإِنَّ السُّؤَالَ مَنْ ؟ ، لَا مَنَاصَ لَهُ مِنَ الْاِنْدِرَاجِ بِدَوْرِهِ فِي سُّؤَالِ مَاهِيَةِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، وَمِنْ ثَمَّتْ فَالْإِرَادَاتُ وَالْقُوَى الْمُتَخَفِيَّةُ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ إِلَّا عَنَاصِرٌ فِي جَوْفِ هَذِهِ الْمَاهِيَةِ ، وَنِيتْشَةُ يَقِيمُهَا بِالْاِرْتِكَازِ إِلَى تَمَاهِيهَا مَعَهَا أَوْ تَبَايُنِهَا عَنْهَا ، أَيُّ أَنَّ نِيتْشَةَ يَقْدِرُهَا مِنْ زَاوِيَةٍ تَوَافُقِهَا أَوْ تَعَارُضِهَا مَعَ بِنْيَةِ مَاهُويَّةٍ مُعَقَّدَةٍ اصْطَلَحَ عَلَيْهَا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ ، وَلَمَّا كَانَتْ الْقِيَمُ تُؤَوَّلُ كُلُّهَا فِي النِّهَايَةِ إِلَى أَنَّ تَكُونُ أَغْرَاضًا مُتَنَكِّرَةً لِنُوعَيْنِ مِنَ الْقُوَى تُرِيدُ شَيْئًا مَا ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى نُوعِيَّةِ الْإِرَادَةِ نَفْسِهَا الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا كُلُّ نَوْعٍ ، فَإِنَّ الْجِينِيُولُوجِيَّ يَتَبَيَّنُ قِيَمَتَهَا وَمَدَى تَعْبِيرِ الْقِيَمِ عَنِ الْمَاهِيَةِ مِنْ طَرِيقِ الْعُنْصُرِ التَّفَاضُلِيِّ الْمَوْسُومِ بِالْإِرَادَةِ.

مِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ نِيتْشَةَ يَقْلِبُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَارِدِ ، مَفْهُومَ الْغَايَةِ ، فَمَا تَصْبُو إِلَيْهِ الْإِرَادَاتُ لَيْسَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، الْقَبِيحُ وَالْجَمِيلُ ، مَا تُرِيدُهُ لَيْسَ هَذَا الشَّيْءُ أَوْ ذَاكَ ، لِأَنَّ الْغَايَاتِ نَفْسَهَا بِهَذَا الْمَفْهُومِ أَغْرَاضٌ وَأَمَارَاتٌ تَتَطَلَّبُ التَّشْخِيصَ لِلنَّفَازِ إِلَى مَا يَغْتَمِلُ فِي مَطَاوِيهَا ، ذَلِكَ أَنَّ مَا تُرِيدُهُ الْإِرَادَاتُ حَقًّا هُوَ تَوْكِيدُ وَتَرْقِيَةُ الذَّاتِ وَالْحَيَاةِ أَوْ نَفْيُهَا ، إِضْعَافُهَا ! وَهَذَا التَّفَكِيرُ حَسَبَ تَصَوُّرِنَا يَرْجِعُ إِلَى عُمُومِيَّةِ الْمَبْدَأِ الْأُونَطُولُوجِيِّ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، إِذْ لَا شَيْءَ خَارِجَهَا أُونَطُولُوجِيًّا ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ فَغَايَةُ الْغَايَاتِ جَمِيعًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا لَنْ تَكُونَ غَيْرَ ذَاتِهَا ، وَتَبَعًا لِهَذَا التَّأْوِيلِ الْنِيتْشَوِيِّ ،

⁷²⁵HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, § 1.

⁷²⁶Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to power, The possibility of Value, Cambridge University Press, 2018, p. 80 : « Rather, in line with his view that objectivity entails the consideration of multiple perspectives (GM, III, 12), Nietzsche redefines objective knowledge to comprise the adoption of a comprehensive explanatory perspective that includes but is not reducible to the perspective of the natural sciences ».

فَطَوَاهِرُ الْحَضَارَةِ، بِمَا هِيَ قِيَمٌ، إِمَّا أَنَّهَا تُعَبَّرُ عَنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِوصفِهَا، إِنْ اسْتَعَرْنَا تَعْبِيرَ هَابِدَغِر، إِرَادَةَ الْإِرَادَةِ، وَإِمَّا أَنَّهَا تُفَصِّحُ عَنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِاعتبارِهَا إِرَادَةً نَفْيِ الْإِرَادَةِ وَإِثَرُ ذَلِكَ تُصْبِحُ ضَرْبًا مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي تُرِيدُ الْقَضَاءَ عَلَى الْحَيَاةِ، وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْمَفَارِقَةِ الَّتِي تَقَعُ فِيهِ الْقُوَى الْعَدِمِيَّةُ الَّتِي تُرِيدُ انْطِلَاقًا مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي لَدَيْهَا أَنْ تَنْفِي الْحَيَاةَ فِي كُلِّتِهَا وَتَنْسَلِّحَ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمُبْتَغَى بِكُلِّ مَا تُصَادِفُهُ وَجَمِيعَ مَا يَقَعُ فِي مُتَنَاقُلِهَا مِنْ قِيَمٍ بِصَرْفِ النَّظَرِ أَكَانَتْ عِلْمِيَّةً، فِلْسَفِيَّةً، فَنِيَّةً.

وَالْحَالُ أَنَّ التَّقْدَ الجِينِيالُوجِيَّ، كَمَا يُلَاحِظُ دُولوز، يَضَعُ فِعْلَ التَّقْوِيمِ نَفْسَهُ مَوْضِعَ اسْتِفْهَامٍ، وَمَا دَامَتِ الْمَعْرِفَةُ فِي مُخْتَلِفِ أَشْكَالِهَا قَائِمَةً عَلَى تَقْوِيمَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، فَإِنَّهَا تَصِيرُ بِدَوْرِهَا مَوْضُوعًا لِلْمَسْأَلَةِ الْجَذْبِيَّةِ؛ فَهُوَ، جَرِيًّا عَلَى هَذِهِ الرَادِيكَالِيَّةِ، لَا يَضَعُ هَذَا التَّقْوِيمَ أَوْ ذَاكَ مَوْضِعَ تَسْأُولٍ، لَكِنَّهُ يَمْضِي إِلَى الْكَشْفِ عَنْ بَنِيَّةِ التَّقْوِيمِ ذَاتِهَا، وَهُوَ فِي سَعْيِهِ هَذَا يَنْقُلُ إِشْكَالِيَّةَ الْأَخْلَاقِ مِنْ مُسْتَوَى الْوَاقِعَةِ إِلَى مُسْتَوَى التَّأْوِيلِ⁷²⁷ كَمَا يَنْقُلُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ مُسْتَوَى الْمَوْضُوعِيَّةِ إِلَى مُسْتَوَى الْوَهْمِ، مَا يَجْعَلُ الْمَعْرِفَةَ الْبَشَرِيَّةَ ذَاتَهَا خَطَأً أَوْ زَيْفًا.

وَيُوجِبُ ذَلِكَ لَا يَسْتَهْدَفُ التَّقْدَ مَعْرِفَةً يُزَعَمُ أَنَّهَا خَاطِئَةٌ دُونَ مَعْرِفَةٍ يُدَّعَى أَنَّهَا صَابِغَةٌ بَلْ الْمَعْرِفَةُ ذَاتِهَا تَقُومُ عَلَى التَّزْوِيرِ؛ فَهِيَ فِي مَحَاضٍ فَعَالِيَاتِهَا تَغْدِيلٌ وَتَحْرِيفٌ. وَهَذَا مَا يُعْرَبُ عَنْهُ دُولُوز قَائِلًا: "لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ وَاقِعَةٍ وَلَا مِنْ ظَاهِرَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ بَلْ تَأْوِيلٌ أَخْلَاقِيٌّ لِلظَّوَاهِرِ. وَلَا وُجُودَ لَأَوْهَامٍ مَعْرِفَةٍ لَكِنَّ الْمَعْرِفَةَ عَيْنُهَا وَهْمٌ: الْمَعْرِفَةُ خَطَأٌ، بَلْ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ تَزْيِيفٌ"⁷²⁸. لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ التَّقْدَ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يُقَالُ عَنْهَا خَيْرَةٌ بِالْفِعْلِ وَتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ بِالذَّاتِ وَذَلِكَ الْدِّينَ الصَّحِيحَ عَيْنُهُ⁷²⁹، وَمَا لَمْ يُفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ التَّقْدَ يَظَلُّ يَتَحَرَّكُ دَاخِلَ الْمَجَالِ الَّذِي يَنْتَقِدُهُ، كَمَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا الدِّينَ الْمَسِيحِيَّ أَوْ ذَاكَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ، أَوْ يَنْتَقِدُ هَؤُلَاءِ الْكَهَنَةَ أَوْ أُولَئِكَ الْأُئِمَّةَ، لَكِنَّ الدِّينَ نَفْسَهُ يَبْقَى خَارِجَ التَّقْدِ؛ وَأَسْبَابُ طَفْقَانِ التَّقَادِ دَاخِلَ أُسْجَةٍ مَا يَنْتَقِدُونَهُ كَثِيرَةٌ مِنْ بَيْنِهَا، يَقُولُ نِيَتَشْه، خُضُوعُهُمْ إِلَى أَخْلَاقِ بَعِينِهَا، جَاعِلِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ حَرَسَهَا وَدِرْعَهَا، وَمِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْاِعْتِقَادِ الَّذِي تُحَرِّكُهُ الْمُثُلُ الْمَسِيحِيَّةُ بِأَنْ الْإِثَارَ أَوْ نُكْرَانَ الذَّاتِ وَالتَّضْحِيَّةَ بِهَا هُوَ مَا يُؤَلَّفُ مِيزَةَ الْعَمَلِ الْأَخْلَاقِيِّ بِحَقٍّ⁷³⁰، وَيَكْمُنُ

⁷²⁷PBM, § 108 : « Il n'existe pas de phénomènes moraux, mais seulement une interprétation morale des phénomènes ».

⁷²⁸Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 103 : « Qu'il n'y a pas de fait ni de phénomène moral, mais une interprétation morale des phénomènes. Qu'il n'y a pas d'illusions de la connaissance, mais que la connaissance elle-même est une illusion : la connaissance est une erreur pire une falsification ».

⁷²⁹Ibid, p. 103 : « La critique n'a rien fait tant qu'elle n'a pas porté sur la vérité elle-même, sur la vraie connaissance, sur la vraie morale, sur la vraie religion ».

⁷³⁰GS, Trad. Patrick Wotling, § 345 : « D'ordinaire, ils continuent d'obéir eux-mêmes ingénument au commandement d'une certaine morale dont ils se font, à leur insu, les portes —enseigne et à laquelle ils font cortège; par exemple en ressassant encore et toujours avec telle confiance ce préjugé populaire de l'Europe chrétienne qui veut que la caractéristique de l'action morale réside dans l'abnégation, la négation de soi, le

خَطُّوْهُمُ الْاِعْتِيَادِي فِي تَسْلِيْمِهِمْ بِمَا تَوَاضَعَتْ عَلَيْهِ الشُّعُوبُ ، خُصُوصًا تِلْكَمُ الَّتِي خَضَعَتْ لِلتَّدْجِيْنِ وَالتَّرْوِيضِ ، وَمِنْ ثَمَّ التَّسْلِيْمُ بِقَوَانِيْنٍ اَخْلَاقِيَّةٍ تُرْبِدُ أَنْ تُلْزِمَ الْجَمِيْعَ بِهَا ، وَيَقْعُونَ فِي خَطَا آخَرَ لَمَّا يَنْتَهَوْنَ إِلَى النَّفْيِ الْمُطْلَقِ لِلْإِلْزَامِ فِي الْأَخْلَاقِ وَآثَرُ ذَلِكَ يَخْلُصُونَ إِلَى تَقْرِيرٍ: مَا مِنْ أَخْلَاقٍ مُلْزِمَةٍ ، لَمَّا شَاهَدُوا الْاِخْتِلَافَ قَدْ ضَرَبَ أَطْنَابَهُ عَلَى تَقْدِيرَاتِ الشُّعُوبِ الْمُتَبَايِنَةِ وَلَمَّا لَاحَتْ لَهُمْ فُرُوقُ اخْلَاقِهَا⁷³¹ . أَمَّا الْخَطَا الثَّلَاثُ الْأَكْثَرُ خَفَاءً وَرَهَافَةً لَدَى ثِقَادِ الْأَخْلَاقِ ، فَيَكْمُنُ فِي انْتِقَادِهِمْ لَأَرَاءِ شَعْبٍ مَا مِنْ الشُّعُوبِ فِي اخْلَاقِهِ وَالَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ غَيْرَ مَعْقُولَةٍ أَوْ فِي انْتِقَادِهِمْ لَأَرَاءِ النَّاسِ فِي الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَكَانَتْ أَرَاءً فِي أَصْلِ الْأَخْلَاقِ أَمْ أَرَاءً فِي الْعِقَابِ الدِّينِيِّ وَالْحُكْمِ الْمُسَبَّقِ لِحَرْبَةِ الْاِخْتِيَارِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُمْ بِهَذَا الصَّنِيعِ قَدْ انْتَقَدُوا الْأَخْلَاقَ عَيْنَهَا ، غَيْرَ مُدْرِكِينَ أَنَّهُمْ مَا انْتَقَدُوا إِلَّا هَذَا الرَّأْيَ أَوْ ذَاكَ الْمَبْدَأَ الَّذِي تَقْوَمُ بِهِ الْأَخْلَاقُ وَالْمُتَمَثِّلُ فِي مَبْدَأٍ "وَاجِبٌ عَلَيْكَ" ، لَكِنَّ الْمَبْدَأَ نَفْسَهُ يَظَلُّ فِي مَنْجَى مِنَ النِّقَدِ ، لِذَلِكَ وَضَعَ نِيَتَشَهُ تَمْيِيزًا إِجْرَائِيًّا بَيْنَ قِيَمَةِ هَذَا الْمَبْدَأِ نَفْسِهِ (وَمِنْ ثَمَّ الْأَخْلَاقُ عَيْنُهَا) وَالْأَغْلَاطِ الْاِثْمَةِ الَّتِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا! (وَمِنْ ثَمَّ الْأَخْطَاءُ الَّتِي قَدْ تَنْتُجُ مِنْهَا الْأَخْلَاقُ أَوْ تُصَاحِبُهَا)⁷³² .

بَعِيدًا عَنْ مُعْتَرَكِ الثُّقُودِ الْاِعْتِيَادِيَّةِ ، تَنْفَرِدُ الْجِينِيَالُوجِيَا بِتَقْدِ الْأَخْلَاقِ ذَاتِهَا لَا مِنْ جِهَةٍ نَظَرٍ صُورِيَّةٍ كَمَا هُوَ الْحَالُ عِنْدَ كَانِطٍ ، ذَلِكَ أَنَّ نِيَتَشَهُ ، عَلَى الضِّدِّ مِنْ هَذَا الْمَنَوَالِ الصُّورِيِّ ، لَا يَكْشِفُ عَنْ شُرُوطِ قَبْلِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ وَالتَّقْوِيمِ ذَاتِ سِمَةٍ مُتَعَالِيَةٍ عَمَّا تَشْرِطُهُ (أَقْصَدُ عَنَاصِرَ الْأَخْلَاقِ أَوْ مَادَّتِهَا) ، وَإِنَّمَا يُسْفَرُ عَنْ مَبَادِي تَكْوِينِيَّةٍ تَوَلِيدِيَّةٍ كَامِنَةٍ⁷³³ لِلْمَشْرُوطِ وَمُرْتَبِطَةٍ بِالتَّارِيخِ ، وَطَبْعًا فَالْنَقْدُ هُنَا نَقْدٌ دَاخِلِيٌّ يَنْطَلِقُ مِنْ

sacrifice de soi ou dans la compassion, dans la pitié ». Voir Ibid, Trad. Henri Albert « ... l'altruisme, le renoncement, le sacrifice de soi-même, la pitié, la compassion » .

⁷³¹GS, Trad. Henri Albert, § 345.

⁷³²Ibid : « La faute des plus subtils d'entre eux c'est de découvrir et de critiquer les opinions, peut-être erronées, qu'un peuple pourrait avoir sur sa morale ou bien les hommes sur toute morale humaine, soit des opinions sur l'origine de la morale, la sanction religieuse, le préjugé du libre arbitre, etc., et de croire qu'ils ont, de ce fait, critiqué cette morale elle-même. Mais la valeur du précepte « tu dois » est profondément différente et indépendante de pareilles opinions sur ce précepte, et de l'ivraie d'erreurs dont il est peut-être couvert : de même l'efficacité d'un médicament sur un malade n'a aucun rapport avec les notions médicales de ce malade, qu'elles soient scientifiques ou qu'il pense comme une vieille femme. Une morale pourrait même avoir son origine dans une erreur : cette constatation ne ferait même pas toucher au problème de sa valeur. - La valeur de ce médicament, le plus célèbre de tous, de ce médicament que l'on appelle morale, n'a donc été examinée jusqu'à présent par personne : il faudrait, pour cela, avant toute autre chose, qu'elle fût mise en question. Eh bien! c'est précisément là notre œuvre » .

⁷³³Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 104 : « Et en fait, Kant ne réalise pas son projet de critique immanente. La philosophie transcendante découvre des conditions qui restent encore extérieures au conditionné. Les principes transcendants sont des principes de conditionnement, non pas de genèse interne » .

دَاخِلِ التَّقْوِيمِ الْأَخْلَاقِيِّ ذَاتِهِ ، لِيَكْشِفَ عَنِ الْأَصُولِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُهُ وَذَلِكَ بِفَضْلِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي هِيَ بِمِثَابَةِ مَبْدَأِ تَكْوِينِيٍّ تَوَلِيدِيٍّ (جِينِيَالُوجِيٍّ) بِمَقْدُورِهِ أَنْ يَضْطَلَعَ بِمَهْمَةِ النِّقْدِ الدَّاخِلِيِّ⁷³⁴.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَنهجُ يَسْأَلُ عَلَى صَعِيدِ الْمَعْرِفَةِ عَنِ الْأَصْلِ التَّكْوِينِيِّ وَالتَّوَلِيدِيِّ لِلْعَقْلِ بِالذَّاتِ ، لِفَهَامَةِ وَمَقُولَاتِهَا ، مَنْ يَقِفُ وَرَاءَ الْعَقْلِ بِالذَّاتِ ؟ ، فَإِنَّهُ عَلَى صَعِيدِ الْأَخْلَاقِ يَسْأَلُ عَنِ الْأَصْلِ التَّكْوِينِيِّ وَالتَّوَلِيدِيِّ لِلْأَخْلَاقِ ، وَالْفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ ؟ وَعَنِ الْقُوَى وَالْإِرَادَاتِ الَّتِي تَخْتَبِئُ وَرَاءَهَا؟⁷³⁵. إِنَّ تَصَوُّرَ نِيَتِهِ لِلنِّقْدِ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَقُومُ عَلَى مَبَادِيٍّ تَوَلِيدِيَّةٍ تَكْوِينِيَّةٍ وَتَشْكِيلِيَّةٍ تَصِفُ مَعْنَى الْمَعْتَقَدَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ وَالتَّقْوِيمَاتِ وَقِيَمَتِهَا⁷³⁶. هَكَذَا تُقْضِي الْمُقَارَبَةُ النِّيَتَشُوبَةُ إِلَى بَيَانِ كَوْنِ الْأَخْلَاقِ تَقْوِيمًا وَنِظَامًا تَرَاتُيبًا مِنَ الْأَنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ وَالْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ يُعَيِّرَانِ عَنْ مَارَبِ جَمَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ عَلَى النُّحُوِّ الَّتِي يَغْدُو فِيهِ مَا هُوَ نَافِعٌ لَهَا مَعْيَارًا لِلْقِيَمَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ أَفْرَادِهَا⁷³⁷.

تَفْصِيلاً لِلْمَذْكُورِ سَالِفًا ، فَالْجِينِيَالُوجِيَّا تَقْتَرِنُ بِمُشْكَلَةِ قِيَمَةِ الْقِيَمِ حَيْثُ يُنْظَرُ إِلَى الْقِيَمِ لَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ كَوْنِهَا مَبَادِيٍّ مُجَرَّدَةً تُقَيَّمُ بِهَا الظَّاهِرَاتُ بَلْ مِنْ حَيْثِيَّةٍ أَنَّهَا نَتِيجَةٌ لِتَقَاوِيمٍ مُعَيَّنَةٍ تَشْفُ عَنْ تَأْوِيلٍ وَمَنْظُورٍ يَتَوَقَّفَانِ عَلَى شُرُوطِ فِيزِيُو-نَفْسِيَّةٍ ، وَتَلَكُمُ التَّقَاوِيمُ أَنْحَاءً فِي الْكَيْنُونَةِ وَأَنْمَاطٍ فِي الْفِعْلِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ وَيَقْوُمُونَ الْأَشْيَاءَ ، وَتُعَدُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ عُنَاوِرَ أُولِيَّةٍ بِهَا يَصْطَلِعُونَ قِيَمَهُمْ ، وَلَا يَتَبَنَّى الْإِنْسَانُ قِيَمًا إِلَّا طَبَقًا لِمُطَبِّقَتِهِ فِي الْوُجُودِ وَمِنْوَالِهِ فِي الْحَيَاةِ ، وَمَا هَذِهِ الْعُنَاوِرُ الْأُولِيَّةُ التَّقْوِيمِيَّةُ الَّتِي تَقْتَرِضُهَا الْقِيَمُ وَتَرْتَكِزُ إِلَيْهَا إِلَّا السَّفَالَةُ أَوْ الرُّفْعَةُ ، النَّبَالَةُ أَوَالِ الْحَسَّاسَةِ ، وَهِيَ لَيْسَتْ قِيَمًا بِلَغَةِ دُولُوز بَلْ الْعُنْصَرُ التَّفَاضُلِيُّ الَّذِي تُشْتَقُّ مِنْهَا قِيَمَةُ الْقِيَمِ⁷³⁸.

وَبِمُوجِبِ هَذَا التَّصَوُّرِ النِّقْدِيِّ يَسْتَبْعَدُ نِيَتُهُ الْمَنْحَى الْفَلَسْفِيُّ الَّذِي سَلَكَهُ الْفَلَاسِفَةُ قَبْلَهُ (عَلَى غِرَارِ كَانْتُ وَهِيْجَلْ) ، ذَلِكَ الَّذِي يُرْسِخُ الْقِيَمَ السَّائِدَةَ وَيَصُوغُهَا وَيَبْرِرُهَا فَلَسْفِيًّا ، حَتَّى صَارَتْ حَقَائِقَ فِي

⁷³⁴Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 104 : « Reste que les principes chez Nietzsche ne sont jamais des principes transcendants; ceux-ci sont précisément remplacés par la généalogie. Seule la volonté de puissance comme principe génétique et généalogique, comme principe législatif, est apte à réaliser la critique interne ».

⁷³⁵ طبعاً يكشف نيتشه هنا عن الغرائز السليمة أو السليمة التي تلعب الدور الأكبر في صياغة المنظومات المعرفية أو الأخلاقية أو الدينية.

⁷³⁶Ibid, p. 107 : « ... des principes génétiques et plastiques, qui rendent compte du sens et de la valeur des croyances, des interprétations et évaluations ».

⁷³⁷GS, Trad. Henri Albert, § 116 : « Instinct de troupeau. Partout où nous rencontrons une morale, nous rencontrons une évaluation et un classement des actions et des instincts humains. Ces évaluations et ces classements sont toujours l'expression des besoins d'une communauté ou d'un troupeau. Ce qui, en premier lieu, est utile au troupeau — et aussi en deuxième et en troisième lieu -, est aussi la mesure supérieure pour la valeur de tous les individus. Par la morale l'individu est instruit à être fonction du troupeau et à ne s'attribuer de la valeur qu'en tant que fonction ».

⁷³⁸Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 2 : « Voilà l'essentiel : le haut et le bas, le noble et le vil ne sont pas des valeurs, mais représentent l'élément différentiel dont dérive la valeur des valeurs elles-mêmes ».

الْمَجَالِ الْمَنْطَقِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ وَالْفَنِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَهَكَذَا تَحَوَّلَتِ الْفَلَسَفَةُ عَلَى يَدِ شَقِيلَةِ الْفَلَسَفَةِ إِلَى خَادِمٍ وَظِيفَتُهُ إِضْفَاءُ الطَّابَعِ الْعَقْلِيِّ عَلَى الْقِيَمِ السَّائِدَةِ وَالْمُهَيْمِنَةِ.⁷³⁹

لَقَدْ نَسَخَتْ الْجِينِيَالُوجِيَا نَازِعَ الشَّكِّ لَهَا أَبَانَتْ عَمَّا يَعْتَمَلُ فِي أَصُولِ الْقِيَمِ مِنْ عُنَاوَرٍ لِعَقْلَانِيَّةٍ ؛ فَمَا غَثَرَفِيهَا عَلَى الْكُونِيَّةِ الْكَانُطِيَّةِ وَلَا عَلَى مَنَفَعَةِ النَّفْعِيِّينَ بَلْ وَقَفَتْ عَلَى الْعُنُصْرِ التَّفَاضُلِيِّ لِلشُّعُورِ بِالْمَسَافَةِ وَالْاِخْتِلَافِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ وُجُودِ مَنَفَعَةٍ أَوْ مَفْسَدَةٍ.⁷⁴⁰ وَبِالْعَقْلِ التَّارِيخِيِّ الْجِينِيَالُوجِيِّ انْكَشَفَ هَذَا الْأَصْلُ النَّبِيلُ لِلْقِيَمِ الرَّفِيعَةِ وَالْأَصْلُ الْحَسِيسُ لِلْقِيَمِ الْوَضِيعَةِ وَلَا عَرَوْ مِنْ أَنْ تُقْضَى الْجِينِيَالُوجِيَا لَدَى نَيْتَشَةِ إِلَى بَيَانِ أَنَّ الْحَسَنَ أَوْ الْجَيِّدَ (وَمِنْ ثَمَّ الْأَخْلَاقِ) لَمْ يَكُنْ ، كَمَا تَصَوَّرَ فَلَاسِفَةُ الْأَخْلَاقِ الْإِنْجِلِيزِ ، الْفِعْلَ الْغَيْرِيَّ اللَّائِنَانِيَّ الْمَجْرَدَ مِنَ الْمَنَفَعَةِ الَّذِي تَلْقَاهُ النَّاسُ بِالثَّنَاءِ وَالْقَبُولِ وَبَعْدَ أَنْ طَوَى النَّسِيَانُ ذَلِكَ ، وَبَعْدَمَا دَأَبُوا عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، صَارَ يَظْهَرُ لَهُمْ حَسَنًا فِي ذَاتِهِ ، وَإِنَّمَا الْحَسَنُ يَنْبَغُ مِنْ إِحْسَاسٍ صَنَفٍ رَاقٍ وَنَبِيلٍ مِنَ الْبَشَرِ بِالْمَسَافَةِ الَّتِي تَفْصِلُهُمْ عَنِ الْبَقِيَّةِ.⁷⁴¹

وَمِنْ شُعُورِ هَذِهِ الزُّمُرَةِ النَّبِيلَةِ بِالْاِخْتِلَافِ فِي الْعُنُصْرِ وَالْمَكَانَةِ عَنْ أَغْيَارِهِمْ مِنَ الْأُسُوقَةِ وَالرِّعَاعِ وَالْعَامَةِ ، وَأَنْطِلَاقًا مِنْ بَاثُوسِ الْفَرْقِ ، بِاعْتِبَارِهِ الثَّرْوَةَ الْفِطْرِيَّةَ الَّتِي تَتَطَوَّرُ مِنْهُ الطَّبَقَاتُ الْمُهَيْمِنَةُ فِي ظِلِّ أَرِسْتَقْرَاطِيَّةٍ غَالِيَةِ التَّنْظِيمِ⁷⁴² ، اسْتَأْثَرُوا بِحَقِّ ابْتِدَاعِ الْقِيَمِ وَتَسْمِيَتِهَا بِكَذَا وَكَيْتَ⁷⁴³ ، لِذَا لَيْسَ الْحُكْمُ عَلَى شَيْءٍ مَا بِالْحُسْنِ مِنْ صَنِيعِ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَوَّمَلُوا بِالْحُسْنَى ، بَلْ مِنْ اجْتِرَاحِ أُولَئِكَ الْمُحْسِنِينَ الصَّالِحِينَ ، أَيْ مِنْ إِبْدَاعِ الْمُتَمَيِّزِينَ وَالْأَقْوِيَاءِ وَالْمُتَفَوِّقِينَ بِمَنْزِلَتِهِمْ وَرَفْعَةِ نُفُوسِهِمْ وَالَّذِينَ عَدُّوا أَنْفُسَهُمْ صَالِحِينَ وَجَيِّدِينَ وَحَكَمُوا عَلَى أَفْعَالِهِمْ بِالْحُسْنِ عَلَى تَقْيِضِ مَا هُوَ سَافِلٌ وَحَقِيرٌ وَعَامِيٌّ وَرَعَائِيٌّ.⁷⁴⁴

⁷³⁹PBM, Trad. d'Angèle Kremer-Marietti, § 211 : « Ces travailleurs philosophiques du Modèle noble de Kant et de Hegel ont établi et énoncé en formules un état de fait considérable en matière d'évaluations - c'est-à-dire des instaurations et des créations de valeurs datant de naguère et qui sont devenues dominantes et ont été appelées pour un temps des « vérités » - soit dans le domaine logique ou politique (moral) ou artistique. Ces chercheurs ont pour fonction de rendre évident, intelligible, saisissable, maniable tout ce qui a été produit et estimé jusqu'à ce jour ».

⁷⁴⁰GM, I, § 2 . See R. J. Hollingdale Nietzsche, The Man and His philosophy, Cambridge University Press, 2001 p. 188, Voir Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 103.

⁷⁴¹Laurence Lampert, Nietzsche's Task : An Interpretation of Beyond Good and Evil, Yale University Press, 2008, p. 265 : « As Nietzsche defines it, the pathos of distance is initially the experience of an aristocratic class looking down on what is subject to it ».

⁷⁴²Mark Alfano, Nietzsche's Moral psychology, Cambridge University Press, 2019, p. 212 : « Nietzsche characterizes the pathos of distance as the attitude that naturally develops among the ruling class in a highly stratified aristocracy ».

⁷⁴³R. J. Hollingdale, Nietzsche : The Man and His philosophy, p. 188 : « It was out of this pathos of distance that they first seized the right to create values and to coin names for values ».

⁷⁴⁴GM, Trad. Angèle Kremer-Marietti , I, § 2.

ولئن كانت اللغة وسيلة من وسائل القوة تستخدمها إرادة الاقتدار الخاصة بهذا الصنف الراقي ، فإن الحكم على الأشياء تحسيناً وتقييماً شأن تستأثر به على سبيل السبق لغة الأسياد أيضاً ، هو ذا ما يُعرب عنه هذا المورد: "أكرّر مرة أخرى أنّ الوعي بالتفوق والمسافة والشعور العام والجوهري والدائم والمهمين الذي يتعم به عرق متفوق وحاكم"⁷⁴⁵ ، بالتعارض مع عرقٍ دونيٍّ ، مع أسافل البشر ، هو ذا أصل التناقض بين "الحسن" و"القبیح" . (حق السيّد ، هذا الذي بمقتضاه توهب الأسماء ، يمضي أبعد إلى حد أنه بالمقدور أن نعدّ أصل اللغة ذاته فعل سلطةٍ يصدر من أولئك المسيطرين . إنهم يقولون : "إنّ هذا الشيء كذا وكيت" ، ولقد قرئوا بشيء ما وواقعة معينة هذا اللفظ وبذلك جعلوها ملكاً لهم ."⁷⁴⁶ (747 .

إذن تكشف الجينيولوجيا أنّ الحسن لم يرتبط ارتباطاً ضرورياً بالأفعال الإثارية بل هذا الربط لم ينبثق لدى البشر إلا بُعيداً أقول التقييمات الأرستقراطية وصعود غريزة القطيع وهيمنتها المتزايدة على الوعي الإنساني ، فأصبح الحكم المسبق المهمين يُرادف بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي وأخذ ذلك يجري في تصوّر البشر للأخلاق مجرى فكرة راسخة وعقيدة لا تقبل المناقشة⁷⁴⁸ .

في كنف هذا المنهج النيتشوي يقف المرء على ازدواجية الأخلاق الأولى أو على غنصرها الاختلافي والتفاضلي الذي يُفسّر لم بعضها إثباتي للحياة ؟ وبعضها الآخر عدائي لها ؟ ، ويقصد من ذلك القوى

⁷⁴⁵ في ترجمة كريم مارييتي : إنّ انفعال التميّز والمسافة ... لنوع متفوق و مسيطر بالمقارنة مع نوع أشد وضاعةً.

« Le pathos de la distinction et de la distance ... D'une espèce supérieure et dominante en rapport avec une espèce plus médiocre »

⁷⁴⁶ في ترجمة كريم مارييتي : " إنّ حق الأسياد في إعطاء الأسماء يذهب أبعد إلى حدّ يمكن أن يكون فيه مسموحاً اعتبار أصل اللغة ذاته صادراً من فعل سلطة المسيطرين : يقولون "ها هو ذا الشيء و ذلك" ، إنهم يلصقون بكل شيء و بكل حدث صوتاً يميز بينها وبذلك يمتلكونها إنّ جاز القول " .

« Les droits des maitres de donner des noms va si loin qu'il devrait être permis de considérer l'origine même du langage comme émanant d'un acte d'autorité des dominants : ils disent « voici telle et telle choses » ils apposent sur toute chose et sur tout événement un son qui les différencie, et par là même ils en prennent pour ainsi dire possession) » .

⁷⁴⁷ GM, Trad. Henri Albert, I, § 2 : « La conscience de la supériorité et de la distance, je le répète, le sentiment général, fondamental, durable et dominant d'une race supérieure et régnante, en opposition avec une race inférieure, avec un « bas-fond humain » — voilà l'origine de l'antithèse entre « bon » et « mauvais » . (Ce droit de maître en vertu de quoi on donne des noms va si loin que l'on peut considérer l'origine même du langage comme un acte d'autorité émanant de ceux qui dominent. Ils ont dit : « ceci est telle et telle chose », ils ont attaché à un objet et à un fait tel vocable, et par là ils se les sont pour ainsi dire appropriés) » .

⁷⁴⁸ Ibid : « ... le mot « bon » ne s'attache point nécessairement aux actions « non égoïstes » . C'est bien plutôt sur le déclin des évaluations aristocratiques que l'antithèse « égoïste » et « désintéressée » (« non égoïste ») s'empare de plus en plus de la conscience humaine ... où le préjugé qui tient les concepts « moral », « non égoïste », « désintéressé » pour équivalents règne déjà avec la puissance d'une « idée fixe »... » .

النبيلة أو الخسيسة التي تقوم العالم وتؤوله طبقاً لما في كينونيتها من اقتدار أو عجز، من ثراء أو فقر، من إرادة أو تقاعس⁷⁴⁹.

كل ما هنالك أنّ هذا المنهج متضلع من النفاذ إلى الأمور الإنسانية من منقذ طبيعة ومضمون إرادتها ما دامت إرادة الاقتدار، أساساً، اقتداراً يريد⁷⁵⁰، بمقدار ما هي أيضاً طلب للاقتدار، ذلك أنّ فهم شيء ما وتقويمه يتوقف على تشخيص طبيعة الإرادة التي تحركه، وبلغة بيار سوفرين: "إنّ فهم وتقويم شيء ما هو إذن فهم وتقويم الذي يريد⁷⁵¹". وتذكيراً لا تفصيلاً فالإرادة هذه هي العنصر التفاضلي الذي يحدّد لنا قيمة التقاويم، وعلى هذا النحو تغدو المفاهيم الدينية والأخلاقية والمعرفية أغراضاً وعلامات تُضمّر في جوفها قوى معينة في أوضاع فيزيولوجية ونفسية وطبائعية، إمّا تدفعها إلى الإقبال على الحياة أو الإدبار عنها، إمّا تريد الاقتدار أو تتقاعس عنه.

وبمقتضى ذلك فالخير والشر ليسا من أصل فوقيّ وليساً شيئاً في ذاته، وإنّما هما تقويمان للحياة⁷⁵²، والجينيولوجيا تشرع في تقويم التقاويم⁷⁵³ على أساس معايير معينة منها معيار الوفرة والفقر، الصحة والمرض⁷⁵⁴، منها معيار الاقتدار والحوار ومنها معيار الإثبات والتفني: أتمجد الحياة، بما هي مرجع أعلى، في نفسها أو في الآفاق أو تحط من قدرها في ذاتها أو في هذا المورد أو ذاك نطاق، منها معيار الفاعلية والانفعالية، منها معيار الذرائعية البيولوجية.

المبحث الثاني: مباني التأويل الجينيولوجي: التناول السيميولوجي، التشخيص الطبي، النظر المعيارى

ليس بدعاً جزئياً على المذكور المتقدم ألا تكون الظواهر في باصرة الجينيولوجيا إلا علامات وعلى نحو أدق أغراضاً⁷⁵⁵؛ لذلك يوجب النقد الجينيولوجي النظر إلى الحضارة على أنّها مرض يتطلب التشخيص⁷⁵⁶، ما يعني التعامل مع المنظومات الحضارية التي ينتجها الوعي الإنساني على أنّها أغراض ما دام الوعي نفسه في غالب أوجهه السائدة من طبيعة ارتكاسية وهو نفسه عرض لقوى تتخطاه⁷⁵⁷، بل

⁷⁴⁹GM, Trad. Henri Albert, avant propos, § 3. Voir CI, La morale en tant que manifestation contre nature § 4-5.

⁷⁵⁰Pierre Héber-Suffrin, Le Zarathoustra de Nietzsche : prologue de Zarathoustra, p. 105.

⁷⁵¹Ibid, p. 105 : « Comprendre et estimer une chose c'est donc comprendre est estimer ce qu'elle veut ».

⁷⁵²GM, Trad. Henri Albert, p. 54.

⁷⁵³Ibid, p. 59.

⁷⁵⁴VP, Trad. Henri Albert, § 457.

⁷⁵⁵Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 152. Voir Eric Blondel : Nietzsche, le corps et la culture, p. 334.

⁷⁵⁶Ariane Bilheran, La maladie, critère des valeurs chez Nietzsche, prémices d'une psychanalyse des affects, chapitre phénoménologie descriptive de la maladie, Harmattan 2005.

⁷⁵⁷GS, Trad. Henri Albert, § 11.

يَذْهَبُ نَيْتَشْه أُبْعَدَ مِنْ هَذَا جِينْمَا تَعَامَلَ مَعَ الْوَعْيِ بِعَامَةِ وَالْوَعْيِ الْأَخْلَاقِيِّ وَمَقُولَاتِهِ بِخَاصَّةٍ عَلَى أَنَّهُمَا نَتِجَةُ تَارِيخٍ سَابِقٍ لِسَيَرَوَاتٍ جُسْمَانِيَّةٍ غَرِيزِيَّةٍ وَهَوَوِيَّةٍ وَتَجَارِبٍ فَرْدِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ وَهِيَ، كَمَا تَنَاصَرَتْ شَوَاهِدُ الْأُمَمِ عَلَى ذَلِكَ، الرَّحْمُ الَّذِي أَنْجَبَ أَحْكَامَ الصَّمِيرِ وَمَا شَابَهَهُ⁷⁵⁸ وَهَذَا مَا بَرَحَ نَيْتَشْه يُلْحُ عَلَيْهِ كَثِيرًا، فَهُوَ الْقَائِلُ: "لَيْسَتْ الْأَخْلَاقُ أَيْضًا إِلَّا اللُّغَةُ الْمَجَازِيَّةُ لِلْأَهْوَاءِ"⁷⁵⁹ وَهُوَ الْمُفْصَحُ: "لَعَلَّ الْأَخْلَاقَ بِرُمْتِهَا تَأْوِيلٌ لِلْغَرَائِزِ الْجَسَدِيَّةِ"⁷⁶⁰ وَهُوَ الْمُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: "كُلُّ الْأَدْيَانِ وَالْفَلَسَفَاتِ أَغْرَاضٌ لِلصِّحَّةِ الْجَسَدِيَّةِ"⁷⁶¹. وَفِي سِيَاقِ الرَّدِّ الْفِيْزِيُولُوجِيِّ أَيْضًا أُوْرِدَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْمَجْلَدِ الثَّانِي عَشَرَ مَا يَلِي: "تَأْوِيلٌ، وَمِنْوَالٌ فِي التَّأْوِيلِ، تَثْمِينُ الْقِيَمَةِ الْخُلُقِيَّةِ، وَالتَّأْوِيلُ ذَاتُهُ عَرَضٌ لِبَعْضِ الْأَحْوَالِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ"⁷⁶².

يَقْتَضِي الْأَمْرُ أَنْ يُؤْخَذَ الْكَلَامُ وَاللُّغَةُ مَأْخَذَ الْأَغْرَاضِ وَالْعَلَامَاتِ، فَهَمَّا لَا يَنْدَانِ، كَمَا يُشِيرُ نَيْتَشْه، عَنِ الْأَصُولِ الَّتِي أُتِّجَتْ أَلْوَعْيِ، وَمَا دَامَ الْوَعْيُ يَتَكَوَّنُ وَيَنْمُو بِاعْتِبَارٍ لُغَوِيٍّ⁷⁶³ وَتَوَاصُلِيٍّ، وَمُتَوَطِّأً بِدَرَجَةِ الْمَدْنِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ⁷⁶⁴، فَإِنَّهُ مِنَ الْلُزُومِ، كَمَا يُلْحُ دُولُوز، الْقِيَامَ بِإِجْرَاءِ ثَانٍ يَتِمَثَّلُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْخِطَابَاتِ عَلَى أَنَّهَا أَيْضًا أَغْرَاضٌ تَسْتَدْعِي التَّأْوِيلَ وَالتَّقْوِيمَ، وَهِيَ ذَاتُهَا، حَسْبَمَا يَنْطِقُ بِهِ هَذَا النَّهْجُ النَيْتَشَوِي، أَغْرَاضٌ لِلْأَهْوَاءِ وَالْغَرَائِزِ بِمَا فِي ذَلِكَ الْخِطَابُ الْفَلَسَفِيُّ⁷⁶⁵، دَعَا عَمَّا الْخِطَابِ الدِّينِيِّ؛ ذَلِكَ أَنَّ

⁷⁵⁸GS, Trad. Henri Albert, § 355 : « ... pourquoi considères-tu cela, et cela en particulier, comme juste? - «Parce que ma conscience me l'indique; la conscience ne parle jamais immoralement, car c'est elle qui détermine ce qui doit être moral ! » - Mais pourquoi écoutes-tu la voix de ta conscience? Et en quoi as-tu un droit à accepter comme vrai et infaillible un pareil jugement?... Ton jugement « cela est bien ainsi » a une première histoire dans tes instincts, tes penchants, tes antipathies, tes expériences et tes inéxpériences; il te faut demander : « Comment s'est-il formé là? » et encore après : « Qu'est-ce qui me pousse en somme à l'écouter?... Mais si tu écoutes tel ou tel jugement, comme la voix de ta conscience, en sorte que tu considères quelque chose comme juste, c'est peut-être parce que tu n'as jamais réfléchi sur toi-même et que tu as accepté aveuglément ce qui, depuis ton enfance, t'a été désigné comme juste, ou encore parce que le pain et les honneurs te sont venus jusqu'à présent avec ce que tu appelles ton devoir... La fermeté de ton jugement moral pourrait encore être une preuve d'une pauvreté personnelle, d'un manque d'individualité, ta «force morale» pourrait avoir sa source dans ton entêtement - ou dans ton incapacité de percevoir un idéal nouveau! En un mot : si tu avais pensé d'une façon plus subtile, mieux observé et appris davantage, à aucune condition tu n'appellerais plus devoir et conscience ce « devoir » et cette « conscience » que tu crois t'être personnels ».

⁷⁵⁹PBM, Trad. Henri Albert, § 187 : « Aussi les morales ne sont-elles qu'un langage figuré des passions ».

⁷⁶⁰FP, A, 6 [7] : « ... peut-être la morale tout entière est-elle une interprétation d'instincts physiques ». Voir FP, IX, 7 [76], FP, X, 25 [113], FP, XII, 2 [165].

⁷⁶¹FP, X, 25 [407] : « Toutes nos religions et philosophies sont des symptômes de notre santé physique ».

⁷⁶²FP, XII, Automne 1885 -automne 1887, 2 [190] : « l'appréciation de valeur morale est une interprétation, une façon d'interpréter. L'interprétation elle-même est un symptôme de certains états physiologiques ».

⁷⁶³GS, Trad. Henri Albert, § 354 : « ... car c'est cette pensée consciente seulement qui s'effectue en paroles, c'est-à-dire en signes de communication, par quoi l'origine même de la conscience ».

⁷⁶⁴Ignace Haaz, Les conceptions du corps chez Ribot et Nietzsche, L'Harmattan, 2002, p. 23.

⁷⁶⁵João Constâncio, Maria João Mayer Branco (Eds.), Nietzsche on Instinct and Language -De Gruyter, 2011, p. 240. « In the language of BGE 187, moral phenomena are, for Nietzsche, "just a sign language of the affects" »

الْأَلْفَاظَ كَمَا يَصِفُهَا نِيَتَشُهُ غَلَامَاتٌ صَوْتِيَّةٌ عَلَى الْأَفْكَارِ وَهَذِهِ بِدَوْرِهَا غَلَامَاتٌ عَلَى زُمْرَةٍ مِنَ الْأَحَاسِيْسِ ، وَيَقْتَضِي هَذَا النَّحْوُ فِي النَّظَرِ حُسْبَانَ اللَّغَةِ سَيْرُورَةً اخْتِزَالِيَّةً⁷⁶⁶ تُخْفِي الْعَدِيدَ مِنَ التَّجَارِبِ وَالْأَحَاسِيْسِ الَّتِي هِيَ بِلاَ مُمَاحَكَةٍ مَنْ صَنَعَتْ مَضْمُونَهَا وَتَأْرِيخَهَا. وَلَا تُخْلَفُ عَنِ الْكَلِمَاتِ الْقُصُودُ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهَا ، لِذَلِكَ نَظَرَ نِيَتَشُهُ إِلَى الْمَقَاصِدِ (النَوَايَا) عَلَى أَنَّهَا أَعْرَاضٌ وَعَلَامَاتٌ ، إِذْ قَالَ: "بِاخْتِصَارٍ إِنَّا نَحْسَبُ أَنَّ الْقَصْدَ لَيْسَ إِلَّا غَلَامَةً وَ عَرَضًا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلٍ وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ تَمْتَلِكُ ، بَدَلُ أَنْ تَعْنِيَ شَيْئًا مَا بِذَاتِهَا ، مَعَانِي فِي غَايَةِ التَّبَايُنِ"⁷⁶⁷ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْرُبَ عَنَّا الصَّلَةُ بَيْنَ الْإِضْمَارِ وَالْعَلَامَاتِ وَالرُّمُوزِ الَّتِي هِيَ شَوَاهِدٌ عَمَّا لَا يَفْتَأُ يَغِيبُ وَمَا لَا يَنْفَكُ يَتَنَكَّرُ ، وَمَا تُخْفِيهِ هُوَ مَا يَحْرُرُ الْأَشْيَاءَ مِنْ جِهَةٍ ، وَمَا يَنْزِعُ عَنْهَا الْقَدَاسَةَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَلَا عَرَوْ فِي أَنْ تَأْتِيَ الْجِينِيَالُوجِيَا عَلَى كُلِّ مَا كَانَ يُتَخَذُ مَصْدَرًا رَبَانِيًّا لَهَا لِتُكْشَفَ عَنْ رُسُوحِ جُذُورِهَا فِي ثَرَبَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْقَرَائِزِ ، يُفْصَحُ نِيَتَشُهُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: "يَنْبَغِي اسْتِنْبَاطُ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَجْرَامِ الْمُظْلِمَةِ بِجَوَارِ الشَّمْسِ - أَجْرَامٍ لَنْ تُشَاهِدَهَا الْبَتَّةَ. بَيْنِي وَبَيْنَكَ هَذَا وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ؛ فَالْسِّيْكُولُوجِيُّ الْأَخْلَاقِيُّ لَا يُطَالِعُ فِي كِتَابَاتِ النُّجُومِ إِلَّا لُغَةً رُمُوزٍ تَسْمَحُ بِكِتْمَانِ أَشْيَاءَ جَمَةٍ"⁷⁶⁸ .

مِنْ الْبَدْهِيِّ إِذَنْ أَنْ تُبْصَرَ الْجِينِيَالُوجِيَا فِي الظَّوَاهِرِ ، عَلَى تَنَوُّعِهَا ، أَعْرَاضًا وَعَلَامَاتٍ تَشْهَدُ عَلَى بَنَى سِيكُو-سُوسِيو-بِيُولُوجِيَّةٍ أَصْلِيَّةٍ تُوجِبُ التَّأْوِيلَ وَبِالْإِسْفَارِ عَنِ الْفَاعِلِيَّاتِ وَالْأَحْوَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي وَلَدَتْهَا وَبِمُوجِبِهَا فَقَطْ نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِالنُّبْلِ أَوْ الْخُسَاسَةِ ، بِالصِّحَّةِ أَوْ السَّقَمِ.

(BGE 187). That is to say, the historic evolutionary process we call morality is now analysed as a semiotics or "sign language" of physiological needs of particular types of life. Insofar as this calls for a philosophy of signs, nothing is more natural than to begin by questioning the philosophical discourse as such — its signs, its valuations, its prejudices, affirmations and denials... In short : language is the source from which Nietzsche draws, with the greatest precision, his diagnostics of the physiological needs that have created all forms of morality so far ».

⁷⁶⁶PBM, Trad. Henri Albert, § 268 : « ... — Les mots sont des signes verbaux pour désigner des idées; les idées elles, sont des signes imaginatifs, plus ou moins précis, correspondant à des sensations qui reviennent souvent et en même temps, des groupes de sensations... — l'histoire de la langue est l'histoire d'un procédé d'abréviation ... Savoir quels sont, dans une âme, les groupes de sensations qui s'éveillent le plus rapidement, qui prennent la parole, donnent des ordres, c'est là ce qui décide du classement complet de la valeur de ces sensations, c'est là ce qui, en dernière instance, fixe leur table de valeur. Les appréciations d'un homme présentent des révélations au sujet de la structure de son âme, montre où celle-ci voit ses conditions d'existence, son véritable besoin ».

⁷⁶⁷Ibid, § 32 : « Bref, nous croyons que l'intention n'est qu'un signe et un symptôme qui a besoin d'interprétation, et ce signe possède des sens trop. Différents pour signifier quelque chose par lui-même ».

⁷⁶⁸Ibid, § 196 : « Il faut conclure à l'existence d'innombrables corps obscurs à côté du soleil, — des corps que nous ne verrons jamais. Entre nous soit dit, c'est là un symbole; et un psychologue moraliste ne lira l'écriture des étoiles que comme un langage de symboles et de signes qui permet de taire bien des choses ».

وَعَلَيْهِ فَالْسِمَاتُ الْإِنْسِيَّةُ مِنْ قَبِيلِ الشِّدَّةِ وَالْبَاسِ دَلَائِلٌ عَلَى طِبَائِعِ دِيُونِيزُوسِيَّةِ الْحَيَاةِ كَمَا فِي وَجْهِهَا الْجَبْرُوتِيِّ، يَقُولُ نِيْتَشَةُ: "تَقْتَضِي الْمُهْمَةُ الدِيُونِيزُوسِيَّةُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ أَنْ تَمْتَلِكَ غُفَّتَ الْهَطْرِقَةِ، وَأَنْ تُحِبَّ شَهْوَةَ التَّدْمِيرِ. لَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ: "صَيِّرُوا أَشْدَّاءَ؛ مِنَ الْيَقِينِ أَنَّ كُلَّ الْخَالِقِينَ أَشْدَّاءَ، هُوَ ذَا عَلَامَةُ الطَّبِيعَةِ الدِيُونِيزُوسِيَّةِ"⁷⁶⁹، زِدْ عَلَى هَذَا أَنَّ الْغَرَائِزَ بِدَوْرِهَا أَعْرَاضٌ لِلصِّحَّةِ أَوْ الْمَرَضِ، تُشِيرُ إِلَى صِحَّةٍ تِلْكَمُ الْغَرَائِزُ أَوْ سَقَمِهَا أَوَّلًا وَصِحَّةِ الْحَامِلِ الْإِنْسَانِيِّ أَوْ سَقَمِهِ ثَانِيًا، كَتَبَ نِيْتَشَةُ فِي مُصَنَّفِهِ "هُوَ ذَا الْإِنْسَانُ" مَا يَلِي: "لَا شَيْءٌ مِمَّا تَعَامَلْتُ مَعَهُ الْإِنْسَانِيَّةُ حَتَّى أَيَّامَنَا هَذِهِ بِغَايَةِ الْجِدِيَّةِ يُؤَلَّفُ جُزْءًا مِنَ الْوَقَاعِ، مَا هِيَ إِلَّا أَوْهَامٌ، بِأَدَقِّ عِبَارَةٍ، مَا هِيَ إِلَّا أَكَاذِيبُ أَنْجَبَتْهَا الْغَرَائِزُ الْقَبِيحَةُ لِطِبَائِعِ مَرِيضَةٍ وَضَارَةٍ بِصُورَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ: كَذَلِكَ هِيَ مَفَاهِيمُ "اللَّهِ" وَ"النَّفْسِ" وَ"الْفَضِيلَةِ" وَ"الْخَطِيئَةِ" وَ"الْآخِرَةِ" وَ"الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ"... لَا أَحْسَبُ مِنَ الرِّجَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَزَعُمُ أَنَّهُمْ "الرُّوَادُ الْأَوَّلُونَ" بَيْنَ الْبَشَرِ؛ أَغْدُهُمْ حُثَالَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ وَنَتَاجُ الْمَرَضِ وَغَرِيزَةِ الثَّأْرِ: لَيْسُوا إِلَّا وَحُوشًا مُصَابَةً بِأَمْرَاضٍ مُسْتَعَصِيَّةٍ عَلَى الشِّفَاءِ وَضَارَةٍ تَبْحُثُ عَنِ الثَّأْرِ مِنَ الْحَيَاةِ... أَمْتَازُ عَلَيْهِمْ بِحَسَّاسِيَّةٍ قُصْوَى قَادِرَةٍ عَلَى تَمْيِيزِ كُلِّ أَعْرَاضِ الصِّحَّةِ فِي الْغَرَائِزِ"⁷⁷⁰.

جَرِيًّا عَلَى الْمِنَوَالِ نَفْسِهِ لَمْ يَحْمِلْ نِيْتَشَةُ الْمَوَاقِفَ الْفِكْرِيَّةَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَإِنَّمَا عَدَّهَا أَعْرَاضًا لِأَحْوَالِ سِيكُو- فِيزِيُولُوجِيَّةِ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضِيَّةٍ، وَهُوَ مَا تَتَبَيَّنَتْهُ مِنْ قَوْلِهِ: "جِينِمَا (الْأَنْفُسُ الْجَمِيلَةُ)، يَقْصُدُ (النِّسَاءُ) تُنَاضِلُ مِنْ أَجْلِ الظَّفَرِ بِحَقُوقِ مُسَاوِيَةِ لِحَقُوقِ الرِّجَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ عَرَضًا لِلْمَرَضِ"⁷⁷¹، وَعَلَى غَرَارِ ذَلِكَ يُؤَلَّفُ مَوْقِفُ إِدَانَةِ الْحَيَاةِ عَرَضًا لِصَنْفٍ مُحَدَّدٍ مِنَ الْحَيَاةِ⁷⁷² (الْحَيَاةِ الْمُتَقَهْقِرَةِ).

وَلَيْسَ بِدَعَا أَنْ يُلْحَقَ نِيْتَشَةُ عَلَى النَّظَرِ إِلَى الْأَخْلَاقِ ذَاتِهَا مِنْ حَيْثِيَّةِ عَرَضِ الْمَرَضِ، يُعَرَّبُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "يُعَدُّ النَّظَرُ إِلَى الْأَخْلَاقِ ذَاتِهَا عَلَى أَنَّهَا عَرَضُ الْإِنْحِطَاطِ ابْتِكَارًا وَفَرَادَةً مِنْ مَقَامٍ رَفِيعٍ فِي تَارِيخِ

⁷⁶⁹EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi j'écris de si bons livres, APZ, § 8 : « Une tâche dionysiaque exige au premier chef qu'on ait la violence du marteau, qu'on aime la volupté de détruire. Il faut dire « Devenez durs » ; être certain que tous les créateurs sont durs, voilà le vrai signe de la nature dionysiaque ».

⁷⁷⁰Ibid, Pourquoi j'en sais si long, § 10 : « Rien de ce que l'humanité a traité jusqu'à nos jours si gravement ne fait partie de la réalité; ce ne sont que chimères, ce ne sont, pour parler plus exactement, que mensonges nés des mauvais instincts de natures malades et foncièrement nuisibles : ainsi les notions de « Dieu », d' « âme », de « vertu », de « péché », d' « au-delà », de « vie éternelle ». Je ne range même pas parmi les hommes ces gens qu'on prétend les « premiers » d'entre eux; je les considère comme le rebut de l'humanité, des produits - de la maladie et de l'instinct de vengeance : ce ne sont que monstres incurables et néfastes qui cherchent à se venger de la vie... j'ai le privilège d'une sensibilité extrême capable de discerner dans les instincts tous les symptômes de santé ».

⁷⁷¹Ibid, § 5 : « Chez presque toutes celles qu'on appelle de « belles âmes » il y a au fond quelque malaise physiologique... Quand elles luttent pour conquérir des droits égaux à ceux de l'homme c'est un symptôme de maladie ».

⁷⁷²CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 5 : « Une condamnation de la vie de la part du vivant n'est finalement que le symptôme d'une espèce de vie déterminée ».

المعرفة⁷⁷³، شأنها شأن جميع ما يدور في فلك القيم؛ فهي إما عرض للضيّق والفقر والريبة أو عرض للابتهاج والغبى والثقة⁷⁷⁴ ولكن كانت "الأخلاق"، يقول نيتشه، نتيجة وعرضاً وقناعاً، وبنافاً ومعرضاً وسوء فهم؛ وأيضاً علة أو علاجاً، وحافزاً أو عائقاً، ثرياقاً أو سماً⁷⁷⁵، فإنه من الضرورة مساءلتها وتعرّيتها والكشف عن القوى التي تصطنعها لأغراض في أنفس اليعاقبة.

واحتذاءً بالتأويلية السيميوطيقية، فالأعلام أنفسهم من الذين صاغوا التاريخ البشري بمنزلة أعراض معينة دالة في معادلة الحياة الكبرى، لذلك لم يجد نيتشه غضاضة في النظر إلى كبار الفلاسفة على أنهم أعراض اقتدار وازدهار أو إفقار وانحدار؛ هذا ما دعاه إلى جعل سقراط وأفلاطون عرضين للانحطاط، لعدمية التقي تجاه الحياة⁷⁷⁶، مثلما هو حال كل من يفصل العالم إلى نصفين؛ إلى عالم حق وعالم ظاهر⁷⁷⁷؛ عرض هو لحياة متقهقرة، عرض للانحطاط⁷⁷⁸. والأحكام نفسها لا تند عن القاعدة التأويلية التي صاغها نيتشه، فهي الأحكام الدينية والأخلاقية والفلسفية تحت عدسة النقد النيتشوي تستحيل إلى نظام أعراض⁷⁷⁹ (سيمبماتولوجيا) ونظام علامات (سيميوطيقا) تُسفر عن وقائع غيبية وسرائر عميقة ظلت مجهولة، هو ذا ما نطق به نيتشه: "تعرفون ما أطلبه من الفيلسوف: أن يتخذ حيزاً فيما وراء الخير والشر وأن يعلو فوق وهم الحكم الأخلاقي... لقد خلصت إلى نتيجة أنه لا توجد أبداً وقائع أخلاقية. إذ يشترك الحكم الأخلاقي مع الحكم الديني في الاعتقاد بوقائع لا وجود لها. والحكم الأخلاقي ليس إلا تأويلاً لبعض الظواهر، لكنه تأويل باطل [زائف]... هذا ما يجب ألا نأخذ الحكم الأخلاقي على ظاهره [على حرفيته]، وإذا أخذ على هذا النحو لن يكون إلا فهمًا خاطئاً. لكن إذا أخذ على أنه سيميوطيقا، فإنه يظل غير مُقدّر بثمن [نفسياً]: إنه يُسفر، على الأقل عند من له ديانة، عن

⁷⁷³EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi j'écris de si bons, L'origine de la tragédie, § 2 : « ... envisager la morale elle-même comme un symptôme de décadence, c'est une innovation, une singularité de premier ordre dans l'histoire de la connaissance ».

⁷⁷⁴GM, Trad. Henri Albert, Avant-propos, § 3 : « Sont-elles (les valeurs) un symptôme de détresse, d'appauvrissement vital, de dégénérescence ? Ou bien trahissent-elles, au contraire, la plénitude, la force, la volonté de vivre, le courage, la confiance en l'avenir de la vie ? ».

⁷⁷⁵Ibid, § 6 : « ... (la morale en tant que conséquence, symptôme, masque, tartuferie, maladie ou malentendu; mais aussi la morale en tant que cause, remède, stimulant, entrave, ou poison)... ».

⁷⁷⁶CI, Trad. Henri Albert, Le problème de Socrate, § 2 : « ... j'ai reconnu en Socrate et en Platon des symptômes de décadence... il prouve plutôt qu'eux-mêmes, ces sages parmi les sages, avaient entre eux quelque accord physiologique, pour prendre à l'égard de la vie cette même attitude négative... ils n'ont d'autre valeur que celle d'être des symptômes ».

⁷⁷⁷VP, Trad. Henri Albert, § 295 : « La possibilité d'une pareille distinction - tenir ce monde pour le monde des apparences et l'autre pour celui de la vérité - est déjà un symptôme ».

⁷⁷⁸CI, Trad. Henri Albert, § 6 : « La « raison » dans la philosophie, Séparer le monde en un monde « réel » et un monde des « apparences », soit à la façon du christianisme, soit à la façon de Kant (un chrétien perfide, en fin de compte), ce n'est là qu'une suggestion de la décadence, un symptôme de la vie déclinante... ».

⁷⁷⁹VP, Trad. Henri Albert, § 295 : « Conséquence : la philosophie, la religion et la morale sont des symptômes de décadence ».

الْوَقَائِعِ النَفِيسَةِ جِدًّا الْمُتَعَلِّقَةِ بِالثَّقَافَاتِ وَالسَّرَائِرِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ كِفَايَةً لِتَقْهَمَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا. لَيْسَتْ الْأَخْلَاقُ سِوَى لُغَةٍ عِلَامَاتٍ وَعِلْمٍ أَغْرَاضٍ⁷⁸⁰.

لَا مَصْرَفَ مِنْ إِضْحَاحٍ أَنَّ الْمَقَاصِدَ الَّتِي تَتَحَرَّاهَا الْجِينِيالُوجِيَّا، بِوَصْفِهَا سِيمِيُولُوجِيًّا وَسَمَبْتُولُوجِيًّا، مِنْ تَنَاوُلِ الظَّوَاهِرِ الْمُتَنَوِّعَةِ، بِاعْتِبَارِهَا عِلَامَاتٍ وَأَغْرَاضًا، هِيَ تَبْنِيَانُ مُضْمِرَاتِهَا الْبِيُولُوجِيَّةِ؛ مَا لَهَا مِنْ طَاقَةٍ حَيَوِيَّةٍ مُتَنَامِيَةٍ أَوْ مُتَقَهِّقَةٍ، يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ نِيْتَشَةِ: "سِيَادَةُ الْمُتَقَفِّ لَا تَعْنِي الْبَتَّةَ شَيْئًا حَسَنًا: شَأْنُهُ مِثْلُ صُعُودِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَإِقَامَةِ الْهَيْئَاتِ الْقَضَائِيَّةِ مَقَامَ الْحَرْبِ وَتَحَرُّرِ النِّسَاءِ، وَدِينِ الْمَعَانَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضٍ تَقْهَرُ الطَّاقَةَ الْحَيَوِيَّةَ"⁷⁸¹. هَذَا مَا سَاقَ نِيْتَشَةُ إِلَى تَوْصِيَّتِنَا فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنِ الْمَفَاهِيمِ الْمَسِيحِيَّةِ بِالتَّأْوِيلِ بَدَلِ تَمْرِيرِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، يَقُولُ فِي ذَلِكَ: "لَكِنْ لِنَحْتَرِسَ أَنْ نَرَى فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ لُغَةٍ عِلَامَاتٍ، وَسِيمِيُولُوجِيًّا، وَفُرْصَةٍ لِضَرْبِ الْأَمْثَالِ. لَا يَنْبَغِي اخْتِذَ أَيِّ كَلِمَةٍ عَلَى مَحْمَلِ الْحَرْفِ [عَلَى ظَاهِرِهَا]"⁷⁸². لِذَلِكَ "لَيْسَتْ أَلْقَدَاسَةٌ، فِي نَظَرِ نِيْتَشَةِ، إِلَّا "عَرَضُ جَسَدٍ مُفْقَرٍ وَعَصَبِيٍّ وَفَاسِدٍ فَسَادًا عَصِيًّا عَلَى الشِّفَاءِ"⁷⁸³ وَقَسَّ عَلَى هَذَا كُلِّ الْقِيَمِ الَّتِي رُفِعَتْ مَقَامًا عَلِيًّا فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ⁷⁸⁴.

مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الْمُنتَقَاةِ مِنْ أَعْمَالِهِ، لَا نَعْدِمُ الصَّوَابَ لَوْ قَدَّمْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَدْسِ الْمُؤَسَّسِ خُطَاطَةً تَأْوِيلِيَّةً نَلُمُ بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَرِيبٍ، وَفَحَوَاهَا أَنَّ الظَّوَاهِرَ الثَّقَافِيَّةَ بِمَا هِيَ تَعْبِيرٌ عَنِ النِّظَامِ الْوَعْيَانِيِّ (مُسْتَوَى الْأَحْوَالِ) بِمَثَابَةِ أَغْرَاضٍ وَعِلَامَاتٍ لِلْأَحْوَالِ السِّيكُولُوجِيَّةِ وَهَذِهِ بِدَوْرِهَا أَغْرَاضٌ وَعِلَامَاتٌ عَلَى فِيزِيُولُوجِيَا الْعُرَائِرِ وَالْأَهْوَاءِ الْمَطْبُوعَةِ بِمَا هِيَ إِفْصَاحٌ عَنِ نِظَامٍ لِأَوَاقِ (مُسْتَوَى الصِّفَاتِ)،

⁷⁸⁰CI, Trad. Henri Albert, Ceux qui veulent rendre l'humanité « meilleure » § 1 : « On sait ce que j'exige du : de se placer par-delà le bien et le mal, — de placer au-dessous de lui l'illusion du jugement moral... je suis arrivé à la conclusion qu'il n'y a pas du tout de faits moraux. Le jugement moral a cela en commun avec le jugement religieux de croire à des réalités qui n'en sont pas. La morale n'est qu'une interprétation de certains phénomènes, mais une fausse interprétation...Voilà pourquoi le jugement moral ne doit jamais être pris à la lettre : comme tel il ne serait toujours que contresens. Mais comme sémiotique il reste inappréciable : il révèle, du moins pour celui qui sait, les réalités les plus précieuses sur les cultures et les intériorités qui ne savaient pas assez pour se « comprendre » eux-mêmes. La morale n'est que le langage des signes, une symptomatologie ».

⁷⁸¹GM, Trad. Henri Albert, III, § 25 : « La suprématie du mandarin ne signifie jamais rien de bon : tout aussi peu que l'avènement de la démocratie, que les tribunaux d'arbitrage remplaçant la guerre, que l'émancipation des femmes, la religion de la souffrance humaine et autres symptômes d'une énergie vitale qui décline ».

⁷⁸²AC, Trad. Henri Albert, § 32 : « le premier christianisme ne se sert que de notions judéo-sémitiques (le manger et le boire dans la sainte Cène en fait partie, cette idée dont on a si malicieusement abusé, comme de tout ce qui est juif). Mais que l'on se garde d'y voir autre chose qu'un langage de signes, une sémiotique, une occasion de voir des paraboles. Qu'aucune parole ne doit être prise à la lettre... ».

⁷⁸³Ibid, § 46 : « la sainteté qui n'est elle-même que le symptôme d'un corps appauvri, énérvé, incurablement corrompu !... ».

⁷⁸⁴FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 15 [101] : « Les valeurs les plus hautes recouvertes par ces symptômes ».

وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ بِدَوْرِهَا أَغْرَاضٌ وَعَلَامَاتٌ عَلَى جَوْهَرِ الْحَيَاةِ. وَكَيْ نَسَعِ الْمَسْأَلَةَ إِنْصَاحًا نَقُولُ أَنَّ الْأَغْرَاضَ وَالْعَلَامَاتِ فِي سَيَرُورَةِ السِّيمْيُوزِيسِ تُحِيلُ إِلَى مُحِيلٍ إِلَيْهِ يُقَدِّمُ لَهَا تَفْسِيرًا مُقْبُولًا، لَكِنَّهُ بِدَوْرِهِ عَرَضٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى مُحِيلٍ إِلَيْهِ أَقْدَمُ وَأَهَمُّ يَقِيضُ لَهَا تَفْسِيرًا أَفْضَلَ، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَتَرَامَى بِنَا هَذِهِ السَّيَرُورَةُ الدَّلَالِيَّةُ فِي الْأَخِيرِ إِلَى جَوْهَرٍ فَرْدٍ لَا يَنْقَسِمُ لَيْسَ بَعْدَ مُطْلَقِيَّةِ تَفْسِيرِهِ شَيْءٌ عَدَاهُ، إِذِ الْكُلُّ يُحِيلُ إِلَيْهِ لَكِنَّهُ، فِي ضَرْبٍ مِنَ الْمُحَايَنَةِ الْمُطْلَقَةِ، لَا يُحِيلُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ خَارِجِهِ، أَيْ هُوَ عِلَّةُ الْأَغْرَاضِ وَالْعَلَامَاتِ جَمِيعًا وَكُلُّ الْأَحْوَالِ الْوَاعِيَةِ وَالصِّفَاتِ اللَّاَوَاعِيَةِ أَفْنَعَةٌ لَهُ.

لِنُبْرِهَنَ عَلَى سَدَادِ حَدْسِنَا الْمُؤَسَّسِ لِهَذِهِ الْخُطَاطَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ النَّظْمِيَّةِ مِنْ جَوَفِ الرُّدُودِ النِّيْتَشُويَةِ، سَنَذْكُرُ بَادِئَ الْأَمْرِ رَدَّ نِيْتَشَةِ التَّفَكُّكِ الْأَخْلَاقِيِّ (مُسْتَوَى الْأَحْوَالِ مِنَ النِّظَامِ الْوَاعِي) إِلَى التَّفَكُّكِ الْفِيْزِيُولُوجِيِّ (مُسْتَوَى الصِّفَاتِ مِنَ النِّظَامِ اللَّاَوَاعِيِّ)، إِذْ يَقُولُ: "لَقَدْ تَعَلَّمْنَا فِي أُمُورِ الْأَخْلَاقِ أَنْ تُقَلِّبَ بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ أَلْعَلَةِ وَالْمَعْلُولِ... لَمْ نَعُدْ نَقُولُ مَثَلًا: إِنَّ وَهْنَتِ الْحَالَةِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ لَامْرِيٍّ، فَإِنَّ رَذِيلَتَهُ هِيَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ". وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّا نُمَسِّكُ [أَلَسْتَنَا] عَنِ الْقَوْلِ: الْفَضِيلَةُ تُسَبِّبُ النِّجَاحَ لِلْإِنْسَانِ وَتُجْلِبُ لَهُ طَوْلَ الْعُمُرِ وَالسَّعَادَةَ". يَذْهَبُ رَأْيُنَا عَلَى التَّقْيِضِ إِلَى أَنَّ الْفَضِيلَةَ وَالرَذِيلَةَ لَيْسَتَا سَبَبَيْنِ بَلْ نَتِيَجَتَيْنِ. فَتَحْنُ نَصِيرُ إِمْرًا مُسْتَقِيمًا، لِأَنَّا كَذَلِكَ: أَيْ لِأَنَّا نُولَدُ مُزَوَّدِينَ بِعَرَائِزٍ حَسَنَةٍ وَبِشُرُوطٍ مُوَفَّقَةٍ... لَيْسَ بِمُكْنِنَاتِنَا الْيَوْمَ أَنْ نَتَخَيَّلَ الْأَنْحِلَالَ الْأَخْلَاقِيَّ مَفْصُولًا عَنِ الْأَنْحِلَالِ الْفِيْزِيُولُوجِيِّ: لَيْسَ الْأَوَّلُ إِلَّا مَجْمُوعَةُ أَغْرَاضٍ لِلثَّانِي. مَا إِنْ نَكُنْ قَسْرًا أَشْرَارًا نَكُنْ قَسْرًا مَرْضَى كَذَلِكَ... كَلِمَةُ شَرِيرٍ هُنَا تُعَبِّرُ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْعَجْزِ الْمُرتَبِطَةِ فِيْزِيُولُوجِيًّا بِنَوْعِ الْأَنْحِلَالِ... لَيْسَتْ الرَذِيلَةُ عِلَّةٌ؛ بَلْ هِيَ نَتِيَجَةٌ... تُسَعِفُ [تَقِيدُ] الرَذِيلَةُ فِي تَلْخِيصٍ، وَذَلِكَ بِتَحْدِيدٍ فِي غَايَةِ الْاِعْتِسَافِ، بَعْضُ نَتَائِجِ الْوَهْنِ الْفِيْزِيُولُوجِيِّ⁷⁸⁵. وَلَا يَخْطُو نِيْتَشَةُ فِي مَوَارِدَ كَثِيرَةٍ مِنَ الرَّدِّ الْحَيَوِيِّ حَتَّى يُرْجِعَ مَنْظُومَاتِ الْوَعْيِ إِلَى بِنْيَةِ فِيْزِيُولُوجِيَّةٍ تُعَدُّ صِفَاتٍ أَوْنَطُولُوجِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

⁷⁸⁵VP, Trad. Henri Albert, § 170 : « C'est pourquoi nous avons appris, dans les choses de la morale, à retourner d'une curieuse façon le rapport entre la cause et l'effet, - il n'y a peut-être rien qui nous distingue plus foncièrement des anciens croyants en la morale. Nous ne disons plus par : " Si un homme dégénère au point de vue physiologique, c'est le vice qui en est la cause. " Nous ne disons pas davantage : " La vertu fait prospérer l'homme, elle apporte longue vie et bonheur. " Notre opinion est au contraire que le vice et la vertu ne sont point des causes, mais seulement des conséquences. On devient un honnête homme parce que l'on est un honnête homme : c'est-à-dire parce que l'on est né capitaliste de bons instincts et de conditions prospères... Nous ne pouvons plus imaginer aujourd'hui la dégénérescence morale séparée de la dégénérescence physiologique : la première n'est qu'un ensemble de symptômes de la seconde; on est nécessairement mauvais comme on est nécessairement malade... Mauvais : le mot exprime ici certaines incapacités qui sont physiologiquement liées au type de la dégénérescence... Le vice n'est pas une cause; le vice est une conséquence... Le vice sert à résumer, dans une délimitation assez arbitraire, certaines conséquences de la dégénérescence physiologique ». Voir FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 14 [113].

فيزيولوجيا الأديان العدمية... كل الأديان العدمية بلا استثناء " تاريخ أمراض " منظمته تحت مدونة دينية أخلاقية... المسيحية عرض للتدهور الفيزيولوجي⁷⁸⁶.

لكن الحجة الأقوى على انبناء تخريجاتنا التأويلية على وعي بنيوي ومقاصدي بالفلسفة النيتشوية هي هذا الشاهد العميق الذي يفرج عن ردود متتالية: " كل المادة عرض متحرك لحدث مجهول: كل ما هو وعي ومحسوس هو بدوره عرض لمجهول. والعالم الذي ييسر للإنسان فهمه تحت هذين الشكليين يمكن أن يحظى بالكثير من الأعراض الأخرى كذلك. لا توجد علاقة ضرورية بين الروح والمادة، كما لو أنهما يستمددان بطرق معينة أشكال تمظهرهما ويستأثران بتمثيلها. إن الحركات أعراض، والأفكار أيضاً أعراض: والرغبات عندنا تقع التعرف إليها قابعة وراءها، والرغبة الرئيسة [بينها] هي إرادة الاقتدار، و"الروح في ذاته" ليس بشيء مثلما هي "الحركة في ذاتها" ليست بشيء⁷⁸⁷.

شف هذا الدليل عن كون الحياة، باعتبارها إرادة اقتدار، الشيء الذي إليه مرجع الأشياء جميعاً، ولم يلبث نيتشه أن أورد في الشذرة التي تليها ما يسمح لنا بفهم الرغبات والغرائز فهماً حيويًا يند عن الفهم التقليدي الذي ينظر إليها من زاوية الوعي لا من زاوية اللاوعي، يعبر نيتشه عن ذلك: " كل ما يصل للظهور في الوعي هو الحلقة الأخيرة من سلسلة متتابعة معينة، هو نتيجة. محض وهم [محض ظاهر] أن تكون فكرة علة مباشرة لفكرة أخرى. ذلك أن الحدث المترابط يجري في منطفة لا تترك بالوعي [منطفة ما تحت الوعي]؛ فسلاسل الأحاسيس والأفكار وتعاقبها، وما إلى ذلك، التي تتدخل فيها هي أعراض للحدث الفعلي! تحت كل فكرة تعتمل عاطفة ما. لا تولد أي فكرة وإحساس وإرادة من غريزة محددة، بل على التقيض تولد من حالة إجمالية، وكل سطح من أي وعي ينتج من تحديد [معاينة] الاقتدار الآني لكل الغرائز التي نقومنا، ومن ثم من تحديد [معاينة] الغريزة المهيمنة آنذا وكذلك من الغرائز الأخرى التي تطيعها أو تقاومها⁷⁸⁸. ولا مساع للشك بعدما دلت الشذرات

⁷⁸⁶FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 14 [13] : « Physiologie des religions nihilistes... toutes sans exception des «histoires de maladies» systématisées sous une nomenclature religieuse-morale... Le christianisme, symptôme de la décadence **physiologique».

⁷⁸⁷FP, XII, 1 [59] : «Tout le matériel est une sorte de symptôme en mouvement d'un événement inconnu : tout le conscient et le senti est à son tour symptôme de inconnus. Le monde qui se fait entendre à nous sous ces deux formes pourrait avoir beaucoup d'autres symptômes encore. Il n'y a pas de relation nécessaire entre l'esprit et la matière, comme s'ils épuisaient en quelque façon les formes d'exposition et les représentaient à eux seuls. Les mouvements sont des symptômes, les pensées sont aussi des symptômes : les désirs nous sont reconnaissables derrière eux, et le désir fondamental est la volonté de puissance l' « esprit en soi » n'est rien, de même que le « mouvement en soi » n'est rien ».

⁷⁸⁸Ibid, 1 [61] : « Tout ce qui parvient à la conscience est le dernier maillon d'une chaîne, une conclusion. Qu'une pensée soit la cause directe d'une autre pensée, c'est pure apparence. L'événement effectivement connexe <se > joue dans une zone infraconsciente; les séries et successions de sentiments, de pensées etc. qui interviennent sont des symptômes de l'événement effectif! Sous chaque pensée gît une émotion. Aucune pensée, aucun sentiment, aucune volonté n'est né d'Un instinct déterminé, c'est au contraire un état global,

الناطقة أَنَّ الأفكارَ وَالْأَحَاسِيْسَ الْوَاعِيَةَ، فِي نَظَرِ نِيَتِشِهِ، أَغْرَاضٌ لِخَافِيَةِ الْغَرَائِزِ الَّتِي تَنَفَّلَتْ مِنْ عَدْسَةِ الْوَعْيِ.

لَا انْفِكَاكَ لِلْجِينِيالُوجِيَا، كَمَا أَشَارَتْ تَأْوِيلِيَّةٌ دُولُوزٍ لِلْصُوصِ نِيَتِشِهِ، عَنِ السِّمْبَتُومُولُوجِيَا symptomatologie وَالسِّمْبِيُولُوجِيَا sémiologie، هَذَا مَا يَمْنَعُ الْوُقُوفَ عَلَى مَعْنَى شَيْءٍ مَا، بِصَرْفِ النَّظَرِ أَكَّانَ ظَاهِرَةً بَشْرِيَّةً أَمْ بِيُولُوجِيَّةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، بِمَعْزَلٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَتَمَلَّكُهُ وَتَسْتَعْلُهُ وَتَسْتَحُوذُ عَلَيْهِ. فَالظَّوَاهِرُ تَبَعًا لِذَلِكَ لَيْسَتْ مَظْهَرًا وَلَا ظُهُورًا بِتَغْيِيرِ دُولُوزِ بَلْ عَلَامَةٌ وَعَرَضًا يَسْتَمْدِدَانِ مَعْنَاهُمَا وَقِيَمَتَهُمَا مِنَ الْقَوَى الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا فِيهِمَا.

ذَلِكَ أَنَّ الْقَوَى لَيْسَتْ كِيَانَاتٍ تَرَقُدُ فِي سَلَامٍ مَكِينٍ وَإِنَّمَا هِيَ تَمَلِّكُ وَسَيْطَرَةٌ وَاسْتِعْلَالٌ لِلْوَقَائِعِ وَالْمَعَانِي. وَلَا مَحِيصَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى هَاتِهِ الْأَفَاعِيلِ الْمُمَيَّزَةِ لِلْقَوَى مِنْ مَنْظُورِ تَارِيخِيٍّ جِينِيالُوجِيٍّ يَفْهَمُ الْأَشْيَاءَ وَالظَّوَاهِرَ انْطِلَاقًا مِنَ الْقَوَى الْمُتَعَاقِبَةِ الَّتِي تَسْتَوِلِي عَلَيْهَا وَتَتَصَارَعُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْاسْتِعْلَالِ. وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ أَنْ تَتَنَوَّعَ الْمَعَانِي وَتَتَصَارَعَ مَا دَامَ مِنْ دَائِبِ مَعَانِي الظَّوَاهِرِ أَنْ تَتَأَلَّى حَسَبَ تَعَاقُبِ الْقَوَى الَّتِي تَسْتَحُوذُ عَلَيْهَا وَتُعَبِّرُ عَنْ مَصَالِحِهَا وَمَآرِبِهَا بِوَسَاطَتِهَا. لَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْمَعَانِي فِي مَسَارِ التَّارِيخِ إِلَّا بِافْتِرَاضِ سَبْرُورَةٍ غَنِيْفَةٍ وَقَسْرِيَّةٍ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُسَيِّطِرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، مَا يَسْمَحُ فِي كُلِّ عَمَلِيَّةٍ إِخْضَاعٍ وَسَيْطَرَةٍ بِوِلَادَةِ تَفْسِيرٍ جَدِيدٍ⁷⁸⁹.

تَقْصِيلاً لِمَا أَجْمَلَ ذِكْرَهُ عَنْ مَائِيَّةِ الْجِينِيالُوجِيَا، لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُطَ بَيْنَ أَصْلِ الظَّاهِرَةِ وَالْعَرَضِ⁷⁹⁰ وَالْفَائِدَةِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْهُمَا⁷⁹¹، كَمَا هُوَ دَيَدُنُ فَلَاسِفَةِ الْأَخْلَاقِ⁷⁹²، الَّذِينَ مَا بَرَحُوا الْخَلْطَ أَيْضًا

toute la surface de toute la conscience, il résulte du constat de puissance momentané de tous les instincts qui nous constituent et donc de l'instinct alors dominant aussi bien que de ceux qui lui obéissent ou lui résistent ».

لقد احترنا في ترجمة مفردة constat ما اضطررنا إلى العودة إلى النص الأصلي فوجدنا نيتشه يستعمل لفظة فاستشَلُو Feststellung التي من معانيها التحديد détermination والرصد والملاحظة détection والاكتشاف découverte.

⁷⁸⁹Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, pp. 3-4.

⁷⁹⁰Sarah Kofman, Nietzsche et la métaphore, p. 125. Voir Lester H. Hunt : Nietzsche and the Origin of Virtue, Routledge, 2005, p. 58.

⁷⁹¹A, Trad. Henri Albert, § 37 : «Fausses conclusions que l'on tire de l'utilité. — Lorsque l'on a démontré la plus haute utilité d'une chose on n'a pas encore fait un pas pour expliquer son origine : ce qui veut dire que l'on ne peut jamais expliquer, par l'utilité, la nécessité de l'existence... On se souviendra aussi du raisonnement de Christophe Colomb : la terre est faite pour l'homme, donc, s'il y a des contrées il faut qu'elles soient habitées. «Est-il possible que le soleil répande ses rayons sur le néant et que la veille nocturne des étoiles soit prodiguée en vain à des mers sans voiles et à des régions vides d'hommes? ».

⁷⁹²Paul Bishop, A Companion to Friedrich Nietzsche : Life and Works, Camden House, 2012, p. 272 : « This a historical confusion of origin and utility, cause and purpose, has plagued all putative historical approaches to morality before Nietzsche ». See Christian Emden, Nietzsche's Naturalism : philosophy and the Life Sciences in the Nineteenth Century, Cambridge University Press, 2014, p. 81.

بَيْنَ مُصْداقِيَّةِ الْأَخْلَاقِ وَمَنْفَعَتِهَا، عَلَى مَا فِي مَفْهُومِ النَّفْعِ مِنْ تَبَاطُئِ آرَاءِ النَّاسِ فِيهِ وَتَضَارُّبِهَا⁷⁹³. وَبِهَذَا الْخَوْ وَضَعُوا بَاطِلًا غَايَةً (خُصُوصًا غَايَةَ الرَّاهِنَةِ الَّتِي يَتَحَرَّاهَا الشُّعُوبُ وَالْأَفْرَادُ) فِي بَدَايَةِ أَيِّ ظَاهِرَةٍ كَمَا لَوْ كَانَتْ هِيَ السَّبَبُ فِي وُجُودِهَا، مِثْلَمَا فَسَّرُوا أَصْلَ الْعِقَابِ بِالْعَرَضِ مِنْهُ (بِالْإِنْتِقَامِ أَوْ الرَّدْعِ)⁷⁹⁴.

وَلَيْسَ بِعَجِيبٍ أَنْ يَحْدُو الْوَعْيُ التَّارِيخِيُّ لَدَى نَيْتْشِهْ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْعِلَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِشَيْءٍ مَا (نَشَاتِهِ) وَفَائِدَتِهِ الْنِهَائِيَّةِ الْمُتَوَخَّاةِ مِنْهُ⁷⁹⁵، وَاسْتِخْدَامِهِ الْفِعْلِيِّ، وَتَرْتِيبِهِ ضِمْنَ نَسَقٍ غَائِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَالْأَدْلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا عَدَمُ كَوْنِ سُلُوكَاتِ الْمُقْتَدِرِينَ مِنَ الْبَشَرِ وَمَنَاقِبِهِمْ كَمَا فِي زَمَنِ الْإِغْرِيْقِ طَلَبًا لِلْمَنَافِعِ وَإِنَّمَا كَانَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَقْتِدَارِ لَدَيْهِمْ أَعْلَى شَأْوًا مِنْ أَيِّ مَقَانِمٍ يُصِيبُونَهَا⁷⁹⁶، وَهَذَا يَكْشِفُ أَنَّ مَفْهُومَ الْعَرَضِ وَمَفْهُومَ الْفَائِدَةِ غَيْرُ مُسْتَعْفَانٍ فِي فَهْمِ أَصُولِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَا قِيَمَتَهَا وَمُسَوِّغُ ذَلِكَ هُوَ كَوْنُهُمَا عَارِضَيْنِ يَطْرَآنِ عَلَيْهَا لَاحِقًا.

تُقْضِي هَذِهِ الْمُقَارَبَةُ الْجِينِيَالُوجِيَّةُ إِلَى وَجُوبِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ أَغْرَافِ النَّاسِ وَالْإِجْرَاءَاتِ - بِاعْتِبَارِهَا مُتَوَالِيَّةً صَارِمَةً مِنَ الْتَصَرُّفَاتِ - الَّتِي يَتَوَسَّلُونَهَا فِي شُؤُونِ مَعِيشَتِهِمْ، وَمَعْنَاهَا وَغَايَتُهَا وَالْمُنْتَظَرُ مِنْهَا؛ فَالْأُولَى أَسْبَقُ وَأَدْوَمُ زَمَنًا، يَبْنِي الثَّانِيَةُ أَحَدُثُ زَمَنًا وَأَشَدُّ تَغْيِيرًا وَفَضْلًا عَنْ هَذَا كُلِّهِ هِيَ عَارِضٌ يُشْحَمُ فِيهَا بِفَضْلِ التَّأْوِيلِ، مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْفَوَائِدِ النَّاجِمَةِ مِنْهَا⁷⁹⁷. يَضْرِبُ نَيْتْشِهْ هُنَا مِثَالًا بِالْيَدِ وَالْعِقَابِ، لَكِنْ آثَرْنَا

⁷⁹³A, Trad. Henri Albert, § 231 : «Utilitaire». - Maintenant, les sentiments s'entrecroisent dans les choses de la morale, au point que, pour tel homme, on démontre une morale par son utilité et que, pour tel autre, on la réfute précisément par son utilité ».

⁷⁹⁴GM, Trad. Henri Albert, II, § 12 : « Deux mots encore sur l'origine et le but du châtement — deux problèmes distincts ou qui du moins devraient l'être, mais que par malheur on confond généralement. Comment, dans ce cas, les généalogistes de la morale ont-ils procédé jusqu'ici ? Comme toujours, ils ont été naïfs — ils découvrent dans le châtement un « but » quelconque, par exemple la vengeance ou l'intimidation, et placent alors avec ingénuité ce but à l'origine, comme causa fiendi du châtement ... De même on s'était représenté le châtement comme une invention faite en vue de la punition. Mais le but, l'utilité ne sont que l'indice qu'une volonté de puissance a maîtrisé quelque chose de moins puissant et lui a imprimé, de sa propre initiative, le sens d'une fonction ».

⁷⁹⁵Manuel Dries, Nietzsche on Time and History, Walter de Gruyter, 2008, p. 67 : « In other words, understanding something's utility does not shed light on its origin. Nietzsche rejects what he sees as a typical confusion of utilitarians ».

⁷⁹⁶A, Trad. Henri Albert, § 360 : «La puissance dont on dit beaucoup de mal vaut plus que l'impuissance à laquelle il n'arrive que du bien», - tel était le sentiment des Grecs. Ce qui veut dire que chez eux le sentiment de la puissance était estimé supérieur à toute espèce d'utilité ou de bon renom ».

⁷⁹⁷GM, Trad. Henri Albert, II, § 13 : « ... pour en revenir à notre sujet, c'est-à-dire au châtement, il faut distinguer deux choses en lui : d'une part ce qu'il a de relativement permanent, l'usage, l'acte, le « drame », une certaine suite de procédures strictement déterminées, d'autre part la fluidité, le sens, le but, l'attente, toutes choses qui se rattachent à la mise en œuvre de ces procédures. Il faut admettre ici, sans plus, par analogie, conformément aux points de vue principaux de la méthode historique développés tout à l'heure, que la procédure elle-même est quelque chose de très ancien, d'antérieur à son utilisation pour le châtement, que le châtement a été introduit, par interprétation, dans la procédure ».

أَنْ نُطَوِّرَ مِثَالِ الْيَدِ وَنُعِيدَ صِيَاجَتَهُ كَيْ نُوضِّحَ فَرَادَةَ الْمُقَارِبَةِ التَّارِيخِيَّةِ كَمَا سَتَبَّحَ نَيْتَشْه ؛ فَجَارِحَةُ الْيَدِ الَّتِي تُبَاشِرُ أَفَاعِيلَهَا كَفَعَالِيَّةٍ تَلْقَائِيَّةٍ مُسْتَقْلَةٍ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ عَنْ أَغْرَاضِهَا وَمَعَانِيهَا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ جَرَتْ بِهِمُ الْعَادَةُ أَنْ يَخْتَرِلُوهَا فِي الْمَسْكِ بِمَا هُوَ وَظِيفَةُ لَهَا ، وَهَكَذَا دَأَبُوا عَلَى فَهْمِ مَاهِيَةِ الْيَدِ ، أَصْلُهَا الطَّبِيعِيّ ، انْطِلَاقًا مِنْ وَظِيفَتِهَا الْلاحِقَةِ ، مِنْ غَايَتِهَا ، وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ الْيَدِ كَظَاهِرَةٍ قَارَةٍ تَخْتَلِفُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ عَنْ مَعَانِيهَا الْمُتَحَرِّكَةِ ؛ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَكْتَسِبُهَا فِي سَيْرِوَرَةِ التَّارِيخِ تَبَعًا لِلْاِسْتِغْلَالَاتِ الْعَدِيدَةِ ، فِيهِ مَثَلًا فِي عَصُورٍ مُعَيَّنَةٍ لِلْجَنِيِّ وَالْقَنْصِ ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهَا وَظِيفَةٌ جَدِيدَةٌ تَتِمُّثُلُ فِي الزَّرْعِ ، وَمَا لَبَثَتْ أَنْ اكْتَشَفَتْ مَعْنَى آخَرَ هُوَ الرَّسْمُ وَالْكِتَابَةُ ، وَمَا الْيَدُ حَسَبَ الْجِنْيَالُوجِيَا إِلَّا تَارِيخُ هَذِهِ الْاِسْتِغْلَالَاتِ (الْمَعَانِي ، الْأَغْرَاضِ) الَّتِي يُعَادُ تَرْتِيبُهَا كُلَّمَا بَرَزَ تَرَاتُيبٌ جَدِيدٌ لِيُرَجَّحَ هَذَا الْاِسْتِغْلَالُ أَوْ لِيَقْمَعَ ذَاكَ ، إِذِ الْمَفَاهِيمُ وَالسُّلُوكَاتُ ، لِنَقْلِ كُلِّ مَا يَنْتَمِي لِإِنْظَامِ التَّنَاقُفِ ، غُرْضَةٌ أَنْ تُسْتَعْلَ وَتُؤَوَّلَ لِأَغْرَاضٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُتَبَايِنَةٍ فِي جَوْهَرِهَا.

مَسَارُ الْاِسْتِغْلَالِيِّ الذَّرَائِعِيِّ هَذَا وَسَيْرُورَةُ الْمَعَانِي الطَّارِئَةِ فِي سَيَّالِ التَّارِيخِ وَعَوَارِضِهِ يَحُولَانِ دُونَ إِمْكَانِ حَشْرِ هَذَا التَّنَوُّعِ الدِّلَالِيِّ فِي تَعْرِيفٍ وَاحِدٍ لِمَاهِيَةِ الْيَدِ (كَمَا فِي مِثَالِنَا) ، وَقِيَّاسًا عَلَى هَذَا ، فَمَفَاهِيمُنَا الْكُبْرَى وَالصَّغْرَى كُلُّهَا تَنْدُ عَنْ التَّعْرِيفِ الْاِحْزَائِيِّ مَا دَامَ صَحْبُ التَّارِيخِ وَعَجَبُجُ التَّعَدُّدِ يَمْنَعَانِ الظُّوَاهِرَ مِنْ أَنْ تَخْلُدَ إِلَى تَحْدِيدٍ رَاسِخٍ. فَقَطُّ مَا لَيْسَ لَهُ تَارِيخٌ ، يَقُولُ نَيْتَشْه ، قَابِلٌ لِلتَّعْرِيفِ ، وَأَمَّا مَنْ يُضْمَرُ فِي جَوْفِهِ سِيَمِيُوطِيْقِيًا تَطَوُّرًا تَارِيخِيًّا طَوِيلًا مِنْ أَفَاعِيلِ الْإِنْسَانِ وَصُرُوفِ الْمُجْتَمَعَاتِ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى حَدِّهِ⁷⁹⁸.

⁷⁹⁸GM, Trad. Henri Albert, II, § 13 : « ... bref qu'il n'en va pas ici comme l'ont imaginé tous nos naïfs généalogistes du droit et de la morale, pour qui la procédure a été inventée avec le châtement pour but, comme autrefois on s'imaginait que la main avait été créée pour saisir. Pour ce qui en est de l'autre élément du châtement, l'élément mobile, le « sens », dans un état de civilisation très avancé le concept châtement n'a plus un sens unique mais est une synthèse de « sens » : tout le passé historique du châtement, l'histoire de son utilisation à des fins diverses, se cristallise finalement en une sorte d'unité difficile à résoudre, difficile à analyser, et, appuyons sur ce point, absolument impossible à définir. (Il est impossible de dire aujourd'hui pourquoi l'on punit en somme : tous les concepts où se résume un long développement d'une façon sémiotique échappent à une définition; n'est définissable que ce qui n'a pas d'histoire)...on peut encore se rendre compte comment, dans chaque cas particulier, les éléments de la synthèse modifient leur valeur et leur ordre, de sorte que c'est tantôt cet élément, tantôt cet autre qui prédomine aux dépens des autres, et qu'en certaines circonstances un élément (par exemple le but de terreur à inspirer) semble éclipser tous les autres pour qu'on puisse se représenter quelque peu combien incertain, surajouté, accidentel est le « sens » du châtement, combien une même procédure peut être utilisée, interprétée, façonnée dans des vues essentiellement différentes, voici l'aperçu que j'ai pu donner grâce à des matériaux relativement peu nombreux et tous fortuits : Châtement, moyen d'empêcher le coupable de nuire et de continuer ses dommages. Châtement, moyen de se libérer vis-à-vis de l'individu lésé et cela sous une forme quelconque (même celle d'une compensation sous forme de souffrance). Châtement en tant que restriction et limitation d'un trouble d'équilibre pour empêcher la propagation de ce trouble. Châtement, moyen d'inspirer la terreur

في أفق الصيرورة التاريخية، تظلُّ المحدثات من مفاهيم وإجراءات مُدعنةً باستمرارٍ للتأويلات والمقاصد الجديدة التي تصطنعها قوى متفوقة تغلبت واستولت عليها، فتستعيدّها أو تُشكّلها على نحوٍ آخرٍ لتستخدِمها على نحوٍ جديدٍ⁷⁹⁹، وعلى هذا المنوال يتخذ الشيء معانٍ ومضامين جديدةً تبعاً لتأويل القوى التي تتصارع من أجل الاستيلاء عليه وأغلب الأمر أن يحصل هذا كله في غير مصلحة المعاني السابقة والاستعمالات السالفة والمقاصد الماضية.

لكن هذا لا يعني أن الموضوع نفسه كيان ساكن يبنما القوى التي تتعاقب عليه دولاً ديناميكيتاً، وإنما هو نفسه قوة وتعبير عنها وتجل لها في تعالق دائم مع قوى أخرى، لذلك ما من قوة إلا وفيها نزوع للسيطرة وفي الوقت ذاته موضوع هي لسيطرة معينة⁸⁰⁰، أي هي صانعة للسيطرة وموضوع لها بهذا القدر أو ذاك، يُعبّر نيتشه عمّا أوردناه في السطور المذكورة آنفاً بقوله: "... إنَّ كُلَّ حَدَثٍ حَاصِلٍ فِي الْعَالَمِ الْعُضْوِيِّ مُرْتَبِطٌ بِرَتَابٍ حَمِيمٍ بِفِكْرَتِي الْإِحْضَاعِ وَالسَّيْطَرَةِ بَلْ أَيْضًا يُرَادَفُ كُلُّ إِحْضَاعٍ وَسَّيْطَرَةٍ تَأْوِيلًا جَدِيدًا وَتَكْيِيفًا مَا حَيْثُ سَيَقَعُ التَّعْتِيمُ بِالضَّرُورَةِ عَلَى "الْمَعْنَى" وَ"الْغَايَةِ" الَّذِينَ ظَلَا إِلَى حِينِهَا أَوْ سَيَحْصُلُ إِزَالَتُهُمَا تَمَامًا. حِينَمَا نَفْهَمُ فَهْمًا يَأْتِي عَلَى مُجْمَلِ التَّفَاصِيلِ مَنَفَعَةٌ عُضْوٍ مَا فِيزِيُولُوجِيٍّ (أَوْ مَنَفَعَةٌ مُؤَسَّسَةٍ قَانُونِيَّةٍ، وَغُرْفٍ اجْتِمَاعِيٍّ، وَتَقْلِيدٍ سِيَاسِيٍّ، وَنَهْطٍ فَنِّيٍّ، وَطَقْسٍ دِينِيٍّ)، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَتِغُ بَعْدُ فَهْمًا لشيءٍ يُذَكِّرُ عَنْ أَصْلِهِ: إِنَّ هَذَا يَبْدُو مُزَعَجًا وَكَرِيهًا لِلْأَذَانِ الْبَالِيَةِ [المُوشِكَةِ عَلَى الْإِنْهِيَارِ، أَوْ الطَّاعِنَةِ فِي السَّنِ]. لَأَنَّنَا حَسِبْنَا عَلَى الدَّوَامِ أَنَّنَا عَتَرْنَا فِي الْأَسْبَابِ الْعَائِيَّةِ، وَفِي مَنَفَعَةِ شَيْءٍ مَا وَشَكْلٍ مُحَدَّدٍ وَمُؤَسَّسَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَسْبَابَ وَجُودِهَا؛ وَهَكَذَا تَكُونُ الْعَيْنُ مُوجُودَةً لِلرُّؤْيَةِ وَالْيَدُ لِّلْمَسِّ. كَذَلِكَ جَرَى تَمَثُّلُ الْعِقَابِ كَاخْتِرَاعٍ أَوْجَدَ بُغْيَةَ الْمُعَاقَبَةِ. بَيَدَ أَنَّ الْعَرَضَ [الْهَدَفَ] وَالْمَنَفَعَةَ لَيْسَا إِلَّا مُؤَشِّرًا [علامة]⁸⁰¹ عَلَى إِرَادَةِ اقْتِدَارٍ مُعَيَّنَةٍ قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ شَيْءٍ مَا [أخضعت شيئاً ما] أَقَلَّ اقْتِدَارًا وَأَسْبَعَتْ عَلَيْهِ بِبُحَادِرَةٍ مِنْهَا مَعْنَى وَظِيفَةٌ مَا"⁸⁰².

en face de ceux qui déterminent et exécutent le châtement. Châtiment, moyen de compensation pour les avantages dont le coupable a joui jusque-là (par exemple lorsqu'on l'utilise comme esclave dans une mine) ».

⁷⁹⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 12. Voir Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 12. Voir Trad. Geneviève bianquis, II, § 12.

⁸⁰⁰Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 7 : « Mais l'objet lui-même est force, expression d'une force. Il n'est pas d'objet (phénomène) qui ne soit déjà possédé, puisqu'en lui-même il est non pas une apparence, mais l'apparition d'une force. L'être de la force est le pluriel; il serait proprement absurde de penser la force au singulier. Une force est domination, mais aussi l'objet sur lequel une domination s'exerce ».

⁸⁰¹ترجم بيانكي وكريمر مارييتي المصطلح بالأعراض symptoms بدل المؤشر أو العلامة.

⁸⁰²GM, Trad. Henri Albert, II, § 12 : « ... que tout fait accompli dans le monde organique est intimement lié aux idées de subjuguer, de dominer et, encore, que toute subjugation, toute domination équivaut à une interprétation nouvelle, à un accommodement, où nécessairement le « sens » et le « but » qui subsistaient jusque-là seront obscurcis ou même effacés complètement. Lorsque l'on a compris dans tous ses détails l'utilité de quelque organe physiologique (ou d'une institution juridique, d'une coutume sociale, d'un usage politique, d'une forme artistique ou d'un culte religieux), il ne s'ensuit pas encore qu'on ait compris quelque chose à son

وَتُوضَّحُ الْأَنْحَاءُ وَالْمَلَابَسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي تَتَكَوَّنُ فِي كَنْفِهَا الْمَفَاهِيمُ وَالسَّلُوكَاتُ دَوْرَ الْعُنفِ وَالْإِكْرَاهِ مِنْ جِهَةٍ وَالصُّدْفَةِ وَالصَّرَاعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فِي صِيَاجَتِهَا ؛ فَالْأَشْيَاءُ لَيْسَتْ بَسِيطَةً وَمُبَاشِرَةً كَمَا قَدْ يُوجِي ظَاهِرُهَا بَلْ حَامِلَةٌ لِلتَّعْقِيدِ وَالتَّوَسُّطَاتِ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَّةِ مِنْ غَرَائِزٍ وَأَهْوَاءٍ ؛ وَيزِيدُهَا تَعْقِيدًا مَا يَنْجُمُ مِنْهَا مِنْ سَيَرُورَةِ الْإِخْضَاعِ وَالسَّيْطَرَةِ ، يُفْصَحُ نِيَتِشُهُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِنَّ التَّارِيخَ الْكَامِلَ لـ "شَيْءٍ" مَا ، لِعُرْفٍ مُعَيَّنٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ سِلْسَلَةً مُتَّصِلَةً مِنَ التَّأْوِيلَاتِ وَالتَّطْبِيقَاتِ الْجَدِيدَةِ بِاسْتِمْرَارٍ"⁸⁰³ ، حَيْثُ الْعِلْلُ ذَاتُهَا لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَكُونَ مُرْتَبِطَةً فِيمَا بَيْنَهَا"⁸⁰⁴ ، لَكِنِهَا فِي ظُرُوفٍ مُعَيَّنَةٍ لَا تَفْعَلُ غَيْرَ أَنْ تَتَعَاقَبَ وَيَسْتَبْدِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا عَلَى هَوَى الصُّدْفَةِ. لَيْسَ إِذَنْ "تَطَوُّرٌ" شَيْءٍ مَا وَعُرْفٍ مَا وَعُضْوٍ مَا الْبَتَّةُ تَقْدَمُ نَحْوَ هَدَفٍ مَا ، وَبِدَرَجَةٍ أَقَلِّ لَيْسَ تَقْدَمُ مَنَظِقِيًّا وَمُبَاشِرًا يُبْلَغُ بِأَدْنَى قَدَرٍ مِنَ الْقُوَى وَالنَّفَقَاتِ ، لَكِنَّهُ تَعَاقِبٌ مُطَرِّدٌ لِظَوَاهِرِ الْإِخْضَاعِ الْعَنِيفَةِ بِهَذَا الْقَدْرِ الْكَبِيرِ أَوْ الصَّغِيرِ ، وَالْمُسْتَقْلَةِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُنْسِيَ الْمَقَاوِمَاتِ الَّتِي تَثُورُ بِلا تَوْقِفٍ [ضِدَّ ذَلِكَ التَّطَوُّرِ] ، وَمَسَاعِيِ التَّحَوُّلِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْ أَجْلِ الْإِسْهَامِ فِي الدِّفَاعِ ... فَفِي كُلِّ كَائِنٍ عُضْوِيٍّ إِذَا أُخِذَ عَلَى حِدَةٍ [مُفْرَدًا] ، لَيْسَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ: فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَنْمُو مَجْمُوعٌ مَا بِطَرِيقَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ ، فَإِنَّ "مَعْنَى" كُلِّ عُضْوٍ يَتَغَيَّرُ ، وَفِي بَعْضِ الْمُنَاسَبَاتِ [بَعْضِ الظُّرُوفِ] يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ التَّدهُورُ الْجُزْئِيُّ لِكُلِّ عُضْوٍ [ضُهُورُهَا الْجُزْئِيُّ] وَتَنَاقُصُهُ (مَثَلًا هَلَاكُ الْأَعْضَاءِ الْوُسْطَى) عِلَامَةً عَلَى نُهُو قُوَّةٍ وَسَيَرًا نَحْوَ الْكَمَالِ.⁸⁰⁵ ... تُقَاسُ أَهَمِّيَّةُ "التَّقدِّمِ" ذَاتِهِ بِعَظَمَةِ التَّضَحِّيَّاتِ الَّتِي مِنَ الْمَطْلُوبِ أَنْ تُبْذَلَ مِنْ أَجْلِهِ: إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ بِاعْتِبَارِهَا حَشْدًا يُضَحَّى بِهِ فِي سَبِيلِ ازْدِهَارِ نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْبَشَرِ الْأَشَدِّ قُوَّةً ، هُوَ ذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَقْدَمًا ..."⁸⁰⁶.

origine : cela peut paraître gênant et désagréable aux vieilles oreilles, — car de tout temps on a cru trouver dans les causes finales, dans l'utilité d'une chose, d'une forme, d'une institution, leur raison d'être propre; ainsi l'œil serait fait pour voir, la main pour saisir. De même on s'était représenté le châtiment comme une invention faite en vue de la punition. Mais le but, l'utilité ne sont que l'indice qu'une volonté de puissance a maîtrisé quelque chose de moins puissant et lui a imprimé, de sa propre initiative, le sens d'une fonction ».

في ترجمة بيانكي : "... لتكييفاتٍ جديدة بدل تطبيقات جديدة " d'adaptations toujours nouvelles .

⁸⁰⁴ في ترجمة بيانكي : " حيثُ العِلْلُ غير مرتبطة فيما بينها بالضرورة " أما في ترجمة كريمر مارييتي : " حتى أن العِلْلَ لا تستوجب [لا تُحتَم] أن تكون مرتبطة فيما بينها " :

« ... dont les causes ne nécessitent pas même d'être liées entre elles ».

⁸⁰⁵ في ترجمة بيانكي : بمقدار ما ينمو عضوٌ ما بطريقة محسوسة ، فإنَّ " معنى " كل عضوٍ يَتَغَيَّرُ ، في أحيانٍ معينة يمكن أن يكون موت الأعضاء الجزئي و تناقص عددها (مثل دمار الأعضاء الوسيطة) علامة على نماء في القوة والكمال .

« ... à mesure qu'il croit d'une façons sensible, le « sens » d'un organe change, parfois leur mort partielle, leur réduction en nombre (par exemple la destruction des nombres moyens) peut être le signe d'une croissance en force et en perfection... ».

⁸⁰⁶ GM, Trad. Henri Albert, II, § 12 : « ... toute l'histoire d'une « chose », d'un usage peut être une chaîne ininterrompue d'interprétations et d'applications toujours nouvelles, dont les causes n'ont même pas besoin d'être liées entre elles, mais qui, dans certaines circonstances, ne font que se succéder et se remplacer au gré du hasard. L' « évolution » d'une chose, d'un usage, d'un organe n'est donc rien moins qu'une progression vers un but, et moins encore une progression logique et directe atteinte avec un minimum de forces et de dépenses,

لَا يَعْثُرُ الشَّاهِدَانِ السَّابِقَانِ عَلَى تَسْوِيفِهِمَا إِلَّا ضَمِنَ أَوْنَطُولُوجِيَا نَبِيشَهُ الَّتِي تُبَرِّزُ الْأَشْيَاءَ انْطِلَاقًا مِنْ الطَّبَائِعِ الْبِيُولُوجِيَّةِ لِلْحَيَاةِ، فَتَنُوعُ دِلَالَاتِ الْأَشْيَاءِ فِي التَّارِيخِ وَانْزِيَاخَاتُهَا وَتَخَالُفُ اسْتِغْلَالِهَا فِي أَفْقِ التَّنَازُعِ وَالتَّدَاوُعِ الْبَشَرِيِّ مَرْدُهُ إِلَى الْبِنْيَةِ الْأَنْطَو-بِيُولُوجِيَّةِ لِلْوُجُودِ بِاعْتِبَارِهَا إِرَادَةً اقْتِدَارٍ تَقْتَضِي جَوْهَرِيًّا صِرَاعًا بَيْنَ نُرُوعَاتٍ تَشَوُّفٌ إِلَى السَّيْطَرَةِ، يُعْرَبُ نَبِيشُهُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "تَحْتَ سَطْوَةِ هَذَا الطَّبْعِ الْخَاصِ وَضِعْتُ فِي الصَّدَارَةِ [فِي الْمَقْدِمَةِ أَوْ فِي الطَّلِيْعَةِ] "قُدْرَةُ التَّكْيُفِ"، أَيْ فَعَالِيَّتُهُ مِنْ مَرْتَبَةِ ثَانِيَةٍ وَرَدُّ فِعْلٍ بَسِيْطٍ، بَلْ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ وَقَعَ تَعْرِيفُ الْحَيَاةِ بِأَنَّهَا تَكْيُفٌ بَاطِنِيٌّ، بِأَلْغِ النَّجَاعَةِ دَوْمًا، مَعَ ظُرُوفٍ بَرَانِيَّةٍ (هَارْبِرْت سَبْنَسِر). لَكِنْ بِهَذَا نَتَجَاهَلُ جَوْهَرَ الْحَيَاةِ، إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ؛ وَنَغْضُ الطَّرْفَ عَنِ الْهَيْمَنَةِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْقُوَى الَّتِي هِيَ مِنْ نِظَامٍ [مِنْ فِتَّةٍ] عَفْوِيٍّ وَعُدْوَانِيٍّ وَعَازٍ وَغَاصِبٍ وَمُتَحَوِّلٍ وَالَّتِي تُقَدِّمُ بِاطْرَادٍ تَفْسِيرَاتٍ جَدِيدَةً وَاتِّجَاهَاتٍ جَدِيدَةً⁸⁰⁷، حَيْثُ يَكُونُ "التَّكْيُفُ" قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ خَاصًّا لِتَأْثِيرِهَا"⁸⁰⁸.

أَوْمًا الْغَرَضُ الْمَذْكُورُ مِنْ قَرِيبٍ أَنَّ الظَّاهِرَةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ نَتِيجَةُ تَأْوِيلَاتٍ مُعَيَّنَةٍ تَصْطَبِنُهَا مِنْ جِهَةٍ قَوَى مُسَيِّطَرَةٍ مُتَعَاقِبَةٍ لَا تَدْخِرُ جُهْدًا فِي تَرْكِيبٍ وَتَرْتِيبِ الْمَوْضُوعَاتِ لِتَتَنَاسَبَ مَعَ مَقَاصِدِهَا فِي نَوْعٍ مِنْ الْفَعَالِيَّةِ الْخَلَاقَةِ وَتَصُوغُهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى قَوَى أُخْرَى مُسَيِّطَرٍ عَلَيْهَا تُؤَوِّلُ الْعَالَمَ طَبَقًا لاسْتِعْمَالَاتٍ مُبَايِنَةٍ وَمَقَاصِدَ مُضَادَّةٍ عَلَى سَبِيلِ رَدِّ الْفِعْلِ. لَا غَرَوْ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ التَّفْسِيرُ الْقَائِمُ عَلَى الْعِلِّيَّةِ وَالْغَائِيَّةِ لِنِشْأَةِ الْأَخْلَاقِ وَتَطَوُّرِهَا خَائِبًا مَا دَامَ تَعَاقُبُ الظَّوَاهِرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، بَلَهُ مِيلَادَهَا، يَجْرِيَانِ مَجْرَى الصَّدْفَةِ لَا الضَّرُورَةِ وَيَخْضَعَانِ لِعَمَلِيَّاتٍ حَيَوِيَّةٍ مُعْقَدَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الْمَسَارِ الْغَائِيِّ وَالْمُنْطَقِيِّ فِي شَيْءٍ، وَيَتَغَيَّرَانِ بِاسْتِمْرَارٍ بِمُوجِبِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَعْنَاصِرِ وَبِمُقْتَضَى مَوَازِينِ الْاِقْتِدَارِ وَطَبَقًا لِخَوَاصِلِ الْإِخْضَاعِ وَالسَّيْطَرَةِ، شَرِيطَةً أَنْ نُمَيِّزَ فِي مَطَاوِي هَذَا كُلِّهِ بَيْنَ قَوَى فَاعِلَةٍ عَفْوِيَّةٍ وَعُدْوَانِيَّةٍ وَغَاصِبَةٍ تُعْرَبُ عَنْ مَاهِيَةِ الْحَيَاةِ

— mais bien une succession constante de phénomènes d'assujettissement plus ou moins violents, plus ou moins indépendants les uns des autres, sans oublier les résistances qui s'élèvent sans cesse, les tentatives de métamorphoses qui s'opèrent pour concourir à la défense Et dans tout organisme pris séparément, il n'en est pas autrement : chaque fois l'ensemble croît d'une façon essentielle, le « sens » de chaque organe se déplace, — dans certaines circonstances leur dépérissement partiel, leur diminution (par exemple par la destruction des termes moyens) peut être l'indice d'un accroissement de force et d'un acheminement vers la perfection.... L'importance d'un « progrès » se mesure même à la grandeur des sacrifices qui doivent lui être faits; l'humanité, en tant que masse sacrifiée à la prospérité d'une seule espèce d'hommes plus forts — voilà qui serait un progrès... ».

⁸⁰⁷ في ترجمة بيانكي وكريم مارييتي ثمة إضافة عبارة : و أشكال جديدة de nouvelles formes .

⁸⁰⁸ GM, Trad. Henri Albert, II, § 12 : « Sous la pression de cette idiosyncrasie, on avance la « faculté d'adaptation », c'est-à-dire une activité de second ordre, une simple « réactivité », bien plus, on a défini la vie elle-même : une adaptation intérieure, toujours plus efficace, à des circonstances extérieures (Herbert Spencer). Mais par là on méconnaît l'essence de la vie, la volonté de puissance; on ferme les yeux sur la prééminence fondamentale des forces d'un ordre spontané, agressif, conquérant, usurpant, transformant et qui donne sans cesse de nouvelles exégèses et de nouvelles directions, « l'adaptation » étant d'abord soumise à leur influence... ».

وَمِنْ هَذَا الْفَيْضِ الْحَيَوِيِّ تُقَدِّمُ تَأْوِيلَاتٍ أَخْلَاقِيَّةً دِينَامِيكِيَّةً وَطَافِحَةً بِالْإِرَادَةِ، وَقَوَى ارْتِكَاسِيَّةٍ مُنْفَعِلَةٍ وَوَاهِنَةٍ وَدِيْعَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ وَظِيفَةٍ تَأْنَوِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ تَتِمَثَّلُ فِي التَّكْيُفِ مَعَ الظُّرُوفِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهَا وَمِنْ حَضِيضِ هَذَا الْوَهَنِ وَالْعَجْزِ تَسْتَنْظِرُ تَأْوِيلَاتٍ أَخْلَاقِيَّةً مِيكَانِيكِيَّةً وَمُتَقَاعِسَةً الْإِرَادَةِ لَا تَفْعَلُ بِهَا إِلَّا اسْتِعْدَاءَ الْحَيَاةِ.

بِنَاءً عَلَى مَا وَرَدَ سَابِقًا، تَنْكَشِفُ لَنَا حَقِيقَةُ الظَّوَاهِرِ بِمِقْدَارِ مَا نُمَيِّزُ فِيهَا بَيْنَ مَا هُوَ فَاعِلٌ وَمَا هُوَ ارْتِكَاسِيٌّ، وَبِمِقْدَارِ مَا نُسْفِرُ عَنْ طَبِيعَةِ الْقَوَى الظَّافِرَةِ الَّتِي تَفْرُضُ سُلْطَتَهَا؛ أَهِيَ قَوَى فَاعِلَةٌ أَوْ قَوَى ارْتِكَاسِيَّةٌ، وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ أَنْ تَكُونَ الْإِرَادَةُ الْعُنْصُرُ التَّفَاضُلِيُّ الَّذِي يُحَدِّدُ الْفَاعِلِيَّةَ وَالْارْتِكَاسِيَّةَ؛ فَإِذَا أَنْ تَكُونَ إِرَادَةً نَفِيٍّ وَتَدْمِيرٍ وَحَطٍّ لِلْقِيَمَةِ وَإِذَا أَنْ تَكُونَ إِرَادَةً إِبْطَاتٍ وَبِنَاءٍ وَإِعْلَاءٍ لِلْقِيَمَةِ، وَلَقَدْ حَمَلَ هَذَا النُّحُو الجِينِيَالُوجِيُّ فِي مُسَاءَلَةِ الْأَخْلَاقِ نَيْتَشَةَ عَلَى الْوُقُوفِ عَلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْأَخْلَاقِ: أَخْلَاقٍ نَبِيلَةٍ تُفَصِّحُ عَنْ إِرَادَةٍ وَاقْتِدَارٍ تَبْتَدِعُهَا قَوَى فَاعِلَةٌ وَأَخْلَاقٍ عُبودِيَّةٍ تُعَبِّرُ عَنْ ضَعْفٍ وَضَعَةٍ وَحِزْمَانٍ تَصْطَنَعُهَا قَوَى ارْتِكَاسِيَّةٍ. هَكَذَا نَقُومُ الظَّاهِرَةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَأَيُّ ظَاهِرَةٍ غَيْرَهَا عَلَى ضَوْءِ انْمُودَجِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّذِي يُؤَلِّدُهَا أَوْ يُحَرِّكُهَا⁸⁰⁹.

لَا ضِرَارَ أَنْ نُورِدَ هُنَا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّذْكِيرِ وَالتَّفْصِيلِ بَعْضًا مِنَ الْإِيْضَاءَاتِ الدُّولُوزِيَّةِ لَانِبْنَاءِ الجِينِيَالُوجِيَا عَلَى الْعُنْصُرِ التَّفَاضُلِيِّ؛ إِذْ يَتَعَدَّرُ حَسَبَ تَأْوِيلِيَّةِ دُولُوزِ الْإِسْفَارُ عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْقَوَى مَا لَمْ يُتَعَرَّفْ إِلَى الْعُنْصُرِ التَّفَاضُلِيِّ وَالنَّوْعِيِّ الَّذِي بِمُوجِبِهِ تَنْقَسِمُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى نَمَطَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ وَقِيَّاسًا عَلَى ذَلِكَ إِلَى صِنْفَيْنِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، وَمَا ذَلِكَ الْعُنْصُرُ الْمُمَيِّزُ سِوَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الثَّابِتَةِ فِي كُلِّ قُوَّةٍ، بِمُقْتَضَى ذَلِكَ فَهَنْ يُرِيدُ دَاخِلَ الْقُوَّةِ لَيْسَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ نَامُوسِهَا الْبَاطِنِيِّ وَقَانُونِ حَرَكَتِهَا الْجَوَانِي⁸¹⁰ الَّذِي هُوَ لَيْسَ شَيْئًا آخَرَ كَمَا قُلْنَا سَابِقًا غَيْرَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ⁸¹¹، وَعَلَى أَسَاسِ ذَلِكَ يُعْرَبُ دُولُوزُ بِشَكْلِ مُمْتَازٍ عَنْ عِلَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقَوَى بِمَا هُوَ فَرْقٌ يُعَبِّرُ عَنْ صِفَةٍ نَوْعِيَّةٍ لِلْقُوَّةِ⁸¹² قَائِلًا: هَاكُمُ مَا إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ؛ إِنَّهَا

⁸⁰⁹Pierre Héber-Suffrin, Le Zarathoustra de Nietzsche, p. 97 : « ... pour juger de la valeur d'un phénomène il faudra comprendre comment s'explique la hiérarchie qu'on y trouve c'est à dire comprendre pour quelles raisons y dominant, selon le cas, les forces actives ou les forces réactives. Pour ce faire, il faudra comprendre sa généalogie, c'est à dire distinguer par quel type de volonté de puissance, affirmative ou négative, il est engendré, motivé ».

⁸¹⁰VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 309 : « Ce concept victorieux de la force, grâce auquel nos physiciens ont créé Dieu et l'univers, a besoin d'un complément; il faut lui attribuer un vouloir interne que j'appellerai la volonté de puissance ».

⁸¹¹Ibid, § 54 : « Qui donc veut la puissance ? Question absurde, si l'être est par lui même volonté de puissance... ».

⁸¹²Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 56 : « Rappelons-nous que l'essence de la force est sa différence de quantité avec d'autres forces, et que cette différence s'exprime comme qualité de la force. Or la différence de quantité, ainsi comprise, renvoie nécessairement à un élément différentiel des forces en rapport, lequel est aussi l'élément génétique des qualités de ces forces ».

الْغُنْصُرُ الْجِينِيالُوجِي لِلْقُوَّةِ. إِنَّ إِرَادَةَ الْاِقْتِدَارِ هِيَ الْغُنْصُرُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهُ فِي الْآنِ ذَاتِهِ الْفَرْقُ فِي كَيْمِيَّةِ الْقُوَى الْمُتَعَالِقَةِ وَالنُّوعِيَّةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى كُلِّ قُوَّةٍ فِي هَذَا التَّعَالُقِ⁸¹³.

زِدْ عَلَى هَذَا أَنَّ التَّأْوِيلَ الدُولُوزِيَّ يَقْدِمُ تَمَيِّزَاتٍ يَهْتَدِي بِهَا قُرَاءً نِيْتَشَهُ إِلَى أَفْضَلِ اسْتِيعَابٍ لِلصِّلَةِ بَيْنَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ وَالْجِينِيالُوجِيَا، مِنْهَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْقُوَى (Forces) الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِالْاِقْتِدَارِ (Puissance) وَإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ (Volonté de puissance) الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِالْإِرَادَةِ (Volonté)، مَا يَعْنِي أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْاِقْتِدَارَاتِ مَنُوطٌ بِالْإِرَادَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى نَقُولُ إِنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ وَالْقُوَى الْاِنْفِعَالِيَّةِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى فَهْمٍ مَا تُرِيدُهُ، أَهِيَ إِرَادَةٌ وَضَعٌ أَوْ إِرَادَةٌ نَفْيٍ، أَهِيَ إِرَادَةٌ بَاسِلَةٌ أَوْ إِرَادَةٌ جَبَانَةٌ وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ.

وَبِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ التَّوْضِيحَاتِ، فَمَا يُسَمِّيه نِيْتَشَهُ نَبِيلاً أَوْ رَفِيحاً أَوْ سَيِّداً هُوَ طَوْرًا الْقُوَّةُ الْفَاعِلَةُ وَطَوْرًا آخَرَ الْإِرَادَةُ الْإِثْبَاتِيَّةُ وَمَا يُسَمِّيه سَافِلاً أَوْ وَضِيحاً أَوْ عَبْدًا هُوَ تَارَةً الْقُوَّةُ الْاِرْتِكَاسِيَّةُ وَتَارَةً أُخْرَى الْإِرَادَةُ الْنَافِيَّةُ⁸¹⁴. وَبَيْنَ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ الْمَوْسُومَةِ بِالْإِرَادَةِ الْإِثْبَاتِيَّةِ وَالْقُوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةِ الْمَوْسُومَةِ بِالْإِرَادَةِ الْنَافِيَّةِ تَعَانُدٌ، فَبَيْنَمَا تَسْعَى الطَّائِفَةُ الْأُولَى إِلَى إِثْبَاتِ نَفْسِهَا وَتَوْكِيدِ اخْتِلَافِهَا دُونَ أَنْ تَعْبَأَ جَوْهَرِيًّا بِمَا يَكُونُهُ النَّاسُ عَنْهَا مِنْ أَحْكَامٍ، وَيَسُوقُهَا اعْتِرَازُهَا بِالذَّاتِ إِلَى أَنْ تَقَوِّمَ نَفْسَهَا وَتُعْلِيَّ مِنْ شَأْنِهَا أَشَاءَ النَّاسِ أَمْ أَبَوَا، أَلَّحَبُّوا ذَلِكَ أَمْ كَرِهُوا⁸¹⁵ وَهِيَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ فَخْرٍ لَا تَقَارِنُ فِي الْغَالِبِ نَفْسَهَا إِلَّا بِنَفْسِهَا فِي حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ طَافِحَةٍ بِالْقُوَّةِ وَلَا تَقَارِنُ نَفْسَهَا بِالْآخَرِينَ إِلَّا عَرَضًا⁸¹⁶، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الثَّانِيَةَ تَشْرَعُ فِي نَفْيِ مَا هُوَ مُخْتَلِفٌ عَنْهَا وَمُعَارَضَةٍ مَا هُوَ مُتَمَيِّزٌ وَمُبَايِنٌ لَهَا⁸¹⁷ مَعَ بَذْلِ الْوُسْعِ فِي إِقْنَاعِ الْبَشَرِ أَنْ يَكُونُوا عَنْهَا أَحْكَامًا حَسَنَةً⁸¹⁸ وَهُمْ فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ مُتَذَلِّلِينَ وَطَبَّعِينَ⁸¹⁹، وَلَمْ يَكُنْ لِنِيْتَشِهِ بُدٌّ مِنْ اعْتِبَارِ أَخْلَاقِ الطَّائِفَةِ الْأُولَى

⁸¹³Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie : « Voilà ce qu'est la volonté de puissance : l'élément généalogique de la force, à la fois différentiel et génétique. La volonté de puissance est l'élément dont découlent à la fois la différence de quantité des forces mises en rapport et la qualité qui, dans ce rapport, revient à chaque force ».

⁸¹⁴Ibid, p. 62 : « Ce que Nietzsche appelle noble, haut, maître, c'est tantôt la force active, tantôt la volonté affirmative. Ce qu'il appelle bas, vil, esclave, c'est tantôt la force réactive, tantôt la volonté négative ».

⁸¹⁵PBM, présentation et Trad. d'Anngèle Kremer-Marietti, § 261 : « ... l'homme du commun n'était que ce qu'il était tenu d'être - nullement accoutumé à poser lui-même ses valeurs, il n'a lui-même aucune autre valeur que celle que ses maîtres lui accordaient (c'est proprement le droit du maître que celui de créer des valeurs)... la tendance originairement noble et rare de s'assigner à soi-même une valeur et de « penser du bien » de soi se trouvera de plus en plus encouragée et répandue... ».

⁸¹⁶VP, Trad. Henri Albert, § 401 : « Se sentir fort. - Autrement dit : la joie suppose toujours une comparaison (et non point nécessairement avec d'autres, mais avec soi-même, au milieu d'un état de croissance... ».

⁸¹⁷GM, I, § 10. Voir Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 63.

⁸¹⁸PBM, Trad. Henri Albert, Chapitre IX. Qu'est-ce qui est noble ?, § 261 : « Au nombre des choses qui sont peut-être le plus difficile à comprendre pour un homme noble, se trouve la vanité. Il sera tenté de nier son existence là même où, pour une autre espèce d'hommes, elle crève les yeux. Le problème consiste pour lui à se représenter des êtres qui cherchent à créer une bonne opinion pour ce qui les concerne, opinion qu'ils n'ont pas eux-mêmes — et qu'ils ne « méritent » donc pas — tout en finissant pas croire à cette opinion. Cela lui semble d'une part de si mauvais goût, si irrévérencieux à l'égard de lui-même ».

أَخْلَاقًا تَلْفَائِيَّةً تَنْبُعُ مِنْ طَبَائِعِ الثُّبُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى دِرَافَةٍ بِاخْتِلَافِهِمْ وَلَا مَعْدَى لَهُمْ عَنْ اخْتِرَامِ الذَّاتِ بِوصفه حَاصِيَّةً يَتَمَيَّزُونَ بِهَا دُونَ الْعَالَمِينَ، بَيْنَمَا أَخْلَاقُ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ تَنْجُمُ مِنْ وَجْهِ مِنْ ذَاتٍ عاجِزَةٍ عَنْ إِبْثَاتِ ذَاتِهَا وَاحْتِرَامِ نَفْسِهَا، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ وَجْهِ ثَانٍ قَلْبٌ لِلْقِيمِ صَادِرٌ مِنْ حَقْدٍ دَفِينٍ يُحْدِثُ قِيَمًا عَلَى سَبِيلِ رَدِّ الْفِعْلِ ضِدَّ خَارِجٍ تَسْتَعْدِيهِ⁸²⁰، فِي عَيْنِ الْآنِ الَّذِي تُرِيدُ فِيهِ أَنْ تُثَمِّلَ الْعَدْلَ وَالْحُبَّ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّفُوقَ بِأَيِّ شَكْلِ كَانَ وَالظُّهُورَ بِأَنَّهَا حَامِلَةٌ لِتِلْكَ الْقِيَمِ⁸²¹، نَاهِيكَ أَنَّهَا تُعْبِرُ عَنِ الَّذِينَ يَعْجِزُونَ عَنِ الدِّفَاعِ عَنِ الذَّاتِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَشَمَّلُونَ بِالرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ بِأَيِّ شَيْءٍ بَدَلَ الطُّمُوحِ وَالنَّهْمِ⁸²².

لَيْسَ بِمَقْدُورِ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْفِتْنَةِ الثَّانِيَةِ أَنْ تَنْتَصِرَ إِلَّا إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْ فَصْلِ الْقَوَى الْفَاعِلَةِ عَمَّا فِي وَسْعِهَا اجْتِرَاحُهَا، لِذَلِكَ تَنْتَهِي سَيْرُورَةُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ إِلَى انْتِصَارِ الضُّعَفَاءِ وَالْمُنْحَطِّينَ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ

⁸¹⁹APZ, Trad. Henri Albert, III, « Des trois maux » : « L'obséquieux lui paraît plus bas encore, le chien qui se met tout de suite sur le dos, l'humble; et il y a aussi de la sagesse qui est humble, rampante, pieuse et obséquieuse ».

في ترجمة مورييس جوندريك يستخدم عبارة « الذي يسارغ إلى الطاعة [الذي يتعجل اللين] [الذي يتعجل الانقياد] moins encore — docile — il estime le hâtivement. في ترجمة جنيفاف بيونكي : " ويحط بقدر أكبر من شأو الخنوع المتعجل [يقدر بدرجة أقل الدل المتعجل] « Il estime moins encore la servilité empressée ».

⁸²⁰GM, Trad. Henri Albert, I, § 10 : « La révolte des esclaves dans la morale commence lorsque le ressentiment lui-même devient créateur et enfante des valeurs : le ressentiment de ces êtres, à qui la vraie réaction, celle de l'action, est interdite et qui ne trouvent de compensation que dans une vengeance imaginaire. Tandis que toute morale aristocratique naît d'une triomphale affirmation d'elle-même, la morale des esclaves oppose dès l'abord un « non » à ce qui ne fait pas partie d'elle-même, à ce qui est « différent » d'elle, à ce qui est son « non-moi » : et ce non est son acte créateur. Ce renversement du coup d'œil appréciateur — ce point de vue nécessairement inspiré du monde extérieur au lieu de reposer sur soi-même — appartient en propre au ressentiment : la morale des esclaves a toujours et avant tout besoin, pour prendre naissance, d'un monde opposé et extérieur : il lui faut, pour parler physiologiquement, des stimulants extérieurs pour agir; son action est foncièrement une réaction. Le contraire a lieu, lorsque l'appréciation des valeurs est celle des maîtres : elle agit et croît spontanément, elle ne cherche son antipode que pour s'affirmer soi-même avec encore plus de joie et de reconnaissance, — son concept « bas », « commun », « mauvais » n'est qu'un pâle contraste né tardivement en comparaison de son concept fondamental, tout imprégné de vie et de passion, ce concept qui affirme « nous les aristocrates, nous les bons, les beaux, les heureux ! ».

⁸²¹Ibid, III, § 14 : « Que veulent-ils enfin ? Représenter tout au moins la justice, l'amour, la sagesse, la supériorité, — telle est l'ambition de ces « inférieurs », de ces malades ! ... Le désir des malades de représenter la supériorité sous une forme quelconque, leur instinct à découvrir des voies détournées conduisant à la tyrannie sur les hommes bien portants — où ne la trouve-t-on pas cette aspiration des faibles, justement des plus faibles, vers la puissance ? ».

⁸²²APZ, Trad. Henri Albert, III, « Des trois maux » : « Mais elle [joie égoïste] hait jusqu'au dégoût celui qui ne veut jamais se défendre, qui avale les crachats venimeux et les mauvais regards, le patient trop patient qui supporte tout et se contente de tout; car ce sont là coutumes de valets. Que quelqu'un soit servile devant les dieux et les coups de pieds divins ou devant des hommes et de stupides opinions d'hommes : à toute servilité il crache au visage, ce bienheureux égoïsme ! ».

يَعْدُ نَيْتِشُهُ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ عَادَاتِ الْخِدْمِ وَالْعَبِيدِ الَّتِي تَحُطُّ بِهَا بِالسَّهَابِ بِالْمَهْجَةِ الْإِنَانِيَّةِ joie égoïste مِنْ قِيَمَتِهَا.

وَالْمُتَمَيِّزِينَ لِيُصْبِحُوا أَسْبَادًا عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، بِسَبَبِ مَا يَتَنَعَّمُونَ بِهِ مِنْ كَثَرَةِ عَدَدِيَّةٍ مِنْ جِهَةٍ وَذَكَاءٍ عَقْلِيٍّ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ⁸²³ ، وَبِسَبَبِ غَرَائِزِهِمُ الْمُنَظَّمَةِ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ⁸²⁴ ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي الذُّودُ عَنِ الْأَقْوِيَاءِ ضِدَّ الضُّعْفَاءِ⁸²⁵ وَتَثْمِينُ الْمَحْظُوظِينَ السُّعْدَاءِ ضِدَّ الْمَنْحُوسِينَ الْمُعْوَقِينَ وَالْأَصْحَاءِ ضِدَّ الْمُنْخَلِينَ وَالْمَرْضَى⁸²⁶ ، مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ مِيَاهِ الْأَقْتِدَارِ إِلَى مَجْرَاهُ التَّلْقَائِيِّ ، هَكَذَا تَمْضِي كُلُّ قُوَّةٍ وَفَقَ الطَّبَعِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ لِلْحَيَاةِ ذَاتِهَا⁸²⁷ إِلَى أَقْصَى مَا فِي مُكْتَنِبِهَا⁸²⁸ فِيمَا وَرَاءَ أَيِّ قَانُونٍ يَعُوقُهَا وَيُثَبِّطُهَا⁸²⁹ .

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِذَا مَا أَرَادَتْ الرُّقْيَ مَذْهَبٌ عَنِ الْقِيَامِ بِقَطِيعَةٍ جَذْبِيَّةٍ مَعَ الْأَخْلَاقِ الرَّاهِنَةِ الَّتِي هِيَ مُوَاسِلَةٌ لِلْأَخْلَاقِ الْكُهْنُوتِيَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلْحَيَاةِ ، إِذْ اسْتَمْرَارُ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَعْنَاهُ جِرْمَانُ الْوُجُودِ مِنْ ارْتِقَائِهِ الصَّاعِدِ وَتَسْمِيمِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مَا يُفْضِي إِلَى مَثُولِ الْإِنْسَانِ الْأَخِيرِ الْمُفْتَقِرِ لِلطُّمُوحَاتِ الْخَلَاقَةِ وَالرَّاكِنِ إِلَى الرَّاحَةِ وَالرَّفَاهِ وَالسَّعَادَةِ وَالْمُسَاوَاةِ⁸³⁰ وَمِنْ هُنَا الضَّرُورَةُ الْمُلْحَةُ فِي أَنْ يُحَرَّرَ الضَّمِيرُ

⁸²³CI, Trad. Henri Albert, « Flâneries inactuelles », 14 : « En admettant que cette lutte existe (et elle se présente en effet), elle se termine malheureusement d'une façon contraire à celle que désirerait l'école de Darwin; à celle qu'on oserait peut-être désirer avec elle : elle se termine malheureusement au détriment des forts, des privilégiés, des exceptions heureuses. Les espèces ne croissent point dans la perfection : les faibles finissent toujours par se rendre maîtres des forts — c'est parce qu'ils ont le grand nombre, ils sont aussi plus rusés... Darwin a oublié l'esprit (— cela est bien anglais !), les faibles ont plus d'esprit... ».

⁸²⁴VP, Trad. Henri Albert, § 324 : « Cette volonté de puissance, où je reconnais le tréfonds et le caractère de tout changement, nous explique pourquoi la sélection ne se fait précisément pas en faveur des exceptions et des hasards heureux : les plus forts et les plus heureux sont faibles, lorsqu'ils ont contre eux les instincts de troupeau organisés, la pusillanimité des faibles et le grand nombre... ».

⁸²⁵VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, § 395 : « On a toujours à défendre les forts contre les faibles, les heureux contre les malchanceux; les bien portants contre les dégénérés et les tarés ».

⁸²⁶VP, Trad. Henri Albert, § 324 : « Quelque singularité qu'il y ait à l'affirmer, il faut toujours mettre en valeur les forts contre les faibles, les heureux contre les mal venus, les bien portants contre les dégénérés et les malades par hérédité ».

"مهما كَانَ مِنْ غَرَابَةِ [مِنْ فَرَادَةِ] فِي إِثْبَاتِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَطْلُوبِ دَائِمًا أَنْ تُثْمِنَ الْأَقْوِيَاءُ عَلَى [ضد] الضُّعْفَاءِ وَالسُّعْدَاءِ عَلَى [ضد] الْمُعْوَقِينَ [الْمَنْحُوسِينَ] وَالْأَصْحَاءِ عَلَى [ضد] الْمُنْخَلِينَ وَ الْمَرْضَى بِالْوَرَاثَةِ".

⁸²⁷Ibid, § 296 : « La vie, en tant que cas particulier (l'hypothèse qui, en partant de là, aboutit au caractère général de l'existence -), aspire à un sentiment maximal de puissance; elle est essentiellement l'aspiration à un surplus de puissance; aspirer, ce n'est point autre chose que d'aspirer à la puissance; cette volonté demeure ce qu'il y a de plus intime et de plus profond... ».

⁸²⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 85 : « On constate qu'en chimie, tout corps étend sa puissance aussi loin qu'il le peut ».

⁸²⁹Ibid, § 374 : « Il n'y a pas de loi; toute puissance entraîne à tout instant ses conséquences dernières ».

⁸³⁰Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, New York, Routledge, 2002, p. 28 : « In the last man, we encounter precisely the moral norms that Nietzsche attacks : the last man embraces happiness, comfort, peacefulness, neighbor love, equality... ».

الْحَدِيثُ مِنَ الْأَثْقَالِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تُرْهَقُ كَاهِلُهُ ، وَفِي أَنْ يُفَكَّ الْوِثَاقُ الْغَلِيظُ الَّذِي يَشُدُّهُ إِلَيْهَا ؛ لِاحْبَازِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنْ إِبْدَاعِ الذَّاتِ وَإِتْبَاطِهَا وَالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْاِفْتِدَارِ⁸³¹ .

مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ مِنْ مَرَامِي الْجِينِيالُوجِيَا الْإِبَانَةِ عَمَّا خَفِيَ فِي الظَّاهِرَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَمَا جَرَى كِتْمَانُهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ إِمَاطَةُ اللَّثَامِ عَنِ الْمُفَاضَلَةِ وَالْفُرُوقِ الْفَطْرِيَّةِ بَيْنَ الْقَوَى وَمِنْ تَمَّ بَيْنَ صِنْفِي الْأَخْلَاقِ وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ الْإِسْفَارُ عَنِ الشُّعُورِ الْغَرِيزِيِّ بِالتَّفَوُّقِ لِطَائِفَةِ النَّبَلَاءِ عَلَى الطَّائِفَةِ الْارْتِكَاسِيَّةِ وَلَقَدْ قَامَتِ الْجِينِيالُوجِيَا مِنْ أَجْلِ الْكَشْفِ عَنْ هَذَا الشُّعُورِ الْفَرِيدِ بِذَلِكَ التَّفَاضُلِ أَوْ التَّرَاتِبِ الَّذِي يُؤْلَفُ فِطْرَةً لَدَى الْأَنْفُسِ الْجَلِيلَةِ ، بَلْ يَنْزُو نَيْتَشَهُ إِلَى بَيَانِ كَوْنِ هَذَا الشُّعُورِ نَفْسِهِ أَمَارَةً مُمَيَّزَةً عَلَى الْمَرْتَبَةِ الرَّاقِيَةِ ؛ إِذْ يَنْتَمِي اسْتِشْعَارُ الْفُرُوقِ بَيْنَ صَغَائِرِ الْأُمُورِ وَعَظَائِمِهَا إِلَى ثُلَّةِ النَّبَلَاءِ ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْفُسَ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا تَمْتَلِكُ مِنَ السُّمُو مَا يَكْفِي لِإِدْرَاكِ قِيَمَةِ النَفُوسِ وَالطَّبَقَةِ وَالنِّظَامِ الْفِطْرِيِّ وَالرَّاسِخِ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِمَا⁸³² .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ غُلُوَّ الْمَنْزِلَةِ وَذَهَبِيَّةَ الطَّبَقَةِ وَتَبَوُّاً ذُرُوءَ سُلَّمِ الْمُفَاضَلَةِ لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا الْأَفْعَالُ وَالْأَعْمَالُ بَلْ تُشِيرُ إِلَيْهَا خِصْلَةٌ مُلَازِمَةٌ لِلْأَنْفُسِ النَّبِيلَةِ تَكْمُنُ فِي الْاحْتِرَامِ الَّذِي تُكَنُّهُ لِنَفْسِهَا عَلَى نَحْوِ يَقِينِي لَا تَعْتَرِيهِ الظُّنُونُ⁸³³ وَهَذَا الْاحْتِرَامُ أَرِسْتَقْرَاطِي الْمَنْزَعِ ، وَفَرْدَانِي الْقَوَامِ ، لِذَلِكَ فَهُوَ بَاطُوسٌ فَرْدَانِيٌّ يُعَبِّرُ عَنْ عِلَاقَةِ فَرْدٍ نَبِيلٍ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتَّجِهْ لِلْإِنْسَانِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا كَلِيَّةً ، وَذَلِكَ عَلَى نَقِيضِ الْأَنْفُسِ الْوَضِيعَةِ الَّتِي تَعْجُزُ عَنْ

⁸³¹Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, p. 23 : « It is precisely this polemical project that the Genealogy carries out : by investigating the origin of morality Nietzsche hopes to undermine morality or, more precisely, to loosen the attachment of Potentially great human beings to this morality » .

⁸³²PBM, Trad. Henri Albert, Chapitre IX. Qu'est-ce qui est noble ? § 263 : « Il y a un instinct pour le rang qui, plus que toute autre chose, est déjà l'indice d'un rang supérieur; il y a une volupté dans les nuances du respect qui fait deviner l'origine et les habitudes nobles...Celui dont c'est la tâche et l'habitude de sonder les âmes, se servira des formes multiples de cet art pour déterminer la valeur dernière d'une âme, l'ordre inné et inébranlable auquel appartient celle-ci » .

⁸³³Ibid, présentation Et Trad. d'Anngèle Kremer-Marietti, § 287 : « Qu'est-ce qui est noble? Que signifie pour nous, aujourd'hui, le mot «noble»? A quoi se devine, à quoi se reconnaît l'aristocrate, sous ce ciel bas et triste du règne populaire commençant à travers l'atmosphère duquel tout devient opaque et plombé? Ce ne sont pas les actions qui le montrent — les actions sont toujours équivoques, toujours insondables - ce ne sont pas non plus les «œuvres» . On trouve aujourd'hui parmi les artistes et les savants assez de ceux qui trahissent par leurs œuvres qu'un profond désir les pousse vers ce qui est noble : mais précisément, ce désir de ce qui est noble est fondamentalement différent des besoins de l'âme noble elle-même, c'est précisément l'indice éloquent et dangereux de leur manque. Ce ne sont pas les œuvres, c'est la foi qui décide ici, qui établit la hiérarchie, pour reprendre une vieille formule religieuse dans un sens plus nouveau et plus profond : on ne sait quelle certitude fondamentale une âme noble a d'elle-même, quelque chose qui ne se laisse pas chercher, ni trouver, ni peut-être non plus perdre. L'âme noble a le respect de soi-même » . Voir Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, p. 118. Voir Simone Goyard-Fabre, Nietzsche et la conversion métaphysique, p. 188. Voir Jacques Sojcher, La Question et le sens, esthétique de Nietzsche, essai, p. 201.

التَحَلِّي بِكُلِّ ذَلِكَ بَلْ لَا تَنْبِي تُنَكِّرُ ذَاتَهَا مِنْ أَجْلِ كَلِّيَّاتٍ أَخْلَاقِيَّةٍ تُحْمَلُ عَلَى الْكَلِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ غَيْرِ مَيَّزٍ⁸³⁴.

إِنَّ ارْتِفَاعَ عِيَارِ الْفَاعِلِيَّةِ (مَنْ الْفَعْلِ) وَعِيَارِ الْبَرَانِيَّةِ (مَنْ الْبَرِّ) مِنْ عَمَلِ التَّيْبُولُوجِيَا الْنِيْتَشُويَّةِ ، يُفْضِي إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ الطَّبَائِعَ الْعَظِيمَةَ عَظِيمَةً لَا بِسَبَبِ قُدْرَتِهَا عَلَى تَحْرِيصِ الْجَمَاهِيرِ وَتَحْرِيكِهَا ، فَلَا وَزْنَ لِلْأَفْعَالِ ، وَلَوْ قَلَبْتَ الْأَرْضَ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ ، فِي تَحْدِيدِ الطَّبَائِعِ السَّامِيَّةِ ، فَلَا تَأْثَرُ الَّتِي تُخْلَقُهَا لَيْسَتْ مَعْيَارًا بِمُسْتَطَاعِهِ تَبَيُّنُ الطَّبَائِعِ الْقَوِيَّةِ مِنَ الضَّعِيفَةِ ، وَإِنَّمَا مَا هِيَ الْأَنْفُسُ الْنَبِيلَةُ/الرَّاقِيَّةُ تَكْمُنُ فِي الْخِصَالِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي تَحَلِّي بِهَا ؛ مِنْ اخْتِلَافٍ يُمَيِّزُهَا عَمَّا سِوَاهَا ، مِنْ مَسَافَةٍ تَرَاتُبِيَّةٍ تَفْصِلُهَا عَنْ أَغْيَارِهَا ، مِنْ اسْتِعْصَائِهَا عَلَى الْوَصْفِ وَالْبُلُوغِ⁸³⁵.

أَضْفِ إِلَى هَذَا كُلِّهِ ، أَنَّ الْكِفَاحَ وَصْلَةَ الْأَنْفُسِ الْوَضِيعَةِ إِلَى الْهَيْمَنَةِ وَالْعَلَبَةِ وَالْإِعْتِرَافِ بِهَا ، لَكِنَّ الْبَوْنَ الَّذِي يَفْصِلُ الْأَنْمُودَجَ السَّيِّدَ عَنِ الْأَنْمُودَجِ الْعَبْدِ لَيْسَ هُوَ الْكِفَاحُ ، دَعِ عَنَّا أَيْضًا أَيَّ سَيْرُورَةٍ تَارِيخِيَّةٍ ، لِذَلِكَ لَيْسَ الْكِفَاحُ مَبْدَأُ التَّرَاتُبِ وَمَصْدَرُهُ كَمَا يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ دُولُوز⁸³⁶ ، وَإِنَّمَا الْكِفَاحُ نَفْسُهُ الَّذِي هُوَ فِي نَظَرِ نِيْتَشَةِ ، حَسَبَ تَأْوِيلِيَّتِنَا الَّتِي تُخَالِفُ تَأْوِيلِيَّةَ دُولُوز⁸³⁷ ، مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَيَاةِ ، يَنْشَأُ مِنْ شُعُورٍ بِفَيْضٍ

⁸³⁴Olivier Reboul, Nietzsche, critique de Kant, p. 88 : « Il a le respect de soi : non pas de l'humanité dans sa personne, en tant qu'universelle, mais de soi comme singulier...; car ce qui fait sa noblesse est précisément ce que son pathos a de différent, même s'il n'en sait rien ».

⁸³⁵FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 16 [39] : « A quel point un agitateur plébéien des masses est incapable de se représenter clairement l'idée de « nature supérieure », c'est Buckle (1) qui en donne le meilleur exemple. L'opinion qu'il combat si passionnément, - celle que les grands hommes », les individus, les princes, les hommes d'État, les génies, les chefs de guerre, sont les leviers et les causes de tous les grands mouvements - cette opinion, il la mécomprend instinctivement, comme si elle affirmait que l'essentiel et le plus précieux chez un tel « homme supérieur » résidait dans son aptitude à mettre les masses en mouvement, bref résidait dans l'action qu'ils exercent... Mais la « nature supérieure » du grand homme réside dans sa différence, dans son incommunicabilité, dans sa « distance » hiérarchique - non dans un quelconque effet : et cela même s'il ébranlait la terre ».

⁸³⁶Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 93 : « ... la lutte n'est pas le principe ou le moteur de la hiérarchie, mais le moyen par lequel l'esclave renverse la hiérarchie. La lutte n'est jamais l'expression active des forces, ni la manifestation d'une volonté de puissance qui affirme; pas plus que son résultat n'exprime le triomphe du maître ou du fort. La lutte, au contraire, est le moyen par lequel les faibles l'emportent sur les forts, parce qu'ils sont le plus grand nombre ».

⁸³⁷FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889 : « ... lutte pour la puissance, lutte pour la reconnaissance ou lutte pour la vie, le schéma est toujours le même. Or on ne saurait trop. Insister sur le point suivant : combien les notions de lutte, de guerre, de rivalité ou même de comparaison sont étrangères à Nietzsche et à sa conception de la volonté de puissance. Non pas qu'il nie l'existence de la lutte; mais celle-ci ne lui paraît nullement créatrice de valeurs ».

من النكت أن يستشهد دُولُوزُ ابْتِغَاءَ الْحِطِّ مِنْ قِيَمَةِ الصَّرَاحِ بِشَاهِدٍ يَقُولُ فِيهِ نِيْتَشَةُ : « طَبْلَةُ حَيَاتِي لَا يَوْجِدُ مِلْحَ وَاحِدٍ لِلْكِفَاحِ ، فَأَنَا نَقِيضُ طَبِيعَةِ بَطُولِيَّةٍ ؛ إِنَّ إِرَادَةَ شَيْءٍ مَا ، الطَّمُوحَ إِلَى شَيْءٍ مَا ، النَّظَرَ إِلَى هَدَفٍ مُعَيَّنٍ ، أَوْ رَغْبَةً مُحَدَّدَةً ، هَذَا جَمِيعُهُ لَا أَعْرِفُهُ بِالتَّجَرُّبَةِ ».

في القدرة والقوة، من إحساسٍ بالقدرة على العدو أقوى، فالكفاح نتيجةٌ لشمائلٍ طَبَعِيَّةٍ سَامِيَةٍ مَلِيَّةٍ بِالْقُدْرَةِ وَالْبَأْسِ تَبَعَتْ فِي إِرَادَةِ الْأَقْوِيَاءِ إِرَادَةَ الْكِفَاحِ⁸³⁸، وَمِنْ نَمَّ فَالْكَفَاحُ مِنْ هَذِي الْحَيْثِيَّةِ فَضْلًا لَا تُنْقِصُ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ وَقَدَرِهِمْ شَيْئًا، ذَلِكَ أَنَّ قِيَمَةَ الْأَنْفُسِ النَّبِيلَةِ سَابِقَةٌ عَنْ أَيِّ كِفَاحٍ ضِدَّ الْأَنْدَادِ أَوْ الْأَغْيَارِ، لَكِنْ لَا يَتَبَادَرَنَّ إِلَى ذِهْنِنَا أَنَّ الْكِفَاحَ شَيْءٌ سَلْبِيٌّ فِي ذَاتِهِ، بَلْ شَفَتْ الشَّوَاهِدُ النَّاطِقَةُ عَلَى جَوْهَرَانِيَّتِهِ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ وَدَلَّتِ الْقَرَائِنُ النَّصِيَّةُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ فِي فِلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ لِكُلِّ مَا يَنْتَمِي

EH, Trad. Henri Albert, II, § 9 : « Dans toute ma vie on ne retrouve pas un seul trait de lutte, je suis le contraire d'une nature héroïque; vouloir quelque chose, aspirer à quelque chose, avoir en vue un but, un désir, tout cela je ne le connais pas par expérience ».

لا غضاضة إن فلنا إن دولوز في الحقيقة لا يختلف كثيراً عن الشراح النيتشويين الذين يقتطعون النصوص ويألون جهداً في تتبع المفاهيم التي يعالجونها ليقدموا لنا صورة وافية عن فلسفة نيتشه، وفي ما سيأتي سنقدم لكم مثلاً عن الكيفية التي يقض بها الكثير منهم أبصارهم عن تناقضات نيتشه تارة وعن الشواهد التي لا تخدم تقاريراتهم التأويلية. ففي مُقَابِلِ الشاهد أعلاه، ثمة عشرات الشواهد على الأقل يقول فيها نيتشه العكس تماماً و لن نذهب بعيداً بل سنستشهد بالكتاب نفسه الذي وردت فيه لفظة كفاح lutte 7 مرات أو ما ينتمي لجمالها الدلالي من قبيل مفردة صراع conflit و قتال combat و حرب guerre، أما مفردة كفاح فقد جاءت على سبيل المثال في أحد المواضع كما يلي : إن الذي له معرفة القدر الذي تحارب فيها فلسفتي كل مشاعر الانتقام والضعينة حتى في مذهب " حرية الاختيار " — ما كفاحي ضد المسيحية إلا مرحلة من مراحل المكافحة - سيكون من السهل عليه أن يفهم لمَ أَصْرُ على إيضاح موقفِي الشخصي واليقين العملي لغريزتي.

EH, Trad. d'Alexandre Vialatte, Pourquoi je suis si sage, § 6 : « ... pour qui sait avec quel sérieux ma philosophie fait la guerre à tous les sentiments de vengeance et de rancune jusque dans la doctrine du « libre arbitre » - ma lutte contre le christianisme n'en est qu'un épisode - il sera facile de comprendre pourquoi je tiens à mettre en lumière mon attitude personnelle et la sûreté pratique de mon instinct ».

يقول في موضع آخر مِنْ ذَاتِ الْمَصْنُفِ : " إِنَّ كِفَاحَ الْعُقُولِ سَيَسْتَوْعِبُ حِينَهَا فِكْرَةَ السِّيَاسَةِ بِشَكْلِ كَامِلٍ وَسَتُظْهِرُ كُلُّ تَوَلِيْفَاتِ الْاِقْتِدَارِ الْخَاصَةِ بِالْمَجْتَمَعِ الْقَدِيمِ الَّتِي بَنِيَتْ كُلُّهَا عَلَى الْكُذْبِ : سَتَكُونُ هُنَاكَ حُرُوبٌ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَشْهَدْهَا الْأَرْضُ بَتَاتًا مِنْ قَبْلِ. لَيْسَ إِلَّا اِنْطِلَاقًا مَنِي سَتَبْدَأُ السِّيَاسَةُ الْعَظْمَى عَلَى ظَهْرِ هَذَا الْكُوكَبِ ".

EH, Pourquoi je suis une fatalité, § 1 : « L'idée de politique sera alors complètement absorbée par la lutte des esprits et toutes les combinaisons de puissances de la vieille société sauteront en l'air bâties qu'elles sont toutes sur le mensonge : il y aura des guerres telles que la terre n'en aura encore jamais vu. Ce n'est qu'à partir de moi que la grande politique commence sur le globe ».

أما في إثبات الروح المحارب لدى نيتشه فلن نذكر المواضع 16 التي وردت فيها مفردة حرب بالمفرد، لكننا سنكتفي بهذه المواضع : جاء في إحداها : " الأمر بخلاف ذلك بالنسبة إلى الحرب. فأنا ذو مزاجٍ حربي. و الهجوم هو أحد غرائزي. أن تكون عدواً و القدرة على أن تكون كذلك يفترضُ ربما طبيعةً قويةً ... إِنَّ هَوَىَّ الْهَجُومِ جِزءٌ ضروري من القوة أيضاً بمقدار ما يكون ذوق الانتقام و الضعينة جزءاً من الضعف ".

EH, Pourquoi je suis si sage, § 7 : « Il en va autrement de la guerre. Je suis de tempérament guerrier. Attaquer est un de mes instincts. Etre ennemi, pouvoir être ennemi suppose peut-être une nature forte ... la passion de l'attaque fait aussi nécessairement partie de la force que le goût de la vengeance et de la rancune font partie de la faiblesse ».

يقول أيضاً في مصنفه نقبضُ المسيح معلناً حربه الضروس ضد الغريزة اللاهوتية : " ضد هذه الغريزة التبولوجية أعلن الحرب : لقد أَلْفَيْتُ آثارها في كل مكان !".

AC, § 9 : « C'est à cet instinct théologique que je fais la guerre : j'ai trouvé ses traces partout !

⁸³⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre II, § 72 : « "Utile", au sens de la biologie darwinienne, signifie : qui se montre avantageux dans la lutte contre autrui. pour la part, le sentiment du plus, la sensation de devenir plus fort, abstraction faire de la lutte, me paraît le progrès véritable; c'est de cette sensation qui peut naître la volonté de lutter ».

للمجال الدلالي للصراع ، إذ لا حدوث ولا حركة ولا صيرورة إلا وكان تمظهرًا وحصيلًا للكفاح في مجال قووي ما⁸³⁹ ، بل إنه من افتضاءات الحياة ولوازم الإنجازات العظيمة على الصعید الإنساني⁸⁴⁰ .

أضف إلى ذلك أن النمط العلائقي الذي يحكم تعددية القوى هو الكفاح⁸⁴¹ وإنما لا يدين الكفاح ولوازمه إلا الأخلاق النافية للأنموذج المنحط الذي يتخذ من وجوده ذريعة كي يخلق عالمًا آخر خاليًا منه ومُتعلقاته⁸⁴² . ولمزيد من الدقة حريًا بنا القول إن نيتشه يدين نوعًا من الكفاح الثانوي الذي لا يُعبر جوهريًا عن ماهية الحياة بقدر ما يفصح عن ضعف من يتوسلونه نعلًا ؛ وهو ما سماه بالكفاح من أجل مجرد البقاء ، وليس بدعًا ، في فلسفة ناهضة بالاعتدار ، أن تتجاري شذرات نيتشه إلى الإصرار على مُعجبة الكفاح والحرب والصراع بوصفها مقولات حيوية مطلوبة في ذاتها ولغيرها سواءً بسواء .

ولا يغيب عن تأويليتنا أنه إذا جاء مورد ما تحل فيه هذه المُعجبة تصرّحًا أو تلميحًا معني سلبًا ، فإن ذلك الورود اغتباري بلا مُماحكة ، إذ الحكم عليها عند نيتشه يحضر باغتيار نوعية الفاعل وطبيعة مقصده⁸⁴³ ، إذ ما يجذبه فيلسوفنا هو كفاح العبيد الماكين⁸⁴⁴ الذين يعتمدونه بغض الطرف عن نوعية

⁸³⁹VP, Trad. Henri Albert, § 280 : « Tout ce qui arrive, tout mouvement, tout devenir, considérés comme la fixation de degrés et de forces, -comme une lutte... ».

⁸⁴⁰Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes : Souffrance et compassion, p. 321 : « Déjà dans la naissance de la tragédie, il est apparu que l'affirmation la plus résolue de la vie exige la lutte. La lutte est indispensable aux grandes réalisations sur le plan humain. Nous avons montré l'étroite parenté entre Nietzsche et Héraclite. Polemos est le « père de toute choses ».

⁸⁴¹Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 47 : « ... la Volonté de puissance est la multiplicité des forces dont le mode relationnel est la lutte ».

⁸⁴²VP, Trad. Henri Albert, § 284 : « Le monde-vérité doit être le monde du bien -pourquoi ? L'apparence, le changement, la contradiction, la lutte, considérés comme des choses immorales : le désir d'un monde où tout cela n'existerait pas ».

⁸⁴³Ibid, § 339 : « Le " machiavélisme " de la puissance (machiavélisme inconscient). - La volonté de puissance apparaît : a) chez les opprimés, chez les esclaves de toute espèce, sous forme de désir de " liberté...b) chez une espèce plus forte qui commence à s'élever à la puissance; c'est alors la volonté de la supériorité; si celle-ci commence par être sans succès, elle se restreint d'abord à la volonté de " justice ", c'est-à-dire à l'égalité des droits pour tout le monde (lutte pour les droits...); c) chez les plus forts, les plus riches, les plus indépendants, les plus courageux, sous forme d'" amour de l'humanité ", du "peuple ", de l'évangile, de la vérité, de Dieu; sous forme de pitié, de sacrifice de soi, etc., -..." Liberté ", " justice " et " amour " !!! ». Voir Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, p. 231. Voir Angèle Kremer-Marietti, Thèmes et structures dans l'œuvre de Nietzsche, Lettres modernes, 1957, p. 151.

⁸⁴⁴Ibid, Disposition et ébauches du troisième livre de ce plan, 1, L'immoraliste«...C. Le machiavélisme des hommes bons : leur lutte pour la puissance, leurs moyens de séduction, leur ruse dans la soumission (par exemple à un prêtre, à un puissant) ».

ما يعنيه نيتشه هو اتخاذ الخيرين (الأنموذج العبد) سبيلًا ماكيفيلياً يبرر الوسائل ، مهما كانت دنية ، بغاية الظفر بالاعتدار والسيطرة ، بل خضوعهم الملوث بالمكر ما هو إلا وسيلة لتجسيد رغبتهم في الهيمنة .

الوسائل (أغني وسائل الكفاح والصراع والحرب)⁸⁴⁵ من أجل نفي الحياة من جهة⁸⁴⁶ وفي سبيل القضاء على أخلائها (الأقوياء) من أعظم الرجال⁸⁴⁷ والعابرة⁸⁴⁸ من جانب ثانٍ، ومن أجل إرساء قيم مُناوئة لطبائع الاثنين من قبيل قيم العدالة والمساواة من وجه ثالث⁸⁴⁹، بل إنهم يُفرغون طوقهم (يكافحون) في نفي الكفاح والقتال والمُحاربة مما يطبع الوجود الفعلي وكل ما قد ينتج من الحياة من ألم أو موت⁸⁵⁰ وتناقض وتغيّر ويحسبون هذا كله أمراً لا أخلاقياً⁸⁵¹. من الجلي أن الكفاح عند هذي الزمر الارتكاسية تعلّة وذريعة ضد الكفاح كخاصية أونطولوجية، ما يوقعها في مفارقة غريبة تضاف إلى مفارقات كثيرة استأثروا بالوقوع فيها، منها مفارقة التعلّل بالحياة ضد الحياة والتوسّل بالصراع ضد الصراع، ولا ريب أن يكون هذا الصنف العدمي من الكفاح كفاً ضد القيم والمثل النبيلة، فضلاً أنه ضد غرائز الأصحاء⁸⁵² وغرائز الحياة الأكثر أساسية⁸⁵³ وضد البشر الاستثنائيين والمتميّزين من كل

⁸⁴⁵VP, Trad. Henri Albert, § 119 : « ... peu importe que quelque chose soit vrai, pourvu que cela fasse de l'effet - : manque absolu de probité intellectuelle. Tous les moyens sont bons, le mensonge, la calomnie, la plus impertinente accommodation, quand il s'agit d'élever le degré de chaleur - jusqu'à ce que l'on ait la " foi " -... Tout cela, pour le dire encore une fois, ne peut être assez méprisé : nous nous épargnons la critique de la doctrine; il suffit de voir les moyens dont elle se sert pour savoir à quoi on a affaire ».

⁸⁴⁶Jacques Sojcher, La Question et le sens, esthétique de Nietzsche, Aubier Montaigne, 1972, p. 87. Voir Samuel Beugre, La conception du christianisme avec Nietzsche. Nietzsche est-il vraiment un athée ?, Edition Lulu.com, p. 192. « Ce procédé est l'apanage du faible qui ne peut vivre la vie qu'en luttant contre la vie ». Voir Paul Valadier, Nietzsche : l'athée de rigueur, Edition Desclée de Brouwer, 1975, p. 52 : « Assurément cet abîme que chacun est pour soi, pourrait ne pas susciter la peur chez un être capable de vouloir et... comme moyen vital de vivre en neutralisant la vie, ruse par laquelle le faible perdure dans la vie en luttant contre elle ».

⁸⁴⁷VP, Trad. Henri Albert, § 425 : « ... on acquiert la certitude que l'Eglise devra envoyer en enfer tous les grands hommes -, elle lutte contre toute " grandeur " de l'homme ».

⁸⁴⁸Ibid, § 12 : « Causes du nihilisme... La lutte contre le génie ("poésie populaire", etc.). La compassion pour les humbles et ceux qui souffrent, comme étalon pour l'élévation de l'âme ».

⁸⁴⁹Ibid, § 153 : « C'est un fait que les opprimés, les inférieurs, toute la grande masse des esclaves et des demi-esclaves veulent arriver à la puissance. Premier degré : ils se libèrent, - ils se dégagent, en imagination d'abord, ils se reconnaissent, les uns les autres, ils s'imposent. Deuxième degré : ils entrent en lutte, ils veulent être reconnus; droits égaux, " justice ". Troisième degré : ils exigent les privilèges (- ils entraînent les représentants de la puissance de leur côté). Quatrième degré : ils veulent le pouvoir à eux seuls, et ils l'ont... ».

⁸⁵⁰Ibid, § 141 : « Dieu a créé l'homme heureux, oisif, innocent et immortel : notre existence d'ici bas est une vie fausse, déchue, souillée de péchés, une expiation... La lutte, le travail, la souffrance, la mort sont considérés et appréciés comme des objections contre la vie, comme quelque chose d'anti-naturel, quelque chose qui ne doit pas durer... Toute l'existence véritable de lutte et de combat, pleine de lumières et de ténèbres, n'est qu'une existence mauvaise et fausse ».

⁸⁵¹Ibid, § 284 : « L'apparence, le changement, la contradiction, la lutte, considérés comme des choses immorales : le désir d'un monde où tout cela n'existerait pas ».

⁸⁵²Ibid, § 153 : « Dans le christianisme il y a trois éléments à distinguer : a) les opprimés de toutes espèces, b) les médiocres de toutes espèces, c) les mécontents et les malades de toutes espèces. Au moyen du premier élément, le christianisme lutte contre la noblesse politique et son idéal; au moyen du deuxième élément contre

طَائِفَةٍ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اِمْتَارُوا عَنِ الْأَغْيَارِ وَجَدَانًا وَجُسْمَانًا. تُمْلِي عَلَيْنَا الْقَرَأْنُ الشَّدْرِيَّةُ لِفِيلَسُوفِنَا أَنْ نُدْرِكَ الْمَنْزِلَةَ الرَفِيعَةَ الَّتِي حَظَّيْتُ بِهَا مَفَاهِيمُ الْكَفَاحِ وَالصِّرَاعِ وَالْحَرْبِ ، أَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الصَّعِيدِ الْأُونَطُولُوجِيِّ أَمْ الْقِيَمِيِّ ، وَبِخَاصَّةٍ فِي الشَّقِّ السِّلْبِيِّ مِنْ فِلَسْفَتِهِ (رَفْعُ الْحَوَائِلِ)⁸⁵⁴ ، ذَلِكَ أَنَّهَا وَسَائِلُ لَا انْفِكَالَ عَنْهَا لِلتَّخْلُصِ مِنَ الْمَقُولَاتِ الَّتِي تَجْعَلُ الضَّعْفَ مُمَكِّنًا⁸⁵⁵ .

لَا مَرِيَّةَ مِنْ أَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ التَّجَدُّدِ الدَائِمِ فِي الْعَالَمِ وَالتَّوْلِيدِ الْخَالِدِ لِلتَّكْوِينَاتِ فِي الْمَبَانِي وَالْمَعَانِي مَا دَامَتْ مَا يَهْبُ لِلْعَالَمِ دِينَامِيكِيَّتِهِ الْجَوْهَرِيَّةَ ، وَطَبْعًا لَا تَتَوَقَّفُ مُبَاشَرَةً قِيَمَةُ الْأَنْمُودَجِ النَّبِيلِ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْوُجُودِ ، لَكِنْ سَيْرُورَتُهُ التَّجَاوِزِيَّةُ وَصَيْرُورَتُهُ الْارْتِقَائِيَّةُ مِنْ جِهَةِ التَّحْسِينِ وَالتَّجْوِيدِ الْوُجُودِيِّ وَالْقِيَمِيِّ ، وَلَوْ عَلَى نَحْوٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ ، مَنُوطَةٌ بِهَا ، يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ نَيْتْشِه: "إِنَّ عِبَارَةَ "الْكَفَاحِ مِنْ

les exceptions et les privilégiés de toute espèce (soit au point de vue moral, soit au point de vue physique -); au moyen du troisième élément contre l'instinct naturel des êtres bien portants et heureux ».

⁸⁵³VP, Trad. Henri Albert, § 178 : « Que signifie de la part des valeurs morales cette volonté de puissance qui, en des évolutions prodigieuses, s'est déroulée jusqu'à présent sur la terre ?... Réponse : - trois puissances sont cachées derrière elle : 1) l'instinct du troupeau dirigé contre les forts et les indépendants; 2) l'instinct de celui qui souffre et du déshérité dirigé contre les heureux; 3) l'instinct du médiocre dirigé contre les exceptions. -... (car l'histoire de la lutte de la morale avec les instincts fondamentaux de la vie est elle même la plus grande immoralité qu'il y ait eu jusqu'à présent sur la terre...) ».

⁸⁵⁴EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi j'écris de si bons livres, L'origine de la tragédie, § 3 : « L'approbation de la mort et de l'anéantissement, fait décisif dans une philosophie dionysiaque, l'approbation de la contradiction et de la guerre, le devenir comportant aussi la négation de l'« être » lui-même, c'est là que je reconnais toujours les idées les plus parentes des miennes parmi tout ce qui s'est pensé jusqu'ici ».

"استحسان [إقرار] الموت والمحو [الانعدام] حقيقة حاسمة [عامل حاسم] في كل فلسفة ديونيزية ، استحسان التناقض والحرب والضرورة المشتملة أيضاً على نفي "الكيونة" عينها ، في هذه أتعرف دوماً على الأفكار القريبة من أفكار غاية القرب من بين كل ما تم التفكير فيه لحد الآن".

يقول أيضاً : "ستنبت الطريقة الأجل لإقرار الحياة والمأساة ، حينما يكون في مقدور البشرية أن تتذكر من غير أن يخالجه ألم الحروب الفضيعة ، لكنها ضرورية ، التي ولدتها في ماضيها".

EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi j'écris de si bons livres, L'origine de la tragédie, § 4 : « ... la plus belle façon d'approuver la vie, la tragédie, renaîtra quand l'humanité pourra se souvenir sans souffrance des guerres atroces mais nécessaires qu'elle aura mises dans son passé... ».

⁸⁵⁵AC, Trad. Henri Albert, § 2 : « Non le contentement, mais encore de la puissance, non la paix avant tout, mais la guerre; non la vertu, mais la valeur (vertu, dans le style de la Renaissance, virtù, vertu dépourvue de morale). Périssent les faibles et les ratés : premier principe de notre amour des hommes. Et qu'on les aide encore à disparaître ! Qu'est-ce qui est plus nuisible que n'importe quel vice ? — La pitié qu'éprouve l'action pour les déclassés et les faibles ».

"ليس القناعة بل المزيد من الاقتدار ، لا السلم قبل أي شيء بل الحرب ؛ لا الفضيلة بل القيمة (الفضيلة بأسلوب عصر النهضة ، القوة والقدرة ، بما هي فضيلة مجردة من الأخلاق الجارية [التقليدية]) [خالية من مخدّر الأخلاق السام] . هلاك الضعفاء والفاشلين هو ذا مبدؤنا الأول في حب البشر. و لنقدم لهم مرة أخرى يد المساعدة على الفناء ! ما الشيء المضر أكثر من أي شيء مشين [أكثر من أي رذيلة]؟ - الشفقة التي يختبرها الفعل تجاه الرتب الدنيا والضعفاء. [في ترجمة بلوندال : الشفقة الفعلية [قيد الإنجاز] حيال

كل الفاشلين و الضعفاء ". La pitié en acte pour tous les ratés et les faibles .

أَجَلَ الْوُجُودِ تُشِيرُ إِلَى حَالَةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ، بَيْنَهَا الْقَاعِدَةُ هِيَ بِالْأَحْرَى الْكِفَاحُ مِنْ أَجْلِ الْاِقْتِدَارِ، وَالطَّمُوحُ إِلَى امْتِلَاكِ "الْمَزِيدِ" وَ"الْأَفْضَلِ" عَلَى عُجَالَةٍ وَدَوَامٍ بِالْغَيْنِ"⁸⁵⁶.

وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالْكِفَاحُ مِنْ أَجْلِ الْاِقْتِدَارِ سَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ تَجَاوُزِ غُصُورِ الْاِنْحِطَاطِ الْمَنَاهُضَةِ لِلطَّبِيعَةِ وَمَنْفَذٌ إِلَى بَعْثِ الْإِنْسَانِ الْجُنْدِيِّ الْمُحَارِبِ⁸⁵⁷ الَّذِي مِنْ شَمَائِلِهِ حُبُّ الْكِفَاحِ مِنْ أَجْلِ الْكِفَاحِ كَمَا يُمْلِي نَامُوسُ الْعَالَمِ الْعُضْوِيِّ⁸⁵⁸ وَغَيْرِ الْعُضْوِيِّ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا أَنَّ الْحَيَاةَ فِي مَائِيَّتِهَا كِفَاحٌ وَصَيْرُورَةٌ وَغَايَةٌ وَتَنَاقُضٌ⁸⁵⁹.

وَفِي أَثْنِ هَذَا الْكِفَاحِ يُظْفَرُ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْاِقْتِدَارِ حِينَمَا يَحْصُلُ التَّغَلُّبُ عَلَى الْمُقَاوِمَاتِ وَحَالَهَا الْقُوَى الْمُتَصَارِعَةُ الْإِيجَابِيَّةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْبَحْثِ عَمَّا يُقَاوِمُهَا⁸⁶¹. وَمَا حَادَ جَانْ غِييُون Jean Gayon عَنْ شَوَاكِلِ السَّدَادِ فِي مَقَالَتِهِ "نَيْتْشِه: الثَّقَايَةُ وَالْاِثْتِقَاءُ"، حِينَمَا كَتَبَ: "لَا يَعْتَرِضُ نَيْتْشِه عَلَى أَنَّ الْكِفَاحَ (الْكِفَاحُ بِاطْلَاقٍ) مَظْهَرٌ مَاهُوِيٌّ لِلْحَيَاةِ... لَيْسَ الْكِفَاحُ الْحَقِيقِيُّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى نَيْتْشِه كِفَاحًا "مِنْ أَجْلِ الْوُجُودِ" (أَوْ أَيْضًا فِي الصِّيَاغَةِ النَيْتْشَوِيَّةِ الْجَدِيدَةِ: "الْكِفَاحُ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاةِ"، "الْكِفَاحُ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ")، بَلْ "كِفَاحًا مِنْ أَجْلِ الْاِقْتِدَارِ"⁸⁶².

لَقَدْ مَالَ دُولُورْ عَنِ الصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ مَفْهُومِي الْكِفَاحِ وَالسَّيْطَرَةِ؛ وَشَطْحَانُهُ التَّأْوِيلِيَّةُ لِشُدُورِ نَيْتْشِه أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِشَطْحَاتِ الْبَاطِنِيِّينَ فِي تَأْوِيلِهِمُ لِلنُّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ، لَقَدْ نَزَا إِلَى نَفْيِ الدَّورِ الْإِيجَابِيِّ لِلصِّرَاعِ وَالْحَرْبِ وَالْكِفَاحِ، عَلَى الرُّغْمِ مِمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةٍ لِمَا جَهَّرَتْ بِهِ نُصُوصُ نَيْتْشِه وَمَا شَقَّتْ عَنْهُ

⁸⁵⁶VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, livre II, § 40 : « La lutte pour l'existence »- cette la formule désigne un état d'exception. La règle est bien plutôt la lutte pour la puissance, l'ambition d'avoir "plus" et "mieux" et "plus vite" et "plus souvent" ».

⁸⁵⁷VP, Trad. Henri Albert, § 36 : « Progrès du XIXe siècle sur le XVIIIe - Au fond, nous autres bons Européens, nous sommes en guerre contre le XVIIIe siècle -), Voir VP, Trad. Henri Albert, § 37 : « Les deux grandes tentatives qui ont été faites pour surmonter le XVIIIe siècle : Napoléon, en réveillant de nouveau l'homme, le soldat et la grande lutte pour la puissance - concevant l'Europe en tant qu'unité politique... ».

⁸⁵⁸FP, X, 26, [276] : « Quand deux êtres organiques se heurtent, s'il ne s'agit que d'une lutte pour la vie ou la nutrition : comment? Il faut qu'il y ait la lutte pour l'amour de la lutte ». Voir Wolfgang Müller-Lauter, Nietzsche. Physiologie de la volonté de puissance, p. 142.

⁸⁵⁹ نَيْتْشِه لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ إِسْرَالِ الْكَلَامِ عَلَى رِسَالَتِهِ مَا يَوْقَعُهُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّنَاقُضِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَحْكُمُ عَلَى الْقُوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةِ بِالتَّنَاقُضِ لِأَنَّهَا تَسْتَخْدِمُ الْحَيَاةَ ضِدَّ الْحَيَاةِ وَتَتَوَسَّلُ الْقُوَّةَ لِلْإِجْهَازِ عَلَى الْقُوَّةِ؛ لَكِنَّهُ هُنَا يَجْعَلُ التَّنَاقُضَ مِنْ مَاهِيَةِ الْحَيَاةِ!، مَا يَعْنِي أَنَّ الْقُوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةَ مَنْسَجِمَةٌ مَعَ الْحَيَاةِ وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يُلْزَمُ وَجُوبَ مَدْحِهَا، وَوُجُوبَ ذِمِّ الْقُوَى الْفَاعِلَةِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُتَنَاقِضَةٍ وَمِنْ ثَمَّ مُتَنَافِرَةٌ مَعَ مَاهِيَةِ الْحَيَاةِ.

⁸⁶⁰APZ, « De la victoire sur soi », II, « Pourquoi faut-il que je sois lutte, et devenir, et finalité, et contradiction? ».

⁸⁶¹FP, XIV, L, 4 [174] : « Ce que l'homme veut, ce que veut la plus infime parcelle d'un organisme vivant, c'est un surcroît de Puissance... à partir de cette volonté qu'il recherche la résistance, qu'il a besoin de quelque chose qui fasse obstacle ».

⁸⁶²Jean Gayon, Nietzsche, le déchet et la sélection, sous la direction de Jean-Claude Beaune, Le déchet, le rebut, le rien, Editions Champ. Vallon, 1999, p. 77.

مَقَاصِدُهُ ، فَقَدْ تَجَارَتْ شُدُورُهُ إِلَى بَيَانِ أَنَّ الْكُلَّ مَحْكُومٌ بِالْكَفَاحِ/الصِّرَاحِ ، وَلَيْسَ الْجِهَازُ الْعُضْوِيُّ نَفْسُهُ بِصِفَتِهِ أَحَدَ الْمَرْكَبَاتِ النِّظَامِيَّةِ بِمُتَخَلِّفٍ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ، فَهُوَ عَلَى غِرَارِ الْكُلِّ يُكَافِحُ مِنْ أَجْلِ إِنْمَاءِ أَحَاسِيْسِ الْاِقْتِدَارِ⁸⁶³ . وَفَوْقَ ذَلِكَ زَعَمَ فِيلْسُوفُ الْفَرْقِ وَالتَّكَرَّارِ فِي تَأْوِيلِيَّتِهِ لِنَيْتْشَةَ أَنَّ الْإِرَادَةَ رَاغِبَةٌ عَنِ السَّعْيِ وَالبَحْثِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْاِقْتِدَارِ⁸⁶⁴ وَلَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا وَحْدَهُ وَإِنَّمَا ادَّعَى أَنَّ الْإِرَادَةَ ، عِنْدَ نَيْتْشَةَ ، لَا تُحَرِّكُهَا الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ ، كَمَا حَسِبَ الْفَلَاسِفَةُ⁸⁶⁵ ، وَالْأَعْرَبُ أَنَّهُ يَسْتَشْهَدُ بِشِدْرَةِ تَنْقُضٍ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ تُعْلِي مِنْ شَأْنِ الشَّهْوَةِ وَالْأَنَانِيَّةِ ، وَنَحْنُ نَنْقُلُ مِنَ الشَّدْرَةِ الطَّوِيلَةِ مَا يَكْفِي لِلْإِفْصَاحِ عَنْ وَجْهِ الدَّلِيلِ ، يَقُولُ نَيْتْشَةَ : " الشَّهْوَةُ ، الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ وَالْأَنَانِيَّةُ : هِيَ ذِي الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي نَالَتْ أَكْبَرَ قَدَرٍ مِنَ اللَّعْنِ وَالْفِرْيَةِ حَتَّى الْآنَ - هَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي أودُ أَنْ أَرِنَ قِيَمَتَهَا [أَتَأَمَّلَهَا] إِنْسَانِيًا بِشَكْلِ حَسَنِ... الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ : إِنَّهَا السُّوْطُ الْمُخْرِقَةُ لِلنَّاسِ الْأَشَدِّ جَلْدًا مِنْ بَيْنِ أَقْلُوبِ الْقَاسِيَةِ ، إِنَّهَا الْاِسْتِشْهَادُ الْمُرْعَبُ [أَوْ إِنَّهَا الْأَلَمُ الشَّدِيدُ الْبَاعْثُ عَلَى الرُّغْبِ] الْمُعْدُّ خَصِيصًا لِلْأَشَدِّ قَسَاوَةً ، إِنَّهَا مَارِجُ النَّارِ⁸⁶⁶ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّاسِ الْمَكْدِينِ الْأَحْيَاءِ . الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ _ إِنَّهَا الْوَارِغُ [الرَادِعُ] الشَّرِيرُ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَى أَكْثَرِ الشُّعُوبِ الَّتِي لَا تَنْطَوِي عَلَى طَائِلٍ ، فَهِيَ الَّتِي تَسْحَرُ مِنْ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الْمُشْتَبِهَةِ [الْمُتَغَيِّرَةِ] ، وَالَّتِي تَمْتَطِي كُلَّ الْعَطْرَسَاتِ . الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ _ إِنَّهَا زَلْزَالُ الْأَرْضِ الَّذِي يَهْشِمُ وَيَفُكُّ كُلَّ مُتَرَدِّمٍ وَمُقَعَّرٍ ، إِنَّهَا الْمُحَطِّمُ الْغَاضِبُ لِكُلِّ الْأَضْرَحَةِ الْبَيْنَضَاءِ ، وَالَّذِي يُوَبِّخُ وَيُعَاقِبُ ، إِنَّهَا عَلَامَةُ الْاِسْتِغْهَامِ الْمُتَدَفِّقَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأُجُوبَةِ الْمُبْتَسِرَةِ . الرَّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ : إِنَّهَا الَّتِي تَرْتَقِي

⁸⁶³VP, Trad. Henri Albert, § 302 : « Toutes les fonctions saines de l'organisme ont ce besoin, - et l'organisme tout entier est une de ces complexités de systèmes qui lutte pour la croissance des sentiments de puissance. Voir Dominique Bourdin, L'œuvre de Nietzsche : paradoxes de l'esprit libre : parcours et anthologie, Editions Bréal, 200, p. 102.

⁸⁶⁴Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, pp. 96-97 : « Volonté de puissance ne veut pas dire que la volonté veuille la puissance... Volonté de puissance doit s'interpréter tout autrement : la puissance est ce qui veut dans la volonté. La puissance est dans la volonté l'élément génétique et différentiel... elle est « ce qui » interprète, « ce qui » évalue, « ce qui » veut. Mais qu'est-ce qu'elle veut ? Elle veut précisément ce qui dérive de l'élément génétique. L'élément génétique (puissance) détermine le rapport de la force avec la force et qualifie les forces en rapport. Élément plastique, il se détermine en même temps qu'il détermine et se qualifie en même temps qu'il qualifie... tout phénomène renvoie à un type qui constitue son sens et sa valeur, mais aussi à la volonté de puissance comme à l'élément dont dérivent la signification de son sens et la valeur de sa valeur. Elle [la volonté de puissance] n'aspire pas, elle ne recherche pas, elle ne désire pas, surtout elle ne désire pas la puissance. Tout phénomène exprime des rapports de forces, des qualités de forces et de puissance, des nuances de ces qualités, bref un type de forces et de vouloir. Tout phénomène renvoie à un type qui constitue son sens et sa valeur, mais aussi à la volonté de puissance comme à l'élément dont dérivent la signification de son sens et la valeur de sa valeur ». تغلبت الجملة موضع الاستشهاد من عندنا .

⁸⁶⁵Ibid, p. 94. ليست الإرادة النيتشوية حسب تأويلية دولوز رغبة في السيطرة

⁸⁶⁶*أدبنا الكلمة بالمارج لأنها تؤدي جميع معاني اللفظة الفرنسية التي تفيد النار و الشعلة و البريق و الالتها ب علاوة أنها تفيد معنى الكلمة الفرنسية sombre التي قبلها و التي تحمل عليها ، فالمارج : الخلط . والمارج : الشغلة الساطعة ذات اللهب الشديد . وقوله تعالى : { وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ } (الرحمن : 15) : مجاز . قيل : معناه الخلط . وقيل : معناه الشغلة . كل ذلك من باب الكاهل والغارب . وقيل : المارج : اللهب المختلط بسواد النار . وقال الفراء : المارج هنا : نار دون الجباب ، منها هذه الصواعق ، ينظر تاجر العروس من جواهر القاموس : ج 6 ، ص 209 .

أَيْضًا نَحْوُ* الْأَمَاكِنِ* الْخَوَالِصِ وَالْمُنْعَزَلَةِ كَيْ تَجْذِبَهَا، إِنَّمَا الَّتِي تَرْتَفِعُ صَوْبَ أَعَالِي الرِّضَا عَنِ الذَّاتِ مُلْتَمِهَةً كَحُبِّ يَخْطُ عَلَى السَّمَاءِ الْإِنْتِهَاجَ الْجَذَابِ الْأَرْجَوَانِيِّ. الرُّغْبَةُ فِي السَّيْطَرَةِ: لَكِنْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُسَمِّيَ هَذِهِ رُغْبَةً حِينَئِذَا بَاتَّجَاهَ التَّحْتِ يَتَطَلَّعُ الْغُلُوَّ إِلَى الْقُوَّةِ! فِي الْحَقِيقَةِ، لَيْسَ ثَمَّةَ مَا هُوَ مَحْمُومٌ وَمُسْنَقَامٌ فِي مِثْلِ هَاتِهِ الرَّعَبَاتِ وَفِي مِثْلِ هَاتِهِ الْمُتَحَدَّرَاتِ*⁸⁶⁷! " ⁸⁶⁸.

وَأَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهْوَةِ، فَبِمَا يَرْتَفِعُ فِي مِرْقَاةِ الْكَيْنُونَةِ الْوُجُودُ الْفِرْدَانِيَّ إِلَى سِلْسِلَةِ الْأَحْقَابِ اللَّامُتَنَاهِيَةِ، بِمَا هِيَ كُلِّيَّةُ الزَّمَانِ الْجَامِعَةِ، إِضَافَةً إِلَى تَلَاشِيهِ مِنْ زَاوِيَةٍ ظَاهِرِيَّةٍ فَقَطْ فِي نَشْوََةِ "الآن" وَالَّتِي تُوشِكُ أَنْ تُعَدَّ حَسَبَ أَوْجِينَ فِينِكَ الْكَيْنُونَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي جَامِعَةِ الزَّمَانِ وَالْعِرْفَانِ الدَّفَاقِ بِجَمِيلِ الْمُسْتَقْبَلِ بِاعْتِبَارِهِ كُلِّيَّةُ الزَّمَانِ الَّتِي لَا يَنْتَصِبُ جَوْهَرُهَا فِي سِوَى جَوْهَرِ "الآن" الْخَافِيَةِ⁸⁶⁹، يَقُولُ نِيْتَشَةُ فِيهَا: "... الشَّهْوَةُ: مِنْخَسٌ*⁸⁷⁰، وَشَظِيَّةٌ تَخْتَرِقُ مِنْ تَحْتِ الْوُشَاحِ جَسَدَ كُلِّ أُولَئِكَ الْوُشَاةِ الْمَنَاخِيسِ [الْأَفَاكِين] بِالْجَسَدِ؛ ذُبُولٌ هُوَ عَالَمٌ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِالعَالَمِ الْآخَرِ، مَا دَامَتِ الشَّهْوَةُ تَسْخَرُ وَتُخَاتِلُ كُلَّ مُعَلِّمِ الْبَلْبَلَةِ وَالضَّلَالِ. الشَّهْوَةُ: بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّافِلِينَ هِيَ النَّارُ الْبَطِيطَةُ حَيْثُ يَهْلِكُونَ، وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَشَبِ الْمَنْخُورِ وَالْأَسْمَالِ التَّيْنَةِ تَتَوَرَّ وَأَتُونُ حَامِيَةً مُجَهَّزَةً تَمَامًا. الشَّهْوَةُ: بَرَاءَةٌ وَحَرَّةٌ هِيَ، فِرْدَوْسٌ أَرْضِيٌّ، فَيُضْ مُتَدَقِّقٌ مُمْتَنٌّ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ إِزَاءَ الْحَاضِرِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُلُوبِ الْخُرَّةِ. الشَّهْوَةُ: سَمٌّ حُلُوٌّ قَلِيلًا لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ الذَّابِلِ فَقَطْ؛ أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِرَادَاتِ الْأَسَدِيَّةِ فَهِيَ الْمَشْرُوبُ الْمُنْعِشُ الْأَسْمَى وَالرَّاحُ الْمُهَيَّأَةُ بَيْنَ الْخُمُورِ بِاحْتِرَامٍ وَوَقَارٍ*⁸⁷¹. الشَّهْوَةُ: هِيَ السَّعَادَةُ

⁸⁶⁷أُنْحَدَرَ: (اِنْهَبَطَ) وَهُوَ مُطَاوَعٌ حَذَرَهُ يَحْزُهُ حَذْرًا، (وَالْمَوْضِعُ مُنْحَدَرٌ) . بَضَمٌ فَسْكَوْنٌ فَفَتْحَاتٌ، (وَمُنْحَدَرٌ)، أَتْبَعُوا الضَّمَّةَ الضَّمَّةَ، حَذَرَ الدَّمْعُ يَحْذَرُهُ حَذْرًا وَحَذُورًا، وَحَذَرَهُ فَأُنْحَدَرَ، وَ (تَحَدَّرَ)؛ أَيْ (تَنَزَّلَ)، وَ مِمَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ: (رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَدَّرُ عَلَى لِحْيَتِهِ)؛ أَيْ يَنْزِلُ وَيَقْطُرُ، يَنْظُرُ تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ: ج 10 ص 560-561.

⁸⁶⁸APZ, Trad. Henri Albert, Des trois maux: «La volupté, le désir de domination, l'égoïsme: ces trois choses ont été les plus maudites et les plus calomniées jusqu'à présent, — ce sont ces trois choses que je veux peser humainement bien... Désir de dominer _'est le fouet cuisant pour les plus durs de tous les cœurs endurcis, l'épouvantable martyr qui réserve même au plus cruel, la sombre flamme des bûchers vivants. Désir de dominer _c'est le frein méchant mis aux peuples les plus vains, c'est lui qui raille toutes les vertus incertaines, à cheval sur toutes les fiertés. Désir de dominer _c'est le tremblement de terre qui rompt et disjoint tout ce qui est caduc et creux, c'est le briseur irrité de tous les sépulcres blanchis qui gronde et punit, le point d'interrogation jaillissant à côté de réponses prématurées.. Désir de dominer _qui monte aussi vers les purs et les solitaires pour les attirer, qui monte vers les hauteurs de la satisfaction de soi, ardent comme un amour qui trace sur le ciel d'attraites joies empourprées. Désir de dominer _mais qui voudrais appeler cela un désir, quand c'est vers en bas que la hauteur aspire à la puissance! En vérité, il n'y a rien de fiévreux et de maladif dans de pareils désirs, dans de pareilles descentes! ».

⁸⁶⁹Eugen Fink, La philosophie de Nietzsche, Trad. Hans Hildenbrand, Alex Lindenberg, Éditions de Minuit 1965, p. 119.

⁸⁷⁰* استخدمنا فعل النخس لأنه يحافظ في الوقت نفسه بين دلالة الطعن و دلالة الطرد و دلالة التضييق و الإزعاج. نخس الدابة نخسا طعن مؤخرها أو جنبها بالمنخاس لتنشط ويقال نخس الرجل وبه هيجه وأزعجه أو طرده والبكرة ضيق خرقها بنخاس بعدما اتسع: الكتاب: المعجم الوسيط. موافق للمطبوع المؤلف: إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار دار النشر: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية عدد الأجزاء: 2، ج 2 ص 999.

⁸⁷¹** في ترجمة هنري ألبير يؤدي الترجمة بدل احترام و وقار بقداسة أو بصدي و تقان religieusement.

العظيمة التي تستخدم رمزاً لكل سعادة سامية وكل أمل سام. بالنسبة إلى أشياء كثيرة، فالزواج^{872***}، حقاً، وعدٌ يُوعدون به بل بأفضل منه يُوعدون⁸⁷³.

تمتاز الجينيالوجيا عن غيرها من المناهج بالإمعان في تشخيص المجرّدات والمحسوسات تبعاً للفاعل (الحامل)، ويتأتى لها ذلك من طريق ثلاث مناوئل كبرى؛ المناول الأول هو منوال سيميائي يُنظر فيه للظواهر القيمة كأعراض وعلامات يتوقف فهمها على الكشف عن القوى التي تصطنعها؛ المناول الثاني هو منوال تيبولوجي يمكن من تفسير هذه القوى نفسها من حيثية نوعيتها الفاعلة أو الارتكاسية؛ المناول الثالث هو منوال جينيالوجي يضطلع بمهمة تقويم القوى من حيث نالتها أو وضاعتها⁸⁷⁴.

ليس بدعاً بعد ذلك أن يغدو السؤال عن ماهية الأشياء سخفاً، وإلى المعنى مُفتقراً، ما دام ذلك يفترض وجود ماهيات قائمة بذاتها ووقائع مستقلة، بينما إنتاج معنى الأشياء عند نيتشه ينبغي أن يكون سابقاً على الأشياء ذاتها ما دام خلع المعاني خصلة بشرية، في حين أن العالم نفسه مجرد من كل المقولات الماهوية التي تضافى عليه⁸⁷⁵، وتبعاً لذلك فالماهيات والوقائع منظور لناظر ومن ثم فالناظر باعتباره فاعلاً هو مرتبط الفرس لدى نيتشه ويجب إبداء قيمة الأشياء ومعناها إذن بتوسل السؤال من؟ لا السؤال ما؟ وما ذلك إلا من كون نشأة الأشياء صنع الذي يتمثل ويفكر ويريد⁸⁷⁶ ما دعا نيتشه إلى التنقيب عما تريده الإرادات من وراء المقولات النظرية نحو: المعرفة والحقيقة⁸⁷⁷ والعلية⁸⁷⁸ والجوهر⁸⁷⁹، التي لا تنجم من رغبة في المعرفة بل من إرادة تبسيط وتنظيم تفرضها على قوضى العالم ابتغاء إرضاء

^{872**} فضلنا كلمة زواج لأنها المفردة الجامعة من حيث الدلالات الحافة لمعاني: العرس، الاتحاد. أدى هنري ألبر المبردة ب: اتحاد أو وحدة union.

⁸⁷³ APZ, Trad. Geneviève Bianquis, Des trois maux.

⁸⁷⁴ Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 85.

⁸⁷⁵ VP, Trad. Henri Albert, § 5: « Critique du nihilisme » En un mot, les catégories: " cause finale ", " unité ", " être ", par quoi nous avons prêté une valeur au monde, sont retirées par nous - et dès lors le monde a l'air d'être sans valeur... ».

⁸⁷⁶ VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre I, § 204.

⁸⁷⁷ GM, Trad. Henri Albert, III, § 27. Voir aussi VP, Trad. Henri Albert, § 280: « La volonté du vrai est une stabilisation, une action de rendre vrai et durable, une suppression de ce caractère faux, une transposition de celui-ci dans l'être ».

⁸⁷⁸ Monia Sanekli, L'inconscient politique chez Friedrich Nietzsche, Editions Publibook, 2016, p. 148: « La causalité est non seulement illusoire mais une erreur décadente ».

⁸⁷⁹ VP, Trad. Henri Albert, § 273: « Le monde imaginaire du sujet, de la substance, de la " raison ", etc., est nécessaire- il y a en nous une puissance ordonnatrice, simplificatrice qui falsifie et sépare artificiellement. " Vérité " c'est la volonté de se rendre maître de la multiplicité des sensations - sérier les phénomènes sur des catégories déterminées. En cela, nous partons de la croyance à ce que les choses ont d'"en soi" (nous tenons les phénomènes pour réels) ».

الْمَارِبِ الْعَمَلِيَّةِ لِلْبَشَرِ مِنْ وَجْهِ⁸⁸⁰ وَالْهَرُوبِ مِنَ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ الَّذِي يَنْطَبِعُ بِالْخِدَاعِ وَالتَّغْيِيرِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، مَا يُعَيِّرُ عَنْ إِرَادَةٍ نَافِيَةٍ مِنْ بَغْضَائِهَا لِكُلِّ مَا يَحْرِي وَيَسْتَحِيلُ تَحُلُّ مَحَلِّ عَالَمِنَا الْمُؤَلِمِ عَالَمًا مَاهَوِيًّا مُطَابِقًا لِذَاتِهِ وَطَبْعًا لَا يَتَخَفَى وَرَاءَ هَذِهِ الْإِرَادَةِ إِلَّا مُرِيدٌ مُنْهَكٌ وَعَقِيمٌ تَعَجَزَ إِرَادَتُهُ عَنْ خَلْقِ الْعَالَمِ⁸⁸¹.

كَذَلِكَ سَبَرَ نَيْتَشَهُ، بِالنَّظَرِ إِلَى نَوْعِيَّةِ الْإِرَادَةِ وَمَقَاصِدِهَا أَوْ بِاعْتِبَارِ أُنْمُودِجِ الْمُرِيدِ، الْمَقُولَاتِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ الْحُرِّيَّةِ⁸⁸² وَالْمَسْؤُولِيَّةِ⁸⁸³ وَالذَّنْبِ⁸⁸⁴ وَالْإِدَانَةِ⁸⁸⁵ وَالشَّقَقَةِ⁸⁸⁶ وَالزُّهْدِ وَالْإِيثَارِ وَالْعَدَالَةِ الَّتِي يَدْعُو

⁸⁸⁰VP, Trad. Henri Albert, § 272 : « Non point " connaître ", mais schématiser, - imposer au chaos assez de régularité et de formes pour satisfaire notre besoin pratique... Les catégories ne sont des " vérités " qu'en ce sens qu'elles sont pour nous des conditions d'existence ».

⁸⁸¹Ibid, § 285 : ... « a) L'homme cherche " la vérité " : un monde qui ne se contredirait pas, qui ne trompe ni ne change, un monde-vérité - un monde où l'on ne souffre pas ... Le mépris, la haine de tout ce qui passe, change et se transforme : - d'où vient cette évolution de ce qui demeure ? Visiblement la volonté du vrai n'est ici que le désir d'un monde où tout serait durable... Quelle espèce d'hommes raisonne ainsi ? Une espèce improductive et souffrante, une espèce fatiguée de la vie. Si nous nous imaginions l'espèce d'hommes contraire, elle n'aurait pas besoin de la croyance en l'être : mieux encore, elle mépriserait l'être comme quelque chose de mort, d'ennuyeux, d'indifférent... " Volonté du vrai ", - c'est l'impuissance dans la volonté de créer ».

⁸⁸²CI, Trad. Henri Albert, Les quatre grandes erreurs, § 7 : « Erreur du libre arbitre. — Il ne nous reste aujourd'hui plus aucune espèce de compassion avec l'idée du « libre arbitre » : nous savons trop bien ce que c'est — le tour de force théologique le plus mal famé qu'il y ait, pour rendre l'humanité « responsable »... — partout où l'on cherche des responsabilités, c'est généralement l'instinct de punir et de juger qui est à l'œuvre ».

⁸⁸³Monia Sanekli, L'inconscient politique chez Friedrich Nietzsche, p. 108 : « De ce fait, toute théorie de liberté, de causalité, de responsabilité, de faute, et de châtement n'est que métaphysique de bourreau et morale de domination ».

⁸⁸⁴VP, Trad. Henri Albert, § 227 : « L'interprétation par laquelle le pécheur chrétien croit se comprendre lui-même est une tentative pour trouver justifié le manque de puissance et de confiance en soi : il aime mieux se sentir coupable que de se trouver vainement mauvais. C'est déjà un symptôme de décomposition que d'avoir besoin d'interprétation de ce genre ».

⁸⁸⁵CI, Trad. Henri Albert, Les quatre grandes erreurs, § 7 : « Aujourd'hui que nous sommes entrés dans le courant contraire, alors que nous autres immoralistes cherchons, de toutes nos forces, à faire disparaître de nouveau du monde l'idée de culpabilité et de punition, ainsi qu'à en nettoyer la psychologie, l'histoire, la nature, les institutions et les sanctions sociales, il n'y a plus à nos yeux d'opposition plus radicale que celle des théologiens qui continuent, par l'idée du « monde moral », à infester l'innocence du devenir, avec le « péché » et la « peine ».

⁸⁸⁶VP, Trad. Henri Albert, § 86 : « J'enseigne de dire non en face de tout ce qui rend faible - de tout ce qui épuise. J'enseigne de dire oui en face de tout ce qui fortifie, de ce qui accumule les forces, de ce qui justifie le sentiment de la vigueur. Jusqu'à présent on n'a enseigné ni l'un ni l'autre : on a enseigné la vertu, le désintéressement, la pitié, ou même la négation de la vie. Tout cela sont les valeurs des épuisés... Cette vertu, dont Schopenhauer enseignait encore qu'elle est la vertu supérieure et unique, le fondement de toutes les vertus : cette pitié, j'ai reconnu qu'elle était plus dangereuse que n'importe quel vice. Entraver par principe le choix dans l'espèce, la purification de celle-ci de tous les déchets - c'est ce qui fut appelé jusqu'à présent vertu par excellence... Il faut garder en honneur la fatalité : la fatalité qui dit aux faibles " disparais ! "... La race est corrompue — non point par ses vices, mais par son ignorance : elle est corrompue parce qu'elle n'a pas

إِلَيْهَا ضَرْبٌ عَاجِزٌ وَنَافٍ مِنَ الْبَشَرِ⁸⁸⁷ لَا يَنْكُلُ عَنْ تَجْرِيمِ الْوُجُودِ وَالْحَطِّ مِنْ قَدْرِ الْإِنْسَانِ الْمُقْتَدِرِ اللَّذِينَ يَجْرِيَانِ فِي فَلَكٍ حَيَوِيٍّ لَا عَلاَقَةَ لَهُ بِالْأَخْلَاقِ ، لِذَلِكَ اسْتَبَانَ وَجُوبَ تَنْقِيَّتِهِمَا مِنْ هَذِي الْمَقُولَاتِ الَّتِي تَلَوْتُ بَرَاءَتَهُمَا⁸⁸⁸ .

نَذْكِرُ لَا تَفْصِيلًا ، فَالْأَخْلَاقُ لَمْ تُوحَ بِهَا السَّمَاءُ وَلَا تَنْزُو إِلَى غَرْضٍ وَاحِدٍ وَلَا هِيَ مُتَصِلَةُ السِّلَكِ وَلَا مُطْرِدَةُ النِّظَامِ ، مَا يَجْعَلُهَا مُفْتَقِرَةً إِلَى وَحْدَةٍ مُحَدَّدَةٍ تَعْلُو عَلَى التَّارِيخِ ، وَهَكَذَا أَنْبَأَتِ الْجِينِيَالُوجِيَا نِيَتَشَهُ أَنَّهَا فَرَقَتْ وَتَمَازُجَتْ وَتَفَاضَلَتْ فِي الْقِيَمَةِ وَالْفِعْلِ وَالْأَنْمُودَجِ الْخُلُقِيِّينَ ، مَا يَعْنِي أَنَّ الْأَخْلَاقَ اخْتِلَافٌ فِي الْأَصْلِ وَتَفَاوُتٌ فِي الْبَدْءِ⁸⁸⁹ تَبَعًا لِتَمَطِّي الْإِرَادَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْاِقْتِدَارِ الَّتِي يُنَاطُ بِهَا اصْطِنَاعُ التَّأْوِيلَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ .

افْتَرَّ الْعُنْصُرُ التَّفَاضُلِيُّ السَّابِيُّ عَنْ مَنْظُومَتَيْنِ مِنَ الْأَخْلَاقِ مُتضَارِبَتَيْنِ وَمُتضَارِعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا تَعَبَّرُ عَنْ غَرَائِزٍ صَحِيَّةٍ تَتَّخِذُ مِنْ نَفْسِهَا وَالْحَيَاةِ مَوْضُوعًا لِلْإِثْبَاتِ بَيْنَمَا الثَّانِيَةُ تُقْصِحُ عَنْ غَرَائِزٍ سَقِيمَةٍ نَجْعَلُ مِنْ ذَاتِهَا وَالْحَيَاةِ مَوْضُوعًا لِلنَّفْيِ ، هَكَذَا تَتَوَزَّعُ الشَّمَالُ الْأَخْلَاقِيَّةُ عَلَى صِنْفَيْنِ: صِنْفٍ يَتَنَاضَعُ مَعَ طَبَائِعِ الْحَيَاةِ وَصِنْفٍ آخَرَ يَتَنَافَرُ مَعَهَا ، يُعْرَبُ نِيَتَشَهُ عَنِ الْاِخْتِلَافِ الْأَسَاسِيِّ فِي نَشْأَةِ الْأَخْلَاقِ قَائِلًا: " تَوْلَدَتْ

considéré l'épuisement comme de l'épuisement : les confusions physiologiques sont les causes de tout le mal problème : comment les épuisés sont-ils arrivés à faire les lois des valeurs ? Autrement dit : comment ceux qui sont les derniers sont-ils arrivés à la puissance ?... Comment l'instinct de l'animal homme a-t-il été placé la tête en bas ? ».

⁸⁸⁷VP, Trad. Henri Albert, § 227 : « La prépondérance des évaluations altruistes est la conséquence d'un instinct en faveur de ce qui est mal venu. L'évaluation la plus profonde juge ici : " je ne vaud pas grand-chose " ; - c'est là un jugement purement physiologique, c'est, plus exactement, le sentiment d'impuissance, le défaut d'un grand sentiment affirmatif de puissance... L'évaluation se Traduit, selon la culture spécifique de ces couches, en jugement moral ou religieux (la prépondérance des jugements religieux ou moraux est toujours un signe de culture inférieure)... En fin de compte, comme je l'ai déjà indiqué, cette décharge du ressentiment qui consiste à juger, à rejeter et à punir l'égoïsme (celui qui vous est propre ou l'étranger) est encore l'instinct de conservation chez les déshérités. En somme, le culte de l'altruisme est une forme spécifique de l'égoïsme qui se présente régulièrement dans des conditions physiologiques particulières ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 325 : « L' " altruisme " tout entier est un résultat de l'intelligence de l'homme privé ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 341 : « L'instinct parle son véritable langage; lorsque cet instinct se relâche, - lorsque l'individu ne se cherche une valeur qu'au service des autres, on peut conclure, avec certitude, à de la fatigue et de la dégénérescence ».

⁸⁸⁸Ibid, § 36 : « Il faut Supprimer de l'existence toute espèce d'idiosyncrasie sociale (la faute, la punition, la justice, l'honnêteté, la liberté, l'amour, etc.) ».

⁸⁸⁹PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 260 : « Dans le survol des nombreuses morales des plus délicates et des plus grossières qui aient jusqu'ici régné sur terre ou qui y règnent encore, j'ai découvert certains traits répétés régulièrement et simultanément, et liés les uns aux autres : à tel point qu'enfin deux types fondamentaux se sont révélés à moi et qu'une différence fondamentale s'est dégagée. Il y a une morale de maîtres et une morale d'esclaves... ».

الْتِمَايُزَاتُ [التفاضلات، الفوارق] بَيْنَ الْقِيَمِ تَحْتَ تَأْثِيرِ [نتيجة ل⁸⁹⁰] الطَّبَقَةِ الْمُسَيِّطَرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى وَغْيِ بِنَفْسِهَا، وَبِكُلِّ سُرُورٍ كَانَتْ مُشَدَّدَةً عَلَى اخْتِلَافِهَا عَنِ الطَّبَقَةِ الْمُسَيِّطَرِ عَلَيْهَا- أَوْ تَحْتَ تَأْثِيرِ الطَّبَقَةِ الْمُسَيِّطَرِ عَلَيْهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْخَاضِعِينَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ. فِي الْحَالَةِ الْأُولَى الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْمُسَيِّطَرُونَ هُمُ الَّذِينَ يُحَدِّدُونَ مَفْهُومَ "الْحَسَنِ"، فَإِنَّ أَحْوَالَ النَّفْسِ [الأمزجة] الرَّاقِيَةِ وَالْفُخُورَةِ الَّتِي يَشْعُرُونَ بِهَا هِيَ مَا يَصْنَعُ التَّمَيُّزَ وَيُحَدِّدُ النِّظَامَ الْهَرَمِيَّ⁸⁹¹. إِنَّ النَّبِيلَ يَصْرِفُ عَنْ نَفْسِهِ⁸⁹² الْكَائِنَاتِ الَّتِي تُعَبَّرُ فِيهَا أَحْوَالَ نَفْسٍ مُنَاقِضَةً لِمَثَلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الرَّاقِيَةِ وَالْفُخُورَةِ؛ فَهُوَ يَحْتَقِرُهَا. لِتِلْكَ لِحُظَةٍ أَنَّ التَّضَادَّ بَيْنَ "الْحَسَنِ" وَ"الْقَبِيحِ" فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْأُولَى مِنَ الْأَخْلَاقِ يُنَاطِرُ التَّعَارُضَ بَيْنَ "النَّبِيلِ" وَ"الْحَقِيرِ". وَآمَّا التَّضَادُّ بَيْنَ "الْخَيْرِ" وَ"الشَّرِّ"، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْلٍ آخَرَ⁸⁹³.

حَلِيقٌ بِالذِّكْرِ إِسْفَارٌ نِيَتَشُهُ، فِي مُورِدٍ فِي غَايَةِ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ، عَنْ رُؤْيِيَةِ الْقِيَمَةِ وَبِالتَّحْدِيدِ عَنْ نَظَرِيَّتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ حَيْثُ الْاِغْتِبَارُ لِلذَّاتِ فِي جَبَلِيَّتِهَا الْمَاهُويَّةِ لَا فِي سَيَرُورِيَّتِهَا الْعَمَلِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَشْفُ بِقَدْرِ مِنَ الْغَرَابَةِ عَنْ مَنْظُورِ مَاهُويٍّ لِلْقِيَمَةِ لَمْ يُؤْلِهِ الشَّرَاحُ أَهَمِّيَّةً تُذَكِّرُ وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَعَارُضِهِ مَعَ الْخُطُوطِ الْعَرِيشَةِ الَّتِي يُقَدِّمُونَ بِهَا فِلْسَفَةَ نِيَتَشُهُ، وَلَا يَعْرُبُ عَنَّا إِبْرَارُ الشَّدْرَةِ 260 مِنْ مُصَنَّفِهِ "مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" عَدَمَ تَوَقُّفِ التَّعْيِينَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ أَوْ التَّسْمِيَّاتِ فِي أَصُولِهَا الْأُولَى عَلَى عِيَارِ طَبِيعَةِ الْفِعْلِ بَلْ عَلَى عِيَارِ طَبِيعَةِ الذَّاتِ، إِذْ لَيْسَتْ الْقِيَمَةُ مُسْتَمَدَّةً مِنْ تَنَاسُقِ الْفِعْلِ الْخُلُقِيِّ أَوْ مِنْ نَفْعِهِ أَوْ مِنْ أَيِّ مِغْيَارٍ آخَرَ.

ذَلِكَ أَنَّ الْفِعْلَ نَفْسَهُ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدِيًّا وَعَلَى سَبِيلِ الْاِشْتِقَاقِ لَا غَيْرٍ، لِذَلِكَ كَانَ الصِّنْفُ النَّبِيلُ نَبِيلًا تَبَعًا لِكَيَانِهِ النَّبِيلِ وَابْتِدَاءً مِنْ أَحْوَالِهِ الْمِزَاجِيَّةِ وَتَأْسِيسًا عَلَى حَالَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ السَّامِيَةِ وَمِنْ عَلَيَاءِ هَاتِهِ الطَّبَعِيَّاتِ يُعَدَّقُ الْقِيَمَةُ عَلَى نَفْسِهِ وَالْأَشْيَاءِ دُونَهَا حَاجَةً إِلَى عِيَارٍ خَارِجِيٍّ وَلَا إِلَى أَغْيَارٍ بَرَانِيِّنَ، فَهُوَ يُصَوِّرُ الْقِيَمَ وَالْعَالَمَ، مِثْلَمَا يَفْعَلُ الْإِلَهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ الْجَبْرُوتِيُّ، عَلَى صُورَةٍ طَبَاعِهِ وَأَحْوَالِهِ الْجَوَانِيَّةِ، وَمَا قَصُرَ الْقِيَمَةُ بِمَعْنَاهَا الْإِيجَابِيِّ عَلَى الْجَوَانِيَّةِ الْإِنْسِيَّةِ لِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا ذَرُوءَةُ الْفِكْرِ الشَّمُولِيِّ

⁸⁹⁰ في ترجمة هنري ألبر : في ظل سيادة أو تحت سطوة sous l'empire de .

⁸⁹¹ يترجم هنري ألبر هنا المصطلح النيتشوي ب le rang أي الطبقة.

⁸⁹² حرفياً تترجم العبارة ب : يفصل نفسه أو يعزل نفسه عن ...

⁸⁹³PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 260 : « Les différenciations des valeurs morales se sont produites soit sous l'effet d'une classe dominante, qui était consciente d'elle-même et accentuait avec plaisir sa différence par rapport à la classe dominée - ou bien sous l'effet d'une classe de dominés, d'esclaves et d'assujettis de toute catégorie. Dans le premier cas, quand ce sont les dominants qui déterminent le concept « bon », ce sont les états d'âme élevés et fiers qui ont été ressentis comme étant ce qui fait la distinction et détermine la hiérarchie. L'homme noble sépare de lui les êtres chez lesquels le contraire de tels états élevés et fiers viennent à l'expression : il les méprise. Qu'on remarque dès lors que, dans cette première sorte de morale, l'opposition «bon» et «mauvais» équivaut à « noble» et « méprisable» - l'opposition «bon» et «méchant» est d'une autre origine ».

الاستبدادي الذي يَتَّخِذُ مِنْ ذَاتِ بَعِيْنِهَا ، بِمُوجِبِ طَبَقَتِهَا وَجَبَلَتِهَا الْقَبْلِيَّةِ ، مِغْيَارَ الْحَقِيقَةِ وَالْخَيْرِ وَالْجَمَالِ.

جَرِيًّا عَلَى ذَلِكَ تَتَرَحَّضُ قَضَايَا الْفَلَسَفَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ عَنِ الْاسْتِفْسَارِ عَنْ طَبِيعَةِ الْأَفْعَالِ مِنْ إِثَارٍ وَشَفَقَةٍ وَعَوْنٍ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ ، لِتُسْتَفْسَرَ إِثَرُ ذَلِكَ الْانْزِيَا حَ عَنِ الذَّوَاتِ الَّتِي تَجْتَرِحُ هَذِي السُّلُوكَاتِ أَوْ تَلِكَ ، تَسْتَمِدُّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَجُودَهَا مِنْ ادِّعَاءٍ نِيْتَشُهُ أَنَّ مِغْيَارَ الْقِيَمَةِ فِي الْأَصْلِ هُوَ الْإِنْسَانُ فِي أَنْمُودِجِهِ لَا فِي أَفْعَالِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ لَا حَرَا جَةً أَنْ تُبَسَّ شِفَاهُ نِيْتَشُهُ بِالْقَوْلِ: عَلَى قَدْرِ أَنْمُودِجِ الْإِنْسَانِ تَكُونُ أَفْعَالُهُ الْأَخْلَاقِيَّةُ ، وَكَيْ لَا نَذَرَ كَلَامَنَا مُرْسَلًا عَلَى عَوَاهِنِهِ نَسْتَدِلُّ بِهَذَا الشَّاهِدِ: "مِنْ الْجَلِيِّ أَنَّ التَّغْيِيْنَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ كَانَتْ تُغْزَى إِلَى الْبَشَرِ ، وَلَمْ تُغْزَ إِلَى الْأَفْعَالِ إِلَّا عَلَى نَحْوِ مُشْتَقٍّ وَمُتَأَخِّرٍ⁸⁹⁴. لِذَلِكَ يَفْتَرِفُ مُؤَرِّخُو الْأَخْلَاقِ حَطًّا جَسِيمًا حِينَمَا يَنْطَلِقُونَ فِي تَنَاوُلِهِمْ لِلْمَسَائِلِ مِنْ أَسْئَلَةٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ: لِمَ نَمْتَدِّحُ الْفِعْلَ الَّذِي ثَمْلِيهِ عَلَيْنَا الشَّفَقَةُ ؟. إِنَّ النَّوعَ النَّبِيلَ مِنَ الْبَشَرِ يَشْعُرُ بِنَفْسِهِ عَلَى أَنَّهُ النَّوعُ الَّذِي يُحَدِّدُ الْقِيَمَةَ وَهُوَ فِي غَمِّي تَامٍ عَنِ اسْتِحْسَانِ النَّاسِ. وَهُوَ يَقْضِي عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: "مَا هُوَ مُضَرٌّ بِي مُضَرٌّ فِي ذَاتِهِ"⁸⁹⁵. إِنَّهُ عَلَى دِرَايَةٍ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُضْفِي [يَمْنَحُ] الْفَخْرَ [الْمَجْدَ] عَلَى الْأَشْيَاءِ ، إِنَّهُ خَلَقَ لِلْقِيَمِ. إِنَّهُ يُجَلُّ كُلَّ مَا يَعْرِفُ أَنَّهُ مُنْتَمٍ إِلَيْهِ. أَخْلَاقٌ مِثْلُ هَذِهِ تَعْظِيْمٌ لِلذَّاتِ. إِنَّهَا تُضَعُّ فِي الصَّدَارَةِ [تَوَلِيْ أَهْمِيَّةٍ أَوَّلَى لِ] الشُّعُورِ بِالْإِمْتِلَاءِ ، وَالْإِقْتِدَارِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَفِيضَ وَالسَّعَادَةَ عَالِيَةً التَّوَثُّرِ وَالْوَعْيِ بِثَرَاءٍ يُحِبُّ أَنْ يَبْذُلَ وَيُعْطِي. [يُحِبُّ الْبَذْلَ وَالْعَطَاءَ]: يَقْدِمُ الْإِنْسَانُ النَّبِيلُ أَيْضًا يَدَ الْعَوْنِ لِلَّذِي يَتَقَلَّبُ فِي الشَّقَاءِ ، لَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَوْ بِالْكَادِ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَنْ شَفَقَةٍ بَلْ بِالْأَحْرَى عَلَى النَقِيضِ عَنْ مَيْلٍ ثَوْلَدَهُ وَفَرُهُ [فِيضِي] الْإِقْتِدَارِ⁸⁹⁶ 897 .

⁸⁹⁴PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 260 : « Il est évident que les dénominations de valeurs ont d'abord été appliquées à l'homme, et plus tard seulement, par dérivation, aux actions ».

مِنَ الْبَدِيْهِ أَنْ تَسْمِيَاتِ الْقِيَمِ وَقَعَ سَحْبُهَا عَلَى الْإِنْسَانِ [أَطْلَقَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ] ، ثُمَّ بَعْدَئِذٍ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِشْتِقَاقِ ، عَلَى الْأَفْعَالِ .

⁸⁹⁵Ibid : « ... ce type d'homme n'a pas besoin de se faire approuver, il juge : « ce qui me cause un dommage, c'est en soi un dommage » .

"إِنَّ هَذَا الْأَنْمُودِجَ مِنَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ أَنْ يَنَالَ إِقْرَارَ النَّاسِ [أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الْمَوَافَقَةِ] " وَ يَحْكُمُ " أَنْ مَا يَلْحَقُ بِي الضَّرَرُ ، هُوَ فِي ذَاتِهِ ضَرَرٌ [مُضَرٌّ] " .

⁸⁹⁶Ibid : « ... mais pas ou presque jamais par pitié, plutôt par une impulsion que produit l'excès de force ».

" لَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَوْ تَقْرِيْبًا لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الْبَتَّةَ عَنْ شَفَقَةٍ بَلْ بِالْأَحْرَى بِإِنْدِفَاعٍ غَرِيْزِي يَوْلَدُهُ فَرَطُ الْقُوَّةِ " .

⁸⁹⁷Ibid, Trad. Patrick Wotling, § 260 : « Il est flagrant que partout, les désignations de valeur morales se sont d'abord appliquées à des hommes, et seulement de manière dérivée et tardive à des actions : c'est pourquoi les historiens de la morale commettent une méprise grossière quand ils prennent pour point de départ des questions telles que : « pourquoi fait-on l'éloge de l'action dictée par la pitié? ». L'espèce d'hommes noble se ressent comme celle qui détermine la valeur, elle n'a nul besoin d'approbation, elle juge de la manière suivante « ce qui nuisible pour moi est nuisible en soi », elle sait que c'est elle qui, la première, confère de l'honneur aux choses, elle est créatrice de valeurs. Elle honore tout ce qu'elle sait lui appartient : une telle morale est autoglorification. Elle place au premier plan le sentiment de plénitude, de puissance qui veut déborder, le bonheur de la haute tension, la conscience d'une richesse qui aimerait offrir et donner : – L'homme noble aussi

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مَتَالِبُ وَتَقَائِضُ تَأْسِيسِ الْقِيَمَةِ عَلَى جِبِلِّيَّةِ الْاِفْتِدَارِ وَالرِّيْدَةِ

تَكْتَنِفُ الشَّاهِدَ الْمَذْكُورَ مِنْ قَرِيبِ إِشْكَالَاتٍ عَدِيدَةٍ يَأْتِي بَعْضُهَا عَلَى زَعْرَةِ أَجْزَاءٍ مُعْتَبَرَةٍ مِنْ مَنْظُومَةٍ نِيْتَشَهُ الْمَفَاهِيمِيَّةِ ، إِذْ أَنَّ تَعْيِينَ الْقِيَمَةِ الْخُلُقِيَّةِ طَبَقًا لِكَيَانِيَّةِ الشَّخْصِ لَا تَبَعًا لِدِينَامِيكَا الْفِعْلِ يَجْعَلُ الْأَخْلَاقَ مُتَوَقِّفَةً عَلَى مَاهِيَّةٍ مَا قَبْلَ وَجُودِيَّةِ Pré-existentielle ، وَلَا امْتِرَاءً أَنَّ الْقِيَمَةَ فِي هَكَذَا مَنْظُورٍ لَا تَخْضَعُ لِتَكُونِ GENÈSE مُتَزَمِنٍ Temporalisée تَضْطَلَعُ فِيهِ السَّيْرُورَةُ التَّارِيخِيَّةُ لِخِبْرَاتِ الْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ وَحَيْثِيَّاتِ أَعْمَالِهِمْ وَمُلَابَسَاتِ تَقْوِيَمَاتِهِمْ بِدَوْرٍ فِي الْحُكْمِ الْأَخْلَاقِيِّ ، وَالْأُدْهَى وَالْأَمْرُ أَنَّ التَّعْيِينَ الْمَاهَوِيَّ لِلْقِيَمَةِ فِي الشَّاهِدِ الْمَذْكُورِ أَنْفًا الْمَنْوُطَ بِالنَّمُودَجِ كَيَانِيٍّ يُحَدِّدُ قِيَمَةَ الْأَفْعَالِ ، يُفْضِي إِلَى تَأْسِيسِ الْقِيَمِ عَلَى ثَالُوثِ الْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ وَالرِّيْدَةِ لَيْسَ بِاعْتِبَارِهَا فَاعِلِيَّةً أَوْ مَفْهُومًا مُجَرَّدًا بَلْ بِاعْتِبَارِ الْفَاعِلِ مِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِهِ مَاهِيَّةً (النَّمُودَجِ النَّبِيلِ) تُصَدِّرُ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ الْاِشْتِقَاقِ أَفْعَالٌ قَوِيَّةٌ ، إِذْ هُنَا تَسْبِقُ الذَّاتُ صِفَاتِهَا الْفِعْلِيَّةَ وَلَا تَكُونُ الصِّفَاتُ مُقْتَدِرَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ الذَّاتُ مُقْتَدِرَةً.

مَا يُوثِقُ تَوَحُّيَهَا التَّأْوِيلِيَّ كَوْنُ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ ، كَمَا شَفَتْ عَنْهَا شَدْرَةُ نِيْتَشَهُ ، فَائِضًا أَوْ فَضْلَةً Compliment لَا تَزِيدُ وَلَا تُنْقِصُ شَيْئًا مِنْ مَاهِيَّةِ الذَّاتِ ، وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ يَكُونُ السَّيِّدُ سَيِّدًا وَلَوْ لَمْ يُحَرِّكْ إصْبَعُهُ⁸⁹⁸ وَإِنْ لَمْ يَجْتَرِحْ فِعْلًا نَبِيلًا وَاجِدًا ، وَلَا غَضَاضَةً لَوْ ضَرَبْنَا مِثَالًا هُنَا بِاللَّهِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْأَشْعَرِيِّ حَيْثُ اللَّهُ خَالِقٌ وَمُدَبِّرٌ وَرَازِقٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلِيقَةَ وَقَبْلَ أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلِيَّةَ التَّدْبِيرِ وَالرِّزْقِ ؛ فَالذَّاتُ هُنَا فِي التَّصَوُّرِ النِّيْتَشَوِيِّ لِلْإِنْسَانِ وَالتَّصَوُّرِ الْأَشْعَرِيِّ لِلدِّيَّانِ هِيَ "مَا هِيَ عَلَيْهِ" لَا تَزِيدُ لَهَا الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ شَيْئًا. لَا مَحِيدَ أَنْ يَزَجَ هَذَا النِّحْوُ فِي تَصَوُّرِ الْقِيَمَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ عِنْدَ نِيْتَشَهُ بِالْإِنْسَانِ فِي جَبَرِيَّةٍ حَيْثُ الْكُلُّ مُسَيَّرٌ وَمُسَيَّرٌ بِمُوجِبِ خَلْقَةٍ وَخُلُقٍ مَاهَوِيَّيْنِ يَتَعَدَّرُ بِهِمَا أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ خَلْقًا جَدِيدًا وَيُنْشِئُ وَجُودَهَا وَجُودًا مُخْتَلَفًا فِي مَطَاوِي الصَّيْرُورَةِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي مَا بَرَحَ نِيْتَشَهُ يَتَّخِذُهَا إِحْدَى رَكَائِزِ فِلْسَفَتِهِ ، وَهَذَا يُسْفِرُ عَنْ تَعَارُضِ نَظَرِيَّاتِ نِيْتَشَهُ الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ وَطُرُوحَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ ، أَغْنَى تَعَارُضَ التَّحْدِيدِ الْمَاهَوِيِّ لِلنَّبَالَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ مَعَ التَّحْدِيدِ الصَّيْرُورِيِّ وَالصَّدْفَوِيِّ وَالْفَوْضَوِيِّ لِلْحَيَاةِ/لِلْوُجُودِ.

فِي ظِلِّ هَذَا التَّنَاقُلِ لِمَفْهُومِ الْقِيَمَةِ ، يَتَقَوَّضُ الْمَشْرُوعُ النِّيْتَشَوِيُّ رَيْنَمَا يَبْضُ إِلْحَاحُهُ الْمُسْتَمَرُّ عَلَى الْاِخْتِلَافِ وَالنِّظَامِ الْهَرَمِيِّ (التراتب) إِلَى تَكْرِيسِ ضَمْنِيٍّ مُتَنَكِّرٍ لِضَرْبٍ مِنَ الْمُسَاوَاةِ الْجَامِدَةِ حَيْثُ الْبَشَرُ يَنْقَسِمُونَ مَاهَوِيًّا إِلَى أَسْيَادٍ عَلَى تَعَدُّدِ أَصْنَافِهِمْ لَا يَصْنَعُونَ اخْتِلَافَهُمُ الْفَاعِلِيَّ ، وَإِلَى عَبِيدٍ مَهْمَا تَوَعَّتْ فِتَائِهِمْ لَا يَتَدَعُونَ هَوِيَّتَهُمُ الْاِرْتِكَاسِيَّةَ ؛ إِذِ الْاِخْتِلَافُ هُنَا لَيْسَ تَكُونًا وَلَا صَيْرُورَةً وَلَا نِتَاجًا لِهَمَّا ، بَلْ هُوَ

aide celui qui est dans le malheur, mais non pas ou presque pas par pitié, plutôt au contraire du fait d'un penchant suscite par la profusion de puissance ».

⁸⁹⁸Friedrich Nietzsche, Œuvres posthumes, Edition Alfred Kroner, VI, II, 220 : « Les natures puissantes règnent : c'est pour elles une nécessité — sans même qu'elles aient besoin de lever le petit doigt, dussent-elles s'enterrer de leur vivant dans une caverne ».

اختلاف ماهوي مُعطى مُسبقاً قَبْلَ التَّعَيَّنِ وَالْفَاعِلِيَّةِ ، قَبْلَ التَّارِيخِ ، قَبْلَ الصِّيرُورَةِ ، مِنْ ثَمَتَ يَتَحَوَّلُ الْفَرْقُ عَلَى الصَّعِيدِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ إِلَى فَرْقٍ مَاهَوِيٍّ.

وَلَا مَحَالَةَ أَنَّ الْاِمْتِيَازَ فِي هَذَا تَصَوُّرٍ لَيْسَ سَيَرُورَةً لِإِبْثَاتِ لِلذَّاتِ وَتَجَاوُزٍ لَهَا ، لَقَدْ ارْتَدَّ نَيْتَشَةُ الْقَهْقَرَى لَمَّا فَكَّ الْاِرْتِبَاطَ الضَّرُورِيَّ بَيْنَ الْقِيَمَةِ وَالْفَاعِلِيَّةِ ، إِذْ يَهَذَا الْاِرْتِبَاطِ الْوَثِيقِ تَتَوَقَّفُ رَفْعَةُ الْمَقَامِ وَالْمَنْزِلَةِ عَلَى إِفْرَاقِ الْجُهْدِ وَاجْتِرَاحِ الذَّوَاتِ لِأَجُودِ الْفَعَالِيَّاتِ عَلَى الصِّدِّ مِنْ أَلْذَوَاتِ الَّتِي تَسْلُكُ مَسَالِكَ تَنْفِي بِمُوجِبِهَا نَفْسَهَا وَتَخْلُدُ إِلَى الثَّبَاتِ وَالْجُمُودِ ، مَعَ هَذَا الْاِنْفِكَاحِ يَرْتَفِعُ الْمَفْهُومُ التَّارِيخِيُّ لِلْإِنْسَانِ وَفَعُولَاتِهِ الْقِيَمِيَّةُ لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ السُّكُونُ الْتِيو-مِيتافيزيقيُّ حَيْثُ الْقِيَمَةُ لَا تُخْلَقُ خَلْقًا بِتَوَسُّلِ الزَّمَنِ وَإِنَّمَا تُعْطَى مُسَبِّقًا فِي جَبَلَةٍ غَيْرِ مُتَزَمِّنَةٍ.

مِنْ الْجَلِيِّ أَنَّ نَيْتَشَةَ وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَوْرِدِ النَّصِيَّ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْمِيتافيزيقا يَأْتِي خَطَرُهَا الْعَظِيمُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْحَضَارَةِ ؛ وَهِيَ مِيتافيزيقا لَا تَقِلُّ خُطُورَهُ عَنْ تَلَكُّمِ الَّتِي طَفِقَ يُحَارِبُهَا. فَإِذَا كَانَتْ الْحَضَارَةُ تَغْيِيرًا عَنْ أَوْدِيسَا تَعْلَمُ مُتَزَمِّنَةً حَيْثُ التَّحْوِيلُ وَالتَّجْوِيدُ الثَّقَافِيُّ لِلْأَفْرَادِ وَالشُّعُوبِ نَحْوَ الْأَفْضَلِ أَمْرًا مَقُومًا لَهَا أَوْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الْمَفْهُومَ الْمَاهَوِيَّ لِلْقِيَمَةِ عِنْدَ نَيْتَشَةَ يَجْعَلُ ذَلِكَ أَمْرًا مُتَعَذِّرًا ، عَلَى أَتْنَا لَا نَنْفِي وَجُودَ وَجُوهٍ لِلَاخْتِلَافِ الْإِبْدَاعِيِّ فِي نُصُوصٍ نَيْتَشَوِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، إِلَّا أَنَّ شَوَاهِدَ كَثِيرَةً أُخْرَى تُقْضِي إِلَى نَفْيِ الْاِخْتِلَافِ بِتَفْهِ شُرُوطِ قِيَامِهِ ، فَأَيُّ اِخْتِلَافٍ هَذَا الَّذِي يُحَدِّثُنَا عَنْهُ شَرَاخُهُ فِي فَلَْسَفَةِ بَعْضِ شَوَاهِدِهَا تُكْرِرُ مِيعَارِيَّةَ الْفِعْلِ وَوُجُودَ الْحَرِيَّةِ!؟.

لَا غَيَّ لَنَا عَنِ الْاِثْتِبَاهِ إِلَى أَنَّ مَنْظُورَ نَيْتَشَةَ كَمَا تُفْصِحُ عَنْهُ الشَّدْرَةُ 260 مِنَ الْعِلْمِ الْمَرْحِ هُوَ عَلَى نَقِيضِ الْمَنْظُورِ الْجَدَلِيِّ التَّارِيخِيِّ الَّذِي يُبَيِّنُ أَنَّ التَّفَاوُتَ وَالْاِخْتِلَافَ الْأَصْلِيَّ فِي مُخْتَلِفِ الْأُصْعَدَةِ ، فِي الذِّكَاةِ الْمُدْرَسِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ كَمَا بَيَّنَّتْ سُوْسِيُولُوجِيَا بِييرِ بوردِيو ، لَيْسَا لِأَسْبَابٍ جَبَلِيَّةٍ وَخِلْقِيَّةٍ مَاهَوِيَّةٍ بَلْ هُمَا نَتِيجَةُ لَوَاقِعِ الْهَيْمَنَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالتَّمَرُّكِ الطَّبَقِيِّ حَيْثُ يُعِيدُ الْمُمَسْكِينَ بِزِمَامِ الْأُمُورِ فِي الْمُجْتَمَعِ اِنتَاجَ التَّرَاتِيْبِيَّةِ نَفْسِهَا ، بِالْاِسْتِنَادِ إِلَى عَوَامِلٍ ثَقَافِيَّةٍ وَرَمْزِيَّةٍ وَعَوَامِلَ مَادِيَّةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ وَمِنْ ثَمَتَ فَهِيَ نَتِيجَةُ لِمَوَازِينَ وَعِلَاقِي الثُّفُودِ وَالْقُوَّةِ وَالْهَيْمَنَةِ وَلَيْسَا إِذَنْ وَرَاثِيَيْنِ مُعْطِيَيْنِ قَبْلَ تَلَكُّمِ الْمَوَازِينَ وَالْعِلَاقِي.

وَفِي سِيَاقِ الْمِثَالِ السَّابِقِ ، فَإِنَّ التَّلَامِيذَ الْمُتَعَلِّمِينَ مِنَ الْبَدَايَةِ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي حَقْلِ اِجْتِمَاعِيٍّ قَائِمٍ عَلَى هَرْمِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ إِلَيْهَا مَرْجِعُ الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ الْحُظُوظَ ذَاتَهَا فِي تَحْقِيقِ النِّجَاحِ الْمُدْرَسِيِّ ، وَمَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى التَّبَايُنِ وَالتَّرَاتِيْبِيَّةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّفَاوُتِ الطَّبَقِيِّ وَهَذِي التَّقْرِيرَاتُ سَاقَتْ بِييرِ بوردِيو فِي ضَرْبٍ مِنَ النِّظَرَةِ الْبِنْيَوِيَّةِ التَّكْوِينِيَّةِ Structuralisme constructiviste إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ الْمُدْرَسَةَ نَفْسَهَا لَيْسَتْ تَحْرِيرًا لِلْفَرْدِ بِمُقْدَارٍ مَا هِيَ اِدْمَاجٌ وَتَوَافُقٌ وَتَطْبِيعٌ لَهُ لِيَتَطَابَقَ مَعَ الْوَضْعِ الطَّبَقِيِّ الْقَائِمِ ، وَمَا الْمُدْرَسَةُ إِلَّا حَيَزٌ مِنْ حَيَزَاتِ اِعْجَادَةِ اِنتَاجِ وَضْعٍ قَائِمٍ وَتَفَاضُلٍ مُحَدَّدٍ وَهَيْمَنَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كَوْنُ الْمُدْرَسَةِ تَقْرُضُ رَأْسَمَالًا ثَقَافِيًّا ، بِمَا فِي ذَلِكَ اللَّغَةُ ، يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَسْرِ الْبُورْجُوازِيَّةِ مِنْهُ إِلَى الطَّبَقَاتِ الشَّعْبِيَّةِ ، وَلَا يَمْلِكُ التَّلَامِيذُ الْمُتَمَتِّعِينَ إِلَى شَرَائِحِ اِجْتِمَاعِيَّةٍ بَسِيطَةٍ غَيْرِ اِسْتِبْطَانِهَا ، لَكِنْهُمْ

يُقَاسُونَ فِي ذَلِكَ صُعُوبَاتٍ جَمَّةٌ نَظَرًا لِلتَّفَاوُتِ الْقَائِمِ بَيْنَ ثَقَافَتِهِمْ وَلُغَتِهِمْ الشَّعْبِيَّةِ وَتِلْكَمُ الَّتِي يَتَعَلَّمُونَهَا فِي الْمَدْرَسَةِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الثَّقَافَةَ الَّتِي يَجْرِي اسْتِبْطَاقُهَا تَعَكِّسُ ثَقَافَةَ الطَّبَقَةِ الْأُخْرَى وَمَصَالِحَهَا وَبِفَضْلِ هَذِهِ الثَّقَافَةِ يُرْسَخُ وَيُعَزَّزُ التَّفَاوُتُ لِصَالِحِ طَبَقَةٍ بَعَيْنِهَا إِثْرُ مُعَاضَدَةِ الرُّأْسِمَالِ الْمَادِيِّ بِرَأْسِمَالٍ رَمْزِيٍّ. وَلَا غَرَوَ فِي أَنْ يَغْشَى الْفَشْلُ الدِّرَاسِيَّ الطَّبَقَةَ الْمُهِيمَنَ عَلَيْهَا بَيْنَمَا يَأْخُذُ فِي التَّوَارِي عَنِ الطَّبَقَةِ الْمُهِيمَنَةِ وَمَا ذَلِكَ لِإِعْلَالِ جَنْبِلِيَّةٍ وَإِنَّمَا ذَلِكَ نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةٍ لِنِظَامٍ قَائِمٍ عَلَى التَّفَاوُتِ أَوَّلًا فِي الْمَوَارِدِ وَعَلَى التَّفَاضُلِ ثَانِيًا فِي سُهُولَةِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا. وَفِي الْأَخِيرِ إِنَّ الْعُنْصَرَ النَّسَابِيَّ التَّفَاضُلِيَّ الَّذِي يُمَوِّجُهُ تَخْتَلِفُ وَتَنْتَظِمُ الْقُوَى فِي هَرْمِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ هُوَ مُعْطًى أُونَطُولُوجِيٍّ سَابِقٌ عَنِ التَّعْيِّنَاتِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ ، بَيْنَمَا هُوَ لَدَيْنَا يَتَّوَمُّ فِي وُجُوهٍ مِنْهُ عَلَى الْبِنْيَةِ الْبَانِيَّةِ لِلنَّسَقِ الْاجْتِمَاعِيِّ السَّائِدِ كَمَا تُسْفَرُ عَنْهَا عِلَاقُ الثُّفُودِ وَالْقُوَّةِ الرَّمْزِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ.

انْتَهَى التَّنْقِيبُ الْجِينِيالُوجِيُّ إِلَى بَيَانٍ أَنَّ لَوْحَةَ الْقِيَمِ الَّتِي يَتَشَمَّلُ بِهَا الْأَنْمُودُجُ الرَّفِيعُ (النِّبْلَاءُ) تَنَمَازُ جَوْهَرِيًّا عَنْ لَوْحَةِ الْقِيَمِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْأَنْمُودُجُ الْوَضِيعُ (العَبِيدُ) ، فَالْأُولَى تَدُورُ فِي فَلَكَ نَزْعَةٍ أُنَانِيَّةٍ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا بِنَاءً عَلَى مَعَايِيرِ الْحِسِّ السَّلِيمِ الْمُشْتَرَكِ وَلَا اسْتِنَادًا إِلَى مَعَايِيرِ النَّفْعِ⁸⁹⁹ الْخَاصِّ أَوْ الْعَامِّ وَلَا عَلَى أَيْ أُسَاسٍ آخَرَ عَقْلَانِيٍّ أَوْ عَاطِفِيٍّ ، وَإِنَّمَا تَكْتَسِبُ الْوُجُودَ وَتَأْتِي الْأَفْعَالُ بِدَاعِيِ الْإِنْدِفَاعِ الْغَرِيزِيِّ وَابْتِغَاءِ الْإِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ ، فَهِيَ عُمُومًا أَخْلَاقُ قُوَّةٍ لَا تَفْعَلُ إِلَّا مَا يَحُلُو لَهَا بِعَقَوِيَّةٍ طِفْلٍ وَتَجَدُّدٍ أَفْعَوَانٍ وَمُكْنَةِ النَّسْرِ وَإِرَادَةِ الْأَسَدِ.

بِاسْمِ تِلْكَمُ الْأَخْلَاقِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ الَّتِي سَحَرَتْ عَاقِلَةً نَيْتَشَةَ نَزَا إِلَى انْتِقَادِ الْأَخْلَاقِ الْمُنَاوِيَّةِ لِهَذَا الْمَسَلِّكِ الْإِثْبَاتِيِّ لِلْأَخْلَاقِ الَّذِي مَالَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ هُدًى تَحْتَ سَطْوَةِ الْكَهْنُوتِ ، فَأُسَلِّمَتْ أَمْرَهَا لِلْأَخْلَاقِ الْقَائِمَةِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ مِثْلَ الشَّفَقَةِ وَالْإِيثَارِ وَالتَّجَرُّدِ وَطَبِيعَةِ الْقَلْبِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَاضَعِ ؛ أَصْحَابُ هَاتِهِ الْخِصَالِ لَا يُثِيرُونَ دُغْرًا بَلِ الْآمَانَ ، وَمِنْ طَبِيعَتِهِمُ الْبَالِغَةِ نَفْسِيٌّ فِيهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَاوَةِ وَشَيْءٌ مِنَ سُهُولَةِ الْإِنْخِدَاعِ ، وَهِيَ حَسَبَ نَيْتَشَةِ مُجَرَّدُ وَسَائِلٌ يَتَّخِذُهَا أَفْرَادُ الصِّنْفِ الْوَضِيعِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْأَةِ الْوُجُودِ وَصَوْلَةِ الْمَوْجُودِ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَهِيَ مَصَالِحُ طَبَقَةٍ ضَعِيفَةٍ لَا تُفَكِّرُ الْوُجُودَ بِلُغَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَّا لِمَا يَجْرُهُ هَذَا الْمَسَلِّكُ عَلَيْهَا مِنْ مَصَالِحٍ تَتَعَلَّقُ بِالْحِفَاطِ عَلَى نَفْسِهَا أَوْ بِمَسَاعِيْرِهَا لِلْهُيْمَنَةِ وَلَوْ التَّمَسَّتْ فِي ذَلِكَ الْوَسَائِلَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَتَذَرَعَتْ بِوُجُوهِ الْفَضِيلَةِ.

فِي حِينِ أَنْ شَمَائِلَ الْأَقْوِيَاءِ ، الَّتِي تَصُوغُهَا قُوَّتُهُمْ وَبَأْسُهُمْ ، تُمْلِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ أَنَا هُمْ الْقَوَوِيِّ مَرْجَعًا بَاطِنًا لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَتُوجِبُ عَلَيْهِمْ التَّحَلِّيَ بِخِصَالٍ شَدِيدَةٍ لَا لِيْنٍ فِيهَا وَلَا عَطْفٍ ؛ مِنْهَا فِي جَانِبِ الْبَأْسِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى النَّفْسِ وَالصَّرَامَةِ وَالْقَسْوَةِ عَلَيْهَا ، زِيَادَةٌ عَلَى الْكَلَامِ

⁸⁹⁹PBM, Trad. Patrick Wotling, § 260. Voir GS, Trad. Patrick Wotling, § 21 : « Le « prochain » fait l'éloge du désintéressement parce qu'il en tire profit ! Si le prochain pensait lui-même de manière « désintéressée », il rejetterait cette destruction de force, ce dommage subi à son profit à lui, il travaillerait à empêcher l'émergence de telles inclinations et surtout il témoignerait de son propre désintéressement en ne les qualifiant pas de bonnes ! — Voilà qui indique la contradiction fondamentale de la morale qui est justement tenue en grand honneur aujourd'hui : les motivations de cette morale sont en contradiction avec son principe ! ».

وَالصَّمْتِ الْمُؤَزُونِ ، وَفِي جَانِبٍ آخَرَ الْإِتْقَامَ الطَّوِيلَ وَبَثَّ الرُّعْبَ وَالتَّرْهِيْبَ وَنَشَرُ أَذْيَالِ الْخُطُورَةِ ، وَاسْتِجَابَ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ مَسَارِبَ وَمَخَارِجَ⁹⁰⁰ لِأَهْوَاءِ الْحَسَدِ وَالْعُدْوَانِيَّةِ وَالْعُرُورِ ، وَاحْتِرَامَ الشُّيُوخِ وَالسَّلَفِ أَوْ لِنَقْلِ تَوْقِيرِ الَّذِينَ بَلَغَ بِهِمُ الْكِبَرُ عُتْيًا وَاجْلَالُ التَّقْلِيدِ إِجْلَالًا فَوْقَ الْمُسْتَقْبَلِ وَالْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ عَلَى عَكْسِ الْأَفْكَارِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي تَرْفَعُ التَّقَدُّمَ وَالْمُسْتَقْبَلَ مَقَامًا رَفِيعًا .

وَكَأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ الَّذِي يُرِيدُهُ نَيْتَشَةُ لَيْسَ إِلَّا مُسْتَقْبَلًا سَلَفِيًّا يُسْتَعَادُ فِيهِ الْمَاضِي الْوَحْشِيُّ لِتَلَكُّمِ الطَّوَائِفِ الْبَرْبَرِيَّةِ تَارَةً وَالْإِغْرِيْقِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى ، تَلَكُّمِ الَّتِي كَانَتْ تُقْبَلُ عَلَى اخْتِبَارِ الْحَيَاةِ كَمَا يَطِيبُ لَهَا وَكَمَا يَرُوقُ لِعَرَاثِهَا التَّدْمِيرِيَّةِ وَالْخَلَاقَةِ ، فِيمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَهَذَا مَا تَنْفُرُ مِنْهُ الضَّمَائِرُ الْحَدِيثَةُ ، يَقُولُ نَيْتَشَةُ: " بَيَدَ أَنَّ أَخْلَاقَ السَّيِّدِ غَرِيبَةً عَنْ هَذَا الذَّوْقِ الْحَالِيِّ وَكَرِهَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ بِسَبَبِ إِقْرَارِهَا ، بِصَرَامَةٍ مَبْدَئِيَّهَا ، أَنَّهُ لَا وَاجِبَاتٍ إِلَّا نَجَاةُ الْأَنْدَادِ⁹⁰¹ ؛ وَأَمَّا حَيَالُ الْكَائِنَاتِ مِنَ الطَّبَقَةِ الدُّنْيَا ، وَإِذَا كُلِّ مَا هُوَ غَرِيبٌ ، فَإِنَّهُ فِي الْوُسْعِ التَّصَرُّفُ عَلَى الْهَوَى ، كَمَا "يُمْلِي عَلَيْهِ الْقَلْبُ" [كَمَا يَرُوقُ لِلْقَلْبِ] ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ التَّصَرُّفُ "فِيمَا مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" . بِالْمَقْدُورِ ، إِذَا مَا أَرَدْنَا ذَلِكَ ، أَنْ نَتَّصِرَفَ بِعُطْفٍ وَبِمَا يَقْتَرِنُ بِهِ [مِنْ سُلُوكَاتٍ] "⁹⁰² .

إِنَّ لَفِي هَذَا الشَّاهِدِ مَدْعَاةً لِلتَّقْدِيرِ وَمَسَاغًا لِلْمُسَاءَلَةِ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ خُطُورَةٍ وَخَطْبٍ ، إِذْ لَيْسَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْأَسْيَادِ الْأَعْزَاءِ وَالْأَسَافِلِ الْأَذِلَّةِ عِلَاقَةً تَهْتَدِي بِغَرْفٍ جَارٍ وَلَا بِقِسْطَاسٍ عَقْلِيٍّ وَلَا بِمِيزَانٍ وَجْدَانِيٍّ وَإِنَّهَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْأَنْمُودَجِينَ تَحْكُمِيَّةٍ Rapport arbitraire تَجْرِي فِي فَلَكِ الْقُوَّةِ وَجَائِزِيَّتِهَا الْمُطْلَقَةِ ؛ وَلَا جَرَمَ أَنْ تُؤَلَّدَ الْعِلَاقَةُ أَوْ يُسَارَ إِلَى إِعَادَةِ تَوَلِيدِهَا مِنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْإِعْتِبَاطِيَّةِ الْعَرَضِيَّةِ L'arbitrarité contingente الَّتِي تَنْتَظِمُ كَمَا هُوَ دِيدْنُهَا حَوْلَ مَسَالِكِ نَظَرِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ فِي حِلِّ مِنْ إِكْرَاهَاتِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

⁹⁰⁰Conduite d'évacuation (Trad. Patrick Wotling (مسارب), Dérivatifs (Trad. Henri Albert (مخارج تفرغ)

⁹⁰¹الأفضل أن نترجم دون مراعاة نظام الكلمات في اللغة المترجم عنها على هذا النحو : "يستغرب ويستكره الذوق الحالي أخلاق السيد لأنها لا تقر بالواجبات ، لصرامة مبدأها ، إلا تجاه الأنداد" .

⁹⁰²PBM, Trad. Patrick Wotling, § 260 : « Mais une morale de maître est étrangère et désagréable au goût du jour, lorsqu'elle affirme avec la sévérité de son principe, que l'on n'a de devoirs qu'envers ses égaux; qu'à l'égard des êtres de rang inférieur, à l'égard de tout ce qui est étranger, l'on peut agir à sa guise, comme « le cœur vous en dit », et de toute façon en se tenant « par-delà le bien et le mal ». On peut, si l'on veut, user ici de compassion et de ce qui s'y rattache » .

ترجمة كريمر مارييتي : " لكن في أغلب الأحيان ، إنَّ أخلاق المسيطرين غريبةٌ و محرَّجةٌ لذائقة العصر لصرامة مبدأها الذي بموجبه لا تكون لنا من الواجبات إلا تجاه الأنداد ؛ وأنه من الواجب التصرف كيفما اتفقَّ لهوانا تجاه الكائنات من الطبقة السفلى ، وحيال كل ما هو غريبٌ ، أو كما "يحلو للقلب" ، و في كل الأحوال التصرف "فيما وراء الخير و الشر" . و التعاطفُ و المشاعر من المجال نفسه يمكنها أن تحصل " .

أما ترجمة باتريك فوتلينغ : "ما هو أشد غرابةً و إزعاجًا في أخلاق المسيطرين بالنسبة إلى الذوق في الوقت الحاضر ، هو صرامة مبدئها الأساسي الذي يريد ألا تكون لدينا واجباتٌ إلا تجاه الأنداد ؛ و أما تجاه الكائنات من الطبقة السفلى ، تجاه كل ما هو غريبٌ ، فإنه يحقُّ لنا التصرف على هوانا أو "كما يطيَّب للقلب" و في كل الأحوال "فيما وراء الخير والشر" - هنا يمكن للشفقة والمشاعر الأخرى من الفئة [النظام] نفسها أن تجد لها مستقرًا [مكانًا] " .

لا يَظُنُّ أَحَدٌ جَرِيًّا عَلَى ظَاهِرِ الشَّدْرَةِ المذكورة سابقاً أَنَّ هذه الإِبَاحَةَ الاعتباريةَ مُتعلقةٌ على سَبِيلِ التَّخْصِيصِ بِالْعِلَاقَةِ الاختلافيةِ بَيْنَ طَائِفَةٍ مُقْتَدِرَةٍ بَبِيلَةٍ وَأُخْرَى مُتَضَعِيَّةٍ وَضِعِيَّةٍ ، بَيْنَمَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ النُّظَرَاءِ قَائِمَةٌ عَلَى وَاجِبَاتٍ اخْلَاقِيَّةٍ ، إِذْ يَنْبَغِي دَفْعُ هَذَا التَّخْرِيجِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّدْرَةُ 259 مِنَ الْمُصَنَّفِ ذَاتِهِ الَّتِي عَمَّمَتْ هَذِهِ الإِبَاحَةَ لِتَنْطَبِقَ عَلَى الْأَعْدَالِ الْأَقْوِيَاءِ مِنْ زُمْرٍ أُخْرَى ضَمَّنَ عِرْقٍ أَوْ شَعْبٍ أَوْ مُجْتَمَعٍ مَا ، لِذَلِكَ يُصْرَحُ نِيَّتُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْرِدِ أَنَّ الْمُسَالَمَةَ وَالْمُسَاوَاةَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَا مَبْدَأً أَسَاسِيًّا فِي الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ ، دَعْنَا بَيْنَ الشُّعُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُنَاقِضَةٍ لِلْبُنْيَةِ الْبَانِيَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْحَيَاةُ⁹⁰³ .

لكن لو أَلْقَيْنَا بَصَرًا عَلَى الشَّاهِدِ الَّذِي نَحْنُ قَيِّدُ تَفْسِيرِهِ فَسَتَلْفِي أَنْ نِيَّتُهُ ، فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ خَصْلَتِي الْقِسْوَةِ وَالشَّقَفَةِ ، لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ أَنَّ الْعِلَاقَةَ الْبِدْيَةَ بَيْنَ الزُّمَرِ الْوَاحِدَةِ قَائِمَةٌ عَلَى قَسْرِ اخْلَاقِيٍّ ، إِذْ سُرْعَانَ مَا شَرَعَ فِي إِبْرَادِ الشَّمَائِلِ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الْأَعْدَالُ Les égaux فِيمَا بَيْنَهُمْ ، مِنْهَا الْإِنْتِقَامُ الطَّوِيلُ وَالِاسْتِعْدَاءُ الَّذِي يَقْضِي بِضُرُورَةٍ وَجُودِ أَعْدَاءٍ يُعَدُّونَ مَنَافِذَ وَمَخَارِجَ لِتَفْرِيجِ الْأَهْوَاءِ الْعِدَاوِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ الْحَسَدِ وَالْعُرُورِ وَحِمَاسَةِ النِّزَالِ وَرُوحِ الْقِتَالِ ، كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ الْمَسْلُوكَ الْعِدَاوِيَّ يَبْقَى قَائِمًا سَوَاءً بَيْنَ الْأُنْدَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُتَمَازِيَيْنِ .

وَإِذَا أَنْعَمْنَا النَّظَرَ مَلِيًّا فِي الشَّدْرَةِ التَّاسِعَةِ وَالْخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَإِنَّا سَنَقِفُ عَلَى الْخَيْطِ الرَّابِطِ بَيْنَهَا وَالشَّدْرَةِ الَّتِي تَعْقُبُهَا حَيْثُ الْحِلْيَةُ مِنْ ثَنَائِيَّةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لَا تَكُونُ إِلَّا نَتِيجَةً طَبِيعِيَّةً لِمَنْطِقِ الْحَيَاةِ بِمَا هُوَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي يَقَعُ تَعْرِيفُهَا فِي مَوَارِدَ كَثِيرَةٍ بِأَنَّهَا كَوَكْبَةٌ مِنَ الْغَرَائِزِ اللَّاعِقِلَانِيَّةِ ؛ مِنْهَا الْاِسْتِيلَاءُ وَالْعَزْوُ وَالْإِيذَاءُ وَمِنْهَا الْقَمْعُ وَالْقِسْوَةُ وَالِاسْتِغْلَالُ ، لِذَلِكَ لَيْسَ بِغَرِيبٍ بِنَاءً عَلَى عُمُومِيَّةِ الْبُنْيَةِ الْبَانِيَةِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ أَنْ تَقُومَ الْحِلْيَةُ مِنَ الْعَقْلَانِيَّةِ الْاِخْلَاقِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا وَعَيْنًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا غَرَوَ بِمُوجِبِ ذَلِكَ فِي أَنْ تَشْمَلَ الْإِبَاحَةَ الْعِبَارِيَّةَ كُلِّيَّةَ الْكَائِنِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْاِخْتِلَافَاتِ فِي الْفَاعِلِيَّةِ وَالْقُوَّةِ .

لكن ما لَا يَغْرُبُ عَنَّا فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ التَّعَارُضُ بَيْنَ الْإِبَاحَةِ الْعِبَارِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ اقْتِضَاءً عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَمَاهَوِيَّةِ جَبَرِيَّةٍ لِلْقِيَمَةِ تَتَحَدَّدُ مُسَبَّقًا قَبْلَ أَيِّ فَاعِلِيَّةٍ مِنْ وَجْهِ ، وَالتَّعَارُضُ بَيْنَ هَذِي الْإِبَاحَةِ أَيْضًا

⁹⁰³PBM, Trad. Patrick Wotling, § 259.

"يمكنُ لامتناعِ الأفرادِ عن إيذاءِ بعضهم بعضاً وعن ممارسةِ العنفِ بعضهم إزاءَ بعضٍ وعن الاستغلالِ المتبادلِ ، علاوةً على وضعِ إرادةِ الذاتِ على قدمِ المساواةِ مع إرادةِ الغيرِ ، أن يَنْشِئَ بِمعنى من المعاني ، على نحوٍ سطحيٍّ ، خصلاً حميدةً [مكارمِ الأخلاقِ] فيما بينهم ، إذا ما اجتمعتِ الشروطُ لتحقيقِ ذلك (أي إذا كانوا متكافئين حقاً في مقدارِ القوةِ و معاييرِ القيمةِ ، وإذا ما أَلْفُوا معاً جسداً واحداً ، وكانوا جزءاً من هذا الجسدِ نفسه .) (لكن ما إنْ نُوذَ توسيعُ هذا المبدأ بل ما إنْ نجعلُ منه ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، المبدأَ الأساسيَّ للمجتمعِ ، يَبْدُ على الفورِ أنه إِرَادَةُ نَفْيِ الْحَيَاةِ وَ مَبْدَأُ انْحِلَالٍ وَانْهَاطٍ . يَنْبَغِي أَنْ يَمْضِيَ التَّفَكُّيرُ الْجَدْرِي فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَى غَايَةِ النِّفَازِ إِلَى عَمَقِ الْأَشْيَاءِ وَالدُّوْدِ عَنْ أَنْفُسِنَا ضِدَّ كُلِّ ضَعْفٍ عَاطِفِيٍّ : إِنَّهَا الْحَيَاةُ عَيْنُهَا اسْتِيلَاءُ [تَمَلُّكٌ] وَإِيذَاءٌ وَغَزْوٌ لَهَا هُوَ غَرِيبٌ عَنَّا وَلَهَا هُوَ أضعفُ مِنَّا ، وَقَمْعٌ وَقِسْوَةٌ وَفِرْضٌ لِأَشْكَالِنَا الْخَاصَةِ وَاسْتِبدَانٌ [احتواءٌ] بل هي ، فِي أدنى تَقْدِيرٍ ، وَفِي الْأَحْوَالِ الْأَشَدِّ اعتدالاً ، اسْتِغْلَالٌ . يَنْبَغِي أَيْضاً عَلَى كُلِّ جَسَدٍ يَعَامَلُ أَفْرَادُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي جَوْفِهِ بِمُسَاوَاةٍ - وَ هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي كُلِّ أَرِسْتَقْرَاطِيَّةٍ سَلِيمَةٍ - أَنْ يَصْنَعَ بِكُلِّ الْأَجْسَادِ الْأُخْرَى ، إِذَا مَا كَانَ جَسَداً حَيًّا وَلَيْسَ مُحْتَضِرًا ، مَا تَتَمَتَّعُ عَنْ صَنْعِهِ الْأَفْرَادُ الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا حَيَالٌ بَعْضُهَا بَعْضًا : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ الْمَجْسَّدَةِ ، وَأَنْ يَرِيدَ النَّمُوَ وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَى مَا حَوَالِيهِ ، جَرَهَا إِلَيْهِ وَالظَّفِرَ بِالْغَلْبَةِ * - لَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ أَيْةٍ اخْلَاقِيَّةٍ مَا أَوْ لَا اخْلَاقِيَّةٍ مَعِينَةٍ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ يَحْيَا ، بِسَبَبِ كَوْنِ الْحَيَاةِ إِرَادَةُ اقْتِدَارٍ بِالضَّبْطِ " .

والأنموذج الذي تصدر منه تبعاً لمنوال إظهار جبري من وجه آخر، ولحل هذا التعارض لا مندوحة من تأويل تلكم الاعتباطية لتعني ما يتنافى مع أي عرف ومعياري خارجي، أكان عقلياً أم وجدانياً، يصنع تحوفاً أخلاقية للقوى الفاعلة ذات الغرائز المتحررة، ومن ثم فالقوى تسلك على نحو جبري لا يتيح لها إلا أن تجرح ما يمليه عليها الأنموذج الاقتداري الذي تنتسب إليه، أي أنها تتصرف ضمن مجموع من الشوائل الإمكانية، كالغزو والفسوة والقهر والاستغلال، لكن المجموع نفسه جبري لا يملك حامله أن يتزحزح عنه، فكل أنموذج بهذا المعنى ميسر لما تسوقه إليه نوعيته قواه؛ غرائزه وأهواؤه.

في حين أن تفعيل عنصر من عناصر المجموع اغتباطي بالنظر إلى لحظة تفعيل أحدها وجبري بالنظر إلى المجموع الذي ينتمي إليه. هذا ما يفسر قول نيتشه إن الشفقة تصبح ممكنة بالنسبة إلى هذا الأنموذج المفتدر، بيد أن هذا الأخير يجترحها ليس بدافع قلب عطوف ولا بغية التخفيف من عبئ الوجود كما يفعل الأنموذج النقيض بل بسبب قوة ووفرة القوة التي تفيض منه، إذ تختلف الأسباب والغايات والمسالك تبعاً للأنموذج القيمي وهذا بدوره متوقف على الأنموذج الإنساني.

لا يخلو من مباتية الصواب تأسيس القيمة الخلقية على عموم القدرة، وإن افترضنا وجود حقائق أخلاقية، فالأقرب للمعقولة أن يكون العقل كاشفاً عنها مثلما يكشف عن القوانين السائدة على الطبيعة، وبمقدار ما يكشف عن القوانين الرياضية، فلو قال العقل أن مجموع زوايا المثلث 180 درجة، فهذا لا يعني أن العقل أوجب حكمه على طبيعة المثلث فرضاً جرياً على الإرادة. وقد يعترض معترض بأنه: لو كان التحسين والتفحيح في مجال الأخلاق على غرار المجال الطبيعي والصوري، ولو كانا ضروريين مثل الضرورة في العلوم الطبيعية والرياضية، ما وقع فيهما الخلاف والاختلاف.

فإن الوجه أن يجاب عن ذلكم الاعتراض ب: أن التفاوت في العلوم، كما تقرر لدى المحقق الطوسي⁹⁰⁴، جائز لتفاوت التصور، إذ تتفاوت العلوم الضرورية نظراً لتفاوت تصور أطرافها، على سبيل المثال الأوليات أبده من المشاهدات بهراتب، والثانية أبده من التجريبات، والثالثة أبده من الحدسيات، والرابعة أبده من المتواترات، والخامسة أبده من الفطريات، والضايط في ذلك أن ما لا يتوقف التصديق به على واسطة سوى تصور الطرفين أبده من غيره، وذلك مثل الأوليات.

لا جرم أن التحسين والتفحيح القائمين على الأنموذج الاقتداري للأسياذ لا يستقيمان إلا إذا كان نيتشه مقراً بحرية الاختيار وأما الفلسفة النافية للحرية الإنسانية فتجعل التحسين والتفحيح منتفيتين بانتفاء موضوعيهما بما هو الأفعال البشرية الحرة التي هي مدار التحسين والتفحيح، ومسوغ ذلك أن أفعال المجبور ليس بالممكنة أن تتصف بالحسن ولا بالفحش، ولما سار نيتشه إلى عد الإنسان مجبوراً،

⁹⁰⁴ الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المحقق: الشيخ حسن حسن زاده الأملي، ص 303، مؤسسة النشر الإسلامي.

لَزِمَ مِنْ مَقَالَتِهِ نَفْيُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ ، بَلْهَ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ عَقْلِيَّةٍ نَفْيُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْغَرِيزِيِّينَ (فِي مُسْتَوَى الْوَعْيِ) ، لَا سِيَّمًا أَنَّ الْلاَّوَعِيَّ الْأَوْنُطُولُوجِيَّ يُعَزِّزُ هَذَا النَّفْيَ.

ذَلِكَ أَنَّ نِيَّتَهُ فِي الشَّدْرَةِ السِّتِينَ وَمَائَتَيْنِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَرْحِ جَعَلَ مَدَارَ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ لَيْسَ الْأَفْعَالُ بَلِ الذَّوَاتِ تَبَعًا لَانْتِسَابِهَا إِلَى الْأَنْمُودَجِ بِعَيْنِهِ (مَاهُويَّةِ الْقِيَمَةِ) ، وَبِاعْتِبَارِ ارْتِبَاطِ الْحُرِّيَّةِ بِالْأَفْعَالِ الْوَاعِيَّةِ إِنْثَابًا وَنَفْيًا ، فَإِنَّ جَعْلَهُ الْلاَّوَعِيَّ الْغَرِيزِيَّ طَابَعًا لِلْعَالَمِ ، يَلْزِمُ مِنْهُ أَيْضًا ارْتِفَاعُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ بِارْتِفَاعِ الْحُرِّيَّةِ ، فَأَنَّى لَهُ إِذْنُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْأَنْمُودَجَ السَّيِّدَ يَتَصَرَّفُ كَمَا يَحُلُو لَهُ ، فِيهَا مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ ، تَجَاهُ الْأَنْمُودَجِ الْعَبْدِ؟.

يُقْضِي الذَّهَابُ إِلَى كَوْنِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ غَيْرَ مُتَعَلِّقَيْنِ بِذَاتِيَّةِ وَصَفَاتِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَفْعَالِ ، وَلَا بِكَشْفِيَّةِ أَوْ ذَاتِيَّةِ الْعَقْلِ أَوْ الْوُجْدَانِ ، بِسَبَبِ تَعَدُّرِ ثُبُوتِ الْقُبْحِ وَالْحُسْنِ إِلَّا بِالنَّظَرِ لِإِرَادَةِ الْمُرِيدِ ، إِلَى جَعْلِ الْإِرَادَةِ مُنْقَلَبَةً مِنْ أَيْ قَيْدٍ يَحْدُهَا ، وَيَخْلُقُ عَلَى الصَّعِيدِ الْفَرْدِيِّ إِنْسَانًا مُسْتَبِدًّا وَعَلَى الصَّعِيدِ الْمُجْتَمَعِيِّ صِرَاعًا مُسْتَطِيلًا بَيْنَ عَصَبِيَّاتٍ مُتَصَارِعَةٍ وَعَلَى الصَّعِيدِ السِّيَاسِيِّ دَوْلًا عَلَى الدَّوَامِ مُتَقَاتِلَةً.

لَا غَضَاضَةَ أَنْ نَعْقِدَ مُقَارَنَةً بَيْنَ مَفْهُومِ الْإِرَادَةِ لَدَى نِيَّتِهِ وَالْأَشَاعِرَةِ ، وَقَدْ يَعْتَرِضُ مُعْتَرِضٌ مُنْصَاعٌ لِعَقِيدَتِهِ لَا لِعَقْلِهِ بِالْقَوْلِ: لَا وَجْهَ لِلْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ لَدَى نِيَّتِهِ كَمَا تَتَجَلَّى فِي الْوُجُودِ وَالْإِنْسَانِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا نَظَرُ لَهَا جَمَاهِيرُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، رَدُّنَا عَلَيْهِ عَلَى هَذَا النَحْوِ: مُسَوِّغُ الْمُقَارَنَةِ ، عَلَى مَا فِي التَّنْظِيرَيْنِ مِنْ أَوْجْهِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ الْفَلَسَفِيَّةِ (نِيَّتِهِ) وَالْإِلَهِيَّةِ (الْأَشَاعِرَةِ) ، يَكْمُنُ فِي إِدْرَاكِنَا الْهَيْجَلِيِّ وَالْفَيْئُورَبَاخِيِّ ، مَا دَامَ سِرُّ الْلاَهُوتِ هُوَ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا⁹⁰⁵ ، أَنَّ حَدِيثَ الْأَشَاعِرَةِ عَنِ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا حَدِيثٌ عَنِ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ تَارَةً ؛ أَنْجَسَدَ فِي السُّلْطَانِ أَوْ فِي الْكَاهِنِ ، وَلَيْسَ هُوَ غَيْرَ خِطَابٍ عَنِ الطَّبِيعَةِ الشَّامِلَةِ تَارَةً أُخْرَى⁹⁰⁶ ، وَفَقَّ إِجْرَاءَاتٍ تَصْعِيدِيَّةٍ تَكْمِيلِيَّةٍ تَدْفَعُ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى أَقْصَى مُسْتَوِيَاتِ الْكَمَالِ تَبَعًا لِمَثْنُوِيَّةِ التَّرْهِيْبِ⁹⁰⁷ وَالتَّرْغِيْبِ⁹⁰⁸ ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ الْلاَهُوتَ ، بِمُوجِبِ تَقْرِيرَاتِنَا

⁹⁰⁵Ludwig Feuerbach, Manifestes philosophiques : Textes choisis (1839-1845), PUF, 1960, p. 104 : « Le secret de la théologie est l'anthropologie, le secret de la philosophie spéculative est la théologie ». Voir Ludwig Feuerbach, Thèses provisoires pour une réforme de la philosophie, p. 139. In Ludwig Feuerbach, Manifestes philosophiques : Textes choisis (1839-1845), PUF, 1960. Voir Henri Albert Arvon, Ludwig Feuerbach : ou, La transformation du sacré, PUF, 1957, p. 90.

⁹⁰⁶Ludwig Feuerbach, L'Essence de la religion, Trad. Joseph Roy, Librairie Internationale, Paris, 1864, p. 85 : « Le sentiment que l'homme a de sa dépendance, voilà le fondement de la religion. L'objet de ce sentiment, ce dont l'homme dépend et se sent dépendant n'est originairement rien d'autre que la nature. Comme le prouve suffisamment l'histoire de toutes les religions et de tous les peuples, la nature est l'objet premier, l'objet originaire de la religion ».

⁹⁰⁷إن سبر ماهية الله الثبوتية والسلبية وفق مصطلحات الكلاميين تكشف لنا عن صنفين على الأقل من الانفعالات البشرية بما هي انفعالات تضطلع بتوليد صفات معينة انطلاقًا من الطبيعة الخارجية أولاً ومن الطبيعة الإنسانية في وجهها المرغوب والمرهوب ثانيًا ، و ما يعيننا هنا هو انفعال الخوف الذي يقف وراء خلع صفات جبروتية جلالية معينة على الله كالجبار والقهار ، و هذا ما دفع بالشارح الكبير لفلسفة فيورباخ أليكسيس فيلونكو إلى القول أَنَّ الخوف هو المضمون الباطني الذي يحرك الإحساس بالتبعية إلى

في مسألة الإرادة أو في غيرها من الصفات الذاتية أو الفعلية، عقلنةً لصفات المتحدّثين باسم الله من جهة الوجود أو من جهة العدم وهذا ما يسمح بإرجاع المشتق إلى أصله، ومن ثمت موضعة الله داخل الفكر الإنساني⁹⁰⁹، كما جذر ذلك فيورباخ إذ ردّ جوهر الله إلى جوهر الإنسان⁹¹⁰، ما يعني أن معرفة الله هي في جوهرها معرفة الإنسان على نحو لاواعٍ⁹¹¹. ويُفقد هذا أن العقائد اللاهوتية في جوهرها عناصر طبيعية في الإنسان⁹¹² وموضوعها هو الإنسان⁹¹³. على ضوء هذه التسويغات الفلسفية التي تُصير الله مرآة عاكسة لماهية الإنسان كما انتهت إلى ذلك تقارير هيجل⁹¹⁴ وبعده تقارير فيورباخ، لا غصاصة إن قلنا: إن الله المرید على النحو الذي تتصوّره الأشاعرة⁹¹⁵ يشبه إلى حد بعيد الإنسان المرید عند نيتشه

قوة إلهية عليا وهو الذي يهب له أيضًا قوته، يعرب عن ذلك قائلًا: " يخاف الإنسان بهذا القدر أو ذاك من الارتباك [الغموض] على حياته، على سعادته، تبعاً لنمط الكينونة، و يخاف تبعاً لنمط الملك على ممتلكاته التي يريد المحافظة عليها والتي تولف حقيقته". Alexis philonenko, La jeunesse de Feuerbach (1828-1841), Introduction à ses positions fondamentales, Tome II, Vrin, Paris, 1990, p. 391 « ... l'homme craint plus ou moins confusément pour sa vie, pour son bonheur, selon la catégorie de l'être et pour la conservation de ses biens, qui constituent, selon la catégorie de l'avoir, sa réalité ».

يمثل الخوف من الطبيعة نوعًا من التقنيات التي يستخدمها البشر لتجريد الآلهة المرعبة والمعادية من أسلحتها وتلافي إيذاها وضمان تقادي شرها. ينظر أيضًا :

Ludwig Feuerbach, Lectures on the Essence of Religion, trans., by R. Manhein, Haper & Row, New York, 1967.p. 26.

⁹⁰⁸ الرغبة والترهيب بوصفهما حالات نفسية إنسية (ما دام الإنسان مكونًا من حالات رجاء وشوق ورغبة من وجه، وحالات رهبة وخوف وخشية من وجه ثانٍ) هي الأصل الموجد للصفات الإلهية التي سماها بعض أهل الإسلام صفات جمال (الإله منظورًا إليه من منظار الرحمت) وصفات جلال (الإله المنظور إليه من منظار الجبروت).

⁹⁰⁹Ludwig Feuerbach, Principes de la philosophie de l'avenir, p. 180 : « ... l'essence de Dieu même de n'être objet pour aucun être extérieur à l'homme, d'être un objet spécifiquement humain, d'être un secret de l'homme ». In Ludwig Feuerbach, Manifestes philosophiques : Textes choisis.

⁹¹⁰André Birmelé, Pierre Bühler, Introduction à la théologie systématique, Edicoes Loyola, 2008.p. 493.

⁹¹¹Ludwig Feuerbach, Manifestes philosophiques : Textes choisis (1839-1845), p. 71 : « ... objet religieux existe dans la conscience de Dieu est la conscience de soi de l'homme, la connaissance de Dieu est la connaissance de soi de l'homme ». Voir Revue d'histoire et de philosophie religieuses, Volume 48, PUF, 1968, p. 5.

⁹¹²Ludwig Feuerbach, L'essence du christianisme, p. 175 : « Éléments naturels [et] innés en l'homme ».

⁹¹³Ibid : « ... le contenu et l'objet de la religion est totalement humain ».In Ludwig Feuerbach : Manifestes philosophiques : Textes choisis.

⁹¹⁴Adriaan Tpeperzak, Le jeune Hegel et la vision morale du monde, Springer Netherlands, 1969, p. 103 : « Car notre Dieu n'est autre chose que de miroir (Spiegel) reflétant ce que nous sommes nous — mêmes". Voir Karl Löwith, From Hegel to Nietzsche, The Revolution Century though, trans by Daivd Green, London, Constable 1965.

⁹¹⁵عند التحقيق في ما نصلح عليه ب "إله الريدة" لدى الأشاعرة في سياق مسألة التحسين والتقيح، نلفي أن مذهب سلف الحنابلة وخلفهم في هذه المسألة هو نفسه مذهب الأشاعرة، بل صرحوا أنه مذهب الإمام أحمد وبعض الأصوليين من المالكية والشافعية.. ينظر :

علي بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق : د. عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ، ج 1/ص 26؛ ينظر : عبد السلام بن تيمية، عبد لحليم بن تيمية، أحمد بن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق : د. أحمد الذروي، الرياض، دار الفضيلة، ط 1، 1422هـ، ج 2/ص 854؛ ينظر : محمد بن مفلح، أصول الفقه، تحقيق : د. فهد السدحان، السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1، 1420هـ، ج 1/ص 149؛ يُنظر : علي بن سليمان، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، قطر، وزارة الأوقاف

وَيُسَبِّهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مَفْهُومَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِاعْتِبَارِهَا الْمَبْدَأَ الْمُطْلَقَ وَالْمُحَايِثَ وَالْوَاجِبَ الَّذِي لَا يَغْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَكُونُ كَائِنٌ مَنْ كَانَ إِلَّا بِهِ ، هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا نَعَزَّزُهَا بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَخَصِّصُ غَوْتز goetz مِنْ أَنَّ فِكْرَةَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، بِمَا هِيَ مَنْتَوَجٌ مَفْهُومِيٌّ خَالِصٌ لَا يُفَسِّرُ شَيْئاً ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ تَغْيِيرٌ عَنْ عَقِيدَةٍ مِيتَافِزِيقِيَّةٍ ، لَيْسَتْ إِلَّا بَدِيلًا عَنْ فِكْرَةِ اللَّهِ ⁹¹⁶.

فَلَيْتُنَّ كَانَ مِنْ لَوَازِمِ قَوْلِ الْأَشَاعِرَةِ: "إِنَّ الْحَسَنَ وَالْقُبْحَ لَيْسَا صِفَتَيْنِ ذَاتِيَّتَيْنِ فِي الْأَشْيَاءِ وَالْعَقْلِ لَا يُوجِبُ شَيْئاً ، لَا حُسْناً وَلَا قُبْحاً ، وَلَا امْتِنَاعَ عَلَى اللَّهِ الْمُرِيدِ أَنْ يُحَسِّنَ الْقُبْحَ وَيُقَبِّحَ الْحَسَنَ لَوْ شَاءَ ذَلِكَ" ⁹¹⁷ ، - وَهُوَ الْحُكْمُ الَّذِي نَبَسَ بِهِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَجُمْهُورُ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ ؛ إِذْ حَكَمُوا أَنَّهُ يَصِحُّ فِي حُكْمِ الْعَقْلِ أَنْ يُقَبِّحَ الشَّارِعُ مَا حَسَّنَهُ الْعَقْلُ وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ ⁹¹⁸ - كَوْنُ الْأَشْيَاءِ وَالْأَفْعَالِ فِي ذَاتِهَا قَبْلَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْمُرِيدِ عَلَى الْإِبَاحَةِ مَعْدُومَةٌ الْقِيَمَةِ ، فَإِنَّ مِنْ لَوَازِمِ أُطْرُوحَةٍ نِيْتَشَةِ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُرِيدِ انْعِدَامَ الْقِيَمَةِ قَبْلَهُ أَوْ مِنْ دُونِهِ ، فَلِأَشْيَاءِ وَالْأَفْعَالِ بِهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَتْ بِحَسَنَةٍ وَلَا قَبِيحَةٍ لَوْ لَمْ تَكُنْ إِرَادَةُ الْمُرِيدِ خَالِفَةً لِلتَقَاوِيمِ. فَكَمَا يَلْزَمُ مِنَ اللَّهِ الْمُرِيدِ اقْتِفَارُ الْقِيَمَةِ إِلَى قَوَامِ ثَابِتٍ ، ذَلِكَ أَنَّهَا تَتَلَوَّنُ عَلَى حَسَبِ مُطْلَقِ مَشِيئَتِهِ وَهُوَ مُفَادٌ نَسْخِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ فِي الْإِسْلَامِ ؛ مِثْلَمَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُرِيدِ لَدَى نِيْتَشَةِ تَغْيِيرِ الْقِيَمِ الَّتِي يَخْلُقُهَا عَلَى حَسَبِ الْمَقَامَاتِ وَتَحْكُمِيَّةِ الْإِرَادَةِ وَهَذَا هُوَ فَحْوَى قَوْلِهِ بِالْخَلْقِ الْمُتَجَدِّدِ لِلْقِيَمِ.

والشؤون الإسلامية ، ط 1 ، 1434 هـ ، ج 1 / ص 97 ؛ ينظر : محمد بن أحمد ، صرح الكوكب المنير ، تحقيق : محمد الزحيلي ، ونزبه حماد السعودية ، مكتبة العبيكان ، ط 2 ، 1418 هـ ، ج 1 / ص 301.

⁹¹⁶K.A.Goetz, nietzsche als ausnahme. Zur zerstörung des willens zur macht, Freiburg, 1949, p. 67. In Jean Granier, le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 374.

⁹¹⁷ينظر : أبو المعالي الجويني ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ضبطه تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2009 ، ص 210 حتى ص 221. أو ينظر طبعة دار الخانجي ، 1950 ، ص 258 وما بعدها. ينظر : فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص : 202 ، المطبعة الحسينية المصرية ، 1905. ينظر : الشريف الجرجاني ، شرح المواقف ، ج 8/صص 181-182 ، دار الكتب العلمية ، 1998. ينظر : عضد الدين الإيجي ، المواقف ، ص 323 ، ينظر : سعد الدين التفتازاني ، شرح المقاصد ، ج 4/282 ، عالم الكتب ، 1998. فالأشاعرة نفوا أن يكون الفعل الذي يتعلق به المدح أو الذم عاجلاً ، والثواب والعقاب أجلاً ، كالتطاعات والمعاصي ، عقلياً ، بمعنى أن العقل يدرك كون الفعل حسناً أو قبيحاً ؛ لأن الأفعال كلها سواسية ليس شيء منها في نفسه بحيث يقتضي مدح فاعله وثوابه ، ولا ذمه وعقابه. وإنما صارت أفعال المكلفين يتعلق بها المدح والثواب ، أو الذم والعقاب ، بوساطة أمر الشارع ونهيه ؛ فما أمر به كان حسناً بمعنى : أن فاعله يمدح ويثاب على فعله ، وما نهى عنه كان قبيحاً بمعنى : أن فاعله يذم ويعاقب على فعله. ولو عكس الشارع الأمر فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه كان ذلك جائزاً. فالحسن والقبح على هذا شرعيان لا عقليان. ينظر أبو المعالي الجويني ، الإرشاد ، ص 258. ينظر : شمس الدين الأصفهاني ، شرح مطالع الأنظار على متن طوابع الأنوار ، ص 195 ، المطبعة الخيرية ، 1323 هـ.

⁹¹⁸ينظر : أحمد بن إدريس القرافي شهاب الدين أبو العباس ، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، المحقق : مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر ، دار الفكر. 1424 هـ - 2004 م ، ص 88 ؛ ينظر : إبراهيم بن موسى المشهور بالشاطبي ، الموفقات ، ج 3 / ص 28 ؛ ينظر : أبو عبد الله محمد بن عمر/فخر الدين الرازي ، المحصول في علم الأصول ، طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1418 هـ 1997 م ، ج 1 / صص 123 - 124 ؛ ينظر : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، تحقيق محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، 1421 هـ - 2000 م ، ج 1 / صص 106-116-120-136-139 ؛ ينظر : عبد الله بن أحمد ، روضة الناظر ، مؤسسة الريان ، ط 2 ، 1423 هـ ، ج 1 / ص 244 ؛ ينظر : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثانية ، 1411 هـ - 1991 م ، ج 8 / ص 492.

تفصيلاً للمذكور سابقاً، ثمة تشابه ما بين مسلك نيتشه في نفي التحسين والتقبيح العقليين من طريق نفي معيارية الفعل في تحديد الحكم الأخلاقي من وجه ونفي حرية الاختيار من وجه آخر - وهو مسلك نظري يتأسس على الإرادة بما هي مجموع من الغرائز اللاواعية التي يتوقف عليها الوعي في أهوائه وأحاسيسه وأفكاره، بما هي قوام العالم من جانب وقوام الذات المقيمة من جانب آخر - ومسلك الأشاعرة في افتراض مقولاتهم في تأسيس التحسين والتقبيح على الإرادة الإلهية لا على العلم الإلهي، بمقولاتهم في جبرية الإنسان⁹¹⁹.

ولأغرابة أن تتشابه أيضاً مقولة نيتشه بمقولة الأشاعرة في نفي التعليل؛ إذ لا تتوقف الأحكام الخلقية لدى النموذج السيّد على أية أسباب غائية، ما دامت دوافع هذا النموذج ليست جلب المنافع ولا دفع المفاسد، لأنه لا يتحرك على وجه الحقيقة إلا بداعي طمح القوة التي تريد دون حد خارجي يقيدّها، كذلك نرا الأشاعرة إلى عدم تعليل أحكام الشارع، لأن التعليل معناه أن أحكام الله المرید متوقفة على مصالح ومفاسد معينة قائمة بذاتها وفي هذا حدّ لقدرته المطلقة⁹²⁰، أو أنها منوطة بمصالح العباد وفي ذلك قلب لمنطقي الشريعة التي جاءت لمراعاة إرادة الخالق لا إرادة وأحوال المخلوقين⁹²¹.

ومن البدهي أن يتعارض هذا الحد من بغض الوجوه مع إرادة الاقتدار من حيث هي مبدأ أونطولوجي مطلق يعبر عن نفسه أيما تعبير في الإنسان المرید كما يتعارض لدى الأشاعرة مع مطلقيّة الإرادة الإلهية، لكن التحقيق في المسألة يحدونا على القول إن كلا المسلكين الفلسفي (نيتشه) واللاهوتي (سادة الأشاعرة) يفضيان إلى عكس ما يرميان إليه، إذ الإرادة هي أكثر الأشياء ثقلًا تبعًا لتغيرات وتنوعات المراتب، وهي نفسها قيد تجعل صاحبها خاضعاً للمراد على تنوعه وتغيره، لذلك يلزمها كي تتلافى هذا المنزلق شيئاً مغايراً يعمل بمثابة صمام أمان أو لجام يضطلع بدور وقاية المرید من الوقوع في أحابيل إرادته أو في الاستعمال التعسفي لها.

⁹¹⁹ قال الإيجي: "إن العبد مجبور في أفعاله، وإذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقاً. بيانه: إن العبد إن لم يتمكن من الترك فذلك هو الجبر، وإن تمكن ولم يتوقف على مرجح بل صدر عنه تارة ولم يصدر عنه تارة أخرى من غير سبب كان ذلك اتفاقاً، وإن توقف على مرجح لم يكن ذلك من العبد، وإلا تسلسل ووجب الفعل عنده، وإلا جاز معه الفعل والترك فاحتاج إلى مرجح آخر وتسلسل، فيكون اضطرارياً، وعلى التقادير فلا اختيار للعبد فيكون مجبوراً". الإيجي، المواقف، ص: 324. ينظر أيضاً الشريف الجرجاني، شرح المواقف، ج 8/ص 185، 186. وشرح المقاصد للفتازاني ج 2/ص 149.

⁹²⁰ "قالوا لو كان حسن الفعل وقبحه لذاته أو لصفاته للزم أن يكون الباري غير مختار في الحكم! وبيانه: أن الفعل لا بد له من حكم شرعي، وهذا الحكم الشرعي إما أن يكون موافقاً للحسن لذاته المعلوم بالعقل أو مخالفاً له، والثاني باطل بصريح العقل لكونه لا يليق بالله تعالى، والأول يلزم منه أن يتعين على الباري الحكم عليه بحسب المعقول ولا يصح تركه وهذا ينافي الاختيار". ينظر شرح المقاصد للفتازاني، ج 4/ص 288.

⁹²¹ نجد في هذا الموضوع أيضاً تشابهاً عجباً بين الإله الإسلامي والإنسان النيتشوي؛ ذلك أن الأسياد في لغة نيتشه لا يلتفتون في عرض تشريعاتهم الأخلاقية (أي أثناء فعالية خلق المعاني على الأشياء) إلى أحوال الناس (العامة)؛ فهم يفعلون ذلك من علياء ذاتيتهم المقتدرة، شاء الناس ذلك أو أبوا؛ أجرى عليهم ذلك بالمنافع أو بالمفاسد؛ هذا التعالي الإغولوجي تنتفي معه أي غيرية أخلاقية كما نطّر لها كائط أو لفيناس؛ ويصبح العالم الجماعي في شقه البيئي والحيواني والإنساني مهدداً باستمرار بأنا إرادوي لا يرى إلا نفسه.

مَا فَتَى رُوسُو يَرْفُضُ تَأْسِيسَ الشَّانِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ ، لَا سِيَّمَا مَسْأَلَةَ الشَّرْعِيَّةِ وَالْحَقِّ ، عَلَى مِغْيَارِ الْقُوَّةِ⁹²² ، ذَلِكَ أَنَّ مُعْجَبِيَّةَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (وَلَا الذَّاتَ الَّتِي تَتَّصِفُ بِهِمَا) لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ مِغْيَارًا لِتَحْدِيدِ الْقِيَمَةِ ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ عَلَى صَعِيدِ مَعْرِفِيٍّ أَمْ عَلَى صَعِيدِ أَخْلَاقِيٍّ ؛ لَا هِيَ صَالِحَةٌ عَلَى صَعِيدِ قَانُونِيٍّ وَلَا عَلَى صَعِيدِ سِيَّاسِيٍّ. فَعَلَى صَعِيدِ الْمَعْرِفَةِ مَثَلًا ، مَهْمَا كَانَتِ الذَّاتُ الْمُرِيدَةُ مُتَّصِفَةً بِالْقُوَّةِ وَالْاِقْتِدَارِ ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تَجْعَلَ مَجْمُوعَ زَوَايَا الْمَثَلِثِ أَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ 180 درجةً ، وَبِعَاقِبَةِ مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةً وَمُقْتَدِرَةً لَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ كِفَايَةً⁹²³ لِضَمَانِ اسْتِمْرَارِهَا وَاسْتِمْرَارِ الْقِيَمَةِ الَّتِي تَخْلُقُهَا.

إِنْ تَأْسِيسَ الْقِيَمَةِ عَلَى الْقُوَّةِ وَمِنْ ثَمَّ تَأْسِيسَ الْحَقِّ نَفْسِهِ (أَكَانَ سِيَّاسِيًّا أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ) عَلَى الْقُوَّةِ ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْقِيَمَةَ بِعَاقِبَةِ الْقُوَّةِ وَالْحَقَّ بِخَاصَّةٍ زَائِلَانِ عَرَضِيَّانِ ؛ فَمَهْمَا قُوَّةٍ يَصُوغُهُمَا ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضْمَنَ بَقَاءَهُمَا إِلَّا بِمِقْدَارِ بَقَاءِ قُوَّتِهِ ، وَهَكَذَا تَتَغَيَّرُ التَّشْرِيعَاتُ وَيَتَبَدَّلُ التَّحْسِينُ وَالتَّقْصِيقُ طَبَقًا لِتَغَايِبِ الْقُوَّةِ الْمُسَيِّطَةِ⁹²⁴. فَإِذَا كَانَ نِيَّتُهُ قَدْ فَكَّرَ الْقِيَمَةَ مُفْرَدًا الْإِرَادَةَ بِالْقُوَّةِ وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ فِي أَفْقِ الْاضْطِرَارِ وَالَّتِي تَتَحَرَّكُ ضِمْنَ طَبِيعَانِيَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ ، فَإِنَّ رُوسُو قَدْ فَكَّرَ الْقِيَمَةَ [بِمَا فِي ذَلِكَ قِيَمَةُ الْحَقِّ] رَابِطًا بَيْنَهَا وَالْإِرَادَةَ فِي أَفْقِ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ ضِمْنَ نُحُومِ الْفَضِيلَةِ ، لِذَلِكَ انْتَهَى الْأَوَّلُ إِلَى جَعْلِ التَّشْرِيعَاتِ وَالتَّعَاقُذَاتِ النَّافِذَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْحُرِّيَّةِ فِي إِطَارِ الذِّهْنِيَّةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ مَكْرًا مِنَ الضَّعْفَاءِ الْكَثَرِ ، فِي حِينِ

⁹²²See Julie; Or, the New Heloise : Letters of Two Lovers Who Live in a Small Town at the Foot of the Alps. Trans. philip. Stewart and Jean Vaché. Vol. 6 of The Collected Writings of Rousseau, 474 [OC, II : 579]; Discourse on the Origin and the Foundations of Inequality Among Men. In The Discourses and Other Early political Writings, ed. Victor Gourevitch. Cambridge : Cambridge University Press, 186 [III : 191 Letters Written from the Mountain. In Letter to Beaumont, Letters Written from the Mountain, and Related Writings, ed. Christopher Kelly and Eve Grace. Vol. 9 of The Collected Writings of Rousseau, 239 [III : 815]; "Rousseau, Jean-Jacques [1758] 1997. "The State of War." In The Social Contract and Other Later political Writings, ed. Victor Gourevitch. Cambridge : Cambridge University Press, 162 [III : 609]; History of the Government of Geneva. In Letter to Beaumont, Letters Written from the Mountain, and Related Writings, ed. Christopher Kelly and Eve Grace. Vol. 9 of The Collected Writings of Rousseau, 203 [V : 499]. See Emile, or On Education. Trans. Allan Bloom. New York : Basic Books, 459 [IV : 838].

⁹²³Jean-Jacques Rousseau, Du contrat social, Les classiques du peuple, Editions Sociales, 1968, Préface et Commentaires par Jean-Louis Le cercle, III. Du droit du plus fort, p. 58 « Le plus fort n'est jamais assez fort pour être toujours le maître, s'il ne transforme sa force en droit et l'obéissance en devoir. De là le droit du plus fort ».

"...ليس القوي البتة قويًا بما فيه الكافية كي يكون سيدًا على الدوام ، إذا لم يُحوَّل قوته إلى حقٍ وطاعته إلى واجبٍ و من هنا يتأتى حق الأقوى".

⁹²⁴David Lay Williams, Rousseau's Social Contract : An Introduction, Cambridge University Press, 2014, The Right of the Strongest, p. 41 : « The nature of this kind of natural right, however, is ephemeral, according to Rousseau. Right can only be sustained so long as one actually possesses power. The moment a stronger force asserts itself is the moment power is transferred and natural "right" is changed — from being the will of the first powerful force to the will of the second ».

خُصَّ الثاني إلى أنَّ التَّدِيرَاتِ السِّياسِيَّةَ مِنْ كَيْدِ الْأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ يَخْتَلِقُونَ تَعَاقُدَاتٍ زَائِفَةً لِإِخْضَاعِ الضُّعَفَاءِ الْأَعْلِيَّةِ⁹²⁵.

لَا يَعْزُبُ عَنَّا أَنَّ مَنَظِقَ الْقُوَّةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ ابْتِدَاعٍ نَبْتَشُهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَإِنَّمَا التَّارِيخُ الْغَرِيبُ يَكْشِفُ لَنَا عَنْ فَلَاسِفَةٍ قُدِّمَاءَ أَوْرَدَهُمْ أَفْلَاطُونُ فِي مُحَاوَرَةِ جُورْجِيَّاسِ وَالْجُمْهُورِيَّةِ وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يَكُونُوا لِنَبْتَشِهِ سَلَفًا ؛ نَذْكُرُ مِنْهُمْ كَالِيكَلِيسَ الَّذِي صَرَّحَ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ تُعَلِّمُنَا نَقِيضَ مَا يُعَلِّمُنَا سُقْرَاطُ أَنَّهُ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ الْأَقْوَى بِأكْبَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَهَذَا الْقَانُونُ عَلَى حَدِّ ادِّعَائِهِ سَدِيدٌ فِي الْعَالَمِ الْحَيَوَانِيِّ وَالْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ دُونَمَا مَيَّزَ ، وَالْحَيَدُودَةُ عَنْ ذَلِكَ انْتِهَاكٌ لِلْمَجْرَى التَّلْقَائِيِّ لِلْعَالَمِ وَانْتِزَاعُ السُّلْطَةِ مِنْ أَيْدِي الْأَقْوِيَاءِ وَوَضْعُهَا فِي أَيْدِي الْأَكْثَرِ عَدَدًا (الضعفاء) زَيْغُوعَةٌ عَنِ النَّمُوسِ الطَّبِيعِيِّ.

وَمِنْ الْمُفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ كَالِيكَلِيسَ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهَذَا الرَّأْيِ ، فَقَدْ تَلَا تَلَوُّهُ كَرِيتِيَّاسُ الَّذِي رَأَى فِي الْقَانُونِ أَدَاءً شَعْبِيَّةً لِتَرْوِيضِ الْأَقْوِيَاءِ وَلَقَدْ جَرَى تَرَاثِيمَاخُوسُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ أَيْضًا جَاعِلًا قَوَانِينَ الدَّوْلَةِ اخْتِرَاعَ الضُّعَفَاءِ الَّذِينَ مِنْ قُوَّةِ كَيْدِهِمْ اسْتَحْدَمُوا حِيلَةً ابْتِغَاءَ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ⁹²⁶ ، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا كَالِيكَلِيسُ الَّذِي صَرَّحَ إِنَّ الْأَرَاءَ السَّائِدَةَ وَالْقَوَانِينَ الْمُتَعَقِّدَةَ إِذَا لَمْ تَعْتَرَفْ بِحَقِّ الْأَقْوَى مَبْدَأً ، فَإِنَّ ضَعْفَ الْأَعْلِيَّةِ مِنَ الرِّجَالِ هُوَ الَّذِي يَسُوِّفُهَا إِلَى ذَلِكَ وَمِنْ ثَمَّ فَمِنْ وَرَاءِ سَنٍ مَا يَقِيهَا شَرُّ الْأَقْوِيَاءِ وَمَا يَدْرُ عَلَيْهَا الْمَنَافِعَ ضَعْفٌ وَضَعَةٌ ؛ وَلَا غَرَوْ مِنْ أَنْ تَتَوَسَّلَ ، فِي سَبِيلِ جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَرِّ الْمَفَاسِدِ ، الْمُسَاوَاةُ فِي الْحَقُوقِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنْ سَنَنِ الْقَوَانِينِ وَالْعَوَائِدِ ؛ لَكِنَّ الطَّبَائِعَ الْقَوِيَّةَ لَا تُنْسِكُ نَفْسَهَا عَنْ اتِّبَاعِ قَانُونِ الطَّبِيعَةِ الْحَقِّ بِاعْتِبَارِهِ الْمَصْلَحَةَ الشَّخْصِيَّةَ.

وَلَكِنْ كَانَتْ الطَّبِيعَةُ تُبَرِّرُ سُلُوكَاتٍ فِي نَظَرِ الْقَانُونِ خَاطِئَةً ، فَإِنَّ مَرْجَعَ ذَلِكَ إِلَى كَوْنِ الْقَانُونِ صُنْعَةً الضُّعَفَاءِ غَيْرِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْارْتِقَاءِ فَوْقَ الْحُشُودِ ؛ وَمِنْ هَوَانٍ عَجَزِهِمْ هَذَا يَغْمِدُونَ إِلَى سَنَنِ الْقَوَانِينِ خِدْمَةً لِمَصَالِحِهِمْ وَاحْتَوَاءً لِللُّوْثَاتِ النَّزَوَعِيَّةِ لِلأَقْوِيَاءِ وَلَا مَنَاصَ لَهَا مِنْ أَجْلِ كَيْحِ هَذَا الصَّنْفِ الْآخِرِ مِنْ أَنْ يَسْتَوْا الْقَوَانِينَ بِمَا يَرُوقُ لَهُمْ وَمِنْ أَنْ يُحَدِّدُوا مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ⁹²⁷ ، وَجَرِيًا عَلَى هَذَا الْمُنْهَاجِ يُقَرَّرُ الضُّعَفَاءُ بِأَنَّ كُلَّ رَغْبَةٍ فِي الْاِقْتِدَارِ *velléité de puissance* وَكُلِّ أَفْضَلِيَّةٍ (تَفُوقٍ)

⁹²⁵David Lay Williams, Rousseau's Social Contract : An Introduction, p. 43 : « This fact is confirmed in the narrative of his Second Discourse, where the strong, in the form of the clever propertied class, dupe the weak into signing a sham social contract. Here the strong sway "crude, easily seduced men" into political arrangements that guarantee their own subjection ».

⁹²⁶من الجدير مقارنة هذا الرأي مع رأي نيتشه الذي يعلل أيضا على هذا النحو :

PBM, " Nos vertus ", § 219 : « Les jugements moraux et les condamnations morales constituent la vengeance favorite des esprits bornés à l'encontre de ceux qui le sont moins... ».

⁹²⁷Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset, Texte établi par Alfred Croiset et Louis Bodin, Les Belles Lettres, 1923, Œuvres complètes de Platon, Tome III, deuxième partie, 483 b.

(τὸ πλεον τῶν ἄλλων ζητεῖν) وكلَّ إرادةٍ للارتقاء فوق الآخرين (πλεονεξία) (ἐχειν) قَبِيحَةٌ وَجَائِرَةٌ⁹²⁸.

فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا السُّفْسَطَانِيَّةِ وَحَدَهَا الطَّبِيعَةُ جَدِيرَةٌ أَنْ تَهَبَ أَسَاسًا لِلسُّلُوكَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ (ἀποφαίνει) عَنِ الْإِنْصَافِ [العدل] فِي حُكْمِ الْأَفْضَلِ (ἀμείνω; βελτίων) وَالْأَقْدَرِ (ἀμείνω; βελτίων) لِلْأَضْعَفِ (ἥττων) وَلِمَنْ هُوَ أَقْلُ شَأْنًا (χειρόνος)، لِذَلِكَ تُعَدُّ السَّيْطَرَةُ الَّتِي يُمَارِسُهَا الْأَقْوَى (δυνατώτερον) عَلَى الْأَضْعَفِ (ἥττονος) مِغْيَارًا مُحَدَّدًا لِلْعَدَالَةِ^{929 930}، وَمِنْ ثَمَّ فَمَا افْتَرَقَهُ الْمَلِكُ دَارِيُوش Darius فِي حَقِّ السَّكِيثِينَ وَالْمَلِكُ خَشَايَارْشَا Xerxès فِي حَقِّ الْإِغْرِيقِ مُوَافِقٌ لِلطَّبِيعَةِ الْحَقِّ بِمَا هِيَ حَقُّ الْأَقْوَى (φύσις τοῦ δικαίου) لِأَنَّهَا تُسْفِرُ عَنِ الْقَانُونِ الطَّبِيعِيِّ (φύσις τοῦ δικαίου)⁹³¹، يَبْنِي الْقَوَانِينَ الَّتِي سَتَبْهَا الضَّعْفَاءُ عَرَاقِيلُ لِمَا تَأْمُرُ بِهِ الطَّبِيعَةُ Injonction de la nature عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ كَالِيْكَلِسَ، لِأَنَّهَا لَا تَهْتَدِي بِنُورِ الطَّبِيعَةِ.

وَمِمَّا يَنْقُضُ مِيثَاقَ الطَّبِيعَةِ إِذْنٌ وَيَتَنَكَّلُ عَنِ امْتِثَالِ أَوَامِرِهَا، فَصُلُّ الْأَقْوِيَاءِ عَنْ طَبِيعَتِهِمْ مِنْ طَرِيقِ إِفْسَادِهِمْ مِذَّ الصِّغَرِ بِالتَّرْبِيَةِ الْخَسِيسَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى هَذِي الْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ لَا الطَّبِيعِيِّ، وَهَكَذَا تُؤْخَذُ أَفْضَلُ الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَوْهَبَةً فِي سِنِّ مُبَكَّرَةٍ لَاسْتِعْبَادِهِمْ وَلِيُخَدِّمُوا مَنْ هُمْ أَقْلُ مِنْهُمْ قُدْرَةً

⁹²⁸Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset : « La loi, au contraire, est faite par les faibles et par le grand nombre. C'est donc par rapport à eux-mêmes et en vue de leur intérêt personnel qu'ils font la loi et qu'ils décident de l'éloge et du blâme pour effrayer les plus forts, les plus capables de l'emporter sur eux, et pour les empêcher de l'emporter en effet, ils racontent que toute supériorité est laide et injuste, et que l'injustice consiste essentiellement à vouloir s'élever au-dessus des autres ».

⁹²⁹Ibid, Trad. Alfred Croiset, 483 c-d : « Mais la nature elle-même, selon moi, nous prouve qu'en bonne justice celui qui vaut plus doit l'emporter sur celui qui vaut moins, le capable sur l'incapable. Elle nous montre partout, chez les animaux et chez l'homme, dans les cités et les familles, qu'il en est bien ainsi, que la marque du juste, c'est la domination du puissant sur le faible et sa supériorité admise ».

⁹³⁰يُرْجَى مَقَارَنَةُ هَذِهِ الْأَطْرُوحَةِ الطَّبِيعَانِيَّةِ بِمَا قَرَّرَهُ نَبْتَشَهْ فِي إِحْدَى شَذُورِهِ مِنْ أَعْمَالِ التَّرَكَّةِ حَيْثُ يَقَرَّرُ أَنَّ الْفَرْقَ [بِمَعْنَاهِ التَّفَاضُلِي] يَسُودُ فِي أَصْغَرِ أَشْيَاءِ الطَّبِيعَةِ، ثُمَّ يَسْتَخْلَصُ نَتِيجَةً عَامَةً بِنَاءً عَلَى الْحُجَّةِ الطَّبِيعَانِيَّةِ مُفَادَهَا بِطُلَانِ الْمَسَاوَاةِ.

FP, M III 1, printemps-automne 1881 : [132] : « ... la différence règne dans les plus petites choses, dans les spermatozoïdes, les ovules — l'égalité est un grand délire ».

⁹³¹Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset, 483 e : « De quel droit, en effet, Xerxès vint-il porter la guerre dans la Grèce, ou son père chez les Scythes ? et combien de cas semblables on pourrait citer ? Mais tous ces gens là agissent, à mon avis, selon la vraie nature du droit ».

وَمَوْهَبَةً وَتَحْتَ سَطْوَةِ التَّعَاوُذِ وَالْمَسَاخِرِ يُفْنِعُوهُمْ بِأَنَّهُ فِي الْمُسَاوَاةِ مَعَ الْجَمِيعِ يَكْمُنُ الْجَمَالُ وَالْعَدَالَةُ⁹³².

إذا كانتِ الْفَلَسَفَةُ السُّفْطَائِيَّةُ وَنِتَشُهُ بَعْدَهَا يُؤَيِّسُونَ لِاتِّصَالِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَمَا تَسْتَطِيعُ الْمُضْيِ إِلَيْهِ أَوْ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَمَا فِي مُكْنَتِهَا تَحْقِيقُهُ، فَإِنَّ سَقْرَاطَ يَقْدِمُ لَنَا تَأْمَلَاتٍ تَفْصِلُ الْقُوَّةَ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ عَمَّا تَقْتَدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْفَصْلُ هُوَ مَا يَجْعَلُ الْقَانُونَ مُمَكِّنًا؛ إِذْ لَوْ كَانَتِ الْقُوَّةُ مُتَّصِلَةً عَلَى نَحْوِ ضَرُورِيٍّ بِمَا فِي وَسْعِهَا فِعْلُهُ، لَتَعَذَّرَ سَنُّ قَوَانِينِ تَفْصِلُ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةَ عَنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْمَنْهِي عَنْهَا⁹³³.

لَمْ يَكُنْ لِسَقْرَاطَ فَيْلسُوفِ الْعَقْلَانِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ أَنْ يَخْلُدَ إِلَى رَأْيِ كَالِيكَلِسِ الْعَاثِرِ، إِذْ سُرْعَانَ مَا شَرَعَ فِي قَلْبِ حُجَّةِ كَالِيكَلِسِ بِوَاسِطَةِ سُلْسِلَةٍ مِنَ الْمَسْأَلَاتِ، مِنْ بَيْنِهَا ذَانِكَ السُّوَالَيْنِ: إِذَا كَانَ الضَّعْفَاءُ يُؤَلَّفُونَ الْعَدَدَ الْأَكْبَرَ، أَفَلَا يَكُونُونَ حِينَئِذٍ أَقْوَى مِنَ الْأَقْوِيَاءِ؟ أَفَيَعْنِي هَذَا أَنَّهُمْ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْهُمْ؟⁹³⁴، مَا أَبْرَزَ تَنَافُضَاتٍ كَثِيرَةً فِي مِغْيَارِيَّةِ الْقُوَّةِ لَدَى كَالِيكَلِسِ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَى إِفْرَارِ الْمُسَاوَاةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَسْعَى فِيهِ لِإثْبَاتِ التَّفَاضُلِ بَيْنَ الْحَشُودِ الضَّعِيفَةِ وَالْأَقْلِيَّةِ الْمُقْتَدِرَةِ وَمِنْ ثَمَّ الْإِفْضَاءُ إِلَى تَنْصِيبِ الْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ قَانُونًا طَبِيعِيًّا عَلَى عَكْسِ مَبَانِي سُّفْطَائِيَّةِ كَالِيكَلِسِ⁹³⁵.

هَذَا مَا اضْطَرَّ كَالِيكَلِسِ إِلَى أَنْ يَقَرَّ بِأَنْ حَفَنَةً مِنَ الْحَثَالَةِ « Ramassis de canailles » لَا يُمَكِّنُ لَهُمُ الْبَتَّةَ أَنْ يَحْكُمُوا وَيَسُودُوا⁹³⁶ لِذَلِكَ لَيْسَ خَلِيقًا بِالْقَوَانِينِ أَنْ تَنْتَهِكَ التَّفَاضُلَ بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ الثُّبُلَاءِ وَالضَّعْفَاءِ الْعَوَغَاءِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤَسَّسَ الْعَدْلُ عَلَى الْمُسَاوَاةِ وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ ضَامِمًا لِانْتِصَارِ الْعَبِيدِ عَلَى الْأَسْيَادِ وَالضَّعْفَاءِ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَهَذَا مَا تَفَعَّلَهُ الْمُسَوِّسَةُ الْقَانُونِيَّةُ L'institution des lois التي هِيَ أَصْلًا

⁹³²Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset, (τὸ καλὸν καὶ τὸ δίκαιον, 484 a : « ... par Zeus, selon la loi de la nature, bien que ce soit peut-être contraire à celle que nous établissons, nous, et selon laquelle nous façonnons les meilleurs et les plus vigoureux d'entre nous, les prenant en bas âge, comme des lionceaux, pour nous les asservir à force d'incantations et de momeries, en leur disant qu'il ne faut pas avoir plus que les autres et qu'en cela consiste le juste et le beau ».

⁹³³ ليسَ هَذَا الْفَصْلُ إِلَّا الْحَرِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي عَلَيْهَا يَقُومُ الْفِعْلُ الْخَلْقِيُّ وَالْحُكْمُ الْخَلْقِيُّ؛ لِذَلِكَ لَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ سَقْرَاطَ فَيْلسُوفَ الْأَخْلَاقِ بَامْتِيَازٍ؛ إِذْ لَوْ لَا الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِمْسَالِ عَنِ الْفِعْلِ مَا كَانَ لِلْأَخْلَاقِ أَنْ تَكُونَ مُمَكِّنَةً، وَلَقَدْ وَعَى نِتَشُهُ ذَلِكَ، لِذَلِكَ أَدْرَكَ أَنَّ مَوْتَ الْأَخْلَاقِ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا إِلَّا بِمَوْتِ الْحَرِيَّةِ، وَلَقَدْ أَفْرَغَ نِتَشُهُ طَوْفَهُ لِقَتْلِ الْحَرِيَّةِ كَيْ يَنْجَسَ عَصْرُ الْإِلَاقِيَّةِ الْحَيَوِيَّةِ.

⁹³⁴Ibid, 487e.

⁹³⁵Ibid, 488 a : « Socrate. — N'est-il pas conforme à la nature que le grand nombre soit plus puissant que l'homme isolé ? Le fait est que c'est le nombre qui impose les lois à l'individu, comme tu le disais tout à l'heure. Calliclès. — Évidemment. Socrate. — Ainsi, les lois du grand nombre sont les lois des plus puissants ? Calliclès. — Sans doute. Socrate. — Donc aussi des meilleurs ? car les plus puissants sont, n'est-ce pas, d'après toi, les meilleurs ? Calliclès. — Oui. Socrate. — Et leurs lois sont belles selon la nature, puisqu'elles sont les lois des plus puissants ? Calliclès. — Oui. Socrate. — Mais le grand nombre n'est-il pas d'avis, comme tu le disais encore, que la justice consiste dans l'égalité et qu'il est plus laid de commettre l'injustice que de la subir ? ».

⁹³⁶Ibid, 488 c, In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade, 1940.

مِنْ صُنْعِهِمْ⁹³⁷ ، وَفِي ذَلِكَ انْتِهَاكَ لِلْعَدَالَةِ الطَّبِيعِيَّةِ⁹³⁸ الَّتِي تُسَوِّغُ وَتُشَرِّعُ سِيَادَةَ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، يَقُولُ كَالِيكَلِسُ: " مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا تَكْشِفُ الطَّبِيعَةُ أَنَّهُ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْيَا لِلأَرْفَعِ شَأْنًا عَلَى الْأَحْطِ شَأْنًا وَلِلَّذِي أُوتِيَ الْاِقْتِدَارَ الْفَائِقَ عَلَى الْمَحْرُومِ مِنَ الْفُدْرَةِ " ⁹³⁹ وَتَكْمُنُ الْعَلَامَةُ الْمُمَيَّزَةُ لِلْعَدْلِ إِذْنُ فِي أَنْ يَسُوسَ الْعَالِي السَّافِلَ وَيَمْتَلِكَ أَكْثَرَ مِنْهُ⁹⁴⁰ وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ أَنْ يُفْضِيَ هَذَا الْمَنْظُورُ إِلَى تَعْرِيفِ الْعَدَالَةِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ لَدَى ثِرَاسِيْمَاخُوسِ بِأَنَّهَا مَا هُوَ فِي صَالِحِ الْأَقْوَى⁹⁴¹ .

وَالْحَالُ أَنَّ نَيْتَشَةَ جَارٍ عَلَى أَسْلُوبِ كَالِيكَلِسِ فِي مُهَاهَاةِ الْقِيَمَةِ بِالْوَاقِعَةِ الطَّبِيعِيَّةِ ، إِذِ الْقَوَانِينُ الْإِنْسَانِيَّةُ غَالِبًا مَا تَزِيغُ عَنْ مَنَطِقِ الطَّبِيعَةِ الْاِرْتِقَائِيِّ وَتَحُولُ دُونَ اسْتِيفْرَاجِ إِمْكَانَاتِ الْاِقْتِدَارِ وَمِنْ ثَمَّةَ فِيهِ سَبَبٌ فِي اغْتِرَابِ الْقَوَى عَنْ قُدْرَاتِهَا مِنْ وَجْهِ وَغَيْرِ الطَّبِيعَةِ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ ، وَلِمُجَانِبَةِ هَذَا الْاِسْتِغْلَابِ الْقَانُونِيِّ يَقْدِمُ كَالِيكَلِسُ ، وَنَيْتَشَةُ الَّذِي ضَرَبَ عَلَى قَالِهِ ، تَصَوُّرًا طَبِيعَانِيًّا لِلْحَقِّ بِخَاصَّةٍ بَلِ الْقِيَمَةِ بِعَامَةٍ حَيْثُ الْعَدَالَةُ الْحَقُّ تَجْرِي بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ لَا بِمُوجِبِ نَوَامِيسِ الْبَشَرِ ، مُبَيِّنًا أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتَجَاهَلُ بَلِ تَسْتَخْفُ Faire fi بِكُلِّ الْمَعَايِيرِ وَالتَّنْظِيمَاتِ ، وَهِيَ السَّبِيلُ لِيُظْفَرَ الْإِنْسَانُ بِالسَّعَادَةِ وَهَذِي الطَّبِيعَةُ لَا تَكْبَحُ رَغْبَتَهُ فِي بَسْطِ سَيْطَرَتِهِ وَلَا مَدْوَحَةَ لِمَعْرِفَةِ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ عَنْ إِصَاخَةِ السَّمْعِ إِلَى الطَّبِيعَةِ لَا إِلَى الْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ ، ذَلِكَ أَنَّهَا السَّبِيلُ لِثَبَاتِ الذَّاتِ وَمَعْيَارِ الْحُسْنِ ، بَيْنَمَا نَفَى الذَّاتِ وَقَعُ مَا تُرِيدُهُ مَعْيَارُ الْقُبْحِ⁹⁴² .

وَإِذَا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ ، فِي سِيَاقِ هَذِي الرُّؤْيَا ، بِأَحْدُودٍ ، فَإِنَّ قَانُونَ الْبَشَرِ تَعْبِيرٌ عَنْ إِقْحَامِ غَيْرِ شَرْعِيٍّ لِحَدِّ عَقْلَانِيٍّ لِلرَّغَبَاتِ وَالْمَلَذَاتِ وَالْإِشْبَاعِهَا⁹⁴³ ، وَفِي هَذَا إِدْرَاكٌ لِلتَّعَارُضِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالطَّبِيعَةِ أَوْ بَيْنَ مَنَطِقِ الْعَقْلَانِيَّةِ Rationalité وَمَنَطِقِ الْجُسْمَانِيَّةِ Corporalité فِيمَا يُشْبِهُ تَقَرُّرَاتِ نَيْتَشَةَ الْاَلْحِقَةِ . لَقَدْ

⁹³⁷Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset, 482c.

⁹³⁸قارن بين هذه الأطروحة وما أورده نيتشه في نقيض المسيح حيث يقول :

AC, § 57 : « L'injustice n'est jamais dans l'inégalité des droits, elle est dans la prétention à des droits "égaux". »

⁹³⁹Platon, Gorgias, 483 d : « d'elle-même la nature révèle que ce qui est juste, c'est que celui qui vaut plus ait le dessus sur celui qui vaut moins et celui qui a une capacité supérieure sur celui qui est dépourvu de capacité ».

في ترجمة ألفريد كروازي :

Platon, Gorgias, Trad. Alfred Croiset, éd. Les Belles Lettres, 1923 : « la Nature, selon moi, nous prouve qu'en bonne justice celui qui vaut plus doit l'emporter sur celui qui vaut moins, le capable sur l'incapable ».

⁹⁴⁰Ibid, 483 e : « Le signe distinctif du juste, c'est que le supérieur commande à l'inférieur et ait plus que lui » .In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade, 1940.

يمكن ترجمة المقطع مستلهمًا من القرآن [جَعَلْنَا غَالِيَهَا سَافِلَهَا] ب: " يحكم عالي [القوم] سافله " .

⁹⁴¹Ibid, In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade, 1940.

⁹⁴²Emmanuelle Jouët-Pastré, Le plaisir à l'épreuve de la pensée : Lecture du Protagoras, du Gorgias et du philèbe de Platon, Edition BRILL, 2018, pp. 63-64.

⁹⁴³Ibid, p. 65.

أَرَادَ الضُّعْفَاءُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ كَبَتَ الْاِقْتِدَارِ ، وَنَظَرًا لِعَجْزِهِمْ عَنْ إِشْبَاعِ أَهْوَائِهِمْ قَامُوا بِقَلْبٍ مَفْهُومِ الشَّرِّ⁹⁴⁴ ؛ يُعْرِبُ كَالِيكَلِيسِ عَنْ ذَلِكَ : "لَقَدْ أَدَانُوا الرِّجَالَ الْأَشْدَاءَ بِسَبَبِ الْخِزْيِ الَّذِي يَدْفَعُهُمْ إِلَى إِخْفَاءِ عَجْزِهِمْ. مُغْلِبِينَ أَنَّ الشَّرَّ شَيْءٌ مُخْزٍ، مُخْضِعِينَ لِلرَّقِ، كَمَا قُلْتُ سَالَفًا، أَحْسَنَ الرِّجَالِ وَفَقَّ الطَّبِيعَةِ، وَنَظَرًا لِاِفْتِقَارِهِمْ بِالذَّاتِ إِلَى السُّلْطَانِ [لِلقُوَّةِ] لِإِشْبَاعِ رَغْبَاتِهِمْ، فَهُمْ يَمْتَدِحُونَ ضَبْطَ النَّفْسِ [العفة] وَالْعَدَالَةَ، بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ ! أَجَلْ، حَقًّا، أَهْنَاكَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْثَرُ مَدْعَاةً لِلْخِزْيِ وَأَكْثَرُ قُبْحًا مِنْ ضَبْطِ النَّفْسِ، بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَأَزُوا مِذَّ الْأَبْدَانَةِ بِكُونِهِمْ أَبْنَاءَ مُلُوكٍ أَوْ كَانُوا قَادِرِينَ، بِفَضْلِ فِطْرِهِمْ، عَلَى الظُّفْرِ بِالْحُكْمِ [بِالسُّلْطَةِ] أَكَانَ اسْتِبْدَادًا أَمْ سُلْطَةً غَلِيًّا ؟، وَفِي حَالَةٍ مَا أُتِيحَ لَهُمْ اَلْتَّمَتُّعُ بِالْخَيْرَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعَيِّقَهُمْ أَحَدٌ، أَفَيُخْذُونَ مِنْ قَانُونٍ وَكَلَامٍ وَذَمِّ الْعَدَدِ الْأَكْبَرِ سُلْطَةً عَلَيْهِمْ ؟ [أَفَيَجْعَلُونَ قَانُونَ وَكَلَامَ وَلَوْ الْعَدَدِ الْأَكْبَرِ حَكَمًا عَلَيْهِمْ ؟]⁹⁴⁵. فَأَتَى لِهَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَيَّاصُ أَسْخِيَاءَ بِسَبَبِ الْجَمِيلِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْعَدَالَةِ وَضَبْطِ النَّفْسِ ؟"⁹⁴⁶.

⁹⁴⁴Emmanuelle Jouët-Pastré, Le plaisir à l'épreuve de la pensée : Lecture du Protagoras, du Gorgias et du philèbe de Platon, p. 69.

⁹⁴⁵في ترجمة ليون روبيين لمحاورة جورجياس :

« Oui, en effet, pour ceux qui ont eu dès le principe l'avantage, ou d'être fils de rois, ou d'avoir été capables, par les ressources de leur propre nature, de se procurer une autorité quelconque, soit tyrannie, soit souveraineté, pour ces hommes qu'y aurait-il véritablement de plus laid et de plus mal qu'une sage modération ? Eux, à qui il est loisible, sans aucune entrave, de jouir de tout ce qui est bon, ils iraient se donner à eux-mêmes pour maître ce qui est décrété, formulé, condamné par la multitude ? ».

" ... أفيجعلون ما يشرعه ويقوننه ويدينه الجمهور سيدًا على أنفسهم ؟ أو يمكن ترجمة العبارة ب : " أفيتخذون ما يشرعه ويقوننه ويدينه الجمهور حَكَمًا على أنفسهم " أو ب " أفيتحكمون إلى ما يسنه ويشرعه ويدينه الجمهور".

⁹⁴⁶Platon, Gorgias, 492 a3-c3. Trad. d'Emmanuelle Jouët-Pastré accompagnée du texte grecque : « Ils blâment les hommes de cette trempe à cause de la honte qui est la leur à devoir dissimuler leur propre impuissance. Ils déclarent que l'intempérance est chose honteuse, réduisant en esclavage, comme je le disais précédemment, les hommes les meilleurs selon la nature, et faute de pouvoir eux-mêmes satisfaire leurs plaisirs, ils louent la tempérance et la justice, en raison de leur propre lâcheté ! Oui, bien sûr, pour ceux qui ont eu, dès le début, l'avantage d'être fils de rois, ou d'avoir été capables, grâce à leur nature, de se procurer un commandement, soit une tyrannie, soit un pouvoir suprême, que pourrait-il y avoir, en vérité, de plus honteux et de plus mauvais que la tempérance ? Alors qu'il leur est permis de jouir des biens sans que personne ne leur fasse obstacle, ils se donneraient à eux-mêmes pour maîtres la loi, le discours et le blâme du plus grand nombre ? Et comment ces hommes ne seraient-ils pas rendus malheureux à cause du beau qui est celui de la justice et de la tempérance... ? ».

لا يخفى على أهل التحقيق في المقارنات الفلسفية وجه التشابه بين أطروحة كاليكليس وأطروحة نيتشه، وحسبنا هذه الشذرة للتدليل على نسج نيتشه على منوال كاليكليس :

FP, N V 4, automne 1880, [163] : « Si l'on souhaite des hommes ordinaires et égaux, c'est parce que les faibles redoutent l'individu fort et préfèrent un affaiblissement général à un développement dirigé vers l'individuel. Je vois dans la morale actuelle un artifice flatteur pour dissimuler l'affaiblissement général ».

يَقُومُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَالِكَلِيكْسُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَفَاهِيمٍ أَسَاسِيَّةٍ: الْإِتِّدَاذُ وَالْإِفْلَاتُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْحُرِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ⁹⁴⁷ وَهُوَ مَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ هَذِهِ الشَّدْرَةُ: "أُنْصِتْ يَا سَفْرَاطُ، إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَمْتَنِّي قَفْوَ الْحَقِيقَةِ [تسعى إلى الحقيقة]، حَسَنًا! هَا هِيَ ذِي الْحَقِيقَةِ: إِذَا كَانَ التَّمَتُّعُ وَالْإِفْلَاتُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْحُرِيَّةُ، شَرِيطَةً أَنْ تُشْبِعَهُمْ [نُعْذِبَهُمْ]، هُوَ التَّمَيُّزُ [التَّفَوُّقُ] وَالسَّعَادَةُ، حَيْثُهَا لَا يَكُونُ كُلُّ مَا سِوَاهُمْ إِلَّا طَرَائِقُ وَمَوَاضِعَاتٍ بَشَرِيَّةٌ ضِدَّ الطَّبِيعَةِ، حَمَاقَاتٍ وَلَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ تُذَكَّرُ"⁹⁴⁸. إِذِ التَّمَتُّعُ بِكُلِّ مَا هُوَ حَسَنٌ لَدَى الْأَقْوِيَاءِ هُوَ عَلَى الْإِبَاحَةِ دُونَ أَيِّ قَيْدٍ وَأَمَّا التَّحْرِيمُ فَلَيْسَ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَشْيَاءِ بَلْ هُوَ تَشْرِيعٌ لَا يُجَاهِرُ بِالضَّعْفِ الَّذِي يُؤَسِّسُهُ. وَمِنَ الْبَدْهِيِّ أَنْ يَنْجُمَ مِنْ هَذَا آرَاءٌ، أَكَانَتْ تَأْمُلًا نَظْرِيًّا لِلْعَالَمِ أَوْ تَأْمُلًا سِيَاسِيًّا لِلْحَقِّ أَوْ تَأْمُلًا أَخْلَاقِيًّا لِلْأَفْعَالِ، إِسَاءَةٌ لِذَاتِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ⁹⁴⁹ تَنْتَفِي بِمَعْنِيَتِهَا الْحَقَائِقُ وَتَذِيغُ بِهَا الْإِسْبَوِيَّةُ.

جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ تَشَاكُلُ تَقْرِيرَاتِ أَعْلَامِ السُّفُسْطَائِيَّةِ مَعَ تَقْرِيرَاتِ نِيَتِشَةِ الَّتِي تُتَكَرَّرُ أَنْ تَكُونَ الْعَدَالَةُ أَمْرًا تَوَزِيعِيًّا مُفْتَرًيًا بِالْإِنْصَافِ، ذَلِكَ أَنَّ الْمُصْطَلَحَيْنِ (أَغْنِي مُصْطَلَحَ التَّوَزِيْعِ وَالْإِنْصَافِ) فِي نَظَرِهِ مُتَنَافِرَانِ، وَإِنَّهَا الْعَدَالَةُ فِي غِيَابِ الْمُسَاوَاةِ⁹⁵⁰، وَالْعَدَالَةُ الْمُفْتَرَّيَّةُ بِالْمُسَاوَاةِ بِهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ غَوْعَائِيَّةٍ هَائِلَةٍ تَتَجَدَّرُ دَاخِلَ تَجَانُّسٍ حَيْثُ الْجَمِيعُ يُرِيدُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ⁹⁵¹، وَالضَّعْفَاءُ كَمَا يُشِيرُ كَالِكَلِيكْسُ الَّذِي سَارَ نِيَتِشَةُ عَلَى نَهْجِهِ، عَلَى كَوْنِهِمْ مِنْ أَسَافِلِ النَّاسِ لَا مِنْ عَلِيَّتِهِمْ، يَكْتَفُونَ بِالظَّفْرِ بِالْمُسَاوَاةِ⁹⁵²، فِي حِينٍ أَنْ الْحَيَاةَ تَسْعَى إِلَى الْإِحْسَاسِ بِأَكْبَرِ قَدَرٍ مِنَ الْإِقْتِدَارِ، مَا يَعْنِي أَنَّهَا إِرَادَةُ تَجْمِيعِ لِلْقُوَّةِ⁹⁵³.

⁹⁴⁷Emmanuelle Jouët-Pastré, Le plaisir à l'épreuve de la pensée : Lecture du Protagoras, du Gorgias et du philèbe de Platon, p. 70.

⁹⁴⁸Ibid, 492 c4-8. Trad. d' Emmanuelle Jouët-Pastré accompagnée du texte grecque. Voir Platon, Œuvres complètes, Trad. de Léon Robin, Joseph Moreau Gallimard, 1950, Volume I —p. 439 : « ... sensualité, licence, liberté sans réserve, voilà, quand ne fait pas défaut ce qui y concourt, voilà la vertu et le bonheur ! Quant au reste (...) ce n'est que du verbiage et cela n'a aucune valeur ! ».

" ... الشهوانية والإباحة والحرية الكاملة هو ذا ما يحصل حينما لا نعزب عما يسرها، هو ذا الفضيلة والسعادة! وأما الباقي (...) فليس إلاثرثرة [لغوا] و ذلك ليس له أي قيمة ! " .

⁹⁴⁹Eduard Zeller, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique; Trad. Émile Boutroux, Première partie, Tome deuxième librairie hachette, Paris, 1882, p. 524.

⁹⁵⁰APZ, Trad. Geneviève Bianquis, Aubier-Bilingue, Paris, 1968. « Des tarentules », p. 213 : « ... la justice me dit qu'il n'y a pas d'égalité ». Voir HTH, Le Voyageur et son ombre, § 285 : « Il n'y a jamais eu deux lots réellement égaux, et quand il en aurait, jamais l'envie de l'homme pour son voisin ne croirait à leur égalité ».

⁹⁵¹Ibid, p. 6.

⁹⁵²Platon, Gorgias, 483b-c : « ... comme ils sont inférieurs, il leur suffit d'avoir l'égalité ». In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade 1940.

⁹⁵³FP, printemps 1888, 14[81] et [82] Voir OP.C XIV, pp. 58-60.

وَهَاتِهِ النَّهْمِيَّةُ الْاِقْتِدَارِيَّةُ تُؤَوَّلُ إِلَى جَعْلِ الْعَدَالَةِ الطَّبِيعِيَّةِ مَفْهُومًا أَسَاسِيًّا يَقُومُ عَلَى عَدَمِ فَصْلِ الْقُوَّةِ عَنْ يَنَابِيعِ الْقُوَّةِ⁹⁵⁴ وَلَا يَرْتَفِعُ هَذَا الْفَصْلُ، عِنْدَ نَيْتِشِهِ، إِلَّا إِذَا تَجَرَّدَ الْإِنْسَانُ الْمُفْتَدِرُ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ أَفْعَالِهِ لِتَصِيرِ سَيَرُورَةِ اسْتِظْهَارِ الْقُوَّةِ وَلِيَعْدُوَ السَّعْيُ إِلَى السُّلْطَانِ صَنِيعًا بَرِيئًا، وَهَكَذَا تُصْبِحُ أَفْعَالُ الْأَقْوِيَاءِ بَرِيئَةً أَيْضًا بِمُوجِبِ جَرَيَانِهَا تَبَعًا لِلضَّرُورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ وَفِي غُضُونِ ذَلِكَ يَنْتَفِي الْفَرْقُ النَّوعِيُّ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ فَمَا الْخَيْرُ إِلَّا أَفْعَالُ شَرٍّ حَصَلَ إِعْلَاؤُهَا بَيْنَمَا الشَّرُّ أَفْعَالُ خَيْرٍ مُنْجَزَةٍ بِفُظَاظَةٍ وَحِمَاقَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَجَالِ الْأَخْلَاقِ فِي صَيْرُورَةٍ وَتَغْيِيرٍ وَتَقَلُّبٍ⁹⁵⁵، وَفِي عَالَمٍ يَكُونُ مَسْرَحًا لِلْعَدَالَةِ السِّيَادِيَّةِ وَلِلْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ الْمَائِلَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَكَانٌ لِمُعَاقَبَةِ مَا هُوَ صَائِرٌ بَلِ الْكُلُّ تَسْوِيعٌ لِلصَّيْرُورَةِ، وَحَيْثُمَا يَسُدُّ الْجُورُ يَسِرُ الْأَغْتِسَافُ وَالْفَوْضَى وَالتَّنَاقُضُ وَغِيَابُ الْقَوَاعِدِ، وَحَيْثُمَا تُسَدُّ إِلَهَةُ الْعَدَالَةِ هَذِهِ، يَخْتَفِ الْخَطَأُ وَالنَّدَمُ وَالتَّوْبَةُ وَالْإِدَانَةُ⁹⁵⁶.

مَعَ نَيْتِشِهِ تَتَمَاهَى الْعَدَالَةُ وَالسَّعَادَةُ مَعَ الْقُوَّةِ وَتَسْتَمِدُّ هَذِي الْمُمَاهَاةُ مَشْرُوعِيَّتَهَا مِنْ تَعَذُّرِ اكْتِفَاءِ الْأَشْيَاءِ بِالْحِفَاطِ عَلَى كَيْفُونَتِهَا وَمِلْكِيَّتِهَا⁹⁵⁷، بَلِ اقْتِدَارُهَا الْمُفْرَطُ يَحْدُوها عَلَى التَّبْدِيرِ⁹⁵⁸ وَكُلُّ صِرَاعٍ نَحْوُصُهُ فَمِنْ أَجْلِ السُّلْطَانِ⁹⁵⁹ وَالْاِقْتِدَارِ⁹⁶⁰، وَلَيْسَ لَهَا فِي مَقَامٍ كَهَذَا إِلَّا تَنْشُدُ السَّعَادَةَ فِي ذَلِكَ، وَمَا السَّعَادَةُ تَبَعًا لِذَلِكَ إِلَّا الْإِحْسَاسُ بِقُوَّةِ تَرْبُو وَبِأَنَّ مُقَاوَمَةً حَصَلَ التَّغْلِبُ عَلَيْهَا⁹⁶¹ وَلَيْسَ لِلضَّعْفَاءِ مِنْ سَبِيلٍ لِلظَّفَرِ بِالسَّيْطَرَةِ وَالسِّيَادَةِ إِلَّا سَبِيلُ الْعَدَدِّ وَالْفُطْنَةِ وَالْمَكْرِ؛ وَمَا انْتِصَارُهُمْ فِي نِهَايَةِ الصِّرَاعِ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ إِلَّا

⁹⁵⁴GM, Trad Henri Albert, III, § 11. Voir Trad. Eric Blondel Et d'autres : « ... on s'évertue ici à utiliser la force pour tarir les sources de la force... ».

⁹⁵⁵HTH, Trad. Alexandre-Marie Desrousseaux, Première partie, Société du Mercure de France, 1906, § 107 : « Irresponsabilité et innocence. — La complète irresponsabilité de l'homme à l'égard de ses actes et de son être est la goutte la plus amère que le chercheur doit avaler... il n'a plus le droit de louer, ni de blâmer, car il ne rime à rien de louer et de blâmer la nature et la nécessité... entre les bonnes et les mauvaises actions, il n'y a pas une différence d'espèce, mais tout au plus de degré. Les bonnes actions sont de mauvaises actions sublimées : les mauvaises actions sont de bonnes actions grossièrement, sottement accomplies... Tout dans le domaine de la morale est modifié, changeant, incertain, tout est en fluctuation, il est vrai : mais aussi tout est en cours... une nouvelle habitude... sera, dans des milliers d'années, peut être assez puissante pour donner à l'humanité la force de produire l'homme sage, innocent (ayant conscience de son innocence) ».

⁹⁵⁶PLTG, In Écrits posthumes 1870-1873, Tome I, Volume II, pp. 228-229 : « ... le monde entier comme le spectacle d'une justice souveraine et de forces naturelles présentes en tous lieux [...]. Ce n'est pas le châtement de ce qui est devenu, mais la justification du devenir que j'ai observée [...]. Où règne l'injustice se tiennent l'arbitraire, le désordre, l'absence de règles, la contradiction; mais là où règnent seules la justice et la fille de Zeus, Dikè, comment pourrait exister la sphère de la faute, du repentir, de la condamnation ? ».

⁹⁵⁷FP, printemps 1888, 14[81] et [82]. Voir OP.C XIV, pp. 58-60.

⁹⁵⁸GS, Trad. Patrick Wotling, § 49.

⁹⁵⁹CI, Trad. Jean Claude Hémerly, Gallimard, 1974, divagation d'un "inactuel", § 14 : « ... pour le pouvoir... ».

⁹⁶⁰Ibid, Trad. Henri Albert : « ... pour la puissance ». See, Twilight of the Idols, Translated with an Introduction and Notes by Duncan Large, Oxford University Press, 1998 : « where there is a struggle, there is a struggle for power... ».

في النص الألماني : wo gekämpft wird, kämpft man um Macht

⁹⁶¹AC, Trad. Jean.-Claude Hémerly, § 2.

لكثرة أعدادهم وشدة تعقلهم ، مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْحَذَرُ وَالصَّبْرُ وَالْمَكْرُ وَالتَّحَلِّي بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّحَكُّمِ بِزَمَانِ النَّفْسِ⁹⁶².

مِنَ التَّفَرُّقَةِ الَّتِي أَقَامَهَا سَادَةُ السُّفْسَطَائِيَّةِ بَيْنَ الْعُرْفِ وَالطَّبِيعَةِ نَتَجَ تَمَيُّزٌ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْعَدَالَةِ: عَدَالَةٌ سَامِيَّةٌ تَصْدُرُ مِنَ الطَّبِيعَةِ φύσις وَالَّتِي تُؤَلِّدُ قَانُونَهَا الْخَاصَّ νόμος وَعَدَالَةٌ مُتَغَيِّرَةٌ تُعْبَرُ عَنِ الْعُرْفِ νόμος وَالْمُوَاضَعَةِ وَبِهَذَا الْمَعْنَى تَعْدُو عَدَالَةُ الْمُسَاوَاةِ امْتِثَالًا اجْتِمَاعِيًّا لَا طَبِيعَةً ، لِذَلِكَ وَصَفَ كَالِيكليسُ مَفْهُومَ الْعَدَالَةِ (τὸ ἴσον) بِالزَّائِفِ وَالْوَهْمِيِّ. وَفِي كَنَفِ الْأَغْرَافِ ، يَعْمِدُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ تُحَرِّكُهُمْ ضَغَائِنُ يُولِّدُهَا عَجْزُهُمْ عَنِ امْتِلَاكِ الْمَزِيدِ πλεον ἔχειν إِلَى تَقْبِيحِ كُلِّ سَعْيٍ لِلِاسْتِزَادَةِ فِي الْأُمْلَاكِ وَالْخَيْرَاتِ.

وَبِتَوَسُّلِ الْقَوَانِينِ الَّتِي يَسْتُونُهَا فَهْمٌ لَا يُرَيِّقُونَ فَقَطُ الطَّبِيعَةِ وَإِنَّمَا يُجْهَضُونَ غَزَوَاتِ الْأَقْوِيَاءِ وَاعْتِدَاءَاتِهِمْ Prévient les assauts ، فَلَيْسَ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ سِوَى التَّحَرُّرِ مِنْ عَرَضِيَّةِ الْمُسَاوَاةِ وَتَعْسُفِيَّةِ الشَّرَائِعِ لِمَهَارَسَةِ السُّلْطَانِ ، مَا إِنْ تَتَوَقَّرَ الشُّرُوطُ الْمُنَاسِبَةُ لِذَلِكَ الْأَنْتِهَاجِ⁹⁶³. وَالْعَدَالَةُ الَّتِي تَجْرِي بِمُوجِبِ الْحَقِّ الطَّبِيعِيِّ هَذَا هِيَ حَسَبَ كَالِيكليسَ عَنِيفَةٌ⁹⁶⁴ ، وَاقْتِرَانُ الْعُنْفِ بِالطَّبِيعَةِ تَصَوُّرٌ نَحَا نَحْوَهُ نَيْتَشْهِ وَجَاءَ لَهُ بِالْمُؤَيَّدَاتِ وَنَصْرَهُ بِشَوَاهِدِ الْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ. لَقَدْ أَقَامَ كَالِيكليسُ الْمَهَاةَ بَيْنَ ثَالُوثِ الْقُوَّةِ وَالْإِقْتِدَارِ وَالتَّفَوُّقِ لِيُنَبِّئَ عَلَيْهَا مَسْأَلَةَ الْعَدَالَةِ بَلْ وَمَسْأَلَةَ الْقِيَمَةِ بِصِفَةِ عَامَةٍ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى تَنَاقُضِ هَذَا الثَّالُوثِ وَتَبَعَاتِهِ الَّتِي تَحْدُوهُ عَلَى التَّهَافُتِ مِنَ الدَّخَالِ.

وَمَا كَانَ لِهَذَا التَّنَاقُضِ أَنْ يَمُرَّ مُرُورَ الْكِرَامِ عَلَى سُقْرَاطَ الَّذِي جَاءَهُ بِالْحُجَّةِ الْعَالِيَةِ وَقَرَعَهُ بِالْحَقِّ بَعْدَمَا دَفَعَ اسْتِدْلَالَهُ الْمُغَالِطَ ؛ إِذْ يَلْزَمُ مِنَ اخْتِزَالِ الْإِقْتِدَارِ Puissance فِي مَحْضِ الْقُوَّةِ Force إِقْصَاءُ السِّمَةِ النُّوعِيَّةِ الَّتِي تَمَيُّزُ النَّبِيلِ الرَّفِيعِ مِنَ الْعَامِيِّ الْوَضِيعِ ، كَمَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْإِخْتِزَالِ أَيْضًا ، إِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ الْجَمَاهِيرَ أَقْوَى مِنَ الْفَرْدِ ، أَنْ تَكُونَ الْحُشُودُ أَشَدَّ إِقْتِدَارًا وَأَفْضَلَ مَعْدِنًا مِنَ الْفَرْدِ النَّوْعِيِّ حَالَهَا تُقَرَّرُ هَذِهِ الْجَمَاهِيرُ فِي إِطَارِ النِّظَامِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ أَنَّ الْعَدَالَةَ فِي الْمُسَاوَاةِ وَارْتِكَابَ الظُّلْمِ أَفْحَحَ مِنَ الْمَعَانَاةِ مِنْهُ ،

⁹⁶²TI, Trans. Richard polt, Introduction by Tracy Strong, Hackett publishing Company, Inc. Indiana polis/Cambridge 1997. Raids of an Untimely Man, section 14 : « By intelligence, as you can see, I understand caution, patience, stealth, deception, great self-control ».

فِي النَّصِّ الْأَلْمَانِيِّ :

«Ich verstehe unter Geist, wie man sieht, die Vorsicht, die Geduld, die List, die Verstellung, die große Selbstbeherrschung und alles ».

⁹⁶³Platon, Gorgias, 492 b, In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade 1940.

⁹⁶⁴Essam Safty, Les difficultés d'interprétation de l'argument du plus fort dans le discours de Calliclès sur la justice, polis, The Journal for Ancient Greek political Thought brill 31, 2014, p. 113.

وَهَذَا يُفْضِي إِلَى كَوْنِ النِّظَامِ الْقَانُونِيِّ الْعَادِلِ نَائِبًا مِنَ النِّظَامِ الطَّبِيعِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْتَهِي هَذَا إِلَى التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْعُرْفِ وَالطَّبِيعَةِ وَفِي ذَلِكَ، كَمَا أَجْلَى سُقْرَاطُ، نَقْضُ وَارْتِدَادُ عَنِ مَبَانِي الرَّأْيِ الْكَالِيكَلِسِيِّ⁹⁶⁵.

لَمْ يَنْسِجْ أَرْبَابُ السُّفْسطَائِيَّةِ عَلَى غِرَارٍ وَاحِدٍ وَإِنَّمَا تَبَايَنَتْ آرَاؤُهُمْ تَبَعًا لِلتَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ Phusos وَالْقَانُونِ Nomos؛ مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى النَّظَرِ إِلَى الْقَانُونِ عَلَى أَنَّهُ نَتِيجَةُ لِمَوَاضَعَاتِ الْبَشَرِ النَّسَبِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ انْتَهَوْا إِلَى إِقْرَارِ تَنَوُّعِ وَتَعَدُّدِ الشَّرَائِعِ الْقَانُونِيَّةِ، بَيْنَمَا نَزَا بَعْضُهُم الْآخَرُ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَفِي مِيلَانِهِمْ هَذَا كَانُوا أَشَدَّ انْسِجَامًا مَعَ مَبَانِي فَلَسَفَتِهِمْ، وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الانْسِجَامِ سَعَوْا إِلَى تَقْدِيمِ مَبْدَأٍ شَامِلٍ تَشْتَقُّ مِنْهُ الشَّرَائِعُ وَالْقَوَانِينُ وَلَيْسَ هَذَا سِوَى الطَّبِيعَةِ مَا دَامَتْ ثَابِتَةً، فِي حِينٍ أَنَّ الشَّرَائِعَ وَالْقَوَانِينُ مُتَغَيِّرَةٌ، لِذَلِكَ لَيْسَتْ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ إِلَّا اعْتِبَاطِيَّةٌ لَا ضَرُورِيَّةٌ⁹⁶⁶، فَلَا مَنَدُوحَةَ إِذْنٍ مِنْ تَأْسِيسِ الْقَانُونِ نَفْسِهِ عَلَى الطَّبِيعَةِ⁹⁶⁷. وَعَلَى ضَوْءِ مِغْيَارِيَّةِ الطَّبِيعَةِ، وَهُوَ النِّهْجُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ نَيْتَشْه، اسْتَمَدَدَ كَالِيكَلِسُ قَاعِدَةً قَطْعِيَّةً مِنَ الطَّبِيعَةِ تُمَلِّي أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْقُوَّةِ حَقًّا⁹⁶⁸.

لَا سَبِيلَ لِحَلِّ التَّعَارُضِ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ وَالْعُرْفِ مِنْ غَيْرِ رَفْعِ الْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ إِلَى مُسْتَوَى تَعْلِيمَاتِ الْقَانُونِ الطَّبِيعِيِّ لِيَكُونَ مُعَبِّرًا عَنْهُ لَا مُخَالِفًا لَهُ، بَعْدَمَا كَانَا غَالِبًا مُتَنَاقِضَيْنِ⁹⁶⁹ وَهَذَا التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا وَإِمْكَانُ التَّأْلِيفِ بَيْنَهُمَا يَقْضِيَانِ أَنَّ مَا هُوَ جَمِيلٌ فِي الْقَانُونِ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ جَمِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَيَنْبَغِي عَقَبَ ذَلِكَ أَثْنَاءَ مُنَاقَشَةِ مَسْأَلَةِ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ أَلَّا نَنْتَقِلَ عَشْوَائِيًّا مِنْ دِلَالَتِهِمَا الطَّبِيعِيَّةِ إِلَى دِلَالَتِهِمَا الْإِصْطِلَاحِيَّةِ الْعُرْفِيَّةِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ⁹⁷⁰.

وَلَا غَرَوْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي تَبَوَّأَتْهَا الطَّبِيعَةُ فِي الْمَنْزَعِ السُّفْسطَائِيِّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا وَافَقَهَا عَادِلًا وَمُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَمَا خَالَفَهَا جَائِرًا وَمُنْتَهَكًا لَهُ، وَجَزِيًّا عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ الْفَلَسُفِيِّ نَرَى كَالِيكَلِسَ يَجْعَلُ الْقُوَّةَ، بِمَا هِيَ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ فِي غَرَائِزِهَا وَرَغَبَاتِهَا وَأَهْوَائِهَا، مِغْيَارَ الْقِيَمَةِ وَالْقَوَانِينِ وَإِثْرَ ذَلِكَ تَعْدُو

⁹⁶⁵Platon, Gorgias, 489 a, In Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade 1940.

⁹⁶⁶Eduard Zeller, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique, Trad. Émile Boutroux, p. 521.

⁹⁶⁷Robert Muller, La doctrine platonicienne de la liberté, Vrin, 1997, p. 82.

⁹⁶⁸Ada Babette Neschke, Jacques Follon, Platonisme politique et théorie du droit naturel : Le platonisme politique dans l'antiquité, Edition Peeters Publishers, 1995, p. 115. Voir Eduard Zeller, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique, p. 522.

⁹⁶⁹Platon, Gorgias, Trad. par Alfred Croiset, éd. Les Belles Lettres, 1923, 482 e : « Le plus souvent, la nature et la loi se contredisent ».

⁹⁷⁰Ibid, 483 a- 483 b : « Ici, en effet, Socrate, sous prétexte de chercher la vérité, tu nous fatigues avec des sophismes de tribune sur ce qui est laid selon la nature et beau selon la loi... si l'on te parle de la loi, tu interrogues sur la nature, et si l'on te parle de la nature, tu interrogues sur la loi. C'est ainsi que tout à l'heure, à propos de l'injustice subie ou commise, quand polos avait en vue ce qui est le plus laid selon la loi, tu harcelais la loi au nom de la nature. Selon la nature, en effet, ce qui est le plus laid, c'est toujours le plus désavantageux, subir l'injustice; selon la loi, c'est de la commettre ».

مُتَغَيَّرَةً تَبَعًا لِلْفِيزِيسِ بِمَا هِيَ شَرَعَةُ الْأَهْوَاءِ وَالْعَرَائِزِ وَكُلُّ مَا يَنْبُعُ مِنَ الزُّرُوعِ الْاِقْتِدَارِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْحَقُّ هُنَا يَجِدُ مَصْدَرَهُ فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي شِقِّهَا الْحَيَوَانِيِّ الشَّهْوَانِيِّ بِاعْتِبَارِهِ زُرُوعًا شَهْوِيًّا وَإِشْبَاعًا لَهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيَاةِ فِي طَبِيعَتِهَا الْمَحْضِ غَيْرُ أَنْ تَنْزِعَ وَتَرْغَبَ وَتَشْتَهِيَ وَتَنْدَفِعَ صَوْبَ مَوْضُوعَاتِ الْعَالَمِ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا لَذَائِذَهَا.

فِي انْتِمَاءِ الْأَهْوَاءِ وَتَكْثِيرِهَا إِلَى أَكْبَرِ قَدَرٍ مُمَكِّنٍ وَإِشْبَاعِهَا، بِأَيِّهَا وَسِيلَةٍ مُتَّاحَةٍ بَدَلَ مُكَافَحَتِهَا، تَكْمُنُ الْفَضِيلَةُ الَّتِي تُوجِي بِهَا الطَّبِيعَةُ الصَّرْفَةُ، وَأَمَّا مَنْ زَهَدَ فِي الْحَيَاةِ مُضْرِبًا عَنِ الْمَتْعِ وَمُلْجِمًا الْأَهْوَاءَ فَشَأْنُهُ شَأْنُ الْأَمْوَاتِ وَالْحِجَارَةِ⁹⁷¹ "يُعَبِّرُ كَالِيكليسُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِنَّ الْجَمِيلَ وَالْعَادِلَ طَبَقًا لِلطَّبِيعَةِ [...]. مِنْ أَجْلِ الْعَيْشِ الْحَسَنِ، يُوجِبُ الْعِنَايَةُ بِالْأَهْوَاءِ الْقَوِيَّةِ ذَاتِهَا بَدَلَ قَبْضِهَا، وَتَجَاهَ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ، مَهْمَا كَانَتْ قَوِيَّةً، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ، بِفَضْلِ بَسَالَتِهِ وَدَكَائِهِ، عَلَى أَهْبَةِ الْاِسْتِعْدَادِ لِإِشْبَاعِهَا، بِتَرْوِيدِهَا بِكُلِّ مَا تَرْغَبُ بِهِ"⁹⁷²، فَمَا يُرِيدُهُ كَالِيكليسُ كَمَا نَطَقَ بِهِ هَذَا الشَّاهِدُ هُوَ الْاِقْتِدَارُ وَالسُّلْطَانُ وَاللَّذَّةُ بِاعْتِبَارِهَا خَيْرَاتٍ وَأَهْدَاقًا بَرَانِيَّةً مُنَاسِبَةً، لَكِنَّ الْقَوَانِينَ الَّتِي يَسْتُهَا الضُّعَفَاءُ تَأْتِي لِتُفْرَغَ السَّعْيُ لِلْاِسْتِحْوَاذِ عَلَيْهَا مِنَ الشَّرْعِيَّةِ⁹⁷³.

يَتَجَلَّى لَنَا فِي غَرَضٍ مَا أوردناه سَالِفًا أَنَّ الطَّبِيعَةَ بِالْمَقْهُومِ الْكَالِيكليسِيِّ لَيْسَتْ تَمَامَ الْمَاهِيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمَا هِيَ حَيَوَانِيَّةٌ نَاطِقَةٌ بَلْ هِيَ جِنْسُ الْحَيَوَانِيَّةِ⁹⁷⁴، لِذَلِكَ حَاجٌّ مِنْ وَجْهِ فِي سِيَادَةِ الْأَقْوَى فَاسْتَظْهَرَ عَلَى سُقْرَاطٍ بِأَدْلَةٍ مِنْ عَالَمِ الْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْجِنْسِيَّةِ، مُسَوِّعًا ذَلِكَ بِمَا تَقْضِيهِ نَزَعَاتُ الطَّبِيعَةِ اللَّذَوِيَّةِ الَّتِي لَا يَحْدُثُهَا الزَّاجِرُ الْعَقْلِيُّ بَلِ الْوُسْعُ الْاِقْتِدَارِيُّ.

لَيْسَ حَرِيًّا بِأَيِّ قَارِيٍّ جَادٍّ أَنْ تَغْزُبَ عَنْهُ الْمَخَاطِرُ الْوَحِيمَةُ الَّتِي يُرَجِّحُ أَنْ تَنْجُمَ مِنْ هَكَذَا آرَاءٍ؛ فَهِيَ مِمَّا يَصَادُ أَيُّ مَشْرُوعٍ سِيَاسِيٍّ يَرْمِي إِلَى تَشْيِيدِ الْمُجْتَمَعِ وَالْدَوْلَةِ عَلَى أُسُسٍ تَنْعَمُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ

⁹⁷¹Platon, Gorgias, Trad. par Alfred Croiset, 492d : « Socrate ... Je te prie donc de ne faire aucune concession, afin que nous apparaisse en toute évidence la vérité sur la meilleure manière de vivre. Dis-moi : les passions, à ton avis, ne doivent être en rien combattues, si l'on veut être tel qu'on doit être; il faut au contraire les laisser grandir autant que possible, les satisfaisant par tous les moyens, et c'est en quoi consiste la vertu ? Callicles. — Telle est, en effet, mon affirmation. Socrate. — On a donc tort de prétendre que ceux qui n'ont pas de besoins sont heureux. Callicles. — Oui, car à ce compte, il faudrait appeler heureux les pierres et les morts ».

⁹⁷²Ibid, 492 a : « ... le beau et le juste selon la nature, c'est [...] que pour bien vivre, il faut entretenir en soi-même les plus fortes passions au lieu de les réprimer, et qu'à ces passions, quelques fortes qu'elles soient, il faut se mettre en état de donner satisfaction par son courage et son intelligence, en leur prodiguant tout ce qu'elles désirent ».

⁹⁷³Gérard Bensussan, « Nietzsche & la justice », Les Cahiers philosophiques de Strasbourg, [En ligne], 40 | 2016, 169-188, p. 176 : « Calliclès veut la puissance, le pouvoir et la jouissance comme des biens et des buts extérieurs appropriables que les conventions et les lois instituées par les faibles délégitiment continuellement dans le mouvement qui consiste à s'en emparer ».

⁹⁷⁴Ada Babette Neschke, Jacques Follon, Platonisme politique et théorie du droit naturel : Le platonisme politique dans l'antiquité, p. 129.

بِالْتِمَاسِ، وَلَيْسَ لِهَاتِهِ الْآرَاءُ أَنْ تُقْضِيَ إِنْ أُنْزِلَتْ الْوَاقِعَ الْعَيْنِيَّ إِلَّا إِلَى صِرَاعٍ مُتَوَاصِلٍ بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ تَارَةً وَبَيْنَهُمْ وَالضُّعَفَاءِ تَارَةً أُخْرَى.

عَلَى مَا فِي الدَّعَاوِي الكَالِكَلِيسِيَّةِ مِنْ تَبَعَاتٍ نَظَرِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ تَأْتِي عَلَى الْعُمَرَانِ الْبَشَرِيِّ بِلَحْمِهِ وَسَدَاهُ، فَإِنَّ لَهَا صَدَى وَأَثَرًا جَلِيًّا فِي الْكَثِيرِ مِنَ النِّزَعَاتِ النِّسْبَوِيَّةِ وَالنَّسْلِيَّةِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ ذُرُوتَهَا فِي مَفْهُومِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ لَدَى نِيْتَشِه⁹⁷⁵ وَعَلَى مَا فِي نِيْتَشِه مِنْ تَمَيُّزٍ عَنْ نُظَائِهِ السُّفُسْطَائِيَّيْنَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُلْغِي تَشَابُهَاتٍ عَدِيدَةً سَاقَتْ جِيرَارْدُ بَنْسُوزَانِ إِلَى الْقَوْلِ: "ثَمَّةٌ مِنْ غَيْرِ مُهَاحَكَةٍ نَبْرَاتٍ "نِيْتَشَوِيَّةٌ" فِي خِطَابِ كَالِيكَلِيسٍ وَنَبْرَاتٍ غَوْغَائِيَّةٍ بِالْمَعْنَى النِيْتَشَوِيَّةِ فِي خِطَابِ سُقْرَاطَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ مِثْلَ "خَطِيبٍ شَعْبِيٍّ" كَمَا يَقُولُ كَالِيكَلِيسُ"⁹⁷⁶.

اِقْتِفَاءً بِالْفَلَسَفَاتِ الَّتِي أَقَامَتْ الْقُوَّةَ وَالذَّافِعِيَّةَ الِالْعَقْلَانِيَّةَ مَعْيَارًا أُونُطُولُوجِيًّا وَأَكْسِيُولُوجِيًّا، لَا مُشَاحَةً مِنْ إِيْرَادِ آرَاءِ ثِرَاسِيْمَاخُوسِ الَّتِي نَضَاهِي كَذَلِكَ فِي وُجُوهِ مُعَيَّنَةٍ مَبَانِي فَلَاسَفَةِ نِيْتَشِه، وَمِنْ أُمَثَلَةِ الْمَشَاكَلَةِ بَيْنَهُمَا تَصْرِيحُهُ الَّذِي نَقَلَهُ أَفْلَاطُونُ فِي مُصَنَّفِهِ "الْجُمْهُورِيَّةُ" بِأَنَّ الْفَضِيلَةَ فِي اسْتِغْلَالِ الْإِنْسَانِ لِقُوَّتِهِ وَالنُّزُولِ عِنْدَ رَغْبَاتِهِ وَلَا حَرَاجَةَ إِنْ كَانَ الْعُنفُ وَسِيلَتَهُ لِبُلُوغِ مَطَامِعِهِ، وَفَوْقَ هَذَا فَالْعَدَالَةُ مُتَوَسِّطَةٌ وَجُودًا وَعَدَمًا بِمَصْلَحَةِ الْأَقْوَى⁹⁷⁷ وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ فِي سِيَاقٍ هَكَذَا رَأَى أَنْ يَكُونَ فِي الظُّلْمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَرِيَّةِ وَالسِّيَادَةِ مَا لَيْسَ فِي الْعَدْلِ⁹⁷⁸ وَمِنْ الْبَدْهِيِّ أَنْ يَسْتَدْعِيَ الْعَالَمُ الْقَائِمُ عَلَى الْقُوَّةِ وَعَلَائِقِ الْقُوَّةِ الْبُعْدَ السِّيَاسِيَّ لِلْعَدَالَةِ⁹⁷⁹، وَيُضِيفُ مَاغُوِيرُ بُعْدًا أَخْلَاقِيًّا لِمَوْقِفِ ثِرَاسِيْمَاخُوسِ مِنَ الْعَدَالَةِ⁹⁸⁰ مَا دَامَتْ

⁹⁷⁵Voir E. R. Dodds, Plato, Gorgias, Oxford : Clarendon Press, 1959, pp. 387-391. Voir Essam Safty, Les difficultés d'interprétation de l'argument du plus fort dans le discours de Calliclès sur la justice, pp. 103-121 : « En dépit donc des répercussions qu'eut cette proclamation jusque dans le concept de Wille zur Macht de Nietzsche... ».

⁹⁷⁶Gérard Bensussan, « Nietzsche & la justice », Les Cahiers philosophiques de Strasbourg, p. 171 : « Il y a incontestablement des accents « nietzschéens » dans le discours de Calliclès et des accents plébéiens, au sens de Nietzsche, dans celui de Socrate, qui parle comme un « orateur populaire » dit Calliclès (Gorgias, 494d) ».

⁹⁷⁷Plato, Republic, Trans. G.M.A. Grube, Revised By C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, INC. Indianapolis /Cambridge, 1992, 338c : « Listen—I say that justice is nothing other than the advantage of the strong ».

في النص اليوناني :

Ἄκουε δὲ, ἢ δ' ὅς. φημι γὰρ ἐγὼ εἶναι τὸ δίκαιον οὐκ ἄλλο τι ἢ τὸ τοῦ κρείττονος συμφέρον. Voir Stanley Rosen : Plato's Republic : A Study, Yale University Press, 2008, p. 41 : « What counts for Thrasymachus is the benefit of the strong; the weak do not interest him ».

⁹⁷⁸Plato, Republic, Trans. G.M.A. Grube, Revised By C.D.C. Reeve, 344c : « Thus, Socrates, injustice on a sufficiently large scale is a stronger, freer, and a more masterful thing than justice, and, as I said in the beginning, it is the advantage of the stronger that is the just, while the unjust is what profits man's self and is for his advantage ».

⁹⁷⁹Kimon Lycos, Plato on Justice and power, Reading Book I of Plato's Republic, 1987, p. 43. See, J. Adam, The Republic of Plato, with critical notes, commentary and appendices. 2nd Ed, with an Introduction by D. A. Rees, Cambridge University Press, 1963, n. on 337a, p. 25.

غَيْرَ مُنْفَصِلَةٍ عَنْ تَدَابِيرِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ؛ إِذْ تُوجِبُ طَبَقًا لِذَلِكَ تَصَوُّرًا أَخْلَاقِيًّا لِتَصْرِيفِ الْعَلَاqَاتِ الْبَيْنِذَاتِيَّةِ.

أَضِفْ إِلَى هَذَا جَمِيعِهِ أَنَّ الْقُوَّةَ لَدَى ثِرَاسِيْمَاخُوسَ مُقْتَرَنَةً بِالْمَصْلَحَةِ الذَاتِيَّةِ لِلْأَقْوَى، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ الْقُوَّةَ النَّازِعَةَ إِلَى مَنَافِعِهَا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَا يَخْدُمُ أَغْرَاضَ الْأَغْيَارِ مَصْدَرَ الْعَدَالَةِ الْاِغْتِبَارِيَّةِ، وَلَا مَرِيَّةَ فِي أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ هَذَا الرَّأْيِ نَفْيُ أَيِّ وُجُودٍ لِعَدَالَةٍ فِي ذَاتِهَا. وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَتَغَيَّرُ مَصَامِينُ الْعَدَالَةِ بِتَغْيِيرِ مَوَازِينِ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَةِ، وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ تُسَنُّ الْقَوَانِينُ فِي كُلِّ نِظَامٍ سِيَاسِيٍّ، أَقَامَهُ فَرْدٌ أَمْ ثَلَّةٌ أَمْ كَثْرَةٌ، عَلَى مَقَاسِ الْمُشْرَعِينَ الْحُكَّامِ، وَلَا تُنَدُّ عَنْ هَذَا الصَّنِيعِ الْعَامَّةِ فِي الدِّيْمُقْرَاطِيَّاتِ، وَلَا يَشُدُّ عَنْهُ الْأَغْنِيَاءُ فِي الْأَوَّلِيغَارْشِيَّاتِ، وَلَا الطُّغَاةُ فِي الْأَنْظِمَةِ الْاِسْتِبْدَادِيَّةِ.

فَالْقَوَانِينُ فِي بُنُودِهَا وَمَصَامِينُهَا مُتَوَقِّفَةٌ، فِي نَظَرِ ثِرَاسِيْمَاخُوسَ، عَلَى الْقُوَّةِ لَا غَيْرِ، لِذَلِكَ "يُصْرِّحُ الَّذِينَ بَلَّغُوا سُدَّةَ الْحُكْمِ بِأَنَّ مَا فَعَلُوهُ - وَالَّذِي يَصُبُّ فِي مَصْلَحَتِهِمْ - عَادِلٌ فِي حَقِّ رَعَايَاهُمْ...هَذَا مَا أَخْبَرْتُ بِهِ مِنْ أَنَّ الْعَدَالَةَ هِيَ مَصْلَحَةُ النِّظَامِ الْقَائِمِ وَذَلِكَ مَا يَحْصُلُ فِي الْمَدَائِنِ كَافَّةً"⁹⁸¹.

الْقَاعِدَةُ الْمُطْرَدَّةُ فِي الْمَنْزَعِ السُّفْسُطَائِيِّ هِيَ مَصْلَحَةُ الْأَقْوَى وَالْمُتَغَيِّرُ هُوَ الْقَوَانِينُ الَّتِي تَتَبَدَّلُ بِتَبَدُّلِ الْقُوَّةِ الْمَاسِكَةِ بِزَمَانِ السُّلْطَةِ وَفِي ذَلِكَ نَفْيٌ لِجَوْهَرِيَّةِ الْحَقِّ⁹⁸². وَالطَّبِيعَةُ فِي نَظَرِ سَادَةِ السُّفْسُطَائِيِّينَ تَوْكِيدٌ لِلْأَنَّا وَتَغْيِيرٌ عَنْهُ وَإِشْبَاعٌ أَقْصَى لِغَرَائِزِ السَّيْطَرَةِ وَالْاِسْتِمْتَاعِ⁹⁸³. هَكَذَا يَقْتَرِنُ الْحَقُّ الطَّبِيعِيُّ لِلْأَقْوَى بِضَرْبٍ مِنَ الزَّعَةِ اللَّذَوِيَّةِ حَيْثُ الْعَقْلُ وَالشَّجَاعَةُ فِي خِدْمَةِ اللَّذَّةِ، مَا يَرْفَعُ اللَّذَّةَ إِلَى مُسْتَوَى مَبْدَأٍ أَعْلَى يُؤَلَّفُ قِوَامَ الطَّبِيعَةِ، فِي تَعَارُضٍ شَبَهٍ مُطْرَدٍ مَعَ الْأَغْرَافِ، وَلِبُلُوغِ هَذِهِ الْغَايَةِ لَا بُدَّ عَلَى الْإِنْسَانِ الْأَقْوَى مِنْ أَنْ يَغْدُو سَيِّدًا عَلَى الْآخَرِينَ⁹⁸⁴.

إِذَا كَانَتْ فَلْسَفَةُ نِيَتِشَةَ تَقُومُ فِي مَبَانِيهَا عَلَى شِقِّ نَقْدِيٍّ يُجْهَزُ عَلَى الْمُقَدَّسَاتِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ وَعَلَى شِقِّ بِنَائِيٍّ يَسْتَمِدُّ مَادَّتَهُ مِنْ طَبَائِعِ الْحَيَاةِ الْأَشَدِّ خُطُورَةً وَمِنْ مَفَاهِيمِهَا الْأَكْثَرِ غُرْضَةً لِلْاِنْزِلَاقِ: الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْقُوَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنَائِي بِهِ كَثِيرًا عَنْ أَسْلَافِهِ السُّفْسُطَائِيِّينَ مِنَ الْجِيلِ الثَّانِي (لَا سِيَّمَا كَالِيكَلِسُ) الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلَى بِنَاءِ فَلْسَفَتِهِمْ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ⁹⁸⁵ وَالْغَرِيزَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَقْدَمْ ثِرَاسِيْمَاخُوسُ بَدِيلًا بِنَائِيًّا بَعْدَمَا انْهَالَ عَلَى الْمُقَدَّسَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، فَإِنَّ كَالِيكَلِسَ قَدَّمَ لَنَا تَصَوُّرًا جَدِيدًا

⁹⁸⁰J.P Maguire, Thrasymachos...or plato?, phronesis 16, 1971, pp. 142-63.

⁹⁸¹Plato, Republic, Trans. G.M.A. Grube, Revised By C.D.C. Reeve, 338e—339 a : « And they declare what they have made—what is to their own advantage—to be just for their subjects...This, then, is what I say justice is, the same in all cities, the advantage of the established regime ».

⁹⁸²Jean -Jacques Chevalier, Histoire de la pensée politique, Edition Payot Rivages, 1979, p. 36.

⁹⁸³Ibid, p. 35.

⁹⁸⁴Ada Babette Neschke, Jacques Follon, Platonisme politique et théorie du droit naturel : Le platonisme politique dans l'antiquité, p. 115.

⁹⁸⁵William Baranger, La pensée de Nietzsche, Chaix, 1946, p. 38. Voir André Rivier, Les horizons métaphysiques du "Gorgias" de platon, Librairie de l'Université, 1948, p. 13.

لِلْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ وَالْأَخْلَاقِ مَشُوبًا بِزَعَةِ طَبِيعَانِيَّةٍ جَلِيَّةٍ ، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ جَان جَاك شُوفَالِيَّه قَائِلًا: "لَقَدْ قَوَّضَ ثِرَاسِيْمَاخُوسُ، الَّذِي هُوَ تَجْرِيْبِيٌّ مِنْ غَيْرِ شَائِبَةٍ وَعَدَمِيٌّ عَلَى الصَّعِيدِ الْإِطِيقِيِّ، الْأَوْتَانِ التَّقْلِيدِيَّةِ دُونَ أَنْ يُقَدِّمَ بَدِيلًا. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَالِيْكَلِسَ فَقَدْ قَصَدَ أَنْ يُجَلِّحَ مَحَلَّهَا تَصَوُّرًا جَدِيدًا لِلْحَيَاةِ، أَخْلَاقًا جَدِيدَةً، أَخْلَاقًا غُلِيًّا، نَوَى أَنْ يُدَشِّنَ ثَوْرَةً إِبْطِيقِيَّةً، لَكِنْ مَهْمَا كَانَ الْاِخْتِلَافُ كَبِيرًا بَيْنَهَا وَ[التَّصَوُّرَاتِ الْقَدِيمَةِ]، فَقَدْ كَانَتْ قَلِيلَةً النَّفْعُ فِي حَقِّ الْمَدِينَةِ. فَهَذِهِ وَقَانُونُهَا وَبِمَعْيَتِيَّهَا الْأَخْلَاقُ وَالِدِينُ وَجَدَتْ ذَاتَهَا فِي نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْآثِنِيِّ مَوْضُوعَةً بِشَكْلِ حَظِيرٍ مَوْضِعِ شَاكٍ فِي الْمَنَاحِ الْفِكْرِيِّ السَّائِدِ الَّذِي شَاعَ فِيهِ " اسْتِعْدَاءُ الْأَعْرَافِ وَالتَّقْلِيدِ " [كَرُهُ الْآيْفُونَاتِ الْمُقَدَّسَةِ]. (وَتَتَحَمَّلُ السُّفْسُطَائِيَّةُ مَسْئُولِيَّةَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ كَبِيرٍ) لَقَدْ وَضَعَتْ [الْمَدِينَةُ، قَانُونُهَا، الْأَخْلَاقُ وَالِدِينُ] مَوْضِعَ شَاكٍ بِاسْمِ الطَّبِيعَةِ وَحَصَلَ رَنْطُهَا [الْهَاءُ يَعُودُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَقَانُونِهَا ..الْآخ] بِصُورَةٍ مُتَّفَاوِتَةٍ بِصِغٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ. بِهَذِهِ الْقُوَّةِ فِي مَعْنَاهَا الْأَكْثَرُ غُنْفًا وَغَرَبًا عَارِضَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ (416 م) مُمَثِّلُو أَثِينَا، أَثِينَا الْأَمْبَرَاطُورِيَّةِ، ضَعَفَ الْمِيلِيَّيْنَ ... "986

تَتَبَنَّى فُلْسَفَةُ كَالِيْكَلِسَ عَلَى ثَلَاثِ مُسَلِّمَاتٍ كُبْرَى تُشَاكِلُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ مُسَلِّمَاتٍ نِيْتَشَهُ ، أَوَّلُ هَذِي الْمُسَلِّمَاتِ: تَقْسِيمُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى ضَعَفَاءٍ وَأَقْوِيَاءَ حَيْثُ يَعْدُو التَّفَاضُلُ وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَ الْبَشَرِ قِيَمُومَةً طَبِيعِيَّةً تَحَارِبُهَا الْأَعْرَافُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ ، ثَانِي الْمُسَلِّمَاتِ: تَقْسِيرُ سُلُوكَاتِ الْأَقْوِيَاءَ عَلَى أَنَّهَا طَبِيعِيَّةٌ ، ثَالِثُ الْمُسَلِّمَاتِ: الطَّابِعُ الثَّابِتُ لِلطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَا يَجْعَلُ التَّرْبِيَّةَ مُسْتَحِيلَةً⁹⁸⁷ ، هَذَا مَا يَجْعَلُ نِيْتَشَهُ أَقْرَبَ إِلَى السُّفْسُطَائِيَّيْنَ مِنَ الْجِيلِ الثَّانِي مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ. وَفِي مِضْمَارِ هَذِي الطَّبِيعَانِيَّةِ الْفَلْسَفِيَّةِ لَا مَحَالَةَ مِنْ أَنْ تَصْطَلِمَ الْأَعْرَافُ الْمُتَغَيِّرَةُ بِالطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الرَّاسِخَةِ بِمَا هِيَ أَهْوَاءٌ وَرَغَبَاتٌ.

وَمَا نَطَقَتْ بِهِ شَوَاهِدُ الْعَلَاَقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ ، حَيْثُ الدُّوْلُ الْقَدِيرَةُ تُخْضِعُ وَتَسْتَوْعِبُ وَتَسْتَهْلِكُ الدُّوْلَ الضَّعِيفَةَ ، مُصَدِّقٌ لِهَذَا الْمَنْزَعِ الطَّبِيعِيِّ⁹⁸⁸ . وَبِاسْمِ هَذَا الْحَقِّ لَا يَدْعُو كَالِيْكَلِسَ جِهَارًا إِلَى إِخْضَاعِ الْأَقْوِيَاءِ الْمُقْتَدِرِينَ لِشَرِيحَةٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فَقَطْ وَإِنَّمَا إِلَى إِخْضَاعِ مَجْمُوعِهَا ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ أَصْرَةٌ عَلَى الْحُشُودِ الضَّعِيفَةِ وَالْعُقُولِ الْبَلِيدَةِ Esprits épais ، ذَلِكَ أَنَّهُ مُنْحَازٌ إِلَى الْعَبْقَرِيِّ أَوْ "الْإِنْسَانِ الْأَعْلَى" كَمَا يَحْلُو لَنَا

⁹⁸⁶Jean -Jacques Chevalier, Histoire de la pensée politique, p. 37.

⁹⁸⁷Ada Babette Neschke, Jacques Follon, Platonisme politique et théorie du droit naturel : Le platonisme politique dans l'antiquité, p. 91.

⁹⁸⁸Theodor Gomperz, Les penseurs de la Grèce : histoire de la philosophie antique, Trad. Aug. Reymond, Félix Alcan, Éditeur, Lausanne Payot & C, Paris, 1908, Tome I, p. 426 : « Il lui fait défendre avec passion dans le Gorgias le droit du plus fort. Kalliklès s'en réfère à la domination que le fort exerce sur les faibles il y voit un fait qu'il déclare fondé sur la nature et qu'il décore à cause de cela du nom de « loi naturelle ». Et, dans sa bouche, la loi naturelle devient aussitôt le « droit naturel », ... cette tentation était fortement encouragée par la circonstance que les deux choses se confondaient presque absolument dans l'opinion des Anciens, en un domaine au moins, à savoir celui des relations internationales. On regardait en même temps comme naturel et comme permis que les Etats puissants soumissent et absorbassent les faibles ».

أَنْ نُعَبِّرَ الْيَوْمَ ضِدَّ الْحُشُودِ الَّتِي تَسْعَى بِدَوْرَهَا لِإِخْضَاعِهِ وَالتَّزْوِلِ بِهِ إِلَى مُسْتَوَى وَضَاعَتِهَا⁹⁸⁹. يَصِفُ جومبرز مَوْقِفَ كَالِيكليسَ قَائِلًا: " يَطِيرُ فَرَحًا لِكُونِ الْإِنْسَانِ الْعَبْقَرِيِّ، الَّذِي يُشْبِهُ شَيْئًا مُرَوَّضًا بِشَكْلِ جُزْئِيٍّ، يَنْتَصِبُ ثَائِرًا فَجَاءَةً، بِكُلِّ اغْتِرَازٍ، فِي مَلَأٍ قُوَّتِهِ⁹⁹⁰ " فَيَكْثُرُ الْأَصْفَادُ، هَائِجًا وَمُنْتَهَكًا جَمِيعَ الْأَوْرَاقِ الْقَانُونِيَّةِ وَجَمِيعِ حَلِيطِ الْقَوَانِينِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي يَهْمُ بِهَا يُسْعَى إِلَى إِرْهَاقِ كَاهِلِهِ. وَبِالْحَقِّ الطَّبِيعِيِّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا عَلَيْنَا لَا عَبْدًا خَادِمًا لَنَا⁹⁹¹.

إِذَا كَانَتْ السُّوفِسْطَائِيَّةُ فِي غَمَقِهَا حَرَكَتًا سَاعِيَةً إِلَى الْإِنْعِتَاقِ مِنَ الْعُرْفِ الْأَخْلَاقِيِّ الْقَائِمِ⁹⁹² وَفِي هَذَا الْإِنْعِتَاقِ إِنْكَارٌ لِأَيِّ حَقِيقَةٍ كَوْنِيَّةٍ ذَاتِ مُصْدَاقِيَّةٍ لِلنَّاسِ كَافَةً - وَهُوَ مَا يَتَطَابَقُ مَعَ مَلْفُوظَاتِ نَيْتَشْه حَسَبَ مَا شَفَّتْ عَنْهُ بَعْضُ الْقَرَائِنِ - فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ الْبَتَّةَ أَيْضًا لِقَانُونٍ وَحِيٍّ بِصُورَةٍ كَوْنِيَّةٍ، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمِنَوَالِ الْفَلَسَفِيِّ مَعْيَارًا لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْمِضْمَارِ الْمَعْرِفِيِّ فَلَنْ يَخْتَلِفَ الْأَمْرُ عَنِ الصَّعِيدِ الْعَمَلِيِّ فِي ارْتِفَاعِ الصَّبْغَةِ الْكَوْنِيَّةِ عَنِ الْأَحْكَامِ الْمُلْزِمَةِ لِلنَّاسِ كَافَةً. وَلَا جَرَمَ فِي هَكَذَا نِسْبَوِيَّةٍ، أَنْ يَكُونَ مِنْ حَقِّ أَيِّ امْرِئٍ اتِّبَاعُ أَهْوَائِهِ وَمُيُولِهِ دُونَ قَمْعِ بَلٍّ مِنْ حَقِّهِ الدَّفْعُ بِهَا إِلَى أَقْصَى مَا تَقْدِرُ أَنْ نَصِلَ إِلَيْهِ وَإِفْرَاقُ الْوُسْعِ فِي إِشْبَاعِهَا⁹⁹³، وَإِذَا زَجَرَهُ الْقَانُونُ وَالْعُرْفُ عَنْ إِيثَانِ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَلَّفُ انْتِهَاقًا لِلْحَقِّ الطَّبِيعِيِّ، وَهُوَ إِرْغَامٌ لَا أَحَدَ مُطَالِبٌ بِالْإِذْعَانِ لَهُ إِذَا امْتَلَكَ الْقُوَّةَ لِكُسْرِهِ أَوْ الْإِلْتِفَافِ وَالْإِنْقِلَابِ عَلَيْهِ⁹⁹⁴.

⁹⁸⁹Theodor Gomperz, Les penseurs de la Grèce, Tome I, p. 428 : « Il prend parti pour le génie, pour le « surhomme », comme on aime à dire aujourd'hui, contre la foule qui cherche à asservir son âme et à le rabaisser au niveau de sa propre médiocrité ».

⁹⁹⁰Ibid, p. 427 : « Il exulte à la pensée que l'homme de génie, semblable à un lionceau à moitié dompté, se dresse tout à coup, fièrement, dans la plénitude de sa force... ».

⁹⁹¹Ibid, Voir Platon, Gorgias 484 e et 492 : « ... brise ses chaînes, secoue et foule aux pieds toutes les paperasses, tout le fatras de formules et de fantasmagorie sous lequel on prétendait l'accabler, et, par droit de nature, veut être notre maître et non notre serviteur ».

في ترجمة ألفريد كروازيه :

Platon, Gorgias Trad. par Alfred Croiset, 484a : « Mais qu'il se rencontre un homme assez heureusement doué pour secouer, briser, rejeter toutes ces chaînes, je suis sûr que, foulant aux pieds nos écrits, nos sortilèges, nos incantations, nos lois toutes contraires à la nature, il se révolterait, se dresserait en maître devant nous, lui qui était notre esclave, et qu'alors brillerait de tout son éclat le droit de la nature... ».

⁹⁹²Eduard Zeller, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique, p. 520.

⁹⁹³Platon, Œuvres complètes, Trad. Léon Robin, Joseph Moreau, Volume I, Gallimard, 1950, p. 438 : « Mais ce qui selon la nature est beau et juste, c'est ce que j'ai la franchise de te dire à présent : que celui qui veut vivre droitement sa vie, doit d'une part, laisser les passions qui sont les siennes être les plus grandes possibles, et ne point les mutiler; donner à chaque désir qui pourra lui venir la plénitude des satisfactions. Car ce qui est juste, c'est de porter ses passions à leur degré maximum, de les assouvir totalement, en mettant son intelligence à leur service ».

⁹⁹⁴Eduard Zeller, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique, p. 520.

لَا مَذْذُوحَةٌ لَنَا مِنْ إِعْمَالِ التَّقْدِيرِ فِي كُلِّ فِلْسَفَةٍ تَفْهَمُ الْقِيَمَةَ عَلَى ضَوْءِ الْقُوَّةِ وَالْاِقْتِدَارِ الْهَوَوِيِّ، خُصُوصًا فِي فِلْسَفَةِ كَالْفِلْسَفَةِ النِّيْتَشَوِيَّةِ الَّتِي تَحْسَبُ الْقِيَمَةَ جَنْسَ عَامٍّ تَنْدَرُجُ فِيهِ أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ مِنَ الْمُبَاحِثِ، مَا دَامَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا يُسْفَرُ عَنْ قِيَمَةٍ مُعَيَّنَةٍ مَمْدُوحَةٍ أَوْ مَذْمُومَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا ضَيْرَ فِي سَبِيلِ تَقْدِيرِ تَأْثِيلِيَّةٍ أَنْ نَسْتَعِينَ بِمَلْحُوظَاتِ رُؤُسُو عَنْ لَاشَرِيعِيَّةِ الْأُمُورِ الَّتِي تَنْبَنِي عَلَى الْقُوَّةِ وَالْقَسْرِ، لَا سِيَّمَا فِي الْعَالَمِ الْبِنْيِيِّ لِلْعَلَاَقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَلَى الْحَقِّ لَا عَلَى الْقُوَّةِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلْقُوَّةِ أَنْ تُفْضِيَ إِلَى أَخْلَاقٍ جَيِّدَةٍ تَتَأَسَّسُ عَلَى الْاِخْتِيَارِ لَا عَلَى الْاِضْطِرَارِ؛ وَالْخُضُوعُ لِلْقُوَّةِ كَمَا نَعْلَمُ هُوَ فِعْلٌ قَسْرٍ لَا فِعْلٌ حُرٌّ وَهُوَ خُضُوعٌ لِحُوفٍ لَا إِيْتَانٍ لِوَاجِبٍ.⁹⁹⁵

وَمِنْ الْبَدَهِيِّ أَنْ يَنْتَهِي اِقْتِرَانُ الْقِيَمَةِ بِالرِيدَةِ Le vouloir، بِمَا هِيَ اِقْتِدَارٌ وَقُوَّةٌ عِنْدَ نِيْتَشِه، إِلَى تَغْيِيرِ مَعْلُولَاتِهَا بِتَغْيِيرِ أَصْحَابِ الْإِرَادَةِ، أَيْ بِتَبَدُّلِ آلِ الْاِقْتِدَارِ وَالْبَاسِ (الْعِلَلِ)، يُوجِبُ ذَلِكَ أَنْ تَرْتِ كُلُّ ذَاتٍ مُرِيدَةٍ تَتَغَلَّبُ عَلَى ذَاتٍ مُرِيدَةٍ أُخْرَى حَقَّ خَلْقِ الْقِيَمَةِ تَبَعًا لِمَضْمُونِ إِرَادَتِهَا وَمَقَاصِدِهَا. وَهَذَا يَجْعَلُ الْقِيَمَةَ مُتَوَقِّفَةً وَجُودًا وَعَدَمًا عَلَى شَيْءٍ غَارِضٍ يَفْنَى بِمُجَرَّدِ مَا تُهَيِّمُ رِيدَةٌ عَلَى أُخْرَى أَوْ تُهْلِكُهَا. وَمَا إِنْ تَضَمَّنَ رِيدَةً هَيِّنَةً، بِمَا هِيَ قُوَّةٌ ضَعِيفَةٌ، الْاِنْفِلَاتِ مِنَ الْعِقَابِ، يَجْزُ لَهَا أَنْ تَشْرَعَ فِي الثَّوْرَةِ عَلَى الرِيدَةِ الْقَوِيَّةِ.

أَضْفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ تَعْيِينَ الْقِيَمَةِ بِالرِيدَةِ، يَوْصِفُهَا قُوَّةً وَاقْتِدَارًا، يُصَيِّرُ الْخُضُوعَ لِلْوَاجِبِ أَمْرًا لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ مَا دَامَ الْوَاجِبُ فِي الْخُضُوعِ الْقَسْرِيِّ لِلْقُوَّةِ لَا لِلْوَاجِبِ، وَيَجْعَلُ انْتِفَاءً وَجُوبَ الْاِثْقَادِ عَنْ قَسْرِ أَمْرًا يَنْتَفِي بِبَعِيَّتِهِ الْاِثْقَادُ الطَّوْعِيُّ لِلْوَاجِبِ.⁹⁹⁶ حِينَئِذٍ يُصْبِحُ مِنَ الْجَائِزِ عَلَى الرِيدَاتِ صَاحِبَاتِ الضَّعْفِ أَنْ تَتَمَلَّصَ مِنَ الْقِيَمِ بِمُجَرَّدِ مَا تَنْتَفِي الرِيدَةُ ذَاتُ الْبَاسِ الَّتِي تَقْرُضُ الْقِيَمَ بِالْقَسْرِ.⁹⁹⁷ وَهَذَا لَا يَدُلُّنَا إِلَّا عَلَى تَنَاقُضَاتٍ أَيْ فِلْسَفَةٍ تَتَأَسَّسُ عَلَى مُعْجَمِيَّةِ الرِيدَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ الْمُفْسَّرَةِ فِي أَفْقِ الْاِلْعَقْلَانِيَّةِ الْهَوَوِيَّةِ وَالْعَرِيزِيَّةِ.

لِبَيَانِ وَجْهِ الْخُطُورَةِ فِي تَأْسِيسِ الْقِيَمَةِ بِعَاقِمَةٍ عَلَى لَاعَقْلَانِيَّاتِ الْاِقْتِدَارِ أَوْ عَلَى آلِ الْقُوَّةِ، فَلَا مُشَاحَّةَ مِنَ الْأَسْتِثْنَاسِ بِبَعْضِ آرَاءِ هُوبْسَ؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى فِي الْقُوَى الشَّهْوَانِيَّةِ Appétits أهْوَاءَ صَادِرَةً مِنْ

⁹⁹⁵Jean-Jacques Rousseau, Du contrat social, Les classiques du peuple, Editions sociales, 1968, Préface et Commentaires par Jean-Louis Lecercle, III. Du droit du plus fort, p. 58 : « La force est une puissance physique; je ne vois point quelle moralité peut résulter de ses effets. Céder à la force est un acte de nécessité, non de volonté; c'est tout au plus un acte de prudence ».

⁹⁹⁶Ibid, p. 59 : « Car, sitôt que c'est la force qui fait le droit, l'effet change avec la cause : toute force qui surmonte la première succède à son droit. Sitôt qu'on peut désobéir impunément, on le peut légitimement; et puisque le plus fort a toujours raison, il ne s'agit que de faire sorte qu'on soit le plus fort. Or, qu'est-ce qu'un droit qui péricule quand la force cesse ? S'il faut obéir par force, on n'a pas besoin d'obéir par devoir; et si l'on n'est plus forcé d'obéir, on n'y est plus obligé. On voit donc que ce mot de droit n'ajoute rien à la force ».

⁹⁹⁷Ibid : « : Qu'un brigand me surprenne au coin d'un bois : non seulement il faut par force donner la bourse, mais, quand je pourrais la soustraire, suis-je en conscience obligé de la donner ? Car enfin le pistolet qu'il tient est aussi une puissance ».

الطبيعة الحيوانية في الإنسان⁹⁹⁸ لِكَيْتَ قَبِيحَةٍ فِي ذَاتِهَا وَإِنَّمَا الْأَفْعَالُ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهَا هِيَ مَنْ تَكُونُ قَبِيحَةً حِينَ تَضُرُّ وَتُسِيءُ إِلَى الْوَاجِبَاتِ. وَتَأْسِيسًا عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، مَا الشَّرِيرُ إِلَّا ذَلِكَ الَّذِي يُوَاصِلُ فِي سِنِّ الرُّشْدِ وَالْقُوَّةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ وَكَأَنَّهُ طِفْلٌ وَهُوَ مَا سَمَاهُ دِيدَرُو بِالطِّفْلِ قَوِي الْجِسْمِ « *L'enfant robuste* ». وَإِذَا مَا أَوْضَحْنَا مَفْهُومَ نَيْتَشِهِ عَنِ الْأَسْيَادِ (الْقَوَى الْفَاعِلَةِ)، فِي سِيَاقٍ مَا أوردناه هُنَا، فَإِنَّا سَنَقُولُ: "مَا الْأَنُمُودَجُ السَّيِّدُ فِي دِلَالَتِ نَيْتَشِهِ، وَفَقَ هَذَا التَّغْيِيرِ الدِيدَرَوِيِّ، إِلَّا طِفْلٌ وَقَدْ أُوتِيَ قُوَّةَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ مَعَ غِيَابِ لُغَوِي بِالْوَاجِبَاتِ" [بِمَعْنَاهَا الْعَقْلَانِي]⁹⁹⁹.

عَلَى غِرَارِ هُوبْسٍ أَيْضًا يُحِيلُ رُوسُو إِلَى الْأَهْوَاءِ بِمَا هِيَ مَبْدَأُ فَعَالٍ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يُسَبِّبَ رُوحَ السَّيْطَرَةِ لِأَحَقًّا لَا لِذَاعٍ ضَرْوَرِيٍّ مِثْلَ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ بَلْ جَرَاءَ مُعَاشَرَةِ النَّاسِ وَالِاتِّصَالِ بِهِمْ، تَكْفِي تَجَرُّبَةُ السَّيْطَرَةِ لِلشُّعُورِ بِمُتَعَةِ التَّصَرُّفِ بِتَوْسُلِ الْآخَرِينَ وَاسْتِخْدَامِهِمْ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ تَحْرِيكَ الْكُونِ بِأَكْمَلِهِ بِمَجَرَّدِ هَزِّ اللِّسَانِ¹⁰⁰⁰. إِنَّ الرَّجُلَ الطِّفْلَ أَوْ الْإِنْسَانَ السَّيِّدَ فِي عَرَفِ نَيْتَشِهِ يُشَبِّهُهُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ، فِي تَقْدِيرِنَا التَّأْوِيلِيِّ، طِفْلٌ رُوسُو الَّذِي "يَطْعَنُ طَائِرًا مِثْلَمَا يَطْعَنُ حَجَرًا وَيَخْنُقُهُ دُونَ أَنْ يَعْصِي مَا يَفْعَلُهُ"¹⁰⁰¹ وَالْفَارِقُ أَنَّ رُوسُو يُرِيدُ أَنْ يُفْهَمَ أَنَّ الطِّفْلَ بَرِيءٌ بَيْنَمَا نَيْتَشُهُ يُرِيدُ قَوِيًّا نَبِيلاً يَطْعَنُ وَيَغْزُو انْطِلَاقًا مِنْ بَرَاءَةِ الطِّفْلِ هَذِي الَّتِي لَا تَشْعُرُ بِتَرَدُّدٍ وَلَا تَأْنِيْبٍ.

وَكُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ نَيْتَشَهُ الَّذِي يَسْعَى إِلَى قَلْبِ الْأَخْلَاقِ التَّقْلِيدِيَّةِ يَقْدِمُ لَنَا أَخْلَاقًا مَقْلُوبَةً تَقِيْمُ الْمَبْدَأَ الْفَعَالِ الرُّوسُوِيِّ، بِمَا هُوَ الْأَهْوَاءُ الْمُوَلَّدَةُ لِرُوحِ السَّيْطَرَةِ، فِيَمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْخِلَافُ بَيْنَهُ وَرُوسُو يَكْمُنُ فِي أَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ لَا يَرَى فِي رُوحِ السَّيْطَرَةِ فِطْرَةً أُولَى لِلْإِنْسَانِ، فِي حِينِ أَنْ نَيْتَشَهُ يَرَى ذَلِكَ¹⁰⁰² وَبَيْنَمَا هُوَ يُرِيدُ رَابِطًا غَيْرَ أَخْلَاقِيٍّ فِي عِلَاقَةِ الْفَرْدِ بِنَفْسِهِ وَعِلَاقَتِهِ بِأَغْيَارِهِ، فَإِنَّ رُوسُو يُرِيدُ رَابِطَةً أَخْلَاقِيَّةً فِي الْجَسَدِ الْاجْتِمَاعِيِّ حَيْثُ الْأَفْرَادُ لَا يَتَصَرَّفُونَ بِنَاءً عَلَى قُوَّةِ تَضَطُّرُّهُمْ إِلَى الْإِلْتِمَامِ بَلْ بِمُوجِبِ قُوَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ إِنَّ جَارَ الْقَوْلِ¹⁰⁰³، لِذَلِكَ فِي مَبْحَثِ حَقِّ الْأَقْوَى يُرِيدُ رُوسُو أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا يُؤَسِّسُ الْإِلْتِمَامَ

⁹⁹⁸ «passions provenant de la nature animale».

⁹⁹⁹ Denis Diderot, Œuvres, Tome XVI, Dictionnaire Encyclopédique, Tome IV, Brifcre éd., Paris, 1821, p. 90. Hobbisme : « Le méchant de Hobbes est un enfant robuste : Malus est puer robustus. En effet, la méchanceté est d'autant plus grande, que la raison est faible, et que les passions sont fortes. Supposez qu'un enfant eût à six semaines l'imbécillité de jugement de son âge, et les passions et la force d'un homme de quarante ans, il est certain qu'il frapperait son père, qu'il violerait sa mère, qu'il étranglerait sa nourrice, et qu'il n'y aura nulle sécurité pour tout ce qui l'approchera. Donc la définition de Hobbes est fautive, ou l'homme devient bon à mesure qu'il s'instruit ».

¹⁰⁰⁰ Jean-Jacques Rousseau, Émile ou De l'éducation, Garnier, Paris, 1961, p. 36 : « Pour sentir combien il est agréable d'agir par les mains d'autrui, et de n'avoir besoin que de remuer la langue pour faire mouvoir l'univers ». Voir Victor Goldschmidt, Anthropologie et politique, les principes du système de Rousseau, Edition Vrin, 1983, p. 328.

¹⁰⁰¹ Ibid, Librairie de la Bibliothèque Nationale, 1877, p. 64 : « ... empoigne un oiseau comme il empoignerait une pierre, et l'étouffe sans savoir ce qu'il fait ». Voir Victor Goldschmidt, Anthropologie et politique, les principes du système de Rousseau, p. 329.

¹⁰⁰² Voir Victor Goldschmidt, Anthropologie et politique, les principes du système de Rousseau, Edition Vrin, 1983, p. 329.

¹⁰⁰³ Bronislaw Baczko, Rousseau, Solitude et communauté, Trad. du polonais par Claire Brendhel Lamhout, Edition La Haye : Mouton, Paris, 1974, p. 17.

المَشْرُوعُ أَوْ الْوَاجِبُ الشَّرْعِيُّ Obligation légitime¹⁰⁰⁴ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ يَنْخَرِطُ فِي جَوَارٍ مَعَ هُوبَسْ¹⁰⁰⁵.

وَهَذَا الْوَاجِبُ بِالْمَعْنَى الرُّوسَوِي لَا يَكُونُ لَهُ مَعْنَى إِلَّا إِذَا تَأَسَّسَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَلَا يَفْرُضُ نَفْسَهُ عَلَى إِنْسَانٍ إِلَّا إِذَا كَانَ حُرًّا فِي الْإِنْقِيَادِ لَهُ¹⁰⁰⁶ وَرُوسُو يَرْمِي إِلَى وَجُوبِ تَفْكِيرِ طَبِيعَةِ الْعِلَاقَةِ الْجَمَاعِيَّةِ عَلَى ضَوْءِ مَفْهُومِ الْحُرِّيَّةِ لَا انْطِلَاقًا مِنْ مَفَاهِيمِ الْقُوَّةِ وَالتَّجْمِيعِ وَالْخُضُوعِ¹⁰⁰⁷. لَأَنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي تَخْضَعُ لِإِرَادَةِ السَّيِّدِ يُصْبِحُ أَفْرَادُهَا مُتَسَاوِينَ مِنْ حَيْثُ الْخُضُوعُ مِثْلَمَا كَانُوا فِي الْحَالَةِ الْأَصْلِيَّةِ مُتَسَاوِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَبِهَذَا التَّحَوُّلِ تَغْدُو قُوَّةُ / سُلْطَةُ السَّيِّدِ الْقَانُونُ الْوَحِيدَ لِلْجَمِيعِ وَتَصِيرُ أَهْوَاؤُهُ قَانُونَهُ الْوَحِيدَ، وَمِنْ ثَمَّ تُلْغَى مَرَّةً أُخْرَى مَفَاهِيمُ مِنْ قَبِيلِ الْخَيْرِ وَمَبَادِي الْعَدَالَةِ، وَهَكَذَا يَفِيءُ الْمُجْتَمَعُ إِلَى حَالَةٍ طَبِيعِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لَيْسَتْ غَيْرَ ثَمَرَةٍ لِفَسَادٍ مُفْرِطٍ¹⁰⁰⁸.

بَيْنَ مُعْجَمِيَّةِ الْقُوَّةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَالْعَيْشِ الْأَمِنِ بَيْنَ الذَّوَاتِ خَرُطُ الْقِتَادِ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِنَاءُ أَيِّ جَسْمٍ اجْتِمَاعِيٍّ عَلَى الْقُوَّةِ حَسَبَ رُوسُو، إِذْ يَقُولُ: "مَا دَامَ لَا يُوجَدُ إِنْسَانٌ يَمْتَلِكُ سُلْطَةً طَبِيعِيَّةً عَلَى مِثْلِهِ، وَمَا دَامَتِ الْقُوَّةُ لَا تُؤَلِّدُ أَيَّ حَقِّ الْبَتَّةِ، فَإِنَّ التَّعَاقُذَاتِ تَبْقَى إِذْنِ الْأَسَاسِ لِكُلِّ سُلْطَةٍ شَرْعِيَّةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ"¹⁰⁰⁹. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ وَحْدَهَا فِي سِيَاقِ الْعَقْلَانِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ مُسَوِّغٌ لِتَكْوِينِ

¹⁰⁰⁴Bruno Bernardi, La fabrique des concepts : recherches sur l'invention conceptuelle chez Rousseau, Edition Champion, 2006, p. 23.

¹⁰⁰⁵Ibid, p. 50.

¹⁰⁰⁶Nguyen Vinh-De, Le problème de l'homme chez Jean-Jacques Rousseau, 1991, presse de l'Université du Québec : « Rousseau combat cette théorie en montrant qu'il n'y a pas de sens à parler du droit du plus fort et que le non-sens de ce prétendu droit vient de ce qu'il n'est lié en rien à la liberté. En effet, le droit véritable n'a de sens que par le devoir de le respecter. À son tour, la notion du devoir n'a de sens que par celle de la liberté : le devoir s'impose à l'être qui est libre de ne pas l'accomplir. Faire son devoir, c'est exécuter un acte de volonté, c'est réaliser un acte libre. Or la force ne présente nullement les caractères du droit ». P. 56.

¹⁰⁰⁷Bruno Bernardi, La fabrique des concepts : recherches sur l'invention conceptuelle chez Rousseau, p. 70.

¹⁰⁰⁸Bronislaw Baczko, Rousseau, Solitude et communauté, p. 139 : « Rappelons enfin que Rousseau termine son Discours sur l'inégalité en comparant la société existante, « le dernier terme de l'inégalité ~, au point de départ « à l'état originel ». « C'est ici que tous les particuliers redeviennent égaux parce qu'ils ne sont rien, et que les Sujets n'ayant plus d'autre Loi que la volonté du Maître, ni le Maître d'autre règle que ses passions, les notions du bien, et les principes de la justice s'évanouissent derechef. C'est ici que tout se ramène à la seule Loi du plus fort, et par conséquent à un nouvel Etat de Nature », avec cette différence cependant que « l'un était l'Etat de Nature dans sa pureté, et que ce dernier est le fruit d'un excès de corruption. J.-J. Rousseau, Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité (sera désormais cité dans les notes : Sur l'origine de l'inégalité'), in Œuvres complètes, Bibliothèque de la pléiade, Paris, 1964, op.cit, Tome III, p. 191 : « C'est ici que tout se ramène à la seule loi du plus fort, et par conséquent à un nouvel État de nature différent de celui par lequel nous avons commencé, en ce que l'un était l'état de nature dans sa pureté et que ce dernier est le fruit d'un excès de corruption ».

¹⁰⁰⁹Jean-Jacques Rousseau, Du contrat social, Chap. IV. De l'esclavage, p. 59 : « ... puisque aucun homme n'a une autorité naturelle sur son semblable, et puisque la force ne produit aucun droit, restent donc les conventions pour base de toute autorité légitime parmi les hommes ».

الْمُجْتَمَعَاتِ وَهَذَا الشَّرْطُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِي مَقْدُورِهِ إِحْلَالُ قُوَّةِ الْقَانُونِ مَحَلَّ قَانُونِ الْقُوَّةِ، مَا يَخْلُقُ وَيَكْفُلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ حُقُوقَ كُلِّ إِنْسَانٍ¹⁰¹⁰.

لَقَدْ نَسَجَ نَيْتَشْه نَظَرِيَّتَهُ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةَ، بِنَاءً عَلَى تَصَوُّرِهِ عَنِ الرِّيْدَةِ بِاعْتِبَارِهَا مَفْهُومًا غَرِيظًا مُعَقَّدًا، كَيْ تَخْدُمَ مَقْصِدَهُ الْأَعْلَى الْمُمَثِّلَ فِي إِنْسَانِ الرِّيْدَةِ، وَلَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ، إِذَا رَمَيْنَا إِلَى اسْتِيعَابِ حَسَنِ لِمَبَانِي هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ الْقِيَمِيَّةِ، عَنْ الْهَامِّ جَيِّدٍ بِمَبَانِي الرِّيْدَةِ الَّتِي نَظَرَهَا نَيْتَشْه، فَقَوَّضَ بِذَلِكَ التَّنْظِيرَ مَفْهُومَ الْإِرَادَةِ الْقَدِيمَةِ وَاسْتَعَاضَ عَنْهَا بِإِرَادَةٍ تُعَبِّرُ عَنِ الْجِهَازِ الْغَرِيظِيِّ بِمَجَامِيْعِهِ التَّكْوِينِيَّةِ بَلْ جَعَلَهَا هَذَا الْجِهَازَ فِي تَعَقُّدِهِ وَآلِيَّاتِ عَمَلِهِ، فَأَصْبَحَ الْعَقْلُ وَفَاعِلِيَّاتُهُ نِتَاجًا ثَانَوِيًّا لَهَا، وَمِنْ ثَمَّ عَدَا الْوَعْيُ عَبْدًا لِسَيِّدٍ "لَا أَخْلَاقِي"، لِسَيِّدٍ غَرَائِزِيٍّ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْيَ كَيْ يَصْطَلِعَ أَحْدَاثُهُ وَصُرُوفُهُ.

تَسِيرُ الرِّيْدَةُ، بِاعْتِبَارِهَا لِأَوْعِيًّا، جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ تَصَوُّرَاتِ نَيْتَشْهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ حَيْثُ نَلْفِي فِي الصَّدَارَةِ أَخْلَاقًا تُعَدُّ نِتَاجًا لِلْأَوْعِيِّ، لِلْغَرِيْزَةِ، وَهِيَ أَخْلَاقُ نَبِيلَةٍ وَسَيِّدَةٍ، سَمَاهَا نَيْتَشْه مِنْ حَيْثِيَّةِ الْفَضَائِلِ اللَّأَوَاعِيَّةِ أَوْ الْغَرِيْزِيَّةِ¹⁰¹¹، تِلْكَمُ الَّتِي تَثِيبُ بِالْإِنْسَانِ الضَّالِّ إِلَى حِضْنِ الْأَرْضِ وَالْجُسْمانِ¹⁰¹² وَتَجِدُ فِي الْحَضِيضِ أَخْلَاقَ الْوَعْيِ وَالْعَقْلِ الَّتِي هِيَ أَخْلَاقُ عَمِيدٍ حَسِيْسَةٍ تُحَرِّكُهَا قُوَى ارْتِكَاسِيَّةٍ¹⁰¹³. لَيْسَ هَذَا سِوَى تَمَايُزٍ بَيْنَ أَخْلَاقٍ تَتَحَدَّثُ مِنْ صَمِيمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَأَخْلَاقٍ تَتَكَلَّمُ مِنْ مَطَاوِي مَا اتَّفَقَ لَهَا مِنْ غَرَائِزٍ.

وَابْتِغَاءً تَأْبِيسِ الْقِيَمَةِ تَأْسِيسًا غَرِيْظًا عَمَدَ نَيْتَشْهِ إِلَى إِحْلَالِ الْجَسَدِ الْفَعَّالِ بِكُلِّ مَا يَنْعَثُهُ فِي النُّفُوسِ مِنَ الذُّهُولِ¹⁰¹⁴ مَحَلَّ الْعَقْلِ/الْوَعْيِ/الرُّوحِ السَّلْبِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ أَدَوَاتُ دُنْيَا وَوُطَائِفُ سُفْلَى لَهُ¹⁰¹⁵، وَهَذَا

¹⁰¹⁰Lelia pezzillo, Rousseau et le Contrat social, PUF, 2000, pp. 72-76 : « Le monde du droit peut naître uniquement grâce à l'abandon total du droit du plus fort : c'est à cette seule condition qu'à la loi de la force succède la force de la loi, qui seule crée et assure les droits de chacun ».

¹⁰¹¹GS, Trad. Henri Albert, § 8 : « Vertus inconscientes. — Toutes les qualités personnelles dont un homme a conscience — et surtout lorsqu'il suppose aussi leur visibilité et leur éloquence pour son entourage — sont soumises à de tout autres lois de développement que ces qualités à lui inconnues ou mal connues.... mais pour ces qualités qui sont nos écailles de reptiles à nous, le microscope n'a pas encore été inventé ! — Et ici les amis de la moralité instinctive s'écrieront : « Bravo ! Il admet du moins la possibilité de vertus inconscientes, — cela nous suffit ! » — Oh ! comme il vous suffit de peu de chose ! ».

¹⁰¹²APZ, Trad. Henri Albert, De la vertu qui donne, § 2 : « Ramenez, comme moi, la vertu égarée sur la terre — oui, ramenez-la vers le corps et vers la vie; afin qu'elle donne un sens à la terre, un sens humain ! ».

¹⁰¹³Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 129 : « Cette deuxième espèce de forces réactives ne se sépare pas de la conscience... On se souvient que Nietzsche voulait rappeler la conscience à la modestie nécessaire : son origine, sa nature, sa fonction sont seulement réactives ».

¹⁰¹⁴VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 226 : « Ce qui est plus surprenant, c'est bien plutôt le corps; on ne se lasse pas de s'émerveiller à l'idée que le corps humain est devenu possible ».

¹⁰¹⁵Ibid : « Tout ce phénomène du corps est, au point de vue intellectuel, aussi supérieur à notre conscience, à notre esprit, à nos façons conscientes de penser, de sentir et de vouloir, que l'algèbre est supérieure à la table de multiplication ».

مَا يُصَيِّرُ صِحَّةَ الرُّوحِ ذَاتَهُ مُتَوَقِّفَةً عَلَى صِحَّةِ الْجُسْمَانِ¹⁰¹⁶، مَا يَجْعَلُ الْوَعْيَ تَابِعًا وَخَاضِعًا لِكُلِّيَّةِ عُضْوِيَّةِ مُتَوَقِّفَةٍ¹⁰¹⁷ تَتِمُّلُ فِي جُسْمَانٍ يَنْطَوِي عَلَى فِكْرٍ أَرْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْفِكْرِ الَّذِي يَحْطَى بِهِ الرُّوحُ¹⁰¹⁸، بَلْ إِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ إِلَّا كَلِمَةً تُطْلَقُ لِتُعَيِّنَ جُزْءًا مِنَ الْجَسَدِ الَّذِي يَمْتَلِكُ مَعْقُولِيَّةً عَظِيمَةً [مَنْظُومَةً عَقْلِيَّةً] تُصَيِّرُهُ عَيْنَ الذَّاتِ¹⁰¹⁹. لَكِنَّ الْأَعْلِيَّاتُ الَّتِي تُجْرِيهَا الْقَوَى الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا الْجُسْمَانُ هِيَ بِالضَّرُورَةِ لَاوَاعِيَةٌ وَهَذَا اللَّوَاغِي الَّذِي يَقُومُ الْجُسْمَانُ هُوَ مَا يَجْعَلُ مِنْهُ أَعْلَى شَأْنًا مِنَ الْوَعْيِ¹⁰²⁰.

وَهَذَا عَلَى صَدِيدِ مَا دَأَبَتْ الْمَنْظُومَاتُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَالِدِينِيَّةُ عَلَى تَعْلِيمِهِ، إِذْ كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى الْجَسَدِ نَظْرَةً احْتِقَارًا وَتُرِيدُهُ نَحِيلًا وَقَبِيحًا وَجَائِعًا وَمَا هَذَا كُلُّهُ إِلَّا رَغْبَةٌ مِنَ الْأَنْعَتَاتِ مِنْهُ وَمِنْ الْأَرْضِ وَطَبْعًا لَا يَحْمِلُ مِثْلَ هَذِهِ النِّظَرَةِ إِلَى الْجَسَدِ إِلَّا مَنْ كَانَ رُوحُهُ عَلَى شَاكِلَةِ الْجَسَدِ الضَّئِيلِ الْمَهْدُودِ الَّذِي يَرُوقُ لَهُ¹⁰²¹.

وَلَيْنَ كَانَ الْعَقْلُ فَضْلَةً انْتَهَى إِلَيْهَا التَّطَوُّرُ، فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ النِّيْتَشَوِيَّةَ تَرْمِي إِلَى جَعْلِهِ، بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْحُجَّةِ، مُتَوَقِّفًا عَلَى الرَّحِمِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ، أَكَّانَ هَذَا الرَّحِمُ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِ بِمَا هُوَ الْجُسْمَانُ أَمْ هُوَ الْقَرِيبُ لَهُ بِمَا هُوَ الْأَرْضُ (الْحَيَاةُ)، وَذَلِكَ يَقْدِرُ مَا تَحْتُ الذَّاتُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لَهُمَا وَتَعْظِيمِهِمَا تَعْظِيمًا مُبِينًا¹⁰²²، لِنَظَلَّ لَنَا الطَّبِيعَةُ عُمْدَةً أَصْلِيَّةً فَوْقَ كُلِّ الْإِغْتِبَارَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي اصْطَنَعَهَا الْوَعْيُ فِي مَرَاحِلِ مُتَأَخِّرَةٍ جَدًّا، وَفِي هَذَا كُلِّهِ يَتَبَدَّى لَنَا الْبَرْنَامِجُ الْفَلَسَفِيُّ لِنَيْتَشَةَ الَّذِي يُمَكِّنُ تَلْخِيصَهُ فِي إِزْجَاعِ الْإِنْسَانِ

¹⁰¹⁶VP, Trad. Henri Albert, § 36 : « Progrès du XIXe siècle sur le XVIIIe - au fond, nous autres bons Européens, nous sommes en guerre contre le XVIIIe siècle (-) : ...3) plaçant toujours plus résolument la question de la santé du corps avant celle de " l'âme ", entendant cette dernière comme un état qui résulte de la première, celle-ci du moins comme condition première de la santé de l'âme ».

¹⁰¹⁷VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 227 : « La conscience n'apparaît d'habitude que lorsqu'un tout veut se subordonner à un tout supérieur... La conscience naît par rapport à un être dont nous pourrions être fonction ».

¹⁰¹⁸Ibid, § 173 : « Le corps humain est une pensée plus surprenante que l'âme de naguère ».

¹⁰¹⁹APZ, Trad. Henri Albert, Des contempteurs du corps : « Je suis corps et âme » — ainsi parle l'enfant. Et pourquoi ne parlerait-on pas comme les enfants ? Mais celui qui est éveillé et conscient dit : Je suis corps tout entier et rien autre chose ; l'âme n'est qu'un mot pour une parcelle du corps. Le corps est un grand système de raison, une multiplicité avec un seul sens, ... Tu dis « moi » et tu es fier de ce mot. Mais ce qui est plus grand, c'est — ce à quoi tu ne veux pas croire — ton corps et son grand système de raison : il ne dit pas moi, mais il est moi ».

¹⁰²⁰Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 47 : « L'activité des forces nécessairement inconsciente, voilà ce qui fait du corps quelque chose de supérieur à toutes les réactions, et en particulier à cette réaction du moi qu'on appelle conscience ».

¹⁰²¹APZ, Trad. Henri Albert, première partie, prologue, § 3 : « Jadis l'âme regardait le corps avec dédain, et rien alors n'était plus haut que ce dédain : elle le voulait maigre, hideux, affamé ! C'est ainsi qu'elle pensait lui échapper, à lui et à la terre ! Oh ! Cette âme était elle-même encore maigre, hideuse et affamée... ».

¹⁰²²Ibid, Des hallucinés de l'arrière-monde : « Encore le corps, même quand il rêve et s'exalte en voletant de ses ailes brisées. Il apprend à parler toujours plus loyalement, ce moi : et plus il apprend, plus il trouve de mots pour exalter le corps et la terre ».

إِلَى الطَّبِيعَةِ¹⁰²³ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَلْتَحِمُ وَيَرْتَبِطُ بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَيَّنُّونَهُ كَمَا هُوَ الْأَمْرُ بِالْفِعْلِ¹⁰²⁴، فَيَسْتَعِيدُ الْبَشَرُ الْأَقْوِيَاءُ أَنْزِدَ شَجَاعَةً غَرَائِزِهِمُ الطَّبِيعِيَّةَ¹⁰²⁵ مَا يَرْفَعُ الْإِنْسَانَ الْخَيْرَ صَنِيعَ الْأَخْلَاقِ وَيُقِيمُ مَقَامَهُ إِنْسَانٌ نَبِيلٌ ذُو ثِقَافَةٍ أُرِسْتُفْرَاطِيَّةٍ سَامِيَّةٍ¹⁰²⁶.

وَهَكَذَا تَتَوَقَّفُ الثَّقَافَةُ عَلَى الطَّبِيعَةِ لَا الْعَكْسُ وَإِنَّ ذَلِكَ تَغْدُو الثَّقَافَةُ صَدَى لِلطَّبِيعَةِ مِثْلَمَا الرُّوحُ صَدَى لِصَوْتِ الْجَسَدِ¹⁰²⁷، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ نَفْهَمَ الطَّبِيعَةَ هَهُنَا عَلَى مَنَوَالِ رُوسُو الَّذِي عَدَّهَا سَلْمِيَّةً تَجَنُّحُ إِلَى السَّلْمِ¹⁰²⁸ بَلْ هِيَ غَنِيْفَةٌ، لَا أَخْلَاقِيَّةً¹⁰²⁹، وَدَيُونِيزُوسِيَّةً¹⁰³⁰، إِذْ لَا انْفِكَافَ لِلطَّبِيعَةِ عَنِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْقَسْوَةِ¹⁰³¹.

انْتِهَاكَ لِلطَّبِيعَةِ وَاسْتِعْدَاءُ لَهَا إِذَنْ تَلْكُمُ النُّظْرَةُ الْمِثَالِيَّةُ الْمَرِيضَةُ إِلَى أَحْدَاثِ الْعَالَمِ مِنْ عَدَسَةِ الْفَضِيلَةِ التَّبَعِيضِيَّةِ أَوْ مِمَّا سَمَاهُ نِيَتَشْه شَلَلَ الْفَضِيلَةِ النِّصْفِيَّةِ¹⁰³²؛ تَلْكُمُ الَّتِي تَسْتَحِبُّ الْخَيْرَ فِي الْعَالَمِ وَمَظَاهِرِهِ، وَتَسْتَفْخِجُ الشَّرَّ وَتَجْلِيَّاتِهِ، مُسْتَوْجِبَةً بَتَرِ غَرَائِزِ الْإِنْسَانِ الَّتِي تَجْرُهُ إِلَى الْكِرَاهِيَّةِ وَالْإِيذَاءِ وَالْحَرْبِ وَالْعَصَبِ وَالسَّغْيِ إِلَى النَّارِ¹⁰³³، وَهَذَا عَلَى نَقِيضِ الْإِثْبَاتِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الَّتِي تَتَأَسَّسُ عَلَى أَكْسِيُولُوجِيَا وَاقِعِيَّةٍ

¹⁰²³VP, Trad. Henri Albert, § 323 : « L'homme " sauvage " (ou, pour m'exprimer au point de vue moral, l'homme méchant) est un retour à la nature - et, en un certain sens, un rétablissement, une guérison de la " culture ».. Voir VP, Trad. Henri Albert, § 36 : « 1) " Retour à la nature ", entendu toujours plus résolument dans un sens contraire à celui de Rousseau. Bien loin de l'idylle et de l'opéra ? ».

¹⁰²⁴Cœuvres complètes, Edition Alfred Kroner, IX, 273. Voir Louis Corman, Nietzsche, psychologue des profondeurs, p. 262. Voir Eric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture : la philosophie comme généalogie philologique, p. 68.

¹⁰²⁵VP, Trad. Henri Albert, § 36 : « Il faut rendre aux hommes le courage de leurs instincts naturels... progrès du XIXe siècle sur le XVIIIe - au fond, nous autres bons Européens, nous sommes en guerre contre le XVIIIe siècle -) : 1) " Retour à la nature ", entendu toujours plus résolument dans un sens contraire à celui de Rousseau. Bien loin de l'idylle et de l'opéra ? ».

¹⁰²⁶Ibid, § 463 : « Ma lutte contre le XVIIIe siècle de Rousseau, contre sa " nature ", son " homme bon ", sa foi en la domination du sentiment, - contre l'amollissement, l'affaiblissement, la moralisation de l'homme : un idéal qui est né de la haine contre la culture aristocratique.. ».

¹⁰²⁷APZ, De la vertu qui donne, § 1. « Ainsi le corps traverse l'histoire, il devient et lutte. Et l'esprit — qu'est-il pour le corps ? Il est le héraut des luttes et des victoires du corps, son compagnon et son écho ».

¹⁰²⁸CI, divagation, § 1 : « ... ceux qui sont impossibles à mes yeux [] rousseau : ou le retour à la nature ».

¹⁰²⁹Ibid, la morale, anti- nature, § 4.

¹⁰³⁰Tarmo Kunnas, Nietzsche, ou, L'Esprit de contradiction : étude sur la vision du monde du poète-philosophe, Nouvelles Editions Latines, 1980, p. 150.

¹⁰³¹CW, In Friedrich Nietzsche, Œuvres, Edition Robert Laffont, § 2 : « Mais l'amour comme fatum, comme fatalité, cynique, innocent, cruel, - et voila justement la nature ! ».

¹⁰³²Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, p. 44. Voir Olivier Reboul, Nietzsche, critique de Kant, p. 82. Voir François Warin, Nietzsche et Bataille : la parodie à l'infini, p. 44.

¹⁰³³FP, XIV, Début 1888- Début janvier 1889, 15 [113] : « D'où vient donc cette maladie, cette contre nature idéologique, qui repousse ce caractère double -, qui enseigne comme supérieur de n'être qu'unilatéralement bon? D'où vient l'hémiplégie de la vertu, l'invention de l'homme bon ? Cette exigence mène à ce que l'homme

تَجْعَلُ مِنْ أَمَارَةِ الْوَضَاعَةِ عَدَمَ اسْتِيعَابِ جَبَرِيَّةٍ وَضُرُورِيَّةِ الْوَجْهِ السَّيِّئِ لِلْأَشْيَاءِ وَتَسْعَى إِلَى مُحَارَبَتِهِ
وإِزَالَةِ الْخَاصِيَّاتِ الْمُمَيَّزَةِ لِلْأَشْيَاءِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْأَوْضَاعِ¹⁰³⁴.

بِهَذَا النُّحُو فَكَّرَ نَيْتَشْهَ فِيهَا لَمْ يَجْرُؤْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلُ ، ذَاهِبًا عَلَى هَذِي اقْتِدَارِيَّتِهِ الْعَرِيزِيَّةِ إِلَى أَنَّ
الْفَضَائِلَ الْأَصِيلَةَ الَّتِي تَنْجُمُ مِنَ الطَّبِيعَةِ لَا مِنَ الثَّقَافَةِ نَتِيجَةٌ مِنَ النَّتَائِجِ الْمَيْمُونَةِ لِلْأَخْلَاقِيَّةِ إِرَادَةِ
الْاِقْتِدَارِ وَذَلِكَ بِمَا يَخْدُمُ النَّوْعَ أَوْ الْعِرْقَ أَوْ دَوْلَةَ الْمَدِينَةِ¹⁰³⁵ ، وَلَا امْتِرَاءً فِي أَنَّ الْمُسَوِّغَ الْفَلَسْفِيَّ لِهَذِي
الْفَضَائِلِ فِي كَوْنِهَا مُنْسَجِمَةٌ مَعَ الْإِخْلَاقِيَّةِ الْكَلِّيَّةِ لِلْحَيَاةِ الَّتِي مَا فَتَى الْفَلَسَفَةُ بِسَبَبِ طَبَائِعِهَا يَخْتَلِقُونَ
عَالَمًا حَقِيقِيًّا كُلِّي الْأَخْلَاقِ.

وَلَا يَكُونُ هَذَا التَّنَاغُمُ فِي بَاصِرَةِ نَيْتَشْهَ مُمَكِّنًا بَيْنَ أَفَاعِيلِ الْإِنْسَانِ وَمُحَدَّثَاتِ الطَّبِيعَةِ مِنْ غَيْرِ رَفْعِ
الْعَالَمِ الْحَقِيقِيِّ وَمَعَهُ كُلِّ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي جَرَى تَقْدِيرُهَا إِلَى الْآنَ ، فَيَنْبَجِسُ عَلَى أَغْقَابِ ذَلِكَ نِظَامِ
قِيَمٍ جَدِيدٍ¹⁰³⁶ ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَسَبَ تَقْدِيرِنَا إِنَابَةً إِلَى النِّظَامِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا فِي تِلْكَ
الْأَزْمَنَةِ السَّابِقَةِ عَلَى مِيلَادِ أَخْلَاقِ الْعَبِيدِ حَيْثُ الْبَشَرُ الْبَرَابِرَةُ عَاشُوا عَلَى غِرَارِ حَيَوَانَاتٍ مُفْتَرَسَةٍ وَفَجَّةٍ

s'ampute de ces instincts par lesquels il peut être ennemi, il peut nuire, être en colère, chercher vengeance... A cette contre-nature correspond la conception dualiste d'un être uniquement bon et d'un être uniquement mauvais... a quoi sert de tenir de toutes ses forces la guerre pour mauvaise, de ne pas faire le mal, de ne pas vouloir faire « non » ? Pourtant, on fait la guerre ! On ne peut pas faire autrement ! ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 223.

¹⁰³⁴VP, Trad. Henri Albert, § 475 : « Qu'est-ce qui est médiocre chez l'homme-type ? - De ne pas comprendre que le revers des choses est nécessaire, et de combattre les inconvénients comme si l'on pouvait s'en passer; de ne pas vouloir accepter une chose avec l'autre; de vouloir effacer le caractère typique d'une chose, d'une condition, d'une époque, d'une personne... chaque fois que l'homme grandit, le revers de ses qualités doit grandir également, de sorte que l'homme le plus élevé, en admettant qu'une pareille conception soit permise, serait l'homme qui représenterait le plus fortement le caractère d'opposition de l'existence, étant la gloire de celle-ci et sa seule justification... L'homme doit devenir meilleur et plus méchant, c'est là ma formule pour cette chose inévitable ».

¹⁰³⁵Ibid, § 233 : « ... personne n'a eu le courage de considérer la vertu comme une conséquence de l'immoralité d'une volonté de puissance, au service de l'espèce, ou de la race, ou de la polis) - (car la volonté de puissance était considérée comme une immoralité) ».

¹⁰³⁶Ibid, § 259 : « Ils croyaient aux " vérités " morales, ils trouvaient là les valeurs supérieures, - que leur restait-il à faire, sinon de dire " non " à l'existence à mesure qu'ils la comprenaient davantage ?... Car cette existence est immorale... Et cette vie repose sur des hypothèses immorales : et toute morale nie la vie. - Supprimons le monde-vérité : pour ce faire, il nous faut Supprimer les valeurs supérieures qui ont eu cours jusqu'ici, la morale... Il suffit de démontrer que la morale, elle aussi, est immorale, dans le sens où l'immoralité a été condamnée jusqu'ici. Lorsque nous aurons brisé de la sorte la tyrannie des valeurs qui ont eu cours jusqu'ici, lorsque nous aurons Supprimé le monde-vérité, un nouvel ordre des valeurs suivra naturellement ».

تَتَصَرَّفُ بِمُقْتَضَى غَرَائِزِهَا الطَّبِيعِيَّةِ الْغَازِيَّةِ¹⁰³⁷ قَبْلَ نُشُوءِ الضَّمِيرِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي تَعَوَّدَ عَلَى الْغَاءِ الْغَرَائِزِ وَتَقْوِيضِهَا¹⁰³⁸ وَفِي ذَلِكَ انْفِكَاكٌ عَنِ الْكُلِّيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَعَنِ الْوَاسِطَةِ الْجُسْمَانِيَّةِ الَّتِي تَرَبُّطُنَا بِهَا.

فِي حَاطَةِ هَذَا الْمَبْحَثِ عَزَمْنَا ، عَلَى خِلَافِ الشَّرَاحِ الْإِمْعِينِ عَلَى أَكْثَرِيَّتِهِمْ ، عَلَى الْمُضِيِّ فِي تَقْدِ فُلْسَفَةِ نَيْتَشْه فِي مَوَاضِعَ مُحَدَّدَةٍ تُفْضِي غَالِبًا ، فَضْلًا عَنْ حُطُورِهَا فِي أَغْلَبِ الْأَصْعَدَةِ ، إِلَى دُرُوبٍ مُوصَدَةٍ ؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَبْحَثُ يَدُورُ حَوْلَ فَلَكَ التَّفَاضُلِ وَالتَّرَاتِبِ الْأَصْلِيِّ بَيْنَ الظَّوَاهِرِ بِغَامَةِ وَالظَّوَاهِرِ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةِ مِنْهَا بِخَاصَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ مِنْهَا بِخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ ، نَظَرًا لِتَفَارِقِ الْقَوَى الثَّالِثَةِ فِيهَا وَالْإِقْدَارَاتِ الْمُحَرِّكَةِ لَهَا ، مَا يَجْعَلُ بَعْضَهَا رَاقِيًا وَبَعْضَهَا الْآخَرَ وَضِيعًا ؛ وَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَنْحَى الْعَامُّ الَّذِي يَحْكُمُ فُلْسَفَتَهُ وَمَقَاصِدَهُ مِنْهَا ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِ شَذَرَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى طُولِ مَدْوَنَتِهِ الْفُلْسَفِيَّةِ ، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ تَتَحَلَّلُهُ مَوَاقِفُ مُتَنَاقِضَةٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا شَذَرَاتٌ أُخْرَى تَأْتِي عَلَى بُنْيَانِهِ الْفُلْسَفِيُّ لِتُفْضَحَ الطُّوبُ الْفِكْرِيُّ الْهَشَّ الَّذِي بُنِيَ بِهِ.

لَا مَصْرِفَ عَنْ تُلْخِيصِ هَاتِهِ الْمَوَاقِفِ فِي مَنْظُورَيْنِ مُتَعَارِضَيْنِ ، أَمَّا الْمَنْظُورُ الْأَوَّلُ فَيَبْرُزُ تَارَةً فِي مَوْقِفِ يَنْفِي الْبَيِّنُوتَةَ بَيْنَ الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي عَلَى الْمُسْتَوَى الْقِيَمِيِّ ، وَيُثَبِّتُ عَلَى الضِدِّ مُمَاهَاةً بَيْنَهَا وَمَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْمُمَاهَاةِ فِي الْفَعَالِيَّاتِ الْغَرِيزِيَّةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ¹⁰³⁹ ، وَيَتَجَلَّى تَارَةً أُخْرَى فِي مَوْقِفِ يَدْعِي بَطْلَانَ الْإِفْتِرَاضِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالتَّيُّو-مِيتافيزيقيِّ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَاقِعَانِ مُتَنَاقِضَانِ لَا مُتَكَامِلَانِ.

هَذَا الْإِفْتِرَاضُ يُوصِي النَّاسَ عَلَى الْمَيْلَانِ إِلَى الْخَيْرِ وَيَفْرُضُ عَلَيْهِمُ الْحَيْدَانَ عَنِ الشَّرِّ ظَنًّا أَنَّهُ بِالْقَضَاءِ عَلَى الْفَوْضَى الْبَاطِنِيَّةِ وَالْاضْطِرَابَاتِ الْمُتَأْتِيَةِ مِنَ الْأَنْدِفَاعَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ الشَّرِيرَةِ ، يَظْفَرُ الْإِنْسَانُ بِحَالَةٍ خَلَاصٍ دَاخِلِيٍّ وَسَلَامٍ نَفْسِيٍّ ، إِذْ لَا انْفِكَاكٌ لِتَلَاوِي الْوُقُوعِ فِي آثَامِ الشُّرُورِ مِنْ أَجْتِثَاتِ كُلِّ أَحْتِمَالَاتِ الْعَدَاوَةِ وَإِزَالَةِ كُلِّ غَرَائِزِ الْاضْطِعَانِ ، بَيِّنٌ أَنَّ هَذَا الْمِنْوَالَ ، فِي نَظَرِ نَيْتَشْه ، يَنْفِي الْحَيَاةَ الَّتِي تَشْتَمِلُ فِي

¹⁰³⁷GM, Trad. Henri Albert, I, § 11 : « ... ces mêmes hommes, lorsqu'ils sont hors de leur cercle, là où commencent les étrangers (« l'étranger »), ne valent pas beaucoup mieux que des fauves déchaînés. Alors ils jouissent pleinement de l'affranchissement de toute contrainte sociale, ils se dédommagent dans les contrées incultes de la tension que fait subir toute longue réclusion, tout emprisonnement dans la paix de la communauté, ils retournent à la simplicité de conscience du fauve, ils redeviennent des monstres triomphants, qui sortent peut-être d'une ignoble série de meurtres, d'incendies, de viols, d'exécutions avec autant d'orgueil et de sérénité d'âme ».

¹⁰³⁸VP, Trad. Henri Albert, § 288 : « Nous voyons comment la morale a) empoisonne toute la conception du monde... c) dissout et sape tous les instincts véritables (en enseignant de considérer les racines comme immorales) ».

¹⁰³⁹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 426 : « Vue essentielle : les qualités "bonnes" et les qualités "mauvaises" sont au fond les mêmes; reposent sur les mêmes instincts de conservation, d'appropriation, de choix, sur le désir de reproduction, etc ».

"نظرة أساسية: إن الصفات الخيرة [الشمال الحميدة] والصفات الشريرة [الشمال القبيحة] هي في العمق الشيء ذاتها؛ إنها تركز إلى غرائز الحفاظ على البقاء ذاتها وغرائز الامتلاك نفسها وغرائز الاختيار عينها ، وتستند إلى رغبة التوالد ، إلخ ".

غَرَايِزُهَا كَافَّةً عَلَى الْإِثْبَاتِ قَدَرُ مَا تَنْطَوِي عَلَى النَّفْيِ¹⁰⁴⁰؛ فَلَيْسَ لَنَا سَبِيلٌ فِي الْعَالَمِ الْوَاقِعِيِّ، الَّذِي تَتَرَابَعُ وَتَتَعَاقَبُ فِيهِ أَحْدَاثُهُ وَأَشْيَاؤُهُ وَيَحْدُ بَعْضُهَا بَعْضًا، إِلَى نَفْيِ شَيْءٍ فِيهِ (فِي الْمُحَيَّلَةِ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَتَبِعَ ذَلِكَ اسْتِبْعَادَ وَإِدَاءَةَ الْمَجْمُوعِ وَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُزِيلَ مَا هُوَ خَطِيرٌ وَهَدَامٌ بِشَكْلِ أَوْ بَاخَرٍ، أَثْنَاءَ تَحْيَلٍ عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّهُ يَدْمَرُ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ وَيُعْطِلُ الدَّافِعِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ لِلشُّرُوعِ فِي الْجُودِ وَالْوُجُودِ.

وَتَبَعًا لِذَلِكَ مِنْ أَلْهَزَلٍ أَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ "مَا كَانَ لِهَذَا الشَّيْءِ"¹⁰⁴¹ أَنْ يَكُونَ "مَا دَامَتِ الْأَشْيَاءُ جَارِيَةً بِمُقْتَضَى الضَّرُورَةِ وَالتَّرَابُطِ الْكَوْنِيِّ، مَا يُوجِبُ إِثْبَاتًا دِيُونِيزُوسِيًّا لِلْعَالَمِ بِقَضِهِ وَقَضِيضِهِ دُونَ حَذْفٍ وَاسْتِثْنَاءٍ أَوْ اخْتِيَارٍ، عَلَى نَحْوِ نَوْدُ فِيهِ "الْأَشْيَاءُ نَفْسَهَا وَلَا مَعْقُولِيَّةَ تَعَاقُبِهَا وَتَرَابُطِهَا"¹⁰⁴².

وَهَذَا مَا يَشْهَدُ عَلَى مُقَارَبَةِ عِلَاقِيَّةٍ حَيْثُ الثَّنَائِيَّاتُ الضِدِّيَّةُ وَالْأَوْضَاعُ الْوُجُودِيَّةُ الْمُتَعَارَضَةُ لَا يُقْصَى بَعْضُهَا بَعْضًا وَإِنَّمَا يَقُومُ كُلُّ مِنْهَا الْآخَرَ بِصُورَةٍ مُتَبَادَلَةٍ¹⁰⁴³ خِلَافًا لِلْمَسَاعِي الدِّينِيَّةِ وَالْفَلَسُفِيَّةِ الَّتِي تَرُومُ إِصْلَاحَ الْعَالَمِ مِنْ طَرِيقِ تَعَالٍ عَقْلَانِيٍّ وَرُوحَانِيٍّ يَزْعُمُ تَصْحِيحَهُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ حَلَلٍ جَزَاءِ الْأَوْجِهَةِ السَّيِّئَةِ¹⁰⁴⁴.

¹⁰⁴⁰VP, Trad. Henri Albert, § 223 : « On s'est donné, de tous temps, et surtout aux époques chrétiennes, la peine de réduire l'homme à cette demi-activité qui est le "bien" : aujourd'hui encore il ne manque pas d'être déformés et affaiblis par l'Eglise, pour qui cette intention est identique à l'"humanisation" en général, ou à la "volonté de Dieu", ou encore au "salut de l'âme". On exige ici, avant tout, que l'homme ne fasse pas le mal, que, dans aucune circonstance, il ne nuise ou n'ait l'intention de nuire... pour y réussir, on recommande d'extirper toutes les possibilités d'inimitié, de Supprimer les instincts du ressentiment, on recommande la "paix de l'âme", mal chronique ».

¹⁰⁴¹Ibid, § 288 : « Dans le monde réel, où tout s'enchaîne et se limite absolument, condamner et éloigner quelque chose en imagination, ce serait tout éloigner et tout condamner. Le mot "cela ne devrait pas être", "il n'aurait pas dû en être ainsi", est une farce. En imaginant les conséquences on détruirait la source de la vie, si l'on voulait Supprimer ce qui, dans un sens ou dans un autre, est dangereux, destructeur. La physiologie démontre cela beaucoup mieux ! ».

¹⁰⁴²Ibid, § 476 : « Une pareille philosophie expérimentale, telle que je l'ai vécue, anticipe même, à l'essai, les possibilités du nihilisme par principe : sans vouloir dire par là qu'elle puisse s'arrêter à une négation, à un non, à la volonté de la négation. Elle veut plutôt pénétrer jusqu'au contraire - jusqu'à une affirmation dionysienne du monde, tel qu'il est, sans défalcation, sans exception et sans choix -, elle veut l'éternel mouvement circulaire : les mêmes choses, le même illogisme de l'enchaînement. Etat supérieur qu'une philosophie puisse atteindre : être dionysien en face de l'existence. Ma formule pour cela est amor fati ». Voir Monique Dixsaut : Nietzsche : par-delà les antinomies, p. 302. Voir Olivier ponton : Nietzsche, philosophie De La Légèreté, p. 159.

¹⁰⁴³BGE, § 2, Voir Lawrence J. Hatab, How Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, The Journal of Nietzsche Studies, Issue 35/36, Spring/Autumn 2008, pp. 107-108.

¹⁰⁴⁴Hatab, How Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, p. 107.

حَادَ هَذَا كُلُّهُ نِيْتَشَهُ مِنْ جِهَةٍ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ التَّوَاقِصَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْمُعَانَاةِ الَّتِي تَنْتُجُ مِنْهَا ، جُزْءًا مِنَ الْوَاقِعِ الْأَسْمَى الْمَرْغُوبِ¹⁰⁴⁵ ، ذَلِكَ أَنَّ الْعِرْفَانَ بِنَعْصِ الْوُجُودِ وَالْجُحْدَانَ بِبَعْضِهِ الْآخَرِ لَيْسَ فِي نَظَرِ نِيْتَشَهُ إِلَّا شَلْلَ فَضِيلَةٍ نَصْفِيًّا لَمْ يَتَعَلَّمْ بَعْدُ احْتِضَانَ قَبَائِحِ الْعَالَمِ وَمَحَاسِنِهِ ؛ شُرُورِهِ وَخَيْرَاتِهِ¹⁰⁴⁶ عَلَى السَّوَاءِ .

وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ وَفَقَى هَذَا الْمَسَارِ الْفَلْسَفِيُّ لِهَاتِهِ الشَّوَاهِدِ الْمَذْكُورَةِ أَنْ يَعْمِدَ نِيْتَشَهُ إِلَى تَعْرِيفِ الْوَضَاعَةِ بِعَدَمِ إِدْرَاكِ الضَّرُورَةِ الْكُونِيَّةِ وَبِمَحَارَبَةِ مَسَاوِي الْأَشْيَاءِ وَأَوْجُهَا السَّيِّئَةِ وَالْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهَا ، بِالرَّغْبَةِ فِي مَحْوِ الطَّابَعِ الْمُمَيِّزِ لِلْأَشْيَاءِ وَالظُّرُوفِ وَالْعُصُورِ وَالْأَشْخَاصِ بِقَبُولِ جُزْءٍ مِنْ مُمَيِّزَاتِهَا وَإِرَادَةِ إِزَالَةِ الْجُزْءِ الْآخَرِ الْمُؤْذِي وَالشَّرِيرِ وَالْخَطِيرِ وَالْمُدْمِرِ ، بَيْنَمَا يُصِرُّ فَيَلْسُوفُ الْإِفْتِدَارَ عَلَى أَنَّهُ مِنْ شَرَائِطِ الْعَظَمَةِ فِي الْإِنْسَانِ أَنْ تَأْخُذَ تَعَدُّدِيَّةُ الْعَنَاصِرِ فِي التَّكَوُّنِ وَأَنْ يَصِيرَ فِيهِ تَوَثُّرُ الْمُتَضَادَّاتِ أَشَدَّ وَأَفْسَى ؛ وَكَلَّمَا زَادَ الْإِنْسَانُ عَظَمَتَهُ كَبُرَتْ أَيْضًا صِفَاتُهُ السَّيِّئَةُ ، فَلَا مُتَقَدِّمَ وَلَا مُتَأَخَّرَ ، إِذَا مَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَصِيرَ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، عَنْ أَنْ يَصِيرَ شَرِيرًا¹⁰⁴⁷ .

عَلَى مَا فِي الْقَرَائِنِ النَّصِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي غُرُصِ مُقَارَبَتِنَا التَّأْوِيلِيَّةِ مِنْ اسْتِظْهَارِ التَّفَاضُلِ وَالْإِخْتِلَافِ فِي الْقِيَمِ أَوْنَطُولُوجِيًّا¹⁰⁴⁸ وَفِي الْإِنْسَانِيَّةِ فَيَزُو-أَنْشُرُوبُو-نَفْسِيًّا¹⁰⁴⁹ وَفِيمَا اصْطَنَعَتْهُ مِنْ قِيَمٍ¹⁰⁵⁰ ، إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ

¹⁰⁴⁵Friedrich Nietzsche, Œuvres complètes, Edition Alfred Kroner, XVI, 1004 : « ... parvenir à une hauteur de contemplation, à une vue à vol de d'oiseau, ou l'on comprend que tout va vraiment comme tout doit aller; que les « imperfections » de tous ordres et les souffrances qu'elles nous causent font partie de la plus haute réalité désirable ». In Louis Corman, Nietzsche, psychologue des profondeurs, p. 262.

¹⁰⁴⁶FP, XIV, Début 1888- début janvier 1889, 15 [113]. Voir VP, Trad. Henri Albert, § 222-223. Voir Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, P. 44. Voir Olivier Reboul, Nietzsche, critique de Kant, p. 82. Voir François Warin, Nietzsche et Bataille : la parodie à l'infini, p. 44.

¹⁰⁴⁷VP, Trad. Henri Albert, § 475 : « La hiérarchie. - Qu'est-ce qui est médiocre chez l'homme-type ? - De ne pas comprendre que le revers des choses est nécessaire, et de combattre les inconvénients comme si l'on pouvait s'en passer; de ne pas vouloir accepter une chose avec l'autre; de vouloir effacer le caractère typique d'une chose, d'une condition, d'une époque, d'une personne, en n'approuvant qu'une partie de ses qualités et en voulant Supprimer les autres. Les " souhaits " des médiocres, c'est précisément ce que nous combattons, nous autres : l'idéal considéré comme quelque chose à quoi l'on enlève son côté nuisible, méchant, dangereux, problématique, destructeur. Nous possédons la conviction contraire : chaque fois que l'homme grandit, le revers de ses qualités doit grandir également, de sorte que l'homme le plus élevé, en admettant qu'une pareille conception soit permise, serait l'homme qui représenterait le plus fortement le caractère d'opposition de l'existence, étant la gloire de celle-ci et sa seule justification... Les hommes ordinaires n'ont le droit de représenter qu'une toute petite partie de ce caractère de la nature : ils périssent aussitôt que la multiplicité des éléments grandit et que la tension des oppositions devient trop violente, ce qui, pour la grandeur de l'homme, est d'ailleurs la condition première. L'homme doit devenir meilleur et plus méchant, c'est là ma formule pour cette chose inévitable ».

¹⁰⁴⁸FP, XII, 7 [42] : « ... le premier problème est celui de la hiérarchie des types de vie ». Voir Gilles Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 68 : « Le mot hiérarchie chez Nietzsche a deux sens. Il signifie d'abord la différence des forces actives et réactives, la supériorité des forces actives sur les forces réactives. Nietzsche

الَّذِي يُصَيِّرُ الْاِخْتِلَاطَ الْقِيَمِيِّ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَلْ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ عِلَامَةً عَلَى الْاِنْحِطَاطِ¹⁰⁵¹ ، فَإِنَّ مَا سَمَاهُ نَيْشَهُ بِالْإِتْبَاتِ الدِّيُونِيزُوسِيِّ يَنْتَهِي مِنْ وَجْهِ ، عَلَى سَبِيلِ الْاِفْتِضَاءِ ، إِلَى ضَرْبٍ مِنَ الْاِسْتِوَاءِ الْقِيَمِيِّ

peut donc parler d'un « rang immuable et inné dans la hiérarchie ». Deleuze continue d'affirmer dans d'autres passages de son étude, p. 9 : « La hiérarchie est le fait originaire, l'identité de la différence et de l'origine ».

¹⁰⁴⁹FP, XIV, 15 [120] : « Ce qui m'intéresse, c'est le problème de la hiérarchie au sein de l'espèce humaine, au progrès de laquelle, d'une manière générale, je ne crois pas, le problème de la hiérarchie entre types humains qui <ont> toujours existé et qui existeront toujours ». Voir PBM, Trad. Henri Albert, § 263 : « Il y a un instinct pour le rang qui, plus que toute autre chose, est déjà l'indice d'un rang supérieur; il y a une volupté dans les nuances du respect qui fait deviner l'origine et les habitudes nobles ». Voir GM, I, § § 10 : « Tandis que la morale aristocratique naît d'une triomphale affirmation d'elle-même, la morale des esclaves dès l'abord est un non à ce qui ne fait pas partie d'elle-même, à ce qui est différent d'elle, à ce qui est son non-moi; et ce non est son acte créateur ». Voir VP, Trad. Henri Albert, § 394 : « La hiérarchie des valeurs humaines. - Il ne faut pas évaluer un homme d'après des actions particulières. La première question qu'il faut poser, pour ce qui concerne la hiérarchie, c'est de savoir jusqu'à quel point quelqu'un a des instincts solitaires ou des instincts de troupeau. (Dans ce dernier cas, sa valeur réside dans les qualités qui assurent la stabilité de son troupeau, de son type; dans le premier cas, c'est dans ce qui le fait ressortir, l'isole, le défend, et rend sa solitude possible.) Conséquence : il ne faut pas évaluer le type solitaire d'après le type de troupeau, ni le type de troupeau d'après le solitaire ». Dans les deux cas il y a dégénérescence : lorsque le troupeau s'empare des qualités des êtres solitaires et ceux-ci des qualités du troupeau, - bref, lorsqu'ils se rapprochent. Cette notion de la dégénérescence est en dehors du jugement moral ».

¹⁰⁵⁰PBM, In Œuvres philosophiques complètes, Gallimard, Paris, § 228. Voir encore FP, XI, 36 [17] et FP, XII, 7 [6] : « Il existe une hiérarchie entre les hommes, et donc aussi entre les morales ». Voir PBM, Trad. Henri Albert, 228 « que la prétention d'une morale pour tous est précisément un préjudice porté à l'homme supérieur, bref, qu'il existe une hiérarchie entre homme et homme, et par conséquent aussi entre morale et morale ». Voir CI, La morale en tant que manifestation contre nature 4. « Je mets un principe en formule. Tout naturalisme dans la morale, c'est-à-dire toute saine morale, est dominée par l'instinct de vie, — un commandement de la vie quelconque est rempli par un canon déterminé d' « ordres » et de « défenses », une entrave ou une inimitié quelconque, sur le domaine vital, est ainsi mise de côté. La morale antinaturelle, c'est-à-dire toute morale qui jusqu'à présent a été enseignée, vénérée et prêchée, se dirige, au contraire, précisément contre les instincts vitaux —, elle est une condamnation, tantôt secrète, tantôt bruyante et effrontée, de ces instincts ». Voir PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 260 : « Dans le survol des nombreuses morales des plus délicates et des plus grossières qui aient jusqu'ici régné sur terre ou qui y règnent encore, j'ai découvert certains traits répétés régulièrement et simultanément, et liés les uns aux autres : à tel point qu'enfin deux types fondamentaux se sont révélés à moi et qu'une différence fondamentale s'est dégagée. Il y a une morale de maîtres et une morale d'esclaves... Qu'on remarque dès lors que, dans cette première sorte de morale, l'opposition « bon » et « mauvais » équivaut à « noble » et « méprisable » - l'opposition « bon » et « méchant » est d'une autre origine ».

¹⁰⁵¹VP, Trad. Henri Albert, § 232 : « Critique de la philosophie grecque. - L'apparition des philosophes grecs depuis Socrate est un symptôme de décadence; les instincts anti-helléniques prennent le dessus... Le " sophiste " est encore entièrement hellénique - de même Anaxagore, Démocrite, les grands Ioniens -, ceux-ci comme forme de transition. La polis perd la foi en sa culture, considérée comme la seule vraie, à son droit de domination sur les autres polis... On échange les cultures, c'est-à-dire " les dieux ", - on y perd la foi en la seule prérogative du deus autochthonus - Le bien et le mal, d'origines différentes, se mêlent : la frontière qui sépare le bien et le mal s'efface... ».

لِلْمَوْجُودَاتِ ، وَيُؤَدِّي بِصُورَةٍ مِنَ الصُّورِ الْإِقْرَارُ بِالنَّشْأَةِ الْمُخْتَلِطَةِ لِلْقِيَمِ مِنْ أَضْدَادِهَا مِنْ وَجْهِ آخَرٍ¹⁰⁵² وَتَطَابِقِهَا مِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ¹⁰⁵³ - عَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَنَاقُضٍ ذَلِكَ مَعَ نَعْتِهِ لِلْحَضَارَةِ الَّتِي تَخْتَلِطُ فِيهَا وَأَفْرَادِهَا الْأَخْلَاقُ السَّامِيَّةُ بِالْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ¹⁰⁵⁴ - إِلَى تَعْزِيزِ الرُّؤْيَةِ الَّلَا- هَرْمِيَّةِ لِلْعَالَمِ ، وَفِي ذَيْنِكَ الْأَسْتِزَامِينَ إِقْلَاعٌ عَنِ الرُّؤْيَةِ الْهَرْمِيَّةِ ، الَّتِي شَدَّ مَا انْبَتَّ عَلَى رِفْعَةِ السِّنْخِ وَتَمَازُيْ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ ، كَمَا نَظَرَ لَهَا فِي مُصَنَّفَاتِهِ .

كَمَا يُؤُولُ نَفْيُ الْأَخْلَاقِيَّةِ قَصْدًا وَسُلُوكًا- نَظَرًا لِإِمْكَانِيَّةِ اسْتِنْبَاطِهَا مِنْ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، أَيْ مِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِ الْفَعَالِيَّاتِ الْقَصْدِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ الْمَوْسُومَةِ بِالْأَخْلَاقِيَّةِ مُعْبَرَةً عَنْ مَاهِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تَتِمَثَّلُ فِي الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ إِرَادَةُ اِقْتِدَارٍ ، مَا يَجْعَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ غَرَائِزَ لَا تَنفَكُ قُوَّتُهَا تَتَغَيَّرُ وَتَتَفَاوَتْ وَلَا تَبْرَحُ عَنْ إِبْقَاءِ بَعْضِهَا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ وَالْخِدْمَةِ- إِلَى اسْتِوَاءٍ قِيَمِيٍّ عَلَى الْأَقْلِ مِنْ حَيْثِيَّةِ إِفْصَاحِهَا عَنِ الْمَاهِيَّةِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ نَفْسِهَا¹⁰⁵⁵ .

نُقْضِي حُدُوسٌ نِيَتَشُهُ إِلَى دُرُوبٍ مُوَصَّدَةٍ ؛ فَإِذَا كَانَتْ فَلَسَفَتُهُ أَوْ الْأَخْلَاقُ الصَّاعِدَةُ الَّتِي شَخَّصَهَا وَحَضَّ عَلَيْهَا مُحْتَوِيَّةً عَلَى إِبْثَاتٍ لِكُلِّ مَا هُوَ مُؤَدٍّ وَمُدْمِرٍ وَعَلَى إِقْرَارٍ بِضَرُورَةِ الْقَطِيعِ وَأَخْلَاقِهِ¹⁰⁵⁶ ، فَلِمَ حَادَ عَنْ

هذا تناقض آخر يضاف إلى سلاسل التناقضات النيتشوية ، هنا يقر بأن الخير و الشر من أصول مختلفة ، بينما في نصوص أخرى يقدم لنا أطروحة تولد القيم التي قدستها البشرية من القيم التي دنستها.

¹⁰⁵²HTH, Tome I, I, § 1 : « Les problèmes philosophiques reprennent aujourd'hui presque en tout point la même forme qu'il y a deux mille ans : comment une chose peut-elle naître de son contraire, par exemple, le raisonnable du déraisonnable, le sensible du mort, la logique de l'illogisme, la contemplation désintéressée du vouloir cupide, l'altruisme de l'égoïsme, la vérité des erreurs ? La philosophie métaphysique s'arrangeait jusqu'ici pour franchir cette difficulté en niant que l'un naquît de l'autre et en admettant pour les choses d'une haute valeur une origine miraculeuse, la sortie du noyau et de l'essence de la « chose en soi » ». Voir PBM, Trad. et présentation et notes d'Angèle Kremer-Marietti, I, § 2 : « Comment une chose pourrait-elle naître de son contraire ? Par exemple, la vérité de l'erreur ? Ou la volonté de vérité, de la volonté de faire illusion ? Ou l'action désintéressée, de l'intérêt égoïste ? Ou la pure et radieuse contemplation du sage, de la convoitise ? ». Voir également Le Voyageur et son ombre, § 67.

¹⁰⁵³VP, Trad. Bianquis Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 426 : « Vue essentielle : les qualités "bonnes" et les qualités "mauvaises" sont au fond les mêmes; reposent sur les mêmes instincts de conservation, d'appropriation, de choix, sur le désir de reproduction, etc ».

¹⁰⁵⁴PBM, Trad. Henri Albert, § 260 : « ... j'ajoute tout de suite que, dans toutes les civilisations supérieures et hétérogènes se font jour des tentatives de médiation de ces deux morales, plus souvent encore la confusion des deux et le malentendu réciproque, parfois aussi leur juxtaposition difficile - et même chez le même homme à l'intérieur d'une seule âme ».

¹⁰⁵⁵VP, Trad. Henri Albert, § 354 : « Conclusions : il n'existe que des intentions et des actes immoraux; - ceux que l'on prétend être moraux sont en réalité des immoralités. Toutes les passions peuvent se déduire de la même volonté de puissance : leur essence est identique. L'idée de vie : - dans les contradictions apparentes (" bien et mal ") , s'expriment des instincts aux degrés de puissance variables, des hiérarchies momentanées, sous lesquelles certains instincts sont tenus en bride ou pris au service ».

¹⁰⁵⁶Ibid, § 394 : « Conséquence : il ne faut pas évaluer le type solitaire d'après le type de troupeau, ni le type de troupeau d'après le solitaire. A considérer les choses de très haut, tous deux sont nécessaires; nécessaires aussi

هَذَا الصِّرَاطُ مُتَفَرِّغًا وَمُفَرِّغًا جُهْدُهُ فِي مُنَاوَنَةِ وَمُهَاجَمَةِ مَا سَمَاهُ أَخْلَاقَ الْعَبِيدِ وَالْفَلَسَفَاتِ الْعَدِمِيَّةِ ، مُطَالِبًا بِمُجَاوَزَتِهَا نَارَةً وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا نَارَةً أُخْرَى ؟.

لَمْ يَكُنْ ، حَسَبَ تَقْدِيرِ مُقَارَبَتِنَا التَّأْوِيلِيَّةِ ، الْمَوْقِفُ الْعِدَائِيُّ الَّذِي اتَّخَذَهُ ضِدَّ الْأَخْلَاقِيَّاتِ وَالْفَلَسَفَاتِ الْعَدِمِيَّةِ النَّافِيَةِ ، وَفَقَ الْمَنْطِقِ الدَّاخِلِيِّ لِلشَّدَرَاتِ الَّتِي سَقَنَاهَا مِنْ قَرِيبٍ ، سَوَى شَلَلِ فَضِيلَةٍ نَصْفِيٍّ ؛ فَمَا كَانَ عَلَى نَيْتَشَةِ ، كَيْمَا يَكُونُ فِي أَنْسِجَامٍ مَعَ بَعْضِ تَقْرِيرَاتِهِ ، إِلَّا أَنْ يَفْتَصِدَ فِي إِعْمَالٍ مَبْضَعِهِ النَّقْدِيِّ بِالْاِكْتِفَاءِ بِمَا يَلْزَمُ دُونَ الْاِسْتِزْسَالِ فِي انْتِقَادِ مَا هُوَ ، بِصَرِيحِ نُصُوصِهِ ، جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْحَيَاةِ وَإِسْفَارٍ عَنْ أَحَدٍ مَبَادِيهَا بِمَا هُوَ الْحِفَاطُ عَلَى الْبَقَاءِ .

لَمْ يَكُنْ نَيْتَشَةُ ، فَضْلًا عَنْ بَعْضِ مَوَاقِفِهِ الْمُتَنَافِرَةِ الَّتِي لَا تَتَجَارَى إِلَى غَرَضٍ وَاحِدٍ وَلَا تَتَسَايَرُ فِي طَرِيقٍ لَاحِظٍ ، وَفِيَا لِلْإِثْبَاتِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِلْحَيَاةِ وَمِنْ ثَمَّ فَالْأَخْلَاقُ الْحَيَوِيَّةُ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا لَا تَخْتَلِفُ مِنْ حَيَثِيَّةِ الْإِثْبَاتِ الْجُزْئِيِّ عَنْ أَخْلَاقِيَّةِ الْعَبِيدِ ؛ فَلَيْنُ أَنْكَرْتَ أَخْلَاقَ الْاِقْتِدَارِ (أَخْلَاقُ النُّبَلَاءِ) - الَّتِي مَا بَرَحَ يُزَكِّيْهَا - التَّعْبِيرُ الْمُتَقَهِّقَرُ عَنِ الْحَيَاةِ ؛ أَيْ الْحَيَاةِ فِي دَرَجَاتِهَا الْمُنْحَطَّةِ ، بِاسْمِ قِيَمَتِي الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ النَّافِيَةَ تُنَكِّرُ التَّعْبِيرَ الْمُتَرَقِّيَّ عَنْهَا ؛ أَيْ الْحَيَاةِ فِي دَرَجَاتِهَا الْعُلْيَا ، بِاسْمِ قِيَمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، بَلْ إِذَا عَدَدْنَا الْفَضِيلَةَ النِّصْفِيَّةَ أَوِ الْإِثْبَاتِيَّةَ النِّصْفِيَّةَ هَذِي مِنَ الْخَسَاسَةِ كَمَا تُصَرِّحُ الشَّدَرَةُ الثَّلَاثَةُ وَعِشْرُونَ وَمَائَتَانِ مِنْ مُصَنَّفٍ "إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ" (مِنْ تَرْجَمَةِ هِنْرِي أَلْبِر)، فَإِنَّ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ فُلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ يَغْدُو مَشُوبًا بِالْوَضَاعَةِ ، أَيْ بِمَا يَسْتَبْعِدُهُ خِطَابُ فَيْلَسُوفِنَا وَيَنْفِيهِ !.

leur antagonisme. Et il n'y a rien de plus répréhensible que de souhaiter la venue d'un troisième type qui se développerait des deux autres. (La "vertu" considérée comme un hermaphroditisme). C'est aussi peu souhaitable que le rapprochement et la réconciliation des sexes. Il faut développer davantage encore ce qui est typique et creuser toujours plus profondément le gouffre ».

الفصل الثالث: المَباني التَّأْسِيسِيَّةُ الثلاثةُ لِلْأَخْلَاقِ

تَمْهِيدٌ

سَتَتَطَرَّقُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، اقْتِفَاءً لِتَقْرِيرَاتِ الْمَبَاحِثِ الثلاثةِ التي عَالَجَهَا نيتشه في مُصَنَّفِهِ الْمَوْسُومِ بـ "جينياولوجيا الأخلاق"، إلى المَباني التَّكْوِينِيَّةِ الثلاثةِ التي تَقُومُ عَلَيْهَا الْأَخْلَاقُ وَالْأَحْكَامُ الْأَخْلَاقِيَّةُ، وَلَمْ يَكُنْ اغْتِمَادًا عَلَى هَذَا الْمُصَنَّفِ تَحَكُّمًا، وَإِنَّمَا سَاقَتُنَا إِلَى ذَلِكَ أَهَمِّيَّةُ الْكِتَابِ ضَمْنِ أَعْمَالِهِ الْكَامِلَةِ، وَضَمْنِ رَوَائِعِ الْفَلَسَفَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَإِلَى تَمَيُّزِهِ بِعَرَضٍ أَكْثَرَ نَسَقِيَّةً¹⁰⁵⁷ وَسَهُولَةً مِنْ كَثِيرِ السَّابِقَةِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، مَا جَعَلَ مِنْهُ مِفْتَاحًا مُنَاسِبًا لِفَهْمِ أَعْمَالِ هَذَا الْفِيلَسُوفِ الثَّائِرِ¹⁰⁵⁸.

وَفَوْقَ ذَلِكَ، فَفِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْمُصَنَّفِ نَقِفُ عَلَى مَقْصِدِ نيتشه الْمُتَمَثِّلِ فِي الْإِسْفَارِ عَنْ يَتَابِيعِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ وَالِدَوَاعِيِ الَّتِي تَدْفَعُ الْبَشَرَ لِلتَّشَبُّثِ بِهَا، وَالِاسْتِعَاضَةِ عَنْهَا بِقِيَمٍ أُسْلَمَ¹⁰⁵⁹ لِلْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ. وَفِي سَبِيلِ ذَلِكَ شَرَعَ نيتشه فِي إِزَالَةِ الْبِقَابِ عَنْ أَصُولِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي ظَلَّتْ مُهَيِّمَةً عَلَى الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، تَلَكُّمُ الْقِيَمِ النَّابِعَةِ مِنَ الْدِيَانَتَيْنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ¹⁰⁶⁰، إِنَّهَا قِيَمٌ إِثَارِيَّةٌ جَرَى حِسَابُهَا خَبْرَةً مِنْ قَبِيلِ الشَّفَقَةِ وَالزُّهْدِ، دُونَ أَنْ يُلْتَقَتَ إِلَى الْمُعَقِّبَاتِ الْوَحِيمَةِ الَّتِي تَسْتَبْعُهَا وَالْمَضَامِينِ الْعَدَمِيَّةِ الْمُنَاوِنَةِ لِلْحَيَاةِ فِي مَا يَتِيهَا الْمَحْضِ، مَا يَعْنِي أَنْ إِحْقَاقَهَا يُفْضِي إِلَى الْاِمْتِنَاعِ عَنْ مُمَارَسَةِ الْغَرَائِزِ وَكَبْتِهَا وَالتَّعَالِيِ عَنِ الْجُسْمانِ فِي أَبْعَادِهِ الْحِسِّيَّةِ وَالْعَرِيزِيَّةِ.

لَقَدْ تَرَامَى تَحْلِيلُ نيتشه لِهَاتِهِ الْقِيَمِ إِلَى بَيَانِ قِيَامِهَا عَلَى فِكْرَةٍ عَالَمٍ آخَرَ أَسْمَى يَتَنَاقَضُ جَذْرِيًّا مَعَ الْعَالَمِ الطَّبِيعِيِّ، وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ إِثْرَ ذَلِكَ أَنْ يَغْدُو الْإِنْسَانُ الْمُفْتَقِرُ إِلَى الْكَمَالِ إِذَا مَا قُورِنَ بِالْعَالَمِ الْمَاورَائِيِّ غَيْرِ جَدِيرٍ بِالاحْتِرَامِ، كَائِنًا مَعِيَبًا مِثْلَهُ مِثْلُ عَالَمِهِ الطَّبِيعِيِّ¹⁰⁶¹ وَلَيْسَ هُنَاكَ أَكْثَرُ خُطُورَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي كَشَفَ نيتشه التَّارِيخَ السِّيكُو-فِيزِيُو-اجْتِمَاعِيَّ الَّذِي أَنْجَبَ قِيَمَهَا الْمُنْكَرَةَ لِلْحَيَاةِ وَتَبْعَاتِهَا الْمُضَرَّةَ، دَاعِيًا عَلَى النَّقِيضِ إِلَى خَلْقِ قِيَمٍ جَدِيدَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ¹⁰⁶².

حَاوَلَ نيتشه أَنْ يُجِيبَ فِي غَرَضِ الْمُصَنَّفِ عَنِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ نَحْو: مِنْ أَيِّ أَنْمُودَجٍ مِنَ الْبَشَرِ، مِنْ الْأَنْفِعَالَاتِ وَالْغَرَائِزِ، نَشَأَتِ الْأَخْلَاقِيَّاتُ الَّتِي سَادَتْ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟ مَا الظُّرُوفُ وَالشُّرُوطُ

¹⁰⁵⁷ Brian Leiter, Nietzsche on Morality, p. 3 : « The Genealogy, in turn, is Nietzsche's most systematic attempt to give a naturalized account of the phenomenon of morality ».

¹⁰⁵⁸ Christopher Janaway, Beyond Selflessness : Reading Nietzsche's Genealogy, p. 1.

¹⁰⁵⁹ Ibid, pp. 6-7 : « Nietzsche's project in the Genealogy is to discover truths about why we hold our contemporary moral values and to persuade us that we could shift our allegiance to different, healthier values ».

¹⁰⁶⁰ Ibid, p. 2 : « The Genealogy centres on the morality that has arisen from the Judaeo Christian tradition... ».

¹⁰⁶¹ Ibid, p. 3 : « ... projected 'higher world' of absolute value of which one's imperfect human nature is unworthy ».

¹⁰⁶² Ibid, p. 1.

وَالطَّبَائِعُ ، عَلَى اخْتِلَافِ تَمَازُجِهَا ، الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي مِيلَادِ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ الْأَخْلَاقِ أَوْ ذَاكَ ؟ كَيْفَ سَيَقْتِ الْإِنْسَانِيَّةُ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِهَذِي الْقِيَمِ إِيْمَانًا شَدِيدًا وَأَنْ تَتَشَبَّثَ بِهَا عَاطِفِيًّا غَايَةً التَّشَبُّثِ ؟ أَحْسَنَةُ وَنَافِعَةُ وَسَلِيمَةٌ هِيَ مُعْتَقَدَاتُهَا الْأَخْلَاقِيَّةُ؟¹⁰⁶³ ، إِذِ الْأَخْلَاقُ كَمَا تَجَسَّدَتْ لَدَى الثَّقَافَاتِ لَا تَنْفَصِلُ عَنْ شُرُوطِهَا وَحَيْثِيَّاتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ ، يُعَيَّرُ نِيَتِشَهُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: " إِنَّا لَفِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْدِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ ، وَيَنْبَغِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُوضَعَ قِيَمُهُ هَذِهِ الْقِيَمِ مُوضَعٌ تَسْأُولُ - وَلِإِنْجَازِ هَذِهِ الْمُهْمَةِ ، مِنَ الضَّرُورِيِّ غَايَةِ الضَّرُورَةِ أَنْ نَعْرِفَ الظُّرُوفَ وَالْأَمَكِنَةَ الَّتِي أَنْجَبَتْهَا وَالَّتِي تَطَوَّرَتْ وَتَشَوَّهَتْ فِي مَطَاوِئِهَا...¹⁰⁶⁴ .

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُلَخِّصَ الْمَدَارَ الْإِشْكَالِيَّ الَّذِي دَارَ عَلَيْهِ الْمُصَنَّفُ كُلُّهُ ، بِلُغَةٍ نِيَتِشَهُ ، قُلْنَا إِنَّ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ يَكْشِفُ عَنْ الْأَصُولِ الْفِعْلِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ بَعَامَةٍ ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَهْنُوتِيَّةِ بِخَاصَّةٍ ، وَالْأَخْلَاقِ الْمَسِيحِيَّةِ بِخَاصَّةٍ الْخَاصَّةِ ؛ تَلَكُمُ الْأَخْلَاقُ النَّاجِمَةُ عَنْ رُوحِ الْاضْطِعْغَانِ وَالْعَجْزِ وَفَقْ مَا شَفَتْ عَنْهُ الْعَدَسَةُ الْفِيْزِيُو-نَفْسِيَّةُ وَالْعَدَسَةُ الْأَنْثَرَبُو-تَارِيخِيَّةُ ، بَيْنَمَا الْمَبْحَثُ الثَّانِي يُجْلِي الْأَصُولَ التَّارِيخِيَّةَ لِمَا يُسَمَّى بِالضَّمِيرِ الْأَخْلَاقِيِّ وَلَيْسَتْ هَذِي الْأَصُولُ إِلَّا أَصُولٌ طَبِيعِيَّةٌ تَتَمَثَّلُ فِي الْغَرَائِزِ الْحَيَوِيَّةِ بَعَامَةٍ وَالْعُدَوَانِيَّةِ بِخَاصَّةٍ وَالْقَسْوَةِ الْمُرتَدَّةِ إِلَى الْبَاطِنِ بِخَاصَّةٍ الْخَاصَّةِ ، وَمِنْ أَلْبَدْهِيَّ أَنْ يَتَهَافَتَ ، إِثْرَ هَذَا التَّفْسِيرِ الْجِينِيَالُوجِيِّ ، الْأَصْلُ اللَّاهُوتِيُّ لِلضَّمِيرِ بِمَا هُوَ صَوْتُ اللَّهِ ، وَلِقِيَمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ حَيْثُ هُمَا وَحْيٌ مُنْزَلٌ مِنَ السَّمَاءِ¹⁰⁶⁵ ، وَأَمَّا الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ فَأَحْذَ عَلَى عَاتِقِهِ الْإِبَانَةَ عَنْ جَرَيَانِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الْكَهْنُوتِيِّ فِي مَيَادِينِ شَتَّى مِنَ الْحَضَارَةِ وَتَفْسِيرَ مَصْدَرِ هَذِي الْقُوَّةِ الَّتِي جَعَلَتْ الْبَشَرِيَّةَ تَنْصَاعُ لَهُ وَتَتَشَبَّثُ بِهِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ مَضَارِهِ وَأَنْحِطَاطِهِ¹⁰⁶⁶ .

هَذِهِ الْمَبَاحِثُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي تَتَعَاضَدُ وَتَتَنَاصَرُ لِجُلِّي لَنَا مَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيهِ بِالطَّبَائِعِ الْإِلَاحِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ¹⁰⁶⁷ ، أَيْ الْإِبَانَةَ عَنْ مَوَاقِفِهَا وَالْأَسْبَابِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي تَحْدُوهَا عَلَى اسْتِحْدَاثِ تَلَكُمُ

¹⁰⁶³Christopher Janaway, Beyond Selflessness : Reading Nietzsche's Genealogy, p. 3 : « Nietzsche poses two large questions about this morality : How did we come to believe in it so firmly and with such powerful emotional attachments? and, Are these beliefs and attachments good, advantageous, or healthy for human beings? » .

¹⁰⁶⁴GM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, «Préface» § 6 : « ... nous avons besoin d'une critique des valeurs morales, et la valeur de ces valeurs doit tout d'abord être mise en question — et, pour cela, il est de toute nécessité de connaître les conditions et les milieux qui leur ont donné naissance, au sein desquels elles se sont développées et déformées... »

¹⁰⁶⁵APZ, Trad. Henri Albert, mille et un buts : « En vérité, les hommes se donnèrent eux-mêmes leur bien et leur mal. En vérité, ils ne les prirent point, ils ne les trouvèrent point, ils ne les écoutèrent point comme une voix descendue du ciel ». Voir Jules de Gaultier : Nietzsche et la réforme philosophique -Société du Mercure de France, 1904, p. 295

¹⁰⁶⁶EH, Trad. Éric Blondel, « GM, », Trad. Éric Blondel, In Œuvre, Flammarion.

¹⁰⁶⁷Jean André Wahl, L'avant dernière pensée de Nietzsche, p. 6. Voir Karl Jaspers, Nietzsche; introduction à sa philosophie, p. 149 : « La moralité naît de l'immoralité : selon Nietzsche la morale est originalement née de quelque chose d'immorale, de la volonté de puissance ».

الْمَوَاقِفِ الْأَخْلَاقِيَّةِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ لَا أَخْلَاقِيَّةِ الطَّبِيعَةِ وَالتَّارِيخِ وَالْحَيَاةِ¹⁰⁶⁸ ، وَوُصِّلَتْهَا إِلَى ذَلِكَ التَّبْيِينِ إِبْدَاءَ الشُّرُوطِ الْفِيزِيَوِ-نَفْسِيَّةِ وَالْأَنْثُرُوبِ-اجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا مَنَشَأُ الْأَخْلَاقِ السَّائِدَةِ ، وَالْحَالُ أَنَّهُ بِفَضْلِ نَيْتَشَةِ يَجْرِي أَوَّلَ مَرَّةٍ النَّظَرُ بِمَنْهَجٍ تَقْوِيضِيٍّ مُنْتَظَمٍ إِلَى الْمَفَاهِيمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ الْوَاجِبِ وَالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْقَانُونِ عَلَى أَنَّهَا رُمُوزٌ تُفَصِّحُ عَنْ حَيَاةٍ غَرِيزِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَمِنْ ثَمَّ التَّطَرُّقُ إِلَى الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مِنْ حَيْثِيَّةٍ كَوْنِهَا لُغَةً خَاصَّةً مُكَوَّنَةً مِنَ الرُّمُوزِ أَوْ نِظَامِ عِلَامَاتٍ تُعَرِّبُ أَصْنَافَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْعَرَائِزِ عَنْ نَفْسِهَا مِنْ خِلَالِهَا¹⁰⁶⁹ مَا يُوجِبُ تَفْكِيكَهَا بِتَوَسُّلِ النَّظَرِ إِلَى رِفْعَةٍ أَوْ حَسَّاسَةِ الْعَرَائِزِ الْقَابِعَةِ وَرَاءَ هَذِهِ الرُّمُوزِ أَوْ تِلْكَ¹⁰⁷⁰ وَهَذِهِ الْعَرَائِزُ وَالْأَهْوَاءُ نَفْسُهَا تُتَنَاوَلُ بِمُقْتَضَى هَذَا النِّهَجِ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ رَمْزِيَّةٌ لِلْوِظَائِفِ الْعُضُويَّةِ¹⁰⁷¹ الْمُقَوِّمَةِ لِلْحَيَاةِ.

وَلَيْسَ بِدَعَا أَنْ يُفْضِيَ تَحْلِيلُ الْأَخْلَاقِ ، بِنَاءً عَلَى طَبِيعَةٍ وَنَوْعِيَّةِ الْعَرَائِزِ الْمُبْدِعَةِ وَالْمُحَرِّكَةِ لِلْأَخْلَاقِ ، إِلَى اسْتِخْلَاصِ الْأَنْمُودَجِ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ¹⁰⁷² ، لَكِنْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْتَصِّرَ التَّحْلِيلُ عَلَى اسْتِظْهَارِ أَنْمُودَجِي الْأَخْلَاقِ وَإِنَّمَا فَوْقَ ذَلِكَ يَعْمِدُ نَيْتَشَةُ إِلَى تَقْوِيمِهِمَا تَبَعًا لِأَوَاصِرِ الْعِلَاقَةِ بِالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحَيَاةِ أَوْ انْقِطَاعِهَا ، طَبَقًا لِمَا يَدُلُّانِ عَلَيْهِ ؛ أَيْدُلَّانِ عَلَى عَرْقَلَةِ التَّطَوُّرِ الْإِنْسَانِيِّ أَوْ اسْتِحْسَانِهِ وَالْحَضِي عَلَيْهِ ، أَيْدُلَّانِ عَلَى الضِّيقِ وَالْإِفْقَارِ وَالتَّفَكُّكِ ؟ أَوْ يُعَبِّرَانِ عَنْ مَلَأَةِ الْحَيَاةِ وَقُوَّتِهَا ، عَنْ الشَّجَاعَةِ وَإِرَادَةِ الْحَيَاةِ ، عَنْ الثِّقَةِ فِي مُسْتَقْبَلِ الْحَيَاةِ ؟¹⁰⁷³

¹⁰⁶⁸GS, Trad. Henri Albert, § 344 : « ... pourquoi de toute façon la morale?, si la vie, la nature, l'histoire sont « immorales »?. Voir Laurent Cheronneix, Philosophie médicale de Nietzsche : la connaissance, la nature, p. 110.

¹⁰⁶⁹PBM, Trad. Henri Albert, § 187.

¹⁰⁷⁰OP, Trad. Henri Albert — Jean Bolle, Mercure de France, Paris, 1939, § 644. Voir : « Nous obéissons à des instincts dont la morale n'est qu'un langage symbolique . Qu'est - ce que le « devoir », le « droit », le « bien », la « loi » ? Quelle forme de vie instinctive correspond à ces signes et à ces symboles abstraits ». Voir Œuvres, Edition Alfred Kroner, XIII, 256. Voir FP, IX, 7 [76]. Voir VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre III, § 136.

¹⁰⁷¹Ibid, § 643 : « La morale : langage symbolique des impulsions affectives ! — les impulsions affectives : à leur tour, langage symbolique des fonctions de tout organique ».

¹⁰⁷²Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 159.

¹⁰⁷³GM, Trad. Henri Albert, avant-propos, § 3 : « Dans quelles conditions l'homme s'est-il inventé à son usage ces deux évaluations : le bien et le mal : Et quelle valeur ont-elles par elles-mêmes ? Ont-elles jusqu'à présent enrayé ou favorisé le développement de l'humanité ? Sont-elles un symptôme de détresse, d'appauvrissement vital, de dégénérescence ? Ou bien trahissent-elles, au contraire, la plénitude, la force, la volonté de vivre, le courage, la confiance en l'avenir de la vie ? ». Voir la Trad. Éric Blondel et Autres : « dans quelles conditions l'homme s'est-il inventé ces jugements de valeur de bien et de mal ? Et quelle valeur ces jugements ont-ils eux mêmes ? Ont-ils inhibé ou favorisé jusqu'à présent le développement de l'homme ? Sont-ils un signe de détresse, d'appauvrissement, de dégénérescence de la vie? Ou au contraire sont-ce la plénitude, la force, la volonté de la vie, son courage, son assurance, son avenir, qui se montrent en eux ? ».

المَبَحْثُ الأوَّلُ: الْأَخْلَاقُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَيْنَ أَصُولِ النِّشَاةِ وَعُدُولِ الْمَفَاهِيمِ وَمَدْئُولِ الْأَحْكَامِ

(أ) مُوجِبَاتُ الْقِيَمِ النَّافِيَةِ: رُوحُ الْأَضْطِغَانِ وَعَجْزُ الْإِنْسَانِ وَكَبْتُ الْجُسْمَانِ وَسُوءُ الذَّاكِرَةِ

لَيْسَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي شَيْءٍ لَوْ قُلْنَا إِنَّ مِنْ إِسْهَامَاتِ نِيَتَشَةِ الْكُبْرَى فِي الْمَسْأَلَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ تَحْلِيلُهُ الْمُنْقَطِعُ النَّظِيرَ لِدَوْرِ الْأَضْطِغَانِ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي اضْطَلَعَ فِيهِ الْكُفْهَانُ بِدَوْرِ عَظِيمٍ. وَلَا عَرَوْ فِي أَنْ يَخْصَّ نِيَتَشَةُ الْأَضْطِغَانِ بِتَحْلِيلَاتٍ مُسَهِّبَةٍ فِي الْمَبَحْثِ الْأَوَّلِ مِنْ جِينِيَالُوجِيَا الْأَخْلَاقِ مُسَلِّطًا الضَّوْءَ عَلَى مَسْئُولِيَّةِ إِنْسَانِ الْأَضْطِغَانِ فِي مِيلَادِ الضَّمِيرِ الشَّقِيٍّ¹⁰⁷⁴ بِمَعْنَاهُ السَّلْبِيِّ حِينَمَا غَدَا الْأَضْطِغَانُ لَدِيهِ خَلَاقًا لِلْقِيَمِ¹⁰⁷⁵.

¹⁰⁷⁴ Guy Elgat, Nietzsche's Psychology of Ressentiment : Revenge and Justice in On the Genealogy of Morals, Routledge, 2017, p. 9 : « ... it is the man of ressentiment who has the invention of bad conscience on his conscience ».

¹⁰⁷⁵ Aaron Ridley, Nietzsche's Conscience, Six Character Studies from the Genealogy, Cornell University Press, 1998, pp. 25-26.

يَفْرُقُ إِيْرُون رِيدْلِي ، عَلَى مَا فِي تَخْرِيجَاتِهِ لِحَلِّ تَنَاقُضَاتِ نِيَتَشَةِ مِنْ تَكَلُّفٍ مَلْحُوظٍ ، بَيْنَ وَعْيِ شَقِيٍّ خَامٍ وَوَعْيِ شَقِيٍّ قَبِيحٍ لَدَى الْعَبِيدِ وَوَعْيِ شَقِيٍّ حَسَنٍ لَدَى الْأَسْيَادِ ؛ يَعْبَرُ الْوَعْيُ الشَّقِيَّ الْخَامَ عَنْ تِلْكَ الْقُدْرَةِ لَدَى الْإِنْسَانِ عَلَى الْإِرْتِدَادِ إِلَى الذَّاتِ عِبْرَ آلِيَةِ الْإِسْتِطْبَانِ بِوَصْفِهَا ضَرْبًا مِنْ اسْتِمْلَاكِ الْجَمَاعَةِ لِلْإِنْسَانِ وَإِضْفَاءِ الطَّاعِ الْخَضِرِيِّ (الْاجْتِمَاعِيِّ) عَلَيْهِ ، مَا يَعْنِي إِجْبَارَهُ عَلَى الْإِحْتِكَامِ إِلَى الْوَعْيِ بِدَلِ الْفَرَاثِزِ لِإِمْكَانِ الْعَيْشِ فِي جَمَاعَةٍ وَهَذَا الْإِرْتِدَادُ عِبَارَةٌ عَنْ حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ مَزْعُجَةٌ جَدًّا يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَتَسَبَّبَ بِالْأَضْطِغَانِ غَيْرِ الْخَلَاقِ بِمَا هُوَ حَالَةٌ كَبْتُ أَضْطِغَانِيَّةٍ مُوجَّهَةٌ أَسَاسًا ضِدَّ الذَّاتِ (وَيَعْبَرُ أَيْضًا عَنْ كِرَاهِيَةٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ حَالُ الذَّاتِ فِي كَبْتِهَا لِلْفَرَاثِزِ) أَوْ ضِدَّ الْآخَرِينَ الْمَتَسَبِّبِينَ بِذَلِكَ وَكُلْمَا قَبِعَتِ الْفَرَاثِزُ عَنِ التَّخَارُجِ زَادَ الْأَضْطِغَانُ (مَعْنَى الْأَضْطِغَانِ غَيْرِ الْخَلَاقِ هُوَ الشُّعُورُ الضَّاعِنُ وَالْعَاجِزُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى هَامِشِ الْحَيَاةِ وَبِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لَا فَاعِلٌ). وَ أَمَّا الْوَعْيُ الشَّقِيُّ الْقَبِيحُ هُوَ نَفْسُهُ تِلْكَ الْقُدْرَةُ وَالْحَالَةُ الْخَامَةُ لَكِنْ وَقَدْ شَرَعَ الْأَضْطِغَانُ ، بِدَلِ الْفِعْلِ الْمُبَاشَرِ فِي الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ وَالتَّفْرِيعِ الْغَرِيزِيِّ ، فِي ابْتِدَاعِ مَفَاهِيمٍ قِيَمِيَّةٍ ثَارِيَّةٍ وَثَائِرَةٍ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَالْحَيَاةِ ، وَأَمَّا الْوَعْيُ الشَّقِيُّ الْحَسَنُ لَدَى السَّادَةِ فَهُوَ وَعْيُ شَقِيٍّ خَامٍ لَكِنْ تُمْكِنُ عَوْضُ الْإِنْكَمَاشِ فِي الْدَاخِلِ مِنَ الْفِعْلِ فِي الْخَارِجِ وَمِنْ تَقْرِيفِ الْفَرَاثِزِ حِينَئِذٍ وَالثَّأْرَ حِينَئِذٍ آخَرَ وَ عَلَى فَرَضِ شَكْلِ مُحَدَّدٍ عَلَى بَنِيَانِهِ النَّفْسِيِّ بِفَضْلِ قِسَاوَةِ الْفَنَانِ الَّتِي يَتِمَتُّعُ بِهَا ، مَا يَسْمَحُ بِتَجَاوُزِ الضَّغِينَةِ الْخَالِقَةِ لِلْقِيَمِ.

« The distinctions I have been trying to tease out—particularly those between the "raw," good bad, and bad bad consciences—are, I think, fundamental to Nietzsche's project, and they are certainly fundamental to my reading of him... "Bad conscience," I have suggested, means three quite distinct things in the Genealogy . In its most basic and universal sense it means the "raw" bad conscience—the bare capacity for self-reflection made available by "internalization." This is the common possession of man insofar as he is socialized at all... But the "raw" bad conscience is a site of Potential as well as of discomfort. In its discomforting aspect it may elicit (noncreative) resentment—a condition of rancorous frustration directed inwardly at oneself for being as one now is and outwardly at the causes of one's being so. If this frustration is allowed no outlet, it mounts... Eventually, Nietzsche claims, the greater interiority of the most repressed makes possible a set of conceptual innovations (detailed in the following two sections) that allow resentment to turn "creative," to give birth to values—and it is these values which are definitive of the bad bad conscience. The slave revolt in morality takes place, then, when the inwardly and outwardly directed rancor of those least able to discharge it finally brings

وَلَقَدْ قَامَتِ أَلْجَنِيَالُوجِيَا عَلَى بَيَانِ اسْتِمْدَادِ الْإِضْطِغَانِ ، بِوُصْفِهِ هَوَى نَفْسَانِيًّا اسْتَحَالَ إِثْرَ قَلْبِ الْقِيَمِ
الْاِقْتِدَارِيَّةِ النَّبِيلَةِ إِلَى مَنْظُومَةِ أَكْسِيُولُوجِيَّةٍ مُكْتَمَلَةِ الْأَرْكَانِ ، نَشَأَتْهُ مِنْ بِنْيَةِ فِيزِيُو - اجْتِمَاعِيَّةٍ سَابِقَةٍ عَلَى
الْأَفْرَادِ لَيْسَ لَهُمْ عَنْهَا بُدٌّ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْسَانُ الْإِضْطِغَانِ ضَعِيفُ الْبِنْيَةِ مِنْ حَيْثُ الْفِيزِيُولُوجِيَا (مُفْتَقِرٌ
لِلشَّمَائِلِ الْجُسْمَانِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ) وَوَضِيعٌ مِنْ حَيْثُ الطَّبَقَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ ؛ وَفِي كَتَفِ هَذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ يَضْطَرُّ
هَذَا الصَّنْفُ الْإِنْسَانِيُّ إِلَى الْإِحْسَاسِ بِالْذَوْنِيَّةِ وَالْعَجْزِ اضْطِرَارًا بِقَدْرِ مَا يُسَاقُ إِلَى عَقْدِ مُقَارَنَاتٍ تَنْتَهِي دَائِمًا
إِلَى زَعَزَعَةِ الثِّقَةِ فِي نَفْسِهِ مِنْ جِهَةٍ وَإِلَى تَفَاقُمِ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ الْمَهِينِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، كَذَلِكَ يُفْضِي
إِحْبَاطُهُ الْمُتَوَاصِلِ إِلَى الْأَشْمَازِ مِنْ ذَاتِهِ الْعَاجِزَةِ.

لَكِنْ مَا يُعَمِّقُ شُعُورَ هَذِهِ الْفِتَّةِ الْبَشَرِيَّةِ بِهَذِي الْوَضْعِيَّةِ الْفِيزِيُو- سِيكُو- اجْتِمَاعِيَّةِ وَيَزِيدُ إِحْسَاسَهَا
بِالْخَبَةِ هُوَ تِلْكَ الْحَيْلُولَةُ الَّتِي يُقِيمُهَا الصَّنْفُ الْاِقْتِدَارِيُّ النَّبِيلُ بَيْنَهَا وَتَغْيِيرِ وَضْعِيَّتِهَا الْمُزْبِيَّةِ ، بَيْنَهَا
وَتَحْقِيقِ مُبْتَغَاهَا ؛ وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ نِيْتَشَةُ بِأَنَّ أَنَاسَ هَذَا الصَّنْفِ مُنِعُوا مِنَ الْفَاعِلِيَّةِ فِي الْعَالَمِ ، عَنْ
التَّفْرِيعِ ، أَيْ جَرَدُوا مِنَ الْبِنْيَةِ التَّكْوِينِيَّةِ لِلْوُجُودِ الْأَصِيلِ فِي الْعَالَمِ . لَقَدْ رَفَعَ عَنْهُمْ الْعَالَمُ الْمَحْسُوسُ وَلَمْ
يَبْقَ لَهُمْ إِلَّا الْاِرْتِدَادُ إِلَى الْوَعْيِ النَّفْسَانِيِّ ؛ ذَلِكَ الْوَعْيُ الَّذِي لَا يَتَجَسَّدُ فِي الْخَارِجِ بِقَدْرِ مَا يَتَشَرَّقُ فِي
عَالَمِهِ الْبَاطِنِيِّ مُحَاوَلًا الْفِعْلَ مِنْ خِلَالِ خَلْقِ مَفَاهِيمٍ مِثَالِيَّةٍ لَا تَسْتَبْعِدُ فَقَطْ ، عَلَى سَبِيلِ الثَّارِ ، الْعَالَمِ بَل
الْجُسْمَانِ نَفْسَهُ بِوُصْفِهِ شَرْطَ الْوُجُودِ الْفَعَالِ فِي الْعَالَمِ ؛ ذَلِكَ الَّذِي يَجْعَلُ السَّيِّدَ سَيِّدًا ؛ ذَلِكَ السُّوْطُ
الَّذِي بِهِ جَلَدَ الْأَسْيَادُ الْعَبِيدَ . لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْزُبَ عَنَّا كَوْنُ الْحَيْلُولَةِ بَيْنَ الصَّنْفِ الْوَضِيعِ وَمُرَادِهِ مُقْتَرَنَةً
فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْغَرِيزِيِّ بِالْعُنْفِ الْمُمَارَسِ مِنْ لَدُنِ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ ؛ وَمَا هَذَا الْعُنْفُ إِلَّا عِلَّةٌ
لِلْكَبْتِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعَبِيدَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا رَغَبَاتِهِمْ لَوْلَا قَمْعُ يَفْتَرِضُ حَتْمًا الْعُنْفَ الَّذِي هُمْ عَنْ رَدِّهِ
غَيْرُ قَادِرِينَ.

لَمْ يَأْخُذْ نِيْتَشَةُ عَلَى عَاتِقِهِ نَقْدَ الْقِيَمِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ الْوَعْيَ الْإِنْسَانِيَّ وَوَجَّهَتْ التَّارِيخَ الْعَالَمِيَّ إِلَّا
لِكُونِهَا مُعَبَّرَةً عَنْ شَمَائِلَ وَأَحْوَالِ سِيكُو - فِيزِيُو - اجْتِمَاعِيَّةٍ مُتَدَهَوْرَةٍ ؛ يُحَرِّكُهَا الْإِضْطِغَانُ عَلَى الْاِقْتِدَارِ
الْأَنْثُرُوبُولُوجِيِّ (الْإِنْسَانِ) وَالْأُونُطُولُوجِيِّ (الْحَيَاةِ) مِنْ جَانِبِ وَالْعَجْزِ عَنِ التَّغَلُّبِ وَالْإِضْطِغَانِ بِالذَّاتِ
وَالْحَيَاةِ وَيُعْذِّبُهَا الْكَبْتُ وَالشَّقَاوَةُ وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ قِيَمٌ اِتِّضَاعٍ لَا قِيَمٌ اِرْتِفَاعٍ وَأَخْلَاقٌ خُضُوعٍ لَا أَخْلَاقٌ رِيَاسَةٍ .

مَا كَانَ نِيْتَشَةُ قَادِرًا أَنْ يَنْزِعَ الطَّائِعَ الْمُقَدَّسَ عَنْ أَخْلَاقِ الْاِسْتِكَانَةِ ، الَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَسُودَ فِي غَيْرِ مَا
يَخْدُمُ أَخْلَاقَ الْمَكْنَةِ وَالرَّفْعَةِ ، لَوْلَا تَنَاوُلُهَا كَظَاهِرَةً تَارِيخِيَّةً تَسْتَمِدُّ جُذُورَهَا مِنْ ضَرْبِ مِنَ الْغَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ
الْمَحْكُومَةِ بِالْإِضْطِغَانِ الَّذِي يُعَدُّ الْخَيْطَ النَّاطِمَ الَّذِي وَلَدَ قَلْبًا حَقُودًا لِصَنْفٍ مِنَ الْقِيَمِ الْبُذَائِيَّةِ وَالْأَصِيلَةِ
سَبَقَتْ تَارِيخِيَا الْأَخْلَاقَ الَّتِي تَبَنَّتْهَا الْبَشَرِيَّةُ لِاحِقًا ؛ هَذَا الْإِضْطِغَانُ لَا يُمَكِّنُ فَهْمَهُ فِي كُلِّ أَبْعَادِهِ إِلَّا إِذَا
أَدْرَكْنَاهُ فِي صِلَتِهِ بِالْجُرْمَانِ الطَّبِيعِيِّ ، لِصَنْفٍ مِنَ الْبَشَرِ ، مِنَ الْأَشْمَائِلِ النَّفْسِيَّةِ الْحَمِيدَةِ وَالطَّبَائِعِ

الْجِسْمِيَّةِ الصِّحِّيَّةِ ، وَمِنْ جَوْفِ هَذَا الْحَرَمَانِ يُحَاكُّ انْتِقَامٌ وَهَمِيٌّ¹⁰⁷⁶ وَثَارٌ جَمَاعِيٌّ ذُو طَبِيعَةٍ رُوحَانِيَّةٍ¹⁰⁷⁷ ، مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبَّتْهُمْ الطَّبِيعَةُ بِكُلِّ الْمَزَايَا النَّبِيلَةِ ، تَخَذَ صُورًا شَتَّى مِنْ بَيْنِهَا ابْتِدَاعٌ ارْتِكَاسِيٌّ لِمِثْلِ غُلْيَا¹⁰⁷⁸ مُضَادَّةٌ لِلْحَيَاةِ بِمَا هِيَ إِرَادَةٌ اقْتِدَارٌ ، بِهَا بَرَّزُوا ذَوَاتَهُمْ وَعَوَّضُوا مَا هُمْ مَحْرُومُونَ مِنْهُ¹⁰⁷⁹ .

تَذَهَبُ أَطْرُوحَةٌ نِيَتِشُهُ إِلَى وُجُودِ صَنَفَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ مِذْ الْبِدَايَاتِ الْأُولَى: طَائِفَةٌ مِنْ وَفَرَةٍ غَرَائِزِهَا وَفُورَةٌ اقْتِدَارِهَا أُبْدَعَتْ قِيَمًا حَيَوِيَّةً طَافِحَةً بِالْحَيَاةِ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْانْدِفَاعِ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْوُجُودِ ؛ تِلْكَمُ الْقِيَمُ عَدَهَا نِيَتِشُهُ أَخْلَاقًا طَبِيعِيَّةً سَلِيمَةً تَحْكُمُهَا غَرِيزَةُ الْحَيَاةِ الَّتِي تَتَخَطَّى الْعِرَاقِيلَ بِأَلَوَاحِجِهَا الْأَمْرَةِ وَالنَّاهِيَةِ¹⁰⁸⁰ ، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ ضَّالَّةٍ قُوتِهَا وَعِلَّةٌ غَرَائِزِهَا وَشِدَّةٌ اضْطِعَانِهَا قَلَبَتْ تِلْكَمُ الْقِيَمَ ، فَأَنْتَبَجَتْ قِيَمًا وَقَائِيَّةً خَامِلَةً تَنَاقُضُ الْحَيَاةَ وَتَزْدَرِي الْإِنْسَانَ ؛ إِنَّهَا تِلْكَمُ الْقِيَمُ الَّتِي حَسِبَهَا نِيَتِشُهُ أَخْلَاقًا مُعَادِيَّةً لِلْحَيَاةِ وَمُنَاقِضَةً لِلْغَرَائِزِ سِرًّا وَجَهَارًا¹⁰⁸¹ . وَلَا غَرَوْ مِنْ أَنْ تَتَّبَثِقَ الدِّيَانَةُ الْمَسِيحِيَّةُ وَأَخْلَاقُهَا مِنْ رَحِمِ الضَّغِينَةِ لَا مِنْ عَلَيَاءِ الرُّوحِ النَّبِيلِ وَأَنْ تَكُونَ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا دِينًا وَأَخْلَاقًا رَدَّ فِعْلٍ وَتَمَرْدًا عَلَى هَيْمَنَةِ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ¹⁰⁸² .

وَإِذَا كَانَ اسْتِيعَابُ نَظَرِيَّةِ نِيَتِشُهُ عَنْ أَخْلَاقِ السَّادَةِ - أَوْ مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ تَارَةً بِالْأَخْلَاقِ الْإِثْبَاتِيَّةِ وَتَارَةً أُخْرَى بِالْأَخْلَاقِ الصَّاعِدَةِ - ، أَيْسَرَ وَأَبْسَطَ ، فَإِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى نَظَرِيَّةِ نِيَتِشُهُ فِي أَخْلَاقِ الْعَبِيدِ مِنْ جَانِبٍ وَالْإِحَاطَةَ بِمَقَاصِدِ نِيَتِشُهُ مِنْ وَرَاءِ تَعْرِيفَةِ نَوَايَا هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْمُعَادِيَّةِ لِلْحَيَاةِ وَهَتْكَ أَسْرَارِهَا مِنْ

¹⁰⁷⁶GM, Trad. Henri Albert, I, § 10 : « Le soulèvement des esclaves dans la morale commence lorsque le ressentiment devient lui-même créateur et engendre des valeurs : le ressentiment de ces êtres à qui la réaction véritable, celle de l'action, est interdite, et que seule une vengeance imaginaire peut indemniser ». Voir Emmanuel Diet, Nietzsche et les métamorphoses du divin, Éditions du Cerf, 1972, p. 70. Voir Bernard Edelman, Nietzsche, un continent perdu, p. 164.

¹⁰⁷⁷Ibid, § 7 : « ... une vindicte essentiellement spirituelle ». Voir Yves Ledure, Nietzsche et la religion de l'incroyance, Desclée, 1973, p. 99. Voir Jean-Jacques Forté, Judaïsme et modernité chez Nietzsche, Presses Universitaires du Septentrion, 2001, p. 184.

¹⁰⁷⁸Patrick Wotling, Nietzsche et le problème de la civilisation, PUF, p. 147.

¹⁰⁷⁹Georges Morel, Nietzsche : Analyse de la maladie, Edition Aubier-Montaigne, 1971, p. 114.

¹⁰⁸⁰CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 4 : « Je mets un principe en formule. Tout naturalisme dans la morale, c'est-à-dire toute saine morale, est dominée par l'instinct de vie, — un commandement de la vie quelconque est rempli par un canon déterminé d' « ordres » et de « défenses », une entrave ou une inimitié quelconque, sur le domaine vital, est ainsi mise de côté... ».

¹⁰⁸¹Ibid, § 4 : « La morale antinaturelle, c'est-à-dire toute morale qui jusqu'à présent a été enseignée, vénérée et prêchée, se dirige, au contraire, précisément contre les instincts vitaux —, elle est une condamnation, tantôt secrète, tantôt bruyante et effrontée, de ces instincts ».

¹⁰⁸²EH, Trad. Éric Blondel, Blondel, In Œuvres, Flammarion, Pourquoi j'écris de si bons livres, GM, p. 1279 : « La vérité de la première dissertation est la psychologie du christianisme : la naissance du christianisme par l'esprit du ressentiment, et non, comme on aime à le croire, par l' « Esprit », — dans son essence même mouvement réactif, le grand soulèvement contre la domination des valeurs nobles ».

جَانِبٍ آخَرَ عَسِيرٌ لَا سَبِيلَ إِلَى تَذْلِيلِ وَغُورَتِهِ إِلَّا بِالشَّرْحِ الْمُسْتَفِيزِ لِمَفْهُومِي الاضْطِغَانِ وَالْعَجْزِ فِي غَلَاظَتِهِمَا بِالذَّاكِرَةِ السَّلْبِيَّةِ (التي سَتَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا بَعْدَ حِينٍ).

تَذَكِيرًا وَتَفْصِيلًا لِلْمَذْكُورِ آنفًا، فَمَنْشَأُ الْأَخْلَاقِ النَّافِيَةِ إِذْنٌ رَاجِعٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى ذَلِكَمُ الصَّنَفِ مِنَ الْبَشَرِ الْعَاجِزِينَ جُسْمَانِيًّا وَرُوحِيًّا عَنْ مُقَارَعَةِ مَنْ حَبَّتْهُمْ الطَّبِيعَةُ بِأَنْبَلِ الشَّمَائِلِ وَأَفْضَلِهَا، عَنْ مُضَارَعَةِ الْأَقْوِيَاءِ وَرَدِّ اعْتِدَاءَاتِهِمْ، وَعَايِدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى إِلَى مَا يَكُنُّهُ هَؤُلَاءِ الضَّعَفَاءُ مِنْ ضَعْفِيَّةٍ شَدِيدَةٍ تَأْخُذُ مَسَالِكَ انْتِقَامِيَّةً شَتَّى مِنْ بَيْنِهَا مَسَلُّكُ الانْتِقَامِ الرُّوحِيِّ بِقَلْبِ الْقِيَمِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا الْأَقْوِيَاءُ الْمُتَدَفِّعُونَ غَرِيزِيًّا إِلَى الْاسْتِيلَاءِ عَلَى الْفَضَاءِ الْحَيَوِيِّ وَفَرَضِ سُلْطَانِهِمْ وَبَسْطِ إِرَادَتِهِمْ.

وَلَكِنْ كَانَ الْاِقْتِدَارُ لَدَى الْأَنْثُوذَجِ الْمُقْتَدِرِ النَّبِيلِ تَوْسُّعِيًّا مِنْ حَيْثُ الْجَوْهَرُ، فَإِنَّ الْاِنتِقَامَ لَدَى الْأَنْثُوذَجِ الْخَائِرِ الْوَضِيعِ هُوَ الْمُنْطَبِعُ بِالتَّوَسُّعِ، إِذْ لَا تَقْتَصِرُ قِبَلَتُهُ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَإِنَّمَا مَا يَزَالُ يَمْضِي أَبْعَدَ فَأَبْعَدَ حَتَّى يَتَّخِذَ مِنَ الْحَيَاةِ نَفْسَهَا مَوْضُوعًا لَهُ (لِلْاِضْطِغَانِ). هَذَا الْاِضْطِغَانُ الْمَوْسَعُ يَتَبَدَّى لَنَا فِي الْمَقْتِ الَّذِي لَا يَسْتَثْنِي شَيْئًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِنَّهُ لَيَطَالُ كُلُّ مُمَرَّاتِهَا الَّتِي لَا تَتَصَوَّرُهَا إِلَّا بِهَا، لِذَلِكَ فَمَا يَحْدُ عَلَيْهِ إِنْسَانُ الْاِضْطِغَانِ وَيُحَارِبُهُ هُوَ الزَّمَنُ وَالصَّيْرُورَةُ وَالتَّغْيِيرُ وَالتَّنَوُّعُ الَّذِينَ يُؤَلْفُونَ نَسِيجَ الْوَاقِعِ¹⁰⁸³. مَعَ الْاِضْطِغَانِ يَجْرِي قَلْبُ الْقِيَمِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ طَبَائِعِ الْحَيَاةِ وَيَتَحَوَّلُ الْوَعْيُ، بِدَلِّ الْغَرِيزَةِ، إِلَى خَالِقِ الْأَخْلَاقِ¹⁰⁸⁴ كَمَا يَغْدُو الْاِضْطِغَانُ عَيْنُهُ، كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ سَالِفًا، مُبْدِعًا لِلْقِيَمِ¹⁰⁸⁵.

وَإِذَا كَانَ جِرْمَانُ آلِ الْعَجْزِ مِنَ الْمَكْنَةِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَالْحَيْلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَالْفِعْلِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، مَا مَنَعَ غَرَائِزَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ مِنَ التَّفْرِغِ فِي الْخَارِجِ، وَلَدَّا فِيهِمْ اِضْطِغَانًا¹⁰⁸⁶ نَزَا إِلَى تَعْوِيزِ مَا افْتَقَرُوا إِلَيْهِ وَمَا فَاتَهُمْ بِالنَّارِ الْوَهْمِيَّةِ¹⁰⁸⁷، وَاحْبَاطًا أَرْهَقَ بُنْيَانَهُمُ النَّفْسِيَّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَإِنَّ آلَ الْقُوَّةِ عَلَى النَّقِيضِ انْمَازُوا بِالْقُدْرَةِ عَلَى تَجَاوُزِ الرِّغْبَةِ فِي الْاِنتِقَامِ وَالْاِنتِقَامِ نَفْسِهِ، مِنْ طَرِيقِ التَّفْرِغِ الْآتِيِّ وَالْاِنْفِجَارِ الْفُورِيِّ فِي الْخَارِجِ.

وَلَا يَرَّاحُ أَنَّ فِي ذَلِكَ بَيِّنُوتَةً عَنْ مَسَلِّكَ أَصْحَابِ الْعَجْزِ الَّذِينَ دَبَدَنَهُمُ الْعَجْزُ عَنِ التَّخَلُّصِ مِنَ الرِّغْبَةِ فِي الْاِنتِقَامِ، لِذَلِكَ تَتَحَوَّلُ عِنْدَهُمْ إِلَى هَوَسٍ لَا يَفْتَأُ عَنِ الْاِسْتِحْوَاذِ عَلَى الْجِهَارِ النَّفْسِيِّ، مِثْلُهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ

¹⁰⁸³ Monia Sanekli, L'inconscient politique chez Friedrich Nietzsche, p. 264 : « L'homme de ressentiment en veut surtout au temps, au devenir, au changement et à la variabilité... qui se succèdent sans avoir pour autant d'essences fixes et éternelles ».

¹⁰⁸⁴ Daniel Laurent, La pensée de Nietzsche et l'homme actuel, Edition Privat, 1973, p. 43.

¹⁰⁸⁵ GM, Trad. Henri Albert, I, § 10 : « — La révolte des esclaves dans la morale commence lorsque le ressentiment lui-même devient créateur et enfante des valeurs ».

¹⁰⁸⁶ Ibid, § 10 : « ... le ressentiment de ces êtres, à qui la vraie réaction, celle de l'action, est interdite et qui ne trouvent de compensation que dans une vengeance imaginaire ».

¹⁰⁸⁷ Aaron Ridley, Nietzsche's Conscience, Six Character Studies from the "Genealogy", p. 16 : « ... the ressentiment of natures that are denied the true reaction, that of deeds, and compensate themselves with an imaginary revenge ».

النَّدَمُ الَّذِي يُصْبِحُ أَدَاةً تَغْذِيْبٍ أَخْلَاقِيٍّ لِلذَّاتِ لَا تَتْرُكُ لِلنَّفْسِ أَيَّ فُسْحَةٍ لِلسَّكِينَةِ ، وَبِهَذَا النَّحْوِ تَبْيَضُ أَهْوَاؤُهُمُ الْمَكْبُوتَةُ وَرَغَبَاتُهُمُ الْمَقْمُوعَةُ إِلَى تَبْرِيرِ الْعَجْزِ بِاتِّهَامِ أَعْدَاءِ حَقِيقِيَّيْنِ أَوْ وَهْمِيَّيْنِ بِأَنَّهُمْ عَلَّةٌ عَجَزِهِمْ وَسَبَبُ الشَّرُّورِ ، بَيْنَمَا هُمْ أَخْيَارٌ يُدْبِعُونَ الْخَيْرَ وَمُمْسِكُونَ عَنِ السَّيِّئَاتِ طَوْعًا لَا كَرْهًا ، وَبِهَكَذَا تَبْرِيرٍ يَعْزُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ تَقَوًُّا أَخْلَاقِيًّا وَهَمِيًّا.

حَلِيقُ بَنَى الْإِنْتِبَاهَ ، اقْتِفَاءً بِالْإِضَاحَاتِ الدُّوَلُوزِيَّةِ ، إِلَى الْمِثَاقِ الْمَتِينِ بَيْنَ الْأَضْطِغَافِ وَالذَّاكِرَةِ ، إِذْ لَيْسَ فِي الْمُسْتَطَاعِ الْإِمْسَاكُ بِأَلْيَاتِ عَمَلِ الْأَضْطِغَافِ مَا لَمْ نُدْرِكْ نَوْعِيَّةَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْوَعْيِ الْإِرْتِكَاسِيِّ لَدَى الضَّعْفَاءِ الْمَرْضَى وَالْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ مِنْ وَجْهِ وَصْنَفِيَّةِ الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَرِبُطُ الْإِلَاوُعِيَّ الْإِرْتِكَاسِيَّ لَدَى هَذَا الصَّنْفِ ذَاتِهِ بِذَاكِرَتِهِ بِمَا هِيَ آثَارٌ بَاقِيَةٌ تَسْتَمِرُّ فِي الْوُجُودِ وَتَمَارِسُ سَطَوْنَهَا عَلَيْهِ. فَمَا مِنْ شَكٍّ فِي نَظَرِ نِيْتَشْه مِنْ تَغْذِيِ الْأَضْطِغَافِ عَلَى هَذِهِ التَّوْلِيفَةِ مِنَ الْوَعْيِ وَالْإِلَاوُعِيَّ الْإِرْتِكَاسِيِّ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ فَالْصَّنْفُ الْعُبُودِيُّ لَيْسَ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِ الْمَعَانَاةِ وَعَنْ "وَعْيٍ" وَ"إِلَاوُعِيٍّ" سَلْبِيَّيْنِ يَدْفَعَانِ بِهِ إِلَى أَنْ يَتَّخِذَ مَوَاقِفَ نَافِيَةٍ ثُجَاهَ الْقُوَّةِ وَالْعَزِيْزَةِ وَمَنْ يَتَحَلَّى بِهِمَا.

بِمُوجِبِ الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ لِلْإِلَاوُعِيَّ فِي صِلَتِهِ بِالذَّاكِرَةِ فِي سِيَاقِ مَفْهُومِ الْأَضْطِغَافِ ، يَنْبَغِي الْوُقُوفُ عَلَى اتِّصَافِ الْإِلَاوُعِيَّ الْإِرْتِكَاسِيِّ بِالْآثَارِ الذَّاكِرِيَّةِ Traces mnémiques ؛ ذَلِكَ الْإِلَاوُعِيَّ يَشْفُ عَنْ تَعَدُّرِ التَّخَلُّصِ مِنَ الْأَنْطِبَاعَاتِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ الْقُوَى الْإِرْتِكَاسِيَّةُ عَلَيْهَا ؛ إِذْ تُوظَّفُهَا وَتَسْتَغْلِيهَا ، لَكِنْ لَيْسَ الْوَعْيُ بِدَوْرِهِ فِي أَصْلِهِ وَطَبِيعَتِهِ وَوُضُوعِهِ مِنْ وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُودِ إِلَّا إِرْتِكَاسِيَّ عَلَى غِرَارِ الْإِلَاوُعِيَّ الْإِرْتِكَاسِيِّ وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ عَنْ هَذَا الْأَخِيرِ فِي كَوْنِهِ لَيْسَ رَدَّ فِعْلٍ عَلَى الْآثَارِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَنْطِبَاعَاتِ السَّالِفَةِ بَلْ عَلَى الْإِثَارَةِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُتَوَلِّدِ الْمُبَاشِرِ لِلْمَوْضُوعِ فِي الْحَاسَةِ أَوْ الْعَاقِلَةِ وَلَا يَغْدُو فِي الْوَعْيِ الْإِرْتِكَاسِيِّ رَدُّ الْفِعْلِ فِعْلًا إِلَّا حِينَ اتَّخَذَ الْإِثَارَةَ الْحَاضِرَةَ مَوْضُوعًا لَهُ.

وَلِمُجَابَبَةِ وَقُوعِ الْإِنْسَانِ رَهِينَةً لِلْإِلَاوُعِيَّ وَالْوَعْيِ الْإِرْتِكَاسِيِّيْنِ يَنْبَغِي لَهُ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا ، وَتَلَاْفِي عَشْيَانِ الْآثَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْإِلَاوُعِيَّ لِلْوَعْيِ ، وَوُضُلْتُهُ إِلَى ذَلِكَ النِّسْيَانِ الَّذِي يَضْطَلِعُ ، بِمَا هُوَ قُوَّةٌ فَاعِلَةٌ وَمُتَمَرِّزَةٌ ، بِهَذِهِ الْوُضُوعَةِ الْجَلِيلَةِ حَيْثُ الْقِيَامُ بِتَجْدِيدِ حَيَوِيَّةِ الْوَعْيِ وَعَقَوِيَّتِهِ¹⁰⁸⁸ ، ذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ لِلنِّسْيَانِ يُورِدُ نِيْتَشْه فَائِدَةً الْقِيَامِ بِتَعْطِيلِ الْوَعْيِ عَنِ الشُّعُورِ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الثَّانَوِيَّةِ الْجَارِيَةِ فِي جُسْمَانِنَا مِنْ قَبِيلِ الْهَضْمِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَسْحِ الْمَجَالِ لِمَا هُوَ جَدِيدٌ ، لِسَيَادَةِ الْعُنَاصِرِ وَالْوُضَائِفِ الْأَنْبَلِ دَاخِلِ الْجِسْمِ ، إِذْ عَلَيْهِ يَتَوَقَّفُ حِفْظُ النِّظَامِ النَّفْسِيِّ وَتَحْقِيقُ الرَّاحَةِ وَالْبَهْجَةِ¹⁰⁸⁹ ، وَبِفَضْلِهِ يَحْصُلُ إِتْقَاءُ

¹⁰⁸⁸Jean Granier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, Éditions du Seuil, 1966, p. 214.

¹⁰⁸⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 1 : « Fermer de temps en temps les portes et les fenêtres de la conscience ; demeurer insensibles au bruit et à la lutte que le monde souterrain des organes à notre service livre pour s'entraider ou s'entre-détruire ; faire silence, un peu, faire table rase dans notre conscience pour qu'il y ait de nouveau de la place pour les choses nouvelles, et en particulier pour les fonctions et les fonctionnaires plus nobles, pour gouverner, pour prévoir, pour pressentir (car notre organisme est une véritable oligarchie) — voilà, je le répète, le rôle de la faculté active d'oubli, une sorte de gardienne, de surveillante chargée de maintenir l'ordre psychique, la tranquillité, l'étiquette. On en conclura immédiatement que nul bonheur,

اختِلَاطٌ مَنْظُومَتِي الْجِهَازِ الْارْتِكَاسِي¹⁰⁹⁰، أَي تَحَاشِي الْاِخْتِلَاطِ بَيْنَ الْإِثَارَةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْوَعْيِ وَالْآثَارِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِاللَّوَاعِي، وَبِعِبَارَةٍ سَهْلَةٍ نَقُولُ: بِالنِّسْيَانِ يَتَفَادَى الْإِنْسَانُ اخْتِلَاطَ ثُبُوبِ الْحَاضِرِ بِثُبُوبِ الْمَاضِي مِنْ وَجْهِ وَقَاعِيَّاتِ اللَّوَاعِي بِفَاعِلِيَّاتِ الْوَعْيِ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ.

وَلَيْنُ كَانَتْ إِحْدَى فَضَائِلِ النِّسْيَانِ لَدَى الْاِنْثُودَجِ الْاِقْتِدَارِيِّ فِي اسْتِحَالَةِ رَدِّ الْفِعْلِ إِلَى شَيْءٍ مَفْعُولٍ بِهِ، نَظَرًا لِإِخْذِهِ الْإِثَارَةَ الْمُرْتَبِطَةَ بِالْوَعْيِ مَوْضُوعًا لَهُ، بِسَبَبِ بَقَاءِ رَدِّ الْفِعْلِ عَلَى الْآثَارِ فِي تَضَاعُفٍ اللَّوَاعِي أَمْرًا غَيْرَ مُحْسُوسٍ بِهِ¹⁰⁹¹، فَإِنَّ إِحْدَى مَسَاوِي الذَّاكِرَةِ الْمَرْضِيَّةِ لَدَى الْاِنْثُودَجِ الْعُبُودِيِّ فِي تَغْلُبِ الْآثَارِ (الْمَاضِي عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ) عَلَى الْإِثَارَةِ (الْحَاضِرِ كَمِثَالِ) وَحُلُولِ رَدِّ الْفِعْلِ مَحَلِّ الْفِعْلِ وَمَا الْاضْطِعْغَانُ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِيفِ إِلَّا رَدُّ فِعْلٍ غَدَا مُحْسُوسًا وَكَفَّ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ¹⁰⁹².

وَيَنْجُمُ مِنْ ذَلِكَ تَحَنُّطُ الْوَعْيِ وَتَوَقُّفُهُ عَنِ الْاِنْفِتَاحِ عَلَى الْمَحِيطِ الْخَارِجِيِّ وَبَدَلُ أَنْ يَقْتَرِنَ رَدُّ الْفِعْلِ بِالْإِثَارَةِ وَالتَّخْفِيزِ الْحَقِيقِيِّ لِلْوَاقِعِ، فَإِنَّ الْوَعْيَ لَا يَبْرُحُ اجْتِرَارَ الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي تَتَوَافَدُ عَلَيْهِ مِنَ الْاَلَوَاعِي الْارْتِكَاسِي مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمَرَ عَبْرَ مَصْفَاةِ الْجِهَازِ الْحَامِي لِلنِّسْيَانِ¹⁰⁹³. وَمِنْ غَيْرِ مُمَاحَكَةٍ فَالْإِنْسَانُ الَّذِي تَقْتَادُهُ الْآثَارُ الذَّاكِرِيَّةُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ أَنْ تَتَلَاعَبَ بِهِ الْاِنْطِبَاعَاتُ الْمَحْسُوسَةُ وَتُحَرِّكُهُ الذَّاكِرَةُ السَّلْبِيَّةُ وَعَقَبَ ذَلِكَ يَكْفُ الْوَاقِعُ عَنْ كَوْنِهِ غُنْصَرًا مُحَقِّقًا لِإِرَادَتِهِ بَلْ يَصِيرُ مَا يُعَذِّبُ حَسَاسِيَّتَهُ وَبَدَلُ مِنْ رَدِّ الْفِعْلِ الْإِيجَابِيِّ الْعَفْوَِيِّ عَلَى صُرُوفِ وَمُحَدَّثَاتِ الْعَالَمِ يَكْتَفِي بِالْإِحْسَاسِ، بِمَا هُوَ اِنْفِعَالٌ لَيْسَ غَيْرُ¹⁰⁹⁴.

عَلَى مَا أوردناه في موضوع الذَّاكِرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدُونَا عَلَى جَعْلِ الذَّاكِرَةِ سَلْبِيَّةً عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، إِذْ لَشَدَّ مَا أَشَادَ نِيْتَشَةُ بِذَّاكِرَةِ صَحِيَّةٍ لَا تَشْفُ عَنْ عَجْزٍ فِي التَّمَلُّصِ مِنَ الْاِنْطِبَاعَاتِ وَالْآثَارِ وَلَا تَدُلُّ عَلَى عُسْرِ فِي هَضْمِ الْأَحْدَاثِ وَالذِّكْرِيَّاتِ بَلْ تُعَبِّرُ عَنْ إِرَادَةٍ فَاعِلَةٍ تَوَدُّ أَنْ تَحْفِظَ بِشَيْءٍ مَا وَثَرِيْدُ لِبَعْضِ الصُّوَرِ وَالْاِنْطِبَاعَاتِ أَنْ تَسْتَمِرَّ¹⁰⁹⁵، فِي حِينِ أَنَّ الذَّاكِرَةَ السَّلْبِيَّةَ لَدَى الْاِنْثُودَجِ الْعَبْدِ مُقْتَرَنَةٌ

nulle sérénité, nulle espérance, nulle fierté, nulle jouissance de l'instant présent ne pourraient exister sans faculté d'oubli ».

¹⁰⁹⁰ Gilles Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 130.

¹⁰⁹¹ Ibid, pp. 129-130 : « ... une force plastique, régénératrice et curative...C'est donc en même temps que la réaction devient quelque chose d'agi, parce qu'elle prend pour objet l'excitation dans la conscience, et que la réaction aux traces demeure dans l'inconscient comme quelque chose d'insensible ».

¹⁰⁹² Ibid, p. 129 : « C'est donc en même temps que la réaction aux traces devient quelque chose de sensible et que la réaction à l'excitation cesse d'être agie ».

¹⁰⁹³ Jean Granier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 215.

¹⁰⁹⁴ Ibid, p. 217.

¹⁰⁹⁵ GM, Trad. Henri Albert, II, § 1 : « ... cet animal nécessairement oublieux, pour qui l'oubli est une force et la manifestation d'une santé robuste s'est créé une faculté contraire, la mémoire, par quoi, dans certains cas, il tiendra l'oubli en échec, — à savoir dans les cas où il s'agit de promettre : il ne s'agit donc nullement de l'impossibilité purement passive de se soustraire à l'impression une fois reçue, ou du malaise que cause une parole une fois engagée et dont on n'arrive pas à se débarrasser, mais bien de la volonté active de garder une impression, d'une continuité dans le vouloir, d'une véritable mémoire de la volonté ». Voir Monia Sanekli, L'Inconscient : Freud : Spinoza, Schopenhauer, Nietzsche, Editions Publibook, 2016, p. 86.

بِالاضْطِعَانِ وَمُثْبِطَةً لِلْإِرَادَةِ وَدَلِيلٌ عَلَى عَجْزٍ وَخَوَارٍ فِي إِثْمَامِ الْأَشْيَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ مِنْهَا ؛ تِلْكَمُ الذَّاكِرَةُ الَّتِي تَشْرَعُ فِي التَّجَلِّيِ الْفِعْلِيِّ فِي التَّارِيخِ لَهَا يُصْبِحُ الْاضْطِعَانُ مُبْدِعًا لِلْقِيَمِ ، فَيَصْطَلِعُ قِيَمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عَلَى سَبِيلِ قَلْبٍ ضَاغِنٍ لِقِيَمَتِي الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ اللَّتَيْنِ أَشْرَفَ الْأَسْيَادُ عَلَى خَلْقِهِمَا¹⁰⁹⁶.

يَتَبَيَّنُ لَنَا عَلَى هَذِي هَذِهِ الْإِيضَاحَاتِ أَنَّ الصَّنَفَ الْاِقْتِدَارِيَّ لَا يَرِيْمُ يَرُدُّ الْفِعْلَ الْمُبَاشِرَ وَالْعَفْوِيَّ عَلَى الْعَالَمِ وَصُرُوفِهِ ، وَمَا رَدُّ فِعْلِهِ هَذَا سِوَى الْفِعْلِ الْإِيجَابِيِّ الَّذِي لَا يَحْتَفِظُ بِأَيِّ حَقْدٍ وَلَا يَسْتَبْطِنُهُ سِنِيًّا عَدَدًا ، وَهَذَا الْمُنْوَالُ فِي رَدِّ الْفِعْلِ يَتَعَارَضُ مَعَ مَنُوَالِ الصَّنَفِ الْاضْطِعَانِيِّ الَّذِي لَا يَرُدُّ الْفِعْلَ عَلَى إِثَارَاتٍ خَارِجِيَّةٍ بِالْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، وَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ سِوَى اِفْتِقَارِهِ لِلقُوَّةِ الْكَافِيَةِ ، وَتَفْسِيرُ الْمُنُوَالِ الَّذِي يَتَعَامَلُ بِهِ إِنْسَانُ الذَّاكِرَةِ مَعَ الْأَنْدَادِ وَالْأَغْيَارِ بِكَوْنِهِ هَذَا الْإِنْسَانِ غُرْضَةً ، لَهَا يَتَلَقَّى إِثَارَةً شَدِيدَةً فِي صُورَةِ أَلْمٍ مُقْتَرَنٍ بِعَجْزٍ عَنْ رَدِّ الْفِعْلِ الْمُبَاشِرِ ، لِلرَّغْبَةِ فِي الثَّارِ إِلَى حَدٍّ يَطَالُ بِهَا الْعَالَمُ كُلُّهُ.

بَيِّدَ أَنَّ النَّظَرَ مَلِيًّا إِلَى هَذِهِ الرَّغْبَةِ يُسْفِرُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَحْدِمُ قُوَّةَ الْإِثَارَةِ الَّتِي تَلْقَاهَا [الْأَلَمُ الَّذِي تَلْقَاهُ] إِلَّا عَلَى أَسَاسِ قُوَّتِهِ الْإِجْمَالِيَّةِ الضَّعِيفَةِ وَبِعِبَارَةٍ أَدَقَّ إِنَّهُ قُوَّةٌ عَاجِزَةٌ عَنِ الْفِعْلِ بَلْ عَنْ رَدِّ الْفِعْلِ تَسْتَعْمِلُ قُوَّةَ أَثَرِ تَلْقَآءِ كَذَرِيعَةٍ لِتَبْرِيرِ هَذَا الْاضْطِعَانِ الَّذِي يَتَأَسَّسُ بِهَذَا الْمَعْنَى الدَّقِيقِ عَلَى الْعَجْزِ أَكْثَرَ مِنْ تَمَاسُّسِهِ عَلَى الْإِثَارَةِ الْمُوجِعَةِ¹⁰⁹⁷.

وَهَذَا الْاِسْتِدْرَاكُ لِلْأَسَاسِ الْأَوَّلِيِّ لِلْاضْطِعَانِ يَحْمِلُنَا عَلَى اسْتِيعَابِ أَفْضَلِ الْاَنْمُودَجِ الْعَبْدِ ، إِذْ بَدَلَ أَنْ يُوجَّهَ نَظَرُهُ التَّقْدِيرِيَّ إِلَى الذَّاتِ ، فَيَكُنْ لَهَا احْتِرَامًا كَبِيرًا ، فَإِنَّهُ يُوجَّهُ نَحْوَ الْخَارِجِ وَمَا هَذِي الْحَاجَةُ إِلَى تَحْوِيلِ النَّظَرِ إِلَى الْخَارِجِ إِلَّا مِنْ مَاهِيَةِ الْاضْطِعَانِ¹⁰⁹⁸ ، وَهَذَا عَلَى تَقْيِيزِ الْاَنْمُودَجِ السَّيِّدِ الَّذِي تَسْوُفُهُ شَيْئُهُ الْأَخْلَاقِيَّةُ وَطِبَاعُهُ التَّكْوِينِيَّةُ إِلَى الْاِسْتِجَابَةِ الْإِثْبَاتِيَّةِ لِلذَّاتِ بِقَدْرِ مَا تَحْدُوهُ ، إِنْ ضَعُنْ عَدُوًّا ، عَلَى تَفْرِيعِ ضَعْفِيَّتِهِ فِي زُدُودِ أَفْعَالٍ آتِيَةٍ سُرْعَانَ مَا تَتَلَاشَى دُونَ أَنْ تُسَمِّمَهُ وَتَرْهَقَ كَاهِلَهُ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ الْإِنْسَانَ أَمَارَةً مُمَيَّزَةً لِلطَّبَائِعِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَمَا أَخْلَاقُ الْعَبِيدِ ، وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْكَامُهُ الْأُخْرَى ، تُعَدُّ إِبَاءً مِنْ

¹⁰⁹⁶ GM, Trad. Henri Albert, II, § 11.

¹⁰⁹⁷ Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, PUF, 1977, p. 132 : « ... ayant éprouvé une excitation trop forte (une douleur), il aurait dû renoncer à réagir, n'étant pas assez fort pour former une riposte. Il éprouverait donc un désir de vengeance et, par voie de généralisation, voudrait exercer cette vengeance sur le monde entier... Quelle que soit la force de l'excitation reçue, quelle que soit la force totale du sujet lui-même, l'homme du ressentiment ne se sert de celle-ci que pour investir la trace de celle-là, si bien qu'il est incapable d'agir, et même de réagir à l'excitation ».

¹⁰⁹⁸ David B. Allison, Reading the New Nietzsche : The Birth of Tragedy, The Gay, Rowman & Littlefield publishers, 2000, p. 212 : « This inversion of the value-positing eye—this need to direct one's view outward instead of back to oneself—is of the essence of ressentiment ». Voir peter Bornedal, The Surface and the Abyss, Nietzsche as philosopher of Mind and Knowledge, Walter de Gruyter, 2010, p. 375.

شَيْءٍ خَارِجِيٍّ وَامْتِعَاضًا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ غَرِيبٌ عَنْهُ وَمُبَايِنٌ لَهُ ، مُتَشَرِّقًا فِي عَالَمِهِ الْبَاطِنِيِّ وَنَفْسُهُ لَا تَرْمُقُ إِلَّا شَرَزًا ، وَعَقْلُهُ مُحِبُّ الدُّرُوبِ الْمُتَلَوِّبَةِ وَالْمَرَاوَعَاتِ¹⁰⁹⁹ .

اهْتِدَاءً بِالْمَذْكُورِ أَنْفًا عَنْ رُجْحَانِ الْعَجْزِ عَلَى الْأَذِيَّةِ فِي تَأْسِيسِ الْاضْطِغَافِ ، فَلِالْأَنْمُودَجِ الْاضْطِغَافِيِّ كَانَ سَيَحْمِلُ فِي طَيَّاتِ سَرِيرَتِهِ اضْطِغَافًا وَلَوْ تَلَقَّى إِثَارَاتٍ جَمِيلَةً وَطَيِّبَةً وَلَوْ عُمُومًا مِنْ لَدُنِ الْأَنْمُودَجِ الْاِقْتِدَارِيِّ بِالْحُسْنَى ، ذَلِكَ أَنَّهُ حَقُّودٌ مَا هُوَ لَا بِسَبَبِ الْإِثَارَاتِ الْمُتَلَقَّيَةِ وَإِنَّمَا بِدَاعِي الْعَجْزِ عَنْ إِثْبَانِ مَا يَأْتِيهِ إِنْسَانُ النَّبَالَةِ ، لِذَلِكَ لَا يَبْرَحُ يُحْمَلُ أَغْيَارَهُ مَسْئُولِيَّةَ عَجْزِهِ عَنِ الْفِعْلِ وَلَا يَرِيْمُ يَنْصَرِّفُ وَفُقُ الْإِثَارِ وَالْمُخَلَّفَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ الَّتِي تَتَزَكُّهَا الْأَشْيَاءُ فِي نَفْسِهِ¹¹⁰⁰ ، لِذَلِكَ هُوَ إِنْسَانٌ مِنْ ضَعْفِهِ الشَّدِيدِ هَشٌّ غَايَةً الْهَشَاشَةِ وَيَتَأَثَّرُ غَايَةً بِالتَّأَثُّرِ بِالْأَحْدَاثِ ، وَتَظُلُّ ذَاكِرَتُهُ نَزَاعَةً إِلَى الْاِسْتِبْقَاءِ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْأَلِيْمَةِ كَافَةً وَمُجْتَرَّةً

¹⁰⁹⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 10 : « — La révolte des esclaves dans la morale commence lorsque le ressentiment lui-même devient créateur et enfante des valeurs : le ressentiment de ces êtres, à qui la vraie réaction, celle de l'action, est interdite et qui ne trouvent de compensation que dans une vengeance imaginaire. Tandis que toute morale aristocratique naît d'une triomphale affirmation d'elle-même, la morale des esclaves oppose dès l'abord un « non » à ce qui ne fait pas partie d'elle-même, à ce qui est « différent » d'elle, à ce qui est son « non-moi » : et ce non est son acte créateur. Ce renversement du coup d'oeil appréciateur — ce point de vue nécessairement inspiré du monde extérieur au lieu de reposer sur soi-même — appartient en propre au ressentiment : la morale des esclaves a toujours et avant tout besoin, pour prendre naissance, d'un monde opposé et extérieur : il lui faut, pour parler physiologiquement, des stimulants extérieurs pour agir ; son action est foncièrement une réaction. Le contraire a lieu, lorsque l'appréciation des valeurs est celle des maîtres : elle agit et croît spontanément, elle ne cherche son antipode que pour s'affirmer soi-même avec encore plus de joie et de reconnaissance... l'homme du ressentiment n'est ni franc, ni naïf, ni loyal envers lui-même. Son âme louche, son esprit aime les recoins, les faux-fuyants et les portes dérobées, tout ce qui se dérobe le charme, c'est là qu'il retrouve son monde, sa sécurité, son délassement... Et même le ressentiment, lorsqu'il s'empare de l'homme noble, s'achève et s'épuise par une réaction instantanée, c'est pourquoi il n'empoisonne pas... Ne pas pouvoir prendre longtemps au sérieux ses ennemis, ses malheurs et jusqu'à ses méfaits — c'est le signe caractéristique des natures fortes, qui se trouvent dans la plénitude de leur développement et qui possèdent une surabondance de force plastique, régénératrice et curative qui va jusqu'à faire oublier ». Voir Jacob Golomb, Weaver Santaniello, Ronald L. Lehrer, Nietzsche and Depth psychology, Suny Press, 2015, p. 141 : « [The man of ressentiment] loves hiding places, secret paths and back doors ».

¹¹⁰⁰Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 132 : « L'excitation peut être belle et bonne, et l'homme du ressentiment l'éprouver comme telle : elle peut fort bien ne pas excéder la force de l'homme du ressentiment, celui-ci peut bien avoir une quantité de force abstraite aussi grande qu'un autre. Il n'en sentira pas moins l'objet correspondant comme une offense personnelle et un affront, parce qu'il rend l'objet responsable de sa propre impuissance à en investir autre chose que la trace, impuissance qualitative ou typique ».

لِلْأَحْدَاثِ الْمُحْزَنَةِ جَمْعَاءَ دُونَ أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْهَا¹¹⁰¹ ، وَبِقَدْرِ مَا تَنْتَمِي الْعُدْوَانِيَّةُ إِلَى الْقُوَّةِ ، تَنْتَسِبُ أَيْضًا الضَّغِينَةُ إِلَى الضَّعْفِ¹¹⁰² .

وَقَمِينٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ لِلضَّعْفِ مَعَ الذَّاكِرَةِ أَوَّاصَرَ قَوِيَّةً ، فَذَاكِرَةُ الْآثَارِ ذَاكِرَةُ حَقُودٍ فِي ذَاتِهَا وَسَامَةٌ فِي عَيْنِهَا لَا تَنْفَكُ عَنِ الْهَجُومِ عَلَى الْمَوْضُوعَاتِ ، وَاسْتِهْدَافِ الْأَشْخَاصِ لِلتَّعْوِيضِ عَنْ عَجْزِهَا عَنِ التَّخَلُّصِ مِنْ آثَارِ الْإِثَارَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا¹¹⁰³ ؛ تِلْكَمُ الْآثَارُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى اضْطِعْغَانٍ حِينَمَا تَكْفُ عَنْ كَوْنِهَا مَفْعُولًا بِهَا وَتَصْبِحُ فَاعِلَةً¹¹⁰⁴ .

وَفَوْقَ هَاتِهِ الْمَنَاقِصِ ، فَالْأَنْمُودَجُ الْاضْطِعْغَانِيُّ لَا يُحِبُّ بَلْ يَوَدُّ أَنْ يَكُونَ مُحْبُوبًا ، وَلَيْسَ سَخِيًّا بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَغْنَمَ وَيَرْبَحَ ، وَلَا يُطَالِبُ بِشَيْءٍ وَلَا يَسْعَى إِلَى أَمْرٍ وَلَا يَقْدِرُ مَوْضُوعًا إِلَّا إِذَا كَانَ يَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ وَلَوْ مِنْ طَرِيقٍ خَافٍ ، وَالْخِصَالُ الْأَخْلَاقِيَّةُ الَّتِي يُعْظِمُهَا تَبْدُو أَنَّهَا فِي مَصْلَحَةِ الْجَمِيعِ بَيْنَمَا هِيَ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، مَا تَدْرُ مَنَافِعَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَصْلَحَةِ الْحَالَاتِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ مِنَ الْبَشَرِ الْأَقْوِيَاءِ¹¹⁰⁵ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي مَنَافِعِ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يَقُومُ بِهَا وَيَمْتَدِّحُ الطَّائِعَ النَّزِيهَ غَيْرَ النَّفْعِيِّ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا¹¹⁰⁶ !

حَرِيٌّ بِنَا أَلَّا نَذْهَلَ عَنْ أَهَمِّيَّةِ تَوْظِيفِ هَذِهِ التَّحْلِيلَاتِ فِي تَشْخِصِ أَنْمُودَجَيْنِ مِنَ الْحَضَارَةِ مُتَضَادَّيْنِ تَضَادَّ أَنْمُودَجِي الْأَخْلَاقِ ، إِذْ يُمَيِّزُ نِيَتِشَهُ وَفُقْ دِلَالَاتِ الْاِقْتِضَاءِ بَيْنَ حَضَارَةِ مُتَهَالِكَةٍ تُعَانِي تَضَخُّمَ الذَّاكِرَةِ وَعُطْلَ النَّسْيَانِ ، تُحَرِّكُ وَغِيهَا الْحَضَارِيُّ الْآثَارُ الذَّاكِرِيَّةُ لِلَاوَعِيِّ (لَا أَرَى الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةَ وَشُعُوبَهَا

¹¹⁰¹EH, Trad. Henri Albert, I, § 6 : « On n'arrive à se débarrasser de rien, on n'arrive à rien rejeter. Tout blesse. Les hommes et les choses s'approchent indiscrètement de trop près ; tous les événements laissent des traces ; le souvenir est une plaie purulente ».

¹¹⁰²Ibid : § 7 : « Le penchant à être agressif fait partie de la force aussi rigoureusement que le sentiment de vengeance et de rancune appartient à la faiblesse ».

¹¹⁰³Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 133 : « Et plus profondément la mémoire des traces est haineuse en elle-même par elle-même. Elle est venimeuse et dépréciative, parce qu'elle s'en prend à l'objet pour compenser sa propre impuissance à se soustraire aux traces de l'excitation correspondante ».

¹¹⁰⁴Ibid, p. 135 : « Passif chez Nietzsche ne veut pas dire non-actif ; non-actif, c'est réactif ; mais passif veut dire non-agi. Ce qui est passif, c'est seulement la réaction en tant qu'elle n'est pas agie. Passif désigne le triomphe de la réaction, le moment où, cessant d'être agie, elle devient précisément un ressentiment ».

¹¹⁰⁵GS, § 21 : « Le prochain loue le désintéressement parce qu'il en tire son bénéfice. Si le prochain raisonnait lui-même d'une façon désintéressée, il ne voudrait pas ce sacrifice de force, ce dommage dont il profite, il s'opposerait à la naissance de ces penchants, surtout il manifesterait son propre désintéressement en disant qu'ils ne sont pas bons. Voilà ce qui indique la contradiction fondamentale de cette morale qu'on prône de nos jours : ses motifs sont en opposition avec son principe ».

¹¹⁰⁶Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 135 : « ... c'est lui qui réclame un intérêt des actions qu'il ne fait pas ; il vante précisément le caractère désintéressé des actions dont il tire un bénéfice ».

إِلَّا مِنْ هَذَا الْأَنْمُودَجِ الْحَضَارِيِّ) وَحَضَارَةٌ بُدَائِيَّةٌ تَنْتَبِي بِدْءًا عَلَى الْأَرْجَحِ إِلَى أُزْمَةٍ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ حَيْثُ كَانَتْ الْبَشَرِيَّةُ الْبُدَائِيَّةُ تَحْتَكِمُ إِلَى أَخْلَاقِيَّةِ الْعَادَاتِ¹¹⁰⁷.

هَذِهِ الْحَضَارَةُ، لَوْ تَأَوَّلْنَاهَا عَلَى ضَوْءِ تَرَابُطِ الشَّوَاهِدِ النَّصِيَّةِ، كَانَتْ قَائِمَةً فِي وَجْهٍهَا الْإِنْجَائِيِّ عَلَى النِّسْيَانِ الْإِنْجَائِيِّ الْمُتَنَاعِمِ مَعَ الذَّاكِرَةِ الْفَعَّالَةِ حَيْثُ الثَّقَافَةُ تَخْدُمُ وَعْيًا يَنْعَمُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى تَجَاوُزِ التَّحْرِیضَاتِ وَعَلَى النِّسْيَانِ الْإِرَادِيِّ وَيَحْطَى بِذَاكِرَةِ أَصْلِيَّةٍ وَمُرِيدَةٍ تَقْطَعُ الْوُعُودَ وَتَمْضِي إِلَى إِبْدَاعِ مَضْمُونِهَا بِوصفه إِفَاءً خَلَقًا بِهَا، إِذْ بَيْنَ الْوَعْدِ وَالْإِفَاءِ بِهِ أَفْعَالٌ بَدِيعَةٌ تُنْجِزُ وَإِرَادَاتٌ تُكَافِحُ وَيَهْكَذَا نَحْوُ يُصْطَنَعُ الْمُسْتَقْبَلُ الْوَاعِدُ وَالْإِنْسَانُ الْفَاعِلُ¹¹⁰⁸.

تَنْفَرِدُ إِذَنْ هَذِهِ الْحَضَارَةُ بِنَوْعِ حَيَوِيٍّ مِنَ الذَّاكِرَةِ غَيْرِ مُرْتَبِطَةٍ بِالْمَاضِي وَالْآثَارِ بَلْ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَهَذَا مَا لَا يَجْعَلُ مِنْهَا ذَاكِرَةً ارْتِكَاسِيَّةً وَإِنَّمَا ذَاكِرَةٌ إِرَادِيَّةٌ تَنْجُو إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ وَهِيَ مَا سَمَاءُ نَيْتَشْهِ بِذَاكِرَةِ الْكَلَامِ الَّتِي قَصَدَ بِهَا مَلَكَةٌ قَطَعَ الْوُعُودَ وَالْإِلْتِزَامَ أَمَامَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَبِتَعْبِيرِ دُولوز إِنَّ وَظِيفَةَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الذَّاكِرَةِ تَكْوِينُ إِنْسَانٍ قَادِرٍ عَلَى الْوَعْدِ وَمِنْ ثَمَّ التَّصَرُّفِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ¹¹⁰⁹. لَقَدْ كَانَتْ الْحَضَارَةُ فِي مَا قَبْلَ التَّارِيخِ صَانِعَةً، عَلَى مَا فِيهَا مِنْ إِزْغَامَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، لِلْإِنْسَانِ السَّيِّدِ/الرَّئِيسِ، بِوصفه ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِ أَخْلَاقِيَّةِ الْعَادَاتِ، الَّذِي كَانَ فِي مُكْتَنَبِهِ أَنْ يَقْطَعَ الْوُعُودَ وَالْعَهُودَ وَيَفِي بِهَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا وَعْيًا بِذَاتِهِ، بِحُرِّيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَجَسَامَةِ مَسْئُولِيَّتِهِ، مَعَ قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْفَخْرِ وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا الصِّنْفَ الْبَيْلَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَجْعَلَ مِقْيَاسَ الْقِيَمِ غَيْرَ إِرَادَتِهِ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْآخَرِينَ إِلَّا انْطِلَاقًا مِنْ ذَاتِهِ¹¹¹⁰.

(ب) شَهَائِلُ وَدَلَائِلُ التَّبَالَةِ وَالسَّفَالَةِ أَوْ النَّظَرُ إِلَى الذَّاتِ بَيْنَ الْعِرْفَانِ وَالْجُحْدَانِ

أَفْضَتْ الْجِينِيَالُوجِيَا بِنَيْتَشْهِ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى مُنَوَالَيْنِ لَا وَاحِدٍ لَابْتِدَاعٍ مَا هُوَ مُمْتَدِّحٌ فِي الْأَخْلَاقِ¹¹¹¹ بِإِغْتِبَارِهِ صَنِيعًا حَسَنًا Bon، وَهُمَا مُنَوَالَانِ مُتَعَارِضَانِ مِنْ حَيْثُ الطَّبِيعَةُ وَالتَّكْوِينُ

¹¹⁰⁷ A, Trad. Henri Albert, § 18. Voir Guillaume Métayer, Nietzsche et Voltaire : de la liberté de l'esprit et de la civilisation, Flammarion, 2011, p. 145.

¹¹⁰⁸ GM, Trad. Henri Albert, II, § 1

¹¹⁰⁹ Gilles Deleuze, Nietzsche et la philosophie, PUF, 1962, p. 157. Voir Barbara Stiegler, Nietzsche et la critique de la chair : Dionysos, Ariane, le Christ, PUF, 2005, p. 218.

¹¹¹⁰ GM, Trad. Henri Albert, II, § 2.

¹¹¹¹ Ibid, § 11 : « Nous ne rencontrons donc ici que des procédés opposés à ceux de l'homme noble qui, après avoir conçu spontanément et par anticipation, c'est-à-dire tiré de son propre « moi », l'idée fondamentale de « bon », n'arrive à créer la conception du « mauvais » qu'en partant de cette idée. Ces deux termes, ce « mauvais » d'origine aristocratique et ce « méchant » distillé dans l'alambic de la haine insatiable — le premier une création postérieure, un accessoire, une nuance complémentaire, le second, au contraire, l'idée originale, le commencement, l'acte par excellence dans la conception d'une morale des esclaves — quel contraste n'offrent-ils pas, ces deux termes « mauvais » et « méchant », tous deux opposés en apparence au concept unique : « bon ». Mais le concept « bon » n'est pas unique ; pour s'en convaincre qu'on se demande plutôt ce

وَالْوُظَيْفَةُ؛ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ أَنْ نُقْبَلَ عَلَى إِضَاحِهَا بِإِسْهَابٍ بِإِرَادِ النَّقَائِضِ بَيْنَهُمَا: أَوَّلًا: الْمِنَوَالُ النَّبِيلُ: يَتَوَقَّفُ مَفْهُومُ الْحَسَنِ Le bon لدى السَّيِّدِ عَلَى إِثْبَاتِ أُولَىِّ لِلذَاتِ دُونَهَا حَاجَةٌ إِلَى مُقَارَنَتِهَا بِالْآخَرِينَ وَلَا يَنْبَغُ لَدَيْهِ مَفْهُومُ الْقَبِيحِ Le mauvais إِلَّا بِصِفَةِ بَعْدِيَّةٍ وَثَانَوِيَّةٍ وَعَرَضِيَّةٍ وَعَلَى سَبِيلِ الْإِضَافَةِ التَّكْمِيلِيَّةِ وَهَاتِهِ التَّوَكِيدِيَّةُ الْفَخُورُ بِالذَّاتِ تَرْفَعُ عَنْهُ ذَلِكَ الْمِيلَانُ إِلَى الْاِغْتِبَارِ بِالْآخَرِينَ وَذَلِكَ الْاِنْتِظَارُ مِنْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ نَظْرَةً اسْتِحْسَانٍ.

مِنَ الْبَدْهِيِّ لَدَى السَّيِّدِ أَنْ يَغْتَرَّ بِنَفْسِهِ وَيَخْلَعَ عَلَى نَفْسِهِ صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ وَمَا هَذَا كُلُّهُ إِلَّا مِنْ تِلْكَمُ الطَّاقَةِ الْإِنْبَاتِيَّةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا فِي تَكْوِينِهِ وَطَبَاعِهِ وَمِنْ ذَلِكَمُ الْأَحْتِرَامِ الَّذِي يُكِنُّهُ لِدَاتِهِ، وَهَذَا الْبَاقُوسُ النَّبِيلُ بِاِغْتِبَارِهِ شُعُورًا بِاِحْتِرَامِ الذَّاتِ مِيزَةً طَبْعِيَّةً لَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا السَّيِّدُ كَيْ يَبْحَثَ عَنْهَا، وَلَا تَخْتَفِي فِيهِ كَيْ يَغْتَرَّ عَلَيْهَا، ذَلِكَ أَنَّهَا مِنْ ذَاتِيَّاتِهِ النَّبِيلَةِ¹¹¹² وَمِنْ غُلْيَاءِ هَذَا الشُّعُورِ يَبْتَدِعُ الْقِيَمَ الْحَيَوِيَّةَ، فِيمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لَكِنْ كَمَا صَرَّحَ نِيَتِشَهُ لَيْسَ فِيمَا وَرَاءَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ¹¹¹³.

فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، فَالشَّرَفُ وَالْقِيَمَةُ الَّتِي يَخْلَعُهَا الْإِنْسَانُ النَّبِيلُ عَلَى الْأَشْيَاءِ لَيْسَا إِلَّا تَجَلِّيًّا لِجَلَالِ الذَّاتِ الَّتِي تُقَدِّرُ غَايَةَ التَّقْدِيرِ الشُّعُورَ بِالْقُوَّةِ وَالْاِمْتِلَاءِ وَالسَّعَادَةِ، وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ إِنَّ ذَلِكَمُ الْخُلْعُ مِنْ أَمَارَاتِ الْعَطَاءِ، فَهُوَ لَا يَبْرَحُ يَهْبُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجُودَ مَا عِنْدَهُ، لِذَلِكَ فَهُوَ صِنْفٌ رَفِيعٌ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْعَطَاءِ بَدَلُ أَنْ يَنْتَظَرَ مُقَابِلًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الصِّنْفِ الْوَضِيعِ¹¹¹⁴.

نَذْكِرُ بِمَا تَقَدَّمَ إِرَادُهُ، يَسْبِقُ إِذَنْ مَفْهُومُ الْحَسَنِ مَفْهُومُ الْقُبْحِ لَدَى السَّادَةِ بِمُقْدَارِ مَا يَسْبِقُ لَدَيْهِمْ اسْتِحْسَانُ الذَّاتِ اسْتِقْبَاحَ الْآخَرِ؛ لِذَلِكَ عَدُّوا أَنْفُسَهُمْ بِادِي الْأَمْرِ حَسَانًا وَحَكَمُوا عَلَى مَا يَجْتَرِحُونَهُ، وَمَا

qu'est en réalité le « méchant » au sens de la morale du ressentiment. La réponse rigoureusement exacte, la voici : ce méchant est précisément le « bon » de l'autre morale, c'est l'aristocrate, le puissant, le dominateur... ».

¹¹¹²PBM, Trad. Henri Albert, § 287 : « ... à quoi reconnaît-on l'homme noble ? — Ce ne sont pas les actes qui l'affirment, — les actes sont toujours ambigus, toujours insondables ; — ce ne sont pas non plus les « œuvres ». On trouve aujourd'hui, parmi les artistes et les savants, un grand nombre de ceux qui révèlent, par leurs œuvres, qu'un ardent désir les pousse vers ce qui est noble : mais ce besoin de noblesse même est profondément différent des besoins d'une âme noble, il est précisément chez eux le signe éloquent et dangereux de leur manque de noblesse. Ce ne sont pas les œuvres, c'est la foi qui décide ici, qui fixe le rang... c'est une certaine connaissance foncière qu'une âme noble a d'elle-même, quelque chose qui ne se laisse ni chercher, ni trouver, et qui peut-être ne se laisse pas perdre non plus. — L'âme noble a le respect de soi-même ».

¹¹¹³GM, Trad. Henri Albert, I, § 17 : « ... par-delà le Bien et le Mal... » Cela ne veut du moins pas dire « par-delà le Bon et le Mauvais ».

¹¹¹⁴PBM, Trad. Henri Albert, § 260 : « L'homme noble possède le sentiment intime qu'il a le droit de déterminer la valeur, il n'a pas besoin de ratification. Il décide que ce qui lui est dommageable est dommageable en soi, il sait que si les choses sont mises en honneur, c'est lui qui leur prête cet honneur, il est créateur de valeurs. Tout ce qu'il trouve sur sa propre personne, il l'honore. Une telle morale est la glorification de soi-même ».

يَصْطَنَعُونَهُ بِالْحُسْنِ بِالتَّعَارُضِ مَعَ كُلِّ مَا هُوَ وَضِيعٌ وَخَسِيسٌ وَدَنِيٌّ (سُوقِي) ¹¹¹⁵ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ ، بِوَصْفِهَا تَغْيِيرًا عَمَّا هُوَ قَبِيحٌ ، لَا تَظْهَرُ عِنْدَهُمْ ، كَمَا وَرَدَ سَابِقًا ، إِلَّا فِي صُورَةٍ سَلْبِيَّةٍ وَبَعْدِيَّةٍ عَلَى أَغْقَابِ مَفْهُومِهِمُ الْإِيجَابِيِّ السَّابِقِ عَنِ النَّبِيلِ وَالْقَوِيِّ وَالسَّعِيدِ الْمُمْتَلِيٍّ بِالْحَيَاةِ وَالشَّغْفِ ¹¹¹⁶ .

ثَانِيًا: الْمِنْوَالُ الْوَضِيعُ: أَسْفَرَتْ شَذَرَاتُ الْجِنْيَالِوَجِيَا عَنِ انْتِبَاءِ مَفْهُومِ الشَّرِيرِ Le méchant لَدَى الْعَبْدِ عَلَى نَفْيِ الْمَغَايِرِ بِوَصْفِهِ سَيِّدًا ، بَيِّدَ أَنَّ هَذَا النَّفْيَ ذَاتُهُ يَفْتَرِضُ مُقَارَنَةً مَعَ الْأَعْيَارِ ، عَلَى نَحْوِ لَا تَشْتَقُّ الْقِيَمَةُ عَلَى السَّلَاقَةِ بِقَدْرِ مَا تُسْتَمَدُّ مِنْ اسْتِحْضَارِ نَافٍ وَانْتِقَاصِيٍّ لِلْآخَرِ فِي نَوْعِيَّتِهِ وَقِيَمِهِ ، ذَلِكَ أَنَّ الْغَيْرِيَّةَ لَا تُسْتَحْضَرُ مِنْ لَدُنْ هَذَا الْأَنْمُودَجِ إِلَّا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ وَابْتِغَاءِ السَّلْبِ ، وَلَا يَشُدُّ مَفْهُومُ الشَّرِّ لَدَى الْعَبْدِ عَنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ النَّافِي ، مَا دَامَ هُوَ سَابِقًا مَفْهُومَهُ عَنِ الْخَيْرِ مِثْلَمَا يَسْبِقُ النَّفْيُ لَدَيْهِ الْإِثْبَاتَ ، إِذْ مِنْ حَضِيضِ بَغْضَائِهِ وَدَرَكَاتِ عَجْزِهِ ، قَلَبَ قِيَمَ السَّيِّدِ الْبَادِئَةِ ، فَاخْتَلَقَ عَقِبَ ذَلِكَ تَأْوِيلًا مُنَاقِضًا لِلتَّأْوِيلِ النَّبِيلِ لِلْعَالَمِ . فَقِيَمُ هَذَا الصَّنْفِ الْوَضِيعِ ، الَّتِي تَدُورُ فِي فَلَكِ مَفْهُومِهَا عَنِ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ ، رَدُّ فِعْلٍ ضَعِيفِيٍّ عَلَى قِيَمِ الْقُوَّةِ ، عَلَى الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَتَّبِعُ مِنَ الْعَرَائِزِ الْمُتَوَحِّشَةِ وَالسُّلُوكَاتِ الْقَاسِيَةِ وَالْبَارِدَةِ وَالْفَضِيعَةِ وَعَدِيمَةِ الْإِحْسَاسِ وَالسَّاحِقَةِ وَالْدَمَوِيَّةِ ، وَذَلِكَ الْقَلْبُ ، بِاعْتِبَارِهِ رَدُّ فِعْلٍ حَقُودًا ، يُعَدُّ فِي نَظَرِ نَيْتَشَةِ تَقْهَرًا لِلْبَشَرِيَّةِ ¹¹¹⁷ .

¹¹¹⁵GM, Trad. Henri Albert, I, § 2 : « Ce sont bien plutôt les « bons » eux-mêmes, c'est-à-dire les hommes de distinction, les puissants, ceux qui sont supérieurs par leur situation et leur élévation d'âme qui se sont eux-mêmes considérés comme « bons », qui ont jugé leurs actions « bonnes », c'est-à-dire de premier ordre, établissant cette taxation par opposition à tout ce qui était bas, mesquin, vulgaire et populacier ».

¹¹¹⁶Ibid, I, § 10 : « Le contraire a lieu, lorsque l'appréciation des valeurs est celle des maîtres : elle agit et croît spontanément, elle ne cherche son antipode que pour s'affirmer soi-même avec encore plus de joie et de reconnaissance, — son concept « bas », « commun », « mauvais » n'est qu'un pâle contraste né tardivement en comparaison de son concept fondamental, tout imprégné de vie et de passion ».

¹¹¹⁷Ibid, II, § 11 : « Ces deux termes, ce « mauvais » d'origine aristocratique et ce « méchant » distillé dans l'alambic de la haine insatiable — le premier une création postérieure, un accessoire, une nuance complémentaire, le second, au contraire, l'idée originale, le commencement, l'acte par excellence dans la conception d'une morale des esclaves — quel contraste n'offrent-ils pas, ces deux termes « mauvais » et « méchant », tous deux opposés en apparence au concept unique : « bon ». Mais le concept « bon » n'est pas unique ; pour s'en convaincre qu'on se demande plutôt ce qu'est en réalité le « méchant » au sens de la morale du ressentiment... ensuite, l'âge d'airain, c'est-à-dire le même monde, tel qu'il apparaissait aux descendants des opprimés, des dépouillés, des violentés, de ceux qu'on avait emmenés et vendus comme esclaves : certes un âge d'airain, dur, froid, cruel, insensible, sans conscience, écrasant tout et couvrant tout de son sang. Si l'on admet comme vrai, ce qui aujourd'hui est tenu pour tel, que le sens de toute culture soit justement de domestiquer le fauve « humain », pour en faire, par l'élevage, un animal apprivoisé et civilisé, on devrait sans aucun doute considérer comme les véritables instruments de la culture tous ces instincts de réaction et de ressentiment par quoi les races aristocratiques, tout comme leur idéal, ont été, en fin de compte, humiliées et domptées ; il est vrai que ceci ne signifierait pas encore que les représentants de ces instincts fussent en même temps ceux de la culture. Le contraire me paraît aujourd'hui non seulement vraisemblable, mais évident... ce sont eux qui représentent le recul de l'humanité ! ».

وَفِي كَتَفِ هَذَا الْمِنْوَالِ الْعُبُودِيِّ يَبْتَكِرُ الصَّنْفُ الْوَضِيعُ مَصَائِدَ لِفَصْلِ الصَّنْفِ الرَّفِيعِ عَنْ سَجَايَاهُ الْمُقْتَدِرَةِ ، لِذَلِكَ يُقَدِّمُ عَلَى تَعْرِيفِ مَا كَرَّ لِلْخَيْرِ لَا يَقْصِدُ مِنْهُ إِلَّا فَصْلَ الْقُوَّةِ عَمَّا يَصْدُرُ مِنْهَا مِنْ مُحَدَّثَاتٍ عَظِيمَةٍ وَصُرُوفٍ عَزِيزَةٍ ، وَمَا الْخَيْرُ تَبَعًا لِذَلِكَ سِوَى انْفِصَالِ الْقُوَّةِ طَوَاعِيَّةً عَنْ آثَارِهَا وَمَا الشَّرُّ غَيْرُ الَّذِي يُعْرِبُ عَنْ غَرَائِزِهِ وَيُسْفِرُ عَنْ قُدْرَاتِهِ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهَا¹¹¹⁸ . وَبِهَذَا التَّعْرِيفِ يَغْدُو الْخَيْرُ رَدِيفًا لِلْعَجْزِ وَانْتِفَاءً التَّجَلِّيَّاتِ السَّلْبِيَّةِ لِلْفَعَالِيَّةِ ، بَيْنَمَا الشَّرُّ نَظِيرًا لِلْقُوَّةِ وَتَوَكِيدًا لِلْفَاعِلِيَّاتِ الْاِقْتِدَارِيَّةِ . وَلَا غَرَوَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مِنْ أَلَّا يَكُونَ الرِّجَالُ الْحَسَنَاتُ خَيْرِينَ إِلَّا إِذَا انْفَصَلُوا عَنْ غَرَائِزِهِمْ وَامْتَنَعُوا مِمَّا هُمْ مُقْتَدِرُونَ عَلَيْهِ ، أَيْ حِينَمَا تَكْفُ الْقَوَى عَنْ تَجَلِّيَّاتِهَا الثَّانَاتُوسِيَّةِ وَالْاَيُّوسِيَّةِ¹¹¹⁹ .

كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ هَذَا الصَّنْفَ الْحَقُودَ يُضْمِرُ الدَّوَاعِي الْفِيزِيَو- سِيكُو- اجْتِمَاعِيَّةَ الَّتِي تَضْطَرُّهُ إِلَى تَعْرِيفِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَقُومُ عَلَى إِمْكَانِ الْبَيِّنُونَةِ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَتَجَلِّيَّاتِهَا ، وَكَأَنَّ لَهُ حَوْلًا وَوَسِيلَةً عَمَّا قَدْ يَظْهَرُ أَنَّهُ اِمْتِسَاكٌ طَوْعِيٌّ عَنْ مُمَارَسَةِ أَفَاعِيلِ الْاِقْتِدَارِ الْمُمَيَّزَةِ لِلصَّنْفِ الرَّفِيعِ . مَا يَنْبَغِي لَهُ دِرَائَتُهُ أَنَّهُ بِمُوجِبِ ائْتُمُودَجِهِ لَيْسَ لَهُ مِنْ سَبِيلٍ لاسْتِظْهَارِ أَيْ قُوَّةٍ ، لَأَنَّ مِنْ شُرُوطِ الْاِسْتِظْهَارِ التَّوَقُّرُ عَلَيْهَا ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَكْنَةِ لِهَذَا الصَّنْفِ أَنْ يُبْرَزَ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ ! ، وَالْحَالُ أَنَّ هَذَا الصَّنِيعَ لَا يَشْفُ إِلَّا عَلَى مَكْرِ اخْلَاقِيٍّ مُضَاعَفٍ مُقَادَّهُ مُطَابَلَةُ الضَّعْفِ أَلَّا يَظْهَرَ قُوَّةٌ هُوَ مِنْهَا مَحْرُومٌ فِي الْآنِ الَّذِي يُطَالِبُ مِنَ الْقُوَّةِ أَلَّا تُسْفِرَ عَمَّا تَمْتَلِكُهُ¹¹²⁰ .

ج) الْمَسْلَكُ الْفِيلُولُوجِي فِي فَحْصِ الْأَحْكَامِ الْأَخْلَاقِيَّةِ : بَيِّنُونَةُ الشَّأَةِ وَصَيْرُورَةُ التَّارِيخِ وَزَيْعُوعَةُ الْمَفْهُومِ

لَيْسَ لِلْبَّاحِثِ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الدِّرَاسَةِ بِالدَّوَاعِي الَّتِي تَجْعَلُ الْاِئْتُمُودَجَ النَّبِيلَ يَشْعُرُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بِمَنْزِلَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَطَبَقَتِهِ الْعَالِيَةِ إِلَّا التَّنْقِيبُ الْفِيلُولُوجِي فِي الْكَلِمَاتِ وَالْجُدُورِ الَّتِي تَعْنِي "حَسَنَ" « Bon » ، وَلَقَدْ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْاِكْتِشَافَاتِ الْجِنْيَالُوجِيَّةِ مِنْ بَيْنِهَا كَوْنُ مُفْرَدَةِ "الْحَسَنِ" فِي غَالِبِ الْأَمْرِ مُسْتَمَدَّةً وَمُصْطَنَعَةً مِنْ صِنْفٍ مِنَ الْبَشَرِ اِمْتَاَزُوا بِالتَّقَوُّقِ وَالْبَاسِ ، إِذْ أُطْلِقَتْ بَادِي الْأَمْرِ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَالْأَسْيَادِ وَالرُّؤَسَاءِ « Les puissants » « Les maîtres » ، « Les

¹¹¹⁸GM, Trad. Henri Albert, I, § 13.

¹¹¹⁹Ibid : « Soyons le contraire des méchants, c'est-à-dire bons ! Est bon quiconque ne fait violence à personne, quiconque n'offense, ni n'attaque, n'use pas de représailles et laisse à Dieu le soin de la vengeance, quiconque se tient caché comme nous, évite la rencontre du mal et du reste attend peu de chose de la vie, comme nous, les patients, les humbles et les justes ».

¹¹²⁰Ibid : « ... comme si la faiblesse même du faible — c'est-à-dire son essence, son activité, toute sa réalité unique, inévitable et indélébile — était un accomplissement libre, quelque chose de volontairement choisi, un acte de mérite. Cette espèce d'homme a un besoin de foi au « sujet » neutre, doué du libre arbitre... Le sujet (ou, pour parler le langage populaire, l'âme) est peut-être resté jusqu'ici l'article de foi le plus inébranlable, par cette raison qu'il permet à la grande majorité des mortels, aux faibles et aux opprimés de toute espèce, cette sublime duperie de soi qui consiste à tenir la faiblesse elle-même pour une liberté, tel ou tel état nécessaire pour un mérite ».

« chefs ، زدْ عَلَى ذَلِكَ كَوْنُ لَفْظَةِ "الحَسَنِ" فِي ثَقَافَاتِ الشُّعُوبِ الْعَتِيقَةِ مَنُوطَةً بِالْأَمَارَاتِ الْخَارِجِيَّةِ لِلتَّفَوُّقِ مِثْلُ الثَّرَاءِ وَالْمَلِكِ وَلِهَذَا الدَّاعِي أُطْلِقَتْ عَلَى الْأَثْرِيَاءِ « Les riches » وَالْمَالِكِينَ « Les possesseurs » وَهُوَ مَعْنَى arya فِي اللُّغَاتِ الْإِيرَانِيَّةِ وَالسَّلَافِيَّةِ¹¹²¹.

حَقِيقٌ بِالذِّكْرِ أَيْضًا كَوْنُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ مُحَدَّدَةً أَنْطِلَاقًا مِنْ سِمَةِ نَمَطِيَّةٍ ، مِنْ خَاصِيَّةٍ أُنْمُوذَجِيَّةٍ لِلطَّبْعِ وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ عُيِّنَ كُلُّ مَا هُوَ نَبِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْحَقَّانِيَيْنِ أَوْ الصَّادِقِينَ « Les véridiques » ، لِهَذِهِ الْغَايَةِ مَثَلًا نَحَتَ الْإِغْرِيْقُ لَفْظَةً اسْتَلُوسَ ἔσθλος لِيَعْنُوا بِهَا مَا هُوَ ذُو كَيْثُونَةٍ وَوَاقِعٍ وَمَا هُوَ وَاقِعِيٌّ بِالْفِعْلِ وَمَا هُوَ حَقٌّ qui est, qui a de la réalité, qui est réel, qui est vrai ، بِاخْتِصَارٍ قَصَدُوا مِنْهَا مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْكَيْثُونَةِ ، الْوَاقِعِ ، الْحَقِّ.

وَبَعْدَئِذٍ بِتَحْوِيلٍ ذَاتِيٍّ أَصْبَحَ الْحَقُّ ، فِي نَظَرِهِمْ ، صِدْقًا ، وَهَذَا مَا يَفْسِرُ كَوْنَهُمْ أَطْلَقُوا عَلَى الثُّبَلَاءِ لَفْظَةً الصَّادِقِينَ ، يَتِمُّمَا أَطْلَقُوا عَلَى رِجَالِ الْعَامَةِ لَفْظَةً الْكَادِبِينَ¹¹²². لَكِنْ مَعَ انْحِطَاطِ طَبَقَةِ الثُّبَلَاءِ اسْتَقَرَّتِ اللَّفْظَةُ عَلَى دِلَالَةِ "نَبْلِ النَّفْسِ".

وَأَمَّا الْحَفَرُ الْجِينِيَالُوجِيُّ فِي تَضَاعُيفِ اللِّسَانِ الْعَالِي ، فَقَدْ أَبَانَ عَنِ اتِّخَاذِ الشَّعْبِ الْمُتَحَدِّثِ بِهَا مِنْ كَلِمَةِ Fin وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ (Fin-Gal) دِلَالَةً عَلَى الثُّبَلَاءِ بَلْ أُطْرَفَ وَأَدُقَّ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ أَلْفَاظُ الْحَسَنِ وَالنَّبِيلِ وَالنَّقِيِّ تُطْلَقُ عَلَى ذَوِي الشَّعْرِ الْأَشْفَرِ عَلَى نَقِيضِ السَّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ الَّذِينَ كَانَ شَعْرُهُمْ أَسْوَدًا وَجِلْدُهُمْ دَاكِنًا.

وَأَمَّا فِي اللِّسَانِ اللَّاتِينِيِّ فَقَدْ أَظْهَرَتْ أَلْفِيلُولُوجِيَا النِّيْتَشُويَّةِ أَنَّهُ فِي الْوُسْعِ الْوُفُوفِ فِي كَلِمَةِ "حَسَن" (جَيِّد) Bonus عَلَى دِلَالَةِ الْمُحَارِبِ ، عَلَى افْتِرَاضٍ أَنَّ نِيْتَشَةَ صَائِبٌ حِينَمَا أُرْجَعَ لَفْظَةُ بُونُوس Bonus إِلَى شَكْلِهَا الْأَقْدَمِ الْمُتَمَثِّلِ فِي لَفْظَةِ Duonus وَقَارَنَهَا بِالْمُفْرَدَاتِ Bellum= Duellum= Duenlum حَيْثُ مُفْرَدَةٌ "الحَسَنِ" تَدُلُّ عَلَى رَجُلٍ الْمُبَارَزَةِ وَالشِّقَاقِ (Duo) ، أَيِ الْمُحَارِبِ.¹¹²³

وَأَمَّا فِي اللِّسَانِ الْأَلْمَانِيِّ فَقَدْ نَحَتَ الشَّعْبُ الْجَرْمَانِيُّ لَفْظَةً "الحَسَنِ" Gut لِيَقْصِدُوا مِنْهَا الْإِلَهِيَّ Der gottliche ، بِوصْفِهِ الْإِنْسَانَ الْمُتَحَدِّرَ مِنْ نَسْلِ الْآلِهَةِ. أَمَّا فِيمَا يَخْصُ مَعَانِي "القُبْحِ" ، فَقَدْ نَحَتَ الْإِغْرِيْقُ لَفْظَةً "القَبِيحِ" (السيء) κακός عَلَى غِرَارِ لَفْظَةِ الْجُبْنِ أَوْ الْخَوْفِ δειλός لِيَتَّعِينَ طَبَقَةُ الرِّعَاعِ أَوْ السُّوقَةِ ، وَلِلتَّذِيلِ عَلَى الْجُبْنِ وَهَذَا يُسَعِّفُ فِي تَبَيُّنِ السَّبِيلِ الَّذِي يَجِبُ السَّيْرُ عَلَيْهِ لِيَتَقَصَّى مُفْرَدَةُ الْحَسَنِ (الطَّيِّبِ) ἀγαθός مُتَعَدِّدَةِ الْمَعَانِي. فِي اللِّسَانِ اللَّاتِينِيِّ فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ مُفْرَدَةٌ

¹¹²¹GM, Trad. Henri Albert, I, § 5.

¹¹²²Ibid, § 13.

¹¹²³Ibid.

Malus مُسْتَحْدَمَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعَامِيِّ ذِي الْبَشَرَةِ الدَاكِنَةِ وَذِي الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مِنْ حَيْثُ هُمَا صِفَتَانِ جُسْمَانِيَتَانِ لِلسَّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ السَّاقِبَيْنِ عَلَى الْأَرِيِّينَ الْغَزَاةِ ذَوِي الشَّعْرِ الْأَشْفَرِ¹¹²⁴.

وَلَقَدْ انْتَهَى الْأَمْرُ بِالْإِبْلَاءِ الْإِغْرِيْقِي إِلَى أَنْ يَعْنُوا بِجَلِّ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي يَخْصُونَ بِهَا سَوَادَ الشَّعْبِ الْإِنْسَانَ الشَّقِيَّ أَوْ الْجَدِيرَ بِالشَّفَقَةِ، التَّعِيسَ وَالْمَنْحُوسَ وَالْمَثْقَلَ بِالْمَتَاعِ بَلْ أَسْفَرَ الْخَطَرَ الْفِيلُولُوجِيَّ عَنْ اسْتِعْمَالِهِمْ لِمَفْرَدَتِي الشَّقِيَّ وَالصَّبُورَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَابَةِ أَثْقَالٍ وَعَبْدٍ كَادِحٍ مُسَخَّرٍ لِلْعَمَلِ عَلَى تَقْيِضِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا بِالْمَتْنَبَتِ الشَّرِيفِ الَّذِي فَطَرَهُمْ عَلَى الشُّغُورِ بِالسَّعَادَةِ الْمُرْتَبِطَةِ ارْتِبَاطًا غَضَوِيًّا بِنَشَاطِهِمْ الْمُتَقَدِّ وَعَزَمَهُمُ الشَّدِيدَ وَهِيَ لَعْمُرُ نَيْتَشِهِ مُخْتَلِفَةٌ غَايَةً الْاِخْتِلَافِ عَنْ سَعَادَةِ الْحَقُودِينَ الْمُفْتَرَنَةِ بِالْحُمُولِ وَالسَّلَامِ وَالرَّاحَةِ¹¹²⁵.

مَنْ يُمَعِّنُ النَّظَرَ فِي التَّتَبُّعِ الْفِيلُولُوجِيِّ لِمَفْهُومِي "الْحَسَنِ" وَ"الْقَبِيحِ" فِي الْعَدِيدِ مِنَ اللُّغَاتِ، سَيَذَرُكَ أَنَّ نَيْتَشَةَ يَرْمِي أَوَّلًا إِلَى تَبْيَانِ خُضُوعِهِمَا إِلَى التَّحَوُّلَاتِ الْمَفْهُومِيَّةِ ذَاتِهَا عَلَى اِخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْأَمَمِ، وَيَقْصِدُ ثَانِيًا رَدَّهُمَا إِلَى مِغْيَارٍ مُشْتَرَكٍ ذِي طَائِعٍ طَبَقِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ وَفِيزِيُو-سِيْكُولُوجِيٍّ حَيْثُ يُطْلَقُ لَفْظُ التَّبِيلِ أَوِ الشَّرِيفِ أَوِ الرَّاقِي أَوْ الْمُتَمَيِّزِ عَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ طَبَقَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ رَفِيعَةٍ.

وَبَعْدَ حِينَ نَجَمَتْ وَتَطَوَّرَتْ عَنْ ذَلِكَ الْمُنَوَالِ فِي نَحْتِ الْأَسْمَاءِ فِكْرَةَ "الْحَسَنِ" لِتَدُلَّ عَلَى "النَّفْسِ السَّامِيَةِ" وَفِكْرَةَ "التَّبِيلِ" لِتُشِيرَ إِلَى تَلَكُمِ النَّفْسِ مِنْ جَوْهَرٍ عَالٍ وَمُتَفَوِّقٍ وَلِتَعْنِي "النَّفْسَ الْمُفَضَّلَةَ". وَبِمُؤَاوَاةِ هَذَا التَّطَوُّرِ لِلْمَفَاهِيمِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالطَّبَقَةِ التَّبِيلَةِ أَوِ الشَّرِيفَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَفْهُومِ "الْحَسَنِ"، شَهِدَتْ الْبَشَرِيَّةُ أَيْضًا تَطَوُّرًا لِلْمَفَاهِيمِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِسَوَادِ النَّاسِ مِنْ أَسَافِلِهِمْ وَرَعَايِهِمْ لِإِفَادَةِ مَفْهُومِ "الْقَبِيحِ". وَيَعَزِّزُ هَذَا الطَّرْحَ الْفِيلُولُوجِيَّ تَطَوُّرَ الْمَفْرَدَةِ *Schlecht* (Mauvais) الَّتِي كَانَتْ تُطْلَقُ كَمَا فِي اللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَةِ عَلَى إِنْسَانٍ الْعَامَّةِ وَالْإِنْسَانِ الْعَادِي الْبَسِيطِ فِي مُقَابِلِ الْإِنْسَانِ التَّبِيلِ إِلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ الْقَبِيحِ¹¹²⁶.

¹¹²⁴GM, Trad. Henri Albert, I, § 13.

¹¹²⁵Ibid, § 10 : « ... l'aristocratie grecque, par exemple, pare tous les mots qui lui servent à établir la distinction entre elle et le bas peuple ... au point que presque tous les mots qui désignent l'homme du commun ont fini par devenir synonymes de « malheureux », « digne de pitié » (comparez : δειλός, δειλαιο, πονηρός, μοχθηρός, ces deux derniers voulant caractériser l'homme du commun en tant qu'esclave de son labeur et bête de somme). — Il faut songer d'autre part que les termes « mauvais », « bas », « malheureux » produisaient toujours sur l'oreille grecque une tonalité où dominait la nuance « malheureux ». Les « hommes de haute naissance » avaient le sentiment d'être les « heureux » ; ils n'avaient pas besoin de construire artificiellement leur bonheur en se comparant à leurs ennemis... et de même en leur qualité d'hommes complets, débordants de vigueur et, par conséquent, nécessairement actifs, ils ne savaient pas séparer le bonheur de l'action... Tout cela est en contradiction profonde avec le « bonheur » tel que l'imaginent les impuissants, les opprimés, chez qui le bonheur apparaît surtout sous forme de stupéfiant, d'assoupissement, de repos, de paix... bref sous sa forme passive... ».

¹¹²⁶Ibid, § 4 : « Quel est exactement, au point de vue étymologique, le sens des désignations du mot « bon » dans les diverses langues? C'est alors que je découvris qu'elles dérivent toutes d'une même transformation d'idées, — que partout l'idée de « distinction », de « noblesse », au sens du rang social, est l'idée mère d'où naît

لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفُوتَنَا مَسَلُّكَ تَارِيخِي لَمْ يَحْظَ بِالِانْتِبَاهِ لَدَى الشَّرَاحِ أَبَانَ عَنْ أَصْلِ جِينِيَالُوجِي لِلْبَيِّنَةِ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ مِنْ جَانِبِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، إِذْ أوردتِ الشَّدْرَةُ السَّادِسَةُ مِنْ "جينياالوجيا الأخلاق"، فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ وَضْعِ تَارِيخِي كَانَتْ فِيهِ طَبَقَةُ الثُّبَلَاءِ طَبَقَةُ الْكُهَانِ عَيْنَهَا، مُوردًا لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ الَّذِي تَفَرَّعَ مِنْهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ لَاحِقًا¹¹²⁷.

هَذَا مَا يَظْهَرُ فِي التَّمْيِيزِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَقَامَهُ الْكُهَانُ الثُّبَلَاءُ فِي الْبِدَايَاتِ بَيْنَ مَفْهُومِ "الطَّهارة" Pure وَمَفْهُومِ "النَّجاسة" Impur، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَبَدًا تَمْيِيزًا يَرْقِي إِلَى مُسْتَوَى الرَّمْزِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ بِمَا هِيَ مُؤَسَّسَةٌ رُوحِيَّةٌ مُكْتَمِلَةٌ الْأَرْكَانِ، أَيْ كَانَ تَمْيِيزًا قَائِمًا عَلَى مُمَيَّزَاتٍ جَسَدِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ لَمْ تَبْلُغْ بَعْدُ مُسْتَوَى التَّأْسِيسِ النَّفْسِيِّ وَالثَّقَافِيِّ الْمُتَشَدِّدِ، ذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ "الطَّاهِر" قَدْ، عَلَى غِرَارِ كُلِّ الْمَفَاهِيمِ الْبَشَرِيَّةِ الْغَابِرَةِ الَّتِي كَانَتْ تُفْهَمُ وَتُسْتَعْمَلُ عَلَى نَحْوِ سَادِجٍ وَبَسِيطٍ، عَلَى مِنْوَالٍ فَظٍ وَغَلِيظٍ وَضَيِّقٍ، وَبِاخْتِصَارٍ عَلَى نَحْوِ لَمْ يَكُنْ رَمْزِيًّا فِي شَيْءٍ، لِذَلِكَ جَاءَ هَذَا الْمَفْهُومُ (الطَّاهِر) لِيَفِيدَ الْإِنْسَانَ الْمُغْتَسِلَ وَالْمُتَمَتِّعَ مِنْ بَعْضِ الْأَطْعِمَةِ الْمُؤَذِيَةِ لِلْجِلْدِ وَلِيَعْنِي أَيْضًا الْعُزُوفَ عَنِ الْإِنْسَاءِ الْقَذَرَاتِ مِنْ عَامَّةِ الشَّعْبِ، وَالْإشْمِزَازَ مِنَ الدَّمِ¹¹²⁸.

لَكِنْ مَا كَانَ الْأَمْرُ لِيَسْتَمِرَّ عَلَى هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الْأَرِسْطُقَرَاتِيَّةِ لِلْكَهَانِ، إِذْ سُرْعَانَ مَا أَخَذَ مَجْرَى حَظِيرًا وَشَرَعَ يَفْسُدُ وَبَعْدَ جِهِنٍ آضَ الْأَقْتِدَارِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي تَمَيَّزَتْ بِهِ طَبَقَةُ الْكُهَانِ الثُّبَلَاءِ، مِثْلَمَا تَحَوَّلَتْ مَفَاهِيمُهَا التَّفَرِيقِيَّةُ، إِلَى بِنْيَةٍ رَمْزِيَّةٍ قَاتِلَةٍ، وَمَا كَانَ لِذَلِكَ أَنْ يَحْدُثَ لَوْلَا وَجُودُ أَشْيَاءٍ مَرَضِيَّةٍ فِي تَقَالِيدِهَا الْمُنَافِيَةِ لِلْفِعْلِ وَالنَّشَاطِ الَّتِي تَسْمَحُ أَنْ يَكْظِمَ الْإِنْسَانُ أَحْلَامَهُ تَارَةً وَأَنْ يَكُونَ فَرِيسَةً طَبِيعَةً لِعَوَاطِفِهِ الْجِيَاشَةِ تَارَةً أُخْرَى، لَكِنْ خُطُورُهُ أَسْلُوبُهُمْ فِي الْحَيَاةِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ذِي شَأْنٍ مُقَارَنَةً بِخُطُورَةِ الْحُلُولِ الَّتِي يَقْدِمُونَهَا لِعِلَاجِ الْأَسْقَامِ الَّتِي يُعَانُونَ مِنْهَا، وَمَا نَزَّالُ الْبَشَرِيَّةِ تُعَانِي الْأَمْرَيْنِ مِنْ مُضَاعَفَاتِهَا وَتَبَاعِثِهَا

et se développe nécessairement l'idée de « bon » au sens « distingué quant à l'âme », et celle de « noble », au sens de « ayant une âme d'essence supérieure », « privilégié quant à l'âme ». Et ce développement est toujours parallèle à celui qui finit par transformer les notions de « vulgaire », « plébéien », « bas » en celle de « mauvais »... ».

¹¹²⁷GM, Trad. Henri Albert, II, § 6 : « Si la transformation du concept politique de la prééminence en un concept psychologique est la règle, ce n'est point par une exception à cette règle (quoique toute règle donne lieu à des exceptions) que la caste la plus haute forme en même temps la caste sacerdotale et que par conséquent elle préfère, pour sa désignation générale, un titre qui rappelle ses fonctions spéciales. C'est là que par exemple le contraste entre « pur » et « impur » sert pour la première fois à la distinction des castes ; et là encore se développe plus tard une différence entre « bon » et « mauvais » dans un sens qui n'est plus limité à la caste ».

¹¹²⁸Ibid : « Du reste qu'on se garde bien de prêter de prime abord à ces concepts de « pur » et d'« impur » un sens trop rigoureux, trop vaste, voire même un sens symbolique : Le « pur » est d'abord simplement un homme qui se lave, qui s'interdit certains aliments provoquant des maladies de la peau, qui ne cohabite pas avec les femmes malpropres du bas peuple, qui a l'horreur du sang, — et rien de plus, ou en tous les cas peu de chose en plus !.. ».

الْوَحِيمَةِ ، وَحَسْبُنَا أَمِثْلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْاِمْتِنَاعُ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّحُومِ وَالصَّوْمِ وَالتَّعَقُّفِ الْجَنَسِيِّ وَالْهَرُوبِ إِلَى الصَّحَارِي ، فَضْلًا عَنْ مِيتَافِزِيْقَا الْكَهَنُوتِ بِمَا فِيهَا مِنْ عَدَاءٍ لِلْحَوَاسِ¹¹²⁹ . فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ لَدَى الْكَاهِنِ إِلَّا وَيَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ خُطُورَةً مُرْعِبَةً ؛ عِلَاجَاتُهُ ، كِبَرَاؤُهُ وَضَعِيفَتُهُ ، وَمُجُونُهُ ، تَوْفَهُ لِلْسَّيْطَرَةِ وَلَا يَبْدُ عَنْ ذَلِكَ مَا يَظْهَرُ لَدَيْهِ عَلَى أَنَّهُ سَامٍ مِثْلَ الْحَبِّ وَالْفَضِيلَةِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ .

مِنْ الْأَمَانَةِ أَنْ نَذَكِّرَ تَصْرِيحًا غَرِيبًا نَبَسَتْ بِهِ عِبَارَةٌ نِيْتَشَةُ الَّتِي أُعْرِبَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَارَ مُوضُوعًا جَدِيرًا بِالْاهْتِمَامِ بِفَضْلِ هَذَا النَّمَطِ الْوُجُودِيِّ لِلْكَاهِنِ وَبِهِ اكْتَسَبَتْ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ عُقْمَهَا وَشَرَّيَتَهَا بِاعْتِبَارِهَا صِفَتَيْنِ وَفَرَّتَا لِلْإِنْسَانِ التَّفَوُّقَ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِ الْحَيَوَانِيِّ¹¹³⁰ . وَمَا إِنْصَافُ نِيْتَشَةَ هُنَا لِدَوْرِ الْكَاهِنِ إِلَّا لِكُونِهِ تَمْهِيدًا لِظُهُورِ إِنْسَانٍ غَائِرٍ الْعُمَقِ وَشَرِيرٍ النَّفْسِ مَعًا ، أَيْ أَنَّ الشَّمِيلَتَيْنِ الَّتِي تَمَتَّعَ بِهِمَا الْكَاهِنُ تَحَوَّلَتَا إِلَى خِصْلَتَيْنِ سَمَحَتْ بِإِنْبِثَاقِ إِنْسَانٍ غَرِيزِيٍّ ، عَلَى حَيَوَانِيَّتِهِ ، سَمًا فَوْقَ أَيِّ حَيَوَانٍ .

(د) الْأَخْلَاقُ وَالْوُجُودُ مِنْ مَنْظُورِ الْكَهَنُوتِ بَيْنَ الْقَلْبِ الْاضْطِعَانِيِّ وَالْأَثَرِ الرُّوحَانِيِّ

لَقَدْ شَقَّتِ الشَّدْرَةُ السَّادِسَةُ مِنْ "جِينِيَالُوجِيَا الْأَخْلَاقِ" عَنْ بَيَانِ مُوضِعِيٍّ يَسْمَحُ بِتَخْمِينِ بَعْضِ الدَّوَاعِي الَّتِي جَعَلَتْ طَرِيقَةَ التَّقْيِيمِ الْكَهَنُوتِيَّةِ تَشَرُّعٌ فِي الْإِنْصِلَالِ بِأَيْسَرِ طَرِيقَةٍ عَنْ أُسْلُوبِ تَقْيِيمِ الْأَرِسْطُقْرَاطِيَّةِ الْحَرَبِيَّةِ لِتَنْتَطُورَ عَلَى أَغْقَابِ ذَلِكَ إِلَى تَقْدِيرَاتٍ مُنَاقِضَةٍ تَمَامًا لِمَبَانِيهَا ، مَا وَلَدَ غَيْرَةً وَتَحَاسُدًا وَزِعَاغًا بَيْنَ طَائِفَةِ الْكَهَنَةِ وَطَائِفَةِ الْمُقَاتِلِينَ دُونَ أَنْ يُفْلِحَا فِي الْوُصُولِ إِلَى مِثَاقِ اتِّفَاقٍ حَوْلَ الْمَنْزِلَةِ وَمَسَائِلِ الْقِيَمَةِ ، تَجَلَّى ذَلِكَ التَّنَاقُضُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْمُنْظُومَةِ الْقِيَمِيَّةِ الْمُقَوِّمَةِ لِكِلِيَّهِمَا ، إِذْ لَا تَتَجَارَى إِلَى الْغَرَضِ ذَاتِهِ وَلَا تَتَوَارَدُ فِي مَسَلِّكَ وَاحِدٍ .

¹¹²⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 6 : « D'autre part, les procédés particuliers aux aristocraties sacerdotales font comprendre pourquoi c'est précisément ici que les contrastes d'évaluation ont pu se spiritualiser et s'accroître très vite. Et, de fait, ce sont elles qui ont fini par creuser entre les hommes des abîmes que même un Achille de pensée libre ne saurait franchir sans frissonner. Il y a, dès le principe, quelque chose de morbide dans ces aristocraties sacerdotales et dans leurs habitudes dominantes, hostiles à l'action, voulant que l'homme tantôt couve ses songes, tantôt soit bouleversé par des explosions de sentiments, — la conséquence paraît en être cette débilité intestinale et cette neurasthénie presque fatalement inhérentes aux prêtres de tous les temps. Et le remède préconisé par eux contre cet état morbide, comment ne pas affirmer qu'en fin de compte il s'est trouvé cent fois plus dangereux encore que la maladie dont il s'agissait de se débarrasser ? L'humanité tout entière souffre encore des suites de ce traitement naïf, imaginé par les prêtres. Il suffira de rappeler certaines particularités du régime diététique (privation de viande), le jeûne, la continence sexuelle, la fuite « dans le désert »... Joignez à cela la métaphysique sacerdotale hostile aux sens, qui rend paresseux et raffiné... C'est que, chez le prêtre, tout devient plus dangereux, non seulement les traitements et les thérapeutiques, mais encore l'orgueil, la vengeance, la perspicacité, la débauche, l'amour, l'ambition, la vertu, la maladie... ».

¹¹³⁰Ibid : « ... — avec un peu d'équité, on pourrait, il est vrai, ajouter que c'est sur le terrain même de cette forme d'existence essentiellement dangereuse, la sacerdotale, que l'homme a commencé à devenir un animal intéressant ; c'est ici que, dans un sens sublime, l'âme humaine a acquis la profondeur et la méchanceté — et certes ce sont là les deux attributs capitaux qui ont assuré jusqu'ici à l'homme la suprématie sur le reste du règne animal !... ».

فَإِذَا كَانَتْ قِيَمُ الأَرِسْطُقْرَاطِيَّةِ المُحَارِبَةِ قَائِمَةً عَلَى بِنْيَةِ جِسْمِيَّةٍ قَوِيَّةٍ وَصِحَّةٍ يَافِعَةٍ ، إِضَافَةً إِلَى تَنَعُّمِهَا بِمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى هَذِهِ القُوَّةِ المُتَدَفِّقَةِ مِنْ حَرْبٍ وَمُغَامَرَةٍ وَصَيْدٍ وَرَقْصٍ وَتَمَارِينٍ وَالْعَاجِبِ رِيَاضِيَّةٍ ، وَبِشَكْلِ عَامٍ تَتَوَقَّرُ عَلَى كُلِّ مَا يَفْتَضِي حَيَوِيَّةً شَدِيدَةً الْبَاسِ وَطَلْقَةً مَرِحَةً ، فَإِنَّ قِيَمَ الطَائِفَةِ الْكَهْنُوتِيَّةِ قَائِمَةً عَلَى شُرُوطٍ أُولِيَّةٍ مُنَاوِيَّةٍ لِلْجِسْمَانِ ذِي المِرَّةِ وَالْحَيَاةِ الْوَثِيقِ ، مِنْهَا ذَمُّ الحُرُوبِ لِمَا يَلْحَقُهَا مِنْهَا مِنْ خَسَائِرَ وَمَهَالِكٍ ، وَمَا كَانَ لِلْكَهْنَةِ أَنْ يَكُونُوا أَشَرَّ أَعْدَاءِ الأَرِسْطُقْرَاطِيَّةِ الْمُقَاتِلَةِ إِلَّا لِكُونِهِمْ أَعْجَزَ الْخَلْقِ ، ذَلِكَ الْعَجْزُ الَّذِي يُؤَلِّدُ كَرَاهِيَّةً مُتَوَحِّشَةً وَكَرِيهَةً بَلْ هِيَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْكَرَاهِيَّاتِ ذَهْنِيَّةً وَتَسْمُمًا . وَلَقَدْ أَصَابَ نَيْتَشْه شَوَاكِلَ السَّدَادِ لَمَّا أَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الدَّوَامِ أَشَدَّ النَّاسِ حِقْدًا فِي التَّارِيخِ مِثْلَمَا كَانُوا أَلْحَقُودِينَ الْأَشَدَّ رُوحَانِيَّةً¹¹³¹ .

فَلَا تُوجَدُ عَلَى وَجْهِ البَّسِيطَةِ رُوحَانِيَّةٌ تَفُوقُ أَهَمِّيَّةً وَخُطُورَةً تَلِكُمُ الرُّوحَانِيَّةَ الَّتِي يُغْذِّيها ثَارُ الْكَاهِنِ ، ذَلِكَ أَنَّ مَا بُدِّلَ مِنْ جُهُودٍ ضِدَّ النُّبَلَاءِ الْأَقْوِيَاءِ وَالْأَسْيَادِ مِنْ آلِ الْفُدْرَةِ لَا يَقَارَنُ بِمَا افْتَرَقَهُ الشَّعْبُ الْيَهُودِيُّ وَأَنْجَزَهُ ضِدَّهُمْ ، وَمِثَالُ ذَلِكَ انْتِقَامُ الْكَاهِنِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي لَمْ يَخْلُدْ لِلرَّاحَةِ فِي صِرَاعِهِ مَعَ الْمُتَعَلِّقِينَ عَلَيْهِ إِلَّا عِنْدَمَا تَوَصَّلَ إِلَى تَحْوِيلِ حِذْرِيٍّ لِجَمِيعِ الْقِيَمِ ، أَيْ عِنْدَمَا تَوَسَّلَ فِعْلًا انْتِقَامًا رُوحِيًّا فِي جَوْهَرِهِ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ لِيَتَحَقَّقَ لَوْلَا شَعْبٌ مِنَ الْكَهْنَةِ تُحَرِّكُهُ أَحْقَادُهُ الْمَكْبُوتَةُ مِنْ طَرِيقِ كَهْنُوتِيٍّ . وَلَقَدْ تَضَلَّعَ الشَّعْبُ الْيَهُودِيُّ مِنْ قَلْبِ الْقِيَمِ الأَرِسْطُقْرَاطِيَّةِ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ (طَيِّبٍ ، نَبِيلٍ ، قَوِيٍّ ، جَمِيلٍ ، سَعِيدٍ ، مَحْبُوبٍ مِنَ اللَّهِ) لِيَحُلَّ مَحَلَّهَا قِيَمًا عَدَمِيَّةً جَرَتْ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَيْهَا وَتَخَلَّقَتْ بِهَا وَزَادَتْهَا الْمَسِيحِيَّةَ عَقِبَ ذَلِكَ سُوءًا عَلَى سُوءٍ .

وَفِي غُرَاضِ ذَلِكَ تَرَامَتْ كَرَاهِيَّةُ الْعَجْزِ لَدَى الْيَهُودِ إِلَى رَفْعِ الْمَسَاكِينِ وَالْعَاجِزِينَ وَالْأَتْقِيَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ إِلَى مَقَامِ الْخَيْرِيَّةِ وَإِلَى حَطِّ النُّبَلَاءِ وَالْأَقْوِيَاءِ وَالْأَشْرَارِ وَالْقَسَاةِ وَالْجَشَعِينَ إِلَى دَرَكِ الشَّرِّيَّةِ ، وَمَعَ كَرَاهِيَّةِ الْعَجْزِ هَذِهِ وَطَوَالَ هَذَا الْقَلْبِ تَمَرَّدَ الْعَبِيدُ فِي الْأَخْلَاقِ¹¹³² ، وَقَامَ أَنْبِيَاءُ الْيَهُودِ بِالْخَلْطِ بَيْنَ مُفْرَدَاتِ الْغَنِيِّ

¹¹³¹GM, Trad. Henri Albert, II, § 7 : « — On devine avec combien de facilité la façon d'apprécier propre au prêtre se détachera de celle de l'aristocratie guerrière, pour se développer en une appréciation tout à fait contraire ; le terrain sera surtout favorable au conflit lorsque la caste des prêtres et celle des guerriers se jalouseront mutuellement et n'arriveront plus à s'entendre sur le rang. Les jugements de valeurs de l'aristocratie guerrière sont fondés sur une puissante constitution corporelle, une santé florissante, sans oublier ce qui est nécessaire à l'entretien de cette vigueur débordante : la guerre, l'aventure, la chasse, la danse, les jeux et exercices physiques et en général tout ce qui implique une activité robuste, libre et joyeuse. La façon d'apprécier de la haute classe sacerdotale repose sur d'autres conditions premières : tant pis pour elle quand il s'agit de guerre. Les prêtres, le fait est notoire, sont les ennemis les plus méchants —pourquoi donc ? parce qu'ils sont les plus incapables. L'impuissance fait croître en eux une haine monstrueuse, sinistre, intellectuelle et venimeuse. Les grands vindicatifs, dans l'histoire, ont toujours été des prêtres, comme aussi les vindicatifs les plus spirituels » .

¹¹³²Ibid : « Tout ce qui sur terre a été entrepris contre les « nobles », les « puissants », les « maîtres », le « pouvoir », n'entre pas en ligne de compte, si on le compare à ce que les Juifs ont fait : les Juifs, ce peuple sacerdotal qui a fini par ne pouvoir trouver satisfaction contre ses ennemis et ses dominateurs que par une radicale transmutation de toutes les valeurs, c'est-à-dire par un acte de vindicte essentiellement spirituel. Seul un

وَالْكَافِرِ وَالشِّرِيرِ وَالْعَنِيفِ وَالْحَسِيِّ لِلطَّعْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالتَّخْرِيزِ عَلَيْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِتَصَوِّرَهَا فِي صُورَةِ خِزْيٍ وَعَارٍ¹¹³³. وَبِهَذَا الْمِنْوَالِ رَفَعَ الْإِنْسَانُ الْخَيْرَ الْخَائِرَ فَوْقَ الْإِنْسَانِ الشِّرِيرِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الرِّغَمِ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ لَا يَتَفَوَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ الثَّانِي وَفَقَ أَيُّ مِغْيَارٍ ، أَكَانَ مِغْيَارَ التَّقَدُّمِ أَمْ مِغْيَارَ النَّفْعِ أَمْ مِغْيَارَ صِنَاعَةٍ وَاسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ الْوَاعِدِ ، وَإِنَّمَا يَنْطَوِي الْإِنْسَانُ الْخَيْرَ ، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، عَلَى أَمَارَاتِ التَّقَهُّرِ وَالتَّهْدِيدِ وَالتَّسَمُّمِ بِقَدْرِ مَا يَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ أُسْلُوبَ حَيَاةٍ وَضِيعٍ وَسَافِلٍ¹¹³⁴.

هَيْهَاتَ لِلتَّعَالِيمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْكَهْنُوتِيَّةِ أَنْ تَرَى تَبَعًا لِعَدْسَةِ الْحَيَاةِ ، فَهِيَ لَمْ تَخْتَلِقْ مَفْهُومَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ إِلَّا وَفِيعَةً فِي الْجَسَدِ وَسِعَايَةً بِهِ وَلَمْ تَبْتَدَعْ مَفْهُومِي الطَّهَارَةِ وَالتَّجَاسَةِ إِلَّا كَيْ تَحُطَّ مِنْ شَأْوِ الشَّهَوَاتِيَّةِ (الْجِنْسَانِيَّةِ) عَلَى تَوَقُّفِ الْحَيَاةِ عَلَيْهَا (التَّنَاسُلِ) ، وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ عَنْهَا وَدَائِبُهَا أَلَا تَنَالُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا مَا يَشِفُّ عَنْ وَفَرَةِ النَّشَاطِ وَفَوْرَةِ الْغَرَائِزِ (أَغْنِي الْحَيَاةُ بِوَصْفِهَا فَاعِلِيَّةً دِينَامِيكِيَّةً) ، وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ قَدَمْتُ كُلَّ مَا يُجَرِّدُ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذِهِ الْفَاعِلِيَّةِ مِنْ إنْكَارٍ لِلذَّاتِ وَإِثَارٍ لِلْغَيْرِ وَمَحَبَّةٍ لِلْقَرِيبِ وَشَفَقَةٍ عَلَى الضَّعْفَاءِ عَلَى أَنَّهُ الْقِيَمَةُ الْعُلْيَا الَّتِي لَا يَغْلُو عَلَيْهَا شَيْءٌ¹¹³⁵.

لَيْسَ لِلْكَاهِنِ أَنْ يَهْلِكَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَوْلَا أَدَوَاتُ وَوَسَائِطُ وَهْمِيَّةٌ تَفْصِلُهَا عَمَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَشَدِّهَا إِضْرَارًا ابْتِدَاعَ عَالَمٍ آخَرَ مُنَاقِضٍ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهَا مِنْ مَقُولَاتٍ وَهْمِيَّةٍ لَا تَبْرَحُ تَرْيَفَ عَالَمِنَا الْمَحْسُوسِ ؛ تَبَخُّسُهُ وَتَنْفِيهِ¹¹³⁶. وَلَوْلَا هَذَا الْعَالَمُ الْعُلُويُّ الَّذِي صَاحَتْهُ غَرِيزَةُ الْاضْطِغَاعِ لِقُبُولِ عَالَمِنَا بِالْإِثْبَاتِ بَدَلِ التَّنْفِي وَالْاِحْتِصَانِ حَيَاثُنَا الصَّاعِدَةِ بِأَحْضَانِ الْإِقْرَارِ وَالْاِمْتِنَانِ بَدَلِ أَنْ تُشْهَرَ عَلَيْهَا

peuple de prêtres pouvait agir ainsi, ce peuple qui vengeait d'une façon sacerdotale sa haine rentrée. Ce sont des Juifs, qui, avec une formidable logique, ont osé le renversement de l'aristocratique équation des valeurs (bon, noble, puissant, beau, heureux, aimé de Dieu.) Ils ont maintenu ce renversement avec l'acharnement d'une haine sans borne (la haine de l'impuissance) ».

¹¹³³PBM, Trad. Henri Albert, § 195 : « Les juifs, —peuple « né pour l'esclavage », comme l'affirmait Tacite, avec tout le monde antique... Leurs prophètes ont fait un alliage avec les termes « riche », « impie », « méchant », « violent », « sensuel », pour frapper pour la première fois le mot « monde » à l'effigie de la honte ».

¹¹³⁴GM, Trad. Henri Albert, « Avant -propos », § 6 : « ... et c'est sans le moindre doute et la moindre hésitation que l'on a, jusqu'à présent, attribué au « bon » une valeur supérieure à celle du « méchant », supérieure au sens du progrès, de l'utilité, de l'influence féconde pour ce qui regarde le développement de l'homme en général (sans oublier l'avenir de l'homme). Comment ? Que serait-ce si le contraire était vrai ? Si, dans l'homme « bon », il y avait un symptôme de recul, quelque chose comme un danger, une séduction, un poison, un narcotique qui fait peut-être vivre le présent aux dépens de l'avenir ? d'une façon plus agréable, plus inoffensive, peut-être, mais aussi dans un style plus mesquin, plus bas ?...En sorte que, si le plus haut degré de puissance et de splendeur du type homme, possible en lui-même, n'a jamais été atteint, la faute en serait précisément à la morale ! ».

¹¹³⁵EH, Trad. Henri Albert, Pourquoi je suis une fatalité, § 7.

¹¹³⁶AC, Trad. Henri Albert, § 15 : « Alors que le monde des rêves reflète la réalité, le monde des fictions ne fait que la fausser, la déprécier et la nier ». Voir § 16 et § 18.

اللغات ويُجَاب لها بالنكران، إذ الضَّغينة لم تَبْدَعْهُ إِلَّا ابْتِغَاءً نَفْيِ الْحَيَاةِ وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ ارْتِقَاءٍ وَعَافِيَةٍ، مِنْ قُوَّةٍ وَجَمَالٍ¹¹³⁷.

لَقَدْ جَرَى الْكَاهِنُ الْمَسِيحِيُّ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ لَا بَرَّاحَ، فَابْتَدَعَ إِلَهَا مِنْ الْمَفَاهِيمِ الْأَشَدِّ فَسَادًا فِي الْمَعْمُورَةِ، إِذْ بَدَلْ أَنْ تَخْلُقَهُ لِيَكُونَ تَعْبِيرًا عَنْ تَعْظِيمِ الْحَيَاةِ وَإِثْبَاتِهَا الْأَبَدِيِّ، فَإِذَا بِهِ إِلَهٌ مُنَاقِضٌ وَمُنَافٍ لَهَا لَا يَنْفَكُ يُحَارِبُهَا وَتَعْبِيرٌ عَنْ تَأْلِيهِ لِلْعَدَمِ وَتَعْظِيمِ لِإِرَادَةِ الْعَدَمِ¹¹³⁸. وَلَا غَرَوْ مِنْ ذَلِكَ مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ وَمَلَكُوتُ الرَّبِّ لَا يَجْتَمِعَانِ؛ فَمَا إِنْ يَبْدَأُ مَلَكُوتُ الرَّبِّ، تَخْتَرِ الْحَيَاةُ نَزْعَهَا الْأَخِيرَ (تَهْلِكُ)¹¹³⁹.

وَتَكْمُنُ فَرَايِدُ نِيَشَتِهِ وَنَفَائِسُهُ فِي تِلْكَمُ الْأَنْوَارِ الَّتِي سَلَّطَهَا عَلَى دَوْرِ الْكَهَنُوتِ فِي تَسْمِيمِ الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، لِذَلِكَ جَاءَتْ الْجِينِيَالُوجِيَا بِفَتْوحَاتٍ غَايَةٍ فِي الْأَهَمِّيَّةِ لَهَا هَتَكَتِ الْحِجَابَ عَنِ الْفَنَانِ الْعَبْقَرِيِّ الَّذِي نَسَجَ لَنَا مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ، بَلَهَ مِنْ أَحْقَادِهِ وَأَسْقَامِهِ، قِيَمًا كَهَنُوتِيَّةً وَمُعْجَمِيَّةً ظُلُمَاءَ غَشِيَتْ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ مِنَ النَّاسِ وَفِي غُضُوبٍ ذَلِكَ وَأَعْقَابِهِ غَدَتِ مَفَاهِيمُهُ ثَاوِيَةً فِي رُؤْيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلْعَالَمِ، وَلَيْسَ هَذَا الْفَنَانُ مُهْلِكُ الْإِنْسَانِيَّةِ غَيْرَ الْكَاهِنِ الْحَقُودِ الَّذِي اتَّخَذَ مِنْ نَفْيِ الْحَيَاةِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهَا وَتَسْمِيمِهَا حِرْفَةً¹¹⁴⁰.

مَا كَانَ لِلْكَاهِنِ أَنْ يُوجَدَ وَأَنْ يَحْظِيَ بِكُلِّ هَذِي الْأَدْوَارِ لَوْلَا تَذْنِيسُ الْوُجُودِ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَخْلُقَ الْقِيَمَ إِلَّا بِتَشْهِيرِ النَّفْيِ فِي وَجْهِ الطَّبِيعَةِ وَكُلِّ مَا هُوَ طَبِيعِي¹¹⁴¹. وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَتَبَعَ نِيَشَتَهُ أَثَارَهُ وَيَتَعَقَّبَ خَطَاوَاتِهِ وَيَسْتَفْرِئَ أَطْوَارَهُ وَيَتَعَرَّفَ إِلَى أَحْوَالِهِ وَيَتَفَقَّدَ مَخَارِجَهُ وَمَدَاخِلَهُ، لِذَلِكَ لَا مُشَاحَّةَ فِي قَوْلِنَا إِنَّ مُصَنَّفَ "جِينِيَالُوجِيَا الْأَخْلَاقِ" دَارَ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ الْكَاهِنِ مُقَلِّبًا إِيَّاهَا بَطْنًا لِيُظْهِرَ، وَهِيَ هِيَ نِيَشَتُهُ

¹¹³⁷AC, Trad. Henri Albert, § 24 : « ... pour pouvoir dire non en réponse à tout ce qui représente le mouvement ascendant de la vie, à tout ce qui est bien né, puissance, beauté, affirmation de soi sur terre, il fallut que l'instinct de ressentiment, devenu génie, s'inventât un autre monde, d'où cette affirmation de la vie nous apparût comme le mal, la chose réprouvable en soi ». Voir Sarah Kofman, Nietzsche et la scène philosophique, p. 233. Voir Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 226.

¹¹³⁸Ibid, § 18 : « La conception chrétienne de Dieu — Dieu, le Dieu des malades, Dieu, l'araignée, Dieu, l'esprit — est une des conceptions divines les plus corrompues que l'on ait jamais atteintes sur terre... Dieu dégénéré en contradiction de la vie, au lieu d'être sa glorification et son éternel oui ! Déclarer la guerre, en Dieu, à la vie, à la nature, à la volonté de vivre ! Dieu, la formule pour toutes les calomnies de l'« en-deçà », pour tous les mensonges de l'« au-delà » ! Le néant divinisé en Dieu, la volonté du néant sanctifiée !... ».

¹¹³⁹CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 4 : « Lorsqu'elle dit : « Dieu regarde les cœurs », elle dit non aux aspirations intérieures et supérieures de la vie et considère Dieu comme l'ennemi de la vie... Le saint qui plaît à Dieu, c'est le castrat idéal... La vie prend fin là où commence le « Royaume de Dieu » ».

¹¹⁴⁰AC, Trad. Henri Albert, § 8 : « Tant que le prêtre passera encore pour une espèce supérieure, le prêtre, ce négateur, ce calomniateur, cet empoisonneur de la vie par métier, il n'y a pas de réponse à la question : qu'est-ce que la vérité ? ».

¹¹⁴¹Ibid, § 26 : « ... il est besoin d'une puissance qui confère une valeur, qui partout nie la nature et qui par cela seulement crée une valeur... Le prêtre déprécie, profane la nature ».

يَقُولُ شَيْئًا لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَمَّا أُعْرِبْنَا عَنْهُ، إِذْ كَتَبَ فِي مُصَنَّفِهِ "هُوَ ذَا الْإِنْسَانِ" مَا يَلِي: "تَنْطَوِي الْعِيشَاتُ لَوْجِيًّا عَلَى سِيكُولُوجِيَا الْكَاهِنِ الْأُولَى"¹¹⁴² الَّتِي لَا مَنَاصَ مِنْ تَجَاوُزِهَا¹¹⁴³ مِنْ أَجْلِ مِيلَادِ إِنْسَانِيَّةٍ جَدِيدَةٍ مُتَقَوِّمَةٍ بِشَمَائِلِ أَخْلَاقِيَّةٍ صَاعِدَةٍ.

لَقَدْ حَمَلَتْ الْأَدْلَةُ التَّارِيخِيَّةُ نَيْتْشَةَ عَلَى تَحْمِيلِ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ الْكَهَنُوتِيِّ، بِوَصْفِهِ الشَّعْبَ الَّذِي كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْبَالِغُ فِي التَّارِيخِ الْعَالَمِيِّ، مَسْئُولِيَّةَ تَرْيِيفِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَرْيِيفًا بَلَغَ حَدًّا جَعَلَ الْمَسِيحِيَّ، عَلَى كَوْنِهِ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهِ، غَارِبًا عَنْ كَوْنِهِ النَّتِيجَةَ الْقُصْوَى لِلْيَهُودِيَّةِ¹¹⁴⁴. وَمَا اسْتَأْثَرَ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا غَدِيدَةٌ هِيَ الْمَفَاهِيمُ وَالشُّخُوصُ الَّتِي نَشَأَتْ وَنَمَتْ عَلَى تَرْبَةِ الْكَهَنُوتِ، فَالْفِيلَسُوفُ نَفْسُهُ تَطَوَّرَ، كَمَا أَبَانَ تَحْلِيلَاتُ نَيْتْشَةَ، مِنْ الْأَنْمُودَجِ الْكَهَنُوتِيِّ¹¹⁴⁵.

ثَمَّةَ وَجْهٍ يَنْبَغِي أَلَّا نَعْفَلَ عَنْهُ مُقَادَهُ أَنَّ الْأَنْحِطَاطَ الَّذِي أَوْفَعَ الْكَهَنُوتُ الْيَهُودِيُّ وَالْمَسِيحِيُّ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي دَرَكَاتِهِ لَيْسَ إِلَّا وَسِيلَةً؛ إِذْ لَا سَبِيلَ لِإِحْقَاقِ مَصْلَحَةِ الْكُهَّانِ الْحَيَوِيَّةِ سِوَى سَبِيلِ تَصْيِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ سَقِيمَةً وَسَبِيلِ قَلْبِ مَفْهُومِ "الْخَيْرِ" وَ"الشَّرِّ"، "الْصِدْقِ" وَ"الْكَذِبِ" عَلَى نَحْوِ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْخُطُورَةِ وَالْفِرْيَةِ¹¹⁴⁶ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَبْلُغَ مُرَادَهُ لَوْلَا إِدْرَاكُهُ كُمُونِ مَنْفَعَتِهِ فِي الْحَيَدُودَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاقْتِدَارِهَا، وَكَانَتْ وَصْلَتُهُ إِلَى ذَلِكَ مَفَاهِيمُهُ السَّامَّةُ، لَا سِيَّمَا مَفْهُومُ الْخَطِيئَةِ الَّذِي يَأْنِشَائِهِ تَمَكَّنَ مِنَ السِّيَادَةِ عَلَيْهَا (الْإِنْسَانِيَّةِ) بَلْ بِهِ حِيلَ يَبْنِيهَا وَالْعِلْمُ وَالثَّقَافَةُ وَالتَّبَالَةُ¹¹⁴⁷، إِذْ مَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ الْخَطِيئَةَ تُصَيِّرُ الْإِنْسَانَ جَزَعًا كَثِيبًا يَسْتَنْفِذُهُ الْأَسَفُ عَلَى اقْتِرَافِهِ مَا لَا يَرُوقُ لَهُ وَلَاغْيَارِهِ، مُتَرَدِّدًا فِي الْفِعْلِ، وَمُوجِسًا خِيفَةً مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ مُسْتَقْبَلًا، مُفَضِّلًا السُّكُونَ عَلَى الْحَرَكَةِ الْمُنْطَوِيَّةِ عَلَى احْتِمَالَاتِ الذَّنْبِ وَالسُّقُوطِ فِي فِتَنِ الْحَيَاةِ وَأَحَابِيلِ الْفِعْلِ.

¹¹⁴²EH, Trad. Éric Blondel, III, «GM». « La GM contient la première psychologie du prêtre ». Voir Georges Morel, Nietzsche : Genèse d'une œuvre, p. 185. Paul Valadier, Nietzsche et la critique du christianisme, p. 187 . Voir Paul Valadier, Nietzsche : l'athée de rigueur, p. 20. Jean-Jacques Forté, Judaïsme et modernité chez Nietzsche, p. 232.

¹¹⁴³Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 105.

¹¹⁴⁴AC, Trad. Henri Albert, § 24 : « C'est par cela même que les juifs sont le peuple le plus fatal de l'histoire universelle : dans leur influence ultérieure, ils ont tellement faussé l'humanité, qu'aujourd'hui encore le chrétien peut sentir d'une façon anti juive, sans se considérer comme la conséquence extrême du judaïsme ... ».

¹¹⁴⁵Ibid, § 12 : « Si l'on considère que chez presque tous les peuples le philosophe n'est que le développement du type sacerdotal, cet héritage du prêtre, ce faux-monnayage devant soi-même, ne surprend plus ».

¹¹⁴⁶Ibid, § 24 : « ... pour la catégorie d'hommes qui, dans le judaïsme et dans le christianisme, aspirent à la puissance, pour la catégorie sacerdotale, la décadence n'est qu'un moyen : ces hommes ont un intérêt vital à rendre l'humanité malade et à renverser dans un sens dangereux et calomnieux, la notion de « bien » et de « mal », de « vrai » et de « faux » ».

¹¹⁴⁷Ibid, § 46 : « Le péché, encore une fois, cette forme de pollution de l'humanité par excellence, a été inventé pour rendre impossible la science, la culture, toute élévation, toute noblesse de l'humanité ; le prêtre règne par l'invention du péché ».

تَفْصِيلاً لَهَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، لَيْسَ لِلْكَاهِنِ مِنْ مَنَفَذٍ لِلسِّيَادَةِ عَلَى الْجَمِيعِ إِذَنْ إِلَّا مَنَفَذٌ مُعْجَمِيَّةٌ الْوَهْمِ الَّتِي تَضْمَنُ لَهُ الرُّسُوحَ وَالْبُرُوعَ فِي اسْتِغْلَالِ بَاثُوسِي الرُّعْبِ وَالرَّهَبِ (الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ)؛ مِنْ هَذِي الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي تُخَاطَبُ فِي الْإِنْسَانِ خَشْيَتُهُ مِنَ الْفَنَاءِ مَفَاهِيمُ "الْآخِرَةِ" وَ"يَوْمِ الْفَصْلِ" وَ"خُلُودِ النَّفْسِ" بَلَّةُ الرُّوحِ عَيْنُهُ وَمَا هَاتِهِ كُلُّهَا سِوَى وَسَائِلٍ لِلتَّعْذِيبِ وَنَسَقٍ مِنَ الْفَسَادَةِ تَشْفُ عَمَّا فِي نَفْسِيَّتِهِ الْحَقُودِ مِنْ سَادِيَّةٍ¹¹⁴⁸.

لَا جَرَمَ، بِمُوجِبِ الدَّورِ الَّذِي اضْطَلَعَ الْكَهَنُوتُ الْيَهُودِيُّ بِهِ، أَلَّا يَنْتَصِرَ الْأَنْمُودُجُ الْعَبْدُ إِلَّا بِفَضْلِ الْكُهَّانِ الَّذِينَ لَهُمْ مِنْ أَقَانِينِ الْإِنْتِقَامِ مَا يَلْزَمُ لِإِعْزَاقِ الْقَوَى الْإِزْكَاسِيَّةِ مِنَ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ فِي الْعَدَمِيَّةِ، فَهُمْ الطَّائِفَةُ الَّتِي افْتَادَتْ غَرَائِزَ الْإِنْحِطَاطِ وَتَحَكَّمَتْ بِهَا وَجَنَحَتْ لَهَا وَانْحَاذَتْ إِلَيْهَا طَوَاعِيَةً؛ وَمَا سَاقَ الْكُهَّانَ إِلَى ذَلِكَ سِوَى الذِّكَاةِ الْعَمِيقِ لِغَرِيزَةِ الْبَقَاءِ الَّتِي تَمْتَعُوا بِهَا مِنْ دُونَ أَنْ تَكُونَ أَعْنَاقُهُمْ خَاضِعَةً لِتِلْكَمُ الْغَرَائِزِ السَّقِيمَةِ وَمَا نَزَوْهُمْ نَزْوَهَا وَنُصِرْتُهُمْ لَهَا إِلَّا لِتَكْهَنَتُهُمْ أَنْ فِي غَرَائِزِ الْإِنْحِطَاطِ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَكْفِي لِلْإِنْتِصَارِ بِهَا فِي مَعَارِكِهِمْ ضِدَّ الْعَالَمِ، وَلَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْنُضُوا فِي تَمْثِيلِ الْإِنْحِطَاطِ إِلَى تُخُومِ الْوَهْمِ دُونَ أَنْ يَكُونُوا مُنْحَطِينَ¹¹⁴⁹.

لَا جَرَمَ أَنْ تَقُومَ الْجِنِّيَّاتُ الْوَجْيًا عَلَى هُنَاكَ الْجَبَابِ عَنْ كَمَائِنِ وَمَكَامِنِ الْكَهَنُوتِ بَعْدَمَا تَسَرَّبَ فِي جِلِّ الْأَشْيَاءِ وَدِقِّهَا، بِأَدْيِهَا وَخَافِيهَا، ذَلِكَ أَنَّ الْكُهَّانَ لَا يُرَبِّتُونَ أَشْيَاءَ الْحَيَاةِ إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا حُضُورُهُمْ وَوُجُودُهُمْ لَا مَنَدُوحَةً عَنْهُ، فَلَا يَحْصُلُ مَا يَحْصُلُ مِنْ أَحْدَاثِ الْحَيَاةِ وَصُرُوفِهَا، مِنْ عَوَائِدِهَا وَخَطُوبِهَا، مِنْ وَلَادَةٍ وَزَوَاجٍ وَمَرَضٍ وَمَوْتٍ، إِلَّا وَيَطْهَرُونَ بَعْتَهُ كَطْفِيلَيْنِ كَيْمَا يَنْزِعُوا عَنْهَا طَابَعَهَا الْفِطْرِيَّ وَالطَّبِيعِيَّ، فَكَأَنَّ الْأَشْيَاءَ غَارِيَّةٌ مِنْ أَيِّ شَأٍ وَضُرُورَةٍ إِنْ لَمْ يَتَدَخَّلُوا لِيَخْلَعُوا عَلَيْهَا الْقَدَاسَةَ!¹¹⁵⁰

المَبْحَثُ الثَّانِي: التَّنْقِيبُ الْجِنِّيَّالُوجِيُّ عَنْ أَصُولِ الضَّمِيرِ: بَحْثٌ فِي الْأَسْبَابِ وَالْحَيْثِيَّاتِ

¹¹⁴⁸ AC, Trad. Henri Albert, § 38 : « les idées d'« au-delà », « jugement dernier », « immortalité de l'âme », l'«âme» elle-même : ce sont des instruments de torture, des systèmes de cruauté dont les prêtres se servirent pour devenir maîtres, pour rester maîtres... ».

¹¹⁴⁹ Ibid, § 24 : « —Psychologiquement parlant, le peuple juif est un peuple de la plus tenace force vitale. Transporté dans des conditions impossibles, il prend parti, librement, par une profonde intelligence de conservation, pour tous les instincts de décadence, non pas puisqu'il était dominé par eux, mais puisqu'il devinait en eux une puissance qui pouvait le faire aboutir contre le « monde ». Les juifs sont l'opposé de tous les décadents : ils ont dû les représenter jusqu'à l'illusion, ils ont su se mettre à la tête de tous les mouvements de décadence ».

¹¹⁵⁰ Ibid : « Dès lors toutes les choses de la vie sont ordonnées de telle façon que le prêtre devient partout indispensable. A tous les événements naturels de la vie, la naissance, le mariage, la maladie, la mort, pour ne pas parler du sacrifice (le repas), le parasite apparaît pour les dénaturer, pour les « sanctifier » dans sa langue... toute exigence inspirée par l'instinct de vie, en un mot, tout ce qui a sa valeur en soi, est déprécié par principe, rendu contraire à sa valeur, pour qu'après coup une sanction devienne nécessaire ».

(أ) الضَّمِيرُ وَالتَّغْزِيرُ بَيْنَ قَمْعِ الْإِنْسَانِ وَقَسْوَةِ الْاسْتِبْطَانِ وَالْإِخْلَالِ بِالذِّينِ

لَيْسَ بَدْعًا فِي فَلْسَفَةِ حُدُوسِهَا وَشُدُورِهَا تَنْزَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ إِلَى مَنَازِعَ مُتَبَايِنَةٍ أَنْ يَنْسَجَ الشَّرَاحُ تَأْوِيلَاتٍ مُخْتَلِفَةً عَنِ الضَّمِيرِ الشَّقِيّ؛ وَلَيْتَنَ ذَهَبَ روبرت سلومون Robert Solomon، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، إِلَى أَنَّهُ نَتِيجَةُ لِرَغْبَةِ الثَّأْرِ الْمَكْبُوتَةِ جَرَاءَ التَّعْدِي عَلَى تَقْدِيرِ الْإِنْسَانِ لِذَاتِهِ، فَإِنَّ جَايَ الْغَاتِ Guy Elgat يَعْتَرِضُ بِأَنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُ سِيكُولُوجِيَا الْاضْطِعَافِ شَيْئًا يَفْتَاتُ عَلَى الْعُضَبِ بَيْنَمَا هَذَا الْآخِرُ لَا يَضْطَلِعُ تَقْرِيْبًا بِأَيِّ دَوْرٍ مُهِمٍّ وَيَغِيبُ بِشَكْلِ خَاصٍ فِي تَفْسِيرِ تَمَرُّدِ الْعَبِيدِ وَتَكُونِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الرَّهْدِيّ¹¹⁵¹.

مِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ الْأَعْلَى تَوْضِيحٌ لَشَارِحٍ عَلَى الْبَيَانِ الَّذِي قَيَّضَهُ نِيَتَشْهُ نَفْسُهُ لِهَذَا الْمَفْهُومِ الْأَسَاسِيِّ فِي سِيرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ الْمُعْنُونَةِ بِـ "هُوَ ذَا الْإِنْسَانِ"، إِذْ أَعْرَبَ: "يُقَدِّمُ الْمَبْحَثُ الثَّانِي عِلْمَ نَفْسِ الضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ لَيْسَ "صَوْتُ اللَّهِ فِي سِرَائِرِنَا"، كَمَا نَتَخَيَّلُ، بَلْ عَرِيزَةُ الْقَسْوَةِ الْمُرْتَدَّةِ إِلَى الْبَاطِنِ حَالَهَا تَعْجُزُ عَنِ الْأَنْفِجَارِ فِي الْخَارِجِ. غَرَضَتِ الْقَسَاوَةُ هُنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَأَحَدِ أَسْوَاقِ الْحَضَارَةِ الْأَمْضَى قَدَمًا وَالْأَشَدَّ ضُرُورَةً¹¹⁵²". مَا يَعْنِي أَنَّ الضَّمِيرَ الشَّقِيّ يَنْشَأُ مِنْ عَرَائِزٍ عَنِيْفَةٍ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَجِدَ لَهَا مُتَنَفِّسًا وَمَخْرَجًا فِي الْعَالَمِ؛ أَيْ حَيْدَ بَيْنَهَا وَالتَّجَلِّيَةِ الْبَرَانِيَّةِ فِي بَرَاكِ الْوُجُودِ، فَإِذَا بِهَا تَنْسَجِبُ الْقَهْقَرَى، كَرُهَا لَا طَوْعًا، إِلَى الْعَالَمِ الْجَوَانِي الَّذِي اتَّخَذَتْهُ مِنْ حِينِهَا مَحَلًّا لِلْفَاعِلِيَّةِ الْوَعْيَانِيَّةِ.

وَفِي طَيَّاتِ الْجَوَانِيَّةِ يَتَفَتَّقُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ حِيَالِ الذَّاتِ وَالْجَمَاعَةِ مَا دَامَتِ الْبَرَانِيَّةُ بِوَصْفِهَا تَقْرِيْبًا لِلْعَرَائِزِ مَذْمُومَةً وَمُدَانَةً بَلْ مُعَاقَبَةً عَلَيْهَا مِنْ لَدُنِ الْجَمَاعَةِ، وَلَقَدْ نَطَقَتِ الدَّلَائِلُ التَّارِيخِيَّةُ حَسَبَ نِيَتَشْهُ بِمُرافَقَةِ ظَاهِرَةِ الضَّمِيرِ لِلْبَشَرِيَّةِ مُذْ أَقْدَمَ عُصُورَهَا، مَا يَجْعَلُهَا طَابَعًا مُمَيَّزًا لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْبَدَائِيَّةِ حَيْثُ تَأْنِيْبُ الضَّمِيرِ لَا يَرْجِعُ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي أَرْمَتِنَا الْحَدِيثَةِ إِلَى أَشْيَاءَ مُدَانَةٍ اسْتَقْبَحَهَا الْإِنْسَانُ بِمِلْءِ حُرِيَّتِهِ وَعَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ؛ مَا يَعْنِي أَنَّ تَبَكُّيْتَ الضَّمِيرِ هَهُنَا وَلَدَ مَعَانِيهِ فِي أَفْقِ الذَّاتِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَعُودُ إِلَى سُلُوكَاتٍ تُرْتَكَبُ فِي أَفْقِ الْجَمَاعَةِ.

ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ حِينَئِذٍ كَانُوا نَزَّاعِينَ إِلَى الْجَمَاعَةِ (الْقَبِيلَةِ) وَكَانَ الْإِنْقِيَادُ لِعَوَائِدِهَا، وَقَانُونِهَا أَمْرًا سَلِيْقِيًّا دُونَمَا أَنْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْهَا حَرَجًا وَعَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ كَانَ التَّفَكُّيرُ وَالسُّلُوكُ الْنَاطِقَانِ مِنْ حُرِيَّةِ الْمَرْءِ

¹¹⁵¹Guy Elgat, Nietzsche's psychology of Ressentiment : Revenge and Justice in On the Genealogy of Morals, Routledge, 2017, p. 28 : « ... arises out of the frustrated desire to take revenge for one's wounded self-esteem ... the psychology of resentment parasitic on the psychology of anger » See Ibid p29 : « anger plays almost no significant role in the Genealogy and is especially absent from Nietzsche's explanation of the slave revolt and the formation of the ascetic ideal ».

¹¹⁵²EH, Trad. Éric Blondel, Pourquoi j'écris de si bons livres : « La deuxième dissertation donne la psychologie de la conscience : celle-ci n'est pas, comme on aime à le croire, « la voix de Dieu en l'homme », — c'est l'instinct de cruauté qui se retourne contre lui-même, une fois qu'il ne peut plus se décharger vers l'extérieur. La cruauté mise ici pour la première fois en lumière comme l'un des soubassements les plus anciens et les plus inévitables de la civilisation ». In Œuvre, Edition Flammarion.

وَفَرَادَتِهِ مُفْتَرَيْنِ بِتَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ وَمُوجِبَيْنِ مِنْ مُوجِبَاتِهِ وَكَلَّمَا أَضَرَ الْفَرْدُ بِالْقَطِيعِ سَبَبَ لَهُ وَخَزَ الضَّمِيرِ حَتَّى لَيْطَالَ ذَلِكَ الْوَخْزَ الْجَمَاعَةَ ذَاتَهَا¹¹⁵³. فِي تِلْكَ الْأَزْمَةِ لَمْ يَكُنْ مَتَاحًا لِلضَّمِيرِ فِي سِيَاقِ أَخْلَاقِيَّاتِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَكُونَ مُرْتَاحًا وَنَابِضًا مَا لَمْ يَتَخَلَّ عَنِ الذَّاتِ وَيَسْتَعِيزُ عَنْهَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَبَدَلًا مِنْ إِرْضَاءِ الذَّاتِ وَإِمْتَاعِهَا، يُرْضِي الْقَطِيعَ¹¹⁵⁴. لَمْ يَخَفْ عَلَى نِيْشِهِ مَا لِلضَّمِيرِ مِنْ تَثْبِيْطٍ لِلْإِرَادَةِ، صَدَّ عَنِ الْوُجُودِ وَارْهَاقِ لِكَاھِلِ الْفَرْدِ وَاسْتِنْفَادِ لِحَوْلِهِ وَوُسْعِهِ، لِذَلِكَ لَمْ يَرِ بُدًّا مِنْ انْتِثَاقِ إِنْسَانِيَّةِ بَرِيَّةٍ نَقِيَّةٍ الطَّوِيَّةِ تَنْدَفِعُ فِي مَسَالِكِ الْحَيَاةِ وَكُلُّهَا ثِقَةٌ وَجُمُوحٌ، لَكِنْ ذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ مِنْ ضَمِيرِهِ الْمُعَذِّبِ كَيْ يَتِمَكَّنَ حَقِيقَةً مِنْ أَنْ يُمَحِضَ الْوُدَّ لِنَفْسِهِ وَكُلِّ مَا هُوَ أَرْضَى¹¹⁵⁵.

مَا يَسْعَى نِيْشُهُ إِلَيْهِ فِعْلًا لَيْسَ سِوَى الْإِنْتِهَامِ بِالذَّاتِ وَالْعِنَايَةِ بِهَا وَوُصْلَتُهُ إِلَى ذَلِكَ إِشْبَاعُ رَغَبَاتِهَا الْأَنَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُجَسَّ بِالْإِثْمِ وَتَبْكِيَتِ الضَّمِيرِ¹¹⁵⁶ الَّذِي مِنْ دَأْبِهِ أَنْ يُرْهَقَ كَوَاهِلَ الْمُفَكِّرِينَ الْأَخْرَارِ وَضَمَائِرَ الْإِلَاحِيَّاتِ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدِينُونَ بِقِيَمِ أَخْلَاقِيَّةٍ مُغَايِرَةٍ وَمُنَاقِصَةٍ لِلْأَخْلَاقِ الَّتِي سَادَتْ إِلَى حَدِّ الْآنِ¹¹⁵⁷. ذَلِكَ أَنَّ الْأَخْلَاقَ بَعَامَةً، بِمَا فِي ذَلِكَ أَخْلَاقِيَّةُ الْعَادَاتِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْبُدَائِيَّةِ، جَرَتْ عَلَى

¹¹⁵³GS, Trad. Henri Albert, § 117 : « Dans les temps les plus reculés de l'humanité et pendant la période la plus longue, il y eut un remords bien différent de celui [que l'on voit] de nos jours. Aujourd'hui l'on ne se sent responsable que de ce que l'on veut et de ce que l'on fait, et la fierté ne vient que de ce que l'on a en soi : tous nos juristes partent de ce sentiment de dignité et de plaisir propre à l'individu, comme si de tous temps la source du droit en avait jailli. Mais, pendant la période la plus longue de l'humanité, il n'y eut rien de plus terrible que de se sentir isolé. Être seul, sentir [à sa propre manière], ni obéir ni dominer, [représenter] un individu — ce n'était point alors un plaisir mais une punition ; on était condamné à être « individu ». La liberté de penser était regardée comme le déplaisir par excellence. Tandis que nous ressentons la loi et l'ordonnance comme une contrainte et un dommage, on considérait autrefois l'égoïsme comme une chose pénible, comme un véritable mal... Tout ce qui nuisait au troupeau, que l'individu l'eût voulu ou non, lui causait alors des remords — et non seulement à lui, mais encore à son voisin, oui même à tout le troupeau ! ».

¹¹⁵⁴APZ, Trad. Henri Albert, I, Mille et un buts : « Les créateurs furent d'abord des peuples et plus tard seulement des individus. En vérité, l'individu lui-même est la plus jeune des créations... Le plaisir du troupeau est plus ancien que le plaisir de l'individu. Et tant que la bonne conscience s'appelle troupeau, la mauvaise conscience seule dit : Moi. En vérité, le moi rusé, le moi sans amour qui cherche son avantage dans l'avantage du plus grand nombre : ce n'est pas là l'origine du troupeau, mais son déclin ».

¹¹⁵⁵Ibid, II, De l'immaculée connaissance : « Vous aimez aussi la terre et tout ce qui est terrestre : je vous ai bien devinés ! — mais il y a dans votre amour de la honte et de la mauvaise conscience, — vous ressemblez à la lune ».

¹¹⁵⁶A, Trad. Henri Albert, § 148 : « Mais en contrepartie nous rendons aux hommes le bon courage pour les actions décriées comme égoïstes et nous en rétablissons ainsi la valeur, — nous leur enlevons la mauvaise conscience ! ».

¹¹⁵⁷Ibid : « Il semble qu'actuellement, sous différents noms erronés qui induisent en erreur et le plus souvent avec un grand manque de netteté, ceux qui ne se sentent pas attachés aux mœurs et aux lois établies fassent les premières tentatives pour s'organiser et pour se créer ainsi un droit : tandis que jusqu'à présent tous les criminels, les libres penseurs, tous les hommes immoraux et scélérats vivaient décriés et hors la loi, dépérissant sous le poids de la mauvaise conscience. On devrait, somme toute, approuver cela et le trouver bien, quoique le siècle à venir y perde en sécurité et qu'il faudra peut-être que chacun prenne son fusil sur l'épaule : - ne fût-

النَّظَرُ إِلَى كُلِّ عَقْلٍ فَرِيدٍ وَطَمُوحٍ مُتَشَبِّهِ بِإِرَادَةِ مَهْدُودَةٍ وَتَفَكِيرٍ بَدِيعٍ عَلَى أَنَّهُ مَكْمَنُ الشَّرِّ وَالْخُطُورَةِ بَلْ مَا كَانَ لِهَذِي الْعُقُولِ الْمُتَمَيِّزَةِ عَنِ النُّظَرَاءِ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ نَفْسُهَا كَذَلِكَ وَأَنْ تُصَدِّقَ النَّظَرَةَ الشَّرَّاءَ الَّتِي تَخْصُصُهُمْ بِهَا مُجْتَمَعَاتُهُمْ ، مَا يَحْزُرُ فِي نَفُوسِهِمْ ؛ وَذَلِكَ مَا يُسَبِّبُ فِيهِمْ شَقَاءَ الضَّمِيرِ¹¹⁵⁸ .

لَكِنْ لَيْسَ لَنَا مَهْرَبٌ عَنْ سُؤَالٍ لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نَطْرَحَهُ هَهُنَا: أَتَى أَنْ تَتَحَوَّلَ غَرَائِزُ الْمُفْتَدِرِينَ ، عَلَى مَا فِي جُسُومِهِمْ مِنْ بَاسٍ وَنَفُوسِهِمْ مِنْ عَافِيَةٍ ، إِلَى شُعُورٍ مَهِينٍ ، إِلَى تَبَكُّيْتِ ضَمِيرٍ ؟ لَا يَلْتَزِمُ نِيَّتُهُ بِإِجَابَةِ وَاحِدَةٍ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ وَإِنَّمَا يُفَصِّلُ لَنَا إِجَابَاتٍ مُتَفَرِّقَةً ، مُتَبَايِنَةً ؛ تَارَةً يُجِيبُ بِأَنَّ الْغَرَائِزَ تَسْتَحِيلُ ، تَحْتَ وَطْأَةِ اللَّوْمِ الَّذِي أَثْقَلَتْهَا بِهِ الْعَوَائِدُ ، إِلَى إِحْسَاسٍ مَهِينٍ ، حِينَ كَبَّتْ وَقَمِعَ ، بِالْجُبْنِ مَا وَلَدَ ضَمِيرًا بَاسًا مُعَذَّبًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ الْغَرَائِزِ فِي مَحْضِهَا لَيْسَتْ فِي شَيْءٍ مِنَ الضَّمِيرِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَلَا يُصَاحِبُهَا الرِّضَا وَلَا السَّخَطُ¹¹⁵⁹ .

نَبْسُطُ فِيمَا سَيَعْقُبُ مِنْ فِقرَاتِ الْأَصُولِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِلضَّمِيرِ الشَّقِيِّ كَمَا اسْتَظْهَرَهَا نِيَّتُهُ فِي الْجِنْيَالُوجِيَا بَدْءًا بِتَوْضِيحِ ذَلِكَ الْأَصْلِ الَّذِي أَخَذَ صُورَةَ عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ حَيْثُ نَشَأَ هَذَا الضَّمِيرُ الشَّقِيُّ مِنْ إِخْلَالِ الْمَرْءِ بِالذِّينِ فِي سِيَاقِ عِلَاقَةِ الدَّائِنِ بِالْمَدِينِ¹¹⁶⁰ وَذَلِكَ فِي وَضْعٍ مُجْتَمَعِيٍّ يَقُومُ تَقْدِيرُ الْإِنْسَانِ مِنْ عَدَمِهِ عَلَى التِّزَامَاتِهِ وَإِيفَائِهِ بِوَعُودِهِ وَعُهُودِهِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ فِي نَشَأَتِهِ غَيْرَ شُعُورٍ يَعْكُسُ بِقَدَرٍ كَبِيرٍ النَّدَمَ وَالْعَجْزَ عَنْ وَفَاءِ الْإِنْسَانِ بِالتِّزَامَاتِهِ ثَجَاهَ دَائِنٍ مُعَيَّنٍ¹¹⁶¹ أَكَانَ قَرْدًا ، أَمْ جَمَاعَةً ، أَمْ سَلَفًا صَالِحًا ، أَمْ آلِهَةً .

ce que pour qu'il y ait une puissance d'opposition qui rappelle toujours qu'il n'y a pas de morale absolue et exclusive, et que toute moralité qui s'affirme à l'exclusion de toute autre détruit trop de force vive et coûte trop cher à l'humanité... il faut qu'un poids énorme de mauvaise conscience soit Supprimé du monde... ».

¹¹⁵⁸A, Trad. Henri Albert, § 9 : « Toute action individuelle, toute façon de penser individuelle font frémir; il est tout à fait impossible de déterminer ce que les esprits rares, choisis, primesautiers, ont dû souffrir au cours des temps à être ainsi toujours considérés comme mauvais et dangereux, bien plus, à s'être toujours eux mêmes considérés ainsi. Sous la domination de la moralité des mœurs, toute espèce d'originalité avait mauvaise conscience ».

¹¹⁵⁹Ibid, § 38 : « Les instincts transformés par les jugements moraux. — Le même instinct devient un sentiment pénible de lâcheté, sous l'impression du blâme que les meurs ont fait reposer sur lui : ou bien un sentiment agréable d'humilité, si une morale, telle que la morale chrétienne, l'a pris à cœur et l'a appelé bon. Ce qui signifie que cet instinct jouira soit d'une bonne, soit d'une mauvaise conscience! En soi, comme tout instinct, il est indépendant de la conscience, il ne possède ni un caractère, ni une désignation morale, et n'est pas même accompagné d'un sentiment de plaisir ou de déplaisir déterminé : il ne fait qu'acquiescer tout cela, comme une seconde nature, lorsqu'il entre en relation avec d'autres instincts qui ont déjà reçu le baptême du bien et du mal, ou si l'on reconnaît qu'il est l'attribut d'un être que le peuple a déjà déterminé et évalué au point de vue moral ».

¹¹⁶⁰GM, Trad. Henri Albert, II, § 5-8.

¹¹⁶¹David Owen, Nietzsche's Genealogy of Morality, First published In 2007, by Acumen, p. 108 : « The sense of guilt is "a highly reflexive feeling of regret or inadequacy at failing to honour one's obligations, which one

وَلَكِنْ لَنْ يَفُوتَنَا تَسْلِيْطُ الْأَنْوَارِ عَلَى أَصْلِ آخَرٍ لِلضَّمِيرِ الشَّقِيِّ الَّذِي يَأْتِي لِيُعَزِّزَ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ وَيُضْفِي عَلَيْهِ تَمَاسُكًا غُضُوبِيًّا وَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي اتَّخَذَ صُورَةَ عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْمُجْتَمَعِ أَيْنَ يُولَدُ الضَّمِيرُ الشَّقِيُّ مِنْ أَلِيَةِ الْعِقَابِ الَّتِي وَظَفَتْهَا الْجَمَاعَةُ فِي بَدَايَاتِهَا الْحَضَارِيَةِ الْأُولَى ضِدَّ كُلِّ فَرْدٍ لَا يَفِي بِالْإِزَامَاتِهِ وَوَعُودِهِ الَّتِي قَطَعَهَا عَلَيْهَا. وَمَعَ أَنَّهَا تُقَاقِمُ قَسْوَةَ الْإِنْسَانِ وَتُوطِّدُ مُقَاوَمَتَهُ مِنْ جَانِبٍ¹¹⁶² ، فَإِنَّهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ تَزِيدُ مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّعَقُّلِ وَالْإِمْسَاكِ بِزَمَانِ الرِّغَبَاتِ الْمُتَفَلِّتَةِ ، وَبِاخْتِصَارٍ إِنَّهَا تُرَوِّضُ الْإِنْسَانَ¹¹⁶³ . وَهُوَ مَا انْتَهَى إِلَى إِضْعَافِ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَإِنْهَاكِ غَرَائِزِهِ الَّتِي أُجْبِرَتْ عَلَى الْإِنْكَهَاشِ تَحْتَ وَطْأَةِ الْعِقَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ مِنْ حَيَثُورَةِ بَرَانِيَّةٍ وَثَقُلِ الضَّمِيرِ مِنْ حَيَثُورَةِ بَاطِنِيَّةٍ بِوَصْفِهِ نَتِيجَةً لِلْحَيَثُورَةِ الْأُولَى.

وَلَنْ نَقِفَ عَلَى مَائِيَّةِ الضَّمِيرِ فِي جُلِّ أَصُولِهِ وَطَرَائِقِهِ مَا لَمْ نَأْتِ إِلَى بَيَانِ أَصْلِ ثَالِثٍ اتَّخَذَ صُورَةَ عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْآلِهَةِ حَيْثُ نُقِلَ الشُّعُورُ بِالذِّينِ مِنْ مَجَالِهِ السُّوسُوبِيِّ اقْتِصَادِيٍّ إِلَى مَجَالِ لَاهُوتِيٍّ أَيْنَ ظَلَّ الْإِنْسَانُ مَدِينًا لِلْآلِهَةِ مَسْخُولَ الْإِرَادَةِ وَمُقَيَّدَ الْحُرِّيَةِ يُكْرِسُ حَيَاتَهُ لِتَسْدِيدِ دَيْنٍ مِيتَافِيزِيْقِيِّ لَا قَبْلَ لَهُ بِرَدِّهِ وَفِي ذَلِكِ الْعَجْزِ بِالْإِيْفَاءِ بِحَقِّ الْآلِهَةِ يَبْزُرُ إِلَى الْوُجُودِ ضَمِيرًا شَقِيًّا لَا يَنْفَدُ لَهُ مَعِينٌ.

مِمَّا حَشَدَتْ الْحَيَثُورَاتُ لَهَا الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ النَّاطِقَةُ إِثْبَاتُ أَنَّ الْوَعْيَ الشَّقِيَّ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَلَا مُنْجَمًا ؛ وَإِنَّهَا هُوَ عَلَى غِرَارِ الْمَفَاهِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ طَرًّا مَوْلُودٌ مِنْ رَحِمِ التَّارِيخِ فِي حَيَثُورَاتِهِ وَمُلَابَسَاتِهِ وَعَلَيْهَا يَتَوَقَّفُ فِي تَطَوُّرِهِ أَوْ تَقَهُّقَرِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا مَرِيَّةَ مِنْ تَوَسُّلِهِ آيَاتٍ مُعَيَّنَةٍ بِهَا يَذِيعُ وَيَتَرَسَّخُ ؛ وَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي أُوقِعَتْ الْإِنْسَانُ فِي مَهْلِكِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ نَلْفِي آيَةِ الْاسْتِبْطَانِ الَّتِي بِهَا تُفْصَلُ الْقَوَى عَنْ مُسْتَطَاعِهَا وَبِهَا تُحْمَلُ عَلَى الْإِنْقِلَابِ مِنْ فَسَاحَةِ الْعَالَمِ إِلَى شَرْقَةِ الْبَاطِنِ وَمِنْ مُصَالِحَةِ الذَّاتِ إِلَى مُعَادَاتِهَا ، إِذْ بَدَلُ أَنْ تُفَرِّغَ غَرَائِزَهَا فِي الْعَالَمِ ، تَرْتَدُّ إِلَى الدَّخْلِ وَتَتَفَجَّرُ بَاطِنِيًّا¹¹⁶⁴ فِي صُورِ سَلْبِيَّةٍ بِالْعَةِ الضَّرَرِ.

وَلَا يَنْجُمُ مِنْ ذَلِكَ حَسَبَمَا أَسْفَرَتْ فُحُوصُ الْحَيَثُورَاتِ سِوَى إِحْسَاسٍ بِالذَّنْبِ ، وَلَا يَفْعَلُ الْإِحْسَاسُ بِالذَّنْبِ إِلَّا مُضَاعَفَةً فَصَلِ الْأَنْمُودَجِ السَّيِّدِ ، الَّذِي اعْتَادَ عَلَى حَيَاةٍ مُتَوَحِّشَةٍ وَعَلَى الْحَرْبِ وَالْمُغَامَرَةِ ، عَنْ نَشَاطِهِ الْاِقْتِدَارِيِّ. وَبَدَلُ أَنْ يَسْتَرْشِدَ بِغَرَائِزِهِ كَمَا كَانَ دَبْدَنُهُ ، فَقَدْ اسْتَحَالَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّغْطِيلِ إِلَى الْاِهْتِدَاءِ فَقَطُ بَوْعِيهِ مُرْتَدًّا إِلَى طَوِيَّتِهِ ، مُمَعِّنًا فِي ذِمَّتِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا الْوَعْيُ فِي بَاصِرَةٍ نَبْشِيَّةٍ إِلَّا أَضْعَفَ أَعْضَائِهِ وَأَقْلَلَهَا مَهَارَةً ، وَلَا يُفْضِي ذَلِكَ إِلَّا إِلَى مَنَعِ غَرَائِزِهِ مِنَ التَّحَرُّرِ وَالْإِنْفِجَارِ فِي الْخَارِجِ. وَحَيْثُمَا تَوْبُ الذَّاتِ إِلَى الْبَاطِنِ وَتَوُضُّ الْغَرَائِزُ إِلَى الدَّخِيلَةِ ، يَحْدُثُ انْفِصَالٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَغَرَائِزِهَا الْحَيَوِيَّةِ ، فَيُودَّ إِلَى نَمَاءٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ لِ "النَّفْسِ" وَنَضْحَمُ مَرَضِيٍّ لِلْجِهَازِ الْفِكْرِيِّ¹¹⁶⁵ .

accepts, to a 'creditor'. See, Simon May, Nietzsche's Ethics and his War on "Morality", Oxford, 1999, Clarendon Press, p. 57.

¹¹⁶²GM, Trad. Henri Albert, II, § 14.

¹¹⁶³Ibid, II, § 15.

¹¹⁶⁴Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, pp. 146-147.

¹¹⁶⁵Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, pp. 433-434.

لَقَدْ كَانَ الْعَالَمُ الدَّاخِلِيُّ لِلإِنْسَانِ الْبَدَائِيِّ ضَعِيفًا غَايَةً الصَّالَةِ بِسَبَبِ الْاِئْتِمَارِ بِغَرَائِزِهِ الثَّانَاتُوسِيَّةِ وَالْأَيُّوسِيَّةِ ، لَكِنَّهُ مَعَ تَشْيِيدِ الدُّوَلِ اسْتُحْدِثَتْ زَوَاجِرٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَفْهُومُ الْعِقَابِ ، فَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى انْقِلَابِ غَرَائِزِهِ الْعُدْوَانِيَّةِ وَالْقَاسِيَّةِ وَالْمُضْطَهَّدَةِ ، مِنْ قَسْوَةٍ وَمُتْعَةٍ مُطَارِدَةٍ الْأَعْدَاءِ ، عَلَيْهِ . وَلَمْ تَكُنْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ إِلَّا مِيلَادُ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ أَوْ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ ، وَعَدَا الْإِنْسَانُ الْمُتَوَحِّشُ ، فِي ظِلِّ غِيَابِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَقَاوِمَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَتَحْتَ وَطْأَةِ الْعَوَائِدِ الْجَارِيَةِ الْخَائِفَةِ ، فَرِيسَةً لِلتَّمَرُّقِ وَالْاضْطِهَادِ وَالتَّدْمُرِ وَالرُّوْعِ وَالْإِذْلَالِ . فِي طَيَّاتِ هَذَا كُلِّهِ أَصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَرَضٍ تَبَكَّيْتُ الضَّمِيرُ مِنْ حَيْثُ هُوَ قَسَاوَةٌ مُنْقَلِبَةٌ عَلَى (ضِدِّ) الذَّاتِ ¹¹⁶⁶ ، وَأَصْبَحَ جَلَادًا لَا يَنْبِي عَنْ تَغْذِيبِ نَفْسِهِ ، وَاتَّخَذَتْ إِرَادَتُهُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةً لَهَا وَهُوَ دَا مَا سَمَاهُ نِيَشَهُ بِالضَّمِيرِ الشَّقِيِّ ¹¹⁶⁷ الَّذِي ابْتَدَعَهُ الْإِنْسَانُ كَيْ يُلْحِقَ الْأَذِيَّةَ بِذَاتِهِ مَا إِنْ قُطِعَتْ الطَّرُقُ الطَّبِيعِيَّةُ عَلَى رَغْبَتِهِ فِي الْإِسَاءَةِ لِلْأَغْيَارِ ¹¹⁶⁸ .

لَشَدَّ مَا أَبَاتَتْ الْحَيْنِيَالُوجِيَا أَنَّ الضَّمِيرَ يَمْشِي جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ الْاِئْتِقَامِ مِنَ الذَّاتِ وَقَدْ كَانَتْ وَسِيلَةً الْإِنْسَانِ إِلَى ذَلِكَ مَفَاهِيمَ الْإِنْكَارِ وَالزُّهْدِ وَالتَّضَحِّيَةِ بِالذَّاتِ ¹¹⁶⁹ ، مِنْ حَيْثُ هِيَ مُثُلٌ عَلِيَا ، بَيْنَمَا هِيَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ أَمْرَاضٍ ¹¹⁷⁰ . وَمَا عَنَاءُ الْإِنْسَانِ وَشَقَائِهِ إِلَّا عَاقِبَةُ عَنِيفَةٍ لَا تَقْطَعُهُ عَنْ مَاضِيهِ السَّبْعِيِّ وَنَفْسِهِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، وَنَتِيجَةُ لِلْحَرْبِ الْمُغْلَنَةِ عَلَى الْغَرَائِزِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ تُؤَلِّفُ إِلَى الْيَوْمِ قُوَّتَهُ وَبَهْجَتَهُ وَطَبْعَهُ الْمُرْعَبَ ، وَحَصِيلَةُ لِسُقُوطِهِ فِي هَاوِيَةِ أَوْضَاعٍ جَدِيدَةٍ فِي قَلْبِ طُرُوفٍ وَجُودٍ جَدِيدَةٍ ¹¹⁷¹ .

¹¹⁶⁶ Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, p. 261.

¹¹⁶⁷ GM, Trad. Henri Albert, II, § 18-22.

¹¹⁶⁸ Ibid, § 22.

¹¹⁶⁹ Paul-Laurent Assoun, Freud et Nietzsche, PUF, p. 215.

¹¹⁷⁰ Simone Goyard-Fabre, Nietzsche et la conversion métaphysique, Edition la Pensée Universelle, 1972, p. 195.

¹¹⁷¹ GM, Trad. Henri Albert, II, § 16 : « Je considère la mauvaise conscience comme le profond état morbide où l'homme devait tomber sous l'influence de cette transformation, la plus radicale qu'il ait jamais subie, — de cette transformation qui se produisit lorsqu'il se trouva définitivement enchaîné dans le carcan de la société et de la paix... ces demi-animaux si bien accoutumés à la vie sauvage, à la guerre, aux courses vagabondes et aux aventures, — virent soudain tous leurs instincts avilis et « rendus inutiles »... dans ce monde nouveau et inconnu ils n'avaient pas leurs guides d'autrefois, ces instincts régulateurs, inconsciemment infaillibles, — ils en étaient réduits à penser, à déduire, à calculer, à combiner des causes et des effets, les malheureux ! ils en étaient réduits à leur « conscience », à leur organe le plus faible et le plus maladroit ! Je crois que jamais sur terre il n'y eut pareil sentiment de détresse, jamais malaise aussi pesant ! —...Tous les instincts qui n'ont pas débouché, que quelque force répressive empêche d'éclater au-dehors, retournent en dedans — c'est là ce que j'appelle l'intériorisation de l'homme : de cette façon se développe en lui ce que plus tard on appellera son « âme ». Tout le monde intérieur, d'origine mince à tenir entre cuir et chair, s'est développé et amplifié, a gagné en profondeur, en largeur, en hauteur, lorsque l'expansion de l'homme vers l'extérieur a été entravée. Ces formidables bastions que l'organisation sociale a élevés pour se protéger contre les vieux instincts de liberté — et il faut placer le châtiment au premier rang de ces moyens de défense — ont réussi à faire se retourner tous les instincts de l'homme sauvage, libre et vagabond — contre l'homme lui-même. La rancune, la cruauté, le besoin de persécution — tout cela se dirigeant contre le possesseur de tels instincts : c'est là

وهذا يؤمئذ إلى أن الحياة الروحية لم تظهر إلا إثر قمع للحياة بوصفها غرائز مُجَلِّية، أي أن الروح ما هو في المنتهى إلا نتيجة كبح واستبطان إرادة الإقذار الحرة، باعتبارها استوساعاً حيويًا، ما حال دونها والانسباط الوجودي في آفاق العالم، وبموجب ذلك فالروح تعبير عن مرض الحياة¹¹⁷² لا يني جهداً في الإضرار بعافيتها وغنقوانها.

ولم يقنع إنسان الضمير الشقي بهذا التنكيل وإنما تجاوزته إلى الاستيلاء على قرصية دينية كي يبلع بعذابه الشخصي إلى درجة مُرعبة من الشدة والحدة والغلظة وما هذي القرصية الدينية إلا فكرة الدين تجاه الرب¹¹⁷³ التي اتخذها أداة للتغذيب، لا سيما أن الإنسان ذا الضمير المؤنب لم يفهم الرب إلا كمقابل للغرائز التي عدها استعداءً وتمردًا وعصياناً لله والسيد والأب والسلف وبداية العالم ومبدئه¹¹⁷⁵، وفوق ذلك خلع على ما هو خارج عنه كل أنواع النقي وكل ما يدفع به لتفني الذات والطبيعة ابتغاءاً منه لإثبات الله، الله الحق والعدل والمعاقب وإثبات الآخرة والجحيم والعذاب الأبدي والذنب والعقاب العظيمين. فمقدار ما يجعلها كيانات موجودة بالفعل، يُنكر على ذاته والعالم الوجود الحقيقي.

جهر البسط السابق لمفهوم الضمير الشقي بأنه غريزة القسوة¹¹⁷⁶ المنقلبة على الذات، لذلك فإنسان الضمير الشقي مصاب بجنون الإرادة المتجسد في القساوة النفسية التي لا نظير لها، إنه نوع من الإرادة في أن يلقي الإنسان نفسه مذنباً ومنبوذاً من جانب، إلى قدر يكون فيه التكفير عن الذنب مستحيلًا، ومُعاقباً من جانب آخر ولو كان العقاب أشد من قدر الذنب، ومُعَفِّيًا ومُسَمِّمًا من جانب ثالث للمغزى العميق للأشياء بمشكلة الذنب والعقاب¹¹⁷⁷.

l'origine de la « mauvaise conscience ». L'homme qui par suite du manque de résistances et d'ennemis extérieurs, serré dans l'étau de la régularité des mœurs, impatientement se déchirait, se persécutait, se rongait, s'épouvantait et se maltraitait lui-même... Mais alors fut introduite la plus grande et la plus inquiétante de toutes les maladies, dont l'humanité n'est pas encore guérie aujourd'hui, l'homme malade de l'homme, malade de lui-même : conséquence d'un divorce violent avec le passé animal, d'un bond et d'une chute tout à la fois, dans de nouvelles situations, au milieu de nouvelles conditions d'existence, d'une déclaration de guerre contre les anciens instincts qui jusqu'ici faisaient sa force, sa joie et son caractère redoutable ».

¹¹⁷²GM, Trad. Henri Albert, II, § 17, Voir Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 437.

¹¹⁷³في ترجمة هنري ألبير فريضة تجاه الرب أو حق الله أو واجب تجاه الله obligation envers dieu.

¹¹⁷⁴Sarah Kofman, Nietzsche et la scène philosophique, p. 189. Voir Simone Goyard-Fabre, Nietzsche et la conversion métaphysique, p. 195.

¹¹⁷⁵GM, Trad. Henri Albert, II, § 22 : « Il saisit en « Dieu » les derniers contrastes qu'il peut imaginer à ses propres instincts animaux irrémisibles, il transmue ces instincts mêmes en fautes envers Dieu (hostilité, rébellion, révolte contre le « maître », le « père », l'ancêtre et le principe du monde) ». Voir Georg es Morel, Nietzsche : Analyse de la maladie, p. 157.

¹¹⁷⁶Simone Goyard-Fabre, Nietzsche et la conversion métaphysique, p. 195.

¹¹⁷⁷GM, Trad. Henri Albert, II, § 22.

استثنافاً وتَفْصِيلاً لِمَا تَقَدَّمَ إِيْرَادُهُ ، أَبَانَتْ الْجِنْيَالُوجِيَا عَنْ حُطُورَةِ ظَاهِرَةِ انْقِلَابِ الْقَوَى الْفَاعِلَةِ عَلَى غَرَائِزِهَا ، تِلْكَمُ الْقَوَى الَّتِي تَتَجَسَّدُ فِي الْأَقْوِيَاءِ ، الْغَزَاةِ ، الْوُحُوشِ الْمُفْتَرِسَةِ الشَّقَرَاءِ الَّذِينَ مَا انْفَكُّوا عَنْ مُمَارَسَةِ الْعُنْفِ وَتَشْكِيلِ الْعَالَمِ عَلَى نَحْوٍ لَا إِرَادِيٍّ وَلَاوَاعٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشُوبَ سَرَائِرَهُمْ إِحْسَاسٌ بِالذَّنْبِ وَلَا شُعُورٌ بِالْمَسْئُولِيَّةِ وَلِذَلِكَ صَفِيَتْ دَخِيلَتُهُمْ مِنْ بَرَاثِنِ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ¹¹⁷⁸ .

مَعَ مِيلَادِ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ مِنْ رَجَمِ الْاسْتَبْطَانِ (الارتداد إلى الباطن) مَا انْفَكَّ الْإِنْسَانُ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ وَتَشْيِيدِ الْمُثَلِّ النَّافِيَةِ حَيْثُ غَدَتْ الْذَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي بُعْدِهَا الْحَيَوَانِيِّ مَوْضُوعًا أَوْ مَادَّةً يَجْرِي تَشْكِيلُهَا بِالنَّفْيِ وَالْإِضْرَارِ ، وَهَكَذَا اسْتَحَالَ مِنْ تَفْرِيعِ الْغَرَائِزِ فِي الْخَارِجِ إِلَى تَحْرِيرِهَا ضِدَّ الْذَاتِ عَيْنِهَا إِلَى قَدْرِ عَثَرٍ فِيهِ عَلَى لَذَّةٍ وَبَهْجَةٍ فِي تَغْذِيَّتِهَا وَانْفِصَامِهَا وَفِي كُلِّ مَا يَشْفُ عَنْ انْكَارِ الْذَاتِ وَالْحَطِّ مِنْ

¹¹⁷⁸ GM, Trad. Henri Albert, II, § 17 : « ... En second lieu que la soumission à une forme fixe d'une population jusqu'alors sans normes et sans freins, telle qu'elle a commencé par un acte de violence, ne peut être menée à terme que par d'autres actes de violence, — que, par conséquent, l'« État » primitif a dû entrer en scène avec tout le caractère d'une effroyable tyrannie, d'un rouage meurtrier et impitoyable, et continuer à se manifester ainsi, jusqu'à ce qu'enfin une telle matière brute d'un peuple encore plongé dans l'animalité soit non seulement pétrie et rendue maniable, mais encore façonnée. J'ai employé le mot « État » : il est aisé de concevoir ce que j'entends par là — une horde quelconque de blondes bêtes de proie, une race de conquérants et de maîtres qui, avec son organisation guerrière doublée de la force d'organiser, laisse, sans scrupules, tomber ses formidables griffes sur une population peut-être infiniment supérieure — en nombre, mais encore inorganique et errante. Telle est bien l'origine de l'« État » sur la terre : ... Leur œuvre consiste à créer instinctivement des formes, à frapper des empreintes, ils sont les artistes les plus involontaires et les plus inconscients qui soient : ... Ils ne savent pas, ces organisateurs de naissance, ce que c'est que la faute, la responsabilité, la déférence ; en eux règne cet effrayant égoïsme de l'artiste au regard d'airain... Ce n'est point chez eux, on le devine, qu'a germé la mauvaise conscience, — mais sans eux elle n'aurait point levé, cette plante horrible, elle n'existerait pas, si, sous le choc de leurs coups de marteau, de leur tyrannie d'artistes, ... Cet instinct de liberté rendu latent par la force, resserré, refoulé, rentré à l'intérieur, ne trouvant plus dès lors qu'à s'exercer et à s'épancher en lui-même, cet instinct, rien que cet instinct — nous l'avons déjà compris — fut au début la mauvaise conscience ».

قَدَرَهَا¹¹⁷⁹. وَلَا عَرَوْ فِي سِيَاقِ مَثَلِهِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيَّ وَفِي طَيَّاتِ هَذَا الضَّمِيرِ الشَّقِيَّ مِنْ أَنْ تُلْفِيهِ مُتَنَعِمًا بِالْأَشْيَاءِ الْخَائِبَةِ وَالْأَلَمِ وَالْمَرَضِ وَالْقُبْحِ وَالْإِضْرَارِ الْعَمْدِيَّ وَالتَّشْوِيهِ وَإِمَاتَةِ الْجَسَدِ وَالتَّضَحِّيَةِ بِالذَّاتِ¹¹⁸⁰.

حَلِيقُ بِالذِّكْرِ مَا ذَهَبَ دُولُوزُ إِلَيْهِ فِي عَدَمِ كَوْنِ آيَّةِ الْإِنْقِلَابِ إِلَى (على) الذَّاتِ، يَوْصِفُهَا اجْتِيَاًفًا Introjection وَبِاعْتِبَارِهَا اغْتِرَافًا بِالذُّنُوبِ، نَقِيضًا لآيَّةِ الْإِسْقَاطِ Projection وَإِنَّمَا هِيَ نَتِيجَةٌ وَتَتِمَّةٌ لَهَا، إِذْ بَعْدَ إِتِهَامِ الْقَوَى الْارْتِكَاسِيَّةِ الْقَوَى الْفَاعِلَةِ بِأَنَّهَا سَبَبُ مَا سَيِّئًا وَإِخْفَاقَاتِهَا، نَحْتَ نَحْوِ الدَّفْعِ بِهَا إِلَى الْإِغْتِرَافِ بِخَطَايَاهَا لِتَخْلُقَ فِيهَا ضَمِيرًا شَقِيًّا لَا يَفْعَلُ شَقَاؤُهُ غَيْرَ الْإِزْدِيَادِ، لَا سِيَّمَا إِثْرَ صُعُودِ الْأَلَمِ إِلَى مُسْتَوَى الْوَعْيِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَبْلُ مُجَرَّدَ انْطِبَاعٍ لِحَدَثٍ عَارِضٍ، هَذَا مَا جَعَلَ الضَّمِيرَ الشَّقِيَّ اِمْتِدَادًا لِلْاضْطِعْغَانِ بَلْ هَذَا مَا صَيَّرَهُ حَسَبَ دُولُوزِ سَبَبًا فِي تَحَوُّلِ الْقَوَى الْفَاعِلَةِ إِلَى قَوَى ارْتِكَاسِيَّةٍ وَالسَّادَةِ إِلَى عَمِيدٍ¹¹⁸¹.

ب) الْأَلَمُ وَمَسَالِكُ التَّغْلِيلِ بَيْنَ التَّبْشِيرِ وَالتَّسْخِيرِ الدِّيُونِيزُوسِيِّ وَالتَّبْرِيرِ وَالتَّرْوِيرِ الْكَهْنُوتِيِّ

لَكِنْ لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ لَمْ يَبْقَ أَلَمُ الضَّمِيرِ هَذَا مَحْضَ انْطِبَاعٍ جَائِزٍ وَلَا مُجَرَّدَ وَعْيٍ مُثْقَلٍ بِالْمُعَانَاةِ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَ لِأَحَقِّ صُورَةٍ كَهْنُوتِيَّةٍ كَانَ لَهَا بَالِغُ الْأَثَرِ عَلَى مَصِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ رِثْمًا تَدْخُلُ الْكَاهِنُ لِيُضْفِيَ عَلَى الْأَلَمِ بِعَاقِمَةٍ مَعْنَى جَدِيدًا مُفَسِّرًا إِيَّاهُ تَبَعًا لِمُعْجَمِيَّةِ الْاضْطِعْغَانِ وَمَفَاهِيمِ الْخَطِيئَةِ وَمُحَوَّلًا إِيَّاهُ إِلَى رَمْزٍ خَطِيرٍ يُشِيرُ فِي كُلِّ مَا مَرَّةٍ لَا إِلَى الْأَلَمِ كَحَدَثٍ طَبِيعِيِّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَيَاةِ وَمُقْتَضِيَّاتِهَا وَإِنَّمَا إِلَى الْعِلَّةِ الَّتِي سَبَّبَتْهُ؛ وَمَا هَذِي الْعِلَّةُ إِلَّا الْخَطِيئَةُ وَالذَّنْبُ.

وَلَمْ يَكُنْ صَنِيعُ الْكَاهِنِ جُزَافِيًّا خَالِيًّا مِنَ النِّفْعِ، إِذْ لَوْلَا تَأْوِيلُ الْأَلَمِ لِيَكُونَ لَهُ مَغْزَى لِأَصْبَحَ اضْطِعْغَانُ الْقُطْعَانِ الْبَشَرِيَّةِ خَطَرًا عَلَيْهَا وَعَلَى الْكَاهِنِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَلِلْحَيْلُولَةِ دُونَ ذَلِكَ غَيْرَ الْكَاهِنِ أَتَجَاهَهُ بِذَلِكَ

¹¹⁷⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 18 : « Qu'on se garde toutefois de faire trop peu de cas de ce phénomène, puisque dès son début il nous apparaît laid et douloureux. Au fond c'est la même force active, que nous avons vue tout à l'heure opérant d'une façon grandiose chez ces artistes de la violence, chez ces organisateurs pour créer des États, la force qui, maintenant rapetissée et mesquine, se crée la mauvaise conscience, agissant à l'intérieur d'une façon rétrograde, ...pour s'édifier un idéal négatif, l'idéal négatif de cet instinct de liberté... Cette secrète violation de soi-même, cette cruauté d'artiste, cette volupté à se façonner comme on ferait d'une matière résistante et sensible, à se marquer de l'empreinte d'une volonté, d'une critique, d'une contradiction, d'un mépris, d'une négation, ce travail inquiétant, plein d'une joie épouvantable, le travail d'une âme volontairement disjointe qui se fait souffrir par plaisir de faire souffrir, toute cette « mauvaise conscience » agissante, en véritable génératrice d'événements spirituels et imaginaires... ».

¹¹⁸⁰Ibid, III, § 11 : « Tandis que les choses manquées, dégénérées, la souffrance, la maladie, la laideur, le dommage volontaire, la mutilation, les mortifications, le sacrifice de soi sont recherchés à l'égal d'une jouissance. Tout cela est paradoxal au suprême degré : nous nous trouvons ici devant une désunion qui se veut désunie, qui jouit de soi-même par cette souffrance... ».

¹¹⁸¹Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 147.

التَّأْوِيلُ الَّذِي مَنَحَ لَهَا أَثِيمًا تُفْرَغُ عَلَيْهِ جَامُ غَضَبِهَا وَتَتَنَفَّسُ بِتَغْذِيئِهَا إِيَّاهُ ، وَمَا هَذَا الْأَثِيمُ إِلَّا الذَّاتُ عَيْنُهَا بِوَصْفِهَا كَبْشَ فِدَاءٍ جَدِيدٍ يُقَسِّرُ لَهَا سَبَبَ آلامِهَا ، وَذَلِكَ يُخَفِّفُ عَنْهَا مُعَانَاتِهَا وَيُحَقِّقُ لَهَا انْتِشَاءً مُحَدَّرًا ؛ أَغْنِي أَنَّ الْكَاهِنَ يُحَوِّلُ وَجْهَهُ الاضْطِعْغَانِ مِنَ الْخَارِجِ (أَقْصِدُ اتِّهَامَ الْغَيْرِ ، اتِّهَامَ الْوُجُودِ) إِلَى الدَّخْلِ (أَقْصِدُ اتِّهَامَ الذَّاتِ)¹¹⁸².

وَالْحَالُ أَنَّ الْكَاهِنَ لَا يَحْدُوهُ عَلَى تَهْيِيجِ أَهْوَاءِ النَّاسِ الْعَظِيمَةِ وَاسْتِغْلَالِهَا وَإِثَارَةِ انْفِعَالَاتِهِمْ وَاسْتِخْدَامِهَا مِنْ غَضَبٍ وَخَوْفٍ وَشَهْوَةٍ وَكُرْهِ وَأَمَلٍ وَيَأْسٍ - تَلَكُّمِ الَّتِي تُصْبِحُ مُفِيدَةً حِينَهَا يُنْقَادُ لَهَا بَعْتَةً - إِلَّا التَّبَرُّيرُ الدِّينِيُّ الَّذِي لَا يَرْفَعُ آلامَ الْبَشَرِ حِينَهَا إِلَّا لِيَزِيدَ شِدَّتَهَا وَلَا يُشْفِيهَا مِنَ الْمَرَضِ زَمَنًا إِلَّا لِيُضَاعِفَهَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَقِبَ ذَلِكَ ، ذَلِكَ أَنَّ الْكَاهِنَ لَا يَنْفَكُ يَزْرَعُ أَكْبَرَ قَدْرِ مِنَ الْآلَامِ وَالْفِتَنِ وَالتَّنَاقُضَاتِ فِي الْإِنْفُسِ¹¹⁸³.

وَهَكَذَا اتَّخَذَ الضَّمِيرُ الشَّقِيَّ أَوْ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ بَيْنَ يَدَيِ الْكَاهِنِ هَيْئَةً خَطِيرَةً بَعْدَمَا كَانَ حَالَةً خَامَةً ، ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي أُلْحَقَ بِنَفْسِهِ الشَّقَاءُ انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى الْاسْتِطْبَاقِ لَدَى الْكَاهِنِ الْعَارِفِ بِخَبَايَا الْأَشْيَاءِ وَزَوْدَهُ بِتَفْسِيرٍ لِمُعَانَاتِهِ ، مُقْتِنًا إِيَّاهُ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَاتِهِ الْأَثِيمَةِ سَابِقًا وَمَا مَرَضُهُ الْآنَ إِلَّا عِقَابُ إِلَهِيٍّ.

وَبِهَذَا النِّحْوِ اقْتَرَنَ الْآلَمُ/الشَّقَاءُ اقْتِرَانًا جَوْهَرِيًّا أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ بِالْإِثْمِ/ ، وَغَدَا الْمَاضِي عَلَى أَعْقَابِ ذَلِكَ مُسْتَعَادًا فِي كُلِّ حِينٍ لِيَتَسَلَّطَ عَلَى الْحَاضِرِ ، مَا شَوَّهَ أَحْدَاثَ الْحَيَاةِ وَأَفْرَعَهَا مِنْ طَبِيعَتِهَا وَعَزَّزَ جُحْدَانَ الْآلَمِ. وَعَوِضَ أَنْ يُعَدَّ مَكُونًا أُسَاسِيًّا فِي الْوُجُودِ عُدَّةً حُجَّةً عَلَيْهِ ، وَجَرَّدَتِ الْأَفْعَالُ ، فِي مَقَامِ هَذَا التَّفْسِيرِ الْكَهْنُوتِيِّ لِلْمُعَانَاةِ ، مِنْ عَفْوِيَّتِهَا حِينَهَا نَظَرَ إِلَيْهَا بِالْعَيْنِ الْحَوْلَاءِ وَصَارَ الشَّقَاءُ شُعُورًا بِالذَّنْبِ وَالْخَوْفِ وَالْعِقَابِ وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ فِي طَيَّاتِ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَعْدُو الْحَيَاةُ نَفْسَهَا شَقِيَّةً جِدًّا وَالْبَشَرِيَّةُ عَطْشَانَةً لِلْآلَمِ¹¹⁸⁴.

¹¹⁸² GM, Trad. Henri Albert, III, § 15.

¹¹⁸³ Ibid.

¹¹⁸⁴ Ibid, § 15 : « Au fond toutes les grandes passions sont bonnes, pour peu qu'elles puissent se donner carrière brusquement, que ce soit la colère, la crainte, la volupté, la haine, l'espérance, le triomphe, le désespoir, ou la cruauté ; en effet, sans hésitation, le prêtre ascétique a pris à son service toute la meute des chiens sauvages qui hurlent dans l'homme, pour déchaîner selon le besoin, tantôt celui-ci, tantôt celui-là, dans un but unique, réveiller l'homme de sa longue tristesse, chasser, du moins pour un temps, sa sourde douleur, sa misère hésitante, et cela toujours guidé par une même interprétation, par une « justification religieuse ». Tout débordement de ce genre se paie par la suite, cela se conçoit — les malades en deviennent plus malades... — chacun sait qu'il a su tirer parti du sentiment de culpabilité... le sentiment de la faute s'est présenté à nous pour ainsi dire à l'état brut. Ce n'est que dans les mains du prêtre, ce véritable artiste pour le sentiment de la faute, que ce sentiment a commencé à prendre forme ! — et quelle forme ! Le « péché » — car tel est le nom donné par le prêtre à la « mauvaise conscience » animale (de la cruauté tournée à rebours) — le péché est resté jusqu'à présent l'événement capital dans l'histoire de l'âme malade : il représente pour nous le tour d'adresse le plus néfaste de l'interprétation religieuse... cherchant aussi des remèdes et des narcotiques, l'homme finit

مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ الْكَاهِنَ ، الَّذِي سَاسَ هَذِي التَّحَوُّلَاتِ الْخَطِيرَةَ ، عَلَى ضَبْطِهِ وَتَحَكُّمِهِ بِالنَّفْسِ أَكْثَرَ مِنْ الَّذِينَ تَوَلَّى قِيَادَتَهُمْ وَاقْتِيَادَهُمْ ، هُوَ نَفْسُهُ مَرِيضٌ مَا انْفَلَكَ عَنِ الدِّفَاعِ عَنِ الْمَرَضَى وَلَقَدْ جَعَلَ مِنْ مَهْمَتِهِ الَّتِي يُتَّقِنُهَا غَايَةَ الْإِتْقَانِ السَّيْطَرَةَ عَلَى الْمُتَأَلِّمِينَ وَحِمَايَتَهُمْ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ وَجْهِ لَا يَسْتَعْدِي إِلَّا مَنْ يَنْعَمُ بِالصِّحَّةِ وَالْمَقْدَرَةِ وَالْفِطَاظَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَالصَّلَابَةِ ، وَمَا شَبَّاهُ ذَلِكَ مِمَّا يُمَيِّزُ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةَ ، مُتَوَسِّلًا فِي حَرْبِهِ هَذَا عَلَيْهِمْ أَحَابِيلُ الْعَقْلِ وَدَسَائِسُ الْأَفْكَارِ ، وَمِنْ وَجْهِ ثَانٍ لَا يَدَاوِي مَرَضَاهُ إِلَّا لِيَجْرَحَ وَلَا يَهْدِي الْجُرْحَ إِلَّا لِيُسَمِّمَهُ¹¹⁸⁵ .

تَتَجَلَّى بَرَاعَةُ الْكَاهِنِ الْحَقُودِ فِي تَغْيِيرِهِ لَاتِّجَاهِ أَحْقَادِ مَرَضَاهُ بِأَنْ قَيَّضَ لَهُمْ قِبْلَةً جَدِيدَةً حَيْثُ يَجْرِي النَّظَرُ إِلَى مُعَانَاةِ الْمُتَأَلِّمِينَ عَلَى أَنَّهَا مَعْلُولٌ لِعِلَّةٍ خَافِيَةٍ عَلَيْهَا تَقَعُ مَسْئُولِيَّةُ مُعَانَاتِهِمْ ؛ وَمَا هَذِي الْعِلَّةُ سِوَى الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي اسْتَحَالَ إِلَى مَوْضُوعٍ تُفْرَغُ فِيهِ الْإِنْفِعَالَاتُ الْمَشْحُونَةُ بُعْيَةِ التَّخْفِيفِ عَنِ النَّفْسِ مِمَّا كَابَدَتْهُ مِنْ مُعَانَاةٍ . بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِذَنْ يُعْلِمُ الْكَاهِنُ مَرَضَاهُ بِأَنْ مُعَانَاتِهِمْ لَيْسَتْ إِلَّا مِنْهُمْ ، بِسَبَبِهِمْ ، فَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَمَا ظَلَمُوا غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْقِبْلَةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي يَسْتَهْدِفُهَا الْكَاهِنُ وَيَتَصَيَّدُ إِلَيْهَا النَّظَرَاتُ لِتُصْبِحَ مَوْضِعَ الدِّمِّ وَالْحَقْدِ لَيْسَتْ إِلَّا ذَاتُ كُلِّ قَرْدٍ وَهَذَا الصَّنِيعُ هُوَ مَا دَعَاهُ نَيْتَشْه تَغْيِيرَ اتِّجَاهِ الْأَضْطِرَّانِ .

لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ لِمَا ذَكَرَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَلَا مَعْدَى عَنِ الْإِشَارَةِ إِلَى كَوْنِ الْمُتَأَلِّمِ يُمَعِنُ وَيَتَفَنَّنُ عَلَى السَّجِيَّةِ فِي النَّبْشِ فِي طَيَّاتِ آلامِهِ وَالتَّقْيِيبِ فِي أَحْدَاثِ مَاضِيهِ وَمُجَرَّيَاتِ حَاضِرِهِ وَفِي أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ عَلَى قَرِينَةٍ مَا تُشْبِعُ شُكُوكَهُ وَوَسَاوِسَهُ ، عَلَى مَا عَسَاهُ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ أَسْبَابًا عَمَّا لَحِقَ بِهِ مِنْ أَدَى ، وَفِي ظِلِّ هَذَا كُلِّهِ يَظْهَرُ الْكَاهِنُ لِيُقَدِّمَ لَهُ مَسْئُولًا وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا ذَاتُهُ ، نَفْسُهُ الْمُذْنِبَةُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ عَلَى أَعْقَابِ ذَلِكَ سِوَى التَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِهِ بِالتَّضْحِيَةِ بِذَاتِهِ وَتَقْدِيمِهَا غُرْبُونًا لِلْكَاهِنِ يُسَيِّرُهَا وَيُقَلِّبُهَا كَيْفَمَا يَشَاءُ¹¹⁸⁶ .

لَا بَرَّاحَ أَنَّ الْكَاهِنَ ، بِإِعْتِبَارِهِ الْفَنَّانَ الْبَارِعَ فِي مَسَائِلِ الْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ ، أَوَّلُ مَنْ أَشَارَ عَلَى الْبُؤْسَاءِ الْمُتَوَجِّعِينَ بِالْبَحْثِ فِي أَنْفُسِهِمْ عَنْ سَبَبِ مُعَانَاتِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ ، مُتَأَوِّلًا إِيَّاهَا عَلَى أَنَّهَا عِقَابُ إِلَهِيٍّ وَمَا الْخَطِيئَةُ إِلَّا الْأَسْمُ الْجَدِيدُ الَّذِي نَحْتَهُ لِلْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ وَذَلِكَ يُعَدُّ التَّأْوِيلَ الدِّينِيَّ الْأَشَدَّ ضَرَرًا فِي تَارِيخِ

enfin par s'entendre avec quelqu'un qui connaît même ce qui est caché — et voici ! il obtient une indication, — son sorcier, le prêtre ascétique, lui donne la première indication sur la « cause » de sa « souffrance » : il doit la chercher en lui-même, dans une faute commise, dans le temps passé, il doit interpréter sa douleur elle-même comme un châtement...de malade, le voilà devenu « pécheur »...partout le passé qui revient, le fait dénaturé, l'action vue d'un « mauvais oeil » ; partout la méconnaissance volontaire de la souffrance devenue chose capitale, la douleur transformée en sentiment de faute, de crainte, de châtement ; partout la discipline, le corps émacié, la contrition ; partout le pécheur qui se torture lui-même sur la roue cruelle d'une conscience inquiète et voluptueusement malade ... »

¹¹⁸⁵GM, Trad. Henri Albert, II, § 15.

¹¹⁸⁶Ibid.

الأنثى المريضة¹¹⁸⁷. يَتَبَيَّنُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ مَعْنَى الْأَلَمِ أَوْ النَّحْوِ الَّذِي أُوْلَ بِهِ قَدْ اضْطَلَعَ بِدَوْرٍ فِي غَايَةِ الْخُطُورَةِ، إِذْ عَلَيْهِ تَوَقَّفَ مَعْنَى الْوُجُودِ وَالْمِنَوَالِ الَّذِي فُسِّرَ بِهِ¹¹⁸⁸.

يَتَجَلَّى لَنَا بِنَاءً عَلَى هَذِي الْإِيضَاحَاتِ أَنَّ الْكَاهِنَ قَدْ اضْطَلَعَ بِدَوْرَيْنِ: أَوَّلًا - أَشْرَفَ عَلَى اتِّهَامِ الْوُجُودِ وَتَأْتِيهِمْ تَجَلِّيَاتِهِ الْفَاعِلَةِ قَاطِبَةً، غَازِيًا مَسْئُولِيَّةَ خَيِّبَاتِ الْعَاجِزِينَ وَأَوْجَاعِ الضُّعْفَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ ذَاتِهَا وَالْقَوَى الْفَاعِلَةِ، ثَانِيًا - حَوْلَ وَجْهَةِ الْإِتِّهَامِ، فَقَدَا الْعَاجِزُونَ وَالضُّعْفَاءُ أَنْفُسَهُمْ أَسْبَابَ مُعَانَاتِهِمْ وَمَا ذُنُوبُهُمْ إِلَّا الْأَسْبَابُ الْمَوْجِبَةُ لِلشَّقَاءِ، وَهَكَذَا يُعَزَّزُ تَأْوِيلُ الْعَالَمِ بِوصْفِهِ شَرًّا مِنْ مُوَبِّقَاتِ الْمُفْتَدِرِينَ بِتَأْوِيلِهِ كَخَطِيئَةٍ لِلْعَاجِزِينَ، فَيَأْتِي أَنْيْذُ الشَّرِّ وَالْأَلَمِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

كُلُّ مَا هُنَاكَ أَنَّ الْكَاهِنَ يُرِيدُ مَلَكُوتًا يَغْمُ فِيهِ الذَّنْبُ وَيَفْشُو فِيهِ الْإِحْسَاسُ بِهِ حَيْثُ الْجَمِيعُ مُذْنِبِينَ وَمُعَذِّبِينَ كَيْ تَكُونَ لَهُ فِيهِ الْيَدُ الْعُلْيَا وَفِي هَذَا الْجَوِّ الْعَفِيفِ يُفْرَغُ الْوُجُودُ الدُّنْيَوِيُّ مِنْ جَمَالِيَّاتِهِ وَجَلَالِيَّاتِهِ طَرًّا، مِنْ شَأْوِهِ وَنَشَاطِهِ قَاطِبَةً وَتُصْبِحُ الْآخِرَةُ الْقِبْلَةَ الْعُلْيَا وَمَصْدَرُ الْقِيَمَةِ الْوَحِيدِ. وَحَيْثُمَا الْآخِرَةُ/الْعَدَمُ تُتَوَجَّحُ مَرْكَزُ ثَقَلٍ لِلْأَشْيَاءِ كَافَّةً يَدْمَرُ مَا هُوَ حَسَنٌ وَبَاعِثٌ عَلَى الْحَيَاةِ وَتَتَشَوَّهُ فِطْرَةُ الْغَرَائِزِ وَيُنْقَضُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَمْتَلِكُ رَقِيًّا وَرَفْعَةً، بَيْنَمَا يُخْلَعُ عَلَى مَا يَشْفُ عَنْ ضَعْفٍ فِي الرُّوحِ وَالْجُسْمَانِ وَفَقْرٍ فِي الْمَوَاهِبِ الْحَسَنَةِ جَاءَ وَشَأْوًا مِيتَافِزِيًّا لَا يُضَاهِيهِ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ، وَلَا غَرَوُ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ الْمَسِيحِيَّةُ بِأُنْجِيلِ الضُّعْفَاءِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ بِمَعْنِيَّتِهِ أَيْ شَيْءٌ إِلَى الضُّعْفِ وَالذِّلَّةِ¹¹⁸⁹. كَيْفَ لَا يَحْصُلُ ذَلِكَ وَالْيَهُودِيَّةُ بِاعْتِبَارِهَا دِيَانَةً الْفَرِيَّةِ الْعُلْيَا، اسْتَمَرَّتْ فِي تَضَاعُيفِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي صُورَةٍ كَذِبٍ بَلَغَ حَدًّا فَنِيًّا وَمُتَقَنًّا¹¹⁹⁰.

لَا يَنْبَغِيَنَّ التَّغَاوُلُ عَنْ شَوَاهِدِ نَصِيَّةِ أَبٍ فِيهَا نِيَتُهُ بِالتَّفْسِيرِ الدِّينِيِّ لِلْأَلَمِ إِلَى مَلَكَةٍ بَشَرِيَّةٍ مِنْ جَانِبٍ حَيْثُ الْبَشَرُ امْتَّازُوا عَنِ الْحَيَوَانَاتِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى تَأْمُلِ مُعَانَاتِهِمْ وَفَهْمِهَا مِيتَافِزِيًّا، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ أَرْجَعَهَا إِلَى أَسَاطِيرِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي عَدَّتْ أَرْوَاحَ الْحَيَوَانَاتِ أَرْوَاحَ الْبَشَرِ الْأَثَمَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّ وُجُودَهَا الْحَيَوَانِيَّ الشَّقِيَّ نَتِيجَةُ لَذُنُوبٍ سَابِقَةٍ، وَلَا يَدُلُّ هَذَا إِلَّا عَلَى فَهْمٍ مِيتَافِزِيٍّ لِلْمُعَانَاةِ يَجْعَلُ مِنْهَا عِقَابًا إِلَهِيًّا وَكَفَارَةً عَنْ آثَامٍ سَالِفَةٍ¹¹⁹¹.

¹¹⁸⁷ GM, Trad. Henri Albert, III, § 20.

¹¹⁸⁸ Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 148.

¹¹⁸⁹ AC, Trad. Henri Albert, § 43.

¹¹⁹⁰ Ibid, § 44.

¹¹⁹¹ CIn, Schopenhauer éducateur, Mercure de France, 1922[sixième édition], In Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, Vol. 5, Tome II, Traduit par Henri Albert Albert, § 5 : « Les hommes d'esprit plus profond ont, de tous temps, eu pitié des animaux, précisément parce qu'ils souffrent de la vie et parce qu'ils n'ont pas la force de tourner contre eux-mêmes l'aiguillon de la vie et de donner à leur existence une signification métaphysique ; on est toujours profondément révolté de voir souffrir sans raison. C'est pourquoi, en un endroit de la terre, naquit la supposition que les âmes des hommes chargés de fautes seraient passées sur les corps de ces animaux et que la souffrance sans raison, révoltante à première vue, prendrait, devant la justice éternelle, le sens, la signification de punition et d'expiation. C'est, à vrai dire, une lourde punition de vivre ainsi sous une forme animale, avec la faim et les désirs, et de ne pouvoir se rendre compte de ce que signifie cette vie ».

وَفِي كَتَفِ هَذَا التَّفْسِيرِ ، لَمْ يُعْطَ الْأَلَمُ حَقَّ قَدْرِهِ بَلْ أَصْبَحَ أَمَارَةً عَلَى الْإِتَامِ ، عِوَضَ أَنْ يُعَدَّ ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْمُعَلِّمِ إِكْهَارَتِ ، الْبَرَاقِ الْأَسْرَعَ الَّذِي بِمُسْتَطَاعِهِ أَنْ يَعْرِجَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى ذُرَوَاتِ الْكَمَالِ¹¹⁹² ، لَا سِيَّمًا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ شَدِيدَ الْبَاسِ لَيْسَ هُوَ الشَّدِيدُ الْكَامِلُ فِي أَهْوَائِهِ فَقَطْ وَإِنَّمَا هُوَ الشَّدِيدُ فِي آلامِهِ وَمُعَانَاتِهِ أَيْضًا¹¹⁹³ ، ذَلِكَ مَا يَصْدُقُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَصْطَلِعُ نَارَةً بِالْأَلَمِ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ وَيَعْزِلُ نَارَةً أُخْرَى الْآثَرَ الَّذِي يُخْلِفُهُ ابْتِغَاءَ الْحَدِّ مِنَ انْتِشَارِ الْمُعَانَةِ وَتَلَاْفِي تَعَاطُفِهَا.

هَكَذَا اتَّخَذَ الْأَلَمُ لَدَى الْإِنْمُودَجِ الْمُقْتَدِرِ مَعْنَى إِبْجَائِيًّا ، بَعْدَمَا أَخْرَجَهُ تَخْرِيجًا بَرَانِيًّا يَكُونُ بِمُقْتَضَاهُ جُزْءًا مِنْ الْعَالَمِ بَدَلًا أَنْ يَكُونَ نَتِيجَةً إِنَّمِ دَاخِلِيٍّ ، فَمَهْمَا كَانَ الْأَلَمُ وَمَهْمَا تَعَدَّدَتْ صُورُهُ وَتَبَايَنْتْ غِلْظَتُهُ ، يَسْتَمِرُّ فِي كَوْنِهِ مُتِمِّعًا ، مِنْ حَيْثِيَّةٍ مَا ، لِلَّذِي يُسَبِّبُهُ أَوْ لِلَّذِي يَتَأَمَّلُهُ¹¹⁹⁴ . وَلَقَدْ حَصَّ هَذَا النُّحُو فِي تَفْسِيرِ الْأَلَمِ الشَّعْبِ الْإِغْرِيقِيِّ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْآلِهَةِ ؛ هَذَا الشَّعْبُ الَّذِي وَجَدَ فِي مُتَعَةٍ مُمَارَسَةِ الْقِسَاوَةِ وَالتَّنْكِيلِ بِالْبَشَرِ مُنَاسَبَةً لِمَتَاعِ آلِهَتِهِ ، فَفِي نَظَرِهِ تُوفَّرُ أَحْدَاثُ الْعَالَمِ الْأَشَدِّ فَضَاعَةً مَشَاهِدَ تَسْتَمْتِعُ بِهَا الْآلِهَةُ وَالْبَشَرُ سَوَاءً بِسَوَاءٍ وَهَكَذَا مَا إِنْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَهٌ يَتَلَدَّدُ بِالنَّظَرِ إِلَى مَشَاهِدِ الْمُعَانَةِ ، يَغْدُ كُلُّ أَلَمٍ/شَرٍّ مُبَرَّرًا.

تَبَعًا لِهَذَا التَّفْسِيرِ التَّوَكِيدِيِّ لِلْأَلَمِ ، فَإِنَّ مَا يَحْتُ عَلَى التَّمَرُّدِ عَلَى الْأَلَمِ لَيْسَ الْأَلَمُ فِي ذَاتِهِ بَلْ عَبَثِيَّتُهُ وَكَيْ يُخْلَعَ عَلَى الْأَلَمِ مَغْزَى اضْطُرَّتْ طَوَائِفُ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى النَّظَرِ إِلَى الْأَلَمِ مِنْ جِهَةِ الْمُشَاهِدِ أَوْ الْجَلَادِ فَاخْتَلَقَتْ ، كُلَّمَا افْتَقَرَتْ إِلَى شَاهِدٍ عَلَى فَضَاعَةِ الْعَالَمِ ، آلِهَةً لَا تُقَوِّتُ فُرْصَةً فِي مُشَاهَدَتِهَا وَبِهَكَذَا نَحْوِ اخْتِلَاقِ هَذَا التَّبْرِيرِ لِلْأَلَمِ/الشَّرِّ ، وَمُفَادُ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الْبَشَرِيَّةَ كَانَتْ فِي أَحْقَابٍ حَلَّتْ نَعْدُ الْأَلَمِ وَالْإِيلَامِ تَسْوِيقًا لِصَالِحِ الْوُجُودِ لَا ضِدَّهُ وَكَانَتْ تُضْفِي عَلَيْهِ سِحْرًا عَظِيمًا وَتَجْعَلُهُ بَاعِنًا مُغْرِيًا عَلَى الْحَيَاةِ¹¹⁹⁵ .

¹¹⁹² CIn, Schopenhauer éducateur, § 4 : « Tout ce qu'il fera deviendra nécessairement une longue souffrance, mais il sait ce que savait déjà Maître Eckhard : « L'animal le plus rapide qui vous porte à la perfection est la souffrance ».

¹¹⁹³ Ibid, § 3 : « Ce danger accompagne tout penseur qui prend comme point de départ la philosophie kantienne, en admettant qu'il soit un homme vigoureux et complet, aussi bien dans ses souffrances que dans ses passions et non point seulement une bruyante machine à penser et à calculer ».

¹¹⁹⁴ Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 148.

¹¹⁹⁵ GM, Trad. Henri Albert, II, § 7 : « Aujourd'hui que l'on avance toujours la douleur comme premier argument contre l'existence, comme le problème le plus fatal de la vie, on fera bien de se rappeler le temps où l'on portait un jugement contraire, parce qu'on ne pouvait se passer de faire souffrir, y trouvant un attrait de premier ordre, un véritable appât pour la vie. Peut-être à cette époque — soit dit en manière de consolation pour les gens sensibles — la douleur ne faisait-elle pas aussi mal qu'à présent... Ce qui révolte à vrai dire contre la douleur ce n'est pas la douleur en soi, mais le non-sens de la douleur ; pourtant, ni pour le chrétien qui avait fait entrer dans la douleur tout un mécanisme secret de salut, ni pour l'homme naïf des anciens temps qui savait interpréter toute douleur par rapport au spectateur ou au bourreau, un pareil manque de signification n'existait. Pour pouvoir chasser du monde la douleur cachée, irrévélee et sans témoins, pour pouvoir la nier de bonne foi, on fut alors presque obligé d'inventer des dieux et des créatures intermédiaires ... À l'aide de pareilles inventions la vie parvint à accomplir le tour de force dont elle fut de tous temps

وَفَلَسَفَةٌ يَنْشِئُهُ ضَرْبٌ مِنْ أَسْتِعَادَةٍ ذَلِكَ التَّوَكُّيدِ لِلْفُسُوءَةِ وَالْإِيلَامِ فِي الْأَحْقَابِ الَّتِي لَمْ تَطْلُهَا أَيَادِي
التَّجْدِجِينَ الْأَخْلَاقِيَّ، لَا سِيَّمَا فِي حُلَّتِهِ الْكَهْوَثِيَّةِ؛ تِلْكَمُ الْأُزْمَةُ الَّتِي مِنْ سَجِيَّتِهَا أَنْ تَزْدَادَ مُنْعَتُهَا بِالْأَلَمِ
كُلَّمَا كَانَ مُسَبِّبُ الْأَلَمِ مِنْ مَرْتَبَةٍ أَرْقَى مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ يَقَعُ الْأَلَمُ؛ لَقَدْ شَفَّتِ الشَّوَاهِدُ التَّارِيخِيَّةُ حَسَبَ
نَيْتِشِهِ عَلَى اسْتِمْتَاعِ الْبَشَرِيَّةِ الْبُدَائِيَّةِ بِالْفُسُوءَةِ وَلَمْ تَكُنْ حَاجَتُهَا إِلَيْهَا مِنْ مَنَفْعَةٍ تَجْرُّهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَةً
بَرِيئَةً وَشَرًّا طَبِيعِيًّا وَصِفَةً سَوِيَّةً، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ كَانَتْ بِمِثَابَةِ شَيْءٍ يَتَلَقَّاهُ الضَّمِيرُ بِالْإِثْبَاتِ كُلِّهِ¹¹⁹⁶. إِذْ
كَانَتْ كُلُّ مَظَاهِرِ التَّغْذِيبِ وَصُورِهِ عَلَى تَقَاضُلِ دَرَجَاتِهِ، وَابْتِغَاءِ التَّجَاوُزِ، تَغْيِيرًا عَنِ الرِّغْبَةِ فِي الْقُوَّةِ
وَاسْتِمْتَاعًا بِهَا¹¹⁹⁷.

لَا جَرَمَ أَنْ يَسْتَمْتَعَ الْبَشَرُ الْأَقْوِيَاءُ غَايَةَ الْمُنْعَةِ، مَا قَبْلَ هَيْمَنَةِ أَخْلَاقِيَّاتِ الضَّغِينَةِ وَالْعَجْزِ، فِي ظِلِّ
حَالَةٍ حَرْبٍ وَتَهْدِيدٍ مُسْتَمِرٍّ، بِصُورِ الْأَلَمِ وَالْقُسُوءَةِ وَلَيْسَ بِشَذُوذٍ أَنْ يَحْسَبُوا ابْتِكَارَهُمْ لِأَنْوَاعِ الْقُسُوءَةِ
وَوَظَمَاهُمْ إِلَيْهَا فَضِيلَةً، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ كَانُوا يَجِدُونَ مِنْ مَشَاهِدِهَا مَا يَدْخُلُ الْخُبُورَ فِي نُفُوسِهِمْ، بَلْ
كَانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى الْمُعَانَاةِ طَوْعًا لَا كَرْهًا، نَاهِيكَ أَنَّهُمْ يَسْتَعِيدُونَ ثِقَتَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ كُلَّمَا اخْتَبَرُوا مُعَانَاةً
عَظِيمَةً؛ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ مَكِينٍ هَيْمَنَتْ عَلَيْهِ أَخْلَاقٌ مَتِينَةٌ تَرَى فِي الْمُعَانَاةِ وَالْقُسُوءَةِ وَالْإِنْتِقَامِ وَجُحُودِ
الْعَقْلِ فَضِيلَةً¹¹⁹⁸.

coutumière, le tour de force de se justifier son propre « mal »... « Tout mal est justifié du moment qu'un dieu se complait à le regarder » : ainsi parle l'ancienne logique du sentiment — et, à tout prendre, n'était-ce vraiment que la logique ancienne ? Les dieux tenus pour amateurs de spectacles cruels —... Il est certain, en tout cas, que les Grecs encore ne trouvaient point de condiment plus piquant à ajouter au bonheur de leurs dieux que les plaisirs de la cruauté... Quel sens avaient en dernière analyse la guerre de Troie et d'autres horreurs tragiques ? Il n'y a à cela aucun doute : c'étaient des jeux pour réjouir les regards des dieux : et comme le poète est d'espèce plus « divine » que le reste de l'humanité, c'étaient aussi, dans une certaine mesure, des réjouissances pour les poètes... ».

¹¹⁹⁶GM, Trad. Henri Albert, II, § 6 : « Faire souffrir causait un plaisir infini, en compensation du dommage et de l'ennui du dommage cela procurait aux parties lésées une contre-jouissance extraordinaire : faire souffrir ! — une véritable fête ! d'autant plus goûtée, je le répète, que le rang et la position sociale du créancier étaient en contraste plus frappant avec la position du débiteur... Il répugne, à ce qu'il me semble, à la délicatesse, ou plutôt à la tartuferie d'animaux domestiqués (lisez : les hommes modernes, lisez : nous-mêmes) de se représenter, avec toute l'énergie voulue, jusqu'à quel point la cruauté était la réjouissance préférée de l'humanité primitive et entraînait comme ingrédient dans presque tous ses plaisirs ; combien naïf, d'autre part, combien innocent apparaît son besoin de cruauté, combien justement la « méchanceté désintéressée » (ou pour employer l'expression de Spinoza, la sympathia malevolens) apparaît chez elle, par principe, comme un attribut normal de l'homme — : donc comme quelque chose à quoi la conscience puisse hardiment répondre « oui » ».

¹¹⁹⁷A, Trad. Henri Albert, § 113.

¹¹⁹⁸Ibid, § 18 : « La morale de la souffrance volontaire. — Quelle est la jouissance la plus élevée pour les hommes en état de guerre, dans cette petite communauté sans cesse en danger, où règne la moralité la plus stricte?... — La jouissance de la cruauté. De même, chez de pareilles âmes, dans de telles situations, c'est une vertu d'être inventif et insatiable dans la cruauté... La cruauté est une des plus anciennes réjouissances de l'humanité. On estime, par conséquent, que les dieux, eux aussi, se réconfortent et se réjouissent lorsqu'on

ج) مَوْلِدُ الضَّمِيرِ وَالْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ مِنْ فِكْرَةِ الدِّينِ وَالْعِقَابِ بَيْنَ الْبِدَايَاتِ وَالْمَالَاتِ

مَا إِنْ شَرَعَ نِيَتَشُهُ فِي الشَّدْرَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ مُصَنَّفِهِ "جِنْيَالُوجِيَا الْأَخْلَاقِ" فِي تَتَبُّعِ التَّارِيخِ الْفِعْلِيِّ لِلشُّعُورِ بِالذَّنْبِ بِوصفه قِوَامَ الضَّمِيرِ الشَّقِيّ، حَتَّى قَدَّمَ أَطْرُوحَةً فَرِيدَةً جِدًّا تَقُومُ عَلَى تَقْرِيرِ نَشْأَةِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ، بِاعْتِبَارِهِ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ النَّسَقِ الْأَخْلَاقِيِّ الْمُهَيِّمِينَ عَلَى التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ، مِنْ مَفْهُومِ "الدِّينِ" بِمَعْنَاهُ الْمَادِيّ الْاِعْتِيَادِيّ الَّذِي يَقْتَرِضُ دَائِنًا وَمَدِينًا.

وَأَمَّا مَفْهُومُ الْعِقَابِ الْمُقْتَرَنِ لَاحِقًا اقْتِرَانًا عِلْمِيًّا بِالشُّعُورِ بِالذَّنْبِ، بِاعْتِبَارِهِ انْتِقَامًا صَدَرَ وَتَطَوَّرَ وَفُقِّ مَسَارٌ لَا صِلَةَ لَهُ بِحُرِيَةِ الْاِخْتِيَارِ أَوْ الْأَضْطِرَارِ، فَلَمْ يَرْتَبِطْ بِمَفَاهِيمَ كَثِيرَةٍ أَكْثَرَ قِدَمًا وَبِدَائِيَّةً مِنْ قَبْلِ مَفْهُومِ "الْعَهْدِ" «A dessein» و"الْخَطَأِ" «Par négligence» و"الرُّشْدِ [المُكَلَّف]" «Capable de discernement» و"الْصُدْفَةِ" «Par hasard» أَوْ بِأَضْدَادِهَا مِنَ الْمَفَاهِيمِ، اِثْتِغَاءً تَحْدِيدَ شِدَّتِهِ، إِلَّا بَعْدَمَا أَنْشَأَ الْحَيَوَانُ الْإِنْسَانِيّ يُمَيِّزُ بَيْنَهَا وَهَذَا لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا إِلَّا إِثْرَ تَلَقِّيهِ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْأَنْسَنَةِ.

وَالْحَالُ أَنَّ النَّظْرَةَ الْمُهَيِّمَةَ الَّتِي ثُبَّتَتْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَالَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ الْمُجْرِمَ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ، هِيَ نَظْرَةٌ مُصْقُولَةٌ لِلْعَدَالَةِ حَدِيثَةُ الْعَهْدِ جِدًّا وَحُكْمٌ رَهِيْفٌ مِنْ أَحْكَامِ التَّفَكِيرِ الْبَشَرِيِّ مُتَأَخِّرٌ غَايَةَ التَّأَخُّرِ¹¹⁹⁹، إِذْ سَادَتْ نَظْرَةٌ عَنِيْقَةٌ مُغَايِرَةٌ فِي الْمَرَاكِجِ الطُّوْلَى الْأُولَى مِنَ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ لَمْ تَكُنْ تُعَاقِبُ الْمُذْنِبَ [الْجَانِي] لِأَنَّهُ كَانَ يُعَدُّ مَسْئُولًا عَنْ أَفْعَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَسْلَمِ بِهِ أَنَّهُ وَحْدَهُ مَنْ يَجِبُ مُعَاقَبَتُهُ. فَفِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْأُولَى كَانَ الْعِقَابُ آنَذَاكَ يُسَلِّطُ عَلَى الْجَانِي، عَلَى غِرَارِ مَا تَصْنَعُهُ الْعَائِلَةُ بِأَبْنَائِهَا حِينَ جَنَائَتِهِمْ، تَحْتَ قُوَّةِ الْعَضْبِ، وَلَا يَدْعُوهَا إِلَى ذَلِكَ إِلَّا الْأَضْرَارُ الَّتِي سَتَلْحَقُ بِالْجَانِي عَيْنِهِ، لَكِنْ مَا كَانَ لِعَضْبِ الْجَمَاعَاتِ الْبِدَائِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا وَمَحْصُورًا وَقَابِلًا لِلتَّعْوِيضِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مُلْتَعْوِيضُ الْمَا يُعَانِيهِ الْجَانِي.

leur offre le spectacle de la cruauté, — de telle sorte que l'idée du sens et de la valeur supérieure qu'il y a dans la souffrance volontaire et dans le martyre choisi librement s'introduit dans le monde. peu à peu, la coutume dans la communauté établit une pratique conforme à cette idée : on se méfie dorénavant de tout bien-être exubérant et l'on reprend confiance chaque fois que l'on est dans un état de grande douleur... Car la pitié est considérée comme méprisable et indigne d'une âme forte et terrible; — mais les dieux sont favorables parce que le spectacle des misères les amuse et les met de bonne humeur : car la cruauté procure la plus haute volupté du sentiment de puissance. C'est ainsi que s'introduit dans la notion de l'«homme moral», telle qu'elle existe dans la communauté, la vertu de la souffrance fréquente, de la privation, de l'existence pénible... qu'il nous est presque impossible aujourd'hui d'avoir le sens de cet énorme laps de temps où régnait la «moralité des mœurs» et qui précède l'«histoire universelle», époque réelle et décisive, de la première importance historique, qui a fixé le caractère de l'humanité, époque où la souffrance était une vertu, la cruauté une vertu, la dissimulation une vertu, la vengeance une vertu, la négation de la raison une vertu, où le bien-être, par contre, était un danger, la soif du savoir un danger, la paix un danger, la compassion un danger, l'excitation à la pitié une honte, le travail une honte, la folie quelque chose de divin... ».

¹¹⁹⁹GM, Trad. Henri Albert, II, § 4.

لَقَدْ أَخْلَدَتْ أَطْرُوحَةُ نِيَتِشْه إِلَى أَنَّ الْمُبَادَلَةَ أَوْ التَّعْوِيزَ أَوْ الْمُقَايَصَةَ أَصْلُ فِكْرَةِ الْعِقَابِ الَّتِي تَضْرِبُ بِجُذُورِهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَنْفُسِ الْبُدَائِيَّةِ، وَمَقَادُ ذَلِكَ أَنَّ الْعِقَابَ يَوْصِفُهُ جَزَاءٌ تَعَاقُدِيًّا بَيْنَ الْجَانِي وَالضَّحِيَّةِ لَمْ يَكُنْ سِوَى صُورَةٍ مُتَطَوِّرَةٍ مِنْ عِلَاقَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ بَيْنَ الشَّارِي وَالْبَائِعِ، بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمُسْتَدِينِ.¹²⁰⁰

ذَلِكَ أَنَّ أَقْدَمَ أَشْكَالِ التَّنْظِيمَاتِ وَالصِّلَاتِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ قَامَتْ عَلَى عَمَلِيَّتَيِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَمَا يُصَاحِبُهُمَا مِنْ مُقْتَضِيَّاتٍ نَفْسِيَّةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُمَا يَسْبِقَانِ أَصُولَ أَيِّ تَنْظِيمٍ اجْتِمَاعِيٍّ. وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ انْتَقَلَتْ بَذْرَةُ الْوَعْيِ بِالتَّبَادُلِ وَالتَّعَاقُدِ وَالدَّيْنِ وَالْحَقِّ وَالْإِلْتِزَامِ وَالتَّعْوِيزِ مِنْ صُورَةِ الْحَقِّ الْبُدَائِيِّ لِلشَّخْصِ إِلَى التَّرَكِيبَاتِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ الْأَكْثَرِ بُدَائِيَّةً وَخُشُونَةً، وَبِالتَّزَامُنِ مَعَ انْتِقَالِهِ أَيْضًا إِلَى عَادَةِ مُقَارَنَةِ قُوَّةٍ بِقُوَّةٍ وَقِيَاسِهَا. وَعَلَى أَسَاسِ هَذَا الْعَقْلِ الْبُدَائِيِّ الَّذِي يَقْيِسُ الْأُمُورَ وَجَدَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مُعَمِّمًا بِطَرِيقَةٍ عَظِيمَةٍ ذَلِكَ لِيَجْعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَنَهُ (أَقْصَدُ هُنَا قَابِلِيَّةَ الْأَشْيَاءِ لِلشِّرَاءِ).

هَذِي الْقَابِلِيَّةُ لِلْمُقَايَصَةِ (لِلبَيْعِ وَالشِّرَاءِ) كَانَتْ أَقْدَمَ نَامُوسٍ أَخْلَاقِيٍّ لِلْعَدَالَةِ وَأَكْثَرَهَا بَسَاطَةً وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ بِدَايَةِ الطَّبِيعَةِ وَالْإِنْصَافِ وَمَا الْعَدَالَةُ فِي هَذِهِ الْحَقْبَةِ الْغَابِرَةِ إِلَّا حُسْنُ النِّيَّةِ الْمُبَادَلَةِ بَيْنَ أَطْرَافٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَقْرِيبًا مِنْ حَيْثُ الْقُوَّةُ، عَلَى أَهْبَةِ الْاسْتِعْدَادِ لِلتَّفَاهُمِ بِوَاسِطَةِ تَعْوِيزَاتٍ مُتَبَادَلَةٍ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى إِرْغَامِ مَنْ هُمْ أَقْلُ قُوَّةً وَفَرْضِ تَعْوِيزَاتٍ عَلَيْهِمْ وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى قَبُولِ مِثْلِ هَذِهِ التَّسْوِيَّاتِ¹²⁰¹، لَكِنَّ الْعَدَالَةَ مَا لَبِثَتْ أَنْ رَاغَتْ، إِثْرَ قَلْبِ الْعَبِيدِ لِلْقِيَمِ، وَمَعَ الْاضْطِغَافِ الْعُبُودِيِّ، عَنْ التَّسْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَاسْتَحَالَتْ إِلَى مَفْهُومٍ أَخْلَاقِيٍّ¹²⁰².

لَقَدْ شَفَّتِ الشَّدْرَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْحَيْنِيَّاتِ الْوَجِيئَةِ عَنْ كَوْنِ الْعِقَابِ الْبُدَائِيِّ حَالِيًّا مِنَ الْاضْطِغَافِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُضْمِرًا حَقْدًا لِلْجُنَاةِ وَلَمْ يَسْعَ لِلْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، بِقَدْرِ مَا كَانَ يُطَالِبُ بِالتَّعْوِيزِ لَيْسَ غَيْرُ، مَا دَامَ الْجَانِي فَرْدًا مَدِينًا لِلْجَمَاعَةِ، وَمَا دَيْنُهُ إِلَّا الْخِدْمَاتُ الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا وَالْمَنَافِعُ الَّتِي تَجْرُهَا الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ غَضُوًّا فِيهَا¹²⁰³، وَكُلَّمَا خَرَقَ مِيثَاقَ الْجَمَاعَةِ أَوْ لَمْ يُوفِّ دَيْنَهُ لِأَحَدِ أَعْضَائِهَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَوِّضَ لِلدَّائِنِ بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِي حَيَازَتِهِ مِنْ قَبِيلِ امْرَأَتِهِ، حُرِّيَّتِهِ، حَيَاتِهِ، آخِرَتِهِ، بَلْ يُسَمِّحَ لِلدَّائِنِ أَنْ يُمَارِسَ عَلَيْهِ التَّغْذِيبَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِمْتَاعِ بِمُمَارَسَةِ الْقُوَّةِ وَالْقَسْوَةِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَ مَنْزِلَتِهِ وَطَبَقَتِهِ¹²⁰⁴.

¹²⁰⁰GM, Trad. Henri Albert, II, § 4.

¹²⁰¹Ibid, § 8.

¹²⁰²Guy Elgat, Nietzsche's psychology of Ressentiment : Revenge and Justice in On the Genealogy of Morals, pp. 9-10-130. « Ressentiment's creation of the new concept of justice involves a 'hijacking' of a previous conception of justice—what I called interpersonal justice and what Nietzsche calls justice on an elementary level ».

¹²⁰³GM, Trad. Henri Albert, II, § 9.

¹²⁰⁴Ibid, § 5.

لَمْ تَكُنِ الْعَدَالَةُ الْبُدَائِيَّةُ مُتَطَلِبَةً فِي إِزْزَالِ الْعِقَابِ عَلَى أَفْرَادِهَا وَلَا مُسْتَعْجِلَةً إِيَّاهُ بِقَدْرِ مَا كَانَتْ مِنْ شِدَّةِ اقْتِدَارِهَا مَقْصِرَةً فِي الْعِقَابِ وَمُتَسَامِحَةً إِلَى أَبْعَدِ الْحُدُودِ كُلَّمَا أَدْرَكْتَ أَنَّ الْجِنَايَاتِ الَّتِي تُرْتَكَبُ فِي حَقِّ بَعْضِ أَعْضَائِهَا لَا تُؤْلَفُ خَطَرًا وَشَيْكًا عَلَى وُجُودِ الْمَجْمُوعِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمُقْتَدِرِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ اقْتِدَارِهَا لَمْ تَكُنْ لِتَكُنَّ حَقًّا عَلَى الْجَنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِتَطْرُدَهُمْ وَلَا لِأَنْ تَحْرِمَهُمْ مِنَ السَّلَامِ وَإِنَّمَا كَانَتْ أُمِيلَ إِلَى الدِّفَاعِ عَنْهُمْ وَحِمَايَتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَحَقُّوا بِهِمْ الضَّرَرَ.

فِي هَذَا الْأُفْقِ الْاِقْتِدَارِيِّ مِنْ تَأْوِيلِ الْجِنَايَاتِ بُذِلَتْ الْجُهُودُ لِتَفَادِي انْفِلَاتِ الْأُمُورِ مِنْ عَقَالِهَا مِنْ طَرِيقِ تَعْوِضَاتٍ مُتَكَافِئَةٍ عَنِ الْخَسَارَةِ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، أَضْفَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الْبَشَرِيَّةَ الْبُدَائِيَّةَ كَانَتْ تَرَى فِي كُلِّ حَرْقٍ لِلْقَانُونِ شَيْئًا يُمَكِّنُ التَّكْفِيرَ عَنْهُ وَكَانَتْ تَقْصِلُ وَتَعْزِلُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ بَيْنَ الْجَرِيمَةِ وَالْمُجْرِمِينَ. لَكِنْ ذَلِكَ سُرْعَانَ مَا تَغَيَّرَ كُلُّهَا قَارَبَ خَطَرَ مُحْدِقِ الْجَمَاعَةِ لِيَضْطَرَّهَا إِلَى التَّشَدُّدِ فِي الْقَانُونِ الْجِنَائِيِّ لَوَعِيَّهَا بِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ نَامُوسٌ خَلِيقٌ بِهِ. لِهَذِهِ الدَّوَاعِي جَمِيعًا لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ ، يَقُولُ نِيْتَشْه ، أَنْ نَتَّصُورَ مُجْتَمَعًا مِنْ وَغِيهِ بِقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ يَمْضِي بِالتَّسَامُحِ إِلَى تَرْكِ الْجَنَاءِ بِلاَ عِقَابٍ ، فَإِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى مِنَ الصَّحَّةِ وَصَلَتْ تِلْكَمُ الْعَدَالَةُ الْبُدَائِيَّةُ لَدَى الشُّعُوبِ الْمُقْتَدِرَةِ الَّتِي جَعَلَتْ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمًّا يُسَاوِيهِ أَوْ يُعَوِّضُهُ¹²⁰⁵.

فِي كَتَفِ مَا أُوْرَدَنَاهُ سَالِفًا حَظِيَّتِ الشُّعُوبُ الْبُدَائِيَّةُ لِمَا قَبْلَ التَّارِيخِ بِأَلْيَاتٍ عُرْفِيَّةٍ حَالَتْ دُونَ خَلْقِ تِلْكَمُ الضَّمَائِرِ الشَّقِيَّةِ ، كَيْفَ لَا يُحَالُ دُونَ ذَلِكَ وَعِقَابُهَا لَمْ يَكُنْ أَلْبَتَّةَ وَسِيلَةً لِإِيقَاطِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ (وَحَزْرِ الضَّمِيرِ)؟! ، حَسْبُنَا هَهُنَا أَنْ نَمُرَّ عَلَى التَّارِيخِ الطَّوِيلِ لِلإِنْسَانِ الْبُدَائِيِّ كَيْفَمَا نُدْرِكُ أَنَّ تَبَكَّيْتُ الضَّمِيرِ هَذَا كَانَ شَيْئًا نَادِرًا غَايَةَ النُّدْرَةِ فِي تِلْكَمُ الْمُجْتَمَعَاتِ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْجَنَاءِ وَالْمُجْرِمِينَ ، فِي السُّجُونِ وَالْمُعْتَقَلَاتِ¹²⁰⁶.

لَقَدْ كَانَ الْعِقَابُ ، فِي زَعْمِ نِيْتَشْه ، فِي هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبُدَائِيَّةِ الشَّيْءَ الَّذِي أَخَّرَ غَايَةَ التَّأَخِيرِ تَطَوُّرَ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ عَلَى الْأَقْلِ عِنْدَ الَّذِينَ سَلِطَتْ عَلَيْهِمْ عُقُوبَاتُ السُّلْطَةِ الْقَمْعِيَّةِ ، وَلَا يَنْبَغِينَ أَنْ يَغْرَبَ عَنَّا أَمْرٌ لَا يَقِلُّ أَهَمِّيَّةُ يَتِمُّثِلُ فِي كَوْنِ الْإِجْرَاءَاتِ الْقَانُونِيَّةِ وَالتَّنْفِيزِيَّةِ حِينَهَا بِإِذْلَةٍ جُهْدُهَا فِي مَنْعِ أَنْ يُدِينَ الْمُذْنِبُ حِنَايَتَهُ السَّيِّئَةَ فِي ذَاتِهَا وَطَبِيعَةَ فِعْلِهِ وَمَايَّةَ صَبِيغِهِ ، مَا دَامَ يُشَاهِدُ السُّلُوكَاتِ وَالْمَهَارَسَاتِ نَفْسَهَا الَّتِي يَدَانُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ تُقَرُّ وَتُرْتَكَبُ فِي خِدْمَةِ الْعَدَالَةِ بِكُلِّ تَرْجِيحٍ وَبِسَرِيرَةٍ نَقِيَّةٍ وَطَوِيَّةٍ مُرْتَاحَةٍ ، مِثْلَ التَّجَسُّسِ وَالْكَيْدِ وَالرَّشْوَةِ وَنَصَبِ الْكَمَائِنِ ، وَكُلِّ أَفَانِينَ الْحِيلِ الَّتِي تَتَوَسَّلُهَا الشَّرْطَةُ فِي مَهَامِهَا.

وَمَا يُعْصِدُ ذَلِكَ أَنَّ الْجَنَاءَ مَا فَنَبُتُوا يَجِدُونَ الْجَرَائِمَ ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا مِنْ اغْتِنَابٍ وَعُغْفٍ وَقَهْرٍ وَتَعْذِيبٍ وَقَتْلِ ، وَقَسَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَهَا مِنَ الْجَرَائِمِ الَّتِي لَا نُلْفِي لَهَا عُذْرًا حَتَّى فِي الْأَهْوَاءِ ، غَيْرَ مُدَانَةٍ مِنْ قِبَلِ الْقَاضِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ (فِي ذَاتِهَا) وَإِنَّمَا هِيَ مُدَانَةٌ فِي بَعْضِ الظُّرُوفِ وَالْحَيْثِيَّاتِ وَهَذَا مَا جَعَلَ

¹²⁰⁵GM, Trad. Henri Albert, II, § 10.

¹²⁰⁶Ibid, § 14.

الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ أَوْ الضَّمِيرَ الشَّقِيَّ عُشْبَةً مُسْتَحِيلَةً النَّمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْبَدَائِيَّةِ¹²⁰⁷ ، لَا سِيَّمًا أَنْ تَلْكُمُ الشُّعُوبَ الْبَدَائِيَّةَ لَمْ تَكُنْ تَعُدُّ عِقَابَهَا لِلْمُجْرِمِينَ مَسْأَلَةً إِنْزَالٍ عِقَابٍ بِمُذْنِبِينَ ، بَلْ كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ مُسَبِّبُو أَضْرَارٍ وَقَدَّرَ نَزَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ لَا رَادَّ لَهُ وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَمَا كَانَ لِلْمُذْنِبِينَ أَنْ يَشْرُدُوا عَنْ هَذِهِ النَّظَرَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ دَأْبُهُمْ أَنْ يَحْسَبُوا جَنَايَاتِهِمْ قَضَاءً وَقَدَرًا وَلِذَلِكَ مَا كَابَدُوا إِثْرَ جَرَائِمِهِمْ أَيْ "أَلَمْ بَاطِنِي" وَمَا كَانُوا لِيَعْدُوا الْعِقَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا عَقَبَ ذَلِكَ إِلَّا قَضَاءً وَقَدَرًا وَهُوَ عِقَابٌ وَأَلَمْ لَا يَخْتَلِفُ فِي نَظَرِهِمْ عَنْ ذَلِكَ الَّذِي يَذُوقُونَهُ جَرَاءَ كَوَارِثٍ تَقَعُ عَلَيْهِمْ بَغْتَةً أَوْ بِسَبَبِ ظَوَاهِرٍ طَبِيعِيَّةٍ مُرْعَبَةٍ يَكُونُونَ ضَحِيَّةً لَهَا¹²⁰⁸ .

هَذِهِ الْقَدْرِيَّةُ التَّوَكِيدِيَّةُ سَاقَتْ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَدَائِيَّةَ لآلَافِ السِّنِينَ إِلَى أَلَّا تَعُدَّ الْجَنَايَاتِ أَفْعَالًا مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَحْصَلَ أَوْ اقْتِرَافَاتٍ كَانَ مِنَ الْإِمْكَانِ أَنْ يَتَلَفَّاهَا الْجَنَاءُ ، أَيْ إِمْكَانَ التَّصَرُّفِ عَلَى نَحْوِ مُخْتَلِفٍ ، ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْسَبُ الْأَحْدَاثَ وَالْجَرَائِرَ قَضَاءً وَقَدَرًا يَنْزِلُ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ ، وَيُجَوِّبُ ذَلِكَ كَانَ الْجَنَاءُ يَخْضَعُونَ لِلْعِقَابِ مِثْلَمَا يَسْتَسْلِمُونَ لِمَرَضٍ أَوْ نَائِبَةٍ أَوْ مَوْتٍ دُونَهَا احْتِجَاجٍ أَوْ تَمَرُّدٍ أَوْ تَرَدُّدٍ ، لَقَدْ كَانُوا مُرَحِّبِينَ بِهَذَا جَمِيعِهِ بِرُوحِ قَدَرِيٍّ جَرِيٍّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَاةَ ذَنْبٍ . مَا لَبِثَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا أَطْوَارًا حَتَّى وَلَدَ هَذَا الْعِقَابُ لَاحِقًا الْمَزِيدَ مِنَ الْخَشْيَةِ وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ وَالتَّحَكُّمِ بِالشَّهَوَاتِ ، مَا أَفْضَى فِي الْمُنْتَهَى إِلَى تَرْوِضِ الْإِنْسَانِ *Dompte l'homme* وَتَدْجِينِهِ *Apprivoise l'homme*¹²⁰⁹ دُونَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ إِنْسَانًا أَفْضَلَ بَلْ مَا زَادَهُ إِلَّا سُوءًا¹²¹⁰ .

تَفْصِيلًا لِلْمَذْكُورِ آنِفًا ، نَشَأَتْ وَتَفَرَّعَتْ فِكْرَةُ الذَّنْبِ حَسَبَ الْجِنْيَاوَلُوجِيَا ، بِوَصْفِهَا فِكْرَةً رُوحَانِيَّةً وَرَمَزِيَّةً ذَاتَ مَعْرَى أَخْلَاقِيٍّ ، مِنْ فِكْرَةِ الدِّينِ بِوَصْفِهَا مُمَارَسَةً اقْتِصَادِيَّةً سَادَتْ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَدَائِيَّةِ تَقُومُ عَلَى كَوْنِ بَقَاءِ الْمُسْتَدِينِ مُرْتَبِطًا بِالدَّائِنِ حَتَّى يَفِي بِوَعْدِهِ الْمُتَمَثِّلِ فِي تَسْدِيدِ الدِّينِ ، فَبَيْنَمَا يَنْتَظِرُ الدَّائِنُ اسْتِرْدَادَ دَيْنِهِ فِي مَوْقِعِ قُوَّةٍ ، فَإِنَّ الْمُسْتَدِينَ يَظُلُّ فِي مَوْقِعِ ضَعْفٍ مُرْهَقًا بِضَرُورَةِ التَّزَامِهِ بِمَا قَطَعَهُ مِنْ وَعْدٍ سَدَادِ الدِّينِ . لَا بَرَّاحَ مِنْ أَنْ يَزِيدَ الدَّائِنُ قُوَّةً بَيْنَمَا يَزْدَادُ الْمُسْتَدِينُ ضَعْفًا وَعَجْزًا وَتَتَسَّعُ الْفُجُوءُ بَيْنَهُمَا ، إِذْ كُلَّمَا أَدْرَكَ عَجْزَهُ عَنْ إِيفَاءِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ زَادَ ضَعْفًا وَكَانَ ثِقْلُ الدِّينِ عَلَيْهِ شَدِيدًا ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُقَدِّمَ تَعْوِضًا مِنْ أَعْلَى مَا لَدَيْهِ¹²¹¹ .

وَلْيَكُونِ الْمُسْتَدِينُ فِي مُسْتَوَى فَضَاعَةِ الْإِخْلَالِ بِالْوَعْدِ وَالْمَسَاسِ بِفَضْلِ الدَّائِنِ ، تَأْتِي فِكْرَةُ التَّعْوِضِ الَّتِي لَا تَعُودُ إِجَابًا عَلَى مُمْتَلَكَاتِ الدَّائِنِ فَقَطْ وَإِنَّمَا عَلَى كَيْفُونَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْجَمَاعِيِّ وَالرَّمْزِيِّ ، وَذَلِكَ بِالسَّمَاحِ لِلدَّائِنِ أَنْ يَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِيهِ بِالتَّفَوُّقِ وَالشُّعُورِ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمَدِينِينَ بِإِنْزَالِ الْأَذْيَةِ وَالْعُنْفِ عَلَيْهِمْ . هَذَا الْمَنْطِقُ الْعِقَابِيُّ كَانَ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَدَائِيَّةِ لَمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ

¹²⁰⁷ GM, Trad. Henri Albert, II, § 14.

¹²⁰⁸ Ibid.

¹²⁰⁹ فضل بلوندال و بيونكي ترجمة العبارة ب *l'homme domestique*.

¹²¹⁰ Ibid § 15.

¹²¹¹ Ibid, § 5.

في إطار أخلاقيات العادات لا يُؤلّد إحساساً بالذنب وضميراً شقيّاً، ما دام التعويض مُمكنًا بصورة من الصور¹²¹²، على تقييض المنطق العقابيّ لما بعد أخلاقيات العادات المُبني في جوهره على مفهوم الذنب¹²¹³.

¹²¹²GM, Trad. Henri Albert, II § 14 : « Si nous nous reportons maintenant à ces milliers d'années qui précèdent l'histoire de l'homme, nous prétendrions hardiment que c'est précisément le châtement qui a le plus puissamment retardé le développement du sentiment de culpabilité, — du moins chez les victimes des autorités répressives. Et ne négligeons pas de nous rendre compte que c'est l'aspect des procédures judiciaires et exécutives, qui empêche le coupable de condamner en soi son méfait et la nature de son action ... La « mauvaise conscience », cette plante la plus étrange et la plus intéressante de notre flore terrestre, n'a pas sa racine dans ce sol-là. — pendant bien longtemps, en effet, dans l'esprit de celui qui juge et punit, ne s'est même pas glissée l'idée qu'il pourrait avoir affaire à un « coupable ». Voir GM, Trad. Henri Albert, II, § 17 : « ... une horde quelconque de blondes bêtes de proie, une race de conquérants et de maîtres qui, avec son organisation guerrière doublée de la force d'organiser, laisse, sans scrupules, tomber ses formidables griffes sur une population... Ce n'est point chez eux, on le devine, qu'a germé la mauvaise conscience, — mais sans eux elle n'aurait point levé, cette plante horrible, elle n'existerait pas, si, sous le choc de leurs coups de marteau, de leur tyrannie d'artistes, une prodigieuse quantité de liberté n'avait disparu du monde, ou du moins disparu à tous les yeux, contrainte de passer à l'état latent. Cet instinct de liberté rendu latent par la force, resserré, refoulé, rentré à l'intérieur, ne trouvant plus dès lors qu'à s'exercer et à s'épancher en lui-même, cet instinct, rien que cet instinct — nous l'avons déjà compris — fut au début la mauvaise conscience ».

¹²¹³موقف نيتشه من أخلاقيات العادات غامض جداً وليس بتأناً متسقاً، ما جعل الشراح محتارين تارة و متناقضين تارة أخرى؛ هذا ما دفع مثلاً الشراح أندريه ستونجنيك إلى القول: "من الأهمية أن نشير إلى أن نيتشه لا يعرف البتة أخلاقيات العادات بمضمونها، والتي بمقدار ما يمكن أن تتعلق بالأخلاق الأرستقراطية للسادة، يمكنها أيضاً أن تتعلق بالأخلاق الخسيسة للعبيد". André Stanguennec, Le Questionnement moral de Nietzsche, p. 45 : « Histoire de la moralité des mœurs.- il est important de souligner que Nietzsche ne définit jamais « sittlichkeit der sitte » par son contenu, qui peut être relever tant d'une morale aristocratique des « maîtres » que d'une morale grégaire des « esclaves »... ».

لا يعود هذا في تقديرنا إلا لغموض نصوص نيتشه من جانب و تناقضها من جانب آخر، على سبيل المثال يورد فيلسوف الاقتدار أن أخلاقيات العادات هذه القائمة على تعريف الأخلاق بأنها الإذعان للعادات واللاأخلاق بأنها عصيان لها، كانت تعدّ شرّاً كلّ رجلٍ حرٍّ يريد أن يتصرف كما يحلو له، إذ في كل الدول البدائية كان الشر مرادفاً للإنسان الفردي والحر والاعتباطي وغير المعتاد وغير المتوقع وغير المنتظر، بلغة أخرى كانت تحسب شرّاً كل تلك الصفات العزيزة على قلب نيتشه؛ لقد كانت أخلاقيات العادات سبباً في شعور كل أشكال الإنسان الأصلية من عقول نادرة ومختارة و مندفعة (التي ينظر لها على أنها خطيرة و شريرة) بتأنيب الضمير.

A, Trad. Henri Albert, § 9 : « Idée de la moralité des mœurs... la moralité n'est pas autre chose (donc, avant tout, pas plus) que l'obéissance aux mœurs, quel que soit le genre de celles-ci; or les mœurs, c'est la façon traditionnelle d'agir et d'évaluer. Partout où les coutumes ne commandent pas il n'y a pas de moralité;... L'homme libre est immoral, puisque, en toutes choses, il veut dépendre de lui-même et non d'un usage établi, d'une tradition : dans tous les états primitifs de l'humanité « mal » est synonyme d'« individuel », « libre », « arbitraire », « inaccoutumé », « imprévu », « imprévisible ». Dans ces mêmes états primitifs, toujours selon la même évaluation... Toute action individuelle, toute façon de penser individuelle font frémir; il est tout à fait impossible de déterminer ce que les esprits rares, choisis, primesautiers, ont dû souffrir au cours des temps à être ainsi toujours considérés comme mauvais et dangereux, bien plus, à s'être toujours eux mêmes considérés ainsi. Sous la domination de la moralité des mœurs, toute espèce d'originalité avait mauvaise conscience... ».

على الخطى نفسها يواصل نيتشه في مدح أولئك الأقوياء والأشرار من منتهكي القوانين والأعراف، وباختصار تقريظ ما هو عتيق في المجتمعات التي غفت أهواؤها؛ أولئك الذين يوقدون ويوقظون الأهواء من مرقدها ويبعثون التناقض والجرأة والرغبة في الجديد

وَالْحَالُ أَنَّ الشَّدْرَةَ الْخَامِسَةَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ مُصَنَّفِ الْجِينِيَالُوجِيَا تُسَعِفُنَا فِي تَخْمِينِ الصِّلَةِ غَيْرِ الْمُتَكَافِئَةِ بَيْنَ الْمُذْنِبِينَ وَالْمُذْنَبِ فِي حَقِّهِمْ فِي الْأَفْقِ الْأَخْلَاقِيِّ الْإِرْتِكَاسِيِّ، خُصُوصًا فِي نُسخَتِهِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ. إِذْ لَوْ وَعَيْنَا هَذِي الشَّدْرَةَ، وَفَقَّ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ الْأُصُولِيِّ، سَنُدرِكُ أَنَّ الْمُذْنِبِينَ تَبَعًا لِذَلِكَ

والتجريب والمغامرات الخطيرة في النفوس، مبدعين أخلاقاً وأدياناً جديدةً على الرغم من أن الجديد الذي يدوس على القديم ليس في أعين المجتمعات البشرية إلا الشرَّ عَيْتَهُ.

GS, Trad. Henri Albert, § 4 : « Les esprits les plus forts et les plus méchants ont jusqu'à présent fait faire les plus grands progrès à l'humanité : ils allumèrent toujours à nouveau les passions qui s'endormaient - toute société organisée endort les passions, - ils éveillèrent toujours à nouveau le sens de la comparaison, de la contradiction, le plaisir de ce qui est neuf, osé, non éprouvé, ils forcèrent l'homme à opposer des opinions aux opinions, un type idéal à un type idéal.. Mais aussi par de nouvelles religions et de nouvelles morales!... Ce qui est neuf, cependant, est de toute façon le mal, étant ce qui conquiert et veut renverser les vieilles bornes et les piétés anciennes; et ce n'est que ce qui est ancien qui puisse être le bien! »

Voir la Traduction faite par Patrick Wotling : « ... ils n'ont cessé de rallumer les passions assoupies — toute société organisée assoupit les passions —, ils n'ont cessé d'éveiller le sens de la comparaison, de la contradiction, du plaisir pris à la nouveauté, aux entreprises risquées, jamais tentées ».

لكننا نرى نيتشه في الشدرة التاسعة من القسم الثالث من الجينياولوجيا يذهب إلى أن أخلاقية العادات التي سبقت التاريخ العالمي هي التاريخ الأساسي و الهام والحاسم الوحيد الذي طبع الإنسانية بطابعه ؛ إنه ذلك التاريخ الذي جسد بالفعل القيم التي بشر بها نيتشه ؛ أعني التاريخ الذي كان يعتبر الألم والقسوة والاحتجاب والتعطش للانتقام وجحdan العقل فضيلة والعيش الرغيد والرغبة في العلم والسلام والتعاطف خطراً و تغيير العادات لأخلاقاً وفساداً.

GM, Trad. Henri Albert, III, § 9 : « Mais à cause de cet orgueil même il nous est presque impossible de considérer les périodes immenses de la « moralité des mœurs » qui ont précédé l'a histoire universelle », comme seule histoire capitale, importante et décisive, celle qui a fixé le caractère de l'humanité : alors que partout la douleur pas sait pour vertu, la cruauté pour vertu, la dissimulation pour vertu, la soif de vengeance pour vertu, le reniement de la raison pour vertu, quand, d'autre part, le bien-être était regardé comme un danger, le désir de savoir comme un danger, la paix comme un danger, la compassion comme un danger, l'apitoiement comme un opprobre, le travail comme une honte, la démence comme une chose divine, le changement comme l'immoralité et la corruption par excellence ! ».

عجز نيتشه أن يصوغ آراءه صياغة متسقة جعله يتخبط خبط عشواء في مسألة علاقة أخلاقية العادات بالإنسان البدائي المكين ؛ نشير هنا إلى صعوبة إدراك العلاقة بين أخلاق العادات للعصور البدائية لما قبل ظهور التدجين الأخلاقي والإنسان المقتدر الواعد الذي تحدث عنه الشدرة 2 و3 من القسم الثاني من جينياولوجيا الأخلاق بوصفه ثمرةً وغاية لها ، فإذا كانت تلكم الأخلاق في بداياتها قائمة على تسليط القسوة والألم على أفرادها لخلق ذاكرة تضطرهم إلى الانتظام والانضباط وتقدير العواقب ، فإن الأفراد المقتدرين الذين هم ثمرة لكل جهودها المبذولة وتقنياتها التهذيبية بعدد في الفترة اللاحقة يتميزون بالفردة من جهة (لا يشبهون إلا أنفسهم) ومتحررون من جهة ثانية من تلكم الأخلاق التي أنجبتهم ، إذ لا يمكن أن تجتمع خصلة الاستقلالية ومفهوم الأخلاق. أفراد من هذا الصنف لا ينفكون عن قطع الوعود والإيفاء بها في جو نفساني كله فخرٌ بالنفس وقدرةٌ تسمح لهم بالسيطرة على الذات والآخرين والظروف . إذا كانت الذاكرة الإيجابية الخلاقة بوصفها استشرافاً للمستقبل وخلقاً له من لدن هؤلاء الصنف من المقتدرين حصيلةً لتاريخ طويل من القسوة والإيذاء ، فلم إذن القطيعة مع الشروط التي ولدتهم ؟ أفليس من المطلوب أن نحافظ على الشروط بالإبقاء على شروطه وجوداً وعدماً ؟ بعبارة أخرى إذا أجبنا بالإيجاب فعلى فلسفة نيتشه أن تقوم في مبانيها على الحظر والقمع والقسر والإكراه لكل من تسول غرائزه أن ينسى المواثيق وينتهك القوانين ؛ أي إخضاع من يريد أن ينتصر للاستقلالية ضد الأخلاقية كما يقر هو في كثير من الشواهد المتصلة أو المتفرقة ؛ وهنا يقع في تناقضٍ إذ ينفي في الشرط (الاستقلالية وتوكيد الغرائز) ، ما يثبت لاحقاً في الشروط (الاستقلالية ، توكيد الغرائز) ، لعلنا نجد مخرجاً هنا في القول أن الاستقلالية في الشرط غير ناضجة ومنفلتة والغرائز في الشرط غير منضبطة بينما في الشروط فالاستقلالية ناضجة عركتها القسوة والألم ، فضلاً عن كون الغرائز في هذا الطور متحكم فيها ، لكن هذا مجرد تأويل أو تخريج و نيتشه لا يقدم لنا تفصيلاتٍ لحدوسه المتنافرة والمتضاربة التي لا يجمع بينها في كثير من الأحيان سوى المزاج والاعتباط.

يَظْلُونَ مُرْتَبِطِينَ بِالْمُذْنِبِ فِي حَقِّهِمْ حَتَّى يُسَدِّدُوا ثَمَنَ الذَّنْبِ الَّذِي افْتَرَفُوهُ وَمَا ذَلِكَ الثَّمَنُ إِلَّا التَّكْفِيرُ عَنْهُ. وَمِنْ ثَمَّ فَالرَّابِطُ الْبُنْيَوِيُّ بَيْنَ الْمُذْنِبِينَ وَالْمُذْنِبِ فِي حَقِّهِمْ هُوَ الذَّنْبُ عَيْنُهُ، لَكِنْ يَتَحَلَّلُ هَذَا كُلُّهُ تَبَايُنٌ فِي مَوْجِعِ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، فَلَيْنَ كَانَ الْمُذْنِبِينَ فِي حَقِّهِمْ مُنْتَظَرِينَ التَّكْفِيرَ فِي مَوْجِعِ قُوَّةٍ، فَإِنَّ الْمُذْنِبِينَ يَزْرَحُونَ فِي مَوْجِعِ ضَعْفٍ مُثْقَلِينَ بِالْوَعْيِ بِذُنُوبِهِمْ مِنْ جِهَةٍ وَالْحَاحَاتِ التَّكْفِيرِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ. وَكُلَّمَا أَدْرَكُوا عَجْزَهُمْ عَنِ التَّكْفِيرِ مِنْ فِدَاخَةِ الذُّنُوبِ زَادَتْ ضَمَائِرُهُمْ شَقَاءً وَحَيَوَاتُهُمْ بُؤْسًا، مَعَ نَمَاءٍ فَطِيعٍ لِلشُّعُورِ بِالْحَقَارَةِ وَالْهَوَانِ.

وَلَا يَكْتَفِي الْمُذْنِبُونَ بِالتَّكْفِيرِ بِشَيْءٍ مِنْ مُمْتَلَكَاتِهِمْ وَإِنَّمَا يَعْمِدُونَ إِلَى مَنْطِقِ عِقَابِي عَسَاهُ يَزِدُّ شَيْئًا مِنْ الْهَوَا بَيْنَ الْمُذْنِبِينَ وَالْمُذْنِبِ فِي حَقِّهِمْ يُتِيحُ لَهُؤُلَاءِ الْآخَرِينَ أَنْ تَزْدَادَ كَيْثُونَتُهُمْ رِفْعَةً وَسُمُوءًا، قُدْرَةً وَقُوَّةً رَبَّمَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْمَادِّيِّ وَآكِيدَ عَلَى الْمُسْتَوَى الرُّمُزِيِّ، وَلَا غَرَابَةَ فِي أَنْ يَنْجُمَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ اتِّسَاعُ الشَّرْحِ بَيْنَ مُذْنِبِينَ لَا يَزْدَادُونَ إِلَّا شَقَاءً وَمُذْنِبِينَ فِي حَقِّهِمْ يَزْدَادُونَ شَأْوًا وَقُدْرَةً وَيَعْنَمُونَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ¹²¹⁴.

لَا يَسْعُنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ شُعُورَ الْبَشَرِيَّةِ بِالْإِلْتِزَامِ وَالْوَاجِبِ ثُجَاهَ شَيْءٍ لَا يَبْدُ مِنْ حَيِّثِيَّةِ الْمَصْدَرِ عَنِ الْمُنَوَالِ الَّذِي نَشَأُ بِهِ الضَّمِيرُ الشَّقِيَّ وَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنْ مَفَاهِيمَ، ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَمْ يَصْدُرَا مِنْ مَنَبَتِ اخْلَاقِيٍّ وَلَا إِلَهِيٍّ وَلَا جَبَلِيٍّ وَإِنَّمَا يَعُودَانِ فِي أَصُولِهِمَا إِلَى تَرْوِيضِ ثَقَافِيٍّ قَامَتْ بِهِ الْمُجْتَمَعَاتُ الْبَدَائِيَّةُ مُرْتَبِطَةً بِوَنَاقٍ لَا انْفِكَاءَ عَنْهُ بِالْقُسُوءِ وَالتَّغْذِيبِ الَّذِي مَارَسَتْهُ الْجَمَاعَةُ عَلَى أَعْضَائِهَا، شَأْنُهُ شَأْنُ أَيِّ شَيْءٍ عَظِيمٍ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ. إِذْ جَدَّتِ الثَّقَافَةُ فِي إِجَادِ الشُّعُورِ بِالْوَاجِبِ وَحَضَّتْ عَلَى تَقْدِيسِهِ بِتَوَسُّلِ سُبُلِ التَّرْهِيْبِ؛ مِنْهَا تَغْذِيبُ كُلِّ مَنْ جَنَى كَاخِذِي الطَّرِيقِ الْمُفْضَلَةِ لِلتَّعْوِيضِ عَمَّا سَبَّبَهُ مِنْ أَضْرَارٍ.

فِي كُنْهِ هَذَا التَّرْوِيضِ غَدَتْ مُعَانَاةُ الْمُذْنِبِ تَعْوِيضًا عَنْ دَيْنِهِ إِزَاءَ مَنْ أَدْنَبَ فِي حَقِّهِ، وَلَقَدْ كَانَتْ أَحَدَ أَهَمِّ الدَّوَاعِي لِهَذَا التَّعْوِيضِ الَّذِي يُضْمَرُ ارْتِبَاطًا أَقْدَمَ بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ، تِلْكَمُ اللَّذَّةُ الَّتِي وَجَدَهَا الدَّائِنُ/ الْمُذْنِبُ فِي حَقِّهِ فِي الْحَاقِ الْأَدَى بِالْمَدِينِ/ الْمُذْنِبِ. وَهَذِهِ الْبَهْجَةُ الْأَصْلِيَّةُ فِي تَغْذِيبِ وَإِهَانَةِ أَشْخَاصٍ عَاجِزِينَ رَاسِفِينَ فِي وَضْعِيَّةٍ حَقِيرَةٍ كَانَتْ سِمَةً لِلثَّقَافَاتِ الرَّاقِيَةِ وَمَا أَصْلُ الْعِقَابِ بِمُخْتَلِفٍ عَمَّا أَوْرَدْنَاهُ آنِفًا، إِذْ يَرْجِعُ بِدَوْرِهِ لِدَاتِ الْأُصُولِ الْعَنِيفَةِ، وَرَفَعُ هَذَا الْعُنْفِ بِمُخْتَلِفٍ أَشْكَالِهِ إِلَى مُسْتَوَى الْمَفَاهِيمِ وَالسُّلُوكَاتِ الرُّمُزِيَّةِ الَّتِي تُسْتَبْطَنُ فِي الْأَعْرَافِ وَالْعَوَائِدِ الْخَاصَّةِ بِالثَّقَافَاتِ الرَّاقِيَةِ هُوَ مَا سَمَاهُ نَيْتَشَةُ بِشَيْءٍ مِنَ الرُّوِيَّةِ وَالْحَذَرِ بِإِضْفَاءِ الطَّابَعِ الرُّوحِيِّ وَالْإِلَهِيِّ عَلَى الْقُسُوءِ¹²¹⁵.

(د) تَجْذِيرُ الضَّمِيرِ وَتَحْوِيرُ الدِّينِ بَيْنَ التَّخْرِيجِ الْإِلَهِِيِّ وَالتَّخْرِيجِ الْإِخْلَاقِيِّ

¹²¹⁴GM, Trad. Henri Albert, II, § 5.

¹²¹⁵Ibid, § 6.

مَا بَرَحَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ الشُّعُورَ بِدَيْنِهَا تُجَاهَ الْإِلَهِ حَتَّى مَعَ ضَعْفٍ وَانْقِصَاءٍ الْجَمَاعَةِ الْمُنْتَظَمَةِ عَلَى أُسَاسِ قَرَابَةِ الدَّمِّ ، وَمِثْلَمَا وَرِثَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ مَفْهُومِي الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ مِنْ نَبَالَةِ الدَّمِّ ¹²¹⁶ وَالنَّسَبِ وَالْعِرْقِ ¹²¹⁷ - بِمَا فِي ذَلِكَ نَزْوَعُهَا النَّفْسَانِيَّ الْجَوْهَرِيَّ إِلَى إِنْشَاءِ نِظَامِ الطَّبَقَاتِ - ، فَإِنَّهَا وَرِثَتْ أَيْضًا ثِقَلُ الدُّيُونِ تُجَاهَ الْإِلَهِ ، الَّتِي أَرْهَقَتْ كَاهِلَهَا وَطَأَةُ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ تُبْرَى ذِمَّتُهَا مِنْهَا ، فِي ذَاتِ الْآنِ الَّذِي وَرِثَتْ أَيْضًا الْوَهِيَّةَ الْأَنْسَابِ (الْأَعْرَاقِ) وَالْقَبَائِلِ. وَلَوْ لَا تَجَسُّدُ ثِقَلَةٍ مِنْ طَرَفِ الْحُشُودِ الْعَظِيمَةِ مِنْ طَبَقَاتِ الْعَبِيدِ وَالْخَدَمِ الَّذِينَ تَأَقَّلُوا مَعَ عِبَادَةِ أَسْيَادِهِمْ لِلْإِلَهِ ، أَكَانَ ذَلِكَ التَّاقُّلُ بِالْإِكْرَاهِ أَمْ الْخُضُوعِ أَمْ الْبِنَاقِ ، مَا دَاعَ هَذَا الْإِرْثُ ، بِاعْتِبَارِهِ شُعُورًا بِالذَّيْنِ تُجَاهَ الْإِلَهِ ، فِي كُلِّ بَقَاعِ الْأَرْضِ وَفِي كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ. وَحَيْثُمَا وَاصَلَتْ فِكْرُهُ اللَّهُ وَالشُّعُورُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ النَّمَاءَ لِلآلَافِ السِّنِينَ ، تَضَاعَفَ الشُّعُورُ بِالذَّيْنِ فِي حَقِّ الْإِلَهِ بِالسَّرْعَةِ ذَاتَهَا ¹²¹⁸ .

لَا سَبِيلَ لَأَخِذٍ وَلَا مُعْتَرِضٍ عَلَى قِيَامِ فِلْسَفَةٍ نِيْتَشُهُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ مِنْهَا وُجُودُ تَفَاوُتٍ أَصْلِيٍّ بَيْنَ الْبَشَرِ مِنْ حَيْثُ شَرَفُ الدَّمِّ وَالنَّسَبِ ، وَحُجَّتُهُ لِنَسْوِيعِ أُطْرُوحَتِهِ التَّارِيخُ الْعَاوِرُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي شَفَّ عَنْ كَوْنِ النَّبَلَاءِ الْأَشْرَافِ فِي بَدَايَاتِ الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَعَ الْمَفَاهِيمَ الْكُبْرَى الَّتِي اسْتَحَالَتْ إِلَى أَغْرَافِ خُلُقِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ ، لَكِنْ سُرْعَانَا مَا تَعَرَّضَتْ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ التَّحْرِيفَاتِ وَالتَّشْوِيْهَاتِ لَمَّا انْتَقَلَتْ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَنْسَابٍ وَعَنَاصِرٍ سُفْلِيَّةٍ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ وَغُمُومِ الْعَبِيدِ ؛ بِهِمْ أَصْبَحَتْ الْمَفَاهِيمُ عَلَى صُورَةٍ وَضَاعَتْهُمْ وَعَجَزَهُمْ وَأَخَذَتْ مَثَالِبَهَا تَزْدَادُ إِلَى أَنْ صَارَتْ فِي الْمُنْتَهَى - تِلْكَ الْمَفَاهِيمُ - نَقِيضًا جَهْرًا لِلْحَيَاةِ مِثْلَهَا الْحَالُ فِي الْمَسِيحِيَّةِ.

وَمَعَ ظُهُورِ الْإِلَهِ الْمَسِيحِيِّ ، بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَغْيِيرٍ عَنِ الْأُلُوْهِيَّةِ ، تَوَلَّدَ أَقْصَى شُعُورٍ بِالْإِلْزَامِ وَالذَّنْبِ ¹²¹⁹ فِي حَقِّ الْإِلَهِ ، وَلَيْسَ بِحَيْدُودَةٍ عَنِ الصَّوَابِ لَوْ اسْتَنْتَجْنَا ، بِشَيْءٍ مِنَ الْإِحْتِمَالِ ، أَنَّهُ مَا إِنْ يَأْخُذُ الْإِلَهِ الْمَسِيحِيُّ فِي التَّلَاشِي حَتَّى يَنْجَمَ مِنْ ذَلِكَ انْعِتَاقُ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنَ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ. وَفَوْقَ هَذَا الْاسْتِنْتَاجِ لَيْسَ مِنَ الْعَلَطِ لَوْ دَهَبْنَا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِنْبَاطِ أَيْضًا إِلَى أَنَّهُ مَا إِنْ يَنْتَصِرُ الْإِلْحَادُ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ وَكُلِّيَّةٍ سَتَحَرَّرَ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنَ الشُّعُورِ بِالذَّيْنِ فِي حَقِّ بِدَايَتِهَا ، عَلَيَّهَا الْأُولَى (الْإِلَهِ) ، مُسْتَعِيدَةً إِثْرَ ذَلِكَ بَرَاءَتِهَا ؛ فَمَا مِنْ أَنْفِكَالٍ بَرَاءَةِ الْبَشَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْإِلْحَادِهَا ¹²²⁰ .

لَقَدْ عَمَدَ نِيْتَشُهُ بِصُورَةٍ بَدِيعَةٍ إِلَى تَوْظِيْفِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ لِيَصُوِّغَ رَأْيًا حِينَالُوجِيًّا مُفَادُهُ أَنَّ الْإِلَهِاتِ نَشَأَ وَتَطَوَّرَ مِنْ ظَاهِرَةِ عِبَادَةِ الْأَسْلَافِ فِي تِلْكَ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي قَدَّسَتْ فِيهَا الْأَجْيَالُ أُسْلَاقَهَا وَشَعَرَتْ بِالذَّيْنِ تُجَاهَهَا جَرَاءَ الْإِعْتِقَادِ فِي كَوْنِ مَنْزِلَتِهَا وَمَنَاقِبِهَا وَفَلَاحِهَا مُتَاتٍ مِنْهَا ، وَمَا كَانَ لِهَذَا

¹²¹⁶ ترجمة بيونكي de noblesse de sang.

¹²¹⁷ ترجمة بلوندال de la noblesse de race.

¹²¹⁸ GM, Trad. Henri Albert, II, § 20.

¹²¹⁹ في ترجمة بيانكي sentiment de la dette ، في ترجمة بلوندال sentiment de culpabilité ، في ترجمة هنري ألبير sentiment d'obligation.

¹²²⁰ Ibid, § 20.

الإجلالِ أَنْ يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى إِضْفَاءِ طَابَعِ الْوَهْيِ وَصِفَاتِ الْوَهْيَةِ عَلَى الْأَسْلَافِ. لَقَدْ ظَلَّتِ الْإِنْسَانِيَّةُ تَشْعُرُ بِدَيْنِهَا لِلْإِلَهِ حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ الشُّعُورُ ذُرْوَتَهُ مَعَ الْإِلَهِ الْمَسِيحِيِّ¹²²¹ حَيْثُ عَدَا الدَّيْنُ مُتَعَسِّرًا، بَلْهُ مُتَعَذِّرًا عَلَى الْإِيفَاءِ بِهِ، مِنْ لَدُنْ كَائِنَاتٍ فَانِيَةٍ، مِنْ شِدَّةِ تَعَالِيهِ وَقَدَاسَتِهِ¹²²².

إِنَّمَا هَذِهِ الرَّابِطَةُ بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ، كَمَا نَشَأَتْ وَتَرَسَّخَتْ فِي إِطَارِ قَوَانِينِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبُدَائِيَّةِ، اسْتَحَالَتْ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ الْغَرِيبِ أَوْ التَّرْجَمَةِ الثَّقَافِيَّةِ إِلَى رَابِطَةٍ دَيْنٍ بَيْنَ الْأَخْلَافِ وَالْأَسْلَافِ، سَاقَ ذَلِكَ الْخَلْفُ إِلَى الْإِغْتِرَافِ بِأَفْضَلِيَّةِ السَّلَفِ وَقَادَهُمْ إِلَى تَعْظِيمِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ، وَلَا غَرَوْ مِنْ أَنْ يُوَلَّدَ ذَلِكَ كُلُّهُ شُعُورًا بِالْدَّيْنِ وَالْإِلْتِمَازِ ثَبَاطُثًا، وَهُوَ دَيْنٌ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ سَدَادُهُ إِلَّا بِالتَّضَحِّيَّاتِ (بِالْأَطْعَمَةِ فِي الْبَدَايَةِ، ثُمَّ بِالْقَرَابِينِ الْبَشَرِيَّةِ لَاحِقًا) تَبَعًا لِمَنْطِقِ تِجَارِيٍّ، إِذْ مَا قَدَّمَهُ السَّلَفُ لَمْ تَكُنِ الْمُجْتَمَعَاتُ الْبُدَائِيَّةُ لِتَتَصَوَّرَهُ مَجَانِيًّا، لِذَلِكَ كَانَتْ تُقَدِّمُ لَهُمْ الْقَرَابِينَ وَتُقَامُ لَهُمْ الْأَعْيَادُ وَتُمَارَسُ لِأَجْلِهِمُ الطُّقُوسُ، لَا سِيَّمَا الْإِدْعَاؤُ لِلتَّقَالِيدِ وَالْعَوَائِدِ الَّتِي سَبَقَتْهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ حَسَبَ نِيَّتِهِ أَصْلُ نَشْأَةِ الْإِلَهِ¹²²³.

مِنْ فَرَائِدِ الْجِينِيَالُوجِيَا وَنَفَائِسِ تَحْلِيلَاتِهَا الْإِشَارَةُ إِلَى الصِّلَةِ الْمُسْتَحْكِمَةِ لِمَفْهُومِي الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ بِالْإِفْتِرَاضَاتِ الدِّينِيَّةِ السَّابِقَةِ *Présumposés religieux*، لَا سِيَّمَا صِلَتَهُمَا الْوَثِيقَةَ بِالطَّابَعِ الْأَخْلَاقِيِّ أَوْ بِالْأَخْلَاقِ مِنْ حَيْثُ هِيَ تَعْبِيرٌ عَنْ حَقِيقَتَيْهِمَا الْمَحْضِ، أَيْ لَفَتْ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى كُمُونِ الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ فِي الضَّمِيرِ بِاعْتِبَارِهِمَا قَوَامًا لَهُ، وَعَلَى نَحْوِ أَكْثَرِ دِقَّةٍ إِلَى ارْتِبَاطِ فِكْرَةِ الضَّمِيرِ بِفِكْرَةِ اللَّهِ، أَيْ تَضَمُّنِ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ، الْمُقْتَرَنِ بِفِكْرَةِ اللَّهِ، مَفْهُومِي الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ.

لَكِنْ مَعَ إِضْفَاءِ الطَّابَعِ الْأَخْلَاقِيِّ عَلَى مَفْهُومِي الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ وَكُتِبَتَهُمَا وَاسْتَبْطَانُهُمَا فِي الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ، بِمَا هُوَ إِحْسَاسٌ بِالذَّنْبِ، لَمْ تُفْلِحِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ فَكِّ الْوَثَاقِ بَيْنَهُمَا وَالْدُّيُونِ الَّتِي أَعَاقَتْ تَحَرُّرَهَا النِّهَائِيَّ، وَهَكَذَا حِيلَ بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ (أَغْنَى مَفْهُومِي الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ) وَأَفْوَلُهُمَا الْجَذَرِيَّ، أَيْ بَيْنَهُمَا وَالتَّطَوُّرِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى نِهَائِيَّتِهِمَا وَمِنْ ثَمَّ التَّحَرُّرِ مِنَ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِمَا.

لَقَدْ جَرَى التَّارِيخُ بِعَكْسٍ مَا نَبَسَتْ بِهِ فَرَضِيَّةُ أَقُولِ مَفَاهِيمِ الدَّيْنِ وَالْوَاجِبِ - وَمِنْ ثَمَّ الذَّنْبِ - بِأَفْوَلِ عِلَّتَيْهَا (شَرْطُهَا) الَّتِي يَتَوَقَّفُ وُجُودُهَا عَلَيْهَا بِمَا هِيَ اللَّهُ، أَعْنِي بِطُلَانِ الْفَرَضِيَّةِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ

¹²²¹Lawrence J. Hatab, Nietzsche's 'On the Genealogy of Morality, An Introduction, Cambridge University Press, 2008, p. 103 : « Nietzsche continues to employ the creditor-debtor relation to shape this discussion. He claims that theology grew out of the more natural phenomenon of ancestor worship, which was a gesture of the reverence present generations had for their forebears, to whom they owed their place and success in the world... to the point where they took on the character of "gods," of beings with super-human attributes. The debt toward a deity was magnified to the extreme with the Christian God, "the maximal god yet achieved" ».

¹²²²Simon May, Nietzsche 'S On the Genealogy of Morality A Critical Guide, Cambridge university Press 2011, p. 76 : « The distinctive feature of Christian guilt is that it is inexpressible, because the debt we owe God is of such "transcendence" and "holiness" that "it cannot be paid off" (GM, II, 21) by such finite animal beings as we are. The problem this poses is not just that debts cannot be paid off, but that guilt is inexpressible ».

¹²²³GM, Trad. Henri Albert, II, § 19.

سَتَنعَتِقُ مِنَ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ وَمَا يَقُومُ عَلَيْهِ مِنْ مَفَاهِيمِ الدِّينِ وَالوَاجِبِ وَالذَّنْبِ خَالِمًا تَتَخَلَّصُ مِنَ الْاِفْتِرَاضَاتِ الدِّينِيَّةِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَرْتَدُّ فِي الْمُنتَهَى إِلَى مَفْهُومِ اللَّهِ ، إِذْ حَتَّى مَعَ أَقُولِ اللَّهِ ، اسْتَمَرَّ الشُّعُورُ الْإِنْسَانِي بِالذَّنْبِ وَالوَاجِبِ وَالذَّنْبِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ التَّلَوِيثِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ تَخْرِيجِ مَكَّنِ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ وَمُعْجَمِيَّتِهِ الْعَتِيقَةِ (اللَّهُ وَالذَّنْبِ وَالوَاجِبِ وَالذَّنْبِ) مِنَ الْخُلُودِ قُرُونًا فِي صُورِ أَخْلَاقِيَّةِ (يَقْصِدُ نِيَتَهُ صُورَ الزَّمَنِ الْحَدِيثِ) ، مَا أَعَاقَ حَدَثَ "أَقُولِ اللَّهِ" مِنْ اسْتِخْلَاصِ نَتَائِجِهِ الْفُصُوى فِي سَيَرُورَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ ؛ بَلْ تَطَوَّرَتْ هَذِهِ الْعَرَقْلَةُ ، بِاعْتِبَارِهَا تَخْلِيْقًا Moralisation وَاسْتِمْرَارِيَّةً لِمَقْوَمَاتِ الضَّمِيرِ الشَّقِيِّ الْمَذْكُورَةِ مِنْ قَرِيبٍ ، إِلَى صُورٍ أَكْثَرَ خُطُورَةً مِنَ الْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ وَالشُّعُورِ بِالْعَجْزِ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى التَّخْرِيجِ الْمَسِيحِيِّ لِمُغْضِلَةِ الدِّينِ بِوصْفِهِ تَحْرِيرًا لِلدَّائِنِ وَالْمَدِينِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

ذَلِكَ أَنَّ التَّخْرِيجَ الْأَخْلَاقِيَّ لِمَفْهُومِ الْوَاجِبِ وَالذَّنْبِ وَاسْتِحَالَتَهُمَا إِلَى ضَمِيرٍ أَخْلَاقِيٍّ بَائِسٍ يُعَدُّ ثِقْلَةً خَطِيرَةً عَدَا بِمَعِيَّتِهَا تَسْدِيدُ الْإِنْسَانِ لِدَيْنِهِ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا اسْتِحَالَةً تَبْعَتْ عَلَى الْيَأْسِ ، إِذْ فِي طَيَّاتِ هَذَا كُلِّهِ انْشَأَ الْإِحْسَاسُ بِالذَّنْبِ ، لَدَى الْمَدِينِ ، يَتَرَسَّخُ وَيَنْمُو فِي كُلِّ الْأَتِّجَاهَاتِ عَلَى نَحْوِ جَعَلِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَدِينَةِ لِلرَّبِّ تَذَرُّكُ اسْتِحَالَةِ التَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِهَا وَمَا فِكْرَةُ الْعِقَابِ الْأَبَدِيِّ إِلَّا تَعْبِيرٌ عَنْ هَذِهِ الاسْتِحَالَةِ ، إِذْ لَا يَكُونُ الْعِقَابُ أَبَدِيًّا إِلَّا حِينَمَا يَكُونُ الدِّينُ لِنَهَائِيًّا . وَفَوْقَ ذَلِكَ انْقَلَبَ مَفْهُومُ الدِّينِ وَالوَاجِبِ فِي هَذَا الْأَقْفِ الْأَخْلَاقِيِّ عَلَى الدَّائِنِ رَيْثَمَا اسْتَعْدَى الْإِنْسَانُ ، مِنْ ثِقَلِ الدُّيُونِ عَلَيْهِ ، اللَّهُ وَالسَّلَفُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْوُجُودَ سَعْيًا مِنْهُ لِلانْتِعَاقِ مِنْهَا ، ذَلِكَ مَا تَجَلَّى فِي صُورَةِ عِدَاءٍ لِلَّهِ وَالْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ ، أَوْ فِي صُورَةِ عِدَاءٍ لِلْأَبِ الْأَوَّلِ الَّذِي حَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ [وَمِنْ ثَمَّ التَّمَرُّدُ عَلَى مَفْهُومِ "آدَمَ" وَ"الْخَطِيئَةِ الْأُولَى" وَ"الْجَرْمَانِ مِنْ حُرِّيَةِ الْإِرَادَةِ"] ، أَوْ فِي شَكْلِ عِدَاءٍ لِلطَّبِيعَةِ الَّتِي انْحَدَرَ مِنْهَا وَمَا مَفْهُومُ شَيْطَانِ الطَّبِيعَةِ إِلَّا شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ فِي شَكْلِ عِدَاءٍ لِلْوُجُودِ الَّذِي لَمْ يَعُدْ ذَا قِيَمَةٍ وَمَا الْهَجْرَانُ الْمُتَشَائِمُ لِلْحَيَاةِ وَالتَّوَقُّعِ إِلَى الْعَدَمِ إِلَّا مَظْهَرَانِ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ .

لَكِنْ مَا كَانَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ الْمُرْهَقِ كَاهِلُهَا بِالْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ أَنْ تَسْتَمِرَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ، إِذْ مَعَ الْمَسِيحِيَّةِ انْتَهَى التَّخْرِيجُ الْأَخْلَاقِيُّ لِمَفْهُومِ الدِّينِ وَالوَاجِبِ إِلَى ابْتِدَاعِ حِيلَةٍ بَارِعَةٍ تَشْفُ عَنْ عِبَرِيَّةِ هَذِي الدِّيَانَةِ الَّتِي تَمَكَّنَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ عَلَى إِثْرِهَا مِنْ إِجَادِ مَخْرَجٍ مُتَنَاقِضٍ وَمُرْعَبٍ أَلْفَيْتٍ فِيهِ رَاحَةٌ لِحِينٍ مِنَ الدَّهْرِ وَمَا هَذِهِ الْحِيلَةُ إِلَّا فِكْرَةُ تَضْحِيَةِ الرَّبِّ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ لِتَسْدِيدِ دَيْنِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، ذَلِكَ الْإِلَهَ الَّذِي مِنْ مَحَبَّتِهِ الشَّامِلَةِ افْتَدَى الْإِنْسَانَ مِنْ فِدْيَةٍ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ، لِعَجْزِهِ ، أَنْ يَفْتَدِيَهَا . إِنَّهُ الْإِلَهَ الدَّائِنُ الَّذِي حَرَّرَ الْإِنْسَانَ الْمَدِينِ مِمَّا لَا قَبْلَ لَهُ بِهِ وَلَوْلَا هَذِهِ التَّضْحِيَةُ الْإِلَهِيَّةُ - حَسَبَ الْمُعْتَقَدِ الْمَسِيحِيِّ - مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَحَبَّةً مَا كَانَ لِلدِّينِ أَنْ يُرْفَعَ وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ أَنْ تَنَعَتِقَ .

وَقِيَّاسًا إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ الْنِيَتَشَوِيِّ وَبُلُوعًا بِهِ إِلَى مَدَاهُ ، نَقُولُ إِنَّ هَذَا النَّحْوَ فِي رَفْعِ الدِّينِ لَا يُفْضِي إِلَّا إِلَى تَعْمِيقِ الدِّينِ ثُجَاهَ الْإِلَهِ وَالْحَيَدُودَةِ بِهِ عَلَى اتِّجَاهِ جَدِيدٍ ، وَبِمَعِيَّتِهِ تَغْدُو الْبَشَرِيَّةُ مَدِينَةً لَهُ لَيْسَ رَهْبًا بَلْ مَحَبَّةً ، وَبَدَلِ أَنْ تَتَحَرَّرَ جَذْرِيًّا وَتَسْتَعِيدَ بَرَاءَتَهَا ، تَجِدُ نَفْسَهَا فِي أَغْلَالِ جَدِيدَةٍ تَتَمَثَّلُ فِي الْبَقَاءِ تَحْتَ سُلْطَانِ الْإِلَهِ الْفَادِي ، مَدِينَةً لِفَضْلِهِ ، لِفِدْيَتِهِ ، وَسُرْعَانَ مَا تَصِيرُ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالذِّيَّانِ إِلَى حُبِّ لَا

يَنْفَكُ يَتَضَحَّمُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ مُتَسَّعٌ لِحُبِّ الْبَشَرِ. حُبُّ كَهَذَا يَجْعَلُ الْبَشَرِيَّةَ تَتَصَاعَرُ وَتَضْعُفُ بِمِقْدَارِ مَا تَزِيدُ عَظَمَةَ الرَّبِّ وَسُلْطَانَهُ¹²²⁴.

فِي غُضُونِ تَرْسُخِ وَنَمَاءِ مَفْهُومِ الدِّينِ وَالْوَاجِبِ ثُجَاءَ الْإِلَهِ دَخَلَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي إِرَادَةِ تَغْذِيهِ الذَّاتِ، بِقَدْرِ مَا مَارَسَتْ أَيْضًا الْقَسْوَةَ عَلَى نَفْسِهَا الْمَكْبُوتَةِ وَالْمُرْتَدَّةِ إِلَى بَاطِنِهَا فِي ظِلِّ "الدَّوْلَةِ" الَّتِي دَجَنْتِ الْإِنْسَانَ وَرَوَّضَتْهُ، وَالْحَالُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَتَبَّنْ مَفْهُومَ الْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ كَفَرَضِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، وَلَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ إِلَّا بُغْيَةُ جَلْدِ ذَاتِهِ وَتَغْذِيهَا إِلَى حَدِّ مُرْعَبٍ، إِذِ اضْطَلَعَتْ فِكْرَةُ الذَّنْبِ فِي حَقِّ اللَّهِ أَوْ الدِّينِ ثُجَاهَهُ بِدَوْرِ الْوَسِيلَةِ الْمَكِينَةِ فِي تَغْذِيهِ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ فِكْرَةِ اللَّهِ الْبُلْسُمِ الشَّافِي الْنِهَائِيِّ مِنْ غَرَائِزِهِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَمْلِكْ أَنْفَكَارًا عَنْهَا فَقَطْ وَإِنَّمَا قَصَدَ إِلَى عَدِّ غَرَائِزِهِ هَذِهِ حَطَايَا فِي حَقِّ اللَّهِ وَعِدَاءٌ وَتَمَرُّدًا عَلَى الرَّبِّ وَالْأَبِ وَالسَّلَفِ وَمَبْدَأُ الْكَوْنِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الشِّفَاءِ مِنْ هَذِهِ الرِّغْوَعَةِ سِوَى التَّخَلُّصِ مِنْ ذَاتِهِ، مِمَّا يُؤَلَّفُ وَاقِعِيَّتَهُ وَمِمَّا هُوَ طَبِيعِيٌّ فِي نَفْسِهِ، لِيُحَوِّلَ هَذَا الْجُحْدَانَ لِلذَّاتِ إِلَى عِزْفَانٍ إِيْجَابِيٍّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَإِلَى إِيْمَانٍ قَطْعِيٍّ بِالْجَحِيمِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَإِلَى ذُنُوبٍ وَعِقَابٍ¹²²⁵.

بِلاَ امْتِرَاءٍ مَعَ مَفْهُومِ الدِّينِ الَّذِي صِيرَ بِهِ كَمَا أَشْرْنَا أَنْفًا إِلَى أَعْتَى أَشْكَالِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ وَمِنْ ثَمَّ إِلَى أَقْصَى أَنْوَاعِ التَّغْذِيَةِ الذَّاتِيَّةِ، بَلَغَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ ضَرْبًا مِنْ الْجُنُونِ الْمُتَجَسِّدِ فِي إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ- الَّتِي لَا مَثِيلَ لِقَسْوَتِهَا- فِي أَنْ يَكُونَ مُذْنِبًا لِحَدِّ يَتَعَدَّرُ مَعَهُ أَيُّ تَكْفِيرٍ وَفِي أَنْ يَكُونَ مُعَاقَبًا عِقَابًا يَفُوقُ كُلَّ ذَنْبٍ مُقْتَرَفٍ، وَفِي أَنْ يُسَمِّمَ الْأَسَاسَ الْعَمِيقَ لِلْأَشْيَاءِ وَمَغْزَاهَا بِمَفْهُومِي الذَّنْبِ وَالْعِقَابِ وَفِي أَنْ يُشِيدَ اللَّهُ الْفُذُوسَ مَثَلًا أَعْلَى حَيْثُ الْإِنْسَانُ إِزَاءَهُ لَا يَسْتَعِهُ سِوَى أَنْ يَكُونَ مُطْلَقَ الدَّنَاسَةِ وَالِدَّنَاءَةِ¹²²⁶. هَكَذَا أُلْفَى الْإِنْسَانُ ذَاتَهُ رَاسِقًا فِي الْقَمْعِ السِّيَاسِيِّ لِلدَّوْلَةِ مِنْ جَانِبٍ وَرَازِحًا تَحْتَ نِيرِ اسْتِبْطَانِ الْقَمْعِ النَّفْسَانِيِّ لِلْعَرَائِزِ مِنْ جَانِبٍ ثَانٍ وَبَاسًا تَحْتَ وَطْأَةِ التَّفْسِيرِ الدِّينِيِّ لِلْمُعَانَاةِ الْبَشَرِيَّةِ كَاتِمًا وَتَكْفِيرٍ مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ.

المَبَحْثُ الثَّالِثُ: الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْحَضَارَةُ فِي طَاغُوتِ الْعَدَمِ أَوْ الْمَثَلِ الْعُلْيَا تَحْتَ وَطْأَةِ الرُّوْيَةِ الرُّهْدِيَّةِ لِلْوُجُودِ

(أ) الْمَثَلُ الْأَعْلَى الرُّهْدِيُّ بَيْنَ مَكَائِدِ التَّأْوِيلِيَّةِ التُّسْكِيَّةِ وَنَقَائِضِ الْإِرَادَةِ الْعَدَمِيَّةِ

خُلِصَتْ فُتُوحَاتُ نَيْتِشِهِ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنْ مُصَنَّفِ الْجِينِيئَالُوجِيَا إِلَى الْإِسْفَارِ عَنِ الْمَقُومِ الثَّالِثِ لِلْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي صُورَتِهَا الْإِرْتِكَاسِيَّةِ وَالْعَدَمِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ نَقْدِيَّةَ نَيْتِشِهِ لَا تَكُونُ جَذْرِيَّةً إِلَّا إِذَا أَتَتْ عَلَى هَذَا الْمَبْنَى الثَّالِثِ الَّذِي لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنِ الْمَبْنَيْنِ التَّكْوِينِيَيْنِ السَّابِقَيْنِ؛ إِذْ لَوَلاَهُ مَا كَانَ لِلْأَخْلَاقِ الْعَبُودِيَّةِ أَنْ تُحَقِّقَ هَيْمَنَتَهَا الْخَطِيرَةَ عَلَى الْوَعْيِ الْبَشَرِيِّ لِقُرُونٍ مُطَّرَدَةٍ؛ وَمَا هَذَا الرُّكْنُ الثَّالِثُ إِلَّا الْمَثَلُ الْأَعْلَى الرُّهْدِيُّ الَّذِي تَمَكَّنَ بِفَضْلِ مَنْظُومَتِهِ التَّأْوِيلِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ مِنْ أَنْ يُقَيِّضَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ مَعْنَى

¹²²⁴GM, Trad. Henri Albert, II, § 21.

¹²²⁵Ibid, § 22.

¹²²⁶Ibid.

وَعَايَةً¹²²⁷؛ بيد أن ما كان له أن يسود لولا افتقار الإنسانية إلى مثل أعلى بديل، إلى آخر أفضل يقوم مقامها¹²²⁸.

ما من شك، في نظر نيتشه، أن المثل الأعلى الزهدي معبر عن أخطر خداع تلعب بالبشرية، مختلفاً من الأكاذيب والأوهام، من ذنب وحقيقة وموضوعية ومساواة وآخرة وجحيم، أسلحة فتاكّة ليحارب بها كل ما يشق عن اقتدار ونبالة في العالم، وإذا قصدنا إلى وصف المثل الأعلى الزهدي في أوجز العبارات، قياساً إلى تمييزنا الإجمالي، على غرار ما صنع أوين Owen، مفهوماً المثل الأعلى الزهدي من تجلياته العملية في الدين والفن والفلسفة والعلم¹²²⁹، قلنا إنه تلکم المثل العليا التي قدمت للبشرية قيماً ومغانٍ لوجودها انطبعت بالاضراب عن العالم واصطبغت بمناوأة ما يتقوم به من جسّ وجسدية وعزيرة بغية جعل معاناتها مبررة. وأما إذا صغنا هذا الوصف بعبارة أخرى قلنا إنه إرادة منافية لذاتها من جهة ومغادية للحياة¹²³⁰ من جهة ثانية، وإرادة تنبّع من عزيرة دفاعٍ وخلاصٍ لحياة آيلة إلى التفكك¹²³¹، إنه إرادة العدم أكان ذلك تعديماً للإرادة أم سلباً للعالم، في وجودهما، في نشاطهما الإيجابي، وقيمتيهما العليا.

حقيق بنا الانتباه إلى أن هذه الإرادة ليست أحادية التجلي وإنما لها من التجليات ما يصعب إحصاؤه ولها من الأقنعة ما يغسر على الأبصار التعرف إليها، ذلكم ما جعل المثل الأعلى الزهدي مضموماً عديمياً أو باثوساً نزوعياً لم يترك أرضاً، حسب نيتشه، إلا بنى فوقها حصونه، بل نوشك أن لا نلفي فتاً، فلسفة، علماً، إلا اتخذ منها مئوىً ووسيلةً للرُسوخ والذُيوع، ولا نجد كراهيةً للأقوياء والأرض والجسد والحواس والاعتزاز بالنفس وملذات الحواسي بما في ذلك الجسناوية إلا كان متلبساً بها وحنّاً عليها¹²³².

¹²²⁷Jean Patrice Ake, Le prêtre selon Nietzsche, Tome II, Edition L'Harmattan, 2014, p. 6.

¹²²⁸GM, Trad. Henri Albert, III, 28.

¹²²⁹David Owen, Nietzsche's "Genealogy of Morality", p. 113 : «We can begin by prefacing this discussion with a distinction between asceticism (i.e. ascetic procedures) and the ascetic ideal. The former refers to specific practices of self-discipline and self-constraint directed to mastering the expression of instincts and desires, and is related by Nietzsche to his discussion of Punishment, internalization and the formation of a memory of the will (GM II § 3). The latter denotes the idealization of asceticism as a way of life that is committed to treating living, existence itself, as an ascetic procedure where by the end to which this procedure is directed is necessarily not immanent to existence (as with specific ascetic practices) but transcends it (GM III § 11) ».

¹²³⁰GM, Trad. Henri Albert, II § 24. See Brian Leiter, Nietzsche on Morality, p. 194 : « ... what have up until now been regarded as ideals, ideals which are all hostile to life, ideals that defame the world ».

¹²³¹Ibid, III, § 13.

¹²³²FP, XII, Automne 1885 -automne 1887, 8 [3] : «Que signifient les idéaux ascétiques?... la haine contre les puissants de la terre et, en secret, un combat et concours de principe -- on veut l'âme, on leur abandonne le corps... la haine contre les sens, contre les joies des sens, contre la joie en général et une hostilité mortelle à la sensualité et à la sexualité ».

وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ مَنْطُومَةٌ مُغْلَقَةٌ مُمَنِّهَةٌ، تَتَمَيَّزُ بِإِرَادَةٍ وَهَدَفٍ وَتَأْوِيلٍ، تَمَكَّنَتْ مِنَ الْهَيْمَةِ عَلَى التَّارِيخِ وَتَوْجِيهِهِ¹²³³.

لَا مَدْنُوحَةٌ لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى، مِنْ حَيْثُ هُوَ إِرَادَةُ الْعَدَمِ، مِنْ شَيْعَةٍ مِنَ الْبَشَرِ تَرْعَاهُ وَتُنَمِّيهِ وَبِفَضْلِهَا يُهَيِّمُنَ عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَاسِرِ وَيَنْتَصِرُ الضَّعْفَاءُ وَالْمَرْضَى عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَالْأَصْحَاءِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ إِلَّا الْكَهَانُ¹²³⁴ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا مِنْ نَفْسِهِمُ الْحَقُودَ الْمُثَلَّ الْعُلْيَا الزُّهْدِيَّةَ لِيَخْلَعُوا عَلَى الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيَّ فِي هَذَا الْعَالَمِ مَعْنَى وَقِيمَةً وَلِيُضَفُّوا عَلَى الْمَعَانَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَغْرَى بِدُونِهَا تَعْدُو لَا نَطَاقَ¹²³⁵. فَلَيْسَ غَرِيبًا عَلَى شَخْصِيَّةِ مِثْلِ الْكَاهِنِ أَنْ تَسْتَعْلَ هَوَسَ الْبَحْثِ عَنِ الْمَعْنَى بِأَيِّ ثَمَنِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ هَذَا الْهَوَسَ يَدُلُّ عَلَى عَجْزِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى تَحْمِلِ الذَّاتِ وَالْوُجُودِ بِقَدْرِ مَا يَكْشِفُ أَيْضًا عَنْ بُغْضِهَا لِلْإِنْسَانِ وَمَقْتِهِمْ لِلْجُزْءِ الْحَيَوَانِيِّ مِنْ ذَاتِهَا، مِثْلَمَا يُفْصِحُ عَنْ رَغْبَةٍ فِي الْهَرُوبِ مِنَ الظَّاهِرِ وَالتَّغَيُّرِ وَالصِّيرُورَةِ وَالْمَوْتِ¹²³⁶. وَطَبْعًا لَا يُبَرِّزُ هَذَا الْعَالَمَ الْأَلِيمَ وَالْإِنْسَانَ الْمُتَأَلِّمَ، تَبَعًا لِلرُّؤْيَا الْكَهْنُوتِيَّةِ، إِلَّا بِالْعَدَمِ، بِالْآخِرَةِ. ذَلِكَ أَنَّ الْكَاهِنَ لَا يَقْدِمُ عِلَاجًا لِلْمَعَانَاةِ إِلَّا مِنْ زَاوِيَةِ نَظَرٍ لَاهُوتِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ تَكُونُ عَلَى إِثْرِهَا الْمَعَانَاةُ نَتِيجَةً لِلذُّنُوبِ وَفِي صِلَةٍ بِالْخَلَاصِ الْآخِرِيِّ¹²³⁷.

وَالْحَالُ أَنَّ الدَّوَاءَ الَّذِي يَقْدِمُهُ الْكَاهِنُ لَا يُضَاعِفُ الْأَلَمَ فَقَطْ وَإِنَّمَا يُضَحِّي كَذَلِكَ بِالْحَيَاةِ وَالذَّاتِ¹²³⁸، وَاهْبًا لِلْأَلَمِ طَائِعَ الْإِثْمِ وَالشُّعُورِ بِالذَّنْبِ¹²³⁹، وَإِذْ هُوَ يَتَعَامَلُ مَعَ آلامِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يُشَخِّصُ عَلَيْهَا الْحَقِيقِيَّةَ وَلَا يُعَالِجُ حَالَةَ الْمَرَضِ الْحَقِيقِيَّةَ بِقَدْرِ مَا يَمْنَحُ تَهْدِئَةً مُوقَّتَةً وَعِزَاءً ظَرْفِيًّا¹²⁴⁰ عَوَاقِبُهَا أَوْجَعُ¹²⁴¹. وَمِنْ ثَمَّ فَمَا مِنْ فَائِدَةٍ حَقِيقِيَّةٍ تُرْجَى مِنَ الْعِلَاجِ الْكَهْنُوتِيِّ مَا دَامَ الْمَرِيضُ لَا يَتَحَسَّنُ بِالْفِعْلِ، دَعَا عَنَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجْعَلُهُ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَأَسْوَأَ مِنْ هَذَا فَهُوَ يَدِجُّهُ وَيُضَعِّفُهُ وَيُبْطِئُ عَزِيمَتَهُ وَيَلْبِثُهُ وَيَجْرِدُهُ مِنَ الْفُحُولَةِ، وَالْوَجْهَ أَنْ يُقَالَ أَنَّ تَحْسِينَ الْكَاهِنِ لِلْمَرِيضِ لَيْسَ إِلَّا تَدَهُورًا وَانْتِقَاصًا مِنَ الْقَدْرِ وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمَرَضَى وَالْمُكْتَئِبِينَ إِلَّا مَرَضًا عَلَى مَرَضٍ.

زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ وَسَائِلَ الْكَهْنُوتِ فِي خَلْقِ وَهْمٍ تَحَسَّنٍ، مِنْ تَكْفِيرٍ وَتَوْبَةٍ وَانْتِشَاءٍ صُوفِيٍّ وَإِمَامَةِ الْجَسَدِ¹²⁴²، تَزِيدُ كَمَا يَشْهَدُ التَّارِيخُ سَقَمَ الْبَشَرِيَّةِ عُمُقًا وَجِدَّةً، فَحَيْثُمَا أَفْلَحَتِ الْخَطِيئَةُ الزُّهْدِيَّةُ فِي

¹²³³ Lawrence J. Hatab, How Does the Ascetic Ideal Function In Nietzsche's Genealogy ? The Journal of Nietzsche Studies, Issue 35/36, Spring/Autumn 2008, p. 110.

¹²³⁴ Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, pp. 140-146.

¹²³⁵ Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, pp. 3-4.

¹²³⁶ Ibid, p. 6.

¹²³⁷ Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes, p. 300.

¹²³⁸ Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 178.

¹²³⁹ Ibid, p. 176.

¹²⁴⁰ GM, Trad. Henri Albert, III, § 17.

¹²⁴¹ Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, p. 4.

¹²⁴² ينظر ترجمة هنري ألبير التي أدت المقاطع ب :

تَحْقِيقِ الْإِنْتِصَارِ ، أَصَافَتْ إِلَى كَاهِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ انْهِيَارًا عَصِيًّا تَارَةً وَشَلَلًا تَارَةً أُخْرَى وَهَذَيَانًا تَارَةً ثَالِثَةً وَمِنْ هُنَا خُطُورَةُ الْعَصَابِ الدِّينِيِّ¹²⁴³. هَذَا كُلُّهُ حَادٌ نَيْتَشْهَ عَلَى عَدِّ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ الْكَارِثَةِ الْعُظْمَى الَّتِي حَلَّتْ بِأُورُوبَا¹²⁴⁴ ، لِلْفَسَادِ الَّذِي أَلْحَقَهُ بِالصِّحَّةِ وَالذَّوْقِ بَلْ بِأَشْيَاءٍ يَتَعَذَّرُ عَدُّهَا¹²⁴⁵ ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ دَاخِلُهُ إِلَّا أَفْسَدَهُ وَمَا لَمْ يَسْ أَمْرًا إِلَّا أَهْلَكَهُ وَأَخْضَعَهُ إِلَى سُلْطَانِهِ¹²⁴⁶.

أَوَمَاتٍ شَذُورُ الْجِنْيَالُوجِيَا إِلَى وَثَاقٍ مَتِينٍ بَيْنَ الْمَبَانِي الثَّلَاثَةِ لِلْأَخْلَاقِ النَّافِيَةِ ، مَا يَجْعَلُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ تَوَلِيْفَةً مُتَعَاْضِدَةً تَجْمَعُ بَيْنَ الْاضْطِغَافِ وَالْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ¹²⁴⁷ فِي طَيَّاتِ إِرَادَةٍ تَشْرِيْبُ إِلَى الْعَدَمِ ، وَإِلَى الْحَطِّ مِمَّا يَفِيضُ فَاعِلِيَّةً وَافْتِدَارًا فِي الْحَيَاةِ ، لَكِنَّ النَّظَرَ إِلَى حَقِيقَتِهِ يُسِفِرُ عَنْ كَوْنِهِ وَسِيلَةً تَتَّخِذُهَا الْقَوَى الْمُتَنَهِّكَةُ فِي كِفَاحِهَا ضِدَّ الْمَوْتِ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ حِيلَةٌ مِنْ حِيَلِ الْحِفَاطِ عَلَى الْحَيَاةِ¹²⁴⁸ ، وَهُوَ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ صِمَامٍ أَمَانٍ لِلْإِنْسَانِ الْمُغْتَمِّ الَّذِي يَبْحَثُ عَنِ التَّخَلُّصِ مِنَ الْوَجْهِ الْمُرْعِبِ مِنَ الْحَيَاةِ بِالْحَيَاةِ¹²⁴⁹.

وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ يُعَبِّرُ هَذَا الْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ عَنْ جَمِيعِ الْوَسَائِلِ الْعَدَمِيَّةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِتَرْسِيخِ الْاضْطِغَافِ وَالْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ وَضَمَانِ انْتِشَارِهَا بِقَدْرِ مَا يَكْشِفُ عَنْ تِلْكَمُ الْإِرَادَةِ الْعَدَمِيَّةِ الَّتِي تُنْظِمُ وَتُوجِّهُ الْقَوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةَ فِي مَسَارِهَا نَحْوَ الْإِنْتِصَارِ¹²⁵⁰ بِتَوَسُّلِ الْمَثَلِ الْعُلْيَا وَالْقِيَمِ الْمُثَلَّى مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ، الْمَاهِيَّةِ ، الْحَقِّ ، الْآخِرَةِ ، وَالْجَحِيمِ ، وَبِمُوجِبِ ذَلِكَ تَضَطُّعِ إِرَادَةِ الْعَدَمِ بِدَوْرِ الدَّافِعِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُ مِنَ الدَّاخِلِ الْقَوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةَ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى مَا هُوَ فَعَالٌ وَإِثْبَاتِيٌّ.

« Les résultats d'une application méthodique des tortures de la pénitence, d'un usage continu de contrition et d'extases mystiques ».

¹²⁴³GM, Trad. Éric Blondel et d'autres, III, § 21 : « Face à toute cette espèce de médication sacerdotale, l'espèce « coupable », toute parole critique est de trop. Croire qu'un débordement du sentiment tel qu'a coutume de le prescrire en ce cas à ses malades le prêtre ascétique (bien entendu sous les noms les plus sacrés et également pénétré du caractère sacré de son but) ait effectivement été utile à un quelconque malade, qui aurait donc vraiment envie de soutenir une assertion de ce genre ? À tout le moins faut-il s'entendre sur le mot d'« utilité ». Si l'on veut par là dire qu'un tel système de traitement a amélioré l'homme, je n'y contredis pas : sauf à ajouter que pour moi « amélioré » signifie... la même chose que « domestiqué », « affaibli », « découragé », « raffiné », « amolli », « dévirilisé » (donc presque l'équivalent de dégradé...). Mais quand il s'agit principalement d'êtres malades, moroses, déprimés, un tel système rend le malade, à supposer qu'on l'« améliore », en tout cas davantage malade... la névrose religieuse apparaît comme une forme du « haut mal » ».

¹²⁴⁴Ibid, § 21.

¹²⁴⁵Ibid, § 23.

¹²⁴⁶Ibid, § 22-23.

¹²⁴⁷Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 167.

¹²⁴⁸Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes, Editions Beauchesne, 1970, p. 302.

¹²⁴⁹Samuel Beugre, La conception du christianisme avec Nietzsche : Nietzsche est-il vraiment un athée, Presses Académiques Francophones, 2016, p. 192.

¹²⁵⁰Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, pp. 167-171.

مَعَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ارْتَقَى الْعَدَمُ إِلَى مُسْتَوَى الْقِيَمَةِ الْمُطْلَقَةِ مُفْرَعًا الْحَيَاةَ إِثْرَ ذَلِكَ مِنْ قِيَمَتِهَا وَمَعْنَاهَا وَمَا كَانَ لِذَلِكَ أَنْ يَحْدُثَ لَوْلَا أَوْهَامُ كَهْنُوتِيَّةٍ بِهَا تُزَيَّفُ قِيَمَةُ الْعَالَمِ وَتُعَارِضُ الْحَيَاةَ¹²⁵¹ ، وَلَيْسَ هَذَا الْحَطُّ مِنْ قَدْرِ الْحَيَاةِ إِلَّا عَرَضٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى إِنْسَانٍ ، تَحْتَ وَطْأَةِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ تَارَةً وَالشُّعُورِ بِالاضْطِغَافِ تَارَةً أُخْرَى ، عَاجِزٍ عَنِ الْعِرْفَانِ بِالذَّاتِ فِي كُلِّ أَبْعَادِهَا وَفِي تَعَدُّدِهَا الدَّاخِلِيِّ وَعَاجِزٍ أَيْضًا عَنْ تَدْبِيرِ مَا يَسْكُنُهُ مِنْ رَغَبَاتٍ وَأَفْكَارٍ وَعَوَاطِفٍ مُتَصَارِعَةٍ فِي عِلَاقَتِهَا بِعَالَمٍ لَا يَقِلُّ تَعَدُّدًا وَصِرَاعًا ، لِذَلِكَ يُفَضِّلُ أَلَّا يَتَجَسَّمَ عَنَاءُ الْأَخْذِ بِزِمَامِ الْأُمُورِ لِيَصْنَعَ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْفَوَاضِي ذَاتَهُ ، وَلِلْإِعْتِبَارِ عَيْنِهِ يُحَسُّ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ بِالْحَاجَةِ إِلَى تَبْرِيرٍ لِهَذِي الْوَضْعِيَّةِ الْأَلِيْمَةِ ، الَّتِي لَا تَزِيدُهُ إِلَّا عَمًّا ، مِنْ طَرِيقِ شَيْءٍ قَادِرٍ عَلَى التَّبْرِيرِ ، عَلَى تَقْدِيمِ مَغْزَى لِلْمَعَانَاةِ ، بِهِ يُصْبِحُ لَأَلَمِ الْمُتَأَلِّمِينَ مَعْنًى¹²⁵² ، مَا يَضْمَنُ لَهُ السَّكِينَةُ وَالسَّلَامَ.

لَا بَرَّاحَ مِنْ بَرَاةِ الْكَاهِنِ فِي ابْتِكَارِ وَسَائِلَ شَتَّى لِلْعِزَاءِ وَالتَّخْرِيطِ سَمَحَتْ لَهُ بِمُوَاجَهَةِ ، وَ لَوْ إِلَى حِينٍ ، الْاِكْتِنَابَ الْعَمِيقَ وَالْعِيَاءَ الثَّقِيلَ وَالْحُزْنَ الشَّدِيدَ لِأُولَئِكَ الْمَكْبُوتِينَ فِيزِيُولُوجِيًّا ، إِذْ أَنْشَأَ الْكَاهِنُ يُحَارِبُ السَّامَ بِطَرِيقِ زُهْدِيَّةٍ تَأْتِي عَلَى الْحَيَاةِ وَالذَّاتِ فَتَنْزَعُ مِنْهُمَا كُلَّ طَبَائِعِهِمَا الْحَيَوِيَّةِ ؛ مِنْ ذَلِكَ الْإِلْغَاءِ الْإِرَادَةِ وَالرَّغْبَةَ وَالْعَوَاطِفَ وَالْعِرَازِزَ بِإِعْتِبَارِهَا وَصَلَةَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَنْزِلَةِ الْقَدَاسَةِ.

تَذَكِيرًا بِمَا أوردناه آنفًا فِي تَحْلِيلِنَا لِمَنْشَأِ الضَّمِيرِ ، نَقُولُ إِنَّ الْكَاهِنَ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَنَعَّمَ بِكُلِّ تِلْكَ الْمَكَانَةِ لَوْلَا اسْتِثْمَارُ انْتِقَالِ فِكْرَةِ الدِّينِ مِنْ تَرْبَتِهَا الْعُرْفِيَّةِ الْبُدَائِيَّةِ إِلَى دِينٍ أَبَدِيٍّ تُجَاهَ الْآلِهَةِ فِي تَرْبَةِ لَاهُوتِيَّةٍ مَسْمُومَةٍ بِالذَّنْبِ وَالضَّمِيرِ الشَّقِيّ¹²⁵³ ، وَظَلَّتِ الْإِنْسَانِيَّةُ لَا تَمْلِكُ عَنْهُمَا مُتَقَدِّمًا أَوْ مُتَأَخِّرًا ، وَمَعَ الْمُفْتَرَضَاتِ الدِّينِيَّةِ أَفْحَمَ الدِّينُ فِي جَوْفِ الضَّمِيرِ وَأَصْبَحَ الْإِحْسَاسُ بِالذَّنْبِ يَنْطَوِي عَلَى مَفْهُومِ اللَّهِ¹²⁵⁴ . وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الدِّينُ سِوَى وَسِيلَةٍ لِتَعْذِيبِ الْإِنْسَانِ بَاطِنِيًّا وَفِي ظِلِّ هَذَا الْارْتِدَادِ إِلَى اسْتِعْدَاءِ الذَّاتِ تَأَوَّلَ الْإِنْسَانُ/الْكَاهِنُ الْعِرَازِزَ عَلَى أَنَّهَا حَطَايَا تُجَاهَ اللَّهِ يَتَعَذَّرُ لِعَجْزِهِ التَّكْفِيرُ عَنْهَا وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُطَالِبٌ بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذَاتِهِ وَمِمَّا هُوَ طَبِيعِيٌّ مَوْضُوعًا لِلنَّفْيِ¹²⁵⁵ .

فِي سِيَاقِ تَحْلِيلِ بَنِيَّةِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ، حَسِبَ نَيْتْشَةَ الْحَيَاةَ الزُّهْدِيَّةَ ضَرْبًا مِنَ التَّنَاقُضِ الصَّارِخِ ؛ حَقْدًا لَا نَظِيرَ لَهُ يَطْعَى وَيُهَيِّمُ ؛ حَقْدَ غَرِيزَةٍ لَمْ تَشْبَعْ بَعْدُ ، حَقْدَ قُوَّةٍ تُرِيدُ أَنْ تَسُودَ لَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَشْيَاءِ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا عَلَى الْحَيَاةِ فِي مَحْضِهَا ، عَلَى أَعْمَقِ شُرُوطِهَا وَأَقْوَاهَا وَأَشَدِّهَا حَيَوِيَّةً. فَلَيْنَ كَانَتْ مِثْلُ هَاتِهِ الْحَيَاةِ وَمِثْلُ هَذِي الْقُوَّةِ مُلْقِيَةً بِنَظَرَةٍ بَغِيضَةٍ وَحَاقِدَةٍ عَلَى الْعُنْفُوانِ الْفِيزِيُولُوجِيِّ مُسْتَعْدِيَّةً أَمَارَاتِهِ وَمَا بِهِ يُعَبَّرُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ قَبِيلِ الْجَمَالِ وَالْبَهْجَةِ ، وَتَسْعَى إِلَى اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ مِنْ أَجْلِ اسْتِنْفَادِهَا وَفَصْلِهَا عَنْ يَتَابِعِهَا ، وَتَبْغِضُ كُلَّ مَا يَشِفُّ عَنْ تَجَلِّيَاتِ الْحَيَاةِ الصَّاعِدَةِ ، فَإِنَّهَا فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ تَجِدُ مُتَعَتِّهَا

¹²⁵¹ AC, Trad. Henri Albert, § 15.

¹²⁵² Voir Patrick Wotling, Nietzsche et le problème de la civilisation, p. 151. Voir Barbara Stiegler, Nietzsche et la critique de la chair : Dionysos, p. 239.

¹²⁵³ GM, Trad. Henri Albert, II, § 9.

¹²⁵⁴ Ibid, § 21.

¹²⁵⁵ Ibid, § 22.

في الأمور الخائبة والمُنحطّة والمُعانة والمرضى والبشاعة والإضرار العمديّ وإذلال الجسد وإماتة الرغبات والتّضحية بالذات.

زد على ذلك أنّ الكاهن الزاهد لا يقوّم الحياة أو "الطبيعة" أو "العالم" أو "مجال العاير والصيرورة والتحوّل" إلا بالنظر إلى وجود آخر مختلف تتعارض معه وتتبدّد، وفي حالة ما انقلبت هذه الحياة على نفسها وأنكرت ذاتها كما في حالة الحياة الزاهدة، فإنّها تستمدّد مبرّر وجودها من كونها جسراً إلى ذلك الوجود الآخر المختلف؛ إثرها تغدو الحياة طريقاً لا يسلك إلا خطأ بله خطأ يجدر أن ترجع عنه وتندركه بالتوبة، بل خطأ ينبغي رفضه بالعمل والشروع في فاعليّات مفادها الإغراض والإضراب عن الحياة.

لا جرم أنّ المخلوقات التي تتحرّك تبعاً لمثلها الأعلى الزهديّ مخلوقات مُستاءة وكريهة تفجّر عن التخلّص من اشمئزازها العميق الذي ألحقته بنفسها والعالم ولعلّ إلحاق الأذى بالجميع يؤلّف لذاتها الوحيدة، فمع الكاهن وفي مثاله الزهديّ نعثّر على تفكّكٍ تخذ لنفسه إرادة التفكّك مستمتعا بالمعانة ويزداد انتصاراً وثقةً بالنفس كلّما أخذت حالته الفيزيولوجيّة في التّفهّر¹²⁵⁶.

ولو افترضنا أنّ المثل الأعلى الزهديّ، بوصفه إرادة مناقضة للطبيعة ودّهائاً في الاتجاه الذي يعارضها، سبق اضطراراً إلى التّفلسّف، فإنّه، على غرار التّفلسّف الفيديّ، سيصّبّ تعسّفه الدفين على الموضع الذي تغدّه غريزة الحياة بلا مَحاكةٍ واقعيّةٍ وحقيقيّةٍ بقدر عالٍ من اليقين، وبموجب ذلك لا غرابة من أن تعدّ هذه الإرادة النافية وهما الألم والكثرة والجسمانيّة ونقيضة الذات والموضوع¹²⁵⁷؛ ذلك أنّ من لوازم نزوعها العدميّ ألا ترى فيها سوى محض أخطاء، وفوق ذلك فإنّها لم تقتصر على نفي الحواسي والظاهر المرئيّ، وإنّما تعدّته إلى نفي أنا الإنسان وحقيقته بكلّ احتقار، بل تجاوزته إلى نفي العقل نفسه بالتسلّط عليه وإخضاعه بغنف وقسوة¹²⁵⁸.

لكن لا ينبغين الغفلة عن كون التناقض الداخليّ الذي لا ينفك الزاهد يقع فيه كما يتجلى في مبدأ الحياة ضدّ الحياة¹²⁵⁹ ليس في الحقيقة إلا ظاهر تناقض، إذ هو من وجه إدانة للحياة لا من خارجها وإنّما من داخل الحياة التي تُفصح عن نوع محدّد من الحياة مُتهالكٍ ومُنهكٍ وآيلٍ للانحدار، ومن ثمّ فالقيم المعاديّة للحياة من وحي الحياة ومن وجهة نظرها، فهي التي تضطّرنا لخلق القيم وهي التي تقوّم من

¹²⁵⁶GM, Trad. Henri Albert, II, § 11.

¹²⁵⁷Ibid, III, § 12 : « Par exemple, comme firent les ascètes de la philosophie des Védas, elle traitera d'illusion la corporéité, de même la douleur, la pluralité et tout le concept antithétique « sujet » et « objet »... ».

¹²⁵⁸Ibid, II, § 12.

¹²⁵⁹Christophe Baroni, Nietzsche éducateur : de l'homme au surhomme, p. 121.

خِلَالِنَا ، بِوَاسِطَةِ قِيَمِنَا¹²⁶⁰ . وَمِنْ وَجْهِ ثَانٍ فَالتَّنَاقُضُ الدَّاخِلِيُّ ذَاكَ تَغْيِيرٌ مُؤَقَّتٌ وَتَأْوِيلٌ وَصِيَاعَةٌ وَتَكْيُفٌ وَسُوءٌ فَهَمٌّ نَفْسَانِيٌّ لَشَيْءٍ لَمْ يَقْدِرِ الْبَشَرُ دَهْرًا طَوِيلًا أَنْ يَقْهَمُوا طَبِيعَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ .

إِذَنْ يَجِدُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ مَنْشَأُهُ فِي غَرِيزَةِ الدِّفَاعِ وَالنَّجَاةِ لِتَنْوَعِ مِنَ الْحَيَاةِ فِي طَرِيقِهَا إِلَى التَّفَكُّكِ تَبَدُّلٌ جُهْدًا بِالْوَسَائِلِ الْمُنَاحَةِ جَمِيعًا مِنْ أَجْلِ الْاسْتِمْرَارِ فِي الْبَقَاءِ وَإِنِّهَا عَلَامَةٌ عَلَى اكْتِتَابٍ وَإِنْهَارٍ وَإِنْهَارٍ فَيَزِيوُلُوجِيٌّ جُزْئِيٌّ مَا فَتَيَّتْ أَعْمَقُ غَرَائِزِ الْحَيَاةِ وَأَسْلَمَهَا تُحَارِبُهَا وَتُقَاوِمُهَا بِاخْتِرَاعِ حِيلٍ غَالِبًا مَا تَكُونُ جَدِيدَةً ، لِذَلِكَ لَيْسَ مِنَ السَّدَادِ فِي شَيْءٍ أَنْ نَعُدَّ الْمَثَلَ الزُّهْدِيَّ مُجَرَّدًا مِنْ كُلِّ الِاعْتِبَارَاتِ صِرَاعٍ مَوْتٍ ضِدَّ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا هُوَ صِرَاعُ الْحَيَاةِ ضِدَّ الْمَوْتِ ، لِذَلِكَ يُؤَلَّفُ حُدْعَةً فَنِيَّةً لِلْحِفَاطِ عَلَى الْحَيَاةِ¹²⁶¹ .

هَذَا مَا يُفَسِّرُ لَنَا مِنْ جِهَةٍ كَيْفَ أُمْكِنَ لِهَذَا الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ أَنْ يُهَيِّمَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ حَيْثُ تَمَكَّنَتْ الْحَضَارَةُ مِنْ تَرْوِيضِ الْإِنْسَانِ ، إِذْ بِمِقْدَارِ مَا أَرَادَ الْكَاهِنُ فِي مُثْلِهِ الْعُلْيَا الْمَوْتَ (الْآخِرَةَ) أَرَادَ بِالشَّدَّةِ ذَاتَهَا ، وَرَبَّمَا أَكْثَرَ ، الْحَيَاةَ . وَمَا هَيَمَنَتْ قِيَمُ الْكَاهِنِ هَذِهِ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى الْحَالَةِ الْمَرَضِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ كَنَمَطٍ ، لَا سِيَّمَا الْحُشُودُ الْمَرْوُضَةُ مِنْهُ ، وَأَمَارَةٌ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاعِ الْفِيْزِيُولُوجِيِّ الَّذِي خَاصَّتْهُ الْبَشَرِيَّةُ ضِدَّ الْمَوْتِ بِهَا هُوَ اشمِئْزَازٌ مِنَ الْحَيَاةِ وَإِنْهَارٌ وَرَغْبَةٌ فِي النِّهَايَةِ .

تَكْمُنُ مُفَارَقَةُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ذِي الْقِيَمِ الْكَهْنُوتِيِّ فِي انْطَوَائِهِ عَلَى مَنَازِعِ مُتَنَاقِضَةٍ وَلُبَابِ هَذَا التَّنَاقُضِ يَتَبَدَّى فِي كَوْنِ رَغْبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ هِيَ مَا يَشُدُّهُ شَدًّا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْسُفُهُ فِي أَصْفَادِهَا وَهِيَ ذَاتُهَا الَّتِي تَحْتُهُ عَلَى خَلْقِ الشُّرُوطِ الْمُلَائِمَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَبِهَذِهِ الرَّغْبَةِ الشَّدِيدَةِ أَيْضًا جَعَلَ نَفُوسَ قُطْعَانِهِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْمُنْحُوسِينَ وَالْأَشْقِيَاءِ وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمَالِمِينَ مُتَعَلِّقَةً بِحُبِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، عَلَى الرُّغْمِ مِمَّا يَظْهَرُ مِنْ اِمْتِعَاضِهَا مِنْهَا ؛ لِهَذِهِ الدَّوَاعِي يَنْبَغِي عُدُّ الْكَاهِنِ ، هَذَا الْكَائِنُ النَّافِي بِإِمْتِيَازٍ ، جُزْءًا مِنَ الْقِيَمِ الْكُبْرَى الْمُحَافِظَةِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْمُثَبِّتَةِ لَهَا¹²⁶² .

¹²⁶⁰ CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 5 : « Une condamnation de la vie de la part du vivant n'est finalement que le symptôme d'une espèce de vie déterminée : sans qu'on se demande en aucune façon si c'est à tort ou à raison. Il faudrait prendre position en dehors de la vie et la connaître d'autre part tout aussi bien que quelqu'un qui l'a traversée, que plusieurs et même tous ceux qui y ont passé, pour ne pouvoir que toucher au problème de la valeur de la vie : ce sont là des raisons suffisantes pour comprendre que ce problème est en dehors de notre portée. Si nous parlons de la valeur, nous parlons sous l'inspiration, sous l'optique de la vie : la vie elle-même nous force à déterminer des valeurs, la vie elle-même évolue par notre entremise lorsque nous déterminons des valeurs... Il s'ensuit que toute morale contre nature qui considère Dieu comme l'idée contraire, comme la condamnation de la vie, n'est en réalité qu'une évaluation de vie, — de quelle vie ? de quelle espèce de vie ? Mais j'ai déjà donné ma réponse : de la vie descendante, affaiblie, fatiguée, condamnée ».

¹²⁶¹ GM, Trad. Henri Albert, III, § 13.

¹²⁶² من الغريب هنا أن يجعل نيتشه الكاهن الزاهد في الشذرة 13 ، من القسم الثالث من مصنفه جينالوجيا الأخلاق ، إثباتًا إزاء الحياة ، بينما هو في كثير من نصوصه يدرجه على غرار الكثير من الفلسفات ضمن القوى النافية للحياة ، فليس خليفا بفيلسوف أن يحكم على شيء بالإثبات والتأييد معًا ، فإما أن تكون المنظومة الكهنوتية مثبتة للحياة أو نافية لها ، أما الجمع بين الإثبات والتأييد

لَا مَنَاصَ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ الْمَذْكُورِ أَنفًا مِنْ طَرَحِ هَذَا السُّؤَالِ: مِمَّ يَأْتِي لِلإِنْسَانِ هَذَا الْمَرَضُ الْخَطِيرُ وَهَذَا التَّنَاقُضُ الْوَارِدُ سَابِقًا؟ يُجِيبُ نيتشه: مِنْ ثُخْمَتِهِ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَيْضًا مِنَ الْقَرَفِ مِنْهَا وَمِنْ هَذَا الْأَشْمِزَازِ وَالتُّفُورِ مِنَ الذَّاتِ؛ ذَلِكَ كُلُّهُ يَغْشَاهُ بَعْثٌ شَدِيدٌ حَتَّى يَدْفَعُهُ إِلَى اسْتِحْدَاثِ صِيَغَاتٍ جَدِيدَةٍ لِرَوَابِطٍ جَدِيدَةٍ تَشُدُّهُ إِلَى الْحَيَاةِ، ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَقْدَارٍ مَا يُشْهِرُ النَّفْيَ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ، يُوجَدُ نَصِيبًا مِنَ الْإِثْبَاتَاتِ الْأَكْثَرِ حَفَاءً، لِذَلِكَ كُلُّمَا سَبَبَ لِنَفْسِهِ جُرُوحًا، اضْطَرَّتْ هَاتِهِ الْجُرُوحُ نَفْسَهَا إِلَى التَّشَبُّثِ بِالْحَيَاةِ¹²⁶³.

نَظَرًا لِلْخَطَرِ الْوَشِيكِ الَّذِي يُحْدِقُ بِالْإِنْسَانِيَّةِ وَمَا بَرَحَ يُتَبَطُّ إِرَادَتَهَا وَتَحَرُّرَهَا يَنْبَغِي تَثْمِينُ النَّمَاذِجِ النَّادِرَةِ لِلْاِقْتِدَارِ النَّفْسَانِيِّ وَالْجُسْمَانِيِّ وَالصَّدْفِ الْمَوْقَفَةِ فِي التَّوَعُّدِ الْبَشَرِيِّ وَنَحْيِ سَمَاءِ الْكَائِنَاتِ النَّاجِحَةِ مِنْ هَوَاءِ الْمَرَضَى الْعَفَنِ، إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ أخطرُ عَلَى الْأَصِحَّاءِ الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الْمَرَضَى لَا الْأَشْرَارِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ، وَمَا الذَّرِيعَةُ الَّتِي حَدَثَتْ نيتشه عَلَى هَذَا الْحُكْمِ غَيْرُ عَدِّهِ لِلْمُعَوَّقِينَ وَالْمَهْزُومِينَ وَالْعَاجِزِينَ بِالْفِطْرَةِ (مُعَوَّقِينَ بِالْوِلَادَةِ)، فِي ظِلِّ هَذَا الْأَشْمِزَازِ الْعَظِيمِ، مُشْكِكِينَ بِثِقَتِنَا بِنَفْسِنَا وَالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ وَمُلْغَمِينَ وَمُسَمِّمِينَ لِهَذَا كُلِّهِ¹²⁶⁴.

فتناقضٌ يجب تفاديهِه، وعلى الرغم من إمكانية اللجوء إلى التوجيه التأويلي بأن نقول مثلاً أنَّ الكاهن ينفي الحياة جَهَارَةً بينما هو يثبتها سِرًّا، وهذا الموقف المتناقض للكاهن يفسره التناقض بين ما يعلنه وما يضمُر، بينما إثباتية الأقوياء متناسقةً، بطونها عينٌ ظُهورها، ولسانٌ حالها عينٌ لسانٍ مقالها. كان على نيتشه أن يتحكم بلغته التقنية، كان عليه مثلاً أن يبين أنَّ إرادة القوى الفاعلة وورادة القوى الارتكاسية على السواء يثبتان الحياة، لكن بينما الطائفة الأولى تثبتها فعلاً وقولاً في تناسقٍ، أي تمارس ما هو إثباتي للحياة وتدعو إليه، فإنَّ الطائفة الثانية تثبتها في أفعالها المناقضة لخطابها الذي يحرض عليها في تضادٍ رهيب بين منطق الجسد ومنطق الخطاب، فضلاً عن تحليل خطابها الكهنوتي يكشف عن "تشبث مرضي بالحياة" مضر وما مفهومها عن دار الحيوان إلا قرينة دالة على ذلك، لكن حَسَبَ تأويليتنا المتواضعة، هذا التوجيه الممكن عبارة عن لف ودوران لا يرفع التناقض بقدر ما يخلق المزيد منه. كي لا يبقى حُكْمُنَا على نيتشه بالتناقض مُلْقَى على رُسُلَاتِهِ وَابْتِغَاءً مِمَّا أَنْ نَثْبِتَ أَقْوَالَهُ الْمَتَدَفَعَةَ مِنْ مَظَانِ نَصُوصِهِ لَا مَدَوِّحَةٍ مِنْ إيراد الشواهد التي تتعارض مع العبارة أعلاه، منها قوله في مصنفه المسيح الدجال (نقيض المسيح) بأنَّ الكاهن نافٍ ومفترٍ ومحترفٌ لمهنة نفي الحياة.

AC, Trad. Henri Albert, § 8 : « Tant que le prêtre passera encore pour une espèce supérieure, le prêtre, ce négateur, ce calomniateur, cet empoisonneur de la vie par métier... ».

وفي سياق تعديد نيتشه للمضمون نفسه مفرداتٍ عدة مثل الحياة، العالم، الطبيعة، الأرض ليعني بها هذا العالم المحسوس الذي يقابله العالم الموهوم بما هو آخرة، فقد صرَّح أيضاً بأنَّ الكاهن معلمٌ لأشياءٍ مناقضةٍ للطبيعة، يقول :

Ibid, Trad. Henri Albert : « L'être vicieux par excellence, c'est le prêtre : il enseigne la contre-nature ».

ويقول أيضاً في سياق حديثه عن الكهنة والمسيحية، لا نجد عندهم إلا أهدافاً سيئةً، تَسْمِيماً وافتراراً ونفياً للحياة.

Ibid, Trad. Henri Albert, § 46 : « Il n'y a que des fins mauvaises : empoisonnement, calomnie, négation de la vie, mépris du corps ».

و يقول أيضاً بأنَّ الكاهن يحط من قيمة الحياة و يدنِّسها، ينفِها.

Ibid, Trad. Henri Albert, § 26 : « ... partout nie la nature et qui par cela seulement crée une valeur... Le prêtre déprécie, profane la nature ».

وإذا كانت محاربة الأقوياء نفياً للحياة، فإن نيتشه يصرح في الشذرة 189 من إرادة الاقتدار بأنَّ الكهان يحاربونهم، ما يعني أنهم نفاءً للحياة أيضاً من حيثية هذه المحاربة.

¹²⁶³GM, Trad. Henri Albert, III, § 13.

¹²⁶⁴Ibid, § 14-15.

لَا سِيَّهَا أَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ الْقُوَّةَ وَالْفَخْرَ وَالْإِحْسَاسَ بِالْاِقْتِدَارِ رِذَائِلَ يَجِبُ الرُّجُوعُ عَنْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِغَرِيبٍ عَنْهُمْ وَذَائِبُهُمْ تَعْدِيبُ كُلِّ مَنْ يَنْعَمُ بِهَا تِه السَّمَائِلِ حَتَّى يُكْفَرَ عَنْهَا. لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ وَالْأُخْرَى يَحْضُ نَيْتَشُهُ السُّعْدَاءُ وَالْمُوقِفِينَ مِنَ الْأَنْمُودَجِ الْإِثْبَاتِيِّ إِلَّا يَكُونُوا أَطِبَاءَ لِهَوْلَاءِ الْمَرْضَى¹²⁶⁵ وَلَا مُنْقِذِينَ لَهُمْ، إِذْ لَا يَنْبَغِينَ لِأَعَالِي الْبَشَرِ أَنْ يَخْدُمُوا أَسَافِلَهُمْ، وَفَوْقَ ذَلِكَ حَلِيقُ بِالْمُقْتَدِرِينَ الْأَصْحَاءِ أَنْ يُعَقِّقُوا الْمَسَافَاتِ الْفَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ وَالضُّعَفَاءِ الْمَرْضَى، فِي الْوَاجِبَاتِ وَالْمَهَامَاتِ¹²⁶⁶.

لَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَغْرَاضُ الْكَاهِنِ مِنَ تَسْلِيْطِ مَفَاهِيمِهِ الْمُتَنَاقِضَةِ الْمَغْلُوطَةِ، مِنْ قَبِيلِ "الذَّنْبِ" وَ"الْخَطِيئَةِ" وَ"الْقَابِلِيَّةِ لِلْخَطِيئَةِ" وَ"الْمَوْتِ" وَ"اللَّعْنَةِ"، عَلَى قُطْعَانِهِ الْمَرْضَى، تَارَةً يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً جَعْلَهُمْ غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى الْإِضْرَارِ بِقَدَرٍ كَبِيرٍ وَاسْتِئْصَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَعَذَّرُ شِفَاؤُهُمْ بِتَصْيِيرِهِمْ مُنْقَلِبِينَ عَلَى (ضِدِّ) أَنْفُسِهِمْ وَمَنْحَ الَّذِينَ هُمْ أَقْلُ مَرَضًا وَجْهَةً صَارِمَةً لِأَنْفُسِهِمْ تَتَمَثَّلُ فِي التَّهْجُمِ عَلَى الذَّاتِ وَتَحْمِيلِهَا مَسْئُولِيَّةَ مُعَانَاتِهِمْ وَيَمْوَجِبُ ذَلِكَ يَرْتَدُّ اضْطِعَافُهُمْ عَلَى (ضِدِّ) الذَّاتِ وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَسْتَعْمِلُ الْكَاهِنُ الْغَرَائِزَ السَّيِّئَةَ لِهَوْلَاءِ الْمُتَأَلِّمِينَ بِمَا يُتِيحُ انْضِبَاطَ وَمُرَاقَبَةَ ذَوَاتِهِمْ وَتَجَاوُزَهَا¹²⁶⁷.

لَكِنْ شَأْنُ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ شَأْنُ التَّرُوعِ إِلَى الْخَطِيئَةِ لَيْسَتْ مِنْ ذَاتِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَلَا مِنْ وَاقِعِيَّتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَحْضُ تَأْوِيلٍ لَوْقَائِعٍ فِيزِيُولُوجِيَّةٍ مُضْطَرِّيَّةٍ وَمُتَوَرِّتَةٍ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى نَيْتَشِهِ حَتَّى "الْأَلَمُ النَّفْسِيُّ" لَا يُعَبَّرُ عَنْ وَقَائِعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرٌ سَبَبِيٌّ، لَيْسَ مُلَزِمًا عِلْمِيًّا، لَوْقَائِعٍ مَا تَزَالُ الْقُدْرَةُ عَلَى صِيَاعَتِهَا بِدَقَّةٍ عَاجِزَةً. وَلِلْجُسْمَانِ الْإِنْسَانِيِّ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا فِي هَذَا التَّأْوِيلِ لِحَوَادِثِ الذَّاتِ وَالْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ التَّخْرِيجُ الْإِيجَابِيُّ أَوْ السَّلْبِيُّ لَهَا، وَيَضْرِبُ نَيْتَشُهُ مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ بِالدَّوْرِ الَّذِي تَضْطَلِعُ بِهِ الْمَعِدَةُ السَّلِيمَةُ فِي مُعَانَاةِ الْإِنْسَانِ أَوْ مَسَرَّتِهِ، فَكَثِيرًا مَا تَعُودُ أَسْبَابُ مُعَانَاةِ النَّفْسِ مَثَلًا إِلَى مَشَاكِلَ فِي الْمَعِدَةِ، فَالْإِنْسَانُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَنْتَعِمُ بِخَلْقَةٍ قَوِيَّةٍ وَصِحَّةٍ يَهْضُمُ بِأَحْسَنَ مَا يَكُونُ وَقَائِعٍ وَحَوَادِثَ حَيَاتِهِ (أَفْعَالَهُ وَسَقَطَاتِهِ) بِقَدَرٍ مَا يَهْضُمُ جَيِّدًا وَجَبَاتِ غِذَائِهِ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ تَنَاوُلُ شَرَائِحٍ قَاسِيَةٍ. وَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْرَغَ مِنْ أَحَدٍ تَجَارِبِهِ بِالتَّغَلُّبِ عَلَيْهَا، عَلَى غِرَارِ وَاقِعَةِ الْهَضْمِ الْمَعِدِيِّ، فَذَلِكَ مِنْ سُوءِ الْهَضْمِ الْفِيزِيُولُوجِيِّ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْهَضْمُ الذِّهْنِيُّ نَفْسُهُ مِنْ جِهَةِ صِحَّتِهِ أَوْ سُقْمِهِ نَتِيجَةً لِلْهَضْمِ الْمَعِدِيِّ¹²⁶⁸.

(ب) الْأَلَامُ وَالْأَنَامُ بَيْنَ إِحْجَامِ الثَّقَاةِ وَإِقْدَامِ الدُّعَاةِ أَوْ الْمُعَانَاةِ مِنْ مَنْظُورِ الْمَسْلُوكِ الْكَهْنُوتِيِّ وَالْمَسْلُوكِ الشَّرَاجِيْدِيِّ

لَقَدْ اتَّخَذَ صِرَاعُ الْبَشَرِيَّةِ مَعَ السَّامِ وَالتَّوَعُّكِ مَذَاهِبَ شَتَّى وَصُورًا عَدِيدَةً كَابَدَتْ وَدَاوَمَتْ فِيهَا الْقَوَى الْاِرْتِكَاسِيَّةُ مِنَ الْمُتَأَلِّمِينَ عَلَى ابْتِدَاعِ مَسَالِكِ عَدَمِيَّةٍ لِلْخَلَاصِ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى عَجْزِهِمْ عَنْ تَدْيِيرِ الْأَلَمِ وَرَفْعِهِ مَقَامًا عُلْيَا، وَسُؤْرُودُ مِنْهَا ثَلَاثَةُ مَسَالِكِ كُتِبَتْ:

¹²⁶⁵GM, Trad. Henri Albert, III, § 15.

¹²⁶⁶Ibid, § 14.

¹²⁶⁷Ibid, § 16.

¹²⁶⁸Ibid, § 16.

أولاً- المسلك الكهنوتي الذي هو أشد المسالك ضرراً على البشرية ؛ ذلك المسلك الذي حوّل الإجراء القديم لأخلاقية العادات في كبت غرائز الإنسان الحيوانية وتحويلها ضد الذات (الفسوة المُرْتَدّة إلى الباطن) داخل القبيلة أو الدولة إلى إحساس بالذنب وخطية لا ينفك الإنسان بمعية عنها عن اعتبارها عقاباً ، ليغدو من حينها إنساناً "أثيمًا". ومع الكاهن الذي اتقن إثارة العواطف وتأجيج الأحاسيس واكتشافها واستشعارها واستغلالها وباختصار اتقن إغراق الإنسان في مشاعر طاغية وطاقية¹²⁶⁹ من أجل انتصار مثله الأعلى الزهدي ، كف الإنسان عن التذمر والشكاية ، لكفه غداً طالباً للألم وراعباً في المزيد منه¹²⁷⁰.

ثانياً- مسلك البراهمانيين والبوذيين الذي يستهدف القضاء على الإرادة والحب والكراهية وما شابه ذلك مما يزغزغ السكينة الروحية ومن ثم بلوغ حالة سامية من الطمأنينة القصوى ؛ إنه المسلك الزهدي الذي يقتضي إذن الانسحاب إلى العدم المشرقي بما هو نيرفانا من طريق نكران الذات والقضاء عليها¹²⁷¹.

ثالثاً- مسلك أبيقور الذي جعل من انعدام الألم الخير الأسمى وقيمة القيم وهذا الانعدام في حقيقته يشبه العدم الذي تحدث عنه الزهاد البوذيين والبراهمانيين¹²⁷² ، ولا غرو من أن تطلب الأديان والفلسفات العدمية السعادة في هذا العدم بوصفه راحة واسترخاءً وسلاماً وصمتاً ، بينما يطلب أخلاء الحياة النصر والأعداء والإحساس بالافتقار¹²⁷³.

ما من شك أن من أوجه الفرق بين دعاة الوجود ودعاة العدم منوال التعامل مع الألم من حيث العرفان أو الجحْدان ، فلئن اتخذ الفريق الأول من الألم حجةً للوجود ، فإن الفريق الثاني جعله حجةً عليه ، وما ذلك حسَب نيتشه من سوى عجز الأنفس المريضة عن تحمل الألم والنهوض بذاتها في عالم حيث الألم مجرد في ذاته من أي مغزى¹²⁷⁴. وقد كان الموقف ضد الألم ذريعة كافية لينافح نيتشه كل

¹²⁶⁹GM, Trad. Éric Blondel et d'autres, III, 21 § : « Face à toute cette espèce de médication sacerdotale, l'espèce «coupable», toute parole critique est de trop. Croire qu'un débordement du sentiment tel qu'a coutume de le prescrire en ce cas à ses malades le prêtre ascétique ait effectivement été utile à un quelconque malade, qui aurait donc vraiment envie de soutenir une assertion de ce genre ? »

ترجم بيانكي موضع الشاهد الذي نود التركيز عليه ب فرط الإحساس excess du sentiment.

¹²⁷⁰Ibid, Trad. Henri Albert, III, § 20.

¹²⁷¹GS, Trad. Patrick Wotling, «Préface à la deuxième édition », § 3 : « ... soit que, face à la douleur nous nous retirions dans ce néant oriental on l'appelle nirvana, dans cet abandon de soi, cet oubli de soi, cette extinction de soi muets, figés, sourds ».

¹²⁷²GM, Trad. Henri Albert, II, § 17.

¹²⁷³VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, Livre II, § 401 : « Les épuisés souhaitent le repos, la détente de tous leurs membres, la paix, le silence - c'est ce que les religions et les philosophies nihilistes appellent le bonheur. Les riches et les vivants veulent la victoire, l'ennemi vaincu, la diffusion de la sensation de puissance ... ».

¹²⁷⁴Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, p. 3. Voir Robert B.pippin, Nietzsche, moraliste français : la conception nietzschéenne d'une psychologie philosophique, Edition Odile Jacob, 2006, p. 129.

أَنْوَاعِ هَذِي الْأَنْفُسِ السَّقِيمَةِ وَمِنْهَا أَصْحَابُ الْأَفْكَارِ الْحَدِيثَةِ مِنْ دَوَى الْأَخْلَاقِ الْارْتِكَاسِيَّةِ الَّذِينَ يُكُونُ الْكَرَاهِيَّةُ الشَّدِيدَةُ لِأَنْوَاعِ الْمُعَانَاةِ طَرًّا وَيَعْجَزُونَ عَنْ مُشَاهَدَتِهَا وَإِلْحَاقِهَا بِالْبَشَرِ¹²⁷⁵.

وَأَمَّا الْأَنْفُسُ السَّالِمَةُ فَعَلَى دِرَايَةٍ أَنَّ الْأَلَمَ أَسْتَاذٌ لَمْ يَتَنَكَّبْ عَنْ شَحْذِ الْإِنْسَانِ وَصَفْلِهِ وَبِفَضْلِهِ حَقَّقَ الْارْتِقَاءَ¹²⁷⁶ وَأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْمِلِ الْأَلَمِ، مِنْ حَيْثُ هِيَ أَمَارَةٌ عَلَى الْحَيَوِيَّةِ الْعُلْيَا وَرَفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالطَّبَقَةِ¹²⁷⁷، نَظِيرُ الْقُدْرَةِ الْفَرِيدَةِ عَلَى الْإِبْتِهَاجِ¹²⁷⁸، لَكِنَّ الْقُدْرَتَيْنِ لَا تَنْفَصِلَانِ، إِذْ بِالْأُولَى تَتَحَقَّقُ الثَّانِيَةُ لَدَى مَنْ هُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْوَجَعِ¹²⁷⁹، وَهَذَا الْاِفْتِرَاقُ بَيْنَ الْأَلَمِ وَالسَّعَادَةِ يَتَوَقَّعُ لَمَّا نَعِيَ أَنَّهُ كُلُّمَا كَانَ الْمُفْتَدِرُ أَشَدَّ مَكْنَةً عَلَى تَحْمِلِ سُبُلِ الْآلَامِ، انْفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّعَادَةِ¹²⁸⁰.

¹²⁷⁵PBM, Trad. Angèle Kremer-Marietti, § 202 : « ... tous unis dans le cri et l'impatience de la pitié, dans la haine mortelle de toute souffrance, dans l'incapacité presque féminine de la voir en spectateur, dans l'incapacité de pouvoir faire souffrir; " Voir Trad. Henri Albert : « ... tous unis encore dans le cri d'impatience de l'altruisme, dans une haine mortelle contre toute souffrance, dans une incapacité presque féminine de rester spectateurs lorsque l'on souffre, et aussi dans l'incapacité de faire souffrir ».

¹²⁷⁶Henri Lichtenberger, La philosophie de Nietzsche, F. Alcan, 1900, p. 125. Voir Lev Shestov, L'idée de bien chez Tolstoi et Nietzsche : philosophie et prédication, Editions du Siècle, 1925, p. 243. Voir François Warin, Nietzsche et Bataille : la parodie à l'infini, p. 78.

¹²⁷⁷PBM, Trad. Patrick Wotling, § 212 : « [Le philosophe — B.L.] déterminerait même la valeur et le rang à partir de la multiplicité et de la diversité des choses qu'un homme pourrait supporter et dont il pourrait se charger ».

¹²⁷⁸Louis Corman, Nietzsche, psychologue des profondeurs, p. 379 : « Pour Nietzsche, cette aptitude à la grande souffrance, qui est un signe de vitalité supérieure, a sa contrepartie nécessaire dans une aptitude particulière à la joie » Voir Didier Raymond, Nietzsche ou la grande santé, Harmattan, 1999, p. 252.

¹²⁷⁹VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre IV, § 513 : « C'est qu'ils avaient autour d'eux les hommes les plus susceptibles à la douleur, ils en étaient eux-mêmes; ils renoncèrent tous ensemble à goûter le bonheur au sein de cette civilisation supérieure, parce que ce bonheur n'était pas réalisable sans le taon de la douleur et de ses incessantes piqûres ».

¹²⁸⁰Ibid : « Avoir des sens et un goût plus raffinés, être habitué à ce qu'il y a de plus recherché et de meilleur, comme à sa vraie nourriture naturelle, jouir d'un corps robuste et hardi, destiné à être le gardien et le soutien, plus encore l'instrument d'un esprit plus robuste encore, plus téméraire, plus amoureux du danger : qui ne voudrait posséder un tel bien, vivre un pareil état! Mais il ne faut pas se le dissimuler, avec un tel lot, dans un pareil état, on est l'être le plus apte à la souffrance qui soit sous le soleil, et c'est à ce prix seulement qu'on acquiert cette distinction rare d'être aussi l'être le plus apte au bonheur qui soit sous le soleil ! Sur un tel homme se déversent comme un interminable tourbillon de neige toutes les variétés de la souffrance, et sur lui s'abattent les foudres les plus violentes de la douleur. C'est à la condition de demeurer toujours ouvert de toutes parts, et perméable jusqu'au fond à la douleur, qu'il peut s'ouvrir aux variétés les plus délicates et les plus hautes du bonheur; car il est l'organe le plus sensible, le plus irritable, le plus sain, le plus variable et le plus durable de la joie et de tous les ravissements raffinés de l'esprit et des sens [...] comment croire encore avec les rationalistes que le bonheur, un surplus de bonheur doivent être le fruit du progrès des lumières et de la civilisation, sans que personne n'ajoute : le malheur aussi, un surplus de malheur, d'aptitude à la souffrance, une souffrance plus diversifiée et plus grande que jamais! ».

وَمِنْ الْمُفِيدِ أَنْ نُنْقُلَ هَهُنَا إِحْدَى الشَّدَرَاتِ الَّتِي تُجْمِلُ مَوْقِفَ نَيْتَشْه مِنْ الْمُعَانَاةِ الَّتِي تَكْشِفُ حَسَبَ تَوْكِيدِيَّتِهِ الدِّيُونِيزُوسِيَّةِ لَدَى الْمُحْتَفِينَ بِهَا وَالْمُثْبِلِينَ عَلَيْهَا عَنْ اسْتِطَاعَةٍ فِي التَّحْمَلِ وَفِطْنَةٍ فِي اغْتِنَامِ الْأَلَمِ لِيُظْفَرَ مِنْهُ بِأَجُودِ الْمَغَانِمِ ، يَقُولُ نَيْتَشْه: "تُرِيدُونَ لَوْ كَانَ فِي الْإِمْكَانِ الْغَاءُ الْمُعَانَاةِ"¹²⁸¹ -وَلَيْسَ هُنَاكَ أَسْخَفُ مِنْ هَذَا الْإِمْكَانِ. فَمَا تُرِيدُهُ نَحْنُ؟ يَبْدُو أَنَّنا نُرِيدُ بِالْأُخْرَى أَنْ نَجْعَلَهَا أَشَدَّ وَأَفْضَعَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا! فَالِرِّفَاءُ كَمَا تَفْهَمُونَهُ لَيْسَ هَدَفًا فِي نَظَرِنَا بَلْ نِهَائَةً [مَوْتًا]! هُوَ حَالَةٌ سُرْعَانِ مَا نَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُثِيرًا لِلضَّحْكِ وَخَلِيقًا بِالْإِحْتِقَارِ، حَالَةٌ تُرْعِبُنَا فِي اخْتِفَائِهِ [هَلَاكِه]! أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ التَّأَدَّبَ بِالْمُعَانَاةِ [التَّرْبِيَّةَ أَوِ التَّعْلَمَ بِالْمُعَانَاةِ]، بِالْمُعَانَاةِ الشَّدِيدَةِ [بِالْمُعَانَاةِ الْعَظْمَى]، وَحَدَهُ سَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَى الِارْتِفَاعِ إِلَى الْأَعَالِي السَّامِقَةِ؟ إِنَّ تَوَثُّرَ النَّفْسِ فِي الشَّقَاءِ [فِي الْعَذَابِ] هُوَ الَّذِي عَرَسَ فِيهِ الْقُوَّةَ [الْجَلْدَ] وَرَجَفَاتِ النَّفْسِ فِي مَشْهَدِ النِّكَبَاتِ الشَّدِيدَةِ [الْكُورَاثِ الْعَظْمَى] وَالذَّهَاءَ وَالْبَسَالَةَ عَلَى تَحْمَلِ الشَّقَاءِ [الْعَذَابِ] وَالتَّصَدِّي لَهُ وَتَأْوِيلُهُ وَاسْتِغْلَالُهُ لِمَصْلَحَتِهِ، وَفِي الْوَاقِعِ [هُوَ الَّذِي عَرَسَ فِيهِ] كُلَّ مَا حَظِيَ بِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمُقٍ وَعُمُوضٍ [سِرٍّ] وَتَنَكُّرٍ [قِنَاعٍ] وَعَقْلٍ وَمَكْرٍ وَعَظْمَةٍ. أَوْلَمْ يُوْهَبْ لَهُ هَذَا كُلُّهُ فِي قَلْبِ الْمُعَانَاةِ وَتَحْتَ وَطْأَةِ التَّأَدَّبِ بِالْمُعَانَاةِ الشَّدِيدَةِ [الْمُعَانَاةِ الْعَظْمَى] ؟¹²⁸²

قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَلَمِ هُوَ ذَا الثَّمَنِ الَّذِي يَدْفَعُهُ الْإِنْسَانُ الْمُقْتَدِرُ إِذَا أَرَادَ الْحُصُولَ عَلَى وَفْرَةٍ مِنَ الْبَهَائِجِ الرَّهِيْفَةِ¹²⁸³ وَإِذَا مَا قَصَدَ إِلَى اسْتِزَادَةٍ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْإِقْدَارِ¹²⁸⁴. وَيَمْضِي نَيْتَشْه بِهَذَا الْعِرْفَانِ الْبَهِيحِ بِالْأَلَمِ عَلَى الصَّعِيدِ الْعُضْوِيِّ إِلَى عَدِهِ جُزْءًا طَبِيعِيًّا مِنَ الصَّرِيرَةِ الْعُضْوِيَّةِ ، أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ الْإِنْسَانِيِّ ، فَكُلُّ

¹²⁸¹FP, XII, Automne 1885 -automne 1887, 8 [2] : « Quelque chose de las et de malade s'exprime chez les métaphysiciens et les gens religieux dans le fait qu'ils voient au premier plan les problèmes du plaisir et de la souffrance. La morale aussi n'a pour eux une telle importance que parce qu'elle passe pour une condition essentielle quant à la suppression de la souffrance ».

¹²⁸²PBM, Trad. Henri Albert, § 225 : « Vous voulez, si possible — et il n'existe pas de « possible » plus insensé, — Supprimer la souffrance ; et nous ? — il semble que nous voulions plutôt la rendre plus intense encore et plus cruelle que jamais ! Le bien-être, comme vous l'entendez — ce n'est pas un but à nos yeux, mais une fin ! Un état qui aussitôt rend l'homme risible et méprisable — qui fait désirer sa disparition ! La discipline de la souffrance, de la grande souffrance — ne savez-vous pas que c'est cette discipline seule qui, jusqu'ici, a porté l'homme aux grandes hauteurs ? Cette tension de l'âme dans le malheur, qui lui inculque la force, les frémissements de l'âme à la vue des grands cataclysmes, son ingéniosité et son courage à supporter, à braver, à interpréter, à mettre à profit le malheur et tout ce qu'elle a jamais possédé en fait de profondeur, de mystère, de masque, d'esprit, de ruse, de grandeur. N'est-ce pas au milieu de la souffrance, sous la discipline de la grande souffrance que tout cela lui a été donné ? »

¹²⁸³GS, Trad. Patrick Wotling, livre 1, § 12 : « ... ou bien le plus de déplaisir possible comme prix à payer pour la croissance d'une plénitude de plaisirs et de joies raffinés et rarement savourés jusqu'alors ! ».

¹²⁸⁴VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, livre II, § 48.

أمرٍ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ مَا دَامَ إِنَّمَاؤُهُ لِاقْتِدَارِهِ مُتَوَقِّفًا عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى آلَمِهِ ، إِذْ لَا وُجُودَ لِمَسَاعِيِ الاِقتِدَارِ (إرادة الاقتدار) مِنْ غَيْرِ لَذَّةٍ وَآلَمٍ يَنْتَجَانِ عَنْهَا¹²⁸⁵.

وَمِنْ الْبَدَهِِي أَنْ يَتَقَبَّلَ الْإِنْسَانُ التَّرَاجِيدِي أفسى المعاناة ، إِذْ يُعْطِي لَهَا مَعْنًى مَأسَاوِيًا ، وَمَا يَدْعُوهُ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُ قُوَّتِهِ وَغِلْظَتِهِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ مِنْ عَلَيَاءِ هَذَا الاِقتِدَارِ يُرِيدُ اللَّذَّةَ بِمَقْدَارٍ مَا يُرِيدُ الْآلَمَ إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا ذَا شَأْنٍ¹²⁸⁶ مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ الْمُتَفَوِّقَةُ مَنُوطَةً بِالْمُعَانَاةِ¹²⁸⁷ وَبِمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمُسْتَطَاعِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ حَيَاةٌ مَعَ انْفِكَالٍ مُطْلَقٍ عَنِ الْآلَمِ¹²⁸⁸.

وَعَلَى التَّقْيِضِ مِنْ ذَلِكَ نَلْفِي الْإِنْسَانَ الْمَسِيحِي ، الَّذِي يَخْلَعُ عَلَى الْمُعَانَاةِ مَعْنًى كَهَنُوتِيًا ، جَاحِدًا بِالْأَشْيَاءِ ، بَلَّةً مُنْكَرًا لِظَرْفِهِ وَقَدَرِهِ الْأَشَدِّ تَوَفِيْقًا ، ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ بُلْعَةٍ ضَعْفِهِ وَفَقْرِهِ وَحِرْمَانِهِ يُعَانِي تَحْتَ وَطْأَةِ الْأَوْضَاعِ طُرًّا بَلْ إِنَّهُ يُقَاسِي مِنَ الْحَيَاةِ ذَاتَهَا¹²⁸⁹ ، فَقَطْ مَنْ يَفْتَقِرُ لِلْعُمَقِ وَالتَّفَاوُلِ يَشْعُرُ أَنَّ الْمُعَانَاةَ حُجَّةٌ عَلَى (ضد) الْحَيَاةِ وَأَنَّ رَغْدَهَا هَدَفٌ¹²⁹⁰ يَتَحَرَّاهُ حَذْوُ التَّغَلُّبِ بِالتَّغَلُّبِ.

تَأْسِيسًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ إِيرَادُهُ مِنْ إِضَاحَاتٍ ، فَقَدْ مَضَى نِيَتُهُ بِتَحْلِيلَاتِهِ لِلْمُعَانَاةِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مُسْتَوَيَاتٍ عَدِيدَةٍ إِلَى أَنْ عَدَّ الْمُعَانَاةَ خَالِقَةً لِلْمَفَاهِيمِ الْعَدَمِيَّةِ ، إِذْ هِيَ مَنْ أَوْحَتْ لِلْإِنْسَانِ النَّزَاعَ إِلَى الْمِيتَافِيزِيْقَا الْإِيمَانَ بِالْكَيْتُونَةِ وَالْعَالَمِ الْحَقِّ وَاللَّامَشْرُوطِ بِدَلِّ الْإِيمَانِ بِالصَّيْرُورَةِ وَالْعَالَمِ الظَّاهِرِ وَالْمَشْرُوطِ ، أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ تَصَوُّرَ عَالَمٍ آخَرَ أَكْثَرَ مِصْدَاقِيَّةً هُوَ الَّذِي وَلَدَ كَرَاهِيَةَ عَالَمِنَا الْمَوْجِعِ¹²⁹¹ ، وَالْحَالُ أَلَا مَنَاصَ

¹²⁸⁵FP, XIV, Début 1888- début janvier : 1889, 14 [174] : « Ce que l'homme veut, ce que veut la plus infime parcelle d'un organisme vivant, c'est un surcroît de puissance. De ses efforts pour y atteindre découlent tant plaisir que déplaisir : c'est à partir de cette volonté qu'il recherche la résistance, qu'il a besoin de quelque chose qui fasse obstacle. Le déplaisir, frein à sa volonté de puissance, est donc un fait normal, l'ingrédient normal de tout devenir organique, l'homme ne l'évite pas, il en a bien au contraire constamment besoin ».

¹²⁸⁶FP, XII, Automne 1885 -automne 1887, 8 [2] : « La préoccupation de la souffrance chez les métaphysiciens : est totalement naïve. « Béatitude éternelle » absurdité psychologique. Les hommes courageux et créateurs ne conçoivent jamais plaisir et douleur comme ultimes questions de valeur, ce sont des états corrélatifs, il faut, vouloir les deux si l'on veut atteindre quelque chose ».

¹²⁸⁷Barbara Stiegler, Nietzsche et la biologie, p. 40.

¹²⁸⁸VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome II, Livre IV, § 548, et § 552.

¹²⁸⁹FP, XIV, Début 1888- début janvier : 14 [89] : « ... le problème est celui du sens de la souffrance : sens chrétien ou sens tragique... Dans le premier cas, elle doit être la voie menant à un être bienheureux, dans l'autre, l'être est tenu pour assez bienheureux en soi pour justifier même une somme monstrueuse de souffrance L'homme tragique acquiesce même à la souffrance la plus âpre : il est assez fort, plein, divinisant, pour cela Le chrétien renie même le sort le plus heureux sur terre il est assez faible, pauvre, déshérité pour souffrir, sous toutes ses formes, de la vie même... ».

¹²⁹⁰FP, XII, Automne 1885 -automne 1887, 1 [161] : « Celui qui ressent la souffrance comme un argument contre la vie me semble superficiel, y compris nos pessimistes; de même celui qui voit dans le bien-être un but ».

¹²⁹¹Ibid, 8 [2] « Ces conclusions sont inspirées par la souffrance : au fond ce sont des désirs qu'il y ait un tel monde; la haine contre un monde qui fait souffrir s'exprime également dans le fait qu'on en imagine un autre, plus valable : le ressentiment des métaphysiciens contre le réel est ici créateur ».

مِنْ تَمَيُّزِ أَلَمٍ يَصْدُرُ وَيَشْفُ عَنْ وَفْرَةٍ يُعَدُّ وَسِيلَةً لِلْحَثِّ وَالتَّخْرِيسِ عَلَى تَغْزِيرِ الْاِقْتِدَارِ ، مِنْ أَلَمٍ يَنْبُعُ وَيَدُلُّ عَلَى انْهَاطٍ يَوْصَفُهُ اسْتِنْفَادًا عَمِيقًا وَانْهِيَارًا شَدِيدًا فِي إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ ، وَفَقْدَانًا مَلْحُوظًا فِي الْقُوَّةِ ، وَبِاخْتِصَارٍ يُشِيرُ إِلَى اسْتِنْرَافٍ مُفْرِطٍ فِي الْاِقْتِدَارِ .

وَلَيْنِ اسْتَمَ هَذَا الصَّنْفُ الثَّانِي مِنْ أَلَمِ التَّدْمِيرِيِّ بِعَجْزٍ فِي الْمَقَاوِمَةِ بِقَدَرٍ مَا يُفْضِي إِلَى لَذَّةٍ سَلْبِيَّةٍ فِي صُورَةٍ شَلَلٍ وَتَوَمٍّ وَسَلَامٍ وَخُمُولٍ ، تَسْعَى إِلَيْهَا حَيَاةٌ مُجْهِدَةٌ تَفْتَقِرُ لِلنَّشَاطِ وَالْبَاسِ¹²⁹² ، فَإِنَّ الصَّنْفَ الْحَيَوِيَّ لِلْأَلَمِ يَتَّصِفُ بِالتَّخْرِيسِ عَلَى الْمَقَاوِمَةِ وَالتَّحَمُّلِ وَالْجَلْدِ وَيُؤَدِّي فِي الْمُنْتَهَى إِلَى لَذَّةِ الْاِنتِصَارِ¹²⁹³ وَبِهَجَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ لَا تُبْلَغُ إِلَّا بِالْكَفَاحِ لَا الْكَسَلِ¹²⁹⁴ ، أَجَلَ بِالْكَفَاحِ لَا بِحَيَاةٍ مُتَفَهِّقَةٍ تَتَصَرَّفُ بِارْتِكَاسِيَّةٍ تُجَاهَ امْتِحَانِ الْمَعَانَةِ لَا قَبْلَ لَهَا بِاخْتِبَارٍ تَعَدُّ الْمَنْظُورَاتِ وَلَا بِسَبْرِ أَعْوَارِ الْمَجْهُولِ وَلَا بِالْاِنْفِتَاحِ عَلَى الْجَدِيدِ¹²⁹⁵ .

يَمْضِي هَذَا التَّوَكُّيدُ لِلْأَلَمِ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ لِلْحَيَاةِ إِلَى حَدِّ تَوْكِيدِ الْغَيْرِيَّةِ بِمَا هِيَ الْأَطْرَافُ الْأُخْرَى مِنَ الْمَثْنَوِيَّاتِ ، بِخِلَافِ الْإِثْبَاتِيَّةِ الْكَهْنُوتِيَّةِ الَّتِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا تُعَزِّزُ الْحَيَاةَ فَهِيَ لَا تُثَبِّتُهَا حَقًّا فِي جَوَانِبِهَا قَاطِبَةً ، مَا دَامَتْ تَسْتَبْعِدُ الْغَيْرِيَّةَ بِمَا هِيَ جَمِيعُ الْأَوْجِهَةِ الْمُنَاقِضَةِ لِلْقِيَمِ الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا الْكَهْنُوتُ¹²⁹⁶ .

ج) التَّجَلِّيَّاتُ الْكُبْرَى لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ أَوْ جُحْدَانِ الْحَيَاةِ وَالْجُسْمانِ فِي مَوَارِبَاتِهِ وَأَفْنَعَتِهِ

لَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ بَعْدَمَا أَضْأْنَا مَائِيَّةَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ عَنْ إِمَاطَةِ اللَّثَامِ عَنْ تَجَلِّيَّاتِهِ الْخَافِيَةِ فِي الْعَدِيدِ مِنْ مَبَانِي الْحَضَارَةِ وَمَضَامِيرِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ عِلْمٍ وَفَلَسْفَةٍ وَفَنٍّ ؛ وَنَظَرًا لِتَنَاوُلِ نِيَشَتِهِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ تَبَعًا لِلْفَاعِلِينَ مِنْ حَيَثِيَّاتٍ نَفْسَانِيَّةٍ ، فَإِنَّا سَنَتَطَرَّقُ إِلَى الْمُلْجِدِينَ الْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالْفَنَانِينَ

¹²⁹²GS, Trad. Patrick Wotling, § 370.

¹²⁹³VP, Trad. Geneviève Bianquis, Tome I, livre II, § 401 : « On a confondu la douleur avec une sorte de douleur qui est celle de l'épuisement; celle-ci représente en effet une profonde diminution, une dépression de la volonté de puissance, une perte notable de force. Cela signifie qu'il existe : a) une douleur qui est un moyen d'excitation pour fortifier la puissance; b) une douleur qui succède à une dépense excessive de puissance. Dans le premier cas, un stimulant; dans le second, les conséquences d'une excitation excessive... L'incapacité de résister est propre à cette seconde sorte de douleur; la provocation à la résistance appartient à la première... Le seul plaisir qui soit ressenti dans l'état d'épuisement, c'est celui de s'endormir; dans l'autre cas, le plaisir c'est la victoire ... ».

¹²⁹⁴HTH, Trad. Anne -Marie Destrouneaux et Henri Albert, Hachette littératures, Collection «pluriel », philosophie, 2008, § 169.

¹²⁹⁵Georges Goedert, Nietzsche critique des valeurs chrétiennes. Souffrance et compassion, Éditions Beauchesne, Paris, 1977, p. 108.

¹²⁹⁶Lawrence J. Hatab, How Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, p. 110.

يُوصَفُهُمْ حَامِلِينَ لِهَذَا الْمَثَلِ الْأَعْلَى ذِي الْقِيَامِ الْكَهْنُوتِيِّ وَسَيَتَخَلَّلُ هَذَا كُلُّهُ تَشْدِيدٌ عَلَى حُضُورِهِ فِي الْإِلْحَادِ ثُمَّ الْعِلْمِ وَأَخِيرًا الْقَنِّ.

1- الإِلْحَادُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ

لَا مَصْرُفَ فِي سَبِيلِ تَنْقِيَةِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ عَنْ تَتَبُّعِ حَرَكَاتِهِ وَتَعَقُّبِ أَفْنَعَتِهِ وَالتَّعَرُّفِ إِلَى مِكَانِيزِمَاتِهِ وَالْوُقُوفِ عَلَى أَغْرَاضِهِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ طُفْلِيٌّ يَتَحَرَّكُ فِي طَيَّاتِ الْأَشْيَاءِ مُتَخَفِيًا وَيُوجِّهُ مَفَاهِيمَ تَبْدُو مُحَايِدَةً ؛ فَهُوَ حَاضِرٌ حَتَّى فِي الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مُتَحَرِّرِينَ مِنْ أَيِّ لَوْثٍ كَهْنُوتِيٍّ ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ يَتَمَظَّهُرُ فِي الْمَلَا حِدَةِ الشَّاحِبِينَ وَالْمُنَاوِئِينَ لِلْمَسِيحِيَّةِ وَفِي اللاأَخْلَاقِيِّينَ وَالرَّيْبِيِّينَ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْحُرَّةِ الَّذِينَ بَلَّغُوا نَصِيبًا طَيِّبًا مِنَ الْحُرِّيَّةِ ، لِذَلِكَ عَدَّهُمْ نِيَتَشَهُ مُمَثِّلِينَ لِهَذَا الْمَثَلِ الْكَهْنُوتِيِّ وَحَسِبَهُمْ طَلَائِعَ جُنْدِهِ وَمَظْهَرَهُ الْأَشَدَّ رُوحَانِيَّةً ؛ مَظْهَرَهُ الْأَفْتَنَ غَوَايَةَ وَالْأَعْوَصَ عَلَى الْفَهْمِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِالْحَقِيقَةِ وَمُؤْمِنِينَ بِهَا ، لِذَلِكَ هُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْأَرْوَاحِ الْحُرَّةِ ؛ تِلْكَمُ الْحَقِيقَةُ الَّتِي عَدَّتْ حُجَّةً لَتَرْزِيفِ الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ.

ذَلِكَمُ عَلَى نَقِيضِ الْأَرْوَاحِ الْحُرَّةِ ، عَلَى غِرَارِ حَشَاشِيِ الشَّرْقِ ، الَّتِي لَا تُؤْمِنُ بِأَيِّ حَقِيقَةٍ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَهِيَ تَرَى الْحُرِّيَّةَ وَالْإِبَاحَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، مَا يَسْمَحُ لَهَا بِالْإِنْدِفَاعِ فِي مَتَاهَاتِ الْوُجُودِ بِرُوحِ مَغَامِرٍ مُنْعَتِيٍّ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ وَالتَّيَهُ فِي أَلْغَازِ الْحَيَاةِ بِكُلِّ بَسَالَةٍ¹²⁹⁷. وَمَا جَعَلَ نِيَتَشَهُ الْحَقِيقَةَ تَجَلِيًّا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ إِلَّا لِأَنِّبَائِهَا عَلَى اعْتِقَادٍ مِيتَافِيزِيْقِيٍّ ، يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ تَوَقُّفُ الْإِيمَانِ بِالْعِلْمِ عَلَى الْإِيمَانِ الْمِيتَافِيزِيْقِيٍّ ، ذَلِكَ أَنَّ تَوَقُّقَ الْبَشَرِ إِلَى عَالَمِ الْوَهْيِ آخَرَ غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ الصَّائِرِ وَالْجَائِرِ هُوَ الَّذِي حَدَاهُمْ عَلَى تَصَوُّرِ الْحَقِيقَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْخَالِصِ لَا تَشُوبُهَا فِي ذَلِكَ شَوَائِبُ الْحَيَاةِ وَالطَّبِيعَةِ وَالتَّارِيخِ¹²⁹⁸. وَبِمَجَرَّدِ مَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِآلِهِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ تَنْطَرِحُ عَلَى مَرَأَى عَقْلِهِ مُشْكَلَةُ قِيَمَةِ الْحَقِيقَةِ وَتَعْدُو الْحَقِيقَةُ وَإِرَادَةُ الْحَقِيقَةِ بِحَاجَةٍ إِلَى تَبْرِيرٍ وَتَكْفُفُ الْحَقِيقَةُ عَنْ كَوْنِهَا كَيْنُونَةً مَا وراءَ الصَّيْرُورَةِ وَسُلْطَةِ غُلْيَا Instance suprême وَإِلَهَا.

تَبَيَّنَ لَنَا ، اهْتِدَاءً بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَقْرِيرَاتٍ ، أَنَّ الْإِلْحَادَ الَّذِي يُنْظَرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ فِي غَيِّ تَامٍ عَنِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ كُلَّمَا شَرَعَ بِجِدِّيَّةٍ وَصَرَامَةٍ ، بِمُكْنَةِ وَنَزَاهَةٍ فِي إِعْمَالِ الْعَقْلِ ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُتَلَسِّسٌ بِهِ وَمَقَامٌ لَهُ ، وَمَا أَنَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تُحَقِّزُهُ وَتُحَرِّكُهُ ، وَلَقَدْ شَقَّتِ الْحَيْنِيَالُوجِيَا عَنْ كَوْنِهَا الشَّكْلَ الْأَكْثَرَ صَرَامَةً وَرُوحَانِيَّةً وَبَاطِنِيَّةً وَنَقَاءً لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ الَّذِي سَيَظُلُّ جَارِيًا فِي شَرَايِينِ الْإِلْحَادِ مَا لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا¹²⁹⁹.

¹²⁹⁷ GM, Trad. Henri Albert, III, § 24.

¹²⁹⁸ PBM, Trad. Henri Albert, § 344.

¹²⁹⁹ Paul Valadier, Nietzsche et la critique du christianisme, Éditions du Cerf, 1974, p. 110.

وَالْحَالُ أَنَّ نِيَّتَهُ يَعُدُّ إِرَادَةَ الْحَقِيقَةِ لُبَّ هَذَا الْمَثَلِ الْكَهْوتِيِّ الَّذِي لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بَعْدَ تَجْرِيدِهِ مِنْ كُلِّ قِنَاعٍ ، مِنْ كُلِّ رِيَاءٍ ، وَبِمُوجِبِ هَذَا كُلِّهِ فَالْإِلْحَادُ بِهَذَا الْمَعْنَى يُعَدُّ التَّطَوُّرَ النِّهَايَّ لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ وَإِخْدَى تَبَاعِيهِ الْبَاطِنِيَّةِ ؛ نَتِيجَةُ هُوَ لِلتَّرْبِيَّةِ وَالتَّدْجِينِ الْمَفْرُوضَيْنِ طِيلَةَ أَلْفِي عَامٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَمِنْ أَجْلِ الْحَقِيقَةِ وَالَّذِي انْتَهَى إِلَى الْاِمْتِنَاعِ مِنْ أَكْذُوبَةِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَهَذِهِ السَّيْرُورَةُ الَّتِي آلَتْ إِلَى الْإِلْحَادِ شَبِيهَةً بِالسَّيْرُورَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي الْمَدَارِسِ الزُّهْدِيَّةِ لِلْفَكْرِ الْهِنْدِيِّ الَّتِي أَفْضَتْ إِلَى الْإِلْحَادِ الْبُودِيِّ وَالسَّيْنِيخِيِّ¹³⁰⁰ .

تَضْطَرُّنَا هَذِهِ التَّحْلِيلَاتُ إِلَى صِيَاغَةِ هَذَا السُّؤَالِ: أُنَى لِلدِّيانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْإِلْحَادِ؟ مَنْ حَقَّقَ النَّصْرَ عَلَيْهَا ، عَلَى الْإِلَهِ الْمَسِيحِيِّ؟ ، يُجِيبُ نِيَّتُهُ بِأَنَّ مَنْ وَلَدَ الْإِلْحَادَ هُوَ الْأَخْلَاقُ الْمَسِيحِيَّةُ ذَاتُهَا وَمَفْهُومُهَا عَنِ الصِّدْقِ الَّذِي الزَّمَتْ نَفْسَهَا بِهِ بِشَكْلِ صَارِمٍ وَمُتَزَايِدٍ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ انْتَصَرَ عَلَى الْإِلَهِ الْمَسِيحِيِّ وَعَلَى الدِّيانَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا وَأَقْضَى إِلَى الْإِلْحَادِ هُوَ أَيْضًا الضَّمِيرُ La conscience الذي شَحَذَتْهُ اعْتِرَافَاتُ الْمُتَدَبِّنِينَ وَالْمُذْنِبِينَ عَلَى كَرَّاسِي الاعْتِرَافِ وَالَّذِي تَحَوَّلَ وَتَسَامَى Sublimée إلى أَنْ صَارَ ضَمِيرًا عِلْمِيًّا Conscience scientifique وَقَفَاءً عَقْلِيًّا وَنَزَاهَةً فِكْرِيَّةً يَتَحَلَّى بِهَا الْمَرْءُ بِأَيِّ تَمَنٍّ¹³⁰¹ .

هَكَذَا عَدَا الضَّمِيرُ الْحَدِيثُ فِي صُورَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الْجَدِيدَةِ مُنَاقِضًا لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي كَانَ الضَّمِيرُ الْقَدِيمُ (الْمُنْحَدِرُ مِنَ الْأَوَّلِ) لَا يَنْفَكُ عَنِ الْإِيْمَانِ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ الْعَالَمَ وَتُوجِّهُ التَّارِيخَ ، مِنْ قَبْلِ النَّظَرِ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ وَإِشَارَةٌ وَتَدْبِيرٌ مِنْهُ مِنْ أَجْلِ خَلَاصِ الرُّوحِ ، هَذِي كُلُّهَا أَصْبَحَتْ فِي نَظَرِ الضَّمَائِرِ الْحَدِيثَةِ عَدَمَ اسْتِقَامَةٍ وَخُلُوعًا مِنَ النَّزَاهَةِ وَأَكْذُوبَةٍ وَنِسُوبَةٍ وَجُبْنًا وَضَعْفًا¹³⁰² .

إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُوجِزَ فِي عِبَارَاتٍ أَكْثَرَ دِقَّةً وَأَقْرَبَ دُنُوعًا مِنَ الصِّيَاغَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ الدَّافِعِ الْمُحَايِثِ الَّذِي يَسُوقُ الْمَفَاهِيمَ إِلَى أَنْ تَنْقَلِبَ عَلَى صُورِهَا وَبَعْضٍ مِنْ مَضَامِينِهَا الْقَدِيمَةِ وَتَتَقَلَّبَ فِي التَّارِيخِ حَتَّى تَسْتَنْفِدَ جَمِيعَ نَتَائِجِهَا الْقُصُوصِ ، فَإِنَّا سَنُجِيبُ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي : فِي مَطَاوِي الْأَشْيَاءِ قَاطِبَةً يَنْبُضُ النَّامُوسُ الْمَاهَوِيُّ لِلْحَيَاةِ الَّذِي يَدْفَعُهَا إِلَى التَّلَاشِي وَالْهَلَاكِ ، أَعْنِي يَتَقَادُّهَا إِلَى الْغَائِبِ الذَّاتِيِّ Auto-suppression¹³⁰³ أَوْ إِلَى مَا يُتَرَجَّمُ بَعْضُهُمْ ، فِي عِبَارَةٍ أُخْرَى ، بِالْاِنْتِصَارِ عَلَى النَّفْسِ Victoire sur soi¹³⁰⁴ .

بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يُقَدِّمُ هَذَا النَّامُوسُ الْحَيَاتِيَّ إِضَاحًا عَنْ مُضِيِّ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى هَلَاكِهَا مِنْ طَرِيقِ شَرِيعَتِهَا الْأَخْلَاقِيَّةِ ، لَا مِنْ خِلَالِ أَسْبَابٍ خَارِجِيَّةٍ كَمَا قَدْ يَخْطُرُ عَلَى الْعَقْلِ ، لَكِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ نَفْسُهَا الَّتِي مَا

¹³⁰⁰ GM, Trad. Henri Albert, III, § 27.

¹³⁰¹ Ibid, § 27.

¹³⁰² GS, Trad. Henri Albert, § 357.

¹³⁰³ GM, Trad. Henri Albert, III, § 27.

تدميرها الذاتي حسب ترجمة بيانكي autodestruction.

¹³⁰⁴ Ibid.

تجاوز الذات حسب ترجمة بلونداًل dépassement de soi.

زالت تُهَيِّمُ عَلَى الْعَصْرِ حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ (إِذْ أَقُولُ الْمَسِيحِيَّةَ كَعَقِيدَةٍ لَمْ يَعْقُبْهُ بَعْدُ أَقُولُهَا كَأَخْلَاقٍ) وَالَّتِي تَقُومُ فِي عُمُقِهَا عَلَى شَبِيلَةِ الصِّدْقِ La vérité سَتَمُضِي تَتَرَا بِدَوْرِهَا ، لَا مَزْخَرَحَ لَهَا عَنْ ذَلِكَ ، إِلَى نَتَائِجِهَا الْقُصُوى ، وَسَتَخْتَبِرُ فِي مَسَارِهَا التَّارِيخِيَّ تَجَلِّياتٍ شَتَّى حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْهَلَاكِ ، لَكِنَّ هَذَا الْهَلَاكَ نَفْسُهُ لَنْ يُبْلَغَ إِلَّا بَعْدَمَا تَنْطَرِحُ إِرَادَةُ الْحَقِيقَةِ كَمُشْكِلَةٍ ، مَا يُمَهِّدُ السَّبِيلَ إِلَى أَقُولِ سُلْطَانِهَا ، وَبِهَذَا كُلِّهِ سَتَرُدِّي الْمَسِيحِيَّةَ كَأَخْلَاقٍ كَمَا هَلَكَتْ كَعَقِيدَةٍ¹³⁰⁵ . هَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ إريك بلونْدَال قَائِلًا: " سَيَكُونُ الْإِلْحَادُ الْحَقِيقِيُّ مَوْتًا لِلْأَخْلَاقِ وَإِبْطَالًا لَهَا ، مَوْتًا لِكُلِّ هُويَّةٍ مِثَالِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ ، لِكُلِّ ثُنَائِيَّةٍ¹³⁰⁶ .

لَا جَرَمَ تَبَعًا لِتَقْرِيرَاتِ الْحِينِيَالُوجِيَا أَنْ يَتَوَقَّفَ الْاِنْتِصَارُ الْحَقِيقِيُّ عَلَى الْمَسِيحِيَّةِ وَمِيلَادِ إِنْسَانِ الْاِقْتِدَارِ وَتَفْتَقُ بَرَاءَةَ الْعَالَمِ عَلَى تَجَاوُزِ مُزْدَوِجٍ لِلْمَسِيحِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَقِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ ، مُقَادٌ ذَلِكَ أَنَّ التَّخْطِيَّ الْجَذْرِيَّ لِلْعَقْلِ النَّظَرِيِّ وَالْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ الْكَهَنُوتِيِّينَ وَحَدَهُ قَادِرٌ عَلَى تَحْرِيرِ فِعْلِيٍّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ . وَتَبَرُّزُ لَنَا اَزْدَوَاجِيَّةُ التَّجَاوُزِ أَيْضًا فِي التَّحَرُّرِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ مَفْهُومِ الدِّينِ فِي مَجْلَيْهِ الْلاهُوتِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ ، إِذْ يَتَخَلَّصُ الْإِلْحَادُ مِنَ اللَّهِ يَتَحَرَّرُ الْإِنْسَانُ نِهَائِيًّا مِنْ وَضْعِيَّةِ الْمُسْتَدِينِ ، أَيْ مِنْ مَفْهُومِ الدِّينِ الدِّينِيِّ¹³⁰⁷ ، عَلَى أَنْ يَتَخَلَّصَ أَيْضًا مِنَ التَّجَلِّياتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ لِمَفْهُومِي الدِّينِ وَالْوَاجِبِ . يَحْمِلُنَا هَذَا عَلَى تَمْيِيزِ الْإِلْحَادِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنَ الْإِلْحَادِ الْنِيْتَشَوِيِّ الَّذِي يَأْتِي عَلَى الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ بِقَدَرٍ مَا يُدْمِرُ أَخْلَاقِيَّاتَهَا ، وَذَلِكَ مَا لَا يَجْعَلُهُ الْإِلْحَادُ اغْتِيَادِيًّا بَلْ الْإِلْحَادُ مُهَارَسًا بِصُورَةٍ جَذْرِيَّةٍ وَمُنْتَظَمَةٍ¹³⁰⁸ يَدْعُوهُ إِلَى ذَلِكَ كَوْنُ الْإِلْحَادِ الْبَسِيطِ غَيْرَ كَافٍ لِقَهْرِ الدِّينِ بِعَامَّةٍ وَالْمَسِيحِيَّةِ بِخَاصَّةٍ¹³⁰⁹ .

2- الْعِلْمُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ

لَيْسَ بِدَعَا أَنْ يَعُدَّ نِيْتَشَهُ عَلَى الصَّعِيدِ الْمَعْرِفِيِّ الْقَوْلَ بِوُجُودِ عَقْلِ مَحْضٍ وَمَعْرِفَةٍ "فِي ذَاتِهَا" وَذَاتٍ عَارِفَةٍ خَالِصَةٍ مِنَ الْإِرَادَةِ وَالْأَلَمِ وَالزَّمَانِيَّةِ تَجَلِّيًا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ، إِذْ يَجْرِي تَصَوُّرُ الشَّاطِطِ الْمَعْرِفِيِّ فِي هَكَذَا مَنْظُورٍ كَمَا لَوْ أَنَّهُ عَمَلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ مُنْزَهَةٌ عَنِ الْمَصْلَحَةِ وَفِي هَذَا السِّيَاقِ يُطْلَبُ مِنَ الذَّاتِ الْعَارِفَةِ أَنْ تَتَحَلَّى بِعَيْنٍ لَامْعُقُولَةٍ وَبَاطِلَةٍ لَا يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً ، تِلْكَمُ الْعَيْنُ الَّتِي لَا تَرْنُو فِي أَيْ اتِّجَاهٍ وَلَا تَنْحَازُ أَوْ تَمِيلُ إِلَى أَيْ مَسَلِكٍ ؛ تِلْكَمُ الَّتِي تَكُونُ مَقْدِرَتُهَا الْفَاعِلَةُ وَالتَّأْوِيلِيَّةُ غَائِبَةً أَوْ مُعْطَلَةً ، مَعَ أَنَّ هَذِي الْقُدْرَاتِ الْفَاعِلَةَ وَالتَّأْوِيلِيَّةَ وَحْدَهَا مَنْ يَجْعَلُ النَّظْرَةَ نَظْرَةً ، أَيْ هِيَ مَنْ يَهَبُ لِلْإِدْرَاكَاتِ مَوْضُوعَاتِهَا ؛ كُلُّ مَا هُنَالِكَ أَنْ نِيْتَشَهُ يُقِيمُ مَقَامَ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْمَعْرِفِيَّةِ الزَّاهِدَةِ رُؤْيَةً أَوْ مَعْرِفَةً لَا تَكُونُ إِلَّا مَنْظُورِيَّةً ، إِذْ بِالتَّخْرِيجِ الْمَنْظُورِيِّ لِلْفَاعِلِيَّةِ الْمَعْرِفِيَّةِ تَغْتَنِي الْمَعْرِفَةُ بِغْنَى الْعَنَاصِرِ الذَّائِيَّةِ الَّتِي تُشَارِكُ فِي

¹³⁰⁵ GM, Trad. Henri Albert, III, § 27.

¹³⁰⁶ Eric Blondel, Nietzsche, le « cinquième Evangile », Les Bergers et les Mages, 1980, pp. 236-237 : « Le véritable athéisme serait la mort de la morale, son abolition, et la mort de toute identité idéale de la vie, de toute dichotomie ».

¹³⁰⁷ Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, p. 148.

¹³⁰⁸ Philippe Gaudin, La religion de Nietzsche, pp. 71-83

¹³⁰⁹ Ibid, p. 74.

إِعَادَةُ صِيَاغَةِ الْمَوْضُوعَاتِ تَبَعًا لَأَفَاقٍ جَدِيدَةٍ وَمُحْتَوَيَاتٍ عَدِيدَةٍ ، ذَلِكَ أَنَّ مَجَالَ الْأَهْوَاءِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ يُتِيحُ لَهَا ابْتِدَاعَ الْمَنْظُورَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ بِمَنَاوِيلَ أَرْحَبَ ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا اضْطَلَعَتْ الْعَوَاطِفُ¹³¹⁰ الْكَثِيرَةُ وَالْأَهْوَاءُ¹³¹¹ الْعَدِيدَةُ وَالْإِنْفِعَالَاتِ¹³¹² الْمُتَنَوِّعَةُ بِدَوْرِ فِي عَمَلِيَّاتِ إِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ ، وَسِعَتْ عُيُونُنَا الْمُخْتَلِفَةُ ، عَلَى تَعَدُّدِهَا ، الْأَشْيَاءَ عِلْمًا وَأَحَاطَتْهَا دِرَآئَةً ، وَكَانَ نَصُورُنَا لَهَا وَمَوْضُوعِيَّةُ هَذَا التَّصَوُّرِ أَشَدَّ كَمَالًا.

وَأَمَّا الْإِغَاءُ الْإِرَادَةُ وَاسْتِبْعَادُ الْمَشَاعِرِ وَالْأَهْوَاءِ طَرًّا ، عَلَى افْتِرَاضِ أَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنًا ، فَلَيْسَ إِلَّا إِخْصَاءٌ لِلْعَقْلِ Chatrer de l'intellect ، لَا يَنَاقِضُ مَضْمُونِيًّا عَنِ الْإِخْصَاءِ الْأَخْلَاقِيِّ ، مَا ذَلِكَ إِلَّا لِكُونِ الْإِخْصَاءِ الْعَقْلِيِّ يَفْتَرِضُ الْإِخْصَاءَ الْأَخْلَاقِيَّ لِلْأَهْوَاءِ وَالْعَرَائِزِ الَّذِي يَسْتَعْيِضُ بِصَنِيْعِهِ هَذَا عَنِ اسْتِخْدَامِ الْعَرَائِزِ وَالْأَهْوَاءِ وَتَوَفِيرِهَا وَتَمَلُّكِ زَمَانِ أَمْرِهَا ، وَلَا يَرْمِي إِلَى ذَلِكَ إِلَّا ابْتِغَاءً تَجْرِيدَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَصَادِرِ قُوَّتِهِ وَفِيُوضَاتِ النَّفْسِ ، وَجَعَلَهُ خَيْرًا فِي حَقْلِ الْأَخْلَاقِ¹³¹³ . وَخِلَافًا لِذَلِكَ يُخْرَجُ إِلَيْنَا نِيَتُهُ تَأْوِيلًا غَرِيبًا لِلْمَوْضُوعِيَّةِ يُعَدُّ لَهَا الْعُقُولَ الْحُرَّةَ بِمُوجِبِهِ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ تَعَاضِدًا لِلْأَهْوَاءِ وَالْعَوَاطِفِ وَالْمَارِبِ وَالْمَصَالِحِ جَمِيعًا فِي تَقْدِيمِ تَأْوِيلِ حَيَوِيِّ الْعَالَمِ حَيْثُ الْقُدْرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُضْطَلَعَةٌ بِفَرَضِ سُلْطَتِنَا عَلَى الْمُدْرَكَاتِ مُوَافَقَةً أَوْ مُخَالَفَةً¹³¹⁴ .

مَا بَرَحَ الْعَدِيدُ مِنْ آلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ كَوْنَ الْعِلْمِ ، بِإِغْتِبَارِهِ الْفَلَسَفَةُ الْحَقِيقِيَّةِ لِلْوَاقِعِ ، مُؤَمِّنًا بِدَاتِهِ وَمُتَحِلًّا بِشَجَاعَةِ فَرَضِ الذَّاتِ ، وَمُتَسَلِّحًا بِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَقَائِمًا بِنَفْسِهِ دُونَهَا إِلَهٍ وَمُتَجَرِّدًا مِنَ الْعَبَثِ (الْآخِرَةِ) وَمُتَخَلِّصًا مِنَ الْفَضَائِلِ السَّالِبَةِ ، يَبْدُ أَنَّ هَذَا الْإِدْعَاءَ حَسَبَ مَا شَفَّتْ عَنْهُ الْجِينِيَالُوجِيَا ثَرَرَةً وَتَحْرِيزًا لَا أَسَاسَ لَهُ مِنَ الصَّحَةِ ، إِنَّمَا أَسْفَرَتْ الدَّلَائِلُ عَنْ كَوْنِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ لَا يُؤَلَّفُ نَقِيضًا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ¹³¹⁵ بَلْ هُوَ شَكْلُهُ الْأَرْقَى وَالْأَحَدُثُ وَالْأَبْتَلُ ، وَإِنْ كَانَ شَعُوفًا وَبَازِلًا بِكُلِّ عَنَاءٍ وَمُعَانَاةٍ لِجُهُودِ جَبَّارَةٍ . مَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ الَّذِي يُغْوِيهِ وَيُحَرِّكُهُ وَقَفْضًا عَنْ ذَلِكَ

¹³¹⁰ ترجم هنري ألبير المفردة ب passions.

¹³¹¹ ترجمت بيانكي المفردة ب sentiments.

¹³¹² ترجم بلوندا المفردة ب affects .

¹³¹³ VP, Trad. Henri Albert, § 222 : « La morale religieuse. - L'émotion, le grand désir, les passions de la puissance, de l'amour, de la vengeance, de la possession - : les moralistes veulent les éteindre, les arracher, en "purifier" l'âme. La logique dit que ces désirs occasionnent souvent de grands ravages, -par conséquent ils sont mauvais, condamnables. L'homme doit s'en débarrasser : avant de l'avoir fait il ne sera pas un homme bon...Il en est de même de la folie du moraliste, qui, au lieu de demander que les passions soient maîtrisées, en demande l'extirpation Les grandes sources de force, ces torrents de l'âme, souvent dangereux et jaillissant avec impétuosité... au lieu d'utiliser leur puissance pour l'asservir et l'économiser, l'esprit moral, cet esprit étroit et néfaste, veut les faire tarir ». Voir Louis Corman, psychologue des profondeurs, Trad. Louis Corman, p. 258 : « La véhémence, la grande convoitise, les passions de la puissance, de l'amour, de la vengeance, de la possession, les moralistes veulent les éteindre, les extirper, en « purifier » l'âme... il en est de même de cette folie des moralistes qui exige qu'au lieu de dompter les passions, on les extirpe... au lieu d'en domestiquer et d'en économiser la puissance ».

¹³¹⁴ GM, Trad. Henri Albert, III, § 12.

¹³¹⁵ Ibid, § 25.

يَحْجُبُ عَنْهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْإِنْصِرَافِ عَنْ بَدَاهَاتِ الْأَشْيَاءِ¹³¹⁶. وَفَوْقَ ذَلِكَ يُعَوِّزُ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ الْإِيمَانُ بِذَاتِهِ، وَأَسْوَأُ مِنْ هَذَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَايَةٍ عَلَيًّا تُبَيِّرُ كَيَانَهُ وَإِرَادَةً ضِغْنَفَرِيَّةً تُقْوِي خَطْوَهُ وَمَثَلٍ أَعْلَى يَحْذُو حَذْوَهُ.

وَلَا نَحْسَبَنَّ هَذَا الْأَسَاسَ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يَنْبَنِيَ عَلَيْهِ وَيَتَقَوَّمَ بِهِ إِلَّا الْفَنَّ بِإِعْتِبَارِهِ قُدْرَةَ خَلْقٍ وَتَكْوِينٍ تَرْيِيفِيَّةٍ¹³¹⁷ تُعَبِّرُ عَنِ الْمَاهِيَّةِ الدَّفِينَةِ لِلْحَيَاةِ نَفْسَهَا بِمَا هِيَ إِرَادَةٌ اقْتِدَارٌ، مَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ كَوْنٍ نَيْشَشُهُ يُرِيدُ عِلْمًا مُتَحَرِّرًا مِنْ إِسَارِ الْمَثْنَوِيَّاتِ الْعَقْلَانِيَّةِ، وَلَا سِيَمَا اثْنَيْنِيَّةِ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَمَا يَجْعَلُ هَذَا التَّحَرُّرَ مُمَكِّنًا هُوَ اسْتِيحَاؤُهُ مِنَ الْفَنِّ مَنَهِاجَهُ وَأَفْقَهُ، مَا يَفْرُضُ مُقَارَبَةَ الْعِلْمِ مِنْ مُنْطَلَقِي فَنِّيٍّ، أَيْ النَّظَرَ إِلَى الْعِلْمِ مِنْ عَدَسَةِ الْفَنَانِ¹³¹⁸ وَمِنْ ثَمَّ النَّظَرُ إِلَى الْفَنِّ نَفْسِهِ مِنْ عَدَسَةِ الْحَيَاةِ بِوَصْفِهَا الْمَنْظُورِ وَالنَّازِلِ وَمِغْيَارِهَا، مَا دَامَتْ تَقْوِيمًا وَمُقَوِّمًا وَمَقْوَمًا سَوَاءً بِسَوَاءٍ¹³¹⁹.

يَجْرُنَا هَذَا التَّخْرِيجُ الْفَنِّيُّ لِلْعِلْمِ إِلَى مُعَالَجَةِ مَسَائِلِهِ وَإِشْكَالَاتِهِ بِالْفَنِّ بِمَا أَنَّهُ أَقْدَرُ عَلَى الْفَقَازِ إِلَى الْعَالَمِ وَأَمْكَنُ عَلَى حَدْسِ الْوَحْدَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْكَائِنَاتِ فِي الْعَالَمِ، وَهَذَا الْإِصْرَارُ عَلَى عَالَمِ الْخَبْرَةِ وَالْحَيَاةِ يُشَبِّهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَا بَسَطَهُ هُوسِرْلُ فِي أَرْزَمَةِ الْعُلُومِ الْأُورُوبِيَّةِ لَمَّا افْتَرَحَ أَنْ تُرَدَّ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الْبَشَرِيَّةُ قَاطِبَةً إِلَى عَالَمِ الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَحَلُّهَا الْأَصْلِيُّ¹³²⁰، وَفِيهَا تَلْفِي غَايَتِهَا وَمِنْهَا تَسْتَوْجِي مَغْزَاهَا.

¹³¹⁶GM, Trad. Éric Blondel et d'autres, III, § 23 : « ... toute notre science moderne en serait le témoignage — cette science moderne qui, à titre de véritable philosophie du réel, ne croit manifestement qu'en elle-même, a manifestement foi en elle-même, et le courage de s'assumer, ayant bien réussi jusqu'à présent sans Dieu, sans au-delà et sans vertus négatives. Mais tout ce vacarme et cette agitation de bavards reste sans effet sur moi : les trompettes de la réalité sont de mauvais musiciens, leurs voix, cela s'entend, ne sortent pas des profondeurs, elles ne disent rien du tréfonds de la conscience scientifique... C'est tout le contraire de ce que l'on affirme là qui est vrai : la science aujourd'hui n'a absolument aucune foi en elle-même, et moins encore un idéal au-dessus d'elle, — et là où elle est encore passion, amour, ardeur, souffrance, elle n'est pas l'opposé de cet idéal ascétique, mais elle en est bien plutôt la forme la plus récente et la plus aristocratique... Que ne cache pas aujourd'hui la science ! Que n'est elle pas du moins censée cacher ! ».

¹³¹⁷Ibid, § 25.

¹³¹⁸OT (NT), Trad. de J. Marnold et J. Morland, 1906, « Essai d'autocritique, § 2 : « ... et nullement enclins à se détourner de cette même tâche à laquelle ce livre téméraire osa le premier se mesurer, à savoir — de considérer la science sous l'optique de l'artiste et l'art sous l'optique de la vie... ».

"... ليس مستعدًا (كتاب ميلاد التراجيديا) أن يحيد عن هذه المهمة نفسها التي كان هذا الكتاب الشجاع أول من تجرأ على مقارعتها ، أعني مهمة النظر إلى العلم من زاوية نظر الفنان ، وإلى الفن من زاوية نظر الحياة".

Voir Monique Dixsaut, Nietzsche : par-delà les antinomies, p. 322. Angèle Kremer-Marietti, Nietzsche ou les enjeux de la fiction, Harmattan, 2009, p. 35.

¹³¹⁹CI, Trad. Henri Albert, La morale en tant que manifestation contre nature, § 5 : « Si nous parlons de la valeur, nous parlons sous l'inspiration, sous l'optique de la vie : la vie elle-même nous force à déterminer des valeurs, la vie elle-même évolue par notre entremise lorsque nous déterminons des valeurs... ».

¹³²⁰Angèle Kremer-Marietti, Nietzsche ou les enjeux de la fiction, pp. 34-35.

وَمَا هَذَا كُلُّهُ إِلَّا مِنْ تَسَايُرِ حُدُوسٍ نِيَتَشِهِ وَآرَائِهِ إِلَى إِزَاحَةِ الْمَفْهُومِ النَّظَرِيِّ لِلْعَالَمِ جَانِبًا وَإِقَامَةِ تَصَوُّرٍ فَنِيِّ تَرَاجِيدِيٍّ مَقَامَهُ¹³²¹، فِي ضَرْبٍ مِنْ اسْتِثْنَائِ الرُّوْيَةِ الْإِغْرِيقِيَّةِ لِلْعَالَمِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ سَقْرَاطُ الَّذِي نَسَخَهَا بِتَوْسُلِ جَدْلِهِ الْعَقْلِيِّ، يُفْصِحُ نِيَتَشَهُ عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: "إِذَا صُرِفَتِ التَّرَاجِيدِيَا الْقَدِيمَةُ عَنْ طَرِيقِهَا بِمَنْلٍ جَدْلِيٍّ وَجَهَ نَحْوِ الْمَعْرِفَةِ وَنَزَعَةِ الْعِلْمِ الْمُتَفَائِلَةِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَطْلُوبِ أَنْ نَسْتَتِجَ مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ صِرَاعًا أَبَدِيًّا بَيْنَ الْمَفْهُومِ النَّظَرِيِّ وَالْمَفْهُومِ التَرَاجِيدِيِّ لِلْعَالَمِ"¹³²². وَفِي هَذِهِ الصَّرْفَةِ بَدَايَةُ الْانْحِدَارِ وَانْفِصَالِ عَنِ الْمَسْلُوكِ الْإِثْبَاتِيِّ لِلْحَيَاةِ بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ مَنَاحٍ مُرْعِبَةٍ وَمُؤْذِيَةٍ، وَلَا بَرَّاحَ مِنْ أَنْ يَعُدَّ نِيَتَشَهُ عَدَمَ التَّخَلُّفِ عَنِ الرُّوْيَةِ التَرَاجِيدِيَّةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الشَّعْبِ الْإِغْرِيقِيِّ وَقُوَّتِهِ فِي الْفَتْرَةِ مَا قَبْلَ السَّقْرَاطِيَّةِ، وَلَا انْفِكَالَهُ أَيْضًا عَنْ عَدِّ الرُّوحِ الْعِلْمِيِّ فِي الْعَصْرِ السَّقْرَاطِيِّ دَلِيلًا عَلَى تَقَهُّقِرِ قُوَّةِ هَذَا الشَّعْبِ وَصِحَّتِهِ¹³²³.

وَفِي كَنَفِ سِيَادَةِ التَّفْسِيرِ الْعِلْمَاوِيِّ لَا يَحِقُّ أَنْ نَأْمَلَ فِي انْبِعَاطِ التَرَاجِيدِيَا إِلَّا حِينَ يُدْرِكُ الْعِلْمُ نَعْدَرُ مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ مَعْرِفَةً كَلِيَّةً وَتَامَةً، وَمَقَادُ ذَلِكَ أَنْ عَوْدَةَ التَرَاجِيدِيَا، كَأَسْلُوبٍ نَظَرٍ تَوْكِيدِيٍّ، مَنُوطَةٌ بِاعْتِرَافٍ دَاخِلِيٍّ لِلْعِلْمِ بِالْحُدُودِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ لَهُ الذَّهَابُ أَبْعَدَ مِنْهَا¹³²⁴، أَيْ بِالتَّخَلُّصِ مِنْ ذَلِكَ الْوَهْمِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي يَزْعُمُ بَأَنَّ الْفِكْرَ لَيْسَ بِقَادِرٍ فَقَطْ عَلَى مَعْرِفَةِ الْكَيْنُونَةِ بَلْ عَلَى تَصْحِيحِهَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْوَهْمَ الْمَيْتَافِيزِيْقِيَّ فِي الْإِيْمَانِ بِإِمْكَانِ سَبْرِ أَغْوَارِ الْكَوْنِ الَّذِي عَدَا لِلْعِلْمِ غَرِيزَةٌ هُوَ الَّذِي يَقُودُ الْعِلْمَ لِيَتَحَوَّلَ فِي الْمُنْتَهَى، حِينَ وَصُولِهِ إِلَى حُدُودِهِ، إِلَى فَنٍّ¹³²⁵.

وَتَغْلِيلُ ذَلِكَ بِالْمَسَارِ التَّارِيخِيِّ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي يَضْطَرُّهُ إِلَى اسْتِثْنَادِ كُلِّ قَوَاهُ، فَيَخِرُ مُسْتَسْلِمًا بَعْدَمَا تُعْجِزُهُ تِلْكَمُ الْحُدُودُ، مَا يُفْضِي إِلَى ظُهُورِ شَكْلِ جَدِيدٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ يَتِمَّتُّلُ فِي الْمَعْرِفَةِ التَرَاجِيدِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ بِدَوْرِهَا إِلَى الْفَنِّ كَيْ يَتِمَكَّنَ النَّاسُ مِنْ تَحْمِيلِهَا¹³²⁶. وَمَا تَعْوِيلُ نِيَتَشَهُ عَلَى الْفَنِّ كَمَخْرَجِ أُسْلُوبِيٍّ

¹³²¹ Georges Morel, Nietzsche : Genèse d'une œuvre, Aubier-Montaigne, 1970, p. 83.

¹³²² OT (NT), Trad. de J. Marnold et J. Morland, § 17 : « Si l'ancienne tragédie était détournée de sa voie par une tendance dialectique orientée vers le savoir et l'optimisme de la science, il faudrait conclure de ce fait à une lutte éternelle entre la conception théorique et la conception tragique du monde... ».

¹³²³ Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes, p. 77.

¹³²⁴ OT (NT), Trad. de J. Marnold et J. Morland, § 17 : « ... et seulement après que l'esprit scientifique, arrivé jusqu'aux limites qu'il lui est impossible de franchir, eût dû reconnaître, par la constatation de ces limites, le néant de sa prétention à une aptitude universelle, il serait permis d'espérer une renaissance de la tragédie ». Voir Jean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p. 82.

¹³²⁵ Ibid, § 15 : « Cette inébranlable conviction que la pensée, par le fil d'Ariane de la causalité, puisse pénétrer jusqu'aux plus profonds abîmes de l'Être, et ait le pouvoir non seulement de connaître, mais aussi de réformer l'existence. Cette noble illusion métaphysique est l'instinct propre de la science, qui la conduit et la ramène sans relâche à ses limites naturelles, où il lui faut alors se transformer en art, — but réel vers lequel tend cet instinct ».

¹³²⁶ Ibid, § 15 : « Et la science, éperonnée par sa puissante illusion, s'élance alors irrésistiblement jusqu'à ses limites, où vient échouer et se briser son optimisme latent inhérent à la nature de la logique... Lorsque, plein d'épouvante, il voit, à cette limite extrême, la logique s'enrouler sur soi-même comme un serpent et se mordre

ووجودي إلا من اعتقاده في تعذر أي حل أرضي ممكن للتناظر التراجيدي الجوهراني الذي يقوم الوجود البشري ما خلا الفن التراجيدي الذي يمكنه أن يهب عزاء ميتافيزيقياً.

ولئن آمن الإنسان النظري بقدرة المعرفة على تصحيح العالم وبهداية العلم إلى بر الأمان، على الرغم من إفضاء الروح العلمي إلى دروب موصدة غذا فيها الإنسان مسجوناً ومثقل الكاهل وأصبح فيها العلم عاجزاً عن إرادة الحياة في قورتها وتعدّد أقيمتها، فإن الفن الديونيزوسي يرمي إلى إقناعنا بالمتع المتعددة واللاهائية للوجود، وتغليبنا الإقرار بأن كل ما يولد ينبغي له الاستعداد للهلاك بالألم، واضطرابنا إلى التحدي في فضائع الوجود الفردي واستيعابها بلا يأس؛ إذ سرعان ما ينتزعنا عزاء ميتافيزيقي من درودور الأشكال المتغيرة للوجود وفي طيات ذلك نتماهى مع الواقع الأولي لختبر في نفوسنا رغبته التي لا تشبع في الوجود والنداذة به إلى حد يكون فيه الصراع والعذاب والظواهر المتلاشية أموراً ضرورية¹³²⁷.

ليس بدعاً بمقتضى الاحتفاء النيتشوي بالرؤية الفنية إلى العالم أن يهب فيلسوف الاقتدار للفن، باغترابه قوة تزييفية¹³²⁸، أولوية على العلم¹³²⁹. من نافلة القول في فلسفة نيتشه أن التسويغ الفني لا يتوقف عند العلم فقط وإنما يمضي أبعد من ذلك ليشمل مجالات أخرى، منها مجال الأخلاق، ما يسمح بابتداع إتيقا قائمة على الاعتراف بكل وجوه الكينونة ولو تقوّمت بالألم والصراع، وهذا ما يوجي إليه قول الباحث مارتين بيلاند Martine Béland الذي ذهب إلى أن الأنطولوجيا التراجيدية تطلعنا عن بُعد إتيقي يضي المشرعية على ما هو تراجيدي ويثمن المقولات الأخلاقية القائمة على الاعتراف بوجوه الكينونة من قبيل مقولات الصراع والقتال وبهجة الغلبة¹³³⁰.

la queue, — alors surgit devant lui la forme nouvelle de la connaissance, la connaissance tragique, dont il lui est impossible de supporter seulement l'aspect, sans la protection et le secours de l'art ».

¹³²⁷NT, Trad. Cornélius Heim, Edition Gontier, 1964. § 17. Voir Trad. Henri Albert : « L'art dionysien lui aussi veut nous convaincre de l'éternelle joie qui est attachée à l'existence ; seulement, nous ne devons pas chercher cette joie dans les apparences, mais derrière les apparences. Nous devons reconnaître que tout ce qui naît doit être prêt pour un douloureux déclin, nous sommes forcés de plonger notre regard dans l'horrible de l'existence individuelle — et cependant la terreur ne doit pas nous glacer : une consolation métaphysique nous arrache momentanément à l'engrenage des migrations éphémères. Nous sommes véritablement, pour de courts instants, l'essence primordiale elle-même, et nous en ressentons l'appétence et la joie effrénées à l'existence ; la lutte, la torture, l'anéantissement des apparences, nous apparaissent désormais comme nécessaires ».

¹³²⁸Mathieu Kessler, Nietzsche ou le dépassement esthétique de la métaphysique, PUF, 1999, p. 96.

¹³²⁹Isabelle Wienand, Significations de la Mort de Dieu chez Nietzsche d'HTH, à Ains parlait Zarathoustra, Edition Peter Lang, 2006, p. 66. Voir Marc Crépon, Nietzsche : l'art et la politique de l'avenir, PUF, 2003, p. 69.

¹³³⁰Martine Béland, Kulturkritik et philosophie thérapeutique chez le jeune Nietzsche, p. 111 : « L'« ontologie » tragique décrite par Nietzsche informe enfin un plan éthique orienté vers la légitimation du tragique et la

يَقْتَرَحُ نِيَتَشَهُ فِي سِيَاقِ مَنْزَعِهِ الْفَنِيِّ وَثَاقًا طَبْعِيًّا حَيْثُ الطَّبِيعَةُ وَالْفَنُّ وَالتَّرَاجِيدِيَا يَرْتَبِطُونَ بِصُورَةٍ حَمِيمِيَّةٍ وَفِي كَتَفِ ذَلِكَ يَقْلُدُ الْإِنْسَانُ بِالْفَنِّ التَّرَاجِيدِيَّ الدِّيْنَامِيكِيَّةَ الْخَلَاقَةَ وَالْهَدَامَةَ لِلطَّبِيعَةِ الَّتِي تَنَأَى بِأَكْبَرِ قَدْرِ مُمَكِّنٍ عَنِ الْاسْتِغْلَابِ الْإِنْسَانِيِّ¹³³¹، بَدَلَ التَّوَجُّهِ النَّظَرِيِّ أَوِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي لَا يَزِيدُ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَّا اسْتِغْلَابًا وَمِنْ هُنَا ضَرُورَةُ النَّظَرِ إِلَى الْعِلْمِ بِنَظَرَةٍ مُرْتَابَةٍ وَاسْتِشْكَالِيَّةٍ¹³³². وَبِمَعْيَةِ الْبِرَادِيغَمِ الْفَنِيِّ لَنْ يَكُونَ الْخِدَاعُ فِعْلًا يَقْتَرِفُهُ الْإِنْسَانُ دُونَ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ ثَمَّ لَنْ يَكُونَ خَاصِيَّةً لِلْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ فَقَطْ (كَمَا يَتَوَهَّمُ بِرَادِيغَمُ النَّظَرِ)، وَإِنَّمَا يُعَدُّ شَيْئًا مُحَايَاً لِلطَّبِيعَةِ ذَاتِهَا¹³³³ عَلَى نَحْوِ يَحْضُ الْعَاقِلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، عَلَى غِرَارِ ذَاتِهَا، عَلَى التَّرْيِيفِ؛ أَسْمَيْنَا ذَلِكَ خِدَاعًا أَمْ كَذِبًا أَمْ إِنِهَاً.

تَلْخِيصًا ثُمَّ تَفْصِيلًا لِمَا ذَكَرْنَا، يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْعِلْمَ فِي نَظَرِ نِيَتَشَهُ لَيْسَ مُبْدِعٌ قِيَمٍ فِي ذَاتِهِ، لِهَذَا السَّبَبِ هُوَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى قِيَمَةٍ عُليا وَقُوَّةٍ خَلَاقَةٍ لِلْقِيَمِ بِمُكْتَنِيَّتِهَا أَنْ تَخْدُمَهُ وَتَمْنَحَهُ الْإِيمَانَ بِنَفْسِهِ. وَاتَّضَحَ كَذَلِكَ فِي غَرَضِ كَلَامِنَا السَّالِفِ أَنَّ عِلَاقَةَ الْعِلْمِ بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ لَيْسَتْ عِلَاقَةً ضِدِّيَّةً أَوْ عِدَائِيَّةً مَا دَامَ الْعِلْمُ يُجَسِّدُ الْقُوَّةَ الْبَاطِنِيَّةَ لِتَطَوُّرِهِ، بَلْ بِهِ عَدَا أَوْقَى وَأَعْقَدُ، وَالْعِلْمُ بِهِذَا الْمَعْنَى لَا يُصَارِعُ إِلَّا تَجَلِّيَّاتٍ وَأَقْنَعَةً هَذَا الْمَثَلِ الزُّهْدِيِّ مِنْ قَبْلِ مَنَازِعِهِ الدُّوْغَمَائِيَّةِ، بَيْنَمَا هُوَ (الْعِلْمُ) فِي صَمِيمِهِ يُوَاصِلُ نَفْيَ الْمَظَاهِرِ وَالصَّائِرِ وَالْمَحْسُوسِ وَفِي ذَلِكَ النَّفْيِ يُعَزِّزُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ وَيُحَرِّرُهُ، وَطَبَقًا لِذَلِكَ يَقِفُ الْعِلْمُ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ ذَاتِهَا، أَيْ أَرْضِيَّةِ التَّقْدِيرِ الْمُفْرِطِ لِلْحَقِيقَةِ بِوصْفِهَا تَجْرِيدًا وَنَظَرًا وَحِيَادًا وَرُسُوخًا وَمَوْضُوعِيَّةً، بِاعْتِبَارِهَا مَا فَوْقَ النَّظَرِ وَالتَّشْكِيكِ وَالتَّقْدِيرِ.

لَقَدْ انْتَهَى الْحَفَرُ الْجِنْيَالُوجِيُّ إِلَى تَقْرِيرِ تَعَدُّرِ وَضْعِ الْعِلْمِ مَوْضِعَ شَكٍّ وَنَقْدٍ مَا لَمْ يُنْتَقَدِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ أَيْضًا وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، لَكِنْ حَتَّى مَعَ انْتِصَارِ عِلْمٍ مَا عَلَى شَكْلِهِ الْكَهْنُوتِيِّ مِثْلَ انْتِصَارِ عِلْمِ الْفَلَكِ الْحَدِيثِ عَلَى عِلْمِ الْفَلَكِ الْكَهْنُوتِيِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي هَزِيمَةَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ وَالذَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَغْدُ أَقْلَ حَاجَةً إِلَى حَلِّ أُخْرَوِيِّ مِيتَافِيزِيْقِيِّ لِلْعُزْرِ الْوُجُودِ بَلْ مَا شَهِدْنَاهُ (لَحْظَةً كُوبَرْنِيكُوسَ وَدَارُوِيْنَ الْإِنْقِلَابِيَّةِ) هُوَ تَنَامِي احْتِقَارِ نَسَقِ الْأَشْيَاءِ الْمَرْتَبِيَّةِ، أَيْ تَزَايُدِ اِزْدِرَاءِ الْوُجُودِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ وَتَعَاظُمِ فَقْدَانِ الثِّقَةِ وَالْوُجْهِةِ حَتَّى أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ فَاقِدًا إِيْمَانَهُ بِفِرَادَتِهِ وَقِيَمَتِهِ الْفَدَّةِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ الَّتِي لَا نَلْفِي لَهَا نَظِيرًا فِي سُلَمِ الْكَائِنَاتِ.

valorisation des catégories morales qui reposent sur la reconnaissance des visages de l'être —par exemple, les catégories de l'envie (eris), du combat (agôn) et de la joie de vaincre ».

اللفظة اليونانية eris التي تكتب هكذا ἔρις تعني قتال Combat، أو مجادلة و مساجلة ومنافسة querelle، débat، contentieux، rivalité، لكن الباحث أداها هنا بمفردة envie التي تعني الشهوة أو الغيرة أو الحسد.

¹³³¹Lawrence J. Hatab, Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, p. 117 : « Nietzsche seems to shape his naturalism in part by way of an intimate connection among nature, art, and tragedy, with the latter presenting an art world that best "imitates" the surging creative/destructive dynamic of nature ».

¹³³²NT, Trad. Henri Albert, Autocritique, § 2.

¹³³³Lawrence J. Hatab, Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, p. 120 : « The "deceptive" character of thought, therefore, is intrinsic to nature; it is evident in any form of life ».

وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَقْهَرُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْحَيَوَانِ حَقًّا دُونَ اسْتِعَارَةٍ أَوْ تَقْيِيدٍ أَوْ تَحَقُّظٍ بَعْدَمَا أُوشِكَ فِي اللَّحْظَاتِ الْكَهْمُوتِيَّةِ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، ابْنًا لَهُ، إِلَهًا مُؤَسَّسًا، رُوحٌ قُدُسٍ وَكَلِمَةُ اللَّهِ وَصُورَةٌ لَهُ *Dieu fait homme*، هَكَذَا زَاغَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْمَرْكَزِ بَعْدَ كُوبَرْنِيكُوسَ، مَتَهَاوِيًا فِي الْعَدَمِ وَالشُّغُورِ الْمَمَزَّقِ بِ "لَا شَيْئِيَّةٍ" الَّذِي جَرَى فِي كِيَانِهِ مَجْرَى الْاِعْتِقَادِ وَمِنْ هُنَا حُطُورَةُ الْعِلْمِ، أَكَانَ عِلْمًا طَبِيعِيًّا أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ، الَّذِي يُفْرَغُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ الْاِحْتِرَامِ الَّذِي يَكُنُّهُ لِنَفْسِهِ¹³³⁴.

لَقَدْ اجْتَمَعَتْ عِنْدَ نَيْتَشْه أَسْبَابُ الْإِبَانَةِ عَنِ الْعَلَائِقِ الْخَافِيَةِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَثَلِ الزُّهْدِيِّ حَتَّى أَمَلْتُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْرَبَ مِنْ مَنْظُورِ نَفْسَانِي عَنِ الْمَزِيدِ مِنَ الْأَرْضِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا، مِنْهَا تَلَكُمُ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ قَفَرٍ فِي الطَّاقَةِ الْحَيَوِيَّةِ وَفُتُورٍ فِي الْأَهْوَاءِ وَبُرُودٍ فِي الْمَشَاعِرِ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ تَبَاطُؤُ الْإِنْفَاقِ الْحَيَاةِ وَقِيَامَ الْجَدَلِ مَقَامَ الْغَرِيزَةِ وَغَشْيَانِ هَيْمَنَةِ رُوحِ الْجِدِيَّةِ عَلَى الْمَلَامِحِ وَالْأَفْعَالِ¹³³⁵.

مَتَالِبُ الْعِلْمِ هَذِي سَاقَتْ نَيْتَشْه إِلَى الْقَوْلِ إِنَّهُ حَيْثُمَا يَكُنُ الْعُلَمَاءُ عَلَى رَأْسِ الشُّعُوبِ، تَكُنْ تَلَكُمُ الْعُصُورُ مُنْهَكَةً وَمُنْحَطَةً وَالثِّقَةُ فِي الْحَيَاةِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مُعْدِمَةً، وَمَا كَانَ لِهَذَا الْعَدَاءِ لِلْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَمُضِيَ أَبْعَدَ مُصْرَحًا بِمَا هُوَ أخطرُ حَيْثُ يَقُولُ إِنَّ غَلْبَةَ طَبَقَةِ الْمُتَقَفِّينَ وَالْعُلَمَاءِ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا حَسَنًا شَأْنًا صُعُودِ الْقِيَمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَمَحَاكِمِ الْقَضَاءِ الْمُسَالِمَةِ الَّتِي حَلَّتْ مَحَلَّ الْحَرْبِ وَتَحَرَّرِ الْمَرَأَةِ وَحُقُوقِهَا الْمُسَاوِيَةِ لِحُقُوقِ الرَّجُلِ وَدِيَانَةِ الْمُعَانَاةِ وَالشَّفَقَةِ وَكُلِّ الْأَعْرَاضِ الدَّالَةِ عَلَى طَاقَةِ حَيَاةٍ آخِذَةٍ فِي التَّقَهُّرِ¹³³⁶.

لَقَدْ جَرَتْ رَيْبِيَّةٌ نَيْتَشْه إِلَى عَدِّ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْمُقَدَّسَةِ فِي الْوَعْيِ الْأُورُوبِيِّ مَثَلًا عَلِيًّا كَهْمُوتِيَّةً نَزَاعَةً إِلَى الزُّهْدِ مِنَ الْحَيَاةِ وَمُمَسِكَةً عَنِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَمَا كَانَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَهْتِكَ حُجُبَهَا الْخَافِيَةَ وَيَنْتَرِعَ أَقْنَعَتَهَا الْمُدَاهِنَةَ، وَلَقَدْ أَفْرَدَ لِقِنَاعِ الْحَقِيقَةِ الْمَزِيدِ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّقْدِ وَخَلَصَ إِلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَإِرَادَةَ الْحَقِيقَةِ نَتِيجَةٌ وَتَمَطُّهُرٌ أَخِيرٌ لِلْقِيَمِ الزُّهْدِيَّةِ، إِذِ التَّمَرُّكُزُ حَوْلَ الْحَقِيقَةِ يُحِيلُ إِلَى عَالَمِ الْحَقِّ مِنْ وَجْهِ، بِمَا هُوَ عَالَمٌ مُغَايِرٌ لِلْعَالَمِ الظَّاهِرِ الْمَاكِرِ وَالْمُخَادِعِ الَّذِي لَا يَقْدِمُ لَنَا عُمُقَ الْأَشْيَاءِ وَحَقِيقَتَهَا، وَيُشِيرُ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ إِلَى إِنْسَانٍ صَادِقٍ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ أَيُّهَا وَلَى عَقْلُهُ وَلَوْ كَانَ هَذَا الصِّدْقُ فِيمَا وَرَاءَ الْحَيَاةِ وَالطَّبِيعَةِ

¹³³⁴GM, Trad. Henri Albert, III, § 25.

¹³³⁵Ibid.

¹³³⁶Ibid, § 25 : « Voyez, dans l'évolution d'un peuple, les époques où le savant passe au premier plan : ce sont des époques de fatigue, souvent de crépuscule, de déclin, — c'en est fait de l'énergie débordante, de la certitude de vie, de la certitude d'avenir. La suprématie du mandarin ne signifie jamais rien de bon : tout aussi peu que l'avènement de la démocratie, que les tribunaux d'arbitrage remplaçant la guerre, que l'émancipation des femmes, la religion de la souffrance humaine et autres symptômes d'une énergie vitale qui décline ». Voir Éric Blondel et d'autres : « Que l'on considère les époques d'un peuple durant lesquelles le savant occupe le devant de la scène : ce sont des époques de fatigue, souvent de crépuscule, de déclin, — la force débordante, l'assurance de la vie, la certitude de l'avenir ont disparu. La prééminence du mandarin n'est jamais de bon augure : pas plus que l'avènement de la démocratie, celui des arbitrages pacifiques au lieu des guerres, celui de l'égalité de la femme, de la religion de la pitié et de toute espèce de symptômes de la vie qui va par le fond ».

والتاريخ¹³³⁷ ، ويُعربُ مِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ عَنِ تَجَرُّدٍ مِنَ الدَّائِيَّةِ ، بِكُلِّ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَغَرَائِزَ ، كَيْمَا تُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِمَوْضُوعِيَّةٍ.

هَاتِهِ الْأَوْجُهُ الثَّلَاثَةُ تَكْشِفُ عَنْ إِرَادَةِ لَا تَتَحَرَّكُ صَوْبَ الْعَالَمِ وَتَتَنَكَّبُ عَمَّا يُؤَلِّفُهُ مِنْ مُبُولٍ وَمَنَازِعٍ وَغَرَائِزَ وَمِنْ ثَمَّ تَعْرِفُ عَنْ تَوْكِيدِ مَظَاهِرِهِ الْمَحْسُوسَةِ قَاطِبَةً وَالْمُتَحَلِّلَةِ الزَّائِفَةِ وَالْمَوْهُومَةِ طَرًّا وَفَوْقَ ذَلِكَ تَقْفِرُ نَحْوَ مُعَارَضَتِهِ بِمَقُولَاتِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ ، مَا يَخْلُقُ شَرْخًا بَيْنَ النَّظَرِ وَالْحَيَاةِ لَيْسَ فِي مَاهِيَّتِهِ إِلَّا شَرْخًا أَخْلَاقِيًّا¹³³⁸ فِي صُورَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ ، لِهَٰذِي الدَّوَاعِي جَمِيعًا عَدَّ نِيَّتُهُ إِرَادَةَ الْحَقِيقَةِ وَتَلَا فِي التَّضَلُّيلِ وَالتَّزْيِيفِ عَرَضًا يُضْمَرُ إِرَادَةً تَوَدُّ عَالَمًا حَيًّا ، وَمِنْ هُنَا فَمَاهِيَّةُ هَٰذَا النُّزُوعِ الْمَعْرِفِيِّ ذُو الشَّكْلِ السُّقْرَاطِيَّةِ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ سِوَى نُّزُوعٍ عَمَلِيٍّ لِلْخَيْرِ ، وَهَٰذَا بِدَوْرِهِ يُخْفِي عَرِيزَةً مَا تَوَدُّ أَنْ تَتَوَسَّلَ الْمَعْرِفَةُ فِي سَبِيلِ فَرْضِ سِيَادَتِهَا عَلَى بَاقِي الْغَرَائِزِ¹³³⁹ ، عَلَى الْعَالَمِ.

لَقَدْ قَامَتِ تَحْلِيلَاتُ الْحَيْنِيَالُوجِيَا ، فِي مَسْعَاهَا لِإِنْصَاحِ أَحَدِ مَبَانِي الْمُنْظُومَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُهَيْمِنَةِ ، عَلَى الْإِسْفَارِ عَنْ إِرَادَةِ الْعَدَمِ - بِاِغْتِبَارِهَا قِوَامَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ - الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي صُورَةِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تُرْفَعُ بِوَصْفِهَا مَثَلًا أَعْلَى فَوْقَ الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ وَلَيْسَتْ مَاهِيَّةُ هَٰذَا الرُّفْعِ فِي مَضْمُونِهِ الْبُنْيَوِيِّ إِلَّا رَفْعًا مَعْرِفِيًّا لَكِنْ فِي أَقْفَى ثِيَوِ - أَخْلَاقِيٍّ حَيْثُ تَقُومُ الْحَقِيقَةُ مَقَامَ اللَّهِ وَتَصِيرُ أَنْيْدُ إِلَهًا لَا يَقْبَلُ النَّدَى وَلَا الْمُسَاءَلَةَ وَتُنْصَبُ حُجَّةً عَلَى الْوُجُودِ وَحَكْمًا عَلَيْهِ تَدِينُ وَتَسْتَبْعِدُ كُلَّ مَا لَا يَتَطَابَقُ مَعَ آيَاتِ اشْتِعَالِهَا وَصِيَائِغَاتِهَا الْمَفْهُومِيَّةِ.

أَفْضَتْ فَلَسَفَةُ نِيَّتُهُ إِلَى زَعْمِ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَقِيقَةِ سَجْنٌ يَكْبَحُ الْعَقْلَ وَالْحُرِّيَّةَ وَيَنْبَغِي تَحْرِيرُهُمَا مِنْ طَرِيقِ الْعَيْشِ وَفَقَ مَفْهُومَ بُطْلَانِ الْحَقِيقَةِ وَإِبَاحِيَّةِ الْأَشْيَاءِ قَاطِبَةً¹³⁴⁰ ، دَاعِيًا إِلَى تَجْرِيدِ الْحَقِيقَةِ مِنْ تِلْكَمُ النُّظَرَةِ الَّتِي تَجْعَلُ لَهَا قِيَمَةً كَامِنَةً مِنْ ذَاتِيَّتِهَا الصَّرْفَةِ ، وَمُدَّعِيًا أَنَّ الْعُلُومَ مَحْرُوقَةٌ بِالْإِفْتِرَاضَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تُعْطِي لَهَا مَعْنًى وَوَجْهَةً وَمِنْهَا جَا. وَلَيْسَ لِلْمَعَارِفِ سَبِيلٌ إِلَى الشِّفَاءِ مِنْ مَرَضِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ غَيْرَ سَبِيلِ التَّحَوُّلِ إِلَى مَحْضٍ تَأْوِيلٍ مِنْ مَقْوَمَاتِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْعَالَمِ وَيَتَعَامَلَ مَعَهَا تَبَعًا لِإِجْرَاءَاتِ نَظَرِيَّةٍ غَنِيْفَةٍ مِنْ قَبِيلِ تَرْتِيبِ مُتَحَيِّزٍ وَإِنْجَازِ مَقْصُودٍ وَحَذْفِ مُتَعَمِّدٍ وَحَشْوٍ وَتَضَخِيمٍ وَتَزْيِيفٍ ؛ وَهِيَ إِجْرَاءَاتٌ تَقُودُهَا إِرَادَةُ الْإِقْتِدَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالذَاتِ الْمُؤَوَّلَةِ الَّتِي تَخْلَعُ عَلَى الْعَالَمِ الْكَثِيرِ مِنْ طَبَائِعِهَا ،

¹³³⁷ GS, Trad. Henri Albert, § 344.

¹³³⁸ Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, p. 109.

¹³³⁹ PBM, Trad. Henri Albert, § 6.

¹³⁴⁰ GM, Trad. Henri Albert, III, § 24 : « ... « Rien n'est vrai, tout est permis »... C'était là de la vraie *liberté* d'esprit... ». Voir GS, Trad. Henri Albert, § 304 : « Au fond je n'aime pas toutes ces morales qui disent : « Ne fais pas telle chose! Renonce! Surmonte-toi! » - J'aime par contre toutes ces autres morales qui me poussent à faire quelque chose, à le faire encore, et à en rêver du matin au soir et du soir au matin, à ne pas penser à autre chose qu'à : bien faire cela, aussi bien que moi seul je suis capable de le faire !... je n'aime pas toutes les vertus négatives, les vertus dont la négation et le renoncement sont l'essence ».

هذا ما يكشفُ امتعاضَ نِيَّتِهِ مِنْ كُلِّ الزَّوَاجِرِ الَّتِي تُحَدُّ الْإِقْتِدَارُ مِنَ الشُّرُوعِ فِي اسْتَظْهَارِ أَوْسَاعِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ تَحْتَ شِعَارِ تَجَاوُزِ الذَّاتِ !.

وَأَمَّا التَّجَرُّدُ مِنْ هَذِي الْإِجْرَاءَاتِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ فَهُوَ وَفْقَ مَا تَطَلَّعْتُ بِهِ الْحَيْنِيَّالُوجِيَا زُهْدٌ أَخْلَاقِيٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِي جُحْدَانِهِ عَنِ الزُّهْدِ عَنِ الشَّهْوَانِيَّةِ بَلْ هُوَ حَالَةٌ خَاصَّةٌ مِنْهُ¹³⁴¹. عَلَى هَذَا النِّحْوِ يَسْتَعْيِضُ نِيَتُّهُ عَنْ حَقَائِقَ مُطْلَقَةٍ مُجَرَّدَةٍ مِنَ الذَّاتِيَّةِ وَالْمَصْلَحَةِ، بِمَنْطُورِيَّةٍ دِيْنَامِيكِيَّةٍ¹³⁴² يَكُونُ فِيهَا لِلْأَهْوَاءِ وَالْعَرَائِزِ أَدْوَارٌ ثَرِيَّةٌ وَتَضَطَّلِعُ بِأكْبَرِ قَدَرٍ مِنْ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ وَطَبَائِعِ الْحَيَاةِ.

3- الفَنُّ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ

قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي بَيَانِ النِّحْوِ الَّذِي يَتَجَلَّى فِيهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ فِي الْحَقْلِ الْفَنِيِّ يَنْبَغِي إِبْدَاءُ مَقْوَمَيْنِ يُعَبِّرَانِ عَنْ مَائِيَّةِ هَذَا الْمَثَلِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مَجْلَاهُ الْفَنِيِّ: أَوَّلًا- يَقُومُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الزُّهْدِيُّ عَلَى ارْتِعَابِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّفْسَانِيَّ وَالْحَبْلِيَّ مِنَ الْفَرَاغِ، مَا يَحْدُو إِرَادَتَهَا عَلَى إِرَادَةِ الْعَدَمِ وَتَفْضِيلِهِ عَلَى الْفَرَاغِ بِمَا هُوَ "لَا إِرَادَةَ"¹³⁴³. ثَانِيًا- تَنْبَنِي الْقِيَمُ الْعُلْيَا بِوصْفِهَا مَثَلًا زُهْدِيَّةً عَلَى مَائِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تَتَجَسَّدُ فِي الْإِنْصِرَافِ عَنِ الْحَيَاةِ فِي بُعْدِهَا الْحِسِّيِّ، الطَّبْعِيِّ، الشَّهْوِيِّ، وَفِي نَصُورَاتٍ وَمُمَارَسَاتٍ مَطْلُبُهَا إِنْكَارُ الذَّاتِ، وَغَايَتُهَا التَّعَالِي عَنْهَا وَالتَّرَفُّعُ عَنِ الْحَيَاةِ وَالتَّوَقُّؤُ إِلَى عَالَمٍ مَعْقُولٍ (كَالْأَشْيَاءِ فِي ذَاتِهَا أَوْ الْجَوَاهِرِ الْمُفَارِقَةِ أَوْ الْمُحَايَةِ) أَوْ مَوْهُومٍ (كَالْآخِرَةِ)، لِهَذَا جَمِيعِهِ قَدْ نَرَاهَا، كَمَا فِي سِيَاقِ الْفَنِّ أَوْ فِي غَيْرِهِ، فِي صُورَةِ الْعِفَّةِ بِمَا هِيَ حَظٌّ مِنْ شَأَوِ الشَّهْوَةِ¹³⁴⁴ كَمَا نَلْفِيهَا فِي صُورَةِ مَثَلٍ عُليا تَتَخَفَّى فِيهَا إِرَادَةُ يَأْسَةٍ وَبَأْسَةٍ تَوَدُّ النَّفْيَ وَتَقْيِضُ حَقْدًا شَرِسًا عَلَى الذَّاتِ فِي تَنَاعُمٍ أَبْعَادِهَا الْمُتَمَازِيَةِ¹³⁴⁵.

ضَرَبَ نِيَتُّهُ مَثَلًا عَلَى تَغْلُغْلِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ فِي مِيدَانِ الْفَنِّ وَالْجَمَالِ بِفَاجَنَرِ الَّذِي كَانَتْ مُوسِيقَاهُ فِي طَوَرِهِ الْأَخِيرِ مُعَبَّرَةً عَنْ تَجَرُّدٍ مِنَ الْعَرَائِزِ وَزُهْدٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَرُضُوحٍ لِلْعَدَمِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَهَرُوبٍ مِنَ الطَّبَاعِ الْمَاسَاوِيِّ لِلْفَنِّ وَالْوُجُودِ كَمَا تَجَسَّدَ فِي شَخْصِيَّةِ بَارْسِيْفَالِ¹³⁴⁶؛ هُوَ ذَا الْفَنُّ الَّذِي يُرِيدُهُ أَلْ الْإِرَادَةِ النَّافِيَّةِ، أَمَّا الْفَنُّ الَّذِي يُرِيدُهُ نِيَتُّهُ فَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي يَطْلُ وَفِيًا لِنَفْسِهِ، هُوَ ذَلِكَ الَّذِي لَا يَعْتَوِرُهُ دَرَنُ الْمَثَلِ الْعُلْيَا ذَوَاتِ الْقِيَامِ الزُّهْدِيِّ، وَلِمَزِيدٍ مِنَ الدِّقَّةِ نَسْأَلُ: مَا الْفَنُّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي الْحَيْدُودَةُ عَنْهُ؟ إِنَّهُ وَلَا رَيْبَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَنْعَمُ بِالْقُدْرَةِ الْخَلَاقَةِ عَلَى الْكُذْبِ وَالْخِدَاعِ، وَالَّذِي لَا يَنْدَى لَهُ الضَّمِيرُ بَيْنَمَا

¹³⁴¹GM, Trad. Henri Albert, III, § 24.

¹³⁴²Lawrence J. Hatab, Does the Ascetic Ideal Function in Nietzsche's Genealogy ?, p. 117 : « In his overall philosophy Nietzsche challenges the notion of an absolute, uniform, stable truth in favor of a dynamic perspectivism. There is no free standing truth or purely objective, disinterested knowledge... There are several motifs in Nietzsche's writings that can indicate a nonfoundational, pluralistic sense of truth that is disclosive of the world and yet open and non-reductive, and one of these motifs is art ».

¹³⁴³GM, Trad. Henri Albert, III, § 1.

¹³⁴⁴Ibid, § 2.

¹³⁴⁵Ibid, § 3.

¹³⁴⁶Ibid, § 3-4.

يَشْرَعُ فِي الكَذِبِ وَالتَّمْوِيهِ مُتَيَقِّناً أَنَّ مَا يَجْتَرِحُهُ لَهُ مُبَرَّرَاتُهُ الْحَسَنَةُ ، عَلَى تَقْيِضِ الْعِلْمِ الَّذِي مَا يَزَالُ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى كُتِبَ عِنْدَ الْحَيَاةِ عُدُوًّا أَفْكَأً¹³⁴⁷.

لَيْسَ بِدَعَا عَلَى فَلْسَفَةِ مُنْبَنِيَّةٍ عَلَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ أَنْ تُرِيدَ فَنَّا فِيهَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فِيهَا وَرَاءَ الْفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ ؛ فَنَّا يَخْلُقُ وَيُمْعِنُ فِي ذَلِكَ دُونَهَا مُرَاعَاةً إِنْ كَانَ مَا يُنْشِئُهُ إِنْشَاءً خَيْرًا أَوْ شَرِّيرًا ، إِنْ كَانَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا ، إِذْ فِي ذَلِكَ مُمَارَسَةٌ لِلْقُدْرَةِ وَتَغْيِيرٌ عَنْ أَعْمَقِ مَا فِي الْحَيَاةِ: التَّكْوِينُ الدَّائِمُ لِلْأَشْيَاءِ وَلَمْ لَا التَّدْمِيرُ الْمُتَوَاصِلُ لَهَا ؟ !

لَمْ يَكُنْ فَاجِرٌ وَحْدَهُ مَنْ وَقَعَ فَرِيْسَةً لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ وَإِنَّمَا سَبَقَهُ كَانُطُ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، وَلَيْسَتْ صِفَتَا الْفِعْلِ الْمَعْرِفِيِّ اللَّتَانِ قَيَّضَهُمَا لِلْفَاهِمَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هُمَا التَّجَرُّدُ مِنَ الطَّابِعِ الشَّخْصِيِّ وَالشُّمُولُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الدَّوَاتِ إِلَّا تَجَلِّيًّا لِلْمَثَلِ الزُّهْدِيِّ ؛ وَمَا زَادَ الطِّينَ بِلَهِّ نَقْلُهُ لِلصِّفَتَيْنِ إِلَى حَقْلِ الذَّاكِقَةِ زَاعِمًا أَنَّهُمَا تَرْفَعَانِ الْفَنَّ مَقَامًا عَلِيًّا ، مَا جَعَلَ الْجَمَالَ ذَاكَ الَّذِي يَرُوقُ لِأَنْفُسِنَا بِتَجَرُّدٍ لَا يُخَالِطُهُ غَرَضٌ وَنَفْعٌ.

وَسُرْعَانِ مَا تَلَا تَلَوَهُ شُوبْنَهَاوَرِ الَّذِي تُعَدُّ أَرَاؤُهُ الْفَنِّيَّةُ مَجْلَى لِهَذَا الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ، إِذْ مِنْ اسْتِعْدَائِهِ الشَّخْصِيَّ لِلْجِنْسِ¹³⁴⁸ جَعَلَ التَّأَمُّلَ الْجَمَالِيَّ مُتَنَاقِضًا مَعَ الرِّغْبَةِ الْجِنْسِيَّةِ ، يَبْنِي مَا هُوَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ وَجْهًا مُقْتَرِنًا بِهَا وَمَظْهَرًا مُخْتَلِفًا لَهَا¹³⁴⁹ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ اتَّخَذَ مِنْ نَفْيِ الْإِرَادَةِ شَرْطًا لِلْجَمَالِيَّةِ وَالْخَلَاصِ بِخِلَافِ سِتَانْدَالِ الَّذِي رَأَى فِي الْجَمَالِيَّةِ بَاعِثًا عَلَى الْإِرَادَةِ وَاسْتِثَارَةً لَهَا وَوَعْدًا بِالسَّعَادَةِ بَدَلِ أَنْ تَكُونَ وَعْدًا بِالْعَدَمِ. يَكْشِفُ نِيَّتَهُ أَنْ افْتِتَانَ الْفَلَّاسِفَةِ بِالْمَثَلِ الزُّهْدِيِّ وَعَمَّا أَوْ عَنْ غَيْرِ وَعَمَّا لَا يَعْنِي سِوَى إِرَادَةِ التَّخَلُّصِ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ ، مِنَ الْمَعَانَاةِ ، مِنْ طَرِيقِ نَفْيِ مُرْدَوِجٍ بِاعْتِبَارِهِ نَفْيًا لِلْإِرَادَةِ وَالْعَالَمِ ، ذَلِكَ مَا يُجَسِّدُهُ أَيُّمَا تَجَسِّيدٍ شُوبْنَهَاوَرِ الَّذِي عَدَّتْ بِمَعْيَتِهِ الْحَالَةَ الْاِسْتِطِيقِيَّةَ تَابِعَةً لِلْأَخْلَاقِ السَّائِدَةِ بِوَصْفِهَا زُهْدًا ، أَيْ اسْتِحَالَتْ إِلَى حَالَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الْأَلَمِ وَانْعِتَاقٍ مِنْ وَطْأَةِ الْإِرَادَةِ وَقَيْدِهَا الْكَرِيهِ¹³⁵⁰.

يُشِيرُ إِلَيْنَا مِثَالُ كَانُطُ وَشُوبْنَهَاوَرِ بِارْتِبَاطِ الْفَلْسَفَةِ الْحَمِيمِيَّ بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ ، وَأَخْطَرَ مِنْ ذَلِكَ كَوْنُهَا لَمْ تَتَطَوَّرْ إِلَّا بِفَضْلِ اسْتِنَادِهَا إِلَيْهِ¹³⁵¹ ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ شَرْطًا لَا عَنْهُ بُدٌّ فِي بِدَايَاتِ التَّفَلُّسِ الْأَوَّلِ لَدَى الْفَلَّاسِفَةِ ، إِذْ اضْطَرَّتْهُمْ الظُّرُوفُ الْقَاسِيَةُ الَّتِي مَرُّوا بِهَا إِلَى اتِّخَاذِ مَوَاقِفٍ مُنَافِيَةٍ لِلْعَالَمِ وَالْحَوَاسِ وَمُعَادِيَةٍ لِلْحَيَاةِ حَتَّى أَصْبَحَ قَوَامُ الْمَوْقِفِ الْفَلْسَفِيِّ إِلَى أَيَّامِ نِيَّتِهِ ؛ فَلَوْلَا تَنَكُّرُ الْفَلْسَفَةِ فِي مِعْطَفِ زُهْدِيٍّ

¹³⁴⁷ GM, Trad. Henri Albert, III, § 25.

¹³⁴⁸ Ibid, § 6.

¹³⁴⁹ Ibid, § 8.

¹³⁵⁰ Ibid, § 6.

¹³⁵¹ Ibid, § 9.

وَسُوءُ فَهْمٍ زُهْدِيٍّ، مَا كَانَ لِيُجَوِّدَهَا أَنْ يَكُونَ مُمَكِّنًا، وَهَذَا مَا جَعَلَ الْكَاهِنَ الزَّاهِدَ حَتَّى زَمَنِ قَرِيبٍ الصُّورَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي أُمَكِّنَتْ الْفَلَسَفَةُ مِنْ أَنْ تَمُضِيَ مُتَنَكِّرَةً وَمُكْتَسِبَةً حَقَّ الْوُجُودِ¹³⁵².

أَفْضَى تَلَبُّسُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الزُّهْدِيِّ بِالْفَلَسَفَةِ إِلَى أَنْ يَتَعَرَّفَ نَيْتَشْه إِلَى الْكَاهِنِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ مِنْ جَوْفِ الْفِيلْسُوفِ¹³⁵³ وَأَنْ يَرَى فِي الْفِيلْسُوفِ نَصْفَ كَاهِنٍ، وَلَيْسَ مَا دَعَاهُ إِلَى قَوْلِ هَذَا جَمِيعُهُ إِلَّا اسْتِمْرَارُ الدِّينِ فِي الْفَلَسَفَةِ وَتَبْرِيرُهَا لَهُ¹³⁵⁴؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرِيزَةَ الْلاهُوتِيَّةَ لِلْكَهْنُوتِ تَسَلَّتْ إِلَى رِحَابِ النَّظَرِ الْفَلْسُفِيِّ وَتَسَرَّبَتْ فِي مُخْتَلِفِ أَصْنَافِ التَّفْكِيرِ؛ فَلَا يَخْلُو مَكَانٌ إِلَّا مَرَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَوْطِنَتْ فِيهِ¹³⁵⁵ وَتَبَعًا لِذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ الْفَلَسَفَةُ فِي جَمِيعِ شُعُوبِ الْعَالَمِ التَّطَوَّرَ النَّامَ لِلْأَنْمُودَجِ الْكَهْنُوتِيِّ¹³⁵⁶.

عَلَى غَاثِقِ فَلَاسِفَةِ الْمُسْتَقْبَلِ الْأَحْرَارِ تَقَعُ مُهِمَّةُ تَطْهِيرِ الْعَاقِلَةِ مِنَ الْافْتِرَاضَاتِ الضَّمْنِيَّةِ لِلرُّؤْيَةِ الْكَهْنُوتِيَّةِ، مَا يُمْكِنُ مِنْ تَلَاْفِي الْخَلْطِ بَيْنَ بُنْيَانِ النَّظَرِ وَبُنْيَانِ الْحَاجَاتِ النَّفْسِيَّةِ (أَقْصَدُ الْحَاجَةَ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ، إِلَى الْخُلُودِ مَثَلًا)، وَذَلِكَ عَلَى تَقْيِضِ مَا هُوَ سَائِدٌ فِي التَّقْلِيدِ الْفَلْسُفِيِّ حَيْثُ الرُّوَاسِبُ الدِّينِيَّةُ تَتَجَلَّى أَيْمًا تَجَلٍّ فِي الْخَلْطِ بَيْنَ الْعَقْلِ (الْفَلَسَفَةِ) وَالْحَاجَةِ (الْكَهْنُوتِ). فَمَا دَامَتِ الْفَلَسَفَاتُ خَاضِعَةً إِلَى هَذِهِ الْحَاجَةِ الْمِيتَافِيزِيَّةِ، وَسَاعِيَةً إِلَى تَبْرِيرِهَا، فَإِنَّهَا سَتَظَلُّ مُذْعَنَةً لِسِحْرِ الْأَدْيَانِ¹³⁵⁷.

¹³⁵² GM, Trad. Henri Albert, III, § 10.

¹³⁵³ HTH, Trad. Henri Albert, Tome I, § 131.

¹³⁵⁴ VP, Trad. Henri Albert, § 250. Voir Félicien Challaye, Nietzsche, p. 97. Voir Paul Valadier, Nietzsche et la critique du christianisme, p. 201. Voir Jean André Wahl, La pensée philosophique de Nietzsche des années 1885-1888, Centre de Documentation Universitaire, 1959, p. 162. Voir Yves Ledure, Nietzsche et la religion de l'incroyance, Desclée, 1973, p. 108.

¹³⁵⁵ AC, Trad. Henri Albert, § 6.

¹³⁵⁶ Ibid, § 12 : « Dans presque tous les peuples le philosophe n'est que le plein développement du type sacerdotal ».

¹³⁵⁷ Olivier ponton, Nietzsche -philosophie de la légèreté, p. 109. Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, p. 17.

الخاتمة

أَفْضَتْ تَأْوِيلَيْنَا لِمَفْهُومِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ - الَّذِي يُؤَلَّفُ نَوَاةَ فَلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ وَالْخِطِّ الْهَادِي لَاسْتِيعَابِ جَمِيعِ جَوَانِبِ فَلْسَفَتِهِ - إِلَى هَذِهِ النَّتَائِجِ الْمُهِّمَةِ غَايَةَ الْأَهَمِّيَّةِ: أَوَّلًا- تُعَدُّ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ وَحْدَةً مُعَقَّدَةً إِلَيْهَا تَرْتَدُّ الظُّوَاهِرُ جَمِيعًا أَعْضُوبَةً هِيَ أَمْ غَيْرَ عُضُوبَةٍ، عَلَى أَنْ تَكُونَ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْوَحْدَةِ وَالكَثْرَةِ عِلَاقَةً تَحِلُّ وَتَغْيِيرٍ، وَإِثَرُ ذَلِكَ فَالْكَثْرَةُ لَيْسَتْ شَيْئًا خَارِجِيًّا عَنْهَا وَإِنَّمَا هِيَ الْوَحْدَةُ مَنْظُورًا إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْإِخْرَاجِ وَالْإِبَانَةِ، التَّوَلُّدِ وَالتَّكُونِ، ذَلِكَ أَنَّ فَلْسَفَةَ نَيْتَشَةِ لَا تَضَعُ تَمْيِيزًا مُطْلَقًا بَيْنَ الْمَاهِيَةِ وَالْأَعْرَاضِ، بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. إِضَافَةً إِلَى هَذَا كُلِّهِ لَيْسَتْ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ غَايَةً خَارِجِيَّةً تَسْعَى إِلَيْهَا الْقَوَى الْمُؤَلِّفَةُ لِلْعَالَمِ بَلْ هِيَ الْمَبْدَأُ الْجَوَانِي الَّذِي يُحَرِّكُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، مَا يَجْعَلُهَا مُحَايِثَةً وَدِينَامِيكِيَّةً سَوَاءً بِسَوَاءٍ. إِنَّ الْقَطِيعَةَ الَّتِي أَحَدْنَهَا نَيْتَشَةُ بِهَذَا الْقَدْرِ أَوْ ذَاكَ فِي هَذَا السِّيَاقِ لَا تَطْهَرُ إِلَّا إِذَا اسْتَحْضَرْنَا مَفْهُومَ الْوَحْدَةِ فِي التَّقْلِيدِ الْغَرْبِيِّ السَّابِقِ عَلَيْهِ، فَلَيْنَ دَأَبَ هَذَا التَّقْلِيدِ النَّظَرَ إِلَى الْوَحْدَةِ عَلَى أَنَّهَا بَسِيطَةٌ، فَإِنَّ نَيْتَشَةَ رَأَاهَا بِعَيْنِ الْكَثْرَةِ، وَإِذَا أُخْرِجَتْ أَطْرَافٌ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ الْوَحْدَةِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي عَدَّهُ عَالَمًا ظَاهِرِيًّا مُرَكَّبًا (عَالَمَ الْفَسَادِ)، كَيْ تَضَعَهَا فِيهَا وَرَاءَهُ، أَكَانَ مَثَلًا أَمْ إِلَهًا سَاكِئًا يَقْبَعُ بِلُغَةِ أَفْلُوطِينِ فِي أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ عَالَمِ مَا فَوْقَ الْقَمَرِ، فَإِنَّ نَيْتَشَةَ يَضَعُهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ مُدْرِكًا إِيَّاهَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ بِيُولُوجِيَّةٍ-فِيْزِيُولُوجِيَّةٍ، فَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَصَيْرُورَةٍ وَحُدُوثٍ فِيهِ إِلَّا مَطْهَرٌ وَتَغْيِيرٌ عَنْ مَبْدَأِ جَوَانِي يَتَمَيَّزُ بِالنُّزُوعِ الْأَبَدِيِّ إِلَى النَّمَاءِ وَالتَّرْقِيِ.

لَقَدْ سَاقَ هَذَا الْمَبْدَأُ الْأُونُطُولُوجِيَّ نَيْتَشَةَ إِلَى فَهْمٍ سَلَاسِلِ الْوَعْيِ وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا مِنْ مُخْتَلَفٍ أَوْجُهُ الْحَضَارَةِ عَلَى ضَوْءِ سَلَاسِلِ الْغَرَائِزِ وَمِنْ ثَمَّ نَظَرَ إِلَى فَعَالِيَّاتِ الْعَقْلِ وَوُظَائِفِهِ عَلَى أُسَاسِ فَعَالِيَّاتِ الْجُسْمَانِ وَوُظَائِفِهِ وَهُوَ مَا اصْطَلَحْنَا عَلَيْهِ بِالرَّدِّ الْحَيَوِيِّ الَّذِي هُوَ، خِلَافًا لِتَغْلِيْقِ الْعَالَمِ الطَّبِيعِيِّ وَالْأَهْوَاءِ الدَّائِيَّةِ فِي غُرْضِ الْعَمَلِيَّةِ التَّفْسِيرِيَّةِ لِبُلُوغِ وَغْيِ خَالِصٍ يَنْطَوِي مُسَبِّقًا عَلَى مَا هِيَاتِ الْمَوْجُودَاتِ (وَهَذَا هُوَ شَأْنُ الرَّدِّ الْفِيْئُومِيْنُولُوجِيِّ)، رَدُّ غَرِيزِيٍّ لِلْوَعْيِ وَمَا بَنِيَ عَلَيْهِ إِلَى الْغَرَائِزِ بِوصفِهَا تَحَقُّقًا أَوَّلِيًّا لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ، وَهَذِهِ بِدَوْرَهَا تُرَدُّ إِلَى إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ بِوصفِهَا الْأَصْلَ الَّذِي تَفَرَّعَتْ مِنْهُ الْغَرَائِزُ كُلُّهَا. وَفِي كَنَفِ هَذَا الرَّدِّ الْحَيَوِيِّ يَنْبَغِي فَهْمُ قِيَاسِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، أَكَانَ عُضُوبًا أَمْ غَيْرَ عُضُوبٍ، عَلَى عَالَمِ الْغَرَائِزِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبِمُوجِبِ هَذَا الْقِيَاسِ عُمِمَتْ إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ لِتُصْبِحَ مَبْدَأُ أُونُطُولُوجِيًّا لَا يَغْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ. وَحِرْصًا عَلَى الدِّقَّةِ بَيَّنَّتِ الْأَطْرُوحَةُ الطَّائِعُ الْعِلَاقِيَّ وَالتَّنَازُعِيَّ لِهَذَا الْمَبْدَأِ الَّذِي يَقْتَضِي رِبْتَاطَ وَتَشَابُكَ الْقَوَى الْمَكُونَةِ لِلظُّوَاهِرِ جَمِيعًا فِي عِلَاقَاتٍ نَامُوسُهَا الْبَاطِنِيَّ الصِّرَاعِ.

لَا جَرَمَ أَنَّ دِينَامِيكَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عِنْدَ نَيْتَشَةِ تَتَوَقَّفُ عَلَى مَفَاهِيمَ مُعَيَّنَةٍ مِنْ أَهْمِيَّاتِ مَفْهُومِ الْكَثْرَةِ وَالتَّرَاتِبِ وَالصَيْرُورَةِ؛ فَأَمَّا مَفْهُومُ الْكَثْرَةِ فَيَمْلِكُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ هَذِهِ الدِّينَامِيكَا الْاِقْتِدَارِيَّةَ عَلَى أُسَاسِ تَعَالُقِ قَوَى، لَا نَمْلِكُ حِيَالَهَا إِحْصَاءً، تَتَلَاقَى وَتَتَصَادَمُ بِسَبَبِ قَابِلِيَّتِهَا الْبَاطِنِيَّةِ لِلْإِنْفِعَالِ وَالْاِسْتِشْعَارِ، وَمِنْ ثَمَّ فَمَا يَجْعَلُ الْقَوَى فِي وَشِيجَةٍ دَائِمَةٍ اِحْتَوَاؤُهَا عَلَى قُدْرَةٍ تَمَثَّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَانْفِعَالِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَلَا يَقُوتُنَا أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى أَنَّ دِينَامِيكَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ تَسْتَبْعِدُ أَيَّ تَمَثُّلٍ لِلْقَوَى، بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، تَمَثُّلًا

سُكُونًا وَوَدِيعًا ، وَمَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى السِّمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَتِمُّلُ بِهَا الْقَوَى بَعْضُهَا لِبَعْضٍ عَلَى نَحْوِ تَكُونٍ فِيهِ كُلُّ قُوَّةٍ مُوَضَّوعًا لِلِاسْتِغْلَالِ وَالْهَيْمَةِ وَالتَّوْظِيفِ مِنْ طَرَفِ قُوَى أُخْرَى ، أَيْ أَنَّ التَّمَثُّلَ هُنَا لَيْسَ تَمَثُّلًا مُوَضَّوعِيًّا مِنْ أَجْلِ الْمَعْرِفَةِ الْمُجَرَّدَةِ أَوْ لِغَايَةِ الْكَشْفِ عَنْ مَاهِيَةِ الشَّيْءِ أَوْ فِي سَبِيلِ مَقْصَدٍ اخْلَاقِيٍّ مُعَيَّنٍ ، كَمَا نَظَرْتُ لَهُ فَلَسَقَاتُ التَّمَثُّلِ (أفلاطون ، ديكارت ، لايبنتز) ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمَثُّلٌ مِنْ أَجْلِ الْاِقْتِدَارِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّمَثُّلَ فِي هَكَذَا مَقَامٍ يُوجِبُ بِطَرِيقَةٍ مَاهَوِيَّةِ التَّنَازُعِ وَالتَّدَافُعِ ، لِذَلِكَ فَالطَّائِعُ الْعَامُّ لِلْبُيُوتَةِ الْعِلَاقِيَّةِ لِإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ هُوَ الصِّرَاعُ .

لَقَدْ أَسْفَرَتْ أَطْرُوحَتُنَا أَيْضًا عَنْ كَوْنِ الْجُسْمَانِ سَبِيلًا سَلَكَهُ نَيْتَشَةُ لاسْتِيعَابِ كَثْرَةِ الْقَوَى وَآلِيَّاتِ عَمَلِهَا الثَّلَاثِ: هَضْمٍ ، تَمْيِيزٍ ، إِفْرَازٍ ؛ وَنَعْنِي بِالْهَضْمِ التَّغْذِيَّ عَلَى الْقَوَى الْأُخْرَى ابْتِغَاءً لِّلِاسْتِزَادَةِ فِي الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَتَقْصِدُ بِالتَّمْيِيزِ فَرْزَ الْقَوَى لِبَعْضِهَا بَعْضًا مَا يَسْمَحُ بِالتَّغْذِيَّ عَلَى مَا تَرَاهُ مُفِيدًا وَإِزَاحَةً مَا تَرَاهُ مُضِرًّا وَبِمُوجِبِ هَذَا الْفَرْزِ تُرْتَّبُ أَيْضًا مَا تَتَمَثَّلُهُ حَسَبَ الْأَوَّلِيَّاتِ ، وَنَعْنِي بِالْإِفْرَازِ التَّخَلُّصَ مِمَّا لَا فَايِدَةَ مِنْهُ فِي الْجِهَازِ الْعَضْوِيِّ . مِنْ هَذِهِ الْفَاعِلِيَّاتِ الْهَضْمِيَّةِ الثَّلَاثِ لِلْجُسْمَانِ اسْتَقَى نَيْتَشَةُ آلِيَّاتِ عَمَلِ الْجُسْمَانِ الْحَيَاتِيَّ بِأَجْمَعِهِ ؛ وَإِثْرُ ذَلِكَ صَارَ التَّأْوِيلُ الْإِنْسِيَّ لِلْمَوْضُوعَاتِ جَارِيًا مَجْرَى التَّأْوِيلِ الْهَضْمِيِّ لِلْأَغْذِيَّةِ ؛ وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلَ الْحَيَاتِيَّ بِرِمَتِهِ حَيْثُ تَتَأَوَّلُ الْقَوَى الْعَضْوِيَّةُ وَغَيْرُ الْعَضْوِيَّةِ بَعْضُهَا بَعْضًا تَبَعًا لِذَاتِ الْفَاعِلِيَّاتِ الْهَضْمِيَّةِ ؛ وَهَذِي الْفَاعِلِيَّاتُ بِاعْتِبَارِهَا سَيَرُورَةُ الْحَيَاةِ عَيْنِهَا لَا تَنْفَكُ عَنِ الْعُنْفِ وَالِاسْتِغْلَالِ ، عَنِ التَّدَافُعِ وَالتَّوَاقُعِ ، مَا يَجْعَلُ السَّلْمَ مُرْتَفَعًا وَالْأَكْسِيُولُوجِيَا الْمُسَالِمَةَ وَهَمًّا .

لَقَدْ شَفَّتْ مُقَارَبَتُنَا التَّأْوِيلِيَّةُ أَيْضًا ، فِي سِيَاقِ تَطَرُّفِهَا إِلَى خَاصِيَّةِ الْكَثْرَةِ ، عَنِ الْفَرْقَانِ الْمَفْهُومِيَّيْنِ الْوَحْدَةِ الدِّيْنَامِيكِيَّةِ بِالْمَعْنَى الْنَيْتَشَوِيَّةِ الَّتِي يَقْصِدُ بِهَا وَحْدَةً ظَرْفِيَّةً وَمُتَجَدِّدَةً تَصْطَلِعُهَا الْقَوَى الْعَدِيدَةُ فِي تَعَالُفِهَا وَتَعَالُفِهَا وَلَا تُحْمَلُ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْكَثْرَةِ ، وَالْوَحْدَةِ الْاِسْتَاتِيكِيَّةِ بِالْمَعْنَى الْمِيْتَاْفِزِيكِيَّةِ الَّتِي قَصَدَ مِنْهَا التَّقْلِيدُ الْفَلْسُفِيُّ وَحْدَةً دَائِمَةً وَرَاسِخَةً وَمُطْلَقَةً وَبَسِيطَةً تَنْفَرِدُ بِالْحَقِيقَةِ وَمَا دُونَهَا الْبَاطِلُ .

تَجَارَتْ حَطَوَاتُ أَطْرُوحَتِنَا إِلَى بَيَانِ مَرْكَزِيَّةِ خَاصِيَّةِ التَّرَاثِبِ فِي أَوْنَطُولُوجِيَا إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ الَّتِي بِمُقْتَضَاهَا عَدَّ نَيْتَشَةُ الْوُجُودَ مُرْتَبًا مُرْتَبًا هَرَمِيًّا تَتَفَاوَتْ فِيهِ الْقَوَى (الْمَوْجُودَاتُ) تَبَعًا لِعِيَارِ الْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ ، طَبَقًا لِمُقْيَاسِ الْفَاعِلِيَّةِ وَالْاِرْتِكَاسِيَّةِ ، وَفَقًّا لِمِيزَانِ النَّبَالَةِ وَالْخَسَاسَةِ ، عَلَى الْأَيْفِهِمْ هَذَا التَّرَاثِبُ فَهَمَّا تَعَاقُبِيًّا بَلْ فَهَمَّا تَزَامِنِيًّا تَكُونُ فِيهِ الْمَوْجُودَاتُ مُتَفَاوِتَةً جَبَلِيًّا بِمُقْتَضَى خَصَائِصِهَا وَشَمَائِلِهَا الطَّبِيعِيَّةِ ؛ فَلِكُلِّ طَبَقَتِهِ وَسِمَاتُهُ حَسَبَ مَا حَبَّتْهُ بِهِ الْحَيَاةُ ؛ فَمِمَّا الْعَالِي وَمِمَّا السَّافِلُ ؛ مِمَّا الرَّفِيعُ وَمِمَّا الْوَضِيعُ . ذَلِكَ أَنَّ التَّرَاثِبَ عِنْدَ نَيْتَشَةَ ، لِمَنْ أَنْعَمَ النَّظَرُ فِي شُدُورِهِ ، مُعْطَى أَصْلِيٍّ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ وَلَيْسَ شَيْئًا يُصَارُ إِلَيْهِ بَعْدَ لَيْسٍ .

تَسَايَرَتْ جَوَانِبُ مِنْ مُقَارَبَتِنَا التَّأْوِيلِيَّةِ إِلَى اسْتِظْهَارِ خَاصِيَّةِ الصَّيْرُورَةِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا مُسْتَطَاعٌ إِلَى الْإِمْسَاكِ بِمَفْهُومِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ إِلَّا بِهَا ، وَلَكِنْ اتَّخَذَ الْعَقْلُ الْغَرْبِيُّ الْكَيْنُوتَوَةَ مَطِيَّةً لِادْرَاكِ الْكَائِنَاتِ وَالْعَالَمِ بِمَا هُوَ كُلِّيَّةٌ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَإِنَّ نَيْتَشَةَ نَظَرَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ بِلِحَاطِ الصَّيْرُورَةِ ، وَمَا كَانَ لَهُ تَبَعًا لِذَلِكَ مَذْهَبٌ

عن مُجاجة العقلانية العربية التي انكبت على إكساء ديناميكا العالم بكساء المَقولات العقلية الساكنة ،
ما أفضى إلى إخلال الثبات والأبدى والكلّي محلّ العرضيّ والزائل والفاني ؛ وبهذا النحو صير إلى تجريم
الصيرورة وعدّها أماراً على الذنب والعقاب ودليلاً على وجود عالم آخر تخلّد فيه الكائنات إلى سكينته
وسلم وسعادة دائمين. وإخلاصاً لتوكيد ديونيزوسي للحياة في كل أوجهها ، بما في ذلك الوجه
الجبروتي ، أوثق نيتشه ديناميكاً الإرادة بالقول ببراءة الصيرورة براءة تغدو على أعقابها الفاعليات ، أكانت
إنسيّة أم غير ذلك ، مُنزّهة عن الذنب بله متعالية عن المسؤولية ، مُفسحاً المجال لاقتداريّة تنطلق في
آفاق العالم من غير قيد وعقال ومُقبلة على الحياة في صولات ولو كان ثمن الإقبال المعاناة ولو كان من
لوازم الوجود الألم.

تنصرت أطراف الأطروحة في شقها الأكسيولوجي على إبداء الطابع الأونطولوجي للتقويم ما جعل
الحياة فاعلية لا تنفك عن التقويم ولستنا نحن وغيرنا من القوى من هذا كله إلا وسائل تلتبسها وذرائع
تتطلبها في ممارستها الأونطولوجية هذه. وفوق ذلك فالقيم ، سواء كانت من مُصطنعات الإنسان أم من
غيرها من القوى التي يعج بها الوجود ، سبّل وأدوات للحفاظ على البقاء في حالات ومن أجل بسط
السلطان وتوسيعه في حالات أخرى ، زد على ذلك توقف القيم على المنظورية والتأويلية ؛ إذ بوساطتهما
تخلع المعاني والمغاري على الحياة ، ولا يحسبن أحد أن العقل مُضطلع بفعل الخلع هذا ؛ كلا ، كيف
يكون ذلك ممكناً والعقل عند نيتشه عبدٌ ذليل يمثّل أوامر الغرائز ليس غير ، ذلك أن الجُسمان عند
نيتشه ، باعتباره محلاً للغرائز والأهواء ، صانع النظر والتأويل ، وبذلك تُنأط العملية التقويمية بالبعد
الهُويّ للوجود والإنسان ، ما يلزم عنه على الصعيد الإنساني توقف إدراك العالم على رجاءاتنا
ومخاوفنا ، على مآربنا ومنافعنا ، وليس على نظر عقلي مُنزّه من الانحياز والعائد.

حملنا شذور نيتشه على إبراز الدور الحاسم للمنهج الجينيولوجي في مشروع فيلسوف الاقتدار
الأكسيولوجي ، أتعين ذلكم الدور في شقّ تدميريّ أت على القيم الجارية أم في شقّ إبداعي لا يريم
يخلق القيم الفاعلة طوراً ولا يبرح يستن بالقيم النبيلة والحرية كما تجلّت في التاريخ قبل القلب
الكهنوتي للقيم (والقيم الإغريقية أنموذج منها) طوراً آخر ، في ضرب من الاستعادة الجمالية والجلالية
لنماذج الحضارات المُفتدرة. على أكتاف الجينيولوجيا قام التثقيب على أصول الأخلاق وتقييمها ، مُسفرة
عن المباشرة والمفاضلة في أصل النشأة التاريخية للأخلاق ، وبفضل حسّها التاريخي كشفت عن شعور
أصلي تكويني بالاختلاف ينفرد به أنموذج بشريّ عدّه نيتشه نبياً خلافاً للأنموذج البشريّ الوضع الذي
لا يحس بتميزه ولا يكن لنفسه تقديرًا جبلياً.

في معرض الأطروحة وعرضها بيّنا العنصر التفاضلي الذي يوجه تمايز الأخلاق وتنقسم إلى أخلاق
إثباتية وأخرى نافية وليس هذا العنصر إلا الإرادة التي تملي على بعض ابتداع أخلاق تؤكد الذات وتوطّد
الوجود في حالة الأسى (النبلاء) ، وتسوق بعضاً آخر إلى خلق أخلاق عديمة تُنكر الذات وتتنكر

لِلوُجُودِ فِي حَالَةِ الْعَبِيدِ (العامة). ثُمَّ مَا كَانَ لَنَا ثُجَاءَ تَأْسِيسِ الْقِيَمَةِ عَلَى الْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ¹ سِوَى خِيَارِ التَّقْدِيرِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى امْتِنَاعِ الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْقُوَّةُ نَامُوسَهَا وَالْاِقْتِدَارُ شَرْعَتَهَا ؛ وَلَا مَذْهَبَ لِمُجْتَمَعٍ يُؤَسِّسُ الْقِيَمَةَ عَلَى الْاِقْتِدَارِ الْغَرِيزِيِّ عَنِ التَّنَازُعِ الْمُسْتَمَرِّ وَالتَّوَاقُعِ الْمُسْتَعْرِ وَعَنْ جَرَيَانِ الْأُمُورِ تَبَعًا لِقَانُونِ الْغَابِ حَيْثُ الْأَقْوَى يَأْتِي عَلَى الْقَوِي ، وَالْقَوِي عَلَى الضَّعِيفِ وَالضَّعِيفُ عَلَى الْأَضْعَفِ فِي دَوْرَةٍ غُفٍّ أَبَدِيَّةٍ لَا مُمَسِكَ لَهَا سِوَى الْإِنَابَةِ إِلَى الْعَقْلَانِيَّةِ التَّنْوِيرِيَّةِ حَيْثُ لَا سُلْطَانَ يَعْلُو عَلَى الْاِعْتِبَارِ الْعَقْلِيِّ.

لَقَدْ انْتَهَتْ الْجِينِيَالُوجِيَا إِلَى إِبْرَازِ الْمَبَانِي الْمُضْمَرَةِ لِلْأَخْلَاقِ السَّائِدَةِ وَهَتْكَ الْحِجَابِ عَنْ ظُرُوفِهَا وَحَيْثِيَّاتِهَا التَّارِيخِيَّةِ ، وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ الْوُقُوفُ عَلَى دَوْرِ الْأَضْطِغَافِ الْمُوَيَّدِ بِالذَّاكِرَةِ السَّقِيمَةِ فِي إِنْشَاءِ قِيَمٍ مُنَاوِنَةٍ لِلْحَيَاةِ ؛ ذَلِكَ أَنَّ قِيَمَ الْعَبِيدِ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ تَرْجَمَةٍ رُوحَانِيَّةٍ لِتِلْكَمُ الْكِرَاهِيَةِ الْحَقُودِ لِمَا هُوَ قَوِيٌّ مُقْتَدِرٌ فِي الْإِنْسَانِ وَالْوُجُودِ ، فِي سِيَاقِ جِرْمَانِيهِمُ الْجُسْمَانِيِّ وَالنَّفْسَانِيِّ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ وَالْجَمِيلَةِ ؛ أَضْفَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ حَيْلُولَةُ ذَاكِرَةِ الضُّعَفَاءِ ، مِنْ حَيْثُ هِيَ اسْتِبْقَاءٌ لِكُلِّ مَا تَعَرَّضَ لَهُ السَّفَلَةُ (العامة ، العبيد) مِنْ قَهْرٍ وَاجْحَافٍ ، مِنْ كِبَتْ وَقَمْعٍ ، دُونَ الْاِتِّصَالِ بِالْعَالَمِ وَفَقَ زَمَانِيَةِ الْحَاضِرِ أَوْ الْوَعْيِ بِالْآنِ ، مُضْطَرَّةً عِلَاقَتَهُمُ بِالذَّاتِ وَالْغَيْرِ وَالْوُجُودِ إِلَى أَنْ تَكُونَ رَدًّا فِعْلٍ عَلَى الْآثَارِ الْمُخْتَزَنَةِ فِي الذَّاكِرَةِ ؛ وَبِهَذَا النُّحُو يُتَأَوَّلُ الْعَالَمُ مِنْ مِنْطَارِ الضَّغِينَةِ وَالْجِرْمَانِ وَمِنْ أَلْبَدِيٍّ أَنْ تَأْتِيَ إِنْثَرُ ذَلِكَ قِيَمُ الْعَاجِزِينَ الْمَكْبُوتِينَ مَلَانَةً بِنَازٍ مُسْتَبْطِنٍ ، بَدَلُ أَنْ تَكُونَ نَتِيجَةُ لِحَبْرَةٍ جَدَلِيَّةٍ تَتَفَاعَلُ فِيهَا غَرَائِزُ الْإِنْسَانِ ، وَسَجَايَاهُ مَعَ رَحَابِ الْوُجُودِ وَأَفَاقِهِ .

لَيْسَ بَدْعًا اتِّكَاءُ الْجِينِيَالُوجِيَا عَلَى الْفِيلُولُوجِيَا فِي إِقَامَتِهَا الدَّلِيلَ عَلَى زَيْغُوعَةِ مَفْهُومِ الشُّعُوبِ لِلْخَيْرِ وَحَيْدُودَةِ مَفْهُومِهَا عَنِ الشَّرِّ وَذَلِكَ مِنْ فِعْلَةِ التَّارِيخِ وَمُقْتَضِيَّاتِهِ ، مَا يَجْعَلُ أَيَّ مَفْهُومٍ مَسْوُوقًا إِلَى إِزَاحَاتٍ وَانْجِرَافَاتٍ دَلَالِيَّةٍ حَسَبَ مَآرِبِ وَمَصَالِحِ الْقَوَى الَّتِي تَبْتَدِعُهُ وَتَسْتَعْلُهُ وَتَسْتَوِلِي عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ كَانَ مَفْهُومُ الْخَيْرِ يُفِيدُ فِي الْبَدءِ عِنْدَ عِلْيَةِ الْقَوْمِ الْحَسَنَ عَلَى سَبِيلِ الْإِشَارَةِ إِلَى رِفْعَةِ النَّسَبِ وَالْحَسَبِ وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَخْلُو مِنْ تَوْجِيهِ طَبَقِيٍّ وَفِي هَذَا كُلِّهِ تَرْتَدِي الْأَخْلَاقُ رِدَاءً جَمَالِيًّا جَلَالِيًّا فِيمَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَإِنَّ مَفْهُومَ الْخَيْرِ عِنْدَ أَزْدَالِ النَّاسِ اتَّخَذَ دِلَالَاتٍ أَخْلَاقِيَّةً كَهَوْتِيَّةً وَرُوحَانِيَّةً سُرْعَانِ مَا شُدَّتْ عَلَى أُسَاسِهَا

¹ ولو ضبطنا هذا التأسيس ضبطًا مُحْكَمًا لَقَلْنَا إِنَّ نِيَتَشَةَ يُؤَسِّسُ الْقِيَمَةَ عَلَى الْوَاقِعَةِ ، وَيُبَرِّرُ الْقِيَمَ تَبَعًا لِلْوَقَائِعِ وَخُصُوصًا الْوَقَائِعَ الْبِيُولُوجِيَّةَ ؛ وَعَلَيْهِ فَهُوَ فِي شَذُورٍ مَحْدَدَةٍ مِثْلَ الشَّذَرَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْمَبْحَثِ الثَّلَاثِ مِنْ مُصْنَفِهِ "الْجِينِيَالُوجِيَا" يَبْرُرُ الْغُرُورَ وَالِاسْتِغْلَالَ وَكُلَّ مَا يَدْخُلُ فِي مَعْجَمِيَةِ الْعَنْفِ الْإِنْسَانِيِّ بِكَوْنِ الْحَيَاةِ لَا تَنْفَكُ فِي وَطَائِفِهَا الْحَيَوِيَّةِ عَنْ تِلْكَمُ الْأَفَاعِيلِ الْعَنِيفَةِ. وَهَذِهِ الْمُطَابَقَةُ بَيْنَ الْوَاقِعَةِ وَالْقِيَمَةِ لَدَى نِيَتَشَةَ ، الَّتِي اسْتَنْبَطْنَاهَا بَعْدَ طَوِيلِ تَأَمُّلٍ فِي طَرَائِقِ نِيَتَشَةَ التَّسْوِيفِيَّةِ لِمَزَاجِهِ ، هِيَ مَا يَجْعَلُ الْأَكْسِيُولُوجِيَا النِّيَتَشَوِيَّةَ مَبْنِيَّةً عَلَى الْأُونْتُولُوجِيَا ؛ وَتَقْرِيْبًا إِلَى ذَاتِ النَّتِيجَةِ الَّتِي خُلُصْنَا إِلَيْهَا أَنْتَهَى الدَّارْسُ أَمْدَنُ كْرِيسْتِيَانِ فِي مُصْنَفِهِ "الزَّرْعَةُ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ نِيَتَشَةَ: الْفَلَسَفَةُ وَعِلُومُ الْحَيَاةِ فِي الْقَرْنِ الْتَّاسِعِ عَشَرَ". يَنْظُرُ :

Christian J. Emden, Nietzsche's Naturalism, Philosophy and the Life Sciences in the Nineteenth Century, Cambridge University Press, 2014 : « Nietzsche himself had no interest in resolving this dilemma. Indeed, it might simply be best to embrace it, as Ernst Mach did, and see it as a starting point from which to rethink the relationship between the normative and the empirical world, folding them into each other ». p.32. See : « Folding the normative into the natural, and vice versa, is a central feature of Nietzsche's philosophical project. It underlies his genealogy, as we shall see, and also his reflections on the will to power ». p.33.

مَنْظُومَةٌ قِيمٌ مُتَكَيِّفَةٌ عَلَى ثُنَائِيَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَخِلَافًا لِمَفْهُومِ الْحَسَنِ لَدَى وَجْهَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَبَّرُوا عَنْ رَفْعَةِ شَمَائِلِهِمُ الْعَالِيَةِ عَلَى سَبِيلِ إِثْبَاتِ الذَّاتِ، فَإِنَّ مَفْهُومَ الْخَيْرِ لَدَى وَضْعَاءِ الْقَوْمِ نَفْيٌ لِكُلِّ مَا هُوَ عَلَيْهِ الثُّبُلَاءُ مِنْ صِفَاتِ جُسْمانِيَةٍ وَخِصَالِ نَفْسَانِيَةٍ وَسُلُوكَاتِ اجْتِمَاعِيَةٍ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّهُ قَلْبٌ لِلْقِيَمِ التَّلَقُّائِيَةِ النَّائِبَةِ مِنْ قَيْضِ الْجُودِ وَالْوُجُودِ الْاِقْتِدَارِيِّ لَدَى أَسْيَادِ النَّاسِ، لِهَذَا السَّبَبِ يَسْنِقُ مَفْهُومُ الشَّرِّ مَفْهُومَ الْخَيْرِ لَدَى هَذَا الْأَنْمُودَجِ الْوَضِيعِ؛ وَمَا ذَلِكُمْ إِلَّا لِتَصَدُّرِ النَّفْيِ عَلَى الْإِثْبَاتِ فِي رُؤْيَيْهِ لِلذَّاتِ وَالْغَيْرِ وَالْعَالَمِ. بِمَعْنَى الْمَنْهَجِ الْجَيْنِيَالُوجِيِّ أَمْسَكْنَا بِتَحَوُّلِ الْقِيَمِ مِنْ دِلَالَاتِ جَمَالِيَةٍ وَطَبَقِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِأَنْحَاءِ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ الْاِقْتِدَارِيِّ فِي الْعَالَمِ إِلَى دِلَالَاتِ أَخْلَاقِيَةٍ كَهَنْتُوتِيَّةٍ تَدَّعِي الْاِتِّسَامَ بِالْمَوْضُوعِيَةِ وَالصَّلَاحِيَةِ الْكُونِيَّةِ وَتَقْتَرِنُ بِطَرَائِقِ زُهْدِيَّةٍ تُحَرِّكُهَا بِوَاعِثِ الضَّغِينَةِ وَالانْتِقَامِ مِنَ الذَّاتِ وَالْغَيْرِ وَالْعَالَمِ عُمُومًا، مِنَ الْجُسْمانِ وَمَا يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ غَرَائِزٍ وَأَهْوَاءٍ خُصُوصًا، وَمَا كَانَ لِهَذَا التَّحَوُّلِ الدِّلَالِيِّ الْخَطِيرُ أَنْ يَحْصُلَ وَيَبْلُغَ مُرَادَهُ لَوْلَا الْكُهُانُ الَّذِينَ اقْتَادُوا الْعَبِيدَ إِلَى الْاِتِّصَارِ وَالْأَخْلَاقِ النَّافِيَةِ إِلَى غَشْيَانِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَةِ فِي مُخْتَلَفِ تَجَلِّيَاتِهَا.

شَفَتْ الْأَطْرُوحَةُ، بَعْدَمَا أَفْرَعَتْ جُهْدَهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْمَذْكُورَةِ سَالِفًا، عَنِ الْجُذُورِ التَّارِيخِيَةِ لِلضَّمِيرِ الْأَخْلَاقِيِّ دَاحِضَةً أَنْ يَكُونَ صَوْتُ اللَّهِ فِي السَّرِيرَةِ وَمُؤَكَّدَةً عَلَى طَابَعِهِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَكُونِهِ التَّارِيخِيِّ؛ وَانْتَهَى الْفَحْصُ الْجَيْنِيَالُوجِيِّ إِلَى عَدِّهِ مِنْ وَجْهِ غَرِيزَةٍ قَسُوءٍ ارْتَدَّتْ بِفِعْلِ الْقَمْعِ إِلَى الْبَاطِنِ، مُتَحَوِّلَةً إِلَى وَخْزٍ أَخْلَاقِيٍّ، أَعْنِي أَنَّ الضَّمِيرَ أَنْشَأَ يَظْهَرُ حِينَ شَرَعَتْ الْجَمَاعَاتُ الْأُولَى فِي قَمْعِ غَرَائِزِ أَعْضَائِهَا مَا وَلَدَ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَشَقُّ فَرْدٌ مِنْهَا يَدَ الطَّاعَةِ بَانْتِهَالِ مَوَائِقِ الْقَبِيلَةِ / الْجَمَاعَةِ وَعَوَائِدِهَا، شَعُورًا بِالذَّنْبِ وَلَعَلَّ قَمْعَ بَعْضِ الْأَفْرَادِ الْمُقْتَدِرِينَ لِعَرَائِزِهِمْ مُسَبِّبٌ (فِي ذَاتِهِ) لِلشَّعُورِ بِالذَّنْبِ وَذَلِكَ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الصَّنِيعُ مِنْ تَنْبِيْطٍ لِحُرِّيَّتِهِمْ وَتَقْيِيدٍ لِقُدْرَتِهِمْ.

فِي غُرْضِ انْقِلَابِ الْقَسُوءِ إِلَى الْبَاطِنِ فِي سَيْرُورَةٍ تَهْذِيبِيَّةٍ اصْطَنَعَتْهَا أَخْلَاقِيَّاتُ الْجَمَاعَاتِ الْبُدَائِيَّةِ - مُحَدِّثَةً حَيْدُودَهُ عَنِ الْأَحْقَابِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْغَرَائِزُ الرَّهْبُوتِيَّةُ (التَّدْمِيرِيَّةُ) وَالرَّعْبُوتِيَّةُ تَتَمَرَّسُ فِي بَرَاحِ الْعَالَمِ بِلا زَادِجٍ أَوْ وَاوِجٍ - اقْتَرَنَ الضَّمِيرُ بِالذِّينِ الَّذِي كَانَ يَشُدُّ الْفَرْدَ إِلَى الْجَمَاعَةِ أَوْ إِلَى آلِهَتِهَا، لَا سِيَّمَا أَنَّ الْوَفَاءَ بِالذِّينِ فِي حِينِهَا كَانَ مَوْضِعَ شَعُورٍ بِالْفَخْرِ وَمَحَلَّ التَّقْدِيرِ فِي عُيُونِ أَفْرَادِهَا، وَمَا كَانَ لِلْإِخْلَالِ بِهِ أَنْ يُفْضِيَ إِلَى شَعُورٍ آخَرَ غَيْرِ الشَّعُورِ بِالذَّنْبِ (الضَّمِيرِ). مِنْ نَفَائِسٍ وَفَرَائِدَ مَا أَسْفَرَتْ عَنْهُ الْجَيْنِيَالُوجِيَا تَحَوُّلُ الذِّينِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ مِنَ الْاِسْتِعْمَالِ التِّجَارِيِّ بَيْنَ بَائِعٍ وَشَارٍ - بَعْدَ اكْتِشَافِ الْمُقَايَسَةِ وَالْمُقَايَسَةِ - إِلَى الْاِسْتِعْمَالِ الْأَخْلَاقِيِّ الْعُرْفِيِّ وَمِنْ ثَمَّ صِيرَ بِهِ إِلَى الْاِسْتِعْمَالِ الْكَهَنْتُوتِيِّ / الْاِلَاهُوتِيِّ، وَتَفْصِيلُ مَا قُنَاهُ عَلَى هَذَا النُّحْوِ: مَا كَانَ لِيُخْرِقَ الْفَرْدَ دَيْنَهُ تُجَاهَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا أَنْ يُحْدِثَ، فِي سِيَاقِ ثَقَافَةٍ مَحْكُومَةٍ بِعَصَبِيَّةِ الْاِئْتِمَاءِ إِلَى الْقَبِيلَةِ ثَوْشُكُ الْأَثَرِ بَيْنَ أَنَا الْفَرْدِ وَذَاتِ الْقَبِيلَةِ، إِلَّا وَخْزَ الضَّمِيرِ وَيَأْتِي عِقَابُ الْجَمَاعَةِ عَلَى جَرِيرَةِ الْإِخْلَالِ لِيَزِيدَهُ أَلَمًا، غَيْرَ أَنَّ الْقَانُونَ الْجِنَائِيَّ لِلْجَمَاعَاتِ الْبُدَائِيَّةِ فِي إِطَارِ مَا سَمَاهُ نِيْتَشَةُ بـ "أَخْلَاقِيَّةُ الْعَادَاتِ" لَمْ يَكُنْ لِيُؤَلِّدَ ضَمِيرًا شَقِيًّا يُرْهِقُ سَرِيرَةَ الْإِنْسَانِ وَيُعِيقُ حُرِّيَّتَهُ وَيُثَبِّطُ عَزِيمَتَهُ؛ لَا سِيَّمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَحَرَّكُ بِبَوَاعِثِ الثَّأْرِ وَالضَّغِينَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرْمِي إِلَى

التَّغْوِيضِ مِنَ الْخَسَائِرِ لَيْسَ إِلَّا، وَكَانَ الْإِخْلَالُ أَنْبَدَ يُعَدُّ قَضَاءً وَقَدَرًا شَأْنُهُ شَأْنُ النَّوَائِبِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ زَلَزِلٍ وَبَرَائِكِينَ.

وَمَا لَبِثَ هَذَا الْعِقَابُ الْبُدَائِيُّ أَنْ اسْتَقَرَّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى تَحَوَّلَ، خُصُوصًا مَعَ صُعُودِ الْأَخْلَاقِ الْكَهْنُوتِيَّةِ، إِلَى مَكِينَةٍ مَدْفُوعَةٍ بِالنَّارِ وَالْحِفْدِ عَلَى كُلِّ مَسَاعِي الْأَفْرَادِ الْمُقْتَدِرِينَ إِلَى الْإِنْعِتَاقِ مِنْ رِبْقَةِ الْأَخْلَاقِ وَبِمَعِيَةِ هَذَا التَّوَجُّهِ الْأَخْلَاقِيِّ/الْكَهْنُوتِيِّ لِلذَّنْبِ وَمَعْنَى الْعِقَابِ وَوُظِيفَتِهِ انْقِلَابَ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ مِنْ شُعُورِ اعْتِيَادِيٍّ وَطَبْعِيٍّ فِي مَقَامِ اقْتِصَادِ الْجَمَاعَةِ (التَّدْبِيرِ الْمُجْتَمَعِيِّ) إِلَى شُعُورٍ مُتَاصِلٍ بِالْإِثْمِ (ضَمِيرٍ شَقِيٍّ) فِي مَقَامِ تَوْظِيفِ أَخْلَاقِيٍّ كَهْنُوتِيٍّ غَايَتُهُ تَجْرِيدُ الْإِنْسَانِ مِنْ اقْتِدَارِهِ وَإِفْسَادُ سَجِيَّتِهِ وَزَعْرَعَةُ ثِقَتِهِ بِالنَّفْسِ وَالْوُجُودِ وَتَعْطِيلُ حَيَوِيَّتِهِ وَتَغْذِيبُ دِمَامِهِ (ضَمِيرِهِ) وَفِي غُضُونِ هَذَا كُلِّهِ رَزَحَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي مُحَاوَلَاتٍ خَائِبَةٍ لَتَسْدِيدِ دَيْنٍ يَتَعَذَّرُ تَسْدِيدُهُ مَا دَامَتِ الْخَطِيئَةُ مَوْرُوثَةً وَأَصْلِيَّةً وَالْمَسَافَةُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالِدَيَّانِ (الله) لَا تُرَدُّمٌ وَتَبَعًا لِذَلِكَ لَا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ الْوَفَاءُ بِالِدَيْنِ ثُجَاهَ الدَيَّانِ مُتَعَذِّرًا، وَزَادَ الطِّينَ بِلَهِّ التَّأْوِيلِ الْكَهْنُوتِيِّ الَّذِي تَأَوَّلَ الْأَلَمَ الْبَشَرِيَّ، بِمَا فِي ذَلِكَ أَلَمُ الضَّمِيرِ، عَلَى أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَهِيَّةٌ عَلَى وُجُودِ مُذْنِبٍ لَيْسَ إِلَّا ذَاتَ الْإِنْسَانِ.

وَسُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ الْإِثْمُ فِي غُرُضٍ ذَلِكَ مِنْ إِثْمِ الْمُقْتَدِرِينَ - بِاعْتِبَارِهِمْ سَبَبَ الشَّقَاوَةِ - إِلَى إِثْمِ الذَّاتِ لِنَفْسِهَا وَتَحْمِيلِهَا مَسْئُولِيَّةَ الشَّقَاءِ، وَأَلْفَ ذَلِكَ انْقِلَابًا ثَانِيًا عَلَى الذَّاتِ فَوْقَ الْانْقِلَابِ الْأَوَّلِ عَلَى الْغَيْرِ الَّذِي أَنْعَمَ النَّظَرُ فِيهِ الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ مِنْ مُصَنَّفِ الْجِينِيَالُوجِيَا وَالْانْقِلَابِ الثَّالِثِ عَلَى الْحَيَاةِ الَّذِي اسْتَطَرَّدَ فِي تَشْخِصِهِ الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ مِنْ ذَاتِ الْمُصَنَّفِ، وَمَا هَذَا التَّأْوِيلُ الْكَهْنُوتِيُّ لِلْأَلَمِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَحْدُو الْإِنْسَانَ عَلَى إِثْمِ ذَاتِهِ إِلَّا وَصْلَةُ الْكَاهِنِ لِفَصْلِ الْاِقْتِدَارِ الْإِنْسَانِيِّ عَمَّا فِي مَكْتَبِهِ اصْطِنَاعُهُ وَعَمَّا فِي طَوْلِهِ بُلُوغُهُ. بِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّأْوِيلِ صِيرَ بِالْأَلَمِ مِنَ التَّأْوِيلِ الدِّيُونِيزُوسِيِّ، الَّذِي تَضَلَّعَ مِنْهُ الْمُقْتَدِرُونَ مِنْ شُعُوبِ الْعَالَمِ جَاعِلِينَ إِيَّاهُ اسْطِقْسًا مُحَايَاً مِنْ اسْطِقْسَاتِ الْوُجُودِ وَحَافِزًا مِنْ مُحَفِّزَاتِ صَقْلِ الْأَذْهَانِ وَدَاعِيًا مِنْ دَوَاعِي خُشُوعَةِ الْجُسُومِ وَغِلْظَةِ الطَّبَاعِ، إِلَى التَّأْوِيلِ الْكَهْنُوتِيِّ الَّذِي حَسَبَ الْأَلَمَ نَتِيجَةَ الْإِثْمِ وَحُجَّةً عَلَى الْوُجُودِ (لَا لَهُ) وَذَرِيعَةً لِلتَّسْيِدِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ وَحَضَارَتِهَا، إِذْ لَوْلَا إِقْتِنَاعُ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنَّهَا كُتِلَةٌ مُتَحَرِّكَةٌ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَالْأَلَامِ وَالْحُطَامِ، مَا كَانَ لِيَتَيَسَّرَ لِلْكَهَانِ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا.

مَا كَانَ لِلْمَنْهَجِ الْجِينِيَالُوجِيِّ لِيَكْتَفِيَ بِتَحْلِيلِ مَفَاهِيمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالضَّمِيرِ وَإِنَّمَا كَانَ لِرَامَا عَلَيْهِ تَجَاوُزَهَا إِلَى تَحْلِيلِ الْمُثُلِ الْعُلْيَا الزُّهْدِيَّةِ الَّتِي اسْتَطَالَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ حَتَّى غَدَتِ الرُّؤْيَا الرَّاسِخَةُ الَّتِي تَوَسَّلَتْهَا الْإِنْسَانِيَّةُ فِي إدْرَاكِهَا لِلذَّاتِ وَالْعَالَمِ؛ لَا سِيَّمَا إِنْ عَلِمْنَا بِوُقُوفِ الْمُنْظُومَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ عَلَى تَنَوُّعِهَا عَلَى مُثُلٍ عُلْيَا يَصُبُّو إِلَيْهَا الْوُجْدَانُ وَتَتَوَخَّاهَا النَّوَايَا وَتَتَقَيَّدُ بِهَا الْأَفْعَالُ. وَلَمْ تَكُنْ هَذِي الرُّؤْيَا أَيْ رُّؤْيَا بَلْ رُّؤْيَا مُتَقَوِّمَةً بِالْإِنْصِرَافِ عَنِ الْعَالَمِ فِي طَائِعِهِ الْحِسِّيِّ وَالْجُسْمَانِيِّ، فِي جُزْئِهِ الْغَرِيزِيِّ وَالْهَوَوِيِّ، بِعِبَارَةٍ أُخْرَى مَا الْمُثُلُ الْعُلْيَا الزُّهْدِيَّةُ سَوَى تَصْرِيفِ كَهْنُوتِيٍّ لِلْمَعْنَى وَإِضْفَاءٍ لِلْمَغْزَى عَلَى الْحَيَاةِ وَتَسْوِيفًا لِلْأَلَمِ وَالسَّأَمِ، بِمُقْتَضَاهُمْ تَدْعَى الْإِنْسَانِيَّةُ إِلَى تَنَاوُلِ ثُرَيَّاكِ نُسْكِيٍّ لِعَبَثِيَّةِ الْوُجُودِ وَوَجَعِ الْحَيَاةِ وَذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، بِالْأُخْرَى مِنَ الْحَيَاةِ، عَلَى الْأَيَّتَابِ مِنْهَا إِلَّا بِإِزَادَةِ الْعَدَمِ. لَكِنْ هَذَا الْمُثُلُ الْأَعْلَى

الرُّهْدِيُّ، بِاعْتِبَارِهِ إِرَادَةَ عَدَمٍ، يُضْمِرُ تَنَاقُضًا دَاخِلِيًّا نَظَرًا لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً مُحَاتِلَةً يَتَوَسَّلُهَا الْكُهَّانُ، وَمَنْ اسْتَنُوا بِسُنَّتِهِمْ، فِي صِرَاعِهِمْ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ، لِذَا فَهُوَ صِرَاعُ الْحَيَاةِ ضِدَّ الْمَوْتِ، وَلَيْسَ صِرَاعُ الْمَوْتِ ضِدَّ الْحَيَاةِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ أَيْ حَيَاةً وَإِنَّمَا حَيَاةً أَيْلَةً إِلَى الْهَلَاكِ وَالتَّفَكُّكِ تُصَارِعُ مِنْ أَجْلِ مَارِبِهَا وَمَصَالِحِهَا (بِوَسَاطَةِ تَلَكُّمِ الْمَثَلِ).

هَذَا مَا يَجْعَلُ الْمَثَلَ الْأَعْلَى الرُّهْدِيَّ، مِنْ حَيْثُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاةِ الْمُحْتَضِرَةِ، تَغْيِيرًا عَنْ تَشَبُّثٍ مَرَضِيٍّ بِالْحَيَاةِ بِأَيِّ تَمَنٍّ يُلَوِّحُ بِأَيِّ شَيْءٍ وَلَوْ بِالْعَدَمِ وَالْآخِرَةِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ أَوْ السُّلْطَانِ، وَتَبَعًا لِهَذَا الْمَنْظُورِ تَعُدُّو دَارَ الْحَيَوَانِ مَفْهُومًا يَجِدُ مَنَشَأَهُ فِي رَغْبَةٍ مَرَضِيَّةٍ فِي اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ وَفَقْ مَقُولَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ فَصْلُهَا عَنْ خَاصِيَّتِهَا الْأَوْنَطُولُوجِيَّةِ الْمَوْسُومَةِ بِ: التَّنَاهِي *la finitude* وَيَكْشِفُ هَذَا الصَّنِيعُ عَنْ دَفْعٍ لِلْحَيَاةِ إِلَى مَا وَرَاءَ حُدُودِهَا، أَغْنِي أَبْعَدَ مِنَ الْوُجُودِ الْعَرَضِيِّ. لَكِنْ هَذَا لَا يَغْنِي أَنَّ سَدَنَةَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى الرُّهْدِيَّ مُنْصَرِّفُونَ عَنْ الْمَطَامِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِي انْتِظَارِ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَإِنَّمَا مَنْظُومَتُهُمُ الرُّهْدِيَّةُ نَفْسُهَا تَغْيِيرٌ عَنْ مَطَامِحِ دُنْيَوِيَّةٍ إِلَى السُّلْطَانِ وَالسِّيَادَةِ، وَلَشَدَّ مَا غَاضَدَ تَارِيخُ رَجَالَاتِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، مِنْ أَلْصَحَابَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، هَذَا التَّأْوِيلَ الطَّرِيفَ؛ إِذْ بَشَّرُوا بِالْمَثَلِ الرُّهْدِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْمَقَالِ، بَيَّنَّمَا أَسْرَفُوا عَلَى مُسْتَوَى الْحَالِ فِي طَلَبِ الْإِمَامَةِ وَالْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَمَلَذَاتِ الدُّنْيَا.

لَا يَحْسَبَنَّ أَحَدٌ، فِي سِيَاقِ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الْأَطْرُوحَةُ مِنْ نَتَائِجٍ، أَنَّ الْمَثَلَ الْأَعْلَى الرُّهْدِيَّ، بِاعْتِبَارِهِ اتِّقَاءً لِلْحَيَاةِ فِي غَرَائِزِهَا وَرَغْبَاتِهَا، مَائِلٌ فَقَطْ فِي الْمَقَامِ الدِّينِيِّ الْكَهْنُوتِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ مَائِلٌ فِي الْمَقَامِ الْعِلْمَانِيِّ وَمُتَسَرِّبٌ فِي مُخْتَلَفِ أَصْعَدَةِ الْحَيَاةِ نَحْتِ أَفْنَعَةٍ شَتَّى وَصُورٍ مُتَنَكِّرَةٍ عَدِيدَةٍ، إِذْ يَتَجَلَّى فِي الْفَنِّ فِي هَيْئَةٍ مُهَارَسَةٍ مُعْرِضَةٍ عَنِ الْغَرَضِ (كَانِطُ) وَالْإِرَادَةِ (شُوبِنِهَاورُ)، وَيُظْهِرُ فِي الْعِلْمِ فِي شَكْلِ الْإِعْتِقَادِ فِي عَقْلِ خَالِصٍ وَحِيَادٍ مَوْضُوعِيٍّ وَحَقِيقَةٍ ثَابِتَةٍ، وَهُوَ اعْتِقَادٌ يَنْطَوِي عَلَى تَجَرُّدٍ مِنَ الذَّاتِيَّةِ وَالْحَسِيَّةِ وَالصَّيُورَةِ، مَا يُصَيِّرُ مَقُولَاتِ الْعِلْمِ عَنَاصِرَ فَوْقَ التَّارِيخِ وَلَوْازِمِهِ، وَفَوْقَ الشَّرْطِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَطَبَائِعِهَا. وَمَا كَانَتْ غَايَةُ نِيَّتِهِ هَذِهِ إِلَّا تَجَاوُزَ الْقِيَمِ الْكَهْنُوتِيَّةِ (الْمَسِيحِيَّةِ) لَا عَلَى مُسْتَوَى الْعَقِيدَةِ فَقَطْ (وَهُوَ الَّذِي حَدَثَ فِعْلًا فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الَّذِي قَتَلَ اللَّهُ) بَلْ عَلَى مُسْتَوَى الْقِيَمِ جَمْعَاءَ، أَكَانَتْ أَخْلَاقِيَّةً أَمْ فَنِيَّةً، وَعَلَى مُسْتَوَى الْمَعَارِفِ، أَكَانَتْ فَلَسَفِيَّةً أَمْ عِلْمِيَّةً؛ حِينَئِذٍ تَسْتَعِيدُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَرَاءَتَهَا الثَّانِيَةَ وَيَبْجِسُ عَصْرُ قِيَمٍ جَدِيدٍ قَائِمٍ عَلَى إِجْلَالِ لِلْغَرَائِزِ وَفِي عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى تَمْجِيدِ لِلْحَيَاةِ فِي طَبَائِعِهَا الْحَيَوِيَّةِ.

مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَضْرِبَ عَنْهُ خَاتِمَتُنَا صَفْحًا صَلَةُ الشَّقِّ الْأَوْنَطُولُوجِيِّ مِنْ أَطْرُوحَتِنَا بِشَقِّهَا الْأَكْسِيُولُوجِيِّ؛ لِذَلِكَ ضَرَبْتُ مُقَارَبَتُنَا التَّأْوِيلِيَّةَ أَطْنَابَهَا عَلَى تَبْيَانِ انْبِئَاءِ الْقِيَمِ لَدَى نِيَّتِهِ عَلَى الْوُجُودِ، أَغْنِي إِقَامَةَ النَّظَرِ الْإِعْتِبَارِيِّ عَلَى حَالَةِ الْأَشْيَاءِ عُمُومًا وَعَلَى عَيْنِيَّةِ الْعَالَمِ فِي بُعْدِهِ الْبِيُولُوجِيِّ - الْفِيْزِيُولُوجِيِّ خُصُوصًا، وَهَذَا مَا حَدَانَا عَلَى عَدِّ الشَّمَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ النَّبِيلَةِ الَّتِي مَا بَرَحَ نِيَّتُهُ يَمْتَدِّحُهَا وَيَكْرِزُ بِهَا- وَهِيَ خِصَالُ فُرُوسِيَّةِ *Qualité héroïques* دِيْنَامِيكِيَّةٌ تُمَجِّدُ الْحَرْبَ وَالْكِفَاحَ وَالْإِفْدَامَ- نَقْلًا لِحَوَاصِ الْوُجُودِ، بِاعْتِبَارِهِ صِرَاعًا وَتَرَاتُبًا وَصَيُورَةً، إِلَى صَعِيدِ الْقِيَمِ، وَهَذَا النُّقْلُ أَوْ بِالْأُخْرَى هَذَا الْقِيَاسُ

لِلْقِيَمِ (حَالَاتِ النَّظَرِ أَوْ التَّوَيِّزِيسِ νόσις / *noēsis* / *noëse*) عَلَى الْوُجُودِ (حَالَاتِ الشَّيْءِ أَوْ الْفِيْزِيسِ *physis* / *phýsis* / *φύσις*) أَصْفَرَ عَنِ اتِّسَاقِ نَيْتَشَةِ وَبَقَائِهِ وَفِيَّاءَ عَلَى الْأَقْلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِتَوْكِيدِيَّتِهِ الدِّيُونِيزُوسِيَّةِ الَّتِي تُعَايِرُ الْأَشْيَاءَ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، بِقِسْطَاسِ الْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ كَذَلِكَ ؛ فَلَمَّا وَضَعَ أَرِسْطُو تَمْيِيزًا بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ النَّظَرِيَّةِ (الْأُونْتُولُوجِيَا) وَالْمَعْرِفَةِ الْعَمَلِيَّةِ (الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ) لِأَسْبَابِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا ثَبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي الْمَعْرِفَةِ الْأُولَى وَتَغْيِيرُهُ فِي الْمَعْرِفَةِ الثَّانِيَةِ ؛ وَعَطَلَ اسْبِينُوزَا فِي الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ (السِّيَاسَةِ) مَا قَرَّرَهُ فِي الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ (أَعْنِي تَعْطِيلَ الْجَبَرِيَّةِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْأُونْتُولُوجِيِّ) لِيُفْسِحَ الْمَجَالَ لِلْحُرِّيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ) وَمُنَافَهَظَةِ الْاسْتِبْدَادِ ؛ وَمَيَّزَ كَانِطُ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ الْمُتَكَيِّ عَلَى مُسَلَّمَاتٍ مِيتَافِيزِيْقِيَّةٍ أَهْمُهَا الْحُرِّيَّةُ مِنَ الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ (الْفَاهِمَةِ) الَّذِي يَسْتَبْعِدُهَا ؛ فَإِنَّ نَيْتَشَةَ طَلَّ مُلْتَزِمًا بِلَوَازِمِ الْأُونْتُولُوجِيَا الَّتِي قَرَّرَهَا ، فَاشْتَقَّ مِنْهَا فِي الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ أَخْلَاقًا اقْتِدَارِيَّةً إِنَّ تَقْيِيدَنَا بِهَا اسْتَعْبَدَ وَقَتْلَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَإِنْ وَجَّهْنَاهَا وَتَأَوَّلْنَاهَا تَبَعًا لِتَنْوِيرِيَّةِ عَقْلَانِيَّةِ اسْهَمَتْ فِي تَنْوِيرِنَا وَتَخْرِيرِنَا.

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ أ- المصادر

1- أَعْمَالُ نِيْتَشَه الْكَامِلَةُ بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ

1. Nietzsche, (F.), OEUVRES I, Robert Laffont, Paris, 1993, contenant:

La naissance de la tragédie

Considérations inactuelles: I David Strauss

II De l'utilité et de l'inconvénient de l'histoire pour la vie

III Schopenhauer éducateur

IV Richard Wagner à Bayreuth

Humain, trop humain

Le voyageur et son ombre

Aurore

2. Nietzsche, (F.), OEUVRES II, Robert Laffont, Paris, 1993, contenant:

Le Gai Savoir

Ainsi parlait Zarathoustra

Par-delà le bien et le mal

La Généalogie de la morale

Le Cas Wagner

Le crépuscule des idoles

L'Antéchrist

Ecce Homo

Nietzsche contre Wagner

Dithyrambes de Dionysos.

Nietzsche, (F.), Ecrits posthumes, Paris, Gallimard, 1975.

3. Friedrich Nietzsche: œuvres ; Flammarion:

Table des matières

Préface par Patrick Wotling.

Gai savoir, Trad. par Patrick Wotling.

Ainsi parlait Zarathoustra, Trad. par Geneviève Bianquis .

Par-delà bien et mal, Trad. par Patrick Wotling .

Généalogie de la morale, Trad. par Eric Blondel, Old Hansen —love, Théo Leydenbach.

Le cas de Wagner, Trad. par Henri Albert .

Le crépuscule, des idoles Trad. par Henri Albert.

L'antéchrist, Trad. par Eric Blondel.

Ecce homo, Trad. par Eric Blondel.

Nietzsche contre Wagner, Trad. par Eric Blondel.

4. Friedrich Nietzsche: Œuvres complètes (24 titres annotés et illustrés), Arvensa Editions, 15 juil. 2014 — 8802 pages.

5. Œuvres philosophiques complètes, Gallimard. Les volumes ci-dessous sont ceux cités par défaut dans le texte (l'abréviation utilisée lors des citations est placée à gauche, de façon à former une table des abréviations).

(NT) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome I, Volume 1, La naissance de la tragédie, Fragments posthumes Automne 1869 — Printemps 1872, Trad. par Michel Haar, Philippe Lacoue-Labarthe, Jean Luc Nancy, Gallimard, NRF, Paris, 1972.

(EP) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome I, Volume 2, Ecrits posthumes Automne 1870-1873: Sur l'avenir de nos établissements d'enseignement ; La philosophie à l'époque tragique des Grecs ; Vérité et mensonge au sens extra-moral, Trad. par Jean-Louis Backes, Michel Haar, Marc B. de Launay, Gallimard, NRF, Paris, 1975.

(CI V1) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome II, Volume 1, Considérations inactuelles I et II, Fragments posthumes Été 1872 — Hiver 1873-1874, Trad. par Pierre Rusch, Gallimard, NRF, Paris, 1990.

(CI V2) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome II, Volume 2, Considérations inactuelles III et IV, Fragments posthumes Début 1874 — Printemps 1876, Trad. par Henri Alexis Baatsch, Pascal David, Cornélius Heim, Philippe Lacoue-Labarthe, Jean-Luc Nancy, Gallimard, NRF, Paris, 1988.

(HTH) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome III, Volume 1, Humain, trop humain. Un livre pour esprits libres, Fragments posthumes 1876-1878, Trad. par Robert Rovini, revue par Marc B. de Launay Gallimard, NRF, Paris, 1988.

(HTH2) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome III, Volume 2, Humain, trop humain. Un livre pour esprits libres, Fragments posthumes 1878-1879, Trad. par Robert Rovini, revue par Marc B. de Launay, Gallimard, NRF, Paris, 1988.

(DD) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome IV, Aurore, Pensées sur les préjugés moraux, Fragments posthumes 1879-1881, Trad. de l'allemand par Julien Hervier, Gallimard, NRF, Paris, 1970.

(GS) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome V, Le gai savoir, Fragments Posthumes Été 1881 — été 1882, Trad. par Pierre Klossowski revue par Marc de Launay, Gallimard, NRF, Paris, 1982.

(APZ) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome VI, Ainsi parlait Zarathoustra, Trad. par Maurice de Gandillac, Gallimard, NRF, Paris, 1971.

(PBM ou GM) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome VII, Par-delà bien et mal & La généalogie de la morale, Trad. par Cornélius Heim, Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, Gallimard, NRF, Paris, 1971.

(CW ou Cid ou Ant ou EH ou NW) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome VIII, Volume 1, Le cas Wagner, Crépuscule des Idoles, L'Antéchrist, Ecce Homo, Nietzsche contre Wagner, Trad. par Jean-Claude Hémery, Gallimard, NRF, Paris, 1974.

(DD) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome VIII, Volume 2, Dithyrambes de Dionysos, poèmes et fragments poétiques posthumes, Trad. par Jean-Claude Hémery, Gallimard, NRF, Paris, 1974.

- (FP X) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome X, Fragments posthumes, Printemps-automne 1884, Trad. par Jean Launay, Gallimard, NRF, Paris, 1982.
- (FP XI) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome XI, Fragments posthumes, Automne 1884-Automne 1885, Trad. par Michel Haar et Marc B. de Launay, Gallimard, NRF, Paris, 1982.
- (FP XII) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome XII, Fragments posthumes, Automne 1885—Automne 1887, Trad. par Julien Hervier, Gallimard, NRF, Paris, 1978.
- (FP XIII) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome XIII, Fragments posthumes, Automne 1887-Mars 1888, Trad. par Pierre Klossowski, Gallimard, NRF, Paris, 1976.
- (FP XIV) Nietzsche, Œuvres philosophiques complètes, Tome XIV, Fragments posthumes, Début 1888 — début janvier 1889, Trad. par Jean Claude Hémerly, Gallimard, NRF, Paris, 1977.
6. Friedrich Nietzsche, Œuvres, Trad. de l'allemand par Henri-Alexis Baatsch, Jean-Louis Backès, Pascal David, Francesco Fronterotta, Michel Haar, Philippe Lacoue-Labarthe, Marc de Launay, Alain Pernet et Pierre Rusch. Édition publiée sous la direction de Marc de Launay avec la collaboration de Michèle Cohen-Halimi, Marc Crépon, Pascal David, Paolo D'Iorio, Francesco Fronterotta, Max Marcuzzi et Pierre Rusch, Bibliothèque de la Pléiade, 2000. Volume 1. Deuxième volume Traduit de l'allemand par Dorian Astor, Julien Hervier, Pierre Klossowski, Marc de Launay et Robert Rovini. Édition publiée sous la direction de Marc de Launay avec la collaboration de Dorian Astor, Bibliothèque de la Pléiade, 2019.
7. Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, publiées sous la direction de Henri Albert, Paris, Société du Mercure de France, Paris.

2- التَرْجَمَاتُ الْفَرْدِيَّةُ لِأَعْمَالِ نِيْتَشْه بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ

1. La Naissance de la tragédie, Trad. par Geneviève Bianquis, Gallimard, Paris, 1940.
2. La Naissance de la tragédie, Trad. par Cornélius Heim, Gonthier, Paris, 1964.
3. La naissance de la philosophie à l'époque de la tragédie grecque, Trad. par Geneviève Bianquis, N.R.F, Paris, Gallimard, 1938.
4. Les philosophes préplatoniciens, Trad. par Nathalie Ferrand, Combas, Éditions de l'Éclat, 1994.
5. Le Gai Savoir, la gaya scienza, Trad. par Pierre Klossowski, Folio, 1989.
6. Le Gai Savoir, Henri Albert, revue par Marc Sautet, Le Livre de Poche, 1993.
7. Le Gai Savoir, Patrick Wotling, Flammarion, 1998, rééd. 2007
8. Ainsi parla Zarathustra, Trad. par Geneviève Bianquis, Bilingue, Aubier Flammarion, Paris, 1969.
9. Par-delà le bien et le mal, Trad. par Geneviève Bianquis, Aubier, 1951.
10. Par-delà le bien et le mal, présentation et Trad. par Angèle Kremer-Marietti, Marabout 1975. (réédition L'Harmattan, collection « Commentaires philosophiques », 2006).

11. Par-delà bien et mal, Trad. inédite, présentation, notes, bibliographie et index par Patrick Wotling, Garnier-Flammarion, 2000.
12. Généalogie de la morale, Trad. Angèle Kremer-Marietti, Union générale d'éditions, coll. 10/18, 1974 ; rééd. L'Harmattan, Paris, 2006.
13. Généalogie de la morale, Éric Blondel, Ole Hansen-Løve, Théo Leydenbach, Pierre Pénisson, Garnier-Flammarion, Paris, 2000, rééd. 2011.
14. Crépuscule des idoles, Trad. par Jean-Claude Hémery, Folio, 1988.
15. Crépuscule des idoles, Trad. par Patrick Wotling, Garnier-Flammarion, 2005.
16. L'Antéchrist, Trad. par Jean-Claude Hémery, Gallimard, 1974.
17. L'Antéchrist, Trad. par Éric Blondel, Garnier-Flammarion, 1993.
18. Ecce homo, Trad. par Alexandre Vialatte, Gallimard, 1942.
19. Volonté de puissance, Trad. De l'allemand par Geneviève Bianquis, texte établi par Friedrich Würzbach, Gallimard, quatre Tomes, deux volumes. Paris, 1995.
20. La volonté de puissance, Essai d'une transmutation de toutes les valeurs, Librairie Générale Française, Le livre de Poche, Paris, 1991 (1903).
21. Œuvres posthumes, Henri Jean Bolle, Mercure de France, 1934.
22. Écrits posthumes (1870-1873), Trad. de l'allemand par Jean-Louis Backès, Michel Haar et Marc de Launay, Edition Gallimard, 1975.

3- أَعْمَالُ نِيْتَشَه الكَامِلَةُ بِاللِّسَانِ الْإِنْجَلِيزِيِّ

1- The Complete Works of Friedrich Nietzsche (Stanford University Press) under the editorial direction of Alan D. Schrift, Duncan Large, and Adrian Del Caro:

1. The Birth of Tragedy/Unpublished Basel Writings (Winter 1869/70—Fall 1873)
2. Unfashionable Observations
3. Human, All Too Human I
4. Human, All Too Human II/Unpublished Fragments from the Period of Human, All Too Human II (Spring 1878—Fall 1879)
5. Dawn
6. The Joyful Science/Idylls from Messina/Unpublished Fragments from the Period of The Joyful Science (Spring 1881—Summer 1882)
7. Thus Spoke Zarathustra
8. Beyond Good and Evil/On the Genealogy of Morality
9. The Case of Wagner/Twilight of the Idols/The Anti-Christian/Ecce Homo/Dionysus-Dithyrambs/Nietzsche Contra Wagner
10. Unpublished Fragments from the Period of The Birth of Tragedy (Fall 1869—Spring 1872)
11. Unpublished Writings from the Period of Unfashionable Observations
12. Unpublished Fragments from the Period of Human, All Too Human I (Winter 1874/75—Winter 1877/78)
13. Unpublished Fragments from the Period of Dawn (Winter 1879/80—Spring 1881)

14. Unpublished Fragments from the Period of Thus Spoke Zarathustra (Summer 1882—Winter 1883/84)
15. Unpublished Fragments from the Period of Thus Spoke Zarathustra (Spring 1884—Winter 1884/85)
16. Unpublished Fragments (Spring 1885—Spring 1886)

2- The Complete Works of Friedrich Nietzsche by Friedrich Wilhelm Nietzsche, edited by Oscar Levy, translated by William A. Haussmann, Maximilian A. Mügge, J. M. Kennedy, Anthony M. Ludovici, Adrian Collins, Helen Zimmern, Thomas Common and Horace Barnett Samuel contrib. By Robert Guppy and Paul V. Cohn:

Volume 1 (originally 3): The Birth of Tragedy, or Hellenism and Pessimism (tr. Haussmann ; 1910).

Volume 2: Early Greek Philosophy and Other Essays (tr. Mugge ; 1911).

Volume 3 (originally 6): On the Future of Our Educational Institutions ; Homer and Classical Philology (tr. Kennedy ; 1909).

Volume 4 (originally 1): Thoughts Out of Season, Part I: (tr. Ludovici ; 1910).

Volume 5 (originally 2): Thoughts Out of Season, Part II: (tr. Collins ; 1909).

Volume 6 (originally 7): Human, All-Too-Human, Part I: (tr. Zimmern ; 1909).

Volume 7: Human, All-Too-Human, Part II: (tr. Cohn ; 1911).

Volume 8: The Case of Wagner (tr. Ludovici) ; We Philologists (tr. Kennedy) (1911).

Volume 9: The Dawn of Day (tr. Kennedy ; 1911).

Volume 10: The Joyful Wisdom (tr. Common ; 1910).

Volume 11 (originally 4): Thus Spake Zarathustra (tr. Common ; 1909).

Volume 12 (originally 5): Beyond Good and Evil (tr. Zimmern ; 1909).

Volume 13: The Genealogy of Morals (tr. Samuel) ; Peoples and Countries (tr. Kennedy) (1913).

Volume 14: The Will to Power, Books 1 and 2 (tr. Ludovici ; third edition, 1914).

Volume 15: The Will to Power, Books 3 and 4 (tr. Ludovici ; 1910).

Volume 16: The Twilight of the Idols (tr. Ludovici ; 1911).

Volume 17: Ecce Homo (tr. Ludovici ; 1911).

Volume 18: Index to Nietzsche (Guppy and Cohn, 1913).

3- تَرْجَمَاتُ أُخْرَى لِأَعْمَالِ نِيْتَشَه بِاللِّسَانِ الْإِنْجِلِيزِيِّ

1. The Antichrist, Walter Kaufmann (trans.), In The Portable Nietzsche, Walter Kaufmann (ed.), New York, Viking Press, 1968.
2. Beyond Good and Evil, Walter Kaufmann (trans.), New York, Random House, 1966.
3. The Birth of Tragedy, Walter Kaufmann (trans.), In The Birth of Tragedy and The Case of Wagner, New York, Random House, 1967.
4. The Case of Wagner, Walter Kaufmann (trans.), in The Birth of Tragedy and The Case of Wagner, New York, Random House, 1967.
5. Daybreak, Thoughts on the Prejudices of Morality, R. J. Hollingdale (trans.), Cambridge, Cambridge University Press, 1982.

6. Ecce Homo, How One Becomes What One Is, Walter Kaufmann (trans.), In On the Genealogy of Morals and Ecce Homo, New York, Random House, 1967.
7. The Gay Science, with a Prelude of Rhymes and an Appendix of Songs, Walter Kaufmann (trans.), New York, Random House, 1974.
8. Human, All Too Human, A Book for Free Spirits, R. J. Hollingdale (trans.), Cambridge, Cambridge University Press, 1986.
9. Nietzsche Contra Wagner, Walter Kaufmann (trans.), In The Portable Nietzsche, New York, Viking Press, 1968.
10. On the Genealogy of Morals, Walter Kaufmann and R.J. Hollingdale (trans.), In On the Genealogy of Morals and Ecce Homo, New York, Random House, 1967.
11. Philosophy and Truth, Selections from Nietzsche's Notebooks of the Early 1870s, Daniel Breazeale (trans. and ed.), Atlantic Highlands, N.J., Humanities Press, 1979.
12. Philosophy in the Tragic Age of the Greeks, Marianne Cowan (trans.), Chicago, Henry Regnery Company, 1962.
13. Thus Spoke Zarathustra, Walter Kaufmann (trans.), In The Portable Nietzsche, New York, Viking Press, 1968.
14. Twilight of the Idols, Walter Kaufmann (trans.), In The Portable Nietzsche, New York, Viking Press, 1968.
15. Untimely Meditations, R. J. Hollingdale (trans.), Cambridge, Cambridge University Press, 1983.
16. The Will to Power, Walter Kaufmann (trans.), New York, Random House, 1967.
17. The Will to Power, Selections from the, Notebooks of the 1880s, Translated by R. Kevin Hill and Michael A. Scarpitti , Edited, with an Introduction and Notes, by R. Kevin Hill, 2017.

ب-المراجع

- 1- مَرَاجِعُ تَنَاولَتْ بِشَكْلِ خَاصٍّ مَفْهُومَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عِنْدَ نِيَتَشِه بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ
 1. Wolfgang Muller-Luter, Nietzsche : physiologie de la volonté de puissance, Edition Allia 1992.
 2. Pierre Montebello, Nietzsche : la volonté de puissance, PUF, 2001.
- 2- مَرَاجِعُ تَنَاولَتْ بِشَكْلِ خَاصٍّ مَفْهُومَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ عِنْدَ نِيَتَشِه بِاللِّسَانِ الْاِنْجِلِيزِيِّ
 - 1- Brian Lightbody, Nietzsche's Will to power naturalized, translating the human into nature and nature into the human, Lexington Books, 2017.
 - 2- Jean-Etienne Joullié, Will to Power, Nietzsche's Last Idol, Palgrave Macmillan UK, 2013.
 - 3- Linda L. Williams, Nietzsche's mirror, the world as will to power, Rowman & Littlefield Publishers, 2001.
 - 4- Tsarina Doyle, Nietzsche's Metaphysics of the Will to power, The possibility of Value, Cambridge University Press.2018.

3- مَرَاجِعُ تَنَاولَتْ بِشَكْلِ خَاصِّ النَّظَرِيَّةِ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةِ عِنْدَ نِيْتَشِه بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ
(الْقِيمِ، الْمَنْهَجُ الْجِينِيَالُوجِي، الْأَخْلَاقُ)

1. Andre Staguennec, Le questionnement moral de Nietzsche, Presses Univ. Du Septentrion 2005.
2. Alfred Fouillée, Nietzsche et l'immoralisme, Félix Alcan, Paris, 1902.
3. Ariane Bilheran, La maladie, critère des valeurs chez Nietzsche, prémices d'une psychanalyse des affects, chapitre phénoménologie descriptive de la maladie, Harmattan 2005.
4. Armand Quinot, Nietzsche philosophe de la valeur, contribution à l'histoire de l'axiologie, Microfiche de la Bnf, 1956.
5. Bertrand Dejudin, L'art et la vie : Ethique et esthétique chez Nietzsche, L'Harmattan, 2008.
6. Georges Goedert, Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes: souffrance et compassion, Edition Beauchesne, 1977.
7. Guillaud Frédéric, Par-delà le bien et le mal — Nietzsche, Editions Bréal, 2002.
8. Harold Bernat-Winter, Nietzsche et le problème des valeurs, Editions L'Harmattan, 2006.
9. Yvon Quiniou, Nietzsche ou l'impossible immoralisme: lecture matérialiste, Atelier Nat. de Reprod. des Thèses de l'Univ. de Lille 3, 1993.

4- مَرَاجِعُ تَنَاولَتْ بِشَكْلِ خَاصِّ النَّظَرِيَّةِ الْأَكْسِيُولُوجِيَّةِ عِنْدَ نِيْتَشِه بِاللِّسَانِ الْإِنْجِلِيزِيِّ
(الْقِيمِ، الْمَنْهَجُ الْجِينِيَالُوجِي، الْأَخْلَاقُ)

1. Aaron Ridley, Nietzsche's Conscience_ Six Character Studies from the Genealogy, Cornell University Press, 1998.
2. Brian Leiter, Nietzsche on morality, London, New York, Routledge, 2002.
3. Christopher Janaway, Beyond Selflessness. Reading Nietzsche's Genealogy, New York, Oxford University Press, 2007.
4. Christopher Janaway, Beyond Selflessness: Reading Nietzsche's Genealogy Oxford University Press, 2007.
5. David Owen, Nietzsche's Genealogy of Morality, First published In 2007, by Acumen.
6. Edgar Evalt Sleinis, Nietzsche's Revaluation of Values: A Study in Strategies, University of Illinois Press, 1994.
7. Guy Elgat, Nietzsche's Psychology of Ressentiment: Revenge and Justice in On the Genealogy of Morals, Routledge, 2017.
8. John Richardson, Nietzsche's Values, Oxford University Press, 2020.
9. Lawrence J. Hatab, Nietzsche's 'On the Genealogy of Morality, An Introduction, Cambridge University Press, 2008.
10. Lester H. Hunt, Nietzsche and the Origin of Virtue, Routledge, 4 août 2005.
11. Laurence Lampert, Nietzsche's Task: An Interpretation of Beyond Good and Evil, Yale University Press, 2008.

12. Mark Alfano, Nietzsche's Moral psychology, Cambridge University Press, 29 août 2019.
13. Richard Schacht, Nietzsche, Genealogy, Morality, University of California Press, 1994.
14. Simon May, Nietzsche's Ethics and his War on "Morality". Oxford, Clarendon Press. 1999.
15. Simon May, Nietzsche's On the Genealogy of Morality: A Critical Guide, Cambridge University Press, 2011.

5- المَرَاجِعُ النِّيتْشَوِيَّةُ الْمُتَخَصِّصَةُ فِي مَوْضُوعَاتٍ أُخْرَى بِاللِّسَانِ الْفَرَنْسِيِّ

1. Alain Juranville, Physique de Nietzsche, Edition Denoel, Paris, 1973.
2. Alain Boyer et Aautre, Pourquoi nous ne sommes pas nietzschéens, Grasset, Paris, 1991.
3. Alphonse Vanderheyde, Nietzsche et la pensée bouddhiste, L'harmattan, 2007.
4. Althsar Thomass, S'affirmer avec Nietzsche, Edition Eyrolles, 2010.
5. Andrei Bely, Nietzsche, Edition Paris Stalker, 2006.
6. Angèle Kremer-Marietti, Nietzsche, l'homme et ses labyrinthes, L'Harmattan, Paris 1999.
7. Angèle Kremer-Marietti, Thèmes et structures dans l'œuvre de Nietzsche, Lettres Modernes, 1957.
8. Augine Fink, La philosophie de Nietzsche, , Edition de minuit, Paris, 1965.
9. B. Avrain, Nietzsche et la petite Thérèse, Alba Nova, Paris, 1988.
10. B. Endelman, Nietzsche, un continent perdu, PUF, Paris, 1999.
11. Barbara Stiegler, Nietzsche et la critique de la chair, Dionysos, Ariane, le Christ, PUF, 2005.
12. Bernard Pautrat, Versions du soleil, figures et système de Nietzsche, Edition du Seuil, 1971.
13. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée ; les précurseurs de Nietzsche, Tome 1 ; 3 Edition Bossard.
14. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée, la jeunesse de Nietzsche, Tome 2, 3 Edition Bossard.
15. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée, le pessimisme esthétique de Nietzsche, Tome 3, 3 Edition Bossard.
16. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée, Nietzsche et le transformisme intellectualiste, Tome 4, 3 Edition Bossard.
17. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée, la maturité de Nietzsche, Tome 5, 3 Edition.
18. Charles Andler, Nietzsche, sa vie et sa pensée, la dernière philosophie de Nietzsche, Tome 6, 3 Edition.
19. Charles Murin, Nietzsche problème, généalogie d'une pensée, Presses de l'Université de Montréal, 1979.
20. Christophe Baroni, Nietzsche éducateur, de l'homme au surhomme, BucheL-Chastel 1961.
21. Claire Richter, Nietzsche et les théories biologiques contemporaines, Mercure de France, Paris, 1911.

22. Collectif, Nouvelles Lectures de Nietzsche, L'Age d'homme, 1990.
23. Colloque de Royaumont, Nietzsche, Les Editions Minuit, 1967.
24. Daniel Laurent, La pensée de Nietzsche et l'homme actuel, Edition Privat, 1973.
25. Didier Franck, Nietzsche et l'ombre de Dieu, Edition PUF, 1998.
26. Dominique Bourdin, L'œuvre de Nietzsche, paradoxes de l'esprit libre, parcours et anthologie, Editions Bréal, 2007.
27. Dominique Janicaud, Nouvelles lectures de Nietzsche, Volume1, Cahiers (Lausanne) L'Age d'homme, Numéro 1.
28. E. Bertram, Nietzsche, essai de mythologie, Edition du Felin, Paris, 1990.
29. Emmanuel Diet, Nietzsche et les métamorphoses du divin, Éditions du Cerf, 1972.
30. Éric Blondel, Nietzsche, le corps et la culture, La philosophie comme généalogie philologique, PUF, 1986.
31. Eric Dufour, L'Esthétique musicale de Nietzsche, Presses Univ. Septentrion, 2005.
32. Eugène de Roberty, Frédéric Nietzsche, contribution à l'histoire des idées philosophiques et sociales à la fin du XIXe siècle, F. Alcan, 1903.
33. F.L. Mueller, L'irrationalisme contemporain; Schopenhauer, Nietzsche, Freud, Adler, Jung, Sartre, Payot, Paris, 1970.
34. François Laruelle, Nietzsche contre Heidegger, thèses pour une politique nietzschéenne, Payot, 1977.
35. François Warin, Nietzsche et Bataille, la parodie à l'infini, Presses universitaires de France, 1994.
36. Gean Granier, Le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, Edition Seuil 1966.
37. Gean Granier, Nietzsche, Que Sais-Je, 1982.
38. Georges Morel, Création et métamorphoses. Volume 3, Nietzsche, Introduction à une première lecture, Aubier-Montaigne, 1971.
39. Georges Morel, Nietzsche analyse de la maladie, Edition Aubier-Montaigne, 1971.
40. Georges Goedert, Nietzsche disciple de Dionysos, une introduction à son œuvre, L'Harmattan, 2005.
41. Gianni Vattimo, Introduction à Nietzsche, De Boeck Supérieur, 1991.
42. Gille Deleuze, Nietzsche et la philosophie, Edition PUF, 1962.
43. Giorgio Colli, Ecrits sur Nietzsche, Editions de l'éclat, 1996.
44. Hans-Georg Gadamer, Nietzsche l'antipode, le drame de Zarathoustra, suivi de Nietzsche et nous, entretien entre Theodor W. Adorno, Max Horkheimer & Hans-Georg Gadamer, Editions Allia, 2000.
45. Henri Lefebvre, Hegel, Marx, Nietzsche, Casterman, 1975.
46. Henri Lefebvre, Nietzsche, Editions Sociales Internationales, Paris, 1939.
47. Inace Haas, les conceptions du corps chez ribot et Nietzsche, Harmattan, 2002.
48. Isabelle Wienand, Significations de la Mort de Dieu chez Nietzsche d'HTH, à Ainsi parlait Zarathoustra, Peter Lang GmbH, 2005.

49. J.C.Lannoy, Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, Edition Desclée de Brouwer.
50. Jacques Ponnier, Nietzsche et la question du moi, PUF, 2000.
51. Jacques Rogé, Le syndrome de Nietzsche, Odile Jacob, 1999.
52. Jacques Sojcher, La Question et le sens, esthétique de Nietzsche, essai, Aubier Montaigne, 1972.
53. Jacques-Édouard Meyer, Le jugement esthétique comme connaissance de soi chez Friedrich Nietzsche, Fribourg (Suisse), 1978.
54. James Robert Dionne, Pascal et Nietzsche; étude historique et comparée, B. Franklin, 1974.
55. Jean André Wahl, La pensée philosophique de Nietzsche des années 1885-1888, Centre de Documentation Universitaire, 1959.
56. Jean André Wahl, L'avant dernière pensée de Nietzsche, Paris, Centre de documentation universitaire.
57. Jean Gayon, Nietzsche, le déchet et sélection, In Le déchet, le rebut, le rien, sous la direction de Jean, Editions Champ Vallon, 1999.
58. Jean Patrice Ake, Le prêtre selon Nietzsche, Editions L'Harmattan, 2014, en deux Tome.
59. Jean-Marie Vaysse, L'art Nietzsche, Presses Univ. du Mirail, 1999.
60. Jean Lefranc, Comprendre Nietzsche, Armand Colin, Collection Cursus, Paris, 2003.
61. Jules de Gaultier, Nietzsche et la réforme philosophique, Paris Société de Mercure de France, 1904.
62. Karl Jaspers, Nietzsche, une introduction à sa philosophie, Trad. H. Niel, Gallimard, Paris, 1950.
63. Karl Schlechta, Le cas de Nietzsche, Trad. par André Coeuroy, N.R.F, Gallimard, 1960.
64. Laurent Cherlonneix, Philosophie médicale de Nietzsche, la connaissance, la nature, Harmattan, 2002.
65. Luis Corman, Nietzsche, psychologue des profondeurs, Edition PUF, 1982.
66. Martin Heidegger, Nietzsche, Tome 1-2, Trad. par Pierre Klossowski, Gallimard 1971.
67. Marc Crépon, Nietzsche, l'art et la politique de l'avenir, PUF, 2003.
68. Martine Béland, Kulturkritik et philosophie thérapeutique chez le jeune Nietzsche, Les Presses de l'Université de Montréal, 2012.
69. Mathieu Kessler, Nietzsche ou le dépassement esthétique de la métaphysique, PUF (coll.« Thémis »), , Paris, 1999 .
70. Michel Haar, Nietzsche et la métaphysique, Gallimard, TEL, , Paris, 1993.
71. Michel Haar, Par-delà le nihilisme, nouveaux essais sur Nietzsche, PUF, Perspectives critiques, Paris, 1998.
72. Monia Sanekli, L'Inconscient, Freud, Spinoza, Schopenhauer, Nietzsche, Editions Publibook, 2016.
73. Monique Dixsaut, Nietzsche, par-delà les antinomies, Transparence, 2006.

74. N. Klugmann, B. Latzarus, Nietzsche et la pensée grecque, Edition du Livre Mensuel, Paris, 1920.
75. Nicola Milosevic, Nietzsche et Strindberg, psychologie de la connaissance, Edition Lausann, 1997.
76. Olivier Ponton, Nietzsche, la philosophie de la légèreté, Edition Walter de Gruyter, 2007.
77. Olivier Reboul, Nietzsche, critique de Kant, Edition PUF, 1974.
78. P. Lance, En compagnie de Nietzsche, Ere nouvelle, Paris, 1991.
79. Patrick Wolting, Nietzsche et le problème de la civilisation, Edition PUF, 2009.
80. Patrick Wolting, La pensée du sous-sol, statut et structure de la psychologie dans la philosophie de Nietzsche, Édition Allia, 1999.
81. Patrick Wolting, La philosophie de l'esprit libre. Introduction à Nietzsche, Flammarion, Champ Essais, Paris, 2008.
82. Paul Valadier, Nietzsche, l'athée de rigueur, Edition Desclée de Brouwer, 1975.
83. Paul Valadier, Nietzsche l'intempestif, Editions Beauchesne, 2000.
84. Paul Valadier, Nietzsche et la critique du christianisme, Éditions du Cerf, 1974.
85. Paul-Laurent Assoun, Freud et Nietzsche, Edition PUF, 1980.
86. Philippe Gaudin, la religion de Nietzsche, Edition de L'atelier, 2008.
87. Philippe Granarolo, L'individu éternel, l'expérience nietzschéenne de l'éternité, Vrin 1993.
88. Pierre Boudot, Nietzsche en miettes, PUF, 1973.
89. Pierre Hebert —Suffrin, le Zarathoustra de Nietzsche, Edition PUF, 1988.
90. Pierre Hebert —Suffrin, Nietzsche, Edition Ellipses, 1997.
91. Pierre Klossowski, Nietzsche et le cercle vicieux, Mercure de France, 1969.
92. Robert B.pippin, Nietzsche, moraliste français, la conception nietzschéenne d'une psychologie philosophique, Edition Odile Jacob, 2006.
93. Rogério Miranda de Almeida, Nietzsche et le paradoxe, Presses Universitaires de Strasbourg, 1999.
94. Safranski Rüdiger, Nietzsche Biographie d'une pensée, Traduit par Nicole Casanova, Solin, Actes Sud, 2000.
95. Samuel Beugre, La conception du christianisme avec Nietzsche. Nietzsche est-il vraiment un athée ?, Edition Lulu.com.
96. Samuel Beugre, La conception du christianisme avec Nietzsche, Nietzsche est-il vraiment un athée, Presses Académiques Francophones, 2016.
97. Sanekli, L'inconscient politique chez Friedrich Nietzsche, Editions Publibook, 2016.
98. Sarah Kofman, Nietzsche et la métaphore, Payot, Paris, 1972.
99. Sarah Kofman, Nietzsche et la scène philosophique, Union générale d'éditions, 1979.
100. Simone Goyard-Fabre, Nietzsche et la conversion métaphysique, Pensée universelle, 1972.

101. Stamatios Tzitzis (Sous sa direction), Nietzsche et les hiérarchies, Editions L'Harmattan, 2008.
 102. Stepan Odoued, Par les sentiers de Zarathoustra, influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande, Edition du progrès Moscou, 1980.
 103. Stiegler Barbara, Nietzsche et la biologie, Paris, PUF, 2001.
 104. Sylvie Boujac, Nietzsche et l'écriture de l'éternel retour, Editions Publibook, 15 déc. 2011.
 105. Tarmo Kunnas, Nietzsche ou l'esprit de contradiction, Nouvelles Edition Latine, 1980.
 106. William Baranger, La pensée de Nietzsche, Chaix, 1946.
 107. Yannick Beaubatie, Le nihilisme et la morale de Nietzsche, Larousse, Découvrir, Paris, 1994.
 108. Yves Ledure, Nietzsche et la religion de l'incroyance, Desclée, 1973.
- 6- المَرَاجِعُ النِّيتْشَوِيَّةُ الْمُتَخَصِّصَةُ فِي مَوْضُوعَاتٍ أُخْرَى بِاللِّسَانِ الْإِنْجِلِيزِيِّ**
- 1- Alexander Nehamas, Nietzsche, Life as Literature, Harvard University Press, 1985.
 - 2- Anthony K. Jensen, Carlotta Santini, Nietzsche on Memory and History, The Re-Encountered Shadow, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2020.
 - 3- Christian Emden, Nietzsche's Naturalism, philosophy and the Life Sciences in the Nineteenth Century, Cambridge University Press, 2014.
 - 4- Clarke Maudemarie, Nietzsche on Truth and Philosophy. Cambridge, Cambridge University Press, 1990.
 - 5- Cox Christoph, Nietzsche, Naturalism and Interpretation. Berkeley, University of California Press, 1999.
 - 6- Cunningham G. Watts, "On Nietzsche's Doctrine of the Will to Power." The Philosophical Review, 28, 5 (1919), 479-490.
 - 7- David B. Allison, Reading the New Nietzsche, The Birth of Tragedy, The Gay, Rowman & Littlefield publishers, 2000.
 - 8- David B. Allison, The New Nietzsche, Contemporary Styles of Interpretation., MIT Press, 1985.
 - 9- Elliot L. Jurist, Beyond Hegel and Nietzsche, Philosophy, Culture, and Agency, MIT Press, 25 janv. 2002.
 - 10- Danto Arthur, Nietzsche as Philosopher. Expanded edition. New York, Columbia University Press, 2004.
 - 11- Gemes Ken, "Nietzsche's Critique of Truth." Philosophy and Phenomenological Research, 52, 1 (1992), 47-65.
 - 12- Green, Michael Steven, Nietzsche and the Transcendental Tradition. Illinois, Illinois University Press, 2002.
 - 13- Grimm Ruediger Hermann, Nietzsche's Theory of Knowledge. Berlin, Walter de Gruyter, 1977.
 - 14- Hales, Steven D. and Welshon, Rex. Nietzsche's Perspectivism. Urbana, University of Illinois Press, 2000.

- 15- Jacob Golomb, Weaver Santaniello, Ronald L. Lehrer, Nietzsche and Depth psychology, Suny Press, 2015.
- 16- George Allen Morgan, What Nietzsche means, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1941.
- 17- João Constâncio, Maria João Mayer Branco (Eds.), Nietzsche on Instinct and Language -De Gruyter (2011).
- 18- John Richardson, Nietzsche's System. New York, Oxford University Press, 1996.
- 19- Karl Löwith, From Hegel to Nietzsche, The Revolution Century though, trans by David Green, London, Constable, 1965.
- 20- Katrina. Mitcheson, Nietzsche, Truth and Transformation, palgrave Macmillan UK, 2013.
- 21- Lawrence Hatab, Nietzsche's Life Sentence, Coming to Terms with Eternal, Routledge, 2013.
- 22- Lee Spinks, Friedrich Nietzsche, psychology, Psychology Press, 2003.
- 23- Manuel Dries , Nietzsche on Time and History, Walter de Gruyter, 2008.
- 24- Malcolm Bull, Anti-Nietzsche, Verso Books, 2014.
- 25- Michael Mahon, Foucault's Nietzschean Genealogy, Truth, power, and the Subject, SUNY Press, 1992.
- 26- Manuel Dries, Nietzsche on Consciousness and the Embodied Mind, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2018.
- 27- Otfried Höffe, Nietzsche and German philosophy, Cambridge University Press, 2021.
- 28- Paul Bishop, A Companion to Friedrich Nietzsche, Life and Works, Camden House, 2012.
- 29- Peter Poellner, Nietzsche and Metaphysics. Oxford, Oxford University Press, 2007.
- 30- Peter Bornedal, The Surface and the Abyss, Nietzsche as philosopher of Mind and Knowledge, Walter de Gruyter, 2010.
- 31- R. J. Hollingdale Nietzsche, The Man and His philosophy, Cambridge University Press, 2001.
- 32- Richard Schacht, Nietzsche. London; New York, Routledge, 1992.
- 33- Walter Kaufman, Nietzsche, Philosopher, psychologist, antichrist, Princeton, New-Jersey, Princeton université Press, 1974.

7- مَرَاجِعُ مُسْتَحْدَمَةٌ لِمُقَارَنَةِ بَعْضِ الْمَفَاهِيمِ بَيْنَ نِيْتَشَةِ وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيِّينَ

1. Ada Babette Neschke, Jacques Follon, Platonisme politique et théorie du droit naturel: Le platonisme politique dans l'antiquité, Edition Peeters Publishers, 1995.
2. André Rivier, Les horizons métaphysiques du "Gorgias" de platon, Librairie de l'Université, 1948.
3. Emmanuelle Jouët-Pastré, Le plaisir à l'épreuve de la pensée: Lecture du protagonas, du Gorgias et du philèbe de platon, Edition BRILL, 2018.

4. Francis Riaux, Essai sur Parménide d'Elée, Librairie de Joubert, 1840.
5. Theodor Gomperz, Les penseurs de la Grèce: histoire de la philosophie antique (2e éd. rev. et corr.), Trad. par Aug. Reymond, Paris Félix Alcan, Éditeur, Lausanne Payot & C1908.
6. Heinrich Ritter, Histoire de la philosophie, Ladrangé 1835, Volume 1. Les vers dorés de Pythagore, Antoine Fabre d'Olivet.
7. J. Adam, The Republic of Plato, with critical notes, commentary and appendices. 2nd Ed, with an Introduction by D. A. Rees (Cambridge University Press, 1963.
8. J.p Maguire, Thrasy machos...or plato?', Phronesis 16, 1971.
9. Jérôme Laurent, Les fondements de la nature dans la pensée de Plotin, Vrin, 1992.
10. Kimon Lycos, Plato on Justice and power, Reading Book I of Plato's Republic, 1987.
11. Pierre Aubenque, Etudes sur Parménide : Problèmes d'interprétation, Vrin, 1987.
12. Plato, Republic, Translated By G.M.A. Grube, Revised By C.D.C. Reeve, Hackett Publishing Company, INC. Indianapolis /Cambridge, 1992.
13. Platon, Gorgias, Trad par Alfred Croiset, Texte établi par Alfred Croiset et Louis Bodin, Les Belles Lettres, 1923.
14. Platon, Œuvres complètes, Trad. du grec ancien par Joseph Moreau et Léon Robin Edition Gallimard, La Pléiade, 1940.
15. Plotin, Les Ennéades, Trad par M.-N. Bouillet , Hachette, 1861 , Volume 3 , XXX .
16. R. Dodds, Plato: Gorgias, Oxford: Clarendon Press, 1959.
17. Robert Muller, La doctrine platonicienne de la liberté, Vrin, 1997 .
18. Stanley Rosen, Plato's Republic: A Study, Yale University Press, 2008.
19. Zeller, Eduard, La philosophie des Grecs considérée dans son développement historique; traduite de l'allemand par Émile Boutroux, librairie hachette, Paris, 1882, première partie, Tome deuxième.

8- مَرَاجِعُ مُسْتَحْدَمَةٌ لِمُقَارَنَةِ بَعْضِ الْمَفَاهِيمِ بَيْنَ نِيْتَشَهِ وَالْفَلَسَفَةِ الْأَلْمَانِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِ

1. Adriaan Tpeperzak, Le jeune Hegel et la vision morale du monde, Springer Netherlands, 1969.
2. Alexis philonenko, La jeunesse de Feuerbach (1828-1841), Introduction à ses positions fondamentales, Tome 2, Vrin, Paris, 1990.
3. Arthur Schopenhauer, Le Monde comme volonté et comme représentation. Trad. De l'allemand par A. Burdeau édition revue et corrigée par Richard Roos. Paris, Quadrige/PUF.
4. Arthur Schopenhauer, Le monde comme volonté et comme représentation, Trad. par A. Burdeau, Félix Alcan, 1888.
5. Daniel Dumouchel, Kant et la genèse de la subjectivité esthétique, Vrin, 1999.
6. Emmanuel Kant, Critique de la raison pure, Volume 1, Trad. par Jule Le Barni, Germer-Bailliere, 1869.

7. Friedrich Schelling, Le système de l'idéalisme transcendantal, traduit par Dubois, Editions Peters, Louvain, 1978.
8. Friedrich Hegel, La Phénoménologie de L'esprit tom2, traduit de l'allemand par Jean Hyppolite, Paris, Aubier Montaigne, 1939.
9. Gottfried Wilhelm Leibniz, Nouvelles lettres et opuscules inédits, Trad Louis Alexandre Foucher de Careil - A. Durand, 1857 - . LXIV.
10. Léo Freuler, Kant et la métaphysique spéculative Vrin, 1992.
11. Ludwig Feuerbach, L'Essence de la religion, traduit de l'allemand par Joseph Roy, Librairie Internationale, Paris, 1864.
12. Ludwig Feuerbach, Lectures On The Essence of Religion, trans., by R. Manhein, Haper & Row, New York, 1967.
13. Ludwig Feuerbach, Manifestes philosophiques: Textes choisis (1839-1845), PUF, 1960.
14. Miklos Vetö, De Kant à Schelling: les deux voies de l'idéalisme allemand, Volume 2, Editions Jérôme Millon, 2000.
15. Pierre Kerszberg, De Kant à la phénoménologie, Presses Univ. du Mirail, 2003.

9- مَرَاجِعُ مُسْتَحْدَمَةٌ لِتَقْدِمْ مَفْهُومِ الْاِقْتِدَارِ وَالْقُوَّةِ لَدَى نِيْتَشَةِ تَبَعًا لِتَقْرِيرَاتِ جَانِ جَاكُ رُوسُو الْفَلَسَفِيَّةِ

1. Bronislaw Baczko, Rousseau Solitude et communauté, Trad du polonais par Claire Brendhel Lamhout, Edition Paris, La Haye: Mouton, 1974.
2. Bruno Bernardi, La fabrique des concepts: recherches sur l'invention conceptuelle chez Rousseau, Edition Champion, 2006.
3. David Lay Williams, Rousseau's Social Contract: An Introduction, Cambridge University Press, 2014.
4. Jean-Jacques Rousseau, Du contrat social, Les classiques du peuple, Editions sociales, 1968.
5. Jean-Jacques Rousseau, Émile ou De l'éducation, Garnier, Paris, 1961.
6. Jean-Jacques Rousseau, Emile, ou, De l'éducation, Librairie de la Bibliothèque Nationale, 1877.
7. Lelia pezzillo, Rousseau et le Contrat social, PUF, 2000.
8. Nguyen Vinh-De, Le problème de l'homme chez Jean-Jacques Rousseau, Presses de l'Université du Québec, 1991.
9. Victor Goldschmidt, Anthropologie et politique, les principes du système de rousseau, Edition Vrin, 1983.

10- مَرَاجِعُ مُسْتَحْدَمَةٌ لِمُقَارَنَةِ الرَّدِّ الْحَيَوِيِّ لَدَى نِيْتَشَةِ بِالرَّدِّ الْفِيْثُوْمِيْئُوْلُوْجِيِّ لَدَى هُوسِرْل

1. Annabelle Dufourcq, La dimension imaginaire du réel dans la philosophie de Husserl, Springer Science+Business Media B.V, 2011.
2. Edmund Husserl, Recherche logique, Trad. H, ELIA, Tome 2, PUF, Paris, 1961.
3. Jean - François Lavigne, Les méditations cartésiennes de Husserl, Edition Vrin 2008.
4. Quentin Lauer, Phénoménologie de Husserl, PUF, Paris, 1955.

11- مَرَاجِعُ مُسْتَحْدَمَةٌ لِمُقَارَنَةِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْإِنْسِيِّ لَدَى نِيْتَشَهِ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْإِلَهِيِّ لَدَى اللّاهُوتِ الْأَشْعَرِيِّ وَمُقَارَنَةِ مَفْهُومِ الرِّبْدَةِ عِنْدَ نِيْتَشَهِ بِمَفْهُومِ إِلَهِ الرِّبْدَةِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ

- 1- أبو المعالي الجويني ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ضبط وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2009.
- 2- أبو عبد الله محمد بن عمر/فخر الدين الرازي ، المحصول في علم الأصول ، تحقيق د. طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1418 هـ - 1997 م.
- 3- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية ، 1411 هـ - 1991 م.
- 4- سعد الدين التفتازاني ، شرح المقاصد ، عالم الكتب ، 1998.
- 5- الشريف الجرجاني ، شرح المواقف ، دار الكتب العلمية ، 1998.
- 6- شمس الدين الأصفهاني ، شرح مطالع الأنظار على متن طوابع الأنوار ، ص 195 ، المطبعة الخيرية ، 1323 هـ.
- 7- عبد السلام بن تيمية ، عبد الحلیم بن تيمية ، أحمد بن تيمية ، المسودة في أصول الفقه ، تحقيق د. أحمد الذروي ، الرياض ، دار الفضيلة ، ط 1 ، 1422 هـ.
- 8- علي بن سليمان ، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول ، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط 1 ، 1434 هـ.
- 9- علي بن عقيل ، الواضح في أصول الفقه ، تحقيق د. عبد الله التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1420 هـ.
- 10- فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، المطبعة الحسينية المصرية ، 1905.
- 11- محمد بن أحمد ، صرح الكوكب المنير ، تحقيق محمد الزحيلي ، ونزيه حماد السعودية ، مكتبة العبيكان ، ط 2 ، 1418 هـ.
- 12- محمد بن مفلح ، أصول الفقه ، تحقيق د. فهد السدحان ، السعودية ، مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 1420 هـ.
- 13- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، تحقيق محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، 1421 هـ - 2000 م.

ج - الْمَقَالَاتُ وَالْمَجَلَّاتُ الدَّوْرِيَّاتُ

1. Daniel W. Smith, Deleuze and the question of desire: toward and immanent theory of ethics, Parrhesia Number 2 • 2007 • 66—78.
2. Essam Safty, Les difficultés d'interprétation de l'argument du plus fort dans le discours de Calliclès sur la justice, polis, The Journal for Ancient Greek political Thought brill, 2014.

3. Eugen Fink, «Nouvelle expérience du monde chez Nietzsche », In Nietzsche aujourd'hui ?, vol.2 Passion, Plon, coll. 10/18, Paris, 1973 .
4. F. Guibal Francis, Nietzsche ou le désir du oui créateur. In: Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, Tome 82, N°53, 1984.
5. Brito Emilio, Connaissance du chaos: Heidegger et Nietzsche In: Revue théologique de Louvain, 29^e année, fasc. 4, 1998.
6. Rogério Miranda de Almeida, La finalité, la providence et le hasard selon Nietzsche, In Revue des Sciences Religieuses, Tome 71, fascicule 1, 1997.
7. J.Wahl, «Le Nietzsche de Fink», Revue de Métaphysique et de Morale, Paris, Armand Colin, Octobre/Décembre, N° 4.1962.
8. Jozef Van de Wiele, Heidegger et Nietzsche. Le problème de la métaphysique, In Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, Tome 66, N°91, 1968. Pp. 435-486.
9. « Nouvelle expérience du monde chez Nietzsche », In Nietzsche aujourd'hui ?, vol.2, Paris, 10/18, 1973,
10. Gérard Bensussan, «Nietzsche & la justice», Les Cahiers philosophiques de Strasbourg [En ligne], 40 | 2016, 169-188.
11. Lawrence J. Hatab, How Does the Ascetic Ideal Function In Nietzsche's Genealogy ?, The Journal of Nietzsche Studies, Issue 35/36, Sp.ring/Autumn 2008.

د - الْمَعَاجِمُ

1- الْمَعَاجِمُ الْفَلَسَفِيَّةُ الْمُتَخَصِّصَةُ

1. Carol Diethe, Historical Dictionary of Nietzscheanism, Scarecrow Press, 2006.
2. Céline Denat Patrick Wolting, Dictionnaire de Nietzsche, Edition Ellipses 2013.
3. Dorian Astor, Dictionnaire Nietzsche, Groupe Robert Laffont, 9 mars 2017, 1363 pages.
4. Douglas Burnham, The Nietzsche Dictionary , Bloomsbury Academic, 2015.
5. Patrick Wolting, Le vocabulaire de Nietzsche, Ellipses, 2001.
6. Patrick Wolting, Nietzsche, In Le vocabulaire des philosophes, Tome 3, Edition Ellipse, 2002. Ouvrage coordonné par Jean Pierre Zarader.

2- الْمَعَاجِمُ اللَّغَوِيَّةُ

1. أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار . إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية عدد الأجزاء: 2 .
2. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداي ، دار الكتب العلمية ، 2000م ، بيروت ، عدد الأجزاء: 10.
3. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م ، عدد الأجزاء / 15 الطبعة: الأولى.
4. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، عدد الأجزاء: 40.
5. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، عدد الأجزاء: 1.
6. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م .

7. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر — بيروت ، الطبعة الأولى عدد الأجزاء: 15 [مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين].
8. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، 2000م ، بيروت ، عدد الأجزاء: 10.

هـ- الأطروحات

Fredrika spindler, Philosophie de la puissance et détermination de l'homme chez spinoza et chez Nietzsche. thèse de doctorat de philosophie université paul valéry iii montpellier, Utgiven av glänta production Graf isk form & sättning richard lindmark Printed by munkreklam ab, munkedal 2005.

الفهرسُ

الفهرس

قائمة المختصرات	أ
المقدمة	أ-ي
القسم الأول: النظرية الأونطولوجية عند نيتشه	1
الفصل الأول: إرادة الاقتدار بين واحدة المبدأ وتعددية التجلي: في نصريف الوجود إلى الجمع	2
المبحث الأول: الوجود وإرادة الاقتدار بين الإسفار الحيوي والاعتبار العريزي	2
المبحث الثاني: الوجود من منظور أونطولوجيا العلاقة بين انفعال الطبائع واستحصال التوافع	33
المبحث الثالث: التنازع والتواجد بين تأكيد التباين وتقييد التوازن: في محاجة التفسير الميكانيكي	44
الفصل الثاني: خواص الوجود من منظور إرادة الاقتدار بين الاستبصار الحيوي والإنكار الميتافيزيقي	49
المبحث الأول: الوجود الفريد والتنازع العديدي بين تقييد الكثرة وتجرید الوحدة: في ديناميكا إرادة الاقتدار	49
المبحث الثاني: العالم والإنسان من منظور التراث والتغالب: في البنية التفاضلية للوجود	83
المبحث الثالث: العالم من منظور ديناميكا الصيرورة: في تجاوز استاتيكا الوجود وميتافيزيقا الثبوت	98
القسم الثاني: النظرية الأكسيولوجية عند نيتشه	108
الفصل الأول: مقومات النظرية القيمية عند نيتشه	109
المبحث الأول: التقويم بين الدلالة الأونطولوجية والدلالة الإنسانية	109
المبحث الثاني: أفاعيل التقويم والتخليم: المفاضلة، الممايزة، القلب، الخلق	113
المبحث الثالث: منافذ التقويم الأربعة: المنظورية، التأويلية، السلطان، الجسمان	118
الفصل الثاني: المنهج الجينيولوجي بين الفتوحات التأويلية والسقطات المغفلة	123
المبحث الأول: ثلوث الممارسة الجينيولوجية: الحس التاريخي، الرذ الفيزيو-سيكو-طبقي، المفاضلة الجبلية	123
المبحث الثاني: مباني التأويل الجينيولوجي: التناول السينيولوجي، التشخيص الطبي، النظر المغياري	136
المبحث الثالث: مثالب ونقائص تأسيس القيمة على جبلية الاقتدار والريدة	168

206	الفصل الثالث: المباني التأسيسية الثلاثة للأخلاق
206	تمهيد
209	المبحث الأول: الأخلاق الإنسانية بين أصول النشأة وغدول المفاهيم ومذلول الأحكام
209	أ) (موجبات القيم التافية: روخ الاضطغان وعجز الإنسان وكبت الجسماني وسوء الذاكرة
218	ب) (شمائل ودلائل النبالة والسفالة أو النظر إلى الذات بين العرفان والجحدان
221	ج) (المسلك الفيلولوجي في فحص الأحكام الأخلاقية: بينونة النشأة وصيرورة التاريخ وزيفوعة المفهوم
225	د) (الأخلاق والوجود من منظور الكهوت بين القلب الاضطغاني والتأثر الروحاني
230	المبحث الثاني: التنقيب الجينيولوجي عن أصول الضمير: بحث في الأسباب والحيثيات
231	أ) (الضمير والتغيز بين قمع الإنسان وقسوة الاستبطان والإخلال بالدين
238	ب) (الآلم ومسالك التغليل بين التبشير والتسخير الديونيزوسي والتبرير والتزوير الكهوتي
244	ج) (مولد الضمير والإحساس بالذنب من فكرة الدين والعقاب بين البدايات والمآلات
250	د) (تجذير الضمير وتخوير الدين بين التخريج اللاهوتي والتخريج الأخلاقي
254	المبحث الثالث: الإنسانية والحضارة في طاغوت العدم أو المثل العليا تحت وطأة الرؤية الزهدي للوجود
254	أ) (المثل الأعلى الزهدي بين مكائد التأويلية الشككية وثقائض الإرادة العدمية
262	ب) (الآلام والأثام بين إحجام الثقة وإقدام الدعاة أو المعاناة من منظور المسلك الكهوتي والمسلك الشراييدي
267	ج) (التجليات الكبرى للمثل الأعلى الزهدي أو جحدان الحياة والجسماني في موارباته وأقنعه
268	1 - الإلحاد والمثل الأعلى الزهدي
270	2 - العلم والمثل الأعلى الزهدي
278	3 - الفن والمثل الأعلى الزهدي
281	الخاتمة
290	قائمة المصادر والمراجع
309	الفهرس

المُلَخَّصُ

المُلْحَصُ

تَضَلُّعُ مُقَارَبَتِنَا التَّأْوِيلِيَّةِ لِمَفْهُومِ "إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ" بِإِزَالَةِ اللَّبْسِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ وَذَلِكَ بِتَعَقُّبِ الدِّلَالَاتِ الَّتِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا وَتَتَّبَعِ الْمَقَاصِدِ الْعُلْيَا الَّتِي رَمَى إِلَيْهَا نَيْتَشَةُ أَثْنَاءَ صِيَاغَتِهِ، وَأُسْفَرَ ذَلِكَ عَلَى الصَّعِيدِ الْأَوْنُطُولُوجِيِّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مَاهِيَّةً لِكَلِّيَّةِ الْكَائِنِ وَمَبْدَأً لِلظَّوَاهِرِ جَمِيعًا، عَنِ الطَّائِعِ الْمُعَقَّدِ لإِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مِنْ جَانِبٍ وَسَمَتَهَا الْغَرِيزِيَّةَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَتَنَازُعَهَا الْبُنْيَوِيَّ مِنْ وَجْهِ وَتَجَلِّيَهَا الْمُتَعَدِّدَ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ وَنُزُوعَهَا الدِّينَامِيكِيَّ مِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ. وَإِثْرُ ذَلِكَ تَطَرُّقُنَا إِلَى الْخَاصِيَّاتِ الْأَوْنُطُولُوجِيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَصَوُّرَ إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ مِنْ دُونِهَا مِنْ قَبِيلِ خَاصِيَّةِ الصِّرَاعِ الَّتِي يَمْتَنِعُ فِي ظِلِّهَا خُلُودُ قَوَى الْعَالَمِ (الْكَائِنَاتِ) إِلَى السُّكُونِ وَالسَّلَامِ، وَخَاصِيَّةِ الْكَثْرَةِ وَالتَّرَاتُبِ وَالصَّرِيرَةِ الَّتِي يَفْضُلُهَا يَتَّخِذُ الْعَالَمُ طَابَعًا دِينَامِيكِيًّا وَيَتَدَفَّعُ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى التَّجَدُّدِ. وَفِي غُرْضِ بَسْطِنَا لِمَفْهُومِ نَيْتَشَةِ الْمَرْكَزِيِّ (إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ) أَبْرَزْنَا الْخَاصِيَّةَ اللَّاَوَاعِيَّةَ لِفَعَالِيَّاتِ الْوُجُودِ/الْحَيَاةِ مَا يَجْعَلُهَا سِرُّوْرَاتٍ سِرْدَائِيَّةً ذَاتَ طَائِعٍ غَرِيزِيٍّ لَا تَفْتَأُ عَنْ تَوَلِّيفِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ تَوَلِّيفَاتٍ مُتَنَوِّعَةً وَمُتَجَدِّدَةً. وَلَمْ نَذْهَلْ أَثْنَاءَ ذَلِكَ عَنْ إِلْقَاءِ بَعْضِ الصَّوْءِ عَلَى الطَّائِعِ الْجَبْرِيِّ لِلْعَالَمِ الَّذِي تَحْكُمُهُ "إِرَادَةُ الْاِقْتِدَارِ"، لِكَوْنِ تَجَلِّيَاتِهِ اضْطِرَارِيَّةً؛ فَلَا الْقُوَّةَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تُجْلِيَ ضَعْفًا وَلَا الضَّعْفَ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يُظْهِرَ قُوَّةً، لَكِنَّا لَمْ نَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا وَإِنَّمَا أَضَافْنَا وَجْهًا مُسْتَتِرًا فِي إِرَادَةِ الْاِقْتِدَارِ يَتَعَلَّقُ بِارْتِبَاطِهَا الْحَمِيْمِيِّ بِالْغَرَائِزِ الْعُدُوْنِيَّةِ مِنْ قَسْوَةِ وَغُنْفٍ وَاسْتِغْلَالٍ وَذَكَرْنَا اللَّوَاظِمَ الْخَطِيرَةَ الَّتِي تُلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُسْتَوَى الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ وَعَلَى الْمُسْتَوَى الْبَيْنِ — ذَاتِيٍّ. وَفِي الصَّعِيدِ الْأَكْسِيُولُوجِيِّ مِنَ الْمُقَارَبَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ بَسْطِنَا مَفْهُومَ الْقِيَمَةِ لَدَى نَيْتَشَةِ سَوَاءً أَكَانَتِ الْقِيَمَةُ فَاعِلِيَّةً أَوْ نَطُولُوجِيَّةً لِلْوُجُودِ ذَاتِهِ (الْحَيَاةِ بِوَصْفِهَا تَقْوِيْمًا) أَمْ فَاعِلِيَّةً إِنْسِيَّةً (الْإِنْسَانَ بِوَصْفِهِ الْحَيَوَانَ الْمُقَوِّمَ بِامْتِيَازٍ) وَعَرَضْنَا كَذَلِكَ أَنْحَاءَ الْفَاعِلِيَّةِ النَّفْدِيَّةِ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ نَقْدَ الْقِيَمِ التَّقْلِيدِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الضَّعْفِ وَالضَّغِينَةِ مِنْ جَانِبٍ وَنَفْيِ الذَّاتِ وَالْحَيَاةِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذِي الْمُقَارَبَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ مَذْهَبٌ عَنْ بَيَانِ وَثُوقِ هَذِهِ الْفَاعِلِيَّةِ النَّفْدِيَّةِ عَلَى الْمَنْهَجِ الْحَيْنِيَّالُوجِيِّ الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ الْأُصُولِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ الْجَارِيَةِ وَذَلِكَ بِفَضْلِ مَعَايِيرِ فِيزِيُولُوجِيَّةٍ وَسِيكُولُوجِيَّةٍ وَطَبَقِيَّةٍ أُسْفَرَتْ عَنْ بَيِّنُونَةٍ وَمُفَاضَلَةٍ بُدَائِيَّةٍ بَيْنَ أَنْمُودَجَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ وَلَدَا أَنْمُودَجَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ وَمُتَفَاضِلَيْنِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، إِذِ اسْتَحْدَثَ أَنْمُودَجُ الْأَسْيَادِ الَّذِي تَنَعَّمَ بِنَسَبٍ نَبِيلٍ وَجُسْمَانٍ مَتِينٍ وَرُوحٍ مَكِينٍ أَخْلَاقًا حَيَوِيَّةً تَنْضَحُ بِإِثْبَاتِ الذَّاتِ وَالْحَيَاةِ وَتَفِيضُ صِحَّةً وَرَقِيًّا، فِي حِينِ أَنْشَأَ أَنْمُودَجُ الْعَبِيدِ الَّذِي افْتَقَرَ إِلَى نَسَبٍ غَرِيمٍ وَجُسْمَانٍ شَدِيدٍ وَرُوحٍ عَزِيزٍ أَخْلَاقًا عَدَمِيَّةً تَرْتَشِّحُ بِنُكْرَانٍ لِلذَّاتِ وَالْغَيْرِ وَالْحَيَاةِ وَتَتَدَفَّقُ سَقَمًا وَتَقَهْقُرًا، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَتْ أَخْلَاقُ السَّادَةِ مُعَبَّرَةً عَنْ غَرَائِزٍ سَلِيمَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْحَيَاةِ وَمُقْبِلَةٍ عَلَيْهَا مُؤَوَّلَةً أَلَمَ الْإِنْسَانِ تَأْوِيلًا دِيُونِيزُوسِيًّا يَجْعَلُهَا حُجَّةً لِلْوُجُودِ لَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَخْلَاقَ الْعَبِيدِ تَكْشِفُ مِنْ وَجْهِ عَنْ ذَاكِرَةِ مُتَضَخِّمَةِ لِأَنَاسٍ عَاجِزِينَ عَنْ نِسْيَانِ الشَّقَاءِ وَالبَلَاءِ الَّذِينَ كَابَدُوهُمَا وَتُسْفَرُ عَنْ ضَعْفِيَّةٍ رَاعِبَةٍ فِي الثَّأْرِ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ، وَتُفْصِحُ مِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ عَنْ غَرَائِزٍ سَقِيمَةٍ مُنْقَلِبَةٍ، بَعْدَمَا جَرَى قَمْعُهَا وَكَبَتْهَا فِي السَّرِيرَةِ، عَلَى الذَّاتِ وَالْغَيْرِ وَالْوُجُودِ وَمُفْضِيَّةً إِلَى ضَمِيرٍ شَقِيٍّ يَحْسِبُ مُعَانَاةَ الْإِنْسَانِيَّةِ جَزَاءً عَلَى ذُنُوبِهَا، وَمَا كَانَ لِهَذَا الْحِسْبَانِ أَنْ يَحْصَلَ وَيَتَوَطَّنَ لَوْلَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ابْتَدَعَهُ آلُ الْكَهَنُوتِ لِتَفْسِيرِ الْمُعَانَاةِ وَالشَّرُّورِ فِي الْعَالَمِ مُقْنِعِينَ الْبَشَرِيَّةَ بِتَعَدُّرِ الْخَلَاصِ مِنْ دُونِ التَّنَكُّرِ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ عَنْهَا وَالْإِضْرَابِ عَنْ مَحْسُوسِهَا وَغَرَائِزِهَا؛ وَفِي هَذَا الْمَفْهُومِ الْكَهَنُوتِيِّ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنَ الذُّنُوبِ تَوْبَةٌ صَرِيحٌ مِنَ الْحَيَاةِ لَيْسَ غَيْرُ.

Résumé

Nous nous sommes appuyés dans notre approche interprétative de "la volonté de puissance", pour démystifier sa notion, sur ses significations et sur les finalités suprêmes évoquées dans les propos de Nietzsche. Et malgré le fait que la volonté de puissance soit, au niveau ontologique, l'essence de la totalité de l'être, et le principe de tous les phénomènes, il en est résulté le caractère complexe de la volonté de puissance d'une part et son aspect instinctif d'une autre part, son conflit structurel d'un côté et sa multiple manifestation d'un autre côté et enfin son penchant dynamique. Nous nous sommes penchés ensuite sur les aspects ontologiques sans lesquels la volonté de puissance est unimaginable, tels que: la caractéristique du conflit dans lequel la survivance des puissances (des êtres) s'abstient de l'immobilité et de la paix, et la caractéristique de la pluralité, de l'hierarchie et du devenir grâce auxquels le monde revêt un aspect du dynamisme, et de régénération. Nous avons démontré à travers l'étude de la conception centrale de Nietzsche (volonté de puissance), l'aspect subconscient des activités de l'existence/de la vie, qui en fait des processus subtils, à caractère instinctif, qui synthétisent constamment le monde entier avec des combinaisons diverses et renouvelées. Ce faisant nous avons pas donc oublié de maître en exergue le caractère coercitif du monde dominé par la volonté de puissance, du fait que ses formes sont régies par la nécessité, or aucune force ne peut donc montrer une faiblesse et aucune faiblesse ne peut se manifester en force. Cependant nous ne nous sommes pas limités à cela, mais nous avons éclairé aussi le côté dissipé de la volonté de puissance concernant son lien étroit avec les pulsions agressives telles que la cruauté, la violence, et l'exploitation. Et nous avons cité les implications alarmantes qui en résultent, au niveau de la raison pratique et de l'intersubjectivité. De même, sur le plan axiologique de l'approche interprétative, nous avons expressément évoqué la notion de la valeur chez Nietzsche qu'il s'agissait d'une activité ontologique de l'être lui-même (la vie comme valorisation) ou d'une activité humaine (l'homme en tant que l'animal estimateur par excellence). Et nous avons également présenté toutes les modalités de l'activité critique visant à analyser les valeurs traditionnelles basées sur la faiblesse et la haine d'une part et sur le mépris du soi et de la vie d'une autre part, Cette approche interprétative avait inévitablement démontré que cette activité critique repose sur la méthode généalogique qui révèle les origines réelles de la morale en vigueur, grâce à des normes physiologiques, psychologiques et hiérarchiques, qui ont révélé une différenciation et hiérarchisation primitives entre deux types d'humain produisant deux différents modèles de moralité, Car le modèle des maîtres issues d'une haute lignée (noble), doté d'une force corporelle et d'une âme ferme, a introduit une morale (valeurs) vitale empreint de l'affirmation du soi et de la vie, et jouit de santé et de classitude extrême, tandis que le modèle des esclaves manquant d'une lignée gracieuse, d'une force corporelle et d'une âme précieuse, érige une morale nihiliste caractérisée par le mépris du soi, d'autrui et de la vie, qui se régresse et se dégrade, Et si la morale des maîtres traduit les pulsions saines liées à la vie interprétant les douleurs humaines d'une façon dionysiaque ce qui en fait une faveur de l'existence ,donc la morale des esclaves révèle d'un côté une mémoire excessive des personnes incapables d'oublier la misère et la souffrance qu'ils ont endurées et entraîne d'un autre côté un ressentiment prêt à se venger, et expose en outre des pulsions morbides réprimées et refoulées dans son intériorité, tournées contre soi-même, l'autrui et l'existence, Et conduisant à une mauvaise conscience ,considérant la souffrance humaine comme une punition pour ses péchés. Cela n'aurait pas été possible sans l'interprétation créée par le sacerdoce pour expliquer les souffrances et les maux du monde en essayant de convaincre l'humanité qu'aucune rédemption ne peut être réalisée sans nier la vie, sans l'abnégation de sa sensorialité et pulsionnalité, et dans ce concept sacerdotal de repentance des péchés, une vraie résipiscence explicite de la vie.